
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی


اللسان العربي

اللسان العربي

مجلة دورية للأبحاث اللغوية ونشاط الترجمة والتعريب



سجل الأعمال

* مجامع اللغة العربية
* المجالس العليا للعلوم والآداب والفنون
* الجامعات والمعاهد العلمية
* الهيئات والمراكز والشعب الوطنية للتعريب.
* رجال الفكر والعاملين لإعلاء اللغة العربية وجعلها في مستوى اللغات العالمية الحية.

المجلد الحادي عشر

الجزء الأول

يصدرها

مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي
بالرباط (المملكة المغربية)

دراسات وأبحاث



اللغة الأم

للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

ان الجزيرة العربية هى منبثق الحضارات السامية التى كيفت اقاليم الهلال الخصيب وما وراءه اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ولذلك يمكن القول بأن العرب البائدة الارامية التى ترجع الى ارم بن سام بن نوح ومنهم قبائل ابراهيم الخليل هم العرب الاصليون الذين وضعوا لجميع الشعوب السامية لغتهم العربية الام وقد نزحوا حوالى اوائل الالف الثانية قبل الميلاد الى جنوب العراق واستقروا فى مناطق بابل وارتباط الخليل بجزيرة العرب وبالحجاز (اى بيت الله العتيق) لم يرد فى القرآن وحده بل ابرزته الكشوف الاثرية واللسنيات المقارنة حول الهجرات السامية .

ويرى المؤرخون العرب ان الارامين من اصل واحد مع العرب البائدة او العرب العاربة ويؤكد ذلك ما ورد من ان الملك الاشورى اسرحدون (668 — 625 ق . م .) يشير فى كتاباته الى ان حزائيل ملك العربى اى العرب جاء خاضعا الى نينوى (1) وحزائيل اسم ارامى كما ذكر الدكتور هوميل ان الارامين والعرب من عنصر واحد (2)

وقد تغلغلت اللغة الارامية فيما بين النهرين وفارس ووادى النيل وآسيا الصغرى وشمال جزيرة العرب حتى حدود الحجاز وبقيت اللغة الرسمية

1) Rogers, Cuneiform Parallels etc... p. 353

2) F. Hommel, «The Ancient Hebrew Tradition p. 202

كتاب التقاليد العبرية القديمة

ولاحظ كروهمان ايضا فى بحثه عن تاريخ العرب ان الاراميين هم اسلاف العرب .

Encyclopedia of Islam N.E. p. 524

(دائرة المعارف الاسلامية — الطبعة الجديدة ص 524)

طوال قرون قبل الميلاد فى بابل وآشور وفارس ومصر والشام وبها كتب الانجيل على الارجح وقد قامت الارامية محل الكنعانية وظلت اللغة السائدة فى القرن السابع ق . م . حيث اخذت العربية تحل محلها وعزز الاستاذ دايرنجر (3) هذه النظرية مؤكدا سيادة اللغة الارامية من مصر الى آسيا الصغرى الى الهند وقد ابرز كروهمان علاقة الاراميين وقبائل « العبيرو » بالعرب قائلا :

« ومن المؤكد ان العنصر البدوى فى شبه جزيرة العرب وهو على الارجح مصطلح مرادف مع تسمية آرام وعبيرو وخبيرو وجد فى الاصل فى المنطقة التى تمتد بين سورية وبلاد ما بين النهرين والتى تعد اقدم مركز للساميين (4)

وكانت القبائل العربية التى نزحت من الجزيرة العربية تتكلم كلها لغة واحدة هى العربية الاصلية التى تفرعت الى لهجات احتفظت بخصائصها وسميت باللهجات او اللغات السامية تمييزا لها عن اللغات الآرية والطورانية ومن مميزات اللغة السامية اصولها الثلاثية الاحرف واشتقاقاتها الناتج عن مجرد تغيير الحركات .

ولم يعد هنالك ريب بعد الحفريات والكشوف الاثرية ان عصر ابراهيم الخليل وهو بداية الالف الرابعة قبل العصر الحاضر (القرن التاسع عشر قبل الميلاد) هو عصر عربى لغته هى السامية العربية الام فقد انبثق الجفاف الشديد الذى اكتسح شبه جزيرة العرب عن سلسلة من الهجراتنقلت الكنعانيين والفينيقيين والعموريين العمالقة منذ ازيد من الف عام قبل عصر الخليل وقد لخص الدكتور احمد سوسة (5) فى هذه المعطيات مبرزا تفرعات اللغة السامية العربية الام الى لهجات تسمها اللسنيون الى مجموعات هى السامية الغربية بعناصرها الكنعانية والفينيقية والمؤابية والعبرانية والسامية الغربية الشمالية (العمورية والارامية) والسامية الشرقية (الاكدية البابلية والاشورية) واخيرا لهجات جنوبى الجزيرة العربية وهى المعينية والسبئية والاثيوبية والعربية والامهرية والذى يدل دلالة واضحة فى نظر الكثير من خبراء اللغة واللسنيات على ان العربية هى اللغة الاصلية اى لغة بدو الجزيرة العربية ما زالت الى الآن اقرب كل اللهجات المذكورة الى اللغة السامية الام .

وتعتبر هجرة الاكديين نحو الفرات فى العراق اقدم هجرة من هجرات الساميين العرب الذين انتقلوا من الجزيرة العربية الى ضفاف الفرات وقد نزحت ــ كما قلنا ــ جماعات اخرى من جزيرة العرب الى وادى النيل فى حدود الالف الرابعة قبل الميلاد ويقال بأنها حملت معها حضارة أرقى من حضارة مصر وهى التى جاءت بفن التحنيط والكتابة الهيروغليفية (6) التى يكون اصلها ايضا عربيا مثل الكتابة الكنعانية وعموما لغتهم مطبوعة بالطابع العربى كما يتجلى ذلك من النقوش المصرية القديمة (7) منها صورة ملونة لاسرة عربية مهاجرة من جزيرة العرب والعموريون العمالقة هم الذين اسسوا الانبراطورية البابلية القديمة (وهى ثانى امبراطورية سامية وقبلها الاكدية) بعد ان نزحوا من جزيره العرب منتشرين فى الشام ومن بينهم ملوكهم وفى طليعتهم حمورابى وهو الملك السادس الذى حكم 42 سنة بين 1792 و 1750 ق . م . وهو صاحب التشريع المشهور الذى يقال بأنه وضع اصالة باللغة العربية .

وقد اقام الاشوريون ثانى امبراطورية سامية وبينما اتجه الكنعانيون والعموريون والاراميون والاكديون والهكسوس نحو الشام والعراق ومصر مستهدفا بعضهم الفرات ــ اتجهت الى دجلة قبائل اخرى حوالى اواخر الالف الرابعة او أوائل الالف الثالثة قبل الميلاد شمالى العراق على يمين دجلة فاسست مدينة اشور وهى عاصمة امارة صغيرة على نسق دويلات المدن الاكدية جنوبى العراق وقد تكلم الاشوريون بلغة سامية قريبة من لغة الاكديين جنوبا وكتبوا بالخط

---

3) D. Diringer the Alphabet 1948 p. 253

وقد اشار الدكتور احمد سوسة الذى ننقل عنه الىعشرات المصادر الاخرى

4) A. Grohmann, «The Arabs», the encyclopedia of Islam, New Ed. p. 525

(5) فى كتابه «العرب واليهود فى التاريخ» طبعة وزارة الاعلام العراقية 1972 .

(6) الدكتور محمد عزة دروزة « تاريخ الجنسالعربى » ج 1 ص 26 .

(7) تاريخ مصر لبريستد والحضارة المصرية لغوستاف لوبون وتاريخ المدنية المصرية لغوستاف بيكى الخ .

المسمارى لغتهم الاشورية وينتهى حكم اشور القديمة فى نهاية مملكة بابل القديمة عام 1595 ق . م . وامتد العهد الاشورى الوسيط من 1595 الى 911 ق . م . والعهد الحديث من 911 الى 612 ق . م . (تكونت خلال هذه الفترة انبراطورية سامية ضمت مجموع الشرق الاوسط ومن ضمنه آسيا الصغرى وسواحل ايجة ومصر والخليج العربى وعيلام وقد سقطت نينوى عام 612 ق . م . وقد اهتم الاشوريون بالفنون الجميلة والادب وتركوا فى خزانة الكتب الواح الطين التى انشاها الملك اشور بانيال (669 — 626 ق . م .) الذى اخضع مصر كلها لحكمه ، وقد عثر على نحو 25 الف رقيم حضارى فى الحفائر حفظت فى المتحف البريطانى .

اما الكلدانيون (الاراميون) فيرجع اصلهم التى شواطىء الخليج العربى جنوبى العراق وقد اسسوا رابع انبراطورية سامية دامت 73 سنة بعد سقوط نينوى وسميت سلالة بابل الحادية عشرة وكان لهم ضلع فى تقوية علم الفلك وهم اول من جزا الواحد الصحيح الى ستين وقسموا اليوم الى 24 ساعة والساعة الى ستين دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية ووضعوا اول التقاويم الفلكية العالمية وعنهم اخذ فيثاغورس كما برعوا فى فن التطريز ورسم الصور عليه

واعظم ملوكهم بنو ختنصر (605 — 562 ق . الذى قضى على مملكة يهوذا وسبى اليهود الى بابل وفى هذا العصر بالذات بدا التأثير العربى على بابل وما وراءها (8)

والكنعانيون العرب هم مخترعو الحروف الهجائية الالفبائية وعنهم نقلها الفينيقيون ثم اقتبسها من هؤلاء منذ منتصف القرن التاسع الميلادى الاغريقيون واللاتين وكتابات اللهجة الكنعانية القديمة هى حلقة الوصل بين الهيروغليفية (المكونة من خمسمائة صورة تكتب من الجهات الاربع) وبين المسمارية والابجدية

السينائية وهذه الابجدية هى التى تفرعت عنها ابجديات منها الفينيقية والقرطاجية والبونية والليبية والارامية والنبطية والعبرية ويندرج الشمال الافريقى فى هذه المجموعة العربية لان اللغة البونية Langue punique هى اللهجة الدارجة الى اليوم فى المغرب العربى وقد عثر على رخامة فى البرازيل تحمل تاريخ 125 ق . م . اشار اليها الدكتور البرازيلى اديلونيتو وضمنها كتابه الانطروبولوجية (9) وهى مكتوبة باللغة البونية التى قورنت مع ترجمتها العربية فلوحظ انها لا تختلف عن لهجة تونس خاصة ودارجة افريقيا الشمالية عامة وعند ما دخل الموسويون ارض كنعان وجدوا قبيلة كنعانية يتزعمها نبى كنعانى يدعى بلعام ينشر فكرة التوحيد ويتمتع بمكانة روحية سامية (10) .

وقد الف مارينوس الصورى Marinus of Tyre كتابا فى الجغرافيا ووضع خارطة للعالم عام 120 للميلاد كانت تستند الى معلومات جغرافية فينيقية ويرى رولنسون (11) انه كان اول كاتب فى الجغرافيا اتخذ الطريقة العلمية الرياضية فى صنع الخرائط المستندة الى خطوط الطول والعرض وعليه ارتكز بطليموس :

وكان القرطاجيون مثل الفينيقيين يتسمون بالكنعانيين (12) .

وآخر من هاجر من الجزيرة العربية الانباط وهم قبائل بدوية انتشرت منذ القرن السادس قبل الميلاد شرقى مملكة الاردن الحالية واقتبسوا من الاراميين ثقافتهم وتاثروا بلغتهم حتى غلبت الارامية عليهم ولهجتهم هى التى تطورت منها لغة القرآن كما ان خطهم هو خط كتبة الوحى وهو القلم النبطى المقتبس من القلم الارامى القديم .

وهكذا يمكن القول بأن الساميين عرب ولغتهم التى هى اللغة الام هى اللغة العربية والنصوص كلها

(8) راجع بحثنا « الفكر الصوفى واصوله » فى العدد الثالث من « اللسان العربى » (1385 هـ 1965 م)

(9) اشار اليها الاخ الاستاذ توفيق المدنى فى مجلة « تقويم المنصور » (العدد الثالث عام 1348 هـ) (راجع بحثنا فى مجلة اللسان العربى عدد 3 — 1384 ص — 1965 م

(10) الاصحاح 22

(11) Rawlinson - Phoenicia p. 404, 548

(12) Univ. Jewish Encyclopedia - vol. II p. 651

مجمعة على هذه الحقيقة ، اما العبرية فهى لهجة سامية متأخرة .

وقد تأكد من جهة اخرى ان اليهود هم بقايا يهوذا الذين نقلهم نبوختنصر الى بابل قبل الميلاد بستة قرون وقد تكلم الموسويون فى الاصل الهيروغليفية التى دونت بها شريعة موسى ووصاياه العشر لانها كانت لغة بلاط فرعون حيث تربى موسى ولم يعثر لحد الآن على اى اثر لهذه الشريعة الموسوية الاصيلة لان التوراة المتداولة اليوم ليست سوى ترجمة عبرية مشوهة مقتبسة من الارامية يرجع تاريخ هذه التوراة اليهودية التى لا علاقة لها بتوراة موسى الى عهد الاسر البابلى بعد ظهور موسى بثمانمائة سنة على ان يونس ارسل الى مائة الف او يزيدون من اهل نينوى فى القرن التاسع قبل الميلاد فكان ذلك انطلاقة اولى للموسوية فى ارض الاشوريين .

ويرى العالم اليهودى سيلفر (13) فى كتابه « موسى والتوراة الاصلية» ان التوراة الحالية لا تمثل توراة موسى وحتى الوصايا العشر التى يكاد يجمع العلماء انها الشىء الوحيد المتبقى من التوراة الاصلية لم يكن بكمالها وعلى هيئتها الحالية كالتى اتى بها موسى

وظاهرة التشويه فى هذه التوراة المزيفة اشتمالها على شرائع وتقاليد وطقوس دينية مقتبسة من الشرائع الكنعانية والبابلية وخاصة شريعة حمورابى كما ابرز ذلك البروفسور ووتر مستنادا الى تحقيقات اركيولوجية على ان مزامير داود نفسها مشوهة وكذلك كل ما ورد فى العهد القديم لغلبة الطابع الكنعانى العربى عليه حتى من حيث اللغة اذ لم تترجم الى العبرية مدرجة فى التوراة الا فى عصور لاحقة فاللغة العبرية لم تكن اذن من اصول اللهجات السامية بل ليست هى نفسها سوى اقتباس من الارامية حفظت لنا كثيرا من مظاهر الحضارة الكنعانية العربية .

وقد اكد الكاتب الفرنسى جان لوى برنار J. L. Bernard ان الاحبار عبرنوا كل ما اقتبسوه من تواريخ الاقطار التى جاسوا خلالها ومنها سليمان الذى لم يكن يهوديا وانما كان اشوريا وهو شلما نصر ولو كان سليمان يهوديا لاستحالت — كما يؤكد برنار — الصداقة مع ملكة سبأ العربية بل اكد بروكلمن ان هؤلاء اليهود قد تعمدوا اقصاء الكنعانيين من جدول انساب سام اي من السلالة السامية .

ويرى بعضهم ان اسم يهوة اله اليهود نفسه هو اسم احد آلهة البدو الشماليين فى جزيرة العرب وكان الكاهن الكنعانى ملك اورشليم يدين بالتوحيد كما كانت لغة داود وسليمان هى الكنعانية العربية التى اقتبسها الموسويون من بنى كنعان بعد دخولهم ارض فلسطين فكانت هذه المعطيات الكنعانية لغة وحضارة هى قوام التراث العربى وفى ضمنه التوراة الجديدة وقد سمى النبى اشعيا فى القرن الثامن قبل الميلاد اللغة كلها وفى ضمنها العبرية شفة كنعان اى لسان كنعان كما يقول مندنهول استاذ جامعة ميسيسفان الامريكية بنقل الدكتور سوسة على ان كلمة « عبرى » نفسها ومثلها « عبيرو » او « خبيرو » قد وردت فى الكتابات القديمة وكان يراد بالعبريين القبائل البدوية العربية وبذلك يوجه وصف ابراهيم الخليل فى التوراة بالعبرانى ويؤكد هذه الحقيقة ما ورد فى دائرة المعارف البريطانية (14) من ان استعمال كلمة عبرى بمعنى يهودى يرجع الى الحاخامين بفلسطين فى عهد متاخر على انه تم العثور على كتابة من عهد رعمسيس الثانى وهو فرعون الذى وقع الخروج Exode فى عهده سميت فيها بقايا الهكسوس بـ « العبريو » والمقصود هنا القبائل العربية البدوية وهى التسمية التى عرف بها الهكسوس عند المصريين واسرائيل نفسها كلمة كنعانية عربية اطلقت على موضع فى فلسطين واشارت اليها فى هذا السياق كتابات مصرية قبل بعثة سيدنا ارض فلسطين الكنعانية العربية هى مهجر لحفدة يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم اغتربوا اليها نازحين من حاران او حران الحالية .

وكثير من التعابير والاسماء التى يظن انها عبرية الاصل هى فى الحقيقة عربية نذكر منها على سبيل

---

(13) A. H. Silver «Moses and the original Torath N.V, 1961
وقد اشار الدكتور احمد سوسة ايضا الى مرجع آخر هو « الاسس التاريخية للعقيدة اليهودية » 1969 ص 8 .

(14) طبعة 1965 ج 11 ص 279

المثال فقط تسمية اورشليم (اى القدس) التى وردت فى الكتابات الكنعانية اى رسائل العمارنـــة فى القــرن الخامس عشر قبل الميلاد (اى قبل عصر موسى بنحو مائتى سنة) وقبل ظهور العبرية ومدوناتها ومنها توراة اليهود (لا توراة موسى) بأزيد من الف عـــام وقــد ورد ذكرها عبر الشعر الجاهلى فى شكل اوريشلم كما اعترفت التوراة نفسها فى نص صريح بعدم وجود اية صلة بين اليهود وهذه المدينة (15)

و « موسى » اسم مصرى قديم لا صلة له بالعبرية ولا بالعبريين وقد ورد ذلك احد فراعنة مصر باسم « آح — موسى » وهو مؤسس السلالة الثانية عشرة (1580 — 1546 ق . م) كما ان الكاهن الاعلى لمدينة ممفيس عاصمة مصر المشهورة فى عهــد تحــوطمس الثالث (1479 — 1447 ق . م) كان يدعى « بتــاج موسى » (16)

وننشر فيما يلى بعض النصوص التى تشهد بعروبة الساميـــن :

فقد اكد سبرنجر Sprenger ان جميع الساميين عـــرب (17) :

وقال الاستاذ اولمستيد فى كتابه « تاريخ فلسطين» (ص 36) : « ان البدو العرب كانوا اول مـــن تكلم باللغة السامية واذا اردنا ان نتفهم الخصائص الاصلية لهذه المجموعة من اللغات السامية على حقيقتها فعلينا ان نتجه الى العربى ابن البادية السورية الذى يجوب شمال جزيرة العرب لان هؤلاء وحدهم حافظوا على العادات والتقاليد القديمة دون ان يطــرأ عليهـــا اى تغيير » وقد ايده المستشرق عبد الله فلبى فى كتابـــة «تاريخ العرب قبيل الاسلام» حيث قال : « ان اللغة العربية التى يعترف الخبراء فى كونها اقرب من جميع اللغات السامية الى اللغة الام الاصلية التى اشتقت منها جميع هذه اللغات هى على اغلب الاحتمالات اقدم لغة فى العالم ما زالت حية حتى يومنا هذا » .

وقد لاحظ الدكتور جواد على فى كتابه « المفصل فى تاريــخ العــرب قبــل الاســـلام » (ج 1 ص 255) ان جماعة من المستشرقين ترى ان اللغـــة العربيـــة على حداثة عهدها بالنسبة إلى اللغات السامية الاخرى هى انسب اللغات السامية الباقية للدراسة لانها لغة لم تختلط كثيرا باللغات الاخرى فبقيت فى مواطنها المعزولة اصفى من غيرها محافظة على خواص السامية القديمة

وقال فيلبى فى كتابه « تاريخ العرب قبيل الاسلام » (الاسكندرية 1947 ص 9) : « اننى اعتبر بلاد العرب الجنوبية (ومن ضمنها اليمن) هى الوطن الاصلي لهذا الجنس من البشر المعروف الآن باسم الساميين وهو يمتاز عن سائر الشعوب بلغته المعروفة باسم اللغة العربية » ثم لاحظ انهم هاجروا بسبب الجفاف الذى ظهرت بوادره بعد العصر الباليوليثـــى وهـــو العصر الحجرى القديم الذى بدأ قبل 35 الف سنـــة نحـــو الشمال الى اطراف الهلال الخصيب .

وايد الاستاذ فيلبى خبير انثروبولوجـــى آخـــر هو الدكتور هنرى فيلد ملاحظا « ان اليمن وعدن كانتـــا مأهولين بالسكان فى العصر النيولوثى (وهـــو العصر الحجرى الحديث المحدد بين 7000 و 5000 ق م) . هاجـــر منهم الى عمـــان والخليج وآخر الى الصومال وكينيا وتنجانيقا وفريق ثـــالث الى نجـــران وسينـــاء وفلسطـــين .

وقد لاحظ الرحالة الالمانى شوينفـــرت ان القمـــح والشعير والجاموس والمعز والضأن والماشية وجدت فى حالتها لابدة فى اليمن وبلاد العرب القديمة قبل ان تستأنس فى مصر والعراق (18) .

---

(15) الدكتور احمد سوسة (مقدمة كتابه المذكور)

(16) ادولف ارمان « ديانة مصر القديمة » الترجمة العربية ص 29 — 314 (نقلا عن كتـــاب العـــرب واليهـــود فى التـــاريـــخ) « المقدمة »

(17) الدكتور على حسنى الخربوطـــى «العـــرب والحضارة » ص 13 .

(18) العقاد — « اثر العرب فى الحضارة الاوربية » القاهرة 1960 ص 11 .

دخيل أم أثيل ؟

الأستاذ عبد الحق فاضل

- 5 -

ساعور :

« من اسماء السيد المسيح فى الطقس المارونى ، من يزور القرى ويطلع على احوالها من قبل الاسقف» ار (= ارمى) : (سوعورو ــ So'oûro) : زائر .

الذى يبدو أن اثل المادة اللغوية لكلمة (الساعور) هو (زائر) كما يشهد المعنى الارمى . والواضح أن اطلاق الكلمة بهذا المعنى الدينى ، او بالاحرى بهذين المعنيين الدينيين فى النصرانية قد كان من فعل الارمية ، لكننا نلاحظ ان « القاموس » يعرف الساعور بأنه : النار ، والتنور ، ومقدم النصارى فى معرفة الطب » مما يدل على اختلاف العرب فى فهم معناها ، ولئن كان القاموس مخطئا وهو ما هو فجهله بالكلمة ادل على انها قاصرة على الاستعمال الكنيسى وانها لم تدخل العربية او لم تكد تدخلها ، ولا سيما ان المعجم المسيحى (المنجد) لا يعطى اى معنى دينى للكلمة بل يكتفى فى تعريف (الساعور) بالقول انه : النار والتنور ، على الرغم من اهتمام هذا المعجم بالمفردات والتعابير النصرانية .

واية كانت الحال فان اثلها بتلك المعانى الدينية المختلفة هو (الزائر) الذى ينطبق فى الارمية **(سوعورو)** كالذى تقدم .

اما (الساعور) بمعنى النار والتنور فمن مادة « سعر » التى منها (السعير) .

السعفة :

« جريدة النخلة ، اى غصنها المجرد عن الورق » . ار : (سرعفتو ــ Sar'efto) غصن .

اثل الكلمة (**عصف**) الريح اى شدة هبوبها ، ومنها (العصوف) — كالعجوز — و « العصيفة » : الريح الشديدة . ومنها كذلك (العاصفة) . ومن ثم انتقل معنى (العصيفة) الى ما عصفت به الريح ، ثم الى الورق الذى ينفتح عن الثمر ، والورق المجتمع الذى يكون فيه السنبل ، كالتبن ، وعصف التبن : حطامه. ويقلب الكلمة ظهر (**العفص**) : الحب المعروف المستعمل فى الدباغة ، جاء اسمه من سقوطه عن شجرته حين تعصف الريح بها .

ويقلب وابدال وتغيير حركة ظهر (**السعف**) — زنة الخزف — الذى اطلق على جريد النخل ، اى اغصان النخل التى انجرد ورقها ، وعلى خوصها اى ورقها المنجرد ، والظاهر ان الكلمة اطلقت اولا على الغصن كله وهو على النخلة من معنى (عصف) الريح به وتحريكه ، بدليل ان الكلمة ما زالت تعنى ذلك فى العراق ومنه قولهم « يرجف مثل السعفة » لدوام اهتزاز السعف فى ادنى هبة ريح . اما السعفة المجرود ورقها فيسمونها الجريدة وجمعها الجريد .

على ان مادة (**سرعف**) الارمية قد ظهرت فى العربية اولا ، ومنها (السرع) و (والسرف) ، ولنأخذ (السرع — بالفتح او الكسر — لانه ما زال فيه معنى الغصن ، فهو تضيب الكرم ، او كل قضيب رطب ، ثم (سرفت) — كنصرت — (السرفة) الشجرة : اكلت ورقها ، اى جعلتها مجرودة كجريدة النخل . و (السرفة) — بالضم — دويبة تعيش على ورق الشجر كما هو واضح . ثم نأتى الى السرعوف — كالعصفور — وهو من اسماء الجرادة لانها تجرد اعواد النبات كذلك ، ثم اطلقت الكلمة استعارة على « دابة تاكل الثياب » . ومن الاكل انتقل المعنى الى الغذاء فقالوا سرعفت الصبى : احسنت غذاءه ، فتسرعف !

هذه التشعبات تدل على ان مهد الكلمة هو العربية، ومنها انتقلت بالوراثة الى بنتها الارمية .

السعوة :

الشمعة ، ار : (شعوتو — (Ch'oûto مادة الشمع .

ساب وساج (= جاء وذهب) وساح وسار (ومنها : سرى) وسال وسام وساع (ومنها : سعى). كلها من اسرة لغوية واحدة . وتهمنا منها (**ساع**) فقد قالوا ساعت الابل : سرحت وتخلت بلا راع ، ومن ثم ساع الشىء : ضاع وزال . ومن اخواتها : ضاع وشاع وذاع . ومن معنى الضياع والزوال صار السوع والسواع يعنيان : الطائفة من الليل . وكذلك السعو (زنة الصحو) والسعو (كالصنو) والسعوة (كالندوة) والسعوة (كالنسوة) والسعواء (كالانشاء) والشعواء (كالقربان) كلها تعنى الساعة من الليل . ومنها (السعوة) ايضا تعنى الساعة من الليل ومن ثم الشمعة كذلك لانها توقد فى ساعات الليل ولم يكتفوا بتوليد معنى الشمعة من هذه المادة بل ولدوا معنى السهر ايضا حين استعملوا (السعاوى) — زنة الفلانى — بمعنى الصبور على السهر . ومن ثم ظهرت فى الارمية حيث دخلت طورا آخر فصارت تعنى مادة الشمع ، لا الشمعة التى يستضاء بها فى ساعات الليل عند السهر . كلمة حضارية اخرى .

السفوف (زنة الصبور) :

(دواء يؤخذ غير ملتوت اى غير مبلول بالماء) . ار : (سوفوف — (Soûfoûf .

هذه الكلمة من المفارقات التطورية ، فاصل المعنى مائى ، ذلك ان اثل الكلمة هو **اشتف** ما فى الاناء واستشفه : شرب كل ما فيه . والمعنى ناشىء من صوت الارتشاف ، ثم ظهر منه الاشتفاف والشفة والشفر .

ثم هم نطقوا الكلمة بالسين فقالوا **سف** الرجل الماء اكثر من شربه ولم يرو . ومن عدم الارتواء انعكس المعنى فصار يدل على الجفاف حيث قالوا **اسف** (بتشديد الفاء) الرجل البعير : علفه اليبيس ! ومعنى هذا العلف اليبيس انتقل الى ما يتناوله الانسان من انواع الدقيق منذ قالوا **سففت** الدواء او السويق او نحوهما : اخذته غير ملتوت . وسمى الشىء المسفوف (**السفوف**) .

السفود (زنة البلوط) :

« حديدة يشوى عليها اللحم » . والاصح ما ذكره القاموس : يشوى (بها) . ار : (شفودو (Chofoûdo

هذه الكلمة العربية تقلبت فى اطـوار شتــى . ولا حاجة بنا الى الرجوع بها الى رسمها الاول بل نكتفى بأن نمسكها فى مرحلة (**التسوية**) . ومنها نشأت صيغ مختلفة ندرج منها لاعطاء فكرة عنها هذا المقدار :

سوى (تسوية) . صفــى « تصفيـــة » . سفــى (سفيا) ، سف ، صف ، سفن ، سفــط ، سمط ، سبط ، سبد ، سفد ...

فالمكان (السوى) — زنة القوى — هو (المستوى) ، ومنه (تسوية) الارض . ومن ثم صارت (**السبسب**): الارض المستوية البعيدة ، على قـول المعجم . ثـم (**الصفصف**) : المستوى من الارض ، ومنها الآيـة : « قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا » . ثم ظهرت — او لعلها ظهرت قبل ذلك — صيغة (**صف**) الطائر : بسط جناحيه فى طيرانه فلا يحركهما . ثم (صف) المرء الشيء : نظمه طولا مستويا ، وصففت القوم : اقمتهم صفوفا فى الحرب او الصلاة او نحو ذلك .. و (**صففت) اللحم** : شرحته طولا ، و (الصفيف) : مـا صف فى الشمس ليجف او على النار ليشوى . ثم قيـل **سفـد** اللحم تسفيدا : نظمه فى (**السفود**) للاشتواء . اى ان (السفود) سمى بذلك من معنى تسفيد اللحم فيه. وقد ظهرت صيغ كثيرة اخرى اختلفت معانيها ، نذكـر اشبهها بالسفود وارقاهـا وهـو سمط اللؤلـؤ . و (السمط) — بالكسر : الخيط ما دام الخرز او اللؤلؤ منتظما فيه .

السفـر (زنـة الفكـر) :

الكتاب الكبير . الجزء الكامل من التـوراة . ار : (سفــرو — Sefro) : كتاب .

قبل الكلام عليها ندرج هذه الاخوات من الكلمات :

ربع ، ربث ، ربد ، ربز ، ربس ، ربض ، ربط .. الخ واصل معناها الاقامة بالمكان . ومن ثم ظهر فى بعضها معنى القيد مثل ربط وربد وربق وربك .

ومن القيد ظهر معنى الحبس والمنـع ثم النهـى كقولهم ربثه وربده : منعه وحبسه . ويبقى من معنـى المنع فى (ربس) قولهم اربسه ارباسا : راغمه . وكل من (ربس) وبنتها « **زبر** » تعنى الشدة والضخامـة والضرب ، بسبب تطور المعنى . لكن (زبـر) تحتفظ بمعنى المنع ومنه معنى العقل ، كشـأن (النهيـة) — بالضم — التى نشأت من النهى باعتبار العقل ينهى عن الخطأ وسوء التصرف ، وشبيه بهذا معنى الوازع والرادع . فمن هذا قالوا ان (**الزبر**) — زنة الصبر — هو العقل الذى (يزبر) وينهى . ثم صار الزبر يعنى الكتاب تطورا ، ثم الكلام كذلك . ثم نشأ (الزبـر) — زنة البئر — بمعنى الكتاب ، ومن ثم قيل (زبرت) الكتاب : كتبته ، و (التزبرة) : الخط والكتابة . ثـم صيغ (**الزبور**) بمعنى ذلك الزبر اى الكتاب ، واستعير لمزامير داود فغلب استعماله عليها . وقد كان (الزبور) اول الامر فيما نظن مـرادفا (**للزبير**) — كالصغير : الشيء المكتوب . ومعلوم ان صيغتى المفعول والفعيل جاءتا فى العربية كلتاهما بمعنى المفعول (كما جاءتـا بمعنـى الفـاعـل) .

ومن (الزبر) نشأ « **السفـر** » — وكلاهما بالكسر — بمعنى الكتاب الكبير . ومنه بالارميـة (**سفرو**) . والظاهر ان دور الارمية هنا هو اطلاقه علاوة على ذلك على الجزء الكامل من التوراة .

ويبدو كذلك ان الزبر هـو اصل الفسر والتفسير والسبورة التى يكتب عليها ويمحى .

السـافـر :

الكتاب . ار : (سوفرو — Sofro)

بعد كل هذا العناء الذى اثبت لنا ان كلمة (السفر) عربية النجار ، واضح ان (**السافر**) ما هو الا صيغة الفاعل التى اثلها الزابر اى الكاتب ايضا .

السفسيـر :

السمسـار . ار : (سفسـيرو — Safsiro)

مـن (سفسـر — Safsar) : ساوم .

السفيـر والسفسار اثلهمـا **السفير** ، وهذا مـن **السفـر** . فقد كانوا ينتدبون شخصا يطلبون اليه ان يسفر اى يسافر ليقنع خصوما لهم فى حل مشكلـة ، ومن هنا قيل سفر فلان بين القوم : اصلح — وسمى الشخص المنتدب **السفير** بمعنى الرسول المصلـح بين

طائفتين من القوم . ومن الطبيعي ان يختاروا لمثل هذه المهمات والملمات سفيرهم من ذوى الكياسة والحذاقة. ومن السفير صيغ (**السفسير**) الذى يقول المجد الفيروز ابادى انه : القيم بالامر المصلح له ، والرجل الظريف، والعبترى الحاذق بصناعته ، الخ ... بالاضافة الى الخادم والتابع والسمسار الذى يسفر بين البائع والمشترى ، اى يتوسط .

ومن السفسير اشتقت صيغة السفسار (بمعنى الجهبذ على رأى صاحب القاموس) .

واذا غفرنا لمجد الدين عدم تفطنه الى ان السفسير والسفسار متطورتان من السفير ومن ثم توهمه كغيره من اللغويين انهما دخيلتان ، فليس من السهل ان نعذره اذ لم ينتبه الى انهما كلمة واحدة فقال عن السفسير انها من الفارسية وعند ما جاء دور الكلام عن السفسار قال انها رومية ! .. مع انه يدرجهما كلتيهما تحت مادة لغوية واحده .

وقد ظن آخرون ان اللفظتين من الارمية ومنهم اللغوى الفاضل مؤلف الكتاب الذى نناقشه : « غرائب اللغة العربية » . ويلاحظ ان معنى السفارة بين البائع والمشترى اى السفسرة والسمسرة : قد نشأ منه فى الارمية فعل (سفسر) بمعنى المساومة . اى ان اسم (**سفسيرو**) لم ينشأ من فعل « **سفسر** » كالذى يذهبون اليه ، بل العكس الصحيح .

السفط (زنة الشفق) :

وعاء كالقفة . ار : (سفوطو — Sfoto)

راينا كيف نشأ (**الصف**) ثم « **الصفود** » من معنى صف اللحم فيه و (**السمط**) من معنى نظم الخرز واللؤلؤ . وقد نشأ (**الساف**) — زنة الساق — بمعنى الصف من اللبن او الطين فى بناء الجدار . ومن ثم نشأت (**السفة**) — زنة السرة : ما ينسج من الخوص ، وحزام الرجل ، والهودج . نظنهم قالوا ذلك ذلك لان الخوص ينسج سافات كالحزام تدور حول نفسها مثل التوتمة لتكون وعاء كالجوالق او القفة . وكما نشأ (سفد) من « سف » ، نشأ منها « **سفط** ». ومن هنا جاءت تسمية (**السفط**) : الوعاء الذى ما يزال موجودا فى العراق يوضع فيه التمر ويسمى (الحلانة) او « الحصانة » — كلتاهما بالتشديد . وقديما اطلقوا السفط كذلك على وعاء يعبأ فيه الطيب وما اشبهه من ادوات النساء .

اما فى الموصل فان (**السبت**) — بفتحتين — يطلق على وعاء صغير بيضى الشكل مصنوع من اعواد السنابل وله غطاء من جنسه ، توضع فيه بعض اللوازم كادوات الخياطة من مئبر وخيوط وازرار وما اليها من صغار ادوات النساء .

وتظهر الكلمة فى الفارسية بصورة (**سبد**) — بفتحتين : سلة . وبينما يذهب بعض اللغويين الى ان (السفط) العربى اثله « **سفوطو** » الارمى يتوهم آخرون انه من (سبد) الفارسى .. على حين ان كلتا اللفظتين منحدرة من (السفط) العربى على زعم التاثيل اللغوى .

سفلة الناس :

ار : (شفل — Chfel) : سافل ، حقير .

اثل الكلمة (**السف**) . قالوا سف او اسف (كلاهما بالتشديد) الطائر او السحاب : مر على وجه الارض. ومن هذا نشأ قولهم **سففت** الريح (زنة ذهبت) : هبت على وجه الارض . ومن الاسفاف قالوا **اسف** الرجل : تتبع الامور الدنيئة . ثم نجمت صيغة (**سفل**) وتنطق بمختلف الحركات بكلا المعنيين الآنفين ، المادى والمعنوى ، فقيل سفل الشىء سفولا وسفالا : نقيض علا علوا ، وسفل الرجل : كان نذلا فهو (**سافل**) و (**سفيل**) . وجمع السافل : **سافلون** ، **وسفلة** (زنة قتلة) ، **وسفل** « بضم فشدة مفتوحة » ، **وسفال** (زنة عذال) ، **وسفلان** « زنة ركبان » .

اما **سفلة** القوم (بكسر ففتح) **وسفلتهم** (بكسر فسكون) : غوغاؤهم وسقاطهم . ولا نعرف لماذا اختاروا هذه الصيغة الاخيرة من كل الصيغ فى المعجم العربى مما ذكرنا آنفا ، وما لم نذكر ، ليقولوا انها مقتبسة من الارمية (**شفل**) مع ان هذه تعنى الفرد والكلمة العربية تعنى الجماعة ، وكان اجدر بهم ان ينتقوا صيغة (السفيل) لمطابقتها لفظا ومعنى . والذى

يبدو لنا ان الصيغة الارمية من صيغة (السفيل) هذه بالـــذات .

السفينـــة :

ار : (سفيتو ــ Sfito) من (سفن ــ Sfan) بنــى بالـــواح .

نحسب ان هاتين الصيغتين الارميتين ليستا كلمـــة واحدة بل كلمتين لكل منهما اثله في العربيـــة . اى ان (سفيتو) ليست من «سفن» بل من « السفط » ، كما ان « سفن » من « السفينة » .

والسفط الذى قلنا انه ينطق بالدارجـــة الموصليـــة (سبت) وانه وعاء بيضى الشكل يذكرنا بشكل السفينة فقاعدته مثل قاعدتها اى ضيقة طويلة ، ولا يستبعد ان يكون العرب قد سموا السفينة (سفطا) او « سبتا » (سفتا) او شيئا من هذا القبيل تشبيها لها بالسبت الزورقى الشكل . وبعض الدارجات العربية كالسورية تسمـــى السفينـــة (ماعـــون) اى انـــاء ، مثـــلا . ويشجعنا على مثـــل هـــذا الاستنتـــاج ان السفط فى المعجم : وعاء كالقفة ــ زنة القوة ــ او الجوالق ، وان القفة : وعاء من الخوص كالزنبيل ونحوه ، وان الدارجة العراقية تطلق (القفة) ايضا على نوع من القوارب مستدير منسوج من الخوص ومطلى بالقار .

اما السفينة فأثل لفظها هو (**السف**) من قولهم سف الطائر : دنا من الارض فى طيرانه ، ثم (**المسفسفـــة**) : الريح التى تثير ما دق من التراب وتجرى فويق الارض. دليلنا على ذلك قولهم **سفنت** الريح : هبت على وجـــه الارض . ثم قيل سفنت الشىء : قشرته ، استعارة من تلك الريح التى تقشر ما دق من التراب عن وجه الارض. ويرى الفيروز ابادى ان (**السفينة**) سميت بذلك لقشرها وجه المـــاء ، لكننـــا نرجح انهـــا انمـــا سميت بـــذا تشبيها لها بالريح الهابة على وجه الارض التى تسمى (السافنة) و « السفون » كذلك . ومثل هذا تسميتهم السفينة (جارية) ايضا لانها تجرى على سطح الماء . ويبـــدو لنـــا ان (**السفـــين**) كانت مرادفـــة لهـــذه (**السفون**) كترادف فطين وفطـــون ، ثـــم فلسطـــين وفلسطـــون .

ولما كانت السفينة تبنى بالواح من الخشب ظهرت فى الارمية صيغة (سفن ــ Sfan) بمعنى : بنى بالواح .

ولنتطرق بالمناسبة الى هذا (**السفين**) الذى صار المحدثون يسمونه (**الاسفين**) والذى يظنه اللغويـــون دخيلا ايضا . فقولهم سفنت الشىء (بالتشديد) يعنى قشرته ، ثم صار يعنى كذلك : نحته ولينته ، ومـــن ثم صار « المسفن » و (السفن) ــ زنة الوثن : ما ينحت به ، اى المنحت والازميل . ثم صار (السفين) حديدة او خشبة ــ على شكل راس الازميـــل او نحـــوه ــ تستعمل لفلق الحطب او غيره . ولا ندرى لماذا يظـــن اللغويون ان هذا (السفين) وتلك « السفينة » من دون جميع الصيغ الاخرى من مادة (س ف ن) دخيلان ، وقد ذكر الاب نخلة (السفين) ضمـــن المقتبســـات مـــن الاغريقية (Sfin) لكن هذا التاثيل الطويل يـــدل على العكس .

سقـــر (بفتحتين) :

(ممنوعة من الصرف) : جهنم . ار : (شكورو ــ Chgoro) احـــراق ، مـــن ا شكـــر Chgar) : احرق بالنـــار .

شعت الشمس (بتشديد العين) : نشرت اشعتها، **وشعشعت** : انتشر ضوؤها . ومن هذا نجـــم قولهـــم **شيعت** الشىء بالنار : احرقته ، ثـــم **شعلـــت** النـــار واشعلتها : الهبتها . ومن ثم **سعرت** النار (بالتخفيف او التشديد) :اشعلتها ، و ((**السعير**)) : لهيب النار ، وهو ايضا من اسماء جهنم . ثم قيل **سجرت** التنـــور : ملأته وقودا واحميته . ثم **سقرته** الشمس : لوحتـــه ، والسقرة (زنة الصخـــرة) : شده وقـــع الشمس . والساقور : الحر ، وحديدة تحمى وتكون بها البهيمة .

وواضح ان (السقر) من نفس مـــادة : السعـــر والسجر والشعل .. فلا غرابة ان تعنى (**سقـــر**) ــ بفتحتين ــ نفس ما تعنيه (السعير) اى جهنم .

اما الصيغتان الارميتان الآنفتان فأثلهمـــا العربـــى المباشر فيما يظهر (سجر) .

الســـاقيـــة :

نهر صغير . ار : (شوقيتو ــ Choqito) : نهـــر صغير جدا ، ترعة لرى الارض .

(**السقى**) فى العربية يعنى اعطاء الماء للشرب . وسقيت الارض : رويتها . لها مشتقات كثيرة كالسقاية والسقيا والسقى (زنة الشقى) والاستسقاء والسقاء (كالنجار) والمسقاة .. الخ ، ومن جملة هذه المشتقات (**الساقية**) بمعنى النهر الصغير ، وتعنى فى العراق الجدول الصغير فى الحديقة او المزرعة يساق فيه الماء للرى ، وهى صيغة اسم فاعل ومن امثلتها : الدالية والجارية (السفينة والطفلة لانهما تجريان) . وهى فى العربية قياسية جدا واشتقاقها طبيعى لانها تسقى الزرع فعلا . ولا ندرى لماذا يظنونها من دون الصيغ الاخرى مقتبسة من الارمية ، الا على اعتقادهم بأن المصطلحات الزراعية دخيلة فى العربية ، كالذى تقدم التحدث عنه وتفنيده فى عدد من الالفاظ الحضارية من صناعية وزراعية وطبية ثبت لنا على نحو قاطع لا يتسرب اليه شك انها اثيلة فى العربية وان الارمية لا بد من ثم ان تكون هى التى اقتبستها .

السك :

المسمار . ار : (سيكو — Seko) : وتد . (سكك — Sakek : سمر (بالتشديد) .

السك فى العربية اثله **الشق** ، ومن هنا سميت حديدة المحراث (**سكة**) لانها الجزء الذى يشق الارض من مجموعة جسم المحراث وتطلق السكة بالدارجة الموصلية كذلك على وتد من حديد يدمق فى الارض وله فى راسه حلقة يربط بها رسن الدابة ، ومن هنا تطور المعنى فاطلق (السك) على المسمار . وله فى العربية مرادف من لفظه ومعناه وهو (**السكى**) — بفتحة فكسرة مشددة . اما (**سيكو**) الارمية فتعنى الوتد كالسكة فى الموصلية وقد جاءها معنى المسمار من (السك) الذى صيغ منه فى الارمية فعل (**سكك**) بمعنى التسمير

ومما يؤيد عروبة الكلمة وتاثلها من (الشق) هو ان (Seco) باللاتينية : يقطع ، و (Sica) سكين او خنجر ، وواضح ان هذه الصيغة من (السكة) التى تشق الارض .

سكة المحراث :

وكذلك : سكة النقد وهى حديدة منقوشة تضرب عليها الدراهم . ار : (سكتو — Sekto)

سكة المحراث تحدثنا عنها كافيا ضمن تأثيل (السك : المسمار) توا . اما سكة النقد فيبدو لنا انها من اثل آخر وهو (**الصك**) . فقد قالوا صك الرّجل : ضربه شديدا او لطمه ، واصطكت ركبتاه : اضطربتا فضربت احداهما الاخرى . ونظن ان سك النقد قد تأتى من معنى الضرب .

لهذا كانوا يكتبون على الدرهم والدينار « ضرب فى بغداد » مثلا بمعنى (سك) — بضم السين واستمر ذلك فى العهد العثمانى حيث ظلوا يطبعون بالعربية على النقود « ضرب فى القسطنطينية » .

السكر (زنة السهر) :

الخمرة كل ما يسكر . ار : (شكرو — Chakrro) كل مسكر غير الخمر .

اثل الكلمة من (**السك**) بمعنى السد والاغلاق . فذلك حيث قالوا سك الباب او سكره (بفتحتين) : سده . ومجازا قيل سكر البصر : حبس عن النظر وتحير . وسكره (بالتشديد) : حبسه .. ومن ذلك الآية « سكرت ابصارنا : حبست نص القاموس . ولما كانت غطيت وغشيت » حسب نص القاموس . ولما كانت الخمر تصنع بالبصره — العقل — مثل هذا الصنيع بالبصر ، صار (**السكر**) — وينطق على اربعة اوجه — و (السكران) — زنة الخفقان — تعنيان ما تحدثه الخمر فى شاربها من ذهول العقل وما يصيبه من حيرة وغشيان . ثم اطلقت كلمة (السكر) — بفتحتين — على الخمر وكل ما يسكر ، كما اطلقت على الخل استعارة ، وعلى الغضب والغيظ لانهما يذهبان بالصواب ، وعلى الامتلاء والطعام ربما لان الاكثار منه يسبب كلال الذهن او تغطيته !

فبعد ان عرفنا كيف نبتت الكلمة وتطور معناها من الاغلاق الى ذهوب العقل لا داعى الى الظن بأنها مستعارة من لغة اخرى .

السكر (زنة الفكر) :

ما سد به النهر . ار : (سكورو — Skoro)

هذه الكلمة من معنى السد والاغلاق ايضا ، فقد قالوا سكرت النهر : جعلت له سدا ، مثل قولهم سكرت

الباب : سددته . وتدليلا على اثالة الكلمة نعيد القول انها من (**السك**) وهذه من ((**الصك**)) وكلها تعني السد ، وكانت فيما نرى تعني صفق الباب اى سده بشدة تحدث صوتا ، و (الصك) من ((**الصبح**)) اى صوت وقع الحديد على الحديد .

سكر الباب :

اغلقه . أر : (سكر — Skar) : اغلق

فعل (سكر) يجوز هنا نطقه بالتخفيف والتشديد. وكفانا تحدثنا عن الصك والسك والسكر ومنه التسكير

وهذه مادة لغوية واحدة (سكر) استخرجوا منها اربع صيغ اعتبروها دخيلة فى العربية .

تمسكن :

صار مسكينا. أر : (اتمسكن — Etmasken)

لماذا ياترى لم يلاحظوا ان فعل (تمسكن) فى العربية اقرب الى الصيغة الارمية من (تسكن) — بتشديد الكاف — فذكروا البعيد واهملوا القريب ؟ مهما يكن فان المعنى جاء من **السكون** والهدوء فعلا . واقتران معنى السكون بمعنى الفقر يتضح طريقتنا من لهجتين عراقيتين . فبالموصلية يقولون ان الولد (مسكين) بمعنى هادىء مسالم ، وكذلك يطلقون الكلمة على القط الهادىء وكل حيوان مسالم ، واما بالدارجة البغدادية فيستعملون كلمة (فقير) بنفس هذا المعنى وبمعنى المعوز ايضا ، فالكلمة عندهم مشتركة المعنى. على ان المعجم قد كفانا مؤونة الاستقراء والاستنباط فأوضح لنا كيف انتقل معنى السكون الى المسكنة والفقر حيث قال اسكن الفقر فلانا : قلل من حركته ! وقد فطن المعجميون الى اثل نشوء الكلمة فادرجوا التمسكن والمسكنة والمسكين فى مادة (سكن) .

وان كان القائلون باقتباس الكلمة من الارمية قد اختاروا من العربية صيغة واحدة تعنى (صار مسكينا) فقد ورد فيها بهذا المعنى خمس صيغ هى : سكن (بفتح الكاف) سكونا ، وسكن ((بضمه)) سكونة ، وتسكن (بالتشديد) تسكنا ، وتمسكن تمسكنا ، واسكن اسكانا .

ومما يدل على سوء حال المعلم منذ الازل انهم كانوا يسمونه بالبابلية : **مسكينو !**

استكان :

خضع ، ذل . أر : (سكن — Saken) : افتقر .

الواقع ان كلا الفعلين (**استكان** استكانة) و (**استكن** استكنانا) يعنى الذل والخضوع . واستعمال (**سكن**) فى الارمية بمعنى الافتقار ناجم من تشابك المعنيين على النحو الذى راينا .

سكان السفينة :

أر : (سوكونو — Sawkono)

الذى يبدو لنا ان الاثل هو (**السكين**) — بتشديد كسرة الكاف — اى المدية ، وهذه من (**السكة**) لان دفة السكان تتصل بالعمود الذى يديرها على نحو اتصال سكة المحراث بعموده .

السكين (زنة السكير) :

أر : (سكينو — Sakîno)

انها كالذى قلنا من (**السك**) الذى اثله (**الشق**) ، وتسمى باللاتينية Sica) كما قلنا مما يدل على ان السكين والسكة كانتا مترادفتين فى العربية ثم اختلف معناهما . وكنا ذكرنا كذلك فى بحث سابق — وفى كتابنا « مغامرات لغوية » — ان (السكين) تسمى بالسكونية (Seaxa) و (Seaxan) ومن هذه الثانية انبثق اسم السكسون — Saxon)

فلا جرم ان تظهر فى الارمية اقرب الى الصورة العربية (**سكينو**) .

السل (زنة التل) :

يحيلنا المؤلف على (النبلة) فيما يلى . فلنرجىء الكلام عنها الى حينئذ .

السلاء (زنة التفاح) :

شوك النخل . أر : (سلوو — Salwo) : شوك

(**الاس**) — بفتح الهمزة او كسرهـا او ضمهـا : الاساس ومبتدأ الشىء . ومنه نشـأ (**الاســل**) — بفتحتين — الذى اطلق على نبات دقيـق الاغصـان طويلها وعلى الرماح . وواحدة الاسل (الاسلة) تعنى كذلك رأس اللسـان على قول المعجـم ، الا انهـا فى الواقع رأس كل شىء حاد من رمح وغيره . ومهما يكن فقد نشأ منها (**الســلاء**) موضوع كلامنا الذى اطلق على الشوك عامة اول الامر ، وقد دخل الارمية بهذا المعنى ، ثم تخصصت بشوك النخـل فى العربيـة ، وواحدته (السلاءة) — كالرمانة — التى تعنى كذلك « اى نصل كشوك النخل » .

السلــة :

ار : (سلتــو — Salto)

السل (كالتــل) **والسلة** « كالحبــة » مترادفتان، شاء المؤلف ان يعتبرهما كلمتين فذكرهما منفصلتين ، بينما هما كلمة واحدة تذكر وتؤنث مثل النجم والنجمـة والضفدع والضفدعة . ومهما يكن فان هاتين الصيغتين يبدو انهما قد نجمتا من (**الاسل**) — زنـة العسل — وهو عيدان تنبت بـلا ورق تنســج منــه الحصر — بضمتين — جمع الحصير . ومعلوم ان السلــة ليست الا حصيرا مقعرا على شكل وعاء .

المسلـة (زنــة المظلــة) :

هى الابرة الضخمة تخاط بها الجوالق ونحوهـا . سميت بهذا لانها (تســل) من النسيج بعد ادخالهـا فيه عند الخياطة ، أو لعل الكلمة مشتقة من (سلاء) النخل آنفا .

سلـخ :

الخروف ونحــوه : نــزع جلــده . ار : (شلــح Chlah نــزع ثــوبــه .

هذه اثلها من قولك **ســل** الشىء واستله : انتزعه برفق . وقد نشأ منها : سلب وسلت وسلح وسلــخ وسلغ وسلف وسلك .. ومنها كذلك شلحــه تشليحا (عراه) ومما يؤيد ان « السلخ » من « الســل » قول المعجم « سلخ الله الليل من النهار : استله » .

السلــخ :

جلد الحية . وينطق بفتح السين او كسره . ار : (شلــوحــو — Chloho)

هو من نفس المادة اللغوية ، بمعنى نزع الثــوب او الجلد . فقد قالوا سلخت المرأة درعها : نزعتــه، **وسلخت** الحية : نزعت سلخها . والاثل (**الســل**) كمــا رأينــا .

السلسلــة :

ار : (شيشلتــو — Chichalto)

نظن التسمية قد تأتت من **الشلشلــة** — **بالفتح** — وهى نزول المــاء قطرات . والماء الشلشــل (زنــة المرمر) والتشلشل : المتتابع القطــر ، والشليــل : مجرى الماء فى الوادى ، او وسطه . ومنهــا انشــل (بتشديد اللام) السيل : ابتدأ فى الاندفاع قبــل ان يشتد . والشلال (بالتشديد ايضا) معروف .

ثم ظهر من ذلك قولهم **تسلسل** الماء : جرى فى حدور (بضمتين) ، ثم صار السلسل والسلسـال والسلاسل (زنة تماضر) : الماء العذب ، ثم **السلسبيــل** : المــاء العذب السهل المستساغ .

ومن تسلسل امواج الماء الجــارى نشــأ اســم (**السلسلة**) فيما نرجح ، تشبيها لحلقاتها بالامواج . ومن امثلة اقتران الموج بالتسلسل قول شوقى :

حلــو التسلســل مــوجــه ، وخريــره
كأنــامــل مــــرت علـــى اوتــــار

ومن بقايا تطورات السلسلــة نجـد فى الدارجـة السورية (**سنسفيل** : الاجداد) : سلسلة نسب الاجداد وتقابلها بالدارجة الموصلية (**سنسلة** النسب) . وفيها ايضا (**السنسول**) : فقرات العجز .

ومن هذه الصيغة الاخيرة او نحوهـا نشـأت فى الدارجة العراقية صيغة (**الزنجيل**) بمعنى السلسلة.

وهى على كل حال تظهر فى الفارسية بصورة **(زنجير)** وهى مستعملة فى بعض الدارجات العربية ايضا مما يجعلنا نتساءل هل هى الاثل ام الفارسية ؟! وينطقها بعض العرب (جنزير) .

السلطة (زنة السلعة) :

سهم طويل دقيق . ار : (شولتو — Cholto) سهم يرمى باليد او بآلة .

يبدو من استقراء افراد اسرة الكلمة — وكثير عديدها — انها من **التزلج والتزلق والتزلم** .. التى تعددت وتباينت معانيها . ونشأت علاقتها بالسهام من مثل قولهم **تزلج** السهم عن القوس : تزلق ، وسهم زلوج : يتزلج عن القوس . ثم **الزُلَم** (كالقلم) : السهم لا ريش عليه ، والمزلم (كالمظفر) والزليم من السهام: الذى اجيدت صنعته .

واذا انتقلنا الى مادة (**سلط**) نجد ان « السلط » — بفتح فكسر : النصل لا نتوء فى وسطه . ولعل هذا منشأ تسميتهم السهم الطويل الدقيق (سلطة) .

السلطان :

السلطة،حاكم دولة . ار : (شولطونو Choltono)

السلطان والسلطة من (**السيطرة**) وهذه من (**السطر**) اى القطع ، فقد قالوا سطرة بالسيف : قطعه ثم سطرت الرجل : صرعته ، ومن ثم صارت المسطار (بضم الميم او فتحه ، وكلاهما يؤنث) : الخمرة الصارعة لشاربها . ومن اخواتها سلقت الرجل: صرعته وبسطته على ظهره . ومن هذا او ما يشبهه قالوا **سيطر** عليهم **وسوطر** وتسيطر بمعنى تسلط . وقد اتفق للفيروز ابادى ان يجمع (السطر والسيطرة والتسلط) فى عبارة واحدة حيث قال (**المسيطر : المتسلط ، كالمسطر**) — بتشديد الطار . ويفهم من هذا ضمنا ان قولك سطرته تسطيرا يعنى سيطرت عليه سيطرة وتسلطت تسلطا ، ولو انه لم يصرح بذلك فى الكلام عن (مطر) . ومن نفس الاسرة (السطو) : الهجوم والقهر .

وسطرك الشىء بمعنى قطعك اياه قد جاء من شطرته فعلى هذا يبدو ان (**شولطونو**) الارمية هى المقتبسة من (**السلطان**) العربية .

سلق المرؤ :

صعد على حائط . ار : (سلق — Sleq)

اما هذا المعنى فقد جاء فيما يخيل لنا من الزلج والزلق . ولا يسعنا تعقيب تطور المعنى فى كلمة واحدة او كلمتين لضياع الكثير من معانى الالفاظ فى اطواء الماضى كما هو معلوم ، وبقاء اشارة منها فى بعضها . ونجد بزوغ معنى الصعود وتكامله فى اسرة الكلمة مجتمعة : زلج ، زلخ ، زلع ، زلغ ، زلق ، سلع ، ثم سلق .

فالزلج (زنة اليسر) : الصخور الملس ، ثم المكان **الزلج** (بالفتح) والزلخ « بفتح فكسر » : املس يتزحلق منه ، والزلخة (بضم ففتح مشددة) : المكان الذى يتزحلق منه الصبيان . ثم **الزلق** (بالفتح) والزلاقة (بتشديد اللام) : موضع الزلق لا تثبت عليه قدم . ثم **زلعت** الشمس : طلعت ، **وزلغ** النجم او الشمس : طلع ، والنار : ارتفعت . **والسلطوع** (كالعصفور) : الجبل الاملس .

فها هنا نرى كيف ينشأ معنى الطلوع والارتفاع تدريجيا من مختلف الالفاظ الناجم بعضها من بعض .

ومن مادة (**الزلف**) نجد المزالف : المراقى . وطبيعى ان المرقاة اى الدرجة انما تستعمل للصعود . ومن معانى الارتفاع كذلك **سلع** : جبل بالمدينة ، وجبل لهذيل ، وسليع (بالتصغير) : جبيل بالمدينة يقال له عثعث ، والسلق (كالطلب) جبل عال بالموصل والسلع (كالصتع) فى الجبل : الشق .

فمن مجموع هذه المعانى يتضح كيف تكون معنى الارتفاع والصعود اى تسلق الحائط ونحوه .

تسلق الحائط :

صعد عليه . ار : (اتسلق — Etsalaq) صعد .

هذه نفس الكلمة السابقة (سلق) بصيغة التفعيل مثلها صعد وتصعد ، حدر وتحدر ، نزل وتنزل ..

السلاق (زنة السماق) :

« عيد صعود السيد المسيح » . ار : (سولوقو — Soûloqo) : صعود .

وهذه ايضا نفس الكلمة . لكن بما ان المعنى هنا ديني نصراني فالصيغة سريانية ، من مادة عربية .

السلوقية :

« مقعد الربان في السفينة » . ار : (سولقتو — Soûloqto) : « ارتفاع . السلوقية مرتفعة ».

هذه ايضا من نفس المادة والمعنى . وتوجد معان اخرى في هذه المادة العربية لم يذكروها لانهم لم يجدوا لها مقابلا في الارمية .

السم :

« ماده تسبب الموت بدخولها الجسم » . ار : (سم Sam) تدخل تحت مادة (س م) في المعجم العربي معان كثيرة عجيبة متباينة ترجع الى اصول لغوية مختلفة . ولعل اثل (السم) بالمعنى الطبي هو (الشم) لانهم كانوا وما زال بعض العامة ولا سيما القرويين يعتقدون ان شم بعض الروائح يسبب المرض او الموت للوليد الرضيع انسانا كان او حيوانا . بل انهم يظنون ان بعض الروائح تضير المريض حتى من الكبار . لهذا لا نستبعد ان يكون الشم هو اثل السم، مع تغيير طفيف في المعنى . ومن امثلة تسرب الشم الى مادة (السم) اللغوية قولهم فلان « اسم الانف » — بالسين المهمل — بمعنى ضيق المنخرين ، من قولهم (اشم الانف) : المرتفع اعلى انفه ، مع هذا التحريف غير الطفيف في المعنى .

اسمال (زنة اشماز) :

هزل . ار : (سمعلو — Sam'elo) : اهزله بتقشف حياة نسكية .

يبدو ان اثلها **السل** ، فقد قالوا (سل) — بالفتح : هزل وابتلى بداء السل . و (السل) يعني الهزال بدون داء ، كما يعني الداء الرئوي المعروف . ومنه (**سمل**) الثوب : اخلق وبلى . وكما صاغوا «ازبار» من « زبر » مثلا صاغوا (**اسمال**) من « سمل » وقد صاغوا منها كذلك (**صمل**) الشيء : يبس ، و (**الصمير**) : الرجل اليابس اللحم على العظام .

و (**المسمور**) القليل اللحم الشديد العصب . وربما كان من هذا القبيل (**ضمر**) : هزل ودق وقل لحمه .

وتبدو الكلمة عربية مبنى ومعنى بالرغم من استعمالها في الارمية بمعنى ديني .

السامور :

الماس . ار : (شومورو — Chomoûro)

ويسمى بالعربية كذلك (**الشمور**) — كالتنور — ولعله الاثل ، وكان اولى بهم ان يظنوها الصيغة المقتبسة ، بدلا من (السامور) . وربما كان الاثل البعيد لكليهما (**الجمر**) وواحدته الجمرة : النار المتقدة او الحصاة . والجمرة بالعراقية تعني القطعة من الحطب المشتعل التي اذا انطفئت صارت فحمة . ويظهر ان هذا سبب اطلاقها على الحصاة .

ومن (الجمر) اشتق (**الجرم**) : الجسم ، وزنا ومعنى . وجرم لون الشيء : صفا . وربما سمي الماس (جرما) اول الامر لصفاء لونه . وربما نشأت كلمة (ماس) ايضا من نطق (سامور) مقلوبة ومحرفة .

واية كانت الحال لا نجد ما يدل على ان العربية هي المقتبسة .

السمور (زنة التنور) :

« حيوان يشبه ابن عرس » . ار : (سمورو — Samoûro)

اذا لحظنا ان لون هذه الدابة احمر مائل الى السواد سهل علينا ان نبصر ان اسمها جاء من لونها اي (**السمرة**) وهي معجميا : بياض مائل الى السواد ، وتأثيليا : (**الحمرة**) . وقد كانت الحمرة اصلا تعني الحرارة اولا ثم لما كانت الحرارة تسبب احمرار الحطب اي الجمر ، ثم اسوداد الفحم ، نشأت منها السمرة : وكما اجتمعت الحمره بالسواد هنا وفي لون السمور يحق لنا ان نندهش قليلا اذ نجد الدارجة المغربية تحتفظ بالعلاقة بين هذين اللونين لانها ما زالت تسمى الانسان الشديد السمرة (أحمر) ! .. وهي من عهد ما قبل الفصحى ..

ومن اسم (السمور) نشأ اسم (السنور) فيما نعتقد وهو من اسماء القط ـ الشبيه حجما وشكلا بالسمور .

السمسار :

ار : (سمسورو ـ Semsoûro)

الاثل هو (**السفسار**) و (**السفير**) اللذين سبق الكلام عنهما ، بدليل ان السمسار الذى هو المتوسط بين البائع والمشترى يطلق كذلك على « السفير بين المحبين » ـ على تعبير مجد الدين .

السمسرة :

اجرة السمسار . ار : (سومسورو ـ Soûmsoro)

السمسرة فى العربية حرفة السمسار او اجرته . يقال فى تأثيلها ما قلنا فى السمسار .

السماق (زنة التفاح) :

شجر . ار : (سوموقو ـ Sawmoqo)

الكلمة عربية يبدو انها لا ريب فيها . **سمق** ـ زنة سبق ـ النبات : علا وطال فهو (سامق) و (سمق) ـ بفتح فكسر .

ويسمى (**السماق**) بالعربية كذلك (**السموق**) ـ زنة الرسول ـ وهذه الصيغة تعنى الفاعل اى السامق ، ما يشير بوضوح الى علة التسمية . ويجوز ان تكون الكلمة اطلقت اولا على شجر باسق ما ثم انتقلت الى شجر السماق ذى الثمر الدقيق الحامض .

ومن اخوات سمق : **سمك** فهو سامك : ارتفع ، والسميك والمسموك : الطويل ، وكلتا اللفظتين اثلهما **سما** يسمو ، من **شما** يشمو ، من **شم** ـ وكلها يعنى : ارتفع .

المسماك :

« خشبة تدعم خيمة » . ار : (سمك ـ Smak) دعم .

سمك الشىء : ارتفع ، وسمكته : رفعته ، والسماك ـ بالكسر : ما يسمك به الشىء اى يرفع . ومن ذلك سميت السماوات : المسموكات . ولو سألنا القارىء بعد هذا عن معنى (**المسماك**) لقال انه صيغة قياسية لاسم آلة السمك اى الرفع . فلا جرم ان يكون الاعربيون قد اطلقوها على العود الذى يسمكون به الخباء او نحوه . ومن هذا وامثاله صارت (سمك) تعنى الدعم بالارمية .

السنان :

نصل الرمح . ار : (شنونو ـ Shnono)

اصل الحكاية من (**اللسع**) ! ولنتناول اولا علاقته (**باللسان**) للوصول الى (**السن**) . قالوا لسنته العقرب : لسعته ، ولسع فلانا بلسانه : عابه وآذاه بالكلام . واذا استصعب القارىء ادعاءنا بابدال العين نونا بين (لسع) و (لسن) قلنا ان الاقدمين قالوا ايضا لسبته الحية ، ولسب فلانا بلسانه ..

وقد نبطت من اللسع الفاظ اخرى لا حاجة الى التوسع فى عرضها . فمما تقدم نشأ (**اللسان**) ، ومنه نشأت (**السن**) حيث قالوا سن فلانا : عضه بأسنانه ، او طعنه بالرمح . واسن الصبى : نبتت اسنانه . ويبدو ان اول عضة يمارسها الانسان الناكر الجميل هى عض الثدى الذى ارضعه حالما تنبت اسنانه .. وكأنما سموها (السن) رجوعا بالمعنى الى لدغ العقرب والحية . وما زالوا بالدارجة البغدادية يقولون عن الصبى العضاض : يلدغ ! ومن السن نشأ (**السنان**) فقد قيل سن فلان الرمح : ركب فيه السنان .

حتى لو لم يكن هذا تأثيل الكلمة فعلا لا نجد مبررا لاعتبارها سريانية المنبت لمجرد وجودها فى السريانية

سنبل الحنطة ونحوها :

ار : (**سبلو** ـ Seblo) **من (سبل** ـ Sbal) حمل .

قالوا (زب) المرء يزب زبا (من باب صب) بمعنى كثر شعر وجهه واذنيه . و (الازب) ـ زنة الاصح : الاشعر ، ومؤنثه : الزباء .

وانتقل معنى الشعر الى مـــادة (س ب) حيــث تكونت (السبيبة) و (السبيب) بمعنى الخصلة مــن الشعر ، وهما من الفرس : شعر الناصية والعــرف والذنب . ثم ظهرت مادة (س ب ل) التى نجد الشعر من صيغها فى (**السبلة**) ــ بفتحتين : شعر الشارب وهى تنطق فى الفارسية (**سبيــل**) و (**سبــل**) ــ بفتحتين ــ بنفس المعنى .

وبسبب الشعر فى سنابل القمح شبهوها بالشارب فاطلقوا (**السبلة**) على سنبلة القمح ايضا ، ومنهــا ظهرت فى الارمية . ومن الغريب ان اللغويين الارميين قالوا (السنبلة) هى المقتبسة من (سبلو) الارمية بدلا من ان يظنوا ان المقتبسة هى (السبلة) لانهــا اشبه بهــا مبنــى .

والسبلة نطقها العــرب كذلك : (**السبــولــة**) ــ بالفتح ــ و (**السبولة**) ــ بضمتين وربما من هذه الاخيرة نجمت صيغة (**السنبلة**) ــ زنــة لؤلؤة .

وبعد هذا ظهرت صيغة زبل بمعنى الحمل عــن طريق النمل فيما يخيل لنا منذ قالــوا (**الزبــال**) ــ بالكسر او الضم : ما تحمله النملة بفمها . ولعل هــذا قد نشأ مما يسرقه النمل من قمح الحصاد ، وعجيب ان هذا المعنى البدائى الاقدم قد عاش حتى التقطته المعاجم قبل ان يضيع . ومن ثم قالوا زبلت الشىء بــ بالفتح : احتملته ، اى حملته وذهبت به كما تفعــل النملة اللصة . وكثيرا ما تكون القمحة حين تزبلها ــ زنة تحملها ــ او تزدبلها النملة عند الحصاد ما تزال داخل غلافها ، قبل التذرية ، بل قد تزدبــل النملــة كسرة من السنبلة . نرجح هذا لان الهنة المزبولة تكون عندئذ كبيرة الحجم بيضاء اللون يراها المرء من مسافة بعيدة نسبيا وهى تسير مترنحة على الارض المضرسة، فيعلم ان ثمة غلة لا يراها هى التى تحمل هذا الحمــل الثقيل الذى يفوقها حجما ووزنا . ومن هــذا اطلــق (الزبل) اول الامر على ما يشبه هذا الزبــال مــن نفايات القش والتبن ونحو ذلك حتــى يشمــل كــل النفايات التى تظهر فى المعجم فى صيغة (المزبلة) التى تلقى فيها اصناف النفايات . اما معنى الحمل فنجــده فى صيغة (الزنبيل) ــ بالفتح او الكسر ــ التى نطقت اولا (الزبيل) ــ زنة السعيد او الكسير ــ وكلتاهما تعنى القفة او الوعاء او الجراب . والزنبيل بمعنــى بالعراقية وبعض الدارجــات الاخــرى السلــة ذات العروتين تحمل بهما .

وكانت صيغة (زبل) بمعنى الحمل تنطق بالسين (سبل) فى اكبر الظن ثم انقرض هذا النطــق بهــذا انها ظلت تنطق بالسين فى الارمية بمعنــى الحمــل المعنى وتخصصت به صيغة (زبل) . يؤيد هذا ايضا والسنبلة معا ، كما رأينا .

لكن لا بد لنا ان نلفت نظرهم الى ان هذا التأثيــل ينبىء ان صيغة **سبلــو** (السنبلة) بالارمية ليس اثلها **سبــل** (حمل) لاختلاف معناهما . وانما جرى التأثل وتطور المعنى فى العربية على النحو الذى رأينــا ثــم دخلت الصيغتان جاهزتين الى الارميــة كــل منهمــا بمعناها النهائى .

السنبــل :

نبات طيب الرائحة . أر : (سنبــول ــ Sanboûl)

بعض الازهار تكون عنقودية متجمعة على عودها، ومتدرجة مثل حبات سنبل القمح ، ونخمن ان الاسم اطلق من اجل ذلك على نبات من هــذه الطائفــة . واختلاف صيغتها الارمية (**سنبول**) عن (**سبلو**) اى السنبلة التى تقدم ذكرها يدل على اقتباسها جاهزة من (السنبل) بعد تطورها فى العربية .

السنــــة :

أر : (شاتــو ــ Chato) مــن (شنتو ــ Chno) تحــرك .

اثلها (**السن**) . ولما كانت اعمار بعض الــدواب تمكن معرفتها من فحص اسنانها صارت (الســن) تعنى العمر ايضا . ثم لما كانت الاعمار تقدر بالسنين نشأت صيغة (**السنة**) بمعنى الحول الذى سمــى بذلك من دوران السنة (حول) نفسها ، والحجة من عودة موسم (الحج) كل سنة .

السنــدان :

المؤلف يحيل القارىء على (السدان) آنفا ــ الذى سلف الكلام عن تأثيله فى العدد المــاضى ــ ونحــن نؤيد هذه الاحالــة .

ــ يتبع ــ

عبد الحق فاضل

القرائن النحوية

واطراح العامل والإعرابين التقديري والمحلي

الدكتور تمام حسان



اجرى المكتب الدائم مسابقة بين العلماء العرب فى موضوع لغوى فحاز الدرجة الاولى الدكتور تمام حسان استاذ النحو بكلية دار العلوم (جامعة القاهرة) وهذه المسابقة هى الثانية من نوعها مما يتقدم به المكتب عادة كل عام تقريبا ، وقد مولتها هذا العام دولة الكويت وصرف للفائزين الاول والثانى والثالث المكافآت المنصوص عنها فى الاعلان الذى دعا العلماء الى خوض غمارها وقد اشرنا اليها فى الاعداد السابقة ، ونحن ننشر فيما يلى الرسالة الفائزة بالدرجة الاولى وسنلخص الرسالات التالية بعدها ان شاء الله ويهنئ الاستاذ الفاضل الدكتور تمام حسان هذا الفوز الذى لم يكن غريبا عنه كما يهنئ الاساتذة الذين نجحوا بعده فى الدرجتين الثانية والثالثة [illegible] الامانة متابعة حثيثة لعلنا متابعة مستمرة لنرى اجيالنا الصاعدة تدرك تراثها وقوتها [illegible] على السير مع سائر اللغات فى حلبة التقدم الحضارى والانسانى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الذى يرتضيه طلاب الدراسات اللغوية المعاصرة ان اللغة منظمة عرفية رمزية ترمز الى نشاط المجتمع وتوجد لتجاربه الكلمات الدالة على هذه التجارب كما توجد الانظمة التى تنسق العلاقات بين الكلمات حين تنتظمها الجمل . واذا كانت اللغة منظمة تشتمل على انظمة فما اشبهها اذن بالجسم الانسانى الذى نعرف انه جهاز اكبر مكون من اجهزة فرعية . والمعروف ان الجسم الانسانى جهاز حيوى واحد ذو وظيفة معينة هى تحقيق الوجود البيولوجى للانسان ولكن هذا الجهاز الحيوى الواحد مركب من اجهزة فرعية كالجهاز الهضمى والجهاز العصبى والجهاز الافرازى والدورة الدموية والجهاز التنفسى وهلم جرا . ولكل واحد من هذه

الاجهزة وظيفة معينة يمكن لطلاب وظائف الاعضاء ان يوضحوها ويحللوها كما لو كانت مستقلة عن بقية الوظائف التى تؤديها الاجهزة الاخرى فى الجسم وذلك أمر تسمح به طبيعة الرغبة فى تنظيم المعلومات وتنسيقها فى ابواب وفصول وعلى الرغم من ان هذه الاجهزة الفرعية فى جسم الانسان يتوقف عمل كل واحد منها على عمل الاجهزة الاخرى فلا يعقل ان يؤدى اى جهاز مفرد منها عمله وهو مستقل عن بقيتها . ومعنى هذا ان هناك تنسيقا فى العمل يتم بين هذه الاجهزة التى يتكون منها الجهاز الحيوى الاكبر وهو جسم الانسان ويمكن ان نسمى هذا التنسيق فى العمل تنسيقا فى اداء الوظيفة .

وكما راينا جسم الانسان جهازا مركبا من اجهزة متعددة نرى اللغة منظمة مركبة من انظمة اشهرها النظام الصوتى والنظام الصرفى والنظام النحوى . والفارق الاساسى بين جسم الانسان واللغة ان هذا جهاز حيوى وهذه جهاز رمزى عرفى وان الاول يتم به تحقيق الوجود البيولوجى للانسان والثانى يتحقق به وجوده الاجتماعى وكما ان الضرورات العملية تفرض على طلاب وظائف الاعضاء ان يتناولوا اجهزة الجسم الانسانى بالدراسة مستقلا بعضها عن بعض يتعين على طلاب اللغة ان يفترضوا استقلالا فى الذهن لا فى الحقيقة لكل نظام من انظمة اللغة يسهل به تناوله . ذلك بأن التقسيم والتبويب هما ملاك النشاط العلمى فى كل المجالات وليس مجال اللغة بدعا فى ذلك . ولولا التقسيم والتبويب لظلت الحقائق المفردة مستعصية على الدرس لكثرتها وتشعبها ، ولاستحالة الاستقراء التام فى مجال العلم حتى لقد عدل العلماء عنه الى الاستقراء الناقص وجعلوه اساس المناهج الحديثة .

النظام الصوتى :

قلت ان الانظمة اللغوية اشهرها النظام الصوتى والنظام الصرفى والنظام النحوى واضيف هنا ان لكل واحد من هذه الانظمة ابعاده ومكوناته التى لا بد للباحث ان يذكرها دائما عند تناولة لنظام منها بعينه . فأما النظام الصوتى فقوامه ما دلت عليه الدراسة الصوتية الحسية Phonetics من تحديد مخارج الاصوات وصفاتها بواسطة الملاحظة والتجربة ثم ما يقوم من اوجه المخالفة المتعلقة بتحديد المعنى وهى القيم الخلافية Differencial Values بين كل مخرج ومخرج وكذلك بين كل صفة وصفة حتى يستطيع ان يتصدى لتحديد النظام الصوتى Phonological System للغة او يقيم هذا النظام على القيم الخلافية بين الاصوات وفهم كل صوت منها باعتباره جزءا من نظام كلى يمكن تقسيمه الى وحدات يضم كل منها عددا من الاصوات المترابطة من حيث اتحادها فى المخرج او الصفة وكونها متخالفة من ناحية اخرى على احد هذين الاساسين . ويحسن هنا ان نضرب مثلا بالاصوات النونية فى الكلمات الآتية :

ينفع — ينظر — انت — انا — ينشأ — من كان — ينقذ — من وجد . فهذه الاصوات وان اتفقت جميعا فى صفة النونية التى تتمثل فى الغنة الانفية تختلف من حيث مخارجها فصوت النون فى « ينفع » اسنانى شفوى وفى « ينظر » اسنانى فقط يخرج فى نطقه اللسان كما يخرج فى نطق الظاء تماما وفى « انت » اسنانى لا يخرج اللسان فى نطقه اذ مخرجه داخل الثنايا وفى « انا » لثوى ينطق فى مغارز الاسنان وفى « ينشأ » غارى ينطق فى نطع الغار وفى « من كان » طبقى ينطق فى مخرج الطبق وهو الحنك الرخو الذى فى مؤخر سقف الفم وفى « ينقذ » لهوى ينطق فى اللهاة وهى مخرج القاف وفى « من وجد » لا ينطق فى واحد من هذه المخارج وانما يصير كالواو مع خروج الهواء فى النطق من الانف والفم جميعا . ولكن هذه الاصوات النونية جميعا تنتظمها وحدة بعينها من وحدات النظام الصوتى للغة هى « حرف النون » وبذلك نفهم الفرق بين الصوت والحرف فالصوت عملية نطقية والحرف وحدة ذهنية من وحدات النظام الصوتى اى ان الحرف يفهم ولا ينطق على حين ينطق الصوت الذى هو فرع الحرف .

بقى ان ننظر كيف يستطيع طالب اللغة ان ينشىء النظام الصوتى من مجموع الاصوات التى عرفها بالملاحظة والتجربة . هنا يأتى دور القيم الخلافية او الفروق بين الحروف من حيث المخارج والصفات . فالقاعدة الذهبية هنا هى انه لا بد ان يكون هناك فارق فى المخرج او فى الصفة او فيهما جميعا بين كل صوت وصوت آخر فلو اتفقا فى كل شىء لصارا صوتا

واحدا ولم يعد هناك وجه لاعتبارهما صوتين مختلفين. فاذا استقر ذلك فى ذهن الطالب فعليه بعد ذلك ان يربط هذا التفريق بالمعنى ربطا محكما . فاذا فعل فسيجد ان من الحالات التى تصادفه ما يتعذر فيه على صوت ما ان يحل فى الكلام محل صوت آخر وان من الحالات ما يمكن معها لصوت معين ان يحل محل صوت آخر فى كلمة بعينها فيتغير معنى الكلمة تبعا لهذا « الاستبدال » . والقاعدة الاساسية فى ذلك ان الصوتين اذا لم يحل احدهما محل الآخر يعتبران اخوين فى نطاق وحدة من وحدات النظام الصوتى . اما اذا حل احدهما محل الآخر مع تغير فى معنى الكلمة فهما من حرفين مختلفين والمثال الذى نضربه لايضاح ذلك يعود بنا مرة اخرى الى الاصوات النونية التى اشرنا اليها من قبل حيث نلاحظ ان اى صوت من هذه الاصوات النونية التى وردت فى غير كلمة « انا » من الكلمات السابقة لا يمكن ان يتم نقطه فى كلمة « انا » بمعنى ان صوت النون فى «انا» لا ينطق بالشفة مع الاسنان مثلا ولا يخرج فيه اللسان ولا ينطق فى اللهاة الخ . ومعنى ذلك ان بين صوت النون فى « انا » وبين بقية اصوات النون الاخرى تخارجا من حيث الموقع الواحد فلا يحل احد اصوات النون فى كلمة محل واحد آخر من اصوتها وبذلك نفهم من هذا « التخارج » ان جميع هذه الاصوات النونية تندرج تحت عنوان واحد هو « حرف النون » . اما اذا حاولنا ان نضع فى موضع صوت النون فى « انا » صوتا آخر كأحد اصوات اللام او الميم مثلا فاننا سنجد هذا الامر ممكنا مع تغير فى المعنى بحيث تصير الكلمة « الا » او « اما » وبذلك « الاستبدال » يصير صوت النون « مقابلا استبداليا » لصوتى اللام والميم ويمكن باختيار امثلة اخرى ان نفهم انه « مقابل استبدالى » لكل ما عداه من « الحروف ».

وباستخدام طريقة الاستبدال التى تعتمد على الاختلاف فى المعنى كما تعتمد على القيم الخلافية بين المخارج بعضها وبعض وبين الصفات كذلك يستطيع الطالب ان يحدد الوحدات التى يتكون منها النظام الصوتى فى اللغة وهذه الوحدات هى الحروف فكل حرف فى النظام الصوتى للغة « مقابل استبدالى » لكل ما عداه من الحروف وشرط كونه وحدة بعينها فى هذا النظام ان يكون كذلك .

النظام الصرفى :

اما النظام الصرفى للغة فانه ينبنى على ثلاث دعائم هى : المعانى الصرفية والمبانى الصرفية والفروق (القيم الخلافية) التى تكون بين المعنى والمعنى كما تكون بين المبنى والمبنى — وتنقسم المعانى الصرفية الى قسمين هما : معانى التقسيم ومعانى التصريف ولكل منهما مبانيه التى يعرف بها . فأما معانى التقسيم فهى معانى اقسام الكلم التى يتألف منها الكلام وهذه المعانى (كالاسمية والفعلية الخ) تعتبر حجر الزاوية فى النظام الصرفى للغة لان المبانى التى تدل عليها (كالاسم والفعل الخ) هى كبرى الاجزاء التحليلية فى هذا النظام وهى الاجزاء التى يمكن لامثلتها ان تحمل معنى مستقلا عند افرادها وعزلها عن سياق الكلام . اما ما اسميه معانى التصريف فهى المعانى التى يجرى بحسبها التفريق بين الصور المختلفة التى يتشكل بها قسم معين من اقسام الكلم كالتكلم الخ . والافراد الخ . والتذكير الخ والتعريف الخ . ولكل من هذه المعانى مبنى واحد او اكثر تدل عليه كالمتكلم الخ والمفرد الخ . والمذكر الخ والمعرف الخ . ومن الواضح ان هذه المبانى التصريفية لا يمكن افراد امثلتها عن الكلام على نحو تستقل معه بمعانيها كما يستقل الاسم او الفعل او الحرف بمعناه اى ان امثلة هذه المبانى التصريفية لا تحسب فى عداد المفردات كما تحسب امثلة الاسم والفعل والحرف .

وعند النظر فى الاسس التى يتم بها تقسيم الكلم نلاحظ ان هذا التقسيم لا ينبنى على اساس واحد وانما تتعدد جهات التفريق بين قسم وقسم وتتفرع الى فروق تتعلق بالمعنى واخرى تتعلق بالمبنى . وحين قسم النحاة العرب الكلم الى ثلاثة اقسام حاولوا راشدين ان يبنوا هذا التقسيم على الاعتبارين السابقين (المعنى والمبنى) فأما محاولة البناء على المعنى فتبدو فى قولهم : « الاسم ما دل على مسمى والفعل ما دل على حدث وزمن والحرف ما دل على معنى فى غيره) . واما محاولة بناء التقسيم على المبنى فتبدو مثلا فى قول ابن مالك :

بالجر والتنوين والندا وال
ومسند للاسم تمييز حصل
بتا فعلت وأتت ويا افعلى
ونون اقبلن فعل ينجلى

سواها الحرف كهل وفى ولم

فاذا اردنا ان نحدد المعانى والمبانى التى يتم تقسيم الكلام بها وجدناها كما يلى:

ا ــ المعانى :	ب ــ المبانى :
المسمى	البنيــة
الحدث	الصورة الاعرابية
الزمن	التضام
التعليق	الرتبة
معنى الجملة	الالصاق
	الجدول
	الرسم الاملائى

وفى رايى ان التقسيم الذى ورثناه عن النحاة العرب بحاجة الى اعادة نظر بل الى محاولة جديدة لتقسيم جديد مبنى على الاسس المذكورة . ولقداعدت النظر فى هذا التقسيم فعلا فوصلت الى ان الكلم العربــى ينقسم الى سبعة اقسام هى :

الاسم ــ الصفة ــ الفعل ــ الخالفة ــ الضمير ــ الظرف ــ الاداة . وسأحاول فيما يلى ان افرق بين كل واحد من هذهالاقسام وبين ما سواه مشيرا الى حقيقة هامة جدا هى ان المبنى الدال على معنــى اى على قسم من هذه الاقسام ربما نقل من الدلالة على معناه الذى يدل عليه بحسب التقسيم الى معنى آخر بحسب العرف الاستعمالى للغة كأن ينقل الفعل من الفعليــة الى الاسمية كما فى « يزيد » و « يشكر » وكما ينقل الاسم المبهم الى الظرفية كما فى « يــوم الجمعــة » و « ثلاث ساعات » وكما ينقل حرف الجر الى الظرفية كما فى « مذ » و « منذ » والموصول الى معنــى اداة الشرط او الاستفهام كما فى « من » و « ما » و « اى » الــخ .

الاســم : يمكن فهم المقصود بالاسم من التخطيط التــالــى :

الاســم
- اسم الذات
- اسم المعنى
  - مصدر
  - اسم مصدر
  - اسم مرة
  - اســم هيئة
- اسم الجنس
- الاســم المبهــم
  - ما احتاج الى تخصيص بوصف او اضافة الخ كاسمــاء الاوقــات والمقادير والعدد الخ
- الميميــات
  - اسم الزمان
  - اسم المكان
  - اسم الآلــة

ويمتاز الاسم بما يلى :

1 ــ قبول الجر لفظا وهذا القيد ان ادخل معــه الصفات فانه يخرج الضمائر والظروف لانها لا تجر ولو كان الجر محلا هو الدليل على الاسمية لاصبحت الجملة التى فى محل جر فى عداد الاسمــاء (علامــة اعــرابيــة) .

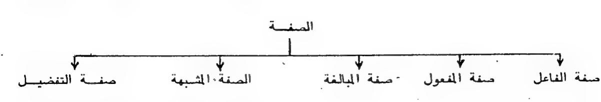
2 ــ الدلالة على مسمى وهذا يخرج الفعل اولا لانه يدخل على حدث وزمن كما يخرج الصفة لانهــا تدل على موصوف بالحدث ويخرج الضمير لانه يدل على مطلق الحاضر والغائب الخ (تسمية) .

3 ــ الاسم يكون مضافا ومضافا اليــه وموصوفا وهذا يخرج الضمائر لانها تقع موقع المضاف اليه ولا تقع موقع المضاف ولا موقع الموصوف ابدا (تضام) .

4 ــ الاســم يكــون مسنــدا اليــه ولا يكــون مسنــدا وهــذا يخرج الصفــة لانها تكون مسندا كما تكون مسندا اليه وربما تم لها ذلك فى موقع واحد من مواقعها كما فى قولك : جاء الباسم وجهه . اذ وقع « الباسم » مسندا اليه باعتبار « جاء » ومسندا باعتبار « وجهه » (تعليق) .

وهكذا نجد الاسم يتميز بخصائص معينة توضح لنا ان النحاة العرب حين اعتبروا الصفات والضمائر من الاسماء وقعوا فى مزلق التعميم وقد جرهم هذا فى كثير من الاحيان الى التورط فى مطالب التبرير والتخريج والتاويل وسنرى هذا واضحا فى الكلام عن ذكر خصائص الاقسام الاخرى للكلم العربى وبخاصة عند الكلام عن الصفات والضمائر والظروف .

الصفـــة : والمقصود بالصفات يتضح مما ياتى :



وتمتاز الصفات بما ياتى :

1 — تقع مسندا ومسندا اليه كما سبق فتمتـــاز بذلك عن الافعال التى لا تقع الا موقع المسند والاسماء التى لا تقع الا موقع المسند اليه . وهذه الخاصة مـــن خواص الصفات تبرر القول بوجود جملة وصفية فى اللغة العربية تقف جنبا الى جنب مع الجملتين الاسمية والفعلية ويتضح ذلك فى اعراب « اقائم زيد » فالنحاة يرون ان كلمة « قائم » مبتدأ وان كلمة « زيد » فاعل ويلاحظ على ذلك امور :

الاول : ان المبتدأ والفاعل كليهما من قبيل المسند اليه وفى قول النحاة انكار لبناء الجملة لان الاسنـــاد لا يتم بين مسند اليهما بل يتم بين مسند اليه ومسند .

الثانى : ان فى قولهم ان زيدا فاعل اعتـــرافا بأن الصفات ليست اسماءلان الاسم عندهم لا يرفع فاعلا ولا ينصب مفعولا .

الثالث : ان فى اشتراطهم اعتماد الوصف مع الفاعل والمفعول على نفى او استفهام او مخبر عنه او موصوف اعترافا بان موصـــ [illegible] عنه يؤديان دور جملة النفى او جملة الاستفهام وهما اصليتان او جملة الخبر او جملة الصفة وهما فرعيتان ومعنى ذلك ان الجملة الوصفية تصلح جملة اصلية وفرعية . والوجه فى رأيى ان اعراب الوصف لا ينبغى ان يكون بدعوى انه مبتدأ وانما يكون بأنه صفة فاعل او مفعول الخ كما نصف الفعل فى الاعراب بأنه فعل ماض او مضـــارع الخ (تضام — وكذلك معنى الجملة) .

2 تمتاز الصفات بأنها محددة الصيغ اكثـــر ممـــا تتحدد صيغ الاسماء ويتضح ذلك عند ارادة التعريب ووضع اللفظ المعرب فى صورة يتقبلها الذوق والعرف العربيان اذ يلاحظ طلاب اللغة ان حرية صياغة الاسماء عند تعريبها اكبر من حرية صياغة الصفات من الناحية الصرفية . اضف الى ذلك ان بعض الصيغ تستعمل للاسماء ولا تستعمل للصفات ولعل الاشمونى قد فطن للفرق بين الاسم والصفة حين تعرض لشرح بـــاب التصريف من الفية ابن مالك اذ اشار الى هذه الحقيقة السابقة (بنيـــة) .

3 — وتمتاز الصفات عن بقية الاقسام السبعة ايضا من حيث الجداول الصرفية . والجداول الصرفية ثلاثة انواع اولها الجدول الالصاقى الذى نحاول به ان نرى ما تتقبله الكلمة من اللواصق الدالـــة على المعانـــى الصرفية كأداة التعريف تلحق الاسماء والصفات وكنون التوكيد تلحق الافعال وكنون الوقاية تلحق الافعـــال وبعض الادوات . وثانيها الجدول التصريفى الذى يبدو حين ننظر فى احد الافعال لنرى ما اذا كان مستكملا صوره الثلاث او ان الماضى او المضارع مثلا لا يأتيان منه وحين ننظر فى اسم فاعل مثلا لنرى هل تأتى مـــن مادته بقية الصفات اولا وثالثها الجـــدول الاسنـــادى الذى يسند فيه الفعل بصوره المختلفة الى الضمائر ليرى وجه التغير فيه بالاعتلال والابدال [illegible]

فالاسماء تدخل جداول الالصاق فقط والصفات تدخل جداول الالصاق والتصريف والافعـــال تدخـــل هذيـــن النوعين كما تدخل جداول الاسناد . وانمـــا قلت ان الصفات لا تدخل جداول الاسناد لان هذا النوع مـــن الجداول لا تتغير فيه بنية الصفات باعلال او ابـــدال الخ . كما تتغير بنية الافعال ومن ثم لا يفيدنا وضـــع الصفة فى جدول اسنادى اية فائدة لاغراض التحليل اللغوى . (جـــدول) .

4 ـ سبق ان اشرت الى ان الصفات تدل على موصوف بالحدث . اى انها لا تدل على مسمى كما تدل الاسماء ولا على مطلق الحدث كما تدل المصادر من بين الاسماء ولا على حدث وزمن كما تدل الافعال ولا على مطلق الغائب والحاضر كما تدل الضمائر ولا على ظرفية كما تدل الظروف ولا على علاقة كما تدل الادوات وبذلك تمتاز الصفات عن بقية الاقسام (مسمى ، حدث ، زمن) .

الفعل : والفعل ثلاثة انواع : ماض ومضارع وامر ولكل من هذه الثلاثة صيغته الخاصة التى تتعدد بين التجرد والزيادة كما ان له معناه الزمنى الصرفى الخاص الذى يتمثل فى الشكل الآتى :

الزمن

الماضى — المضارع — الامر

المضى — الحال او الاستقبال — الحال او الاستقبال

هذا هو النظام الزمنى الصرفى فى اللغة العربية ومنه يبدو ان المضى خالص لصيغة الفعل الماضى وان الحال والاستقبال هما المعنيان اللذان يفهمان من المضارع والامر فلا يعين النظام الصرفى احدهما لاحدهما اذ لا يكون هذا التعيين فى الزمن الصرفى الذى هو معنى الصيغة المفردة وانما يكون تعيين الزمن للفعل بواسطة عدد من القرائن فى السياق النحوى ولا مجال لذكرها الآن . ومعنى ذلك ان هناك فرقا بين الزمن الصرفى والزمن النحوى على الوجه التالى :

الزمن

فى النظام: زمن صرفى للصيغة المفردة وهو بسيط ومطلق كما يتضح من الشكل المبين فوق هذا الكلام .

فى السياق: زمن نحوى تحدده القرائن فى السياق وهو مركب ومقيد بالقرائن المذكورة .

ويمتاز الفعل عما عداه من انواع الكلم بما يأتى :

1 ـ يختص الفعل بقبول الجزم (وهذا فى المضارع من الافعال) فلا يشاركه فى ذلك قسم آخر من اقسام الكلم (علامة اعرابية) .

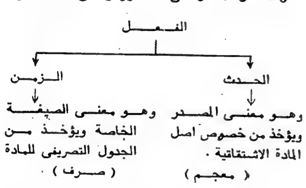
2 ـ للافعال صيغ خاصة بها تختلف عن صيغ الاسماء والصفات وهى قياسية ومحفوظة فى كتب الصرف (بنية) .

3 ـ تقبل الافعال الدخول فى كل انواع الجداول بخلاف الاسماء التى لا تدخل الا الجداول الالصاقية وبخلاف الصفات التى تدخل الجداول الالصاقية والتصريفية دون الاسنادية (جدول) .

4 ـ تمتاز الافعال عن بقية الاقسام بقبول عدد من اللواصق لا تلصق بغيرها كضمائر الرفع المتصلة وضمائر النصب المتصلة والسين ولام الامر وحروف المضارعة ونون التوكيد وتاء التأنيث المفتوحة (جدول ـ شكل املائى ـ الصاق) .

5 ـ تمتاز الافعال بدخول بعض الضمائم عليها مثل قد وسوف ولم ولن ولا الناهية مما لا يدخل على غير الافعال من الاقسام الاخرى للكلم (تضام) .

6 ـ تدل الافعال على حدث وزمن على النحو الآتى:



اما الاسماء فتدل على مسميات حتى ان المصدر حين يدل على الحدث المطلق انما يتخذ هذا الحدث المطلق مسمى له ومن هنا اطلق طلاب اللغة على المصدر « اسم الحدث » وقال فيه ابن مالك :

المصدر اسم ما سوى الزمان من
مدلولى الفعل كأمن من امن

واما الصفات فتدل على موصوف بالحدث عن طريق الفاعلية او المفعولية او المبالغة او مطلق ثبوت الوصف او التفضيل (مسمى ـ حدث ـ زمن) .

7 ـ لا تقع الافعال من الجمل الا موقع المسند ومن ثم تختلف عن الاسماء التى لا تقع الا موقع المسند اليه وعن الصفات التى تقع الموقعين جميعا كما سلف .

وبهذه الخصائص تتفرد الافعال بقسم خاص من اقسام الكلم العربى من حيث المعنى ومن حيث المبنى.

الخالفة : والخوالف عبارات افصاحية اى تستعمل فى الافصاح عن موقف للمتكلم من امر ما ومن ثم كانت الجملة التى تتبنى على هذه الخوالف جملا انشائية فى معناها ولكن ما تدل عليه من معنى الانشاء يبدى طابعا خاصا شبيها بما يسمونه فى الانجليزية Exclamation . وهذه الخوالف اربعة انواع :

1 ـ خالفة التعجب نحو ما احسنه واحسن به .

2 ـ خالفة المدح او الذم نحو نعم زيد رجلا وبئس هند امراة .

3 ـ خالفة الاخالة نحو هيهات ما تريد واوه وصه .

4 ـ خالفة الصوت نحو كخ للصبى .

والاستعمالات التى ترد فيها هذه الخوالف جزء لا يتجزأ من اللغة الانفعالية او العاطفية التى يطلق عليها طلاب اللغة فى الغرب Affective Language وربما شاركها فى ذلك الندبة والاستغاثة والعبارات الاخرى الدالة على الاستحسان والاستهجان .

واذا نظرنا الى صيغتى التعجب وجدنا ان دعوى فعليتهما تحتاج الى كثير من النظر لانهما لا تقبلان علامات الافعال ولا تدخلان فى الجداول المختلفة كما تدخل الافعال فلا ترفعان الفاعل ولا تدلان على حدث وزمن كما تدل الافعال ولا توصفان بالتعدى واللزوم كما توصف الافعال . وعندى ان هاتين الصيغتين ذواتا رحم وقربى تصل بينهما وبين صفة التفضيل سواء من حيث المعنى ومن حيث المبنى . فأما من حيث المعنى ففى التعجب دلالة على تفضيل المتعجب منه على ما كان من قبيله ولم يبلغ مبلغه واما من حيث المبنى فيكفى للاشارة اليه ان نذكر قول ابن مالك :

صغ من مصوغ منه للتعجب
افعل للتفضيل وأب اللذ أبى

ولا تخطىء النظرة الفاحصة ان ترى وجه الشبه فى الصيغة بين « افعل » للتعجب و « افعل » للتفضيل وان افترقت الصيغتان اعرابا وبناء . والذى نرمى اليه بهذه المناقشة ان نزعم أن صيغتى التعجب لا تقعان فى عداد الافعال . ولا شك انهما ليستا من الصفات ايضا لعدم قبولهما علامات الصفات ومن هنا لا يبقى لهما الا ان تنتميا الى قسم آخر من اقسام الكلام .

وخالفتا المدح والذم ايضا ابعد ما تكونان عن الفعلية لعدم ورودهما على صيغ الافعال واوزانها ولعدم دلالتهما على الزمن والحدث ولعدم قبولهما الدخول فى جدول يسندان فيه الى ضمائر الرفع المتصلة كما تسند الافعال ولعدم قبولهما ان تدخل عليهما قد والسين وسوف ولم ولن وبقية ما يدخل على الافعال ولورودهما فى النصوص العربية مع حروف الجر ولان الاسم الدائم الرفع بعدهما لا يعرب فاعلا وان مرفوعهما الذى تدعى له الفاعلية قد ينصب على التمييز فلا يكون لهما فاعل . ومن هنا يصبح فى القول بفعليتهما بعض التعسف ويصبح من الافضل فيهما ان يعتبرا من قسم آخر من اقسام الكلم غير الافعال .

والذى قلته من وجوب اخراج خوالف التعجب والمدح والذم من عداد الافعال يصبح اكثر وضوحا فى محاولة اخراج خوالف الاخالة (اسماء الافعال) من عداد الاسماء لعدة اسباب منها ان النحاة دائما يفسرونها بالافعال فيقولون ان شتان بمعنى افترق وهيهات بمعنى بعد واوه بمعنى اتوجع وصه بمعنى اسكت ومنها ان هذه الخوالف لا تقبل علامات الاسماء ولا علامات الصفات ولا الافعال ولا غيرها وانها عبارات جارية مجرى الامثال Idioms فلا تتغير فى معناها ولا فى مبناها ومن ثم يصبح من الضرورى لطالب اللغة ان يخرجها من عداد الاسماء والافعال وان يلتمس لها شبيها من الكلم يضمها اليه فى قسم واحد .

واوضح من ذلك امر خوالف الاصوات (اسماء الاصوات) اذ لا تشارك الاسماء فى علاماتها كما لا تشارك الافعال ولا الصفات الخ وانما هى عبارات ينظر اليها من حيث الاشتقاق باعتبارها « عقيما » ان صح هذا التعبير الذى اقدم دونه الاعتذار .

والقسط المشترك بين هذه الخوالف جميعا كما

ذكرنا ان لها طبيعة الافصاح الذاتى فكلها من الاساليب الانشائية ويحسن فى جميعها فى الكتابة ان تعقبه علامة الترقيم الدالة على التاثر (!) . وما كان ابعد النحاة من الصواب حين فسروا هذه الخوالف بعبارات من قبيل الاسلوب الخبرى لان الفرق بين شتان زيد وعمرو وافترق زيد وعمرو لا يمكن ان يكون قد خفى على اصحاب الادب ان صح انه خفى على ارباب اللغة وقد كنت التمس لهم المعاذير لو كانوا قد فسروا هذه العبارة بعبارة تعجب مثل « ما اكبر الفرق بين زيد وعمرو لان التعجب افصاحى ومن ثم يصبح تريب المعنى من التعبير بخالفة الاخالة . ومثل ذلك ما نلاحظه من فارق بين « اوه » وبين « اتوجع » فلو انك احسست بلسعة النار فى يدك فقلت : « اتوجع » لكان للسامع عذر الا يخف الى نجدك وان يسالك فى هدوء : « مم تتوجع » ولو قلت : « اوه » لاختلف امر استجابته لك باختلاف المعنى لان عبارة « اوه » تدل على الافصاح والانشاء على حين تدل عبارة « اتوجع » على الاخبار المجرد .

ويجمع بين هذه الخوالف ايضا انها ثابتة الصياغة جارية مجرى الامثال وانها اما محرومة من الروابط الاشتقاقية تماما كما تبدو الحال فى خوالف الاخالة والاصوات او ان روابطها الاشتقاقية واهية ببقية صيغ مادتها كنعم وبئس او انها يغلب فيها تناسى هذه الروابط كخالفة التعجب .

وتمتاز هذه الخوالف من بقية اقسام الكلم بما يأتى:

1 — انها لا تدل على مسمى ولا حدث ولا زمن ولا موصوف بحدث وانما تدل على مجرد الافصاح عن موقف للمتكلم من امر معين وبذلك تختلف عن بقية اقسام الكلم .

2 — انها جميعا ذوات رتب محفوظة بالنسبة لضمائمها وقد جاءها حفظ الرتبة هنا من كونها عبارات محفوظة ثابتة التركيب جارية مجرى الامثال التى لا تغير وهذا يفرق بينها وبين اقسام الكلم الاخرى التى لا ينتظم حفظ الرتبة فيها الجملة جميعها على هذه الصورة .

3 — انها عديمة الحاجة الى اللواصق كما فى خوالف الاخالة والاصوات او قليلة الاحتمالات لها كما فى اقتصار التعجب على ان تلصق به نون الوقاية واقتصار المدح والذم على تاء التأنيث المفتوحة وهذا مبرر آخر لافرادها فى قسم خاص .

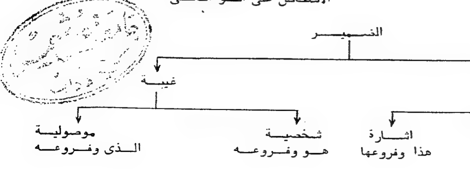
4 — ان لها طابع الافتقار الى الضمائم المعينة كافتقار التعجب الى ما والمنصوب وافتقار المدح والذم الى اسم الجنس وافتقار بعض خوالف الاخالة الى المرفوع .

5 — لا يصدق وصفها بالتعدى واللزوم ولم يدر بخاطر النحاة ان يعربوا المنصوب بعد اى منها مفعولا . وبهذا يتضح الفرق بين الخوالف وبقية اقسام الكلم وبخاصة الاسماء والافعال .

الضمير : الضمير ما دل على مطلق ذى حضور او غيبة دون دلالة على خصوص الغائب او الحاضر وهذا هو ما يقصده ابن مالك بقوله :

وما لذى غيبة او حضور
كانت وهو سم بالضمير

وفى رأيى ان تعريف ابن مالك صالح لان يحمل على ما لم يرده ابن مالك بالضمير بل ما اريد انا هنا ان اجعله مشمولا بهذا الاصطلاح ويتضح توسيعى لدلالة هذا الاصطلاح بحيث يشمل ما هو اكثر من ضمائر الاشخاص على النحو التالى :



ومعنى ذلك ان الضمائر فى نظام الصرف العربى تنقسم الى ثلاثة اقسام :

1 — ضمائر شخصية

2 — ضمائر اشارة .

3 — ضمائر موصولة :

ولا شك ان الغيبة والحضور من المعانى الصرفية العامة التى لا تتطلب الاسماء للتعبير عنها بل هى معان « حقها ان تؤدى بالحرف » كما يقول النحاة ولقد رأى النحاة هذا « الشبه المعنوى » بين الضمائر بأنواعها وبين الحروف اساسا من اسس بنائها . يضاف الى ذلك ما يتسم به استعمالها من الافتقار المتأصل الذى لهذه الضمائر لان ضمائر الاشخاص تفتقر الى مرجع وتفتقر الموصولات الى صلة كما تفتقر الاشارات الى مثول مادى او ذهنى وهذه الامور التى تفتقر اليها الضمائر هى التى تعين على تحديد العموم الذى فى دلالتها على مطلق الغيبة او الحضور .

وتمتاز هذه الضمائر عن بقية أقسام الكلم على النحو التالى :

1 — الضمائر ذات رتب محفوظة فالرتبة محفوظة بين الضمير الشخصى ومرجعه كما انها محفوظة بين الموصول وصلته وبين ضمير الاشارة وبيانه .

2 — لكل نوع من الضمائر طريقتان للاستعمال احدهما الاشباع والاخر الاضعاف ففى ضمائر الاشخاص يكون الاشباع بالضمير المنفصل والاضعاف بالمتصل وفى الاشارة يكون الاشباع بحروف التنبيه والبعد والخطاب ويكون الاضعاف بحذفها وفى الموصول يكون بذلك فى « اولاء » وبغيره فى غيرها « كالذى » و « اللذ » و « منو » و « من » وكذلك « ما » و «م». وبهذا تقرب الضمائر من الحروف وتبعد عن الاسماء.

3 — كل الضمائر يقع موقع المضاف اليه ولا يكون مضافا كما لا يكون موصوفا ابدا وهذا فرق بين الضمائر والاسماء ايضا :

4 — تبدو الضمائر المتصلة فى الكتابة اجزاء كلمات مثلها مثل الحروف المتصلة تماما وهذا يفرق بينها وبين الاسماء .

5 — تلعب الضمائر ذات العائد دور الربط فى السياق ويساعد الافتقار على اداء مثل هذا الدور .

كل ذلك يبعد بالضمائر المختلفة عن ان تكون اسماء ويدعو الى افرادها بقسم خاص من اقسام الكلم فى اللغة العربية .

الظرف : سبق ان ذكرت ان بعض اقسام الكلم يستعمل منقولا للدلالة على معانى الاقسام الاخرى ، وتبدو هذه الظاهرة واضحة فى اكثر الالفاظ المستعملة استعمالات الظروف . فالملاحظ ان الكثير من الاسماء المبهمة يستعمل استعمال الظرف وكذلك المصادر وبعض الاشارات والادوات . فمن ذلك مثلا :

ا — اسماء الجهات نحو رأيته يسير غرب الحائط وجنوب الحديقة وامام المسجد .

ب — اسماء الاوقات نحو رأيته ساعة الشروق يوم الجمعة وصباح السبت وظهر الاحد — وحين البأس

جـ — اسماء الاعداد نحو : خرجت خامس رمضان وجلست ثلاث خطوات من المعلم .

د — اسماء المقادير نحو : سرت فرسخا او بريدا .

هـ — اسم الزمان نحو رأيته مطلع الشمس .

و — اسم المكان نحو قعدت مقعد فلان .

ز — المصدر نحو اتيك طلوع الشمس وقدوم الحاج ومنه فى رأيى قط وعوض مقطوعين عن الاضافة .

ح — اسماء مبهمة اخرى نحو عند ولدى وقبل وبعد ولدن ونصف وبعض وكل .

ط — الصفات والمنسوبات نحو جلست طويلا وجميع اليوم وشرقى المنزل .

ى — بعض الاشارات نحو اجلس هنا ولا تجلس هناك وهما من اشارات المكان ومن اشارات الزمان فى رأيى كلمة « الآن » .

ك — بعض الحروف نحو ما رأيته مذ امس ومنذ يوم الجمعة .

ولقد رأينا مما تقدم ان اكثر ما اطلق النحاة عليه اصطلاح « الظرف » لم يكن فى الحقيقة ظرفا بالمعنى الصرفى ولا صلة بينه وبين الظرف الا ان كليهما يقع

فى مجال السياق النحوى موقع المفعول فيه . ومعنى ذلك ان المفعول فيه وهو باب من ابواب النحو يمكن ان يعبر عنه باكثر من قسم واحد من اقسام الكلم كالاسم المبهم والصفة وضمير الاشارة وكل ما نقل الى معنى الظرفية من غير ذلك كالاشارات والحروف كما يعبر عنه ايضا بالظروف التى تستحق اسم الظرف من وجهة النظر الصرفية اى من حيث تقسيم الكلم. وقبل ان احدد المقصود بهذه الظروف التى هى قسم من اقسام الكلم ينبغى ان اشير الى ان « النقل » مما اعترف به النحاة وجعلوه قسيما للارتجال فى باب العلم ومن ادلة ذلك قول ابن مالك :

ومنه منقول كفضل واسد
وذو ارتجال كسعاد وادد

فلا غرابة اذن فى « نقل » الاسماء والصفات والاشارات والحروف الى معنى الظرفية . وهذا النقل كما يبدو اهم الاسس لتعدد المعنى الوظيفى للمبنى الصرفى الواحد على نحو ما يفصله « مغنى اللبيب » لابن هشام .

عند هذه النقطة يصبح من الضرورى ان نحدد الظروف التى ينتظمها قسم خاص من اقسام الكلم فلا تعد فى الاسماء . وهذه الظروف محدودة العدد وهى كما يلى :

للزمان : اذ — اذا — اذن — متى — ايان .

للمكان : حيث — اين — انى .

وهذه الظروف لا تقبل علامات الاسماء فهى لا تجر لفظا ولا تنون تمكينا ولا تنادى ولا تتصل بها ال ولا تكون مسندا اليه ولا مضافا اليه ومن ثم لا يمكن اعتبارها فى عداد الاسماء .

ولا يعترض معترض بأن هذه الظروف محدودة العدد ولا يستقيم لقسم من اقسام الكلام ان يكون محدود العدد كذلك فالرد على ذلك ان الضمائر محدودة العدد والحروف محدودة العدد ايضا والخوالف اقل عددا من كل اولئك . ويجمع بين هذه الظروف جميعا امور :

1 — انها جميعا مبنية لما بينها وبين الحرف من مشابهة وهذا يبعد بها عن الاسماء .

2 — انها جميعا ذوات رتبة محفوظة عبر النحاة عنها بعبارة « الاضافة الى الجملة » .

3 — ان قوة الشبه بينها وبين الحروف شجعت الاستعمال اللغوى على « نقلها » من الظرفية الى معنى الاداة فاستخدمت فى الشرط والاستفهام واحتفظت برتبة لها فى صدر الجملة .

4 — ان معنى الظرفية المفهوم من هذه الظروف هو « الظرفية الاقترانية » لا « الظرفية الاشتمالية » والمقصود بالظرفية الاقترانية ان يعبر الظرف عن اقتران حدثين نحين تقول :

يخرج زيد اذا حضر عمرو يكثر المطر متى جاء الشتاء يسقط الطير حيث يلتقط الحب رايت البشر فى وجهه اذ جاء	فالظرف فى كل ذلك يقرن الحدث الاول بالثانى .

واما ما عدا هذه الظروف مما نقل الى الظرفية وكذلك ما يدل على معنى الظرفية من حروف الجر فظرفيته ظرفية اشتمال نحو : جاء زيد يوم الجمعة ورايته فى المسجد الخ . ولعل هذا الفارق فى المعنى بين الظروف الاصلية والمنقولة واضح الدلالة على صواب ما اذهب اليه من افرادها بقسم خاص . والملاحظ ان معنى « الظرفية الاقترانية » يبقى لهذه الظروف عند نقلها الى الشرط وتحل محله « الظرفية الاشتمالية » عند نقلها الى الاستفهام . والذى اراه انها عند نقلها الى احد هذين المعنيين تصير ادوات لا ظروفا .

الاداة : تنقسم الاداة الى قسمين : اصلية ومنقولة. وهذه المنقولة قد تكون منقولة من الاسمية او الفعلية او الظرفية كما اشرنا منذ قليل . وتشترك الادوات بقسميها فى امر هام هو انه لا يقصد بها فى الاساس معنى معجمى اى انها كما يقول النحاة لا تدل على معنى فى نفسها كما يدل الاسم والفعل ولكنها تدل على معنى وظيفى هو معنى « الربط السياقى » الذى سنتكلم عنه فى معرض شرح القرائن ولما كان هذا الربط من المعانى التى تؤدى بالحرف راينا الادوات الاصلية من الحروف . وللادوات مميزات من حيث المعنى والمبنى تميزها عن بقية اقسام الكلم كما يأتى :

1 — الاداة ذات رتبة محددة فحرف الجر قبل المجرور وحرف العطف قبل المعطوف وحرف القسم قبل المقسم به ولادوات الشرط والاستفهام الصدارة والصدارة رتبة النواسخ ايضا وهى ادوات منقولة فى بعض الحالات .

2 — الاداة ذات افتقار الى ضميمة لان معناها لا يستقل فى الفهم الا بما يضامها وهذا طابع من طوابعها لا يتخلف .

3 — من الاداة ما ينفصل فى الكتابة وما يتصل شأنها فى ذلك شأن ضمائر الاشخاص ولعل الفيصل فى ذلك هو عدد حروفها فى الكتابة . والفرق بين الاداة المتصلة وبين لواصق الصرفية ان الكلمة اذا استبعدت منها اللاصقة الصرفية ذهب معناها اما اذا استبعد منها الحرف (الاداة) الذى اتصل بها فان معناها يظل لها ويتضح ذلك حين نفصل الحرف الاول عن بقية الرسم الاملائى من كلمتى :

تقوم و بمحمد

4 — الادوات فى حقل النحو روابط اما بين كلمة واخرى كالمعطوف والمعطوف عليه واما بين كافة اجزاء الجملة كما فى الشرط وبهذا تكون الاداة احدى قرائن التعليق النحوى .

لقد اشرت منذ قليل الى ان النواسخ ادوات ولقد قصدت بذلك ان واخواتها باعتبارها ادوات اصيلة كما قصدت كان واخواتها نواسخ المقاربة والشروع الخ باعتبارها ادوات منقولة عن الفعلية وهذه النواسخ المنقولة ربما كانت بحاجة الى فضل ايضاح نسوقه فيما يلى :

1 — لقد ذكرنا من قبل ان الظروف حين تنقل الى الاستفهام تفقد معنى « الظرفية الاقترانية » لتدل على « الظرفية الاشتمالية » ويشبه ذلك ان النواسخ المنقولة عن الفعلية حين تنقل الى معنى النسخ تفقد الدلالة على الحدث ولا يبقى لها من معنى الفعل الا الدلالة على الزمن وهذا هو المقصود بأنها ناقصة . بل ان «ليس» من بين هذه الادوات تتمحض للنفى ولا يتضح فيها حتى معنى الزمن .

2 — لا يوجد معنى الاسناد بين هذه الادوات ومرفوعاتها ولكن هذا المعنى واضح بين المرفوع والمنصوب بعدها ولو كانت افعالا لوقعت موقع المسند.

3 — لا توصف هذه الادوات بتعد او لزوم ولو كانت افعالا لوصفت علاقتها بالخبر المنصوب بعدها بأحد هذين الوصفين .

4 — بعض هذه الادوات كليس وعسى واخلولق وافعال الشروع اما غير متصرفة تماما واما ناقصة التصرف مما يباعد بينها وبين الافعال التامة فينفى عنها صفة الفعلية .

5 — تختص هذه النواسخ بالدخول على الافعال فتعتبر قرائن وتدل على خصوص زمن الفعل الذى دخلت عليه وبهذا تكون تعبيرات عن الجهة (aspect)

هذه الفروق بين النواسخ المنقولة عن الفعلية وبين الافعال التامة تكشف عن وجه الصواب فى اعتبار هذه النواسخ ادوات .

تلك كانت مبانى التقسيم وقد رأينا ان الكلم سبعة اقسام هى :

الاسم — الصفة — الفعل — الخالفة — الضمير — الظرف — الاداة .

ونحب ان نلاحظ هنا ان الاقسام الثلاثة الاولى ذات طابع اشتقاقى يسمح لكل مبنى منها ان تتعدد تحته الصيغ الصرفية وتتنوع بين القياس والسماع وان مبانى الاقسام الاربعة الاخرى لا تخضع لهذا الطابع الاشتقاقى ولا تتعدد الصيغ تحت اى منها وانما يقع تحت كل منها وحدات معينة يمكن عدها واحصاؤها وتعتبر كل وحدة منها صالحة للاستعمال بحسب الاصالة وللاستعمال بحسب النقل . والمثال الذى اسوقه لذلك هو « ما » باعتبارها وحدة من هذه الوحدات او بعبارة اخرى باعتبارها فى صورتها العامة « مبنى » صرفيا تتعدد معانيه بحسب الاستعمالات التى يصلح لها كما يلى :

الموصولية — النفى — الاستفهام — الشرط — المصدرية الظرفية — النكرة التامة وغير التامة — الزيادة الخ .

فكلمة « ما » هنا مبنى صرفى عام تتعدد معانيه

وتظل احتمالية طالما بقى هذا المبنى على صورته المفردة العامة غير واقع فى جملة . فاذا وقعت « ما » فى جملة فهى « مثال » للصورة العامة التى ذكرناها ومن شأن المثال على عكس المبنى العام ان يتمحض لمعنى محدد غير متعدد ولا محتمل - وهذا شبيه بالفرق بين المبنى « فاعل » والمثال « هذا قاتل » فان معنى « فاعل » صالح لصفة الفاعل والصفة المشبهة ومع سكون اللام لفعل الامر الخ واما المثال فهو محدد المعنى كما ترى . والصورة العامة (الصيغ والوحدات) التى سبقت فى الذكر هى التى سوف نعنيها عند الكلام عن قرينة المبنى او البنية .

واما معانى التصريف وما يدل عليها من مبان فيمكن ايجاز القول فيها كما يلى :

الملاحظ ان المعانى الصرفية ليست مقصورة على معانى التقسيم فقط (وهى الاسمية والوصفية والفعلية والافصاح والاضمار والظرفية والتأدية) وانما تشتمل على معان اخرى وظيفتها تنويع دلالة هذه الاقسام عند ورودها فى السياق النحوى فالاسم مثلا يتصور فيه ان يكون فى السياق اما معرفة واما نكرة كما يكون مذكرا او مؤنثا وينسب اليه دائما انه بمعنى الغائب (أو كما يقول النحاة انه فى قوة ضمير الغائب) ويتصرف الفعل بحسب التكلم والخطاب والغيبة والافراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث .

وترد هذه المعانى كذلك على الضمائر التى تتصرف الافعال بحسبها فتتحقق بها الفروق او القيم الخلافية بين الاستنادات المختلفة للفعل كما تتحقق المطابقة بين الكلمات فى السياق ويتحقق الربط بعود الضمير على مرجعه المطابق له كذلك .

لقد عرفنا بهذا ان معانى التصريف فى اللغة العربية تشتمل على ما يلى :

المعنى	المبنى	
1 — التكلم	المتكلم	الشخص
2 — الخطاب	المخاطب	
3 — الغيبة	الغائب	
4 — الافراد	المفرد	العدد
5 — التثنية	المثنى	
6 — الجمع	المجموع	
7 — التذكير	المذكر	النوع
8 — التأنيث	المؤنث	
9 — التعريف	المعرف	التعيين
10 — التنكير	المنكر	

هذه هى المعانى الكبرى للتصريف وهى التى يحسن لها ان توضع هى ومعانى التقسيم تحت عنوان : « المقولات اللغوية » . وهناك معان تصريفية اخرى تتصل بتفريع الاشتقاق من معانى التقسيم وتلك هى التى تسمى معانى الصيغ كالطلب والمطاوعة والصيرورة والاتخاذ والتبادل والمشاركة والتجنب والتكلف وهلم جرا . كما توجد معان اخرى لا تتصل بتعديل الاقسام ولا بتفريع اشتقاقها وانما تتصل بمعان تلحق بكل قسم على حدة كالنسب والتصغير فى الاسماء . وكالتوكيد بالنون والوقاية فى الافعال وهلم جرا وبذلك تكون معانى التصريف فى صلتها بمعانى التقسيم على النحو التالى :

ما يطرأ على معانى التقسيم

- لتفريع صيغ اشتقاق الاقسام تأتى المعانى الاشتقاقية المختلفة كالطلب والصيرورة الخ
- لتعديل صيغة بعينها تأتى معانى المطابقة العشرة التى ذكرتها من قبل والتى تعود الى الشخص والعدد والنوع والتعيين .
- لتعديل معنى كل قسم
  - تعديل فى الاسماء كالنسب والتصغير
  - تعديل فى الافعال كالتوكيد والوقاية

ويأتى تفريع الصيغ فى داخل المادة الاشتقاقية المعينة بواسطة الزوائد كالسين والتاء للطلب والتاء للافتعال والنون للمطاوعة وهلم جرا . اما تعديل صيغة بعينها من هذه الصيغ المذكورة بحيث تتم لها المطابقة فتكون بواسطة اللواصق بمعنى ان كل ما عبر عن تكلم او خطاب او تثنية الخ . فهو عنصر لاصق بالكلمة فى اولها او آخرها . يصدق ذلك على حروف المضارعة كما يصدق على ضمائر الرفع المتصلة وعلى اداتى التعريف والتأنيث .

وسنرى الفائدة الكبرى لهذا النوع من التعديل عند الكلام فى قرينتى المطابقة والربط . واما النوع الثالث من معانى التصريف وهو الذى يتم به تعديل معنى كل قسم من اقسام الكلم كالنسب والتصغير والتأكيد والوقاية الخ فقد يكون التعبير عنه بواسطة الالصاق او بواسطة الزيادة وليس له قيمة بذاته فى تحديد القرائن وانما يعين على تحديد معنى السياق وهو كبرى القرائن النحوية على ما سنرى فيما بعد .

تلك هى المعانى الصرفية فى عمومها :

المعنى الصرفى
- معنى التقسيم ← (اقسام الكلم)
- معنى التصريف
  - معنى الاشتقاق
  - معنى المطابقة
  - معنى التعديل

وسنرى ان معنى الاشتقاق مسئول عن تفريع معنى التقسيم لانه بسببه تتعدد صيغ كل قسم بحسب المعنى الاشتقاقى فتكون هناك صيغ متعددة للاسماء واخرى للصفات وثالثة للافعال وتعتبر كل صيغة من هذه بنية فرعية على المبنى العام للاسم او الصفة او الفعل تعتبر عند الاعراب قرينة لفظية تسمى «قرينة البنية» كما ان معنى المطابقة يعبر عنه بلواصق تدل عليه وتترابط بها اجزاء السياق وسنرى بعد قليل ان هذه اللواصق هى القرينة اللفظية على المطابقة وتسمى « قرينة المطابقة » كما تدل على ترابط الاجزاء فتعين على فهم « قرينة الربط » .

عند هذه النقطة يجدر بنا ان نتوقف قليلا لنفكر فى مدلول اصطلاح جرى استعماله فيما سبق وهو اصطلاح « المبنى » . وقد ييسر فهمنا لهذا الاصطلاح ان نتأمل العبارات الآتية :

1 — ان اقسام الكلم كالاسم والصفة والفعل الخ. مبان تعبر عن معان صرفية عامة هى الاسمية والوصفية والفعلية الخ .

2 — ان المتكلم والمخاطب والمثنى والمؤنث والمعرف الخ . مبان تعبر عن معان صرفية عامة هى التكلم والخطاب والتثنية والتأنيث والتعريف الخ .

3 — ان ياء النسبة مبنى يعبر عن معنى النسب ونون التوكيد مبنى يدل على معنى التوكيد الخ .

وهكذا تقف المبانى بازاء ما يتضح بها من المعانى ولكنها هى نفسها تحتاج الى ان تتحقق بالمثال او العلامة . اى ان المبنى عنوان عام لا ينطق وانما يتحقق فى النطق بواسطة امثلته المتعددة فالذى ننطقه مثلا ليس هو الاسم باعتباره عنوانا شاملا وانما ننطق محمدا وقياما ويوما وخمسة وكل من هذه الامثلة تحقيق نطقى لمبنى صرفى عام هو الاسم . وهكذا نجد المعنى والمبنى والمثال فى علاقة متينة على النحو التالى :

المعنى	المبنى	المثال
الاسمية	الاسم	محمد
الطلب	استفعل	استخرج
المطاوعة	انفعل	انكسر

وحين قال ابن مالك :

وتاء تأنيث تلى الماضى اذا
كان لانثى كأبت هند الاذى

وضع هذه العلاقة على النحو التالى :

التأنيث	التاء	أ ب (ت)

وحين قــال :

فعل قيــاس مصــدر المعــدى
مــن ذى ثــلاثــة كــرد ردا

وضع هذه العلاقة كما يلى :

مصدر الثلاثى المتعــدى	فعــل	رد

فوضوح فكرة المبنى يتوقف هنا على ادراك الفرق بين عموم المبنى وخصوص المثال اذ المثال فرد مــن نوع هو المبنى . وحين يعبر عن المعنى بلاصقة او حرف زائد تجرى تسمية المبنى على طريق الاضافة فيكــون المبنى مضافا والمعنى مضافا اليه فيقال مثــلا نــون التوكيد وتاء التأنيث والف الاثنين ونون الوقاية وهلم جرا . حيث نرى النون والتاء والالف وهــى المبــانى ويكون التوكيد والتأنيث والاثنين والوقاية هى المعانى. اما فى الحالات الاخرى فالمبنى فى المتصرف هو الصيغة الصرفية وفى الجامد هو الصورة العامة كمــا سبــق شرحه ويجتمعان معا تحت اصطلاح « البنية » ولقــد جرى العرف عند تعريف الباب النحــوى كالفاعــل والمبتدأ الخ . ان يبدأ التعريف باللفظ الدال على المبنى اتكالا على أن عنوان الباب النحوى هو المعنى فيقال مثلا فى تعريف الفاعل : « الاسم المرفوع الذى تقدمه فعل مبنى للمعلوم ودل على من فعل الفعل او قــام به الفعل » . فقد بدأ التعريف بمبنى وتم تقييد هذا المبنى بمبان اخرى حتى وصلنا فى النهاية الى تحديد امر من امور المعنى فراينا التعريف يقول : « ودل على من فعل الفعل او قام به الفعل » ولعل هذا يوضح ان البنية قرينة هامة للدلالة على الباب النحوى ما دام الباب النحوى قد اصبح محددا بواسطتها .

اعتقد اننا بعد ان راينا كلاما مفصلا فى عنصرين من الثلاثة العناصر التى يتكون منها النظام الصرفى هما : المعنى الصرفى والمبنى الصرفى ينبغى لنا ان نلقى نظرة على ثالث هذه العناصر وهو القيمة الخلافية . ومــا دامت المبانى الصرفية تعبر عن معان هى فى عمومها ابواب صرفية او نحوية فلا بد ان يكون امن اللبس من الغايات الكبرى التى تحــرص عليهــا اللغــة فى صياغتها للمبانى الصرفية . ولا بد لضمان امن اللبس على المستوى الصرفى ان تقوم القيــم الخلافيــة بدور التفريق بين المبنى والمبنى ليكون هنــاك فــارق بين المعنى والمعنى . فالفرق بين « فعل » و « فاعل » مثلا ياتى عن قيمة خلافية (او فرق) هى المقابلة بين امرين هما قصر الحركة وطول الالف وما دامت هذه المقابلة قد اعانت على اختلاف معنى احدى الكلمتين عن الاخرى فان هذا الارتباط بالمعنى يخرج المقابلة عن مجرد ان تكون فارقا ثانويا الى ان تصبح « قيمة خلافية » . ومثل ذلك يقال عن الافراد والتشديد الذى يفرق بين المعنى المفهوم من « فعل » والمعنى المفهوم من « فعل » وعن التجرد والزيادة فى التفريــق بين معنــى « فعــل » و « استفعل » وهلم جرا .

فنحن نرى ان القيم الخلافية كمــا كــانت عصب النظام الصوتى تبدو كذلك بالنسبة للنظــام الصرفى وستبدو كذلك ايضا بالنسبة للنظام النحوى لان فهم النص اللغوى وتحليل مكوناته وتقسيمها وتبويبها انما يقوم على ادراك جهات الاختلاف بين المعنى والمعنى وكذلك بين المبنى والمبنى ولا يمكن للمعنى ان يختلف عن المعنى الا اذا اختلف المبنى الدال عليه عن المبنــى الدال على الآخر . ولو انتفت القيم الخلافية فى المعانى والمبانى ما استطعنا التقسيم ولا التبويب ولا وصلنــا الى امــن اللبس .

ولكن قد يحدث احيانا ان تتشابــه صيغتــان فى النظام مع اختلاف معناهما فلا نجد فارقا بينهما فى حال عزلهما عن تحليل السياق كما فى صيغة « فاعــل » فعل امر من « فاعل » وصيغة « فاعل » صفة فاعل من « فعل » او صفة مشبهة من « فعل » وكالذى نراه ايضا فى تشابه صيغة « فعل » مصدرا للثلاثى المتعدى وصيغة « فعل » صفة مشبهة . هنــا نجــد ان القيم الخلافية ليست واضحة فى التفريق بين المعنى والمعنى فى الصيغتين المعزولتين . ومن ثم يمدنا نظام الصرف بالوســائل التى نستطيع بها الكشف عــن هــذه القيم الخلافية التى اختبأت وراء مظهر الصيغتين وتتمثــل هذه الوسائل فى مقارنة الصيغتين فى البنية الجدولية لكــل منهمــا وهــو مــا يطلــق عليــه المحدثــون Morphological scatter . فممــا يعين على التفرقة فى حدود نظام الصرف بين «فاعل» فعل امر من «فاعل» و «فاعل» اسم فاعل من «فعل» ان الصيغة الاولى لا تقبل التعريف على حين يقبله مثال الصيغة الثانية. ومما يعين على التفريق بين « فعل » مصدرا و «فعل» صفة مشبهة ان الصيغة الاولى لا تقبل التثنية والجمع

وتقبلهما الثانية . ومثل هذا التشابه قد يتخطى الصيغة الى مثالها فلا يكون الصرف هو الفيصل حينئذ وانما يكون السياق فمثال صيغة « فعل » هو كلمة « عدل » ولو نظرنا الى هذه الكلمة مفردة ما استطعنا القطع بمصدريتها او وصفيتها فحينئذ لا نملك الا ان نتوقف فى دعوى اى منهما للكلمة حتى نراها فى السياق على احدى الصورتين الآتيتين مثلا :

1 — العدل اساس الملك .

2 — هو الحكم العدل اللطيف الخبير .

عندئذ يتضح لنا ان « العدل » فى المثال الاول مصدر وفى الثانى صفة مشبهة وهذا مثل من الامثلة التى يتجلى فيها السياق فى صورة كبرى القرائن .

* *

النظام النحوى والقرائن النحوية :

ان النظام النحوى للغة العربية ينبنى على الاسس الآتيــة :

1 — المعانى النحوية سواء ما تعلق منها بالجمل كالاثبات والنفى والتأكيد والاستفهام والامر والنهـى والتمنى والترجـى والعـرض والتحضيض والشرط والقسم والنداء الخ . وما يتعلق بالمفـردات كالمبتـدأ والخبر والفاعل ونائب الفعل والمفعـولات والحـال والتمييـز الخ .

2 — القرائن الدالة على هذه المعانى سواء ما كان من هذه القرائن معنويا كالاسناد والتعدية والغائية والظرفية الخ . وما كان لفظيا كالبنية الصرفية والعلامة الاعرابية والمطابقة الخ . وهى امور مستمـدة مـن النظامين الصوتى والصرفى .

3 — القيم الخلافية التى تفـرق بين بعض هـذه المعانى وبعضها والتى تجعل ادراك القرائن المعنوية امرا ممكنا والتى تفرق كذلك بين قرينة لفظية واخرى فيؤمن اللبـس .

4 — دلالات السياق النحوى على اعتبـار هـذا السياق اكبر القرائن النحوية من حيث انه يشتمل على جميع القرائن المعنوية واللفظية وكذلك قرينة المقام .

ويستفيد النحو من نتائج نظامى الاصوات والصرف فيأخذ الحركات والمد والاعلال والابدال والادغام والنقل والقلب والحذف الخ من نتائج دراسة النظام الصوتى كما يأخذ معانى التقسيم ومعانى التصريف وما يعبر عن ذلك من المبانى من نتائج دراسة النظام الصرفى فنرى الكلام فى شرح الباب النحوى يشتمل على ذكر الاسم والصفة والفعل والضمير الخ كما يشتمل على ذكر التكلم والخطاب والغيبـة والافـراد والتثنيـة والجمع والتذكير والتأنيث والتعريف والتنكير وغير ذلك مما سبق شرحه فى نظام الصرف . ومعنى ذلك انه لا يمكن لدراسة النحو ان تتم بدون معونـة النظـامين الصوتى والصرفى لان معطيات هذين النظامين هى التى تقدم للنحو ما يعرف باسم القرائن اللفظية ولا قرائن لفظية للنحو الا ما يمده به الاصوات والصرف . ولعل هذا هو السبب فى تشابك هـذه الدراسات فى كتب التراث فلو امسكنا بالفية ابن مالك او غيرها من كتب القواعد وحاولنا ان نعزل منها ما كان نحويا مما كان صرفيا او صوتيا لتعذر علينا ذلك اذ ان كل باب مـن ابوابها يتعرض لمعلومات مختلطة من هذه الفـروع الثـلاثـة :

والغاية التى تسعى اليها دراسة النحو هى ان تنظر فى العلاقاتلتفهم بها النص ولا يمكن النظر اليها الا من خلالالقرائن بنوعيها المعنوىواللفظى ولقد تعودنا عند التصدى للاعراب ان نجد من السهل نسبيا على المعرب انيكشفعن دلالة القرائن اللفظيةفهو لا يمكن مثلا ان يخطىء فهم قرينة البنية الصرفية فيعرب الفعل المضارع مفعولا به لان المفعول به لا يكونُ الا اسما ولا قرينة العلامة الاعرابية فيعرب الاسم المنصوب فاعلا لان الفاعل مرفوع ولا يتجاهل قرينة المطابقة فيعرب البدل نعتا وليس بينه وبين متبوعه مطابقة وهلم جرا . ولكن الذى يجده المعرب صعبا (نسبيا ايضا) هو ادراك القرائن المعنوية حين يتوقف المعنى على ادراكها فى وقت لا يجد فيه المعرب من القرائن اللفظية ما يعينه على تحديد المعنى ومن امثلة ذلك ان يتردد المعرب فى فهم قرينة المعية او قرينة التبعية (وهمـا مـن القرائن المعنوية) فى نحو قولك « رأيت زيدا وطلوع الشمس) وقد تعود المعربون فى مثل هذا الوضع ان يعودوا الى القرينة الكبرى وهى السياق ليستعينوا بها على تحديد المعنى وسبيلهم الى ذلك ان يتكلموا عن « قصد المتكلم » وكان الاجدر بهم ان يتكلموا عن

« مقام النص » وهو الظروف المركبة التى تم فيهـا التكلم لان « المقام » يمكن استعادته بالذاكرة ولكن قصد المتكلم قد لا يكون الوصول اليه ممكنا .

والمعانى الصوتية والصرفية والنحوية جميعا تقع تحت عنوان « المعنى الوظيفى » لان هـذه المعـانى جميعا وظائف لما ذكرنا من المبانى التحليلية . ومعنى ذلك ان كل معنى تحليلى لا يمكن ان يكون الا معنى وظيفيا اى لا يمكن ان يكون معجميا يلتمس فى القاموس المحيط مثـلا ولا دلاليا يتطلب فى دراسات الدلالـة Semantics والاعراب هو التصدى للمعانى الوظيفية المذكورة حيث يكشف المعربون عنها بواسطة القرائن الدالة على هذه المعانى الوظيفية ولا يدخـل المعنـى المعجمى ولا الدلالى فى الاعراب الا فى حـالات نادرة تكون القرائن فيها محتملة اكثر من وجه ، ويسمى هذا اللجوء الى المعنى المعجمى او الدلالى فى هذه الحالة استعمالا لقرينة السياق (كبرى القرائن) . وليس معنى هذا ان قرينة السياق متصـورة على المعنيين المعجمى والدلالى فقط وانما تشمل المعنى الوظيفـى كذلك فيكون السياق بأصواته وصرفه ونحوه ومعجمه ودلالته هو القرينة الكبرى .

والذى يفهم بالضرورة من هذا الكلام اننا لو ابحنا لانفسنا ان نتلاعب قليلا بالسياق فنجرده من المعانـى المعجمية للمفردات والمعانى الدلالية للجمل بأن نسوق نصا هرائيا لا تدل كلماته على معنى ولا يدل النص فى جملته على معنى كذلك ثم نحافظ على الرغم من ذلك على القرائن النحوية فى هذا النص الهرائى الذى لا معنى له فاننا سنستطيع بمنتهى السهولة ان نعرب هذا النص بسبب وضوح القرائن . وهاك مثالا لذلك :

شقـا الكلـد صـاقفـة الرحيـس بمشقـاتـه

شقا فعل ماض :

لانـه جـاء على بنيـة المـاضى الثلاثـى المجـرد (بنيـة) .

ولان جميع حروفه من الحروف العربية فمثلا ليس بـهp ولا V ولانه مبنى على الفتح حسب ما يطلبه الاستعمال (بنيـة) .

ولان له فاعلا (تضام) .

ولان هـذا الفـاعـل مذكـر جـاء الفعـل مسنـدا الى المذكـر (مطابقة) .

ولان هذا الفاعل جاء بعده فى الرتبة (رتبة)

الكـلـد :

فاعل : لانه اسم وانه عربى الحروف (بنية)

ولانه مرفوع (علامة اعرابية)

ولانه تقدمه فعل (رتبـة)

ولان هذا الفعل مبنى للمعلوم (بنيـة)

ولان علاقة الاسناد واضحة بين الكلمتين (اسنـاد)

ولان الفعل مسند للمذكر (مطابقة)

صاقفة مفعول بـه :

لانه اسم وانه عربى الحروف (بنيـة)

ولانه منصوب (علامة اعرابية)

ولان علاقة التعدية واضحة بينه وبين الفعل لعدم احتمال علاقـة اخـرى (تعديـة)

الرحيس مضاف اليه :

لانه اسم (بنيـة)

ولانه مجرور (علامة اعرابية)

ولانهتقدمه اسم غيرمقترن بأل (تضام ورتبة)

ولان علاقـة النسبة واضحـة بين الاسمين (نسبـة)

بـمـشـقـاتـه :

جار ومجرور : البـاء حـرف جـر ومشتاة مجرور (بنيـة)

لانه اسم مؤنث مضاف (والتأنيث والاضافة من علامات الاسماء) (بنيـة)

سبقه حرف جر (وهو من علامات الاسمـاء ايضا) (تضـام)

لان معنى الباء الواسطة (نسبـة)

ولان الاسم الذى بعدها اسم آلة تم الحدث بواسطتها (بنيـة)

ولان الاسم آخره كسرة (علامة اعرابية)

وهكذا يتضح مما سبق ان الاعراب تحليل للوظائف فى السياق وليس تحليلا لمعانى المفردات ولا لدلالة الجملة . ولعل هذا يلقى ضوءا جديدا على العبارة الشهيرة المنقولة عن النحاة والتى تقول : «الاعراب فرع المعنى » . فأى معنى يريدونه ؟ اهو المعنى الوظيفى ؟ ام المعجمى ؟ ام الدلالى ؟ ولماذا لم يوضحوا ؟ وهذا الذى قلته بالنسبة لتحليل العلائق فى السياق يبين الى اى حد يتوقف نظام النحو كما اشرت من قبل على مفاهيم نظامى الاصوات والصرف كما يبين الى اى حد تتشابك النظم الثلاثة وتتضافر بحيث لا يمكن من الناحية العملية ان نفصل احدها عن الآخر فى النص ولا نفصل بينها الا لاغراض التحليل النظرى فقط . وهذا هو المعنى الذى قصدت اليه حين عقدت شبها بين تكوين اللغة وتكوين الجسم الانسانى .

واذا كان النحو هو تحليل العلاقات فما اجدر النحو باسم «التعليق» وان اذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية فى تاريخ التراث العربى هى ما ذهب اليه العلامة عبد القاهر الجرجانى فى دلائل الاعجاز تحت عنوان : « النظم » اذ جاء بمصطلحات اربعة هى :

النظم — البناء — الترتيب — التعليق

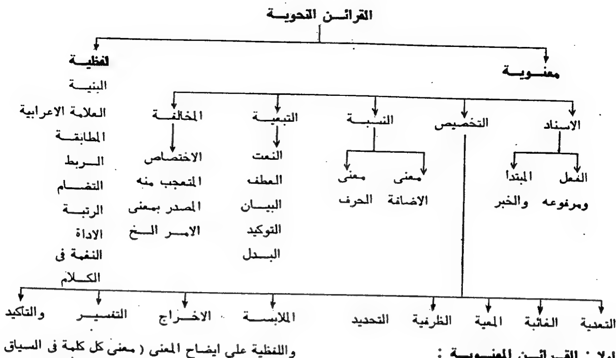
فأما النظم فقد جعله للمعانى اى ان النظم هو تصور العلاقات بين الابواب فى الذهن كتصور علاقة الاسناد التى بين المسند والمسند اليه فى الجملة عند الكلام وتصور علاقة التعدية بين الفعل المتعدى والمفعول به وتصور علاقة المعية بين الحدث والمفعول معه الخ . واما البناء فقد فهمت من كلام عبد القاهر انه يجعله للمبانى بحسب المعانى كأن يتطلب معنى الفاعلية اسما مرفوعا فى بعض المواقع وضميرا متصلا فى البعض الآخر . فالبناء كما افهمه عنه هو تحديد المبانى التى يستمدها النحو من نظام الصرف ليبنى بها جملة بعينها . وهذا التحديد ذهنى ايضا . واما الترتيب فهو تحقيق هذه المبانى الذهنية فى صورة كلمات مرتبة فى الكلام بحسب العرف الاستعمالى .

ولكن اخطر ما ورد على فكر عبد القاهر فى هذا الباب هو الاصطلاح الرابع : « التعليق » وقد قصد بهذا الاصطلاح — فى زعمى — ما يقوم به المتكلم من انشاء العلاقات بين اجزاء الجملة لكن بحسب الطرق العرفية للاستعمال تقديما او تأخيرا وذكرا او حذفا واظهارا او اضمارا وفصلا او وصلا واخبارا او انشاءآ وعطفا او معية واختيارا لجملة اسمية او فعلية وهلم جرا هذا فهمى لما يقصده عبد القاهر بالتعليق ولكن عبد القاهر لم يفصل القول فيه بأكثر من عبارات عامة كقوله فى الكلمات التى فى السياق انها «يأخذ بعضها بحجز بعض » وكقوله فى صفحة 65 من كتابه دلائل الاعجاز : « هذا هو السبيل . فلست بواجد شيئا يرجع صوابه ان كان صوابا او خطؤه ان كان خطأ الى النظم ويدخل تحت هذا الاسم الا وهو من معانى النحو قد اصيب به موضعه ووضع فى حقه او عومل بخلاف هذه المعاملة واستعمل فى غير ما ينبغى له . فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم او فساده او وصف بمزية او فضل فيه الا وانت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل الى معانى النحو واحكامه ووجدته يدخل فى اصل من اصوله ويتصل بباب من ابوابه » .

وفى رأيى — كما كان فى رأى عبد القاهر على احتمال — ان التعليق هو الفكرة المركزية فى النحو العربى وان ادراك العلاقات وما يدل عليها من القرائن مغن تمام الاغناء عن القول بالعامل النحوى وهو قول يتعرض للنقد من جميع الجهات لان التعليق يفسر العلاقات بين الابواب على صورة اوفى وافضل واكثر نفعا فى التحليل اللغوى لهذه المعانى النحوية الوظيفية . وهكذا نرى التعليق هو النحو فى جملته لان النحو هو مجموعة العلاقات السياقية .

والتحليل النحوى هو الكشف بالقرائن عن هذه العلاقات .

وفيما يلى تخطيط للقرائن النحوية بأنواعها :



اولا : القرائن المعنوية :

ستتناول هذه القرائن النحوية بنوعيها بالدراسة فى الصفحات التالية محاولين ان نرى بوضوح تام كيف ينبغى لهذه القرائن ان تغنى عن القول بالعامل فى التحليل النحوى كما نرى ان معظم ما سبب الخلاف بين النحاة العرب وتضخمت به كتب النحو من جدل يمكن الاستغناء عنه بايضاح غاية فى البساطة .

1 ـ قرينة الاسناد :

ان العلاقة التى تقوم بين المسند اليه والمسند فى لغتنا العربية علاقة معنوية يسهل ادراكها دون الاستعانة بلفظ مساعد Copula فاذا ادركها السامع فهم ما يسمع بواسطتها واذا فهمها المعرب كان فهمه لها قرينة على تحليل الجملة . ولقد حاول بعض الباحثين ان يصور عدم حاجة الاسناد فى اللغة العربية الى لفظ مساعد فى صورة ميزة للغة العربية على اللغات الاخرى من حيث ياتى الاسناد ملموحا فى العربية مفتقرا الى لفظ خاص فى غيرها من اللغات وزعم ان ذلك من عبقرية اللغة ولماحية اصحابها ولكننا سنرى بعد قليل ان المعنى فى السياق لا يمكن ان يتكل على قرينة واحدة بل لا بد من ان تتضافر القرائن المعنوية واللفظية على ايضاح المعنى (معنى كل كلمة فى السياق على حدة) وقد مر بنا عند اعراب الجملة الهرائية ما يتضح به ان الفعل الماضى قد اتضح معناه بست من القرائن وان الفاعل قد استبان بست منها كذلك كما انكشف معنى المفعولية بثلاث ومعنى المضاف اليه بأربع الخ وكان من الواضح ان قرينة الاسناد لم تنكشف بذاتها غير معانة وانما اعانت قرائن لفظية اخرى على الكشف عنها لا تقل خطرا فى ايضاح المعنى عن اللفظ المساعد . ومثل ذلك يقال فى الجملة الاسمية نحو « زيد قائم » ، اذ يستطيع السامع والمعرب على السواء ان يزعم بأن علاقة الاسناد هنا تربط بين الكلمتين مما يدل على ان احداهما مبتدا والثانية خبر ولكن كيف يصل المرء الى هذا الفهم لعلاقة الاسناد دون ان تعينه على ذلك قرائن اخرى ؟ ان هذا شديد التعذر . واذن ما هى القرائن الاخرى التى تتضافر مع قرينة الاسناد وتعين على فهمها ؟ نستطيع ان نرى الجواب فيما يلى:

الكلمة : زيد قائم

اعرابها

القرائن الدالة على الاعراب

زيد ـ مبتدا : لانه اسم (بنية)

ولانه مرفوع (علامة اعرابية)
ولانه اول الاسمين
(رتبة وان لم تكن محفوظة) .
تكن محفوظة) .
ولانه مخبر عنه (اسناد)

قائم ــ خبر :

لانه وصف مطابق (بنية ومطابقة)
ولانه مرفوع (علامة اعرابية)
ولانه يصف المبتدا فى المعنى
فيخبر عنه (اسناد)
ولانه بعد المبتدا (رتبة غير محفوظة)

ومعنى ذلك ان البنية والعلامة الاعرابية والرتبة والمطابقة قامت فى هذه الجملة العربية بالنسبة لبيان الاسناد مقام ما يسمى Copula فى اللغات الاجنبية وبنفس الكفاءة والوضوح حتى ساغ لنا ان نعتبر الاسناد نفسه احدى القرائن المعنوية وهذا التعاون بين القرائن المعنوية واللفظية هو الذى سيكون فيما بعد محور المناقشة فى اغناء القرائن عن القول بالعامل وسنعرض لذلك ايضا تحت عنوان « تضافر القرائن ».

قرائن التخصيص :

التخصيص علاقة نحوية عامة تربط بين المعنى الاسنادى المستفاد من المسند وبين طائفة من المنصوبات تشتمل على المفعولات الخمسة والحال والمستثنى والتمييز . ذلك بأن كل واحد من هذه المنصوبات هو فى المعنى تخصيص لعموم معنى الاسناد الذى فى الجملة وتضييق له. مثال ذلك اننا اذا قلنا : « يصلى الناس » فقد اسندنا الصلاة الى الناس على اعم وجه واوسعه حتى ليصلح المعنى لجميع الصلوات وجميع اعداد الركعات ولجميع الغايات التى منها اداء الفرض والتطوع بالفعل واداء العيدين والجنازة وجميع الظروف والملابسات الخ . ولكننا اذا قلنا : « يصلى الناس ركعتين » فقد اخرجنا من الاحتمالات الممكنة من جميع الصلوات ما لم يكن من هذه الصلوات على ركعتين كالظهر والعصر والمغرب والعشاء والوتر . وهكذا نرى المفعول به يصبح قيدا فى عموم دلالة اسناد الصلاة الى الناس وتخصيصا لهذه الدلالة . فاذا قلنا : « يصلى الناس ركعتين تحية للمسجد » فقد اخرجنا من عموم دلالة الاسناد كل غاية محتملة الا ان تكون هاتان الركعتان لتحية المسجد وبهذا يكون المفعول لاجله قيدا فى عموم دلالة الاسناد وتخصيصا له كذلك . واذا قلنا : « يصلى الناس ركعتين ودخول المسجد » فان المفعول معه هنا قيد كذلك فى عموم دلالة الاسناد اذ ان الناس يمكن ان يصلوا الركعتين مع عدد لا يحصى من الامور المصاحبة كالخروج من المسجد وركوب البحر وطلوع الفجر وانتهاء صلاة العشاء الخ . واذا قلنا : « يصلى الناس ركعتين صبيحة كل يوم » فقد اخرجنا من دلالة الاسناد كل وقت غير الصبح ومن ثم يصبح معنى الاسناد مخصصا بالمفعول فيه . واذا قلنا يصلى الناس ركعتين صلاة خاشعة او قلنا : يصلى الناس ركعتين خاشعين او قلنا : « يصلى الناس ركعتين الا العاصين » او قلنا « يصلى الناس ركعتين فرضا » فان من الواضح ان المفعول المطلق والحال والمستثنى والتمييز لم يكن كلها الا لتخصيص اسناد الصلاة الى الناس . وبهذا المعنى تصبح هذه الابواب النحوية جهات فى فهم الاسناد او بالاحرى فى فهم معنى « الحدث » المفهوم من الاسناد يمكن ان توضح تحت العنوان العام « الجهة » .

وتقف جنبا الى جنب مع الجهات الاخرى المخصصة لمعنى الزمن كالاتصال والانقطاع والدوام والثبوت والتجدد الخ . كما يتضح من الشكل التالى :

الاسناد
حدث الاسناد ← تخصصه المنصوبات
زمن اسناده ← تخصصه اعتبارات اخرى كالتى ذكرتها منذ قليل .

وقد راينا منذ قليل ان مخصصات الحدث ومخصصات الزمن هما على حد سواء من قبيل « الجهة » ولكن مجال تطبيق ما تعلق بالحدث من المخصصات هو القرائن المعنوية الدالة على المنصوبات المذكورة على حين نجد مجال تطبيق مخصصات الزمن هو دراسة « الزمن النحوى » الذى يتشعب بحسب هذه الجهات، ودراسة الفرق بينه وبين الزمن الصرفى الذى هو معنى الصيغة وقد سبق ان شرحناه .

وفيما يلى بيان قرائن التخصيص كل على حدة :

أ ــ **التعدية** : وهى قرينة معنوية اذا اتضحت كـان فى استطاعة السامع والمعرب ان يدركا معنى المفعـول به . ذلك بأن التعدية فى حقيقتها علاقة قائمة بين معنى الحدث الذى فى جملة الاسناد وبين المنصوب المعين الذى نسميه المفعول به ولقد حـرص النحـاة على ان يلخصوا هذه العلاقة بواسطة وصف هـذا المنصوب بأنه « وقع عليه الفعل » ولكن التعدية علاقة نحويـة وليست وصفا لعمل وقع . بل ان النحاة انفسهم ربما جرهم الى وصف علاقة التعدية على هـذه الصورة عامل النصب فى المفعول به فمن المنطقى ايضا انيكون عاملا النصب فى المفعول به فمن المنطقى ايضا ان يكون الحدث الذى فى الفعل واقعا على المفعول به . ويشهد بعدم دقة النحاة فى هذا الوصف ان النائب عن الفاعل يمكن ان يوصف به كذلك والفارق النحوى بينه وبيـن المفعول به واضح فى الاسناد وعدمه وفى الرفع والنصب وفى المطابقة وعدمها وفى حفظ الرتبة وعدمه الخ .

وربما جادل البعض فى اعتبار التعدية علاقة نحوية ومن ثم قرينة معنوية بأن ارتباط التعدى بصيغ بعينها واللزوم بصيغ بعينها كذلك ربما دعـا الى التفكير بأن التعدىواللزوم من المعانىالصرفية التى تفهم منالصيغة لا من المعانى النحوية التى تفهم من الجملـة اى ان صيغة « فاعل » الدالة على المشاركة مثلامتعدية ولكن صيغة «فاعل» الدلالة على المشاركة مثلا متعدية ولكن توقف أمر التعدى واللزوم على التركيب النحوى مـا اتضح الامر فى الصيغة بله المثال المفرد كقاتل وتقاتل. وهذا القول يحمل جرثومة مـن الحقيقـة دون شك ويتوقف الامر فى النهاية على وجهة النظر التى تنظر بها الى التعدى واللزوم فاذا اردت ان تعالـج ذلك على بساط الصرف فالتعدى واللزوم من معانى الصيغة واذا اردت أن تعالج المسألة على مستوى النحو فالتعدى او التعدية قرينة على المفعول به .

هذا والدليل على ان التعدية قرينة معنويـة على المفعول به-ان-المنصوب بعد الفعلاللازم لا يعرب-مفعولا به لعدم القرينة وانما درج النحاة على اعرابه منصوبا بنزع الخافض نحو وقف القوم عامة وجلس خيـارهم خاصة . ومن الافعال ما تقوم به هذه القرينـة حينا وتتخلف عنه حينا آخر نحو شكرته وشكرت له وعرفته وعرفت به وبكيته وبكيت عليه ورثيته ورثيت له الخ. والفرق بين التعدى واللزوم فى هذه الامثلة ليس أمرا ذهنيا منطقيا ولكنه علاقة عرفية لغوية جذورهـا فى الصرف وتطبيقها فى النحو وما يصطنعه مـن انمـاط الاستعمـال .

على ان قرينة التعدية تجد معونة من قرينة العلامة الاعرابية (النصب) وقرينة الرتبة غير المحفوظة حينا والمحفوظة حينا آخر اذ قد يتقدم المفعول او يتأخـر سواء عن الفعل او عن الفاعل بل قد تكون الرتبة بين المفعولين اذا تعددوا ويقول النحاة هنا ان التقديم انما يكون لما هو فاعل فى المعنى وهذا تعبير غامض عـن احتمال قرينة الاسناد فيه على وجه ما .

ب ــ **الغائيـة** : لقد عدلت عن تسمية هذه القرينة قرينة السببية الى تسميتا « الغائية » لان هذه القرينة كما يبدو من تطبيقها فى النحو اعم من أن تكون سببية فقط . ذلك بأن هناك من اقسامها ما يأتى :

غائية السبب : (المفعول لاجله والمضارع بعـد اللام وكى والفاء وحتى) .

غائية الزمان : (المضارع بعد لن واذن وحتى واو)

غائيـة المكان : (المضارع بعد حتى) .

فأما غائية السبب فهى المعنى الذى يعبـر عنـه بالمفعول لاجله والسببية هنا واضحة فى « لاجلـه » وكذلك يعبر عن هذا المعنى بنصب المضارع بعد اللام « وكى والفاء وحتى نحو جئت لاتحدث اليك وكى اتحدث اليك وحتى اتحدث ، ولكن هل لقيتك فأتحدث اليك . فالسببية (وهى احد معانى الغائية) واضحة فى كـل ذلك تتضافر معها قرائن كالعلامة الاعرابية (الفتحة) والبنية (اشتراط المصدر المخالف فى مادة الاشتقاق) فى المفعـول لاجلـه كمـا تتضـافـر معها العلامة الاعرابية (الفتحة) والبنيـة (فى المضارع) والاداة (اللام وكى وحتى والفاء) فى بقية الامثلة . والغائية فى كل ما تقدم غائية السبب (اذ تكون الغاية بمعنى السبب) .

واما غائية الزمان فهى المعنى الذى يعبـر عنـه بالمضارع بعد لن واذن وحتى واذن لان « لن » تفيد نفى الغاية الزمانية فاذا قلت « لن تطلع الشمس مـن المغرب » فالمعنى ان طلوعها منفى الى آخر الزمـان ولذلك تصاحبها « ابدا » و « اذن » تحدد غاية زمانية يترتب عندها حدث على حدث آخر . تقول : « ازورك »

فأجيبك « اذن فأكرمك » اى عند هذه الغاية الزمانية ، وليس المقصود هنا « بسبب زيارتك » وانما المقصود « عند زيارتك » .

و « حتى » تفيد استمرار حدث الى غاية زمانية هى وجود حدث آخر تقول « نم حتى يؤذن للفجر » فيكون المعنى طلب استمرار النوم الى غاية زمانية هى حدوث الاذان ومثل حتى « او » كقولك : لألزمنك او تقضينى حتى . ويتضافر مع الغائية هنا قرائن كالعلامةالاعرابية (فتحة المضارع) والبنية (المضارع) والاداة (لن واذن وحتى) والتضام (افتقار الاداة الى المضارع)الخ

واما غائية المكان فهى المعنى الذى يعبر عنه بالمضارع بعد حتى خاصة اذ تقول : « سر حتى تصل الى المدينة » فالغائية هنا تتمثل فى الوصول الى النقطة المكانية التى يبدأ عندها وجود المدينة . وتتضافر مع الغائية هنا قرائن العلامة الاعرابية والصيغة والاداة والتضام كما سبق .

لقد رأينا هنا وفيما سبق كيف تتضافر القرائن المعنوية واللفظية على ايضاح المعنى النحوى كما رأينا هنا أن العلاقة النحوية قد يعبر عنها بأكثر من صورة واحدة وان صور التعبير عنها تتعدد بتعدد ظلال المعنى ومطالب التعبير عن كل ظل من هذه الظلال .

جـ — المعية : وهى علاقة مصاحبة بين ما قبل الواو والمنصوب بعدها وتكون فى اللغة العربية على الصور الآتية :

اولا : مصاحبة معنى الحدث الذى فى الاسناد للمفعول معه نحو سرت ويمين الطريق وفى هذه الحالة تتضافر مع المعية قرائن اخرى للكشف عن المعنى كالعلامة الاعرابية (الفتحة التى يعرب بها ما بعد الواو) والاداة (الواو) والتضام (افتقار كل منهما الى الآخر) والرتبة (تقدم الواو على المنصوب وتأخرهما معا عن الدال على الحدث) . ويختلف معنى المصاحبة هنا عن معنى المشاركة المستفاد من واو عطف المنصوب على مثله لان واو العطف تربط بين المتعاطفين على سبيل التشريك والمعية تفيد مجرد المصاحبة . ولكن المنصوب بعد الواو قد يصلح لكلا الامرين فلا يكون تحديد احدهما الا بقرينة السياق كما فى نحو « احببت الجو وحلول الربيع » .

ثانيا : عدم مصاحبة ما قبل الواو لمعنى المضارع المنصوب بعدها نحو « لا تأكل السمك وتشرب اللبن » والقرائن التى تتضافر مع المعية هنا كالعلامة الاعرابية (نصب المضارع) والبنية (المضارع ذاته) والرتبة (تقدم الواو على المضارع وتأخرهما عما عداهما فى الجملة) ويتمثل عدم المصاحبة فى الامر والنهى والاستفهام والتمنى والنفى وقد يفسر عدم المصاحبة هنا فى نطاق قرينة المخالفة إذ أن ما بعد الواو هنا منصوب على مخالفته لمعنى آخر يمكن ان يرد عليه يغلب فيه أن يكون المشاركة .

وثالثا : مصاحبة مبتدأ لمدخول واو المعية المذكورة بعده نحو : « كل عامل وعمله » وتغنى الواو وما بعدها فى هذه الحالة عن الخبر على نحو ما تغنى عنه الحال فى « ضربى العبد مسيئا » وتتضافر مع المعية هنا قرائن أخرى كالعلامة الاعرابية (الفتحة التى يعرب بها ما بعد الواو) والاداة (الواو نفسها) والتضام (افتقار كل منهما الى الآخر) والرتبة (تقدم الواو على المصحوب) ويمكن فى النصب هنا أيضا ان يكون على معنى المخالفة للعطف (أى بقرينة المخالفة) .

د — الظرفية : وهى معنى المفعول فيه ويعبر عن معنى الظرفية بالظروف الاصيلة التى هى قسم بعينه من اقسام الكلم كما يعبر عنه بالظروف المنقولة كالاسماء المبهمة والمصادر والصفات والاشارات والحروف . وقد فصلت القول فى ذلك فى حينه . غير أن معنى الظروف الاصيلة هى ظرفية الاقتران (اى على معنى حين وحيث) ومعنى الظروف المنقولة ظرفية الاشتمال (اى على معنى فى) ومن هنا افتقرت الظروف الاصيلة الى حدثين فى جملتها ولم تفتقر المنقولة الى ذلك (قرينة التضام) فاذا حل الظرف الاصيل فى موقع المفعول فيه فان القرينة التى تتضافر مع الظرفية فى بيان معنى المفعول فيه هى (البنية) وليس المقصود بالبنية هنا معنى اشتقاقيا وانما المقصود الصورة العامة) اما بالنسبة لما ينقل الى معنى الظرفية من المعربات فالقرينة الاخرى هى العلامة الاعرابية (الفتحة التى يستحقها المفعول فيه) . والذى ارمى اليه مما تقدم أن الظرفية قرينة معنوية تدل على باب نحوى هو المفعول فيه وتتضافر معها فى ذلك قرائن اخرى .

هـ — التأكيد والتحديد : التأكيد والتحديد شقا قرينة

معنوية دالة على معنى المفعول المطلق فى النحو فاذا قلت : « قمت قياما » فهذا هو التأكيد واذا قلت : « قمت قيام العجلان » فذلك تحديد النوع واذا قلت : « قمت ثلاث قومات » فذلك تحديد العدد والملاحظ ان اسم الهيئة حين يستخدم فى معنى المفعول المطلق يراد به تحديد النوع وان اسم المرة يراد به تحديد العدد .

و ــ الملابسة : هذه هى القرينة المعنوية الدالة على باب الحال فاذا فهم المرء من الوصف المنصوب وما فى معناه من جملة ذات قرائن معينة .الخ . معنى الملابسة فقد ادرك ان ذلك تعبير عن باب الحال وتتضافر مع الملابسة فى بيان الحال قرائن اخرى كالعلامة الاعرابية (الفتحة التى ينصب بها الوصف) والبنية (وصفية الوصف وتنكيره وتعريف صاحب الحال) اما بالنسبة للجملة فقرينة الاداة (الواو قبل المضارع وقد) والبنية (تعريف صاحب الحال وما فى الجملة من شروط) والرتبة (تأخر الحال على صاحبها) .

ز ــ الاخراج : الاخراج قرينة المستثنى فاذا فهم السامع او المعرب من الكلام معنى الاخراج ادرك ان ما قصد اخراجه فقد قصد استثناؤه ومن ثم فهو مستثنى من فهم ما سبقه من اسناد . وتتضافر مع قرينة الاخراج فى كل الحالات قرينة اخرى هى الاداة (الا الاستثنائية) كما تتضافر معها العلامة الاعرابية فى حال التمام (الفتحة على المستثنى) فكلما ذكر المستثنى منه فالعلامة الاعرابية واحدة من القرائن الدالة على معنى المستثنى ولا يجوز لها ان تتخلف الا مع النفى . اما مع النفى والنقصان فلا تتضافر مع معنى الاخراج الا الاداة فقط فلا تكون العلامة الاعرابية حينئذ بين القرائن الدالة على المستثنى .

ح ــ التفسير : ومعنى التفسير هو القرينة الدالة على التمييز وتتضافر معه قرائن اخرى كالبنية (كون التمييز اسما نكرة جامدا مفسرا لمبهم) والعلامة الاعرابية (الفتحة فى مواضعها والكسرة فى مواضعها) والرتبة (تأخر التمييز عن المميز) والاداة (من فى مواضعها) .

واما القرينة العامة فى المجرورات جميعا فهى قرينة النسبة وقد يستفاد هذا المعنى من الاضافة او معنى حرف الجر وواضح ان الاضافة نسبة بين المضاف والمضاف اليه وان المعانى التى رصدها النحاة للحروف هى فى كل حالة نسبة بين الحدث وبين المجرور لقد احصى النحاة لحروف الجر عددا من المعانى يناهز الثلاثين فى العدد كابتداء الغاية وانتهائها والبعضية والظرفية والتعليل والمجاوزة والاستعانة والاستعلاء والمصاحبة والالصاق والقسم والتشبيه وبيان الجنس والتوكيد والملك والاستحقاق والنسب والعاقبة والمقايسة والتعويض والتعجب والاستدراك والتبليغ والتبيين والبعدية والبدلية والعندية والتعدية والزيادة وكل ذلك مشروح فى كتب المتون . والملاحظ ان كل هذه المعانى نسبية رابطة بين امرين احدهما الحدث الذى فى الاسناد وثانيهما المجرور الذى بعد الحرف .

فاذا قلت « جلست على الكرسى » فان معنى الاستعلاء الذى تفيده « على » انما يعبر عن نسبة بين مستعل هو صاحب الضمير المتصل وبين مستعلى عليه هو المجرور وهذا هو الذى يقصده النحاة بقولهم ان الجار والمجرور متعلق بكذا فهم يقصدون ان معنى النسبة قائم بين المجرور وبين كذا بقرينة الحرف . واذا قلت « صلى زيد فى المسجد » فان معنى الظرفية الذى تفيده « فى » يربط بين الصلاة (الحدث) وبين المسجد (المجرور) فيكون نسبة بين الظرف والمظروف كما كان الاستعلاء من قبل نسبة بين المستعلى والمستعلى عليه . ولما كانت الظروف المنقولة على معنى الظرفية الاشتمالية التى تفيدها (فى) لم يكن من العجيب أن يجعل النحاة الظرف متعلقا تعلق الجار والمجرور . والقرائن التى تتضافر مع قرينة النسبة متعددة كالعلامة الاعرابية (الكسرة التى يعرب بها المضاف والمجرور الذى بعد الحرف) والتضام (تلازم المضاف والمضاف اليه وتلازم الحرف والمجرور) والاداة (حروف الجر) .

اما التبعية فهى القرينة التى يفهم بها ارتباط التابع بالمتبوع وهى قائمة بين ما يلى :

المتبوع :	التابع :
ا ــ المعطوف عليه بالحرف	المعطوف بالحرف
ب ــ المنعوت	النعت
جـ ــ المؤكد	التوكيد
د ــ المبدل منه	البدل
هـ ــ المبين	البيان .

والقرائن التى تتضافر مع معنى التبعية فى بيان المتبوع والتابع منها مطابقة العلامة الاعرابية (اذ هى متشابهة فيهما) ومنها فى عطف النسق الاداة

(حرف العطف) وفى النعت المطابقة وفى التوكيد البنية (إلفاظ بعينها أو تكرار السابق) وفى البدل التضام (جواز التضام فى البدل على وجه ما يعبر عنه النحاة بنية تكرار العامل) وفى البيان المطابقة .

واما المخالفة فهى القرينة المعنوية الدالة على طائفة من المنصوبات منها ما يأتى :

ا ـ المختص نحو : « نحن العرب نكرم الضيف » لمخالفته للخبر فى « نحن العرب » .

ب ـ الفعل بعد ان المصدرية : لمخالفته لما بعد المخففة من الثقيلة .

جـ ـ منصوب التعجب : لمخالفته للفاعل المرفوع فى « ما احسن زيد » .

د ـ المنصوب بعد كم الاستفهامية : لمخالفته المجرور بعد كم الخبرية .

هـ ـ المصادر المنصوبة نحو سقيا لك ورعيا : لمخالفتها للمبتدآت من نوعها .

و ـ المنصوب بعد المبتدأ على المعية : لمخالفته للمعطوف على المبتدأ .

ز ـ بعض الاسماء فى اساليب الانشاء نحو :

راسك والسيف ، احشفا وسوء كيلة ، لمخالفة ذلك لرفعه فى الاسناد الخبرى .

والملاحظ أن قرينة العلامة الاعرابية (الفتحة التى على المنصوب على المخالفة) هى التى تتضافر دائما مع قرينة المخالفة .

ثانيا : القرائن اللفظية :

سبق أن بينت أن الذى اقصده بالقرائن اللفظية هو :

البنية ـ العلامة الاعرابية ـ المطابقة ـ الربط ـ التضام ـ الرتبة ـ الاداة ـ النغمة .

وتلعب هذه القرائن دورا هاما فى التعرف على الابواب النحوية حتى انها تعتبر من قرائن فهم القرائن المعنوية لانها أيسر وصولا الى الفهم من تلك القرائن المعنوية ومن ثم نرى المعربين اقل خطأ فى الاهتداء بها الى الاعراب الصحيح . وسنحاول ان نعرض هذه القرائن واحدة بعد الاخرى كما يلى :

ا ـ **البنية :** البنية او صورة الكلمة قرينة هامة فى الدلالة على استعمالها النحوى وقد سبق لنا عند التفريق بين اقسام الكلم ان كان من بين ما فرقنا به بين الاقسام أمورا منها :

اولا : ان الفعل لا يكون الا مسندا فاذا تبدت لنا بنية الفعل فى الكلام كانت قرينة على السند .

ثانيا : أن الاسم لا يكون فى الاسناد الا مسندا اليه فاذا رأينا بنية فى السياق دلت على معنى المسند اليه.

ثالثا : ان الصفة صالحة للمسند والمسند اليه فاذا وردت فى الكلام بنية الصفة امكن تعليقها على هذين الاحتمالين .

رابعا : ان الادوات تعبر عن معان صرفية عامة (حقها ان تؤدى بالحرف) فاذا رأينا بنية الاداة اتخذناها قرينة على المعنى الصرفى العام .

خامسا : أن الضمائرتستعمل فى الربط فاذا رأينا الضمير تطلعنا الى العائد واتخذنا ذلك قرينة على ترابط اجزاء الجملة .

سادسا : ان الظرف يأتى بمعنى اقتران الحديثين فى الزمان او المكان فاذا رأينا بنية الظرف فى الجملة كانت قرينة على هذا المعنى .

ولايضاح هذا الكلام نعرض الجملة الآتية : « جلس المعلم بين تلاميذه» فأول قرينة على ان الكلمة الاولى فى الجملة فعل ماض هى بنية الفعل ومن القرائن الدالة على أن الكلمة الثانية فاعل انها اسم (منقول عن الصفة) ولو لم يكن كذلك ما اعرب فاعلا والقرينة الدالة على ان الكلمة الثالثة مفعول فيه ما نعرفه فيها من بنية الظرف اذ هى معدودة بين المبهمات المنقولة الى الظرفية والقرينة الدالة على ان الكلمة الرابعة مضاف اليه أن بنيتها بنية الاسماء بل أن بعض المعربين يعرف فوق ذلك انها اسم طارىء على اللغة بالتعريب والقرينة الدالة على أن الهاء مضاف اليه ان لها بنية ضمير الجر المتصل .

وهكذا نجد بنية الكلمة فى كل ما تقدم قرينة على معناها النحوى ودليلا على الاعراب وهذا هو الذى يوجب الاعتداد بالبنية الصرفية ان تكــون قرينــة نحــوية .

ب ــ العلامة الاعرابية : والمقصود بالعــلامــة الاعرابية هنا اعم من ان يكون حركة او حرفا او تقديرا او حذفا الخ وان كان النحاة قد منحوا الحركة الاعرابية من الاهتمام ما جعل النحو يبدو وكأنه علم اواخر الكلم فى السياق . علق النحاة المعنى بالحركات وبنوا على ذلك منهجهم فى النحو فقالوا ان الحركات اثر العامل وقسموا العوامل الى لفظية ومعنوية واكثروا من عددها حتى وصلت الى المائة عدا . ولست انكر دلالة علامات الاعراب على المعانى النحوية ولكننى لا بــد ان اشير كذلك الى ان العلامة الاعرابية لا يمكن ان تستقلبالدلالة على هذه المعانى ويكفى للاقناع بذلك ان اشير الى ان الضمة هى الحركة التى تظهر فى المبتدا والخبــر والفاعل ونائب الفاعل واسم كان وخبر ان والتابــع المرفوع فهل يمكن لها فى هذه الحالة أن تكون بمفردها قرينة على واحد فقط من هذه الابواب؟ والفتحة كذلك ترى فى نهاية المفعولين والحال والمستثنى والتمييــز والمختص ومنصوب التعجب والمصادر النائبة عن فعلها والمنادى المضاف والمغرى به والمحذر منه الخ فهــل يمكــن لهــا بمفــردهــا أن تكــون قــرينــة على واحــد فقــط مــن هــذه الابــــواب ؟ والكســرة حركــة المضاف اليــه والمجــرور بالحــرف والتــابع المجرورفكيف يمكنالزعمانها قرينة على احد هذهالابواب بمفردها؟ ان اية واحدة من هذه الحركات لو استقلت بالدلالة على المعنى النحوى لادى ذلك الى اللبس اذ يكون من نتيجة ذلك التباس المبتدأ بالخبر والفاعــل الخ واختلاط المفعولين بالحال والتمييز الخ وتشابــه المضاف اليه وبقية المجرورات من حيث القرينة الدالة على المعنى وعلى ان الاسماء المبنية والجمل ذوات المحل لا يمكن اعرابها بقرينة العلامة الاعرابيــة فلو كــانت العلامة الاعرابية قرينة مستقلة ما وصلنا الى فهماعراب هذه العناصر ابدا . يضاف الى ذلك ان النحاة اضطروا فى بعض المواضع الى الاعراب بالحروف وصادفوا فى ذلك متاعب مشهورة فى حسم المشكلة التى مثلت لهم نتيجة لذلك : هل تقدر الحركات على هذه الحروف او لا تقدر كما ناقشوا مسالة اخرىهى هل يكون الاعراب فى موضع واحد أو فى موضعين . ان العلامة الاعرابية لو قصد بها ان تستقل بالدلالة على الباب النحوى لكان على اللغة ان تجعل لكل باب نحوى علامته الاعرابية المستقلة ولكانت الحركات والحروف بعدد ما فى النحو مــن ابـــواب .

ولكن العلامة الاعرابية احدى القرائــن فيتــوقف المعنى عليها حينا كما فى نحن العــرب نكــرم الضيف بنصب العرب وعلى غيرها من القرائــن حينا آخــر كتوقف المعنى على البنية فى غير المعربات وعلى الرتبة فى نحــو ضرب موسى عيسى وعليهمـــا فى جاء هــذا القــاضى الخ .

جـ ــ المطابقة : عند ما تكلمت عن معانى التصريف ومبانيه فى معرض شرح النظام الصرفى قلت ان هذه المبانى الصرفية هى التى تكون فيها المطابقة . وازيد هنا ان المطابقة تكون فيما يلى :

1 ــ التكلم والخطاب والغيبة : وهى المقصود بعبارة الشخص .

2 ــ الافراد والتثنية والجمع : وهى المقصود بعبارة العــدد .

3 ــ التذكير والتانيث : وهى المقصود بعبارة النوع .

4 ــ التعريف والتنكير : وهى المقصود بعبارة التعيين .

5 ــ الحركة الاعرابية : وهى المقصود بعبارة الاعراب.

ويتضح ذلك فى اسناد الفعل الى الفاعــل ونائب الفاعل وفى المبتدأ والخبر وفى الحال وصاحب الحــال وفى المنعوت والنعت الحقيقى وغيرها من الابواب التى تكون فيها مطابقة من نوع ما .

والمطابقة قرينة على الباب النحوى كما أنها وسيلة من وسائل ترابط الجملة ويتضح ذلك فى المطابقة اذا نظرنا فى الجملة الآتيــة :

الرجلان الفاضلان يقوءان .

وواضح ان هذه الجملة تشتمــل على مطابقــة فى الامــور التــاليــة :

1 ــ **الشخص** : الاسم والصفة التى بعده فيهما غيبــة والفعل مسند الى ضمير الغائب ومبدوء بالياء .

2 ــ **العــدد** : فى الاسم والصفة الف التثنية وفى الفعل الف الاثنيــن .

3 ــ **النــوع** : فى الاسم والصفة تذكير والفعل مسند للمذكر كما تدل ياء المضارعة .

4 ــ **التعييــن** : المطابقة هنا بين المبتدا ونعته فكلاهما معــرف باللام .

5 ــ **الاعراب** : وهنا ايضا تبدو المطابقة بين المبتــدا ونعته لكن فى الرفع .

هذه المطابقة تجعل للجملة ترابطا يذكرنــى بقــول عبد القاهــر: «ياخذ بعضها بحجز بعض» ولو اهدرنا هذه المطابقات جميعا فى الجملة لم تعد كلاما بل انها اذن تتحول الى مفردات مبعثرة كالذى يبدو بعد افساد المطابقة كما يلى :

الرجلان فاضلة نقوم

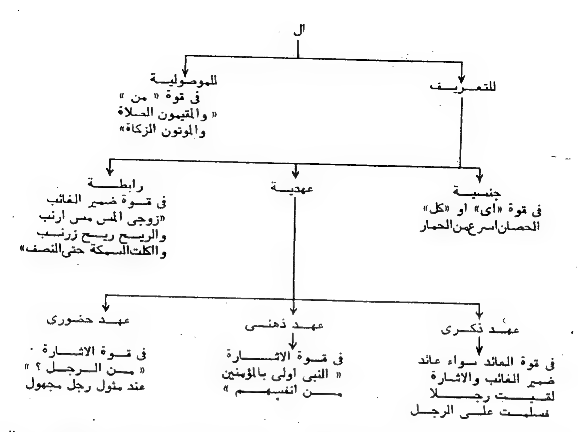
فليس بين اية كلمة وصاحبتها مطابقة فى شخص ولا عدد ولا نوع ولا تعيينولا اعرابومن ثم لا ترتبط واحدة منها بالاخرى والنتيجة ان لا جملة .

د ــ الــربط : هذه الاهمية القصوى لترابط السياق النحوى كما راينا فى امر المطابقة حتمت كذلك ان يشتمل السياق على عناصر لفظية اخرى تعين على فهم الجملة لانها تربط بين اجزائها فمن ذلك مثلا عود الضمير على مرجع معين فى الجملة فالضمير العائد بما بينه وبين مرجعه من مطابقة فى الشخص والنوع والعدد يغنى عن تكرار ما يعود اليه وييسر فهمه فيكون قرينة رابطة فى نطاق السياق ومن ذلك تكرار اللفظ وهــو اقــل استعمالا من عود الضمير واكثر ما يجرى استعماله ان يكون لسبب بلاغى ويتضح ذلك من الموازنة بيــن عبــارتــى :

قابلت صديقى فانست اليه .

قابلت صديقى فانست الى صديقى .

ومثلــه : « ســعــاد التــى اضنــــاك حــب ســعــاد » وقــد يكــون الــربــط بضميــر الاشارة لــا يحملــه فى بنيته من المطابقــة ايضا ولانه ضمير من الضمائر على اى حال وقد عرفنا ذلك فى تقسيم الكلم ومما يدل على ما بين الاشارة وضمير الشخص مــن آصرة قوله تعالى : « ولا يحسبن الذين يبخلون بمــا آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ... » اذ لو وضعنــا الاشارة موضع « هو » فى الكلام العادى ما تغير من المعنى شىء . ومن استعمال الاشارة فى الربط قولــه تعالى : « يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن » وقوله : « والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم » . ومن العناصر الرابطة فى الجملة « ال » لكن لا على اطلاقها فهى تكون رابطة فى بعض صورها دون بعض كما يبدو فيما يلى :



بهذا نرى ان الرابطة قسم من اقسام « ال » اما ذات العهد الذكرى فاقرب الى الربط بتكرار اللفظ .

وقد يحدث الربط بالاداة كالذى تفيده الفاء الواقعة فى جواب الشرط واللام الواقعة فى جـــواب ان واللام الواقعة فى جواب لولا والقسم وكالذى تفيده حـــروف العطف وواو المعية وواو الحال واذا المفاجأة وكالذى تفيده الادوات ذوات الصدارة فى الجمل كأداة الشرط والاستفهام الخ حيث تربط الاداة بين اجزاء الجملـــة وتعطى الجملة اسلوبها المخصوص لانها تلخص معناها حتى أن الجملة لو حذفت بدليل وبقيت الاداة لافادت المعنـــى كـــامـــلا .

وقد يحدث الربط بقرائن اخرى كقرينة المعرفة او النكرة قبل الجملة الواقعة حالا او نعتا فان ارتبـــاط الجملة الفرعية باحداهما على احدى الصورتين منوط بتعريف الاول او تنكيره الى جانب الضمير العائـــد فى الحـــالتين .

هـ ــ التضـــام : والمقصود بالتضام ان تستدعى احدى الكلمتين الكلمة الاخرى او تنفيها ويكون استدعاء احدى الكلمتين للاخرى اما على سبيل الافتقار كحرف العطف حين يستدعى المعطوف واما على سبيل التطلب كالفعل حين يتطلب الفاعل او نائبه والتابع حين يتطلب المتبوع والمضاف يتطلب المضاف اليه والمبتـدا يتطلب الخبـــر باعتبار ذلك حاجة من حاجات المعنى . فاذا جاء اللفظ الذى يتطلب الآخر كان قرينة من القرائن تقع تحت عنوان التضام . ويعتبر التضام بهذا المعنى هو الاساس الوحيد الذى يقبل معه القول « بالحذف » و « الزيـــادة » فى النحو العربى ولولاه ما قبل ذلك .

واما تنافى اللفظين فمثاله انتفاء ان يكون ما بعـــد الضمير نعتا للضمير او مضافا اليه وان يكون مـــا بعد « قد » فعل امر وان يكون ما بعد حرف الجر فعلا كما فى « بيزيد » (اى على نهج العامية) . فهذا التنافى بين المعانى النحوية يدخل ايضا تحت قرينة التضام لان تنافى المعنيين هو « سلب التضام » .

هكذا يكون التضام احدى القرائن النحوية وقد اكثر النحاة الكلام فى دخول الحـــروف والادوات لكـــل أداة مدخولها الذى يضامها بالايجاب وما يمتنع دخولها عليه على طريق سلب التضام ولعل ما يلحظ فى بعض الابواب

من تطلب للابواب الاخرى هو المسئول عن ظاهرة « التقدير للمحذوف » فى النحو العربى لان المطلوب اذا لم يكن مذكورا فان كونه مطلوبا قد حتم فى نظرهم تقديره فى الكلام .

و — الرتبة : وهى اما محفوظة او غير محفوظة فالرتبة محفوظة بين الفعل والفاعل وبينه وبين نائب الفاعل وهى كذلك بين حرف الجر والمجرور وحرف العطف والمعطوف والموصول وصلته وأداة الاستثناء والمستثنى وكذلك الواو والحال الجملة والواو والمفعول معه ومن الادوات ما يحفظ رتبة الصدارة فلا يتقدم عليه جزء من الجملة كأدوات الشرط والاستفهام والتمنى والترجي والعرض والتخصيص الخ ولا يتقدم النعت على المنعوت ولا المضاف اليه على المضاف وهلم جرا . ومعنى ان الرتبة قرينة هنا انها معلم من معالم الطريق فى السياق تتعين بها مواقع الكلام ويعرف الباب النحوى حينئذ بموقع الكلمة من السياق .

واما غير المحفوظة فهى الرتبة التى قد تهدر اذا امن اللبس أو اقتضى السياق تخلفها ولكنها تحفظ اذا توقف المعنى عليها أو اقتضي السياق الاحتفاظ بها وتلك هى الرتبة بين المبتدأ والخبر وبين الفاعل والمفعول به وبين المفعول الاول والثانى وبين اسم ان وخبرها واسم كان وخبرها وبين نعم والمخصوص وهلم جرا فمثال اهدارها عند أمن اللبس تقدم الخبر على المبتدأ ومثاله حين يقتضى السياق تقدم المفعول على الفاعل فى زيد ضربه عمرو ومثال ضرورة حفظها لتوقف المعنى عليها ضرب موسى عيسى ومثال حفظها حين يقتضى السياق ضربت زيدا .

ومعنى ذلك ان الرتبة المحفوظة تصبح محفوظة اذا اقتضى ذلك المعنى او المبنى كما مر . ولكن اذا لم يقتض احدهما حفظ الرتبة التى من هذا النوع كانت هناك حرية التقديم والتأخير فى الاستعمال .

ز — الاداة : كان من الممكن أن تقع الاداة باعتبارها قرينة ضمن البنية ولكن الذى دعانى الى افرادها امران:

1 — ان الادوات المنقولة من الفعلية (كالنواسخ) ومن الظرفية (كادوات الشرط) تحتفظ غالبا ببنيتها التى كانت عليها قبل النقل ومن ثم لا تكون بنيتها قرينة على المعنى الذى أريد بها بعد النقل .

2 — ان بعض الادوات غير ثابت البنية ولا سيما من حيث الاشباع والاضعاف فى النطق ومن حيث الانفصال والاتصال فى الكتابة بما بعدها كما تتصل باء الجر بالمجرور .

وقد يعترض بأن الاشباع والاضعاف ليسا خاصين بالادوات اذ يكونان فى الضمائر كذلك فالجواب على ذلك ان الضمائر المتصلة تلصق بأواخر الكلمات فيعرف المتكلم كمية الضمير بحسابها من نقطة انتهاء الكلمة التى اتصل بها الضمير ولكن الادوات تلصق بأوائل الكلمات فيرد عليها اللبس .

وما دامت الادوات قد وضعت اساسا للدلالة على المعانى الصرفية العامة التى حتما ان تؤدى بالحرف فلا بد أن تكون كل اداة بالضرورة قرينة لفظية على المعنى الذى سيقت له . فنحن نفهم معنى الشرط من «ان» والاستثناء من «الا» والاستفهام من «هل» والتحضيض من «هلا» والقسم من «الواو» وهلم جرا وما دمنا نفهم هذه المعانى مباشرة من الادوات فالادوات قرائن لفظية على هذه المعانى .

ح — النغمة : قرينة لفظية لانها لا يكون تصورها الا فى الكلام الملفوظ وهى فى معظم الحالات تصاحب القرائن الاخرى لكل اسلوب من اساليب الجمل العربية كالاثبات والنفى والتوكيد والاستفهام والامر والنهى والتمنى والترجيوالعرض والتحضيضوالقسم والشرط والافصاح الخ يقترن بهيكل تنغيمى عرفى مخصوص يعرف به الاسلوب المعين فتكون النغمات مشتركة فى الدلالة مع البنية والعلامة الاعرابية والمطابقة والربط والتضام والادوات .

ولكن هناك حالات فى الاستعمال العربى تستقل فيها النغمة بالدلالة فتكون القرينة الوحيدة فى الكلام واكثر ما يكون ذلك عند حذف الاداة من الكلام ولا سيما أدوات الصدارة . ومن أمثلة ذلك ان تخرج علبة السجائر من جيبك وتقدمها مفتوحة الى صديقك وتقول بنغمة العرض : «سيجارة ؟» والمعنى : «الا تأخذ سيجارة ؟» فهنا اهدرت الاداة وهى قرينة اتكالا على النغمة وهى قرينة اخرى فاستقلت النغمة بالدلالة على المعنى المراد. ولولاها لكانت كلمة « سيجارة » « كلمة مفردة لا جملة مفيدة » .

ولقد وقع مثل ذلك فى التراث حين قال عمر بن ابى ربيعة :

ابرزوها مثل المهاة تهادى
بين خمس كواعب اتراب

ثم قالوا : تحبها ؟ قلت بهرا
عدد النجم والحصى والتراب

فجملة « تحبها ؟ » جملة استفهامية بقرينة رواية البيت بنغمة الاستفهام خلال العصور . وهناك دليل آخر على معنى الاستفهام هو « قالوا » و « قلت » مما يفهم منه السؤال والجواب وهذا الدليل هو الذى ساعد على تواتر رواية البيت بهذه النغمة وعدم العدول عنها الى نغمة اخرى . وواضح ان النغمة حفظت معنى الاستفهام هنا على رغم حذف الهمزة لضرورة الشعر .

تضافر القرائن :

ليس من شأن النحو العربى ان يدع لاحدى القرائن مهما كانت اهميتها فى المعنى ان تستقل بمفردها بالدلالة على باب نحوى من ابواب السياق . يصدق ذلك على جميع القرائن دون استثناء . فاذا نظرنا مثلا فى القرائن المفرقة بين المنصوبين فى «ضرب زيد عمرا» و « ضرب زيد ضربا » وجدنا ان الفارق الاول يكمن فى ان عمرا اسم علم وان ضربا مصدر من مادة الفعل فهذا الفرق راجع الى قرينة البنية ثم وجدنا ثانيا ن العلاقة بين الفعل وبين عمرو هى علاقة التعدية ولكن العلاقة بين الفعل والمصدر هى علاقة تأكيد الحدث وهكذا نرى ان القرائن الدالة على المفعول به فى الجملة الاولى كما يأتى :

1 — البنية : فلو لم يكن من قبيل الاسماء (او الصفات او الضمائر) ما صحت له المفعولية .

2 — التعدية : وتفهم هذه العلاقة ما كان مفعولا به .

3 — العلاقة الاعرابية : فلو لم يكن منصوبا ما كان مفعولا به .

وكذلك نرى القرائن الدالة على المفعول المطلق فى الجملة الثانية كما يلى :

1 — البنية : وقد تحقق له منها امران :

ا) المصدرية .

ب) مشاركة الفعل فى مادة اشتقاقه .

2 — التأكيد وهذا المعنى مفهوم من البنية ومن ترك تحديده بوصف او اضافة او عدد .

على ان المصدر فى هذا الموقع اذا حدد باضافة او وصف او عدد كان محددا لا مؤكدا واذا لم يشارك الفعل فى مادة اشتقاقه فان افاد غايته فهو مفعول لاجله وان افاد ملابسة اعرب حالا وان افاد تأكيدا اعرب نائبا عن المفعول المطلق.

3 — العلامة الاعرابية : فلو لم يكن منصوبا ما اعرب مفعولا مطلقا .

وهكذا نرى ان كلا من المفعول به والمفعول المطلق لم ينكشف الا بعدد من القرائن وان القرينة الواحدة لا يمكن ان تدل على المعنى الاعرابى .

ويمكن ان نرى مثل ذلك حين نعرض للفاعل فى «ضرب زيد» ونائبه فى « ضرب زيد » فالقرائن الدالة على الفاعل فى الجملة الاولى كما يلى :

1 — البنية :

فهو اسم ولو لم يكن من قبيل الاسماء (او الصفات او الضمائر) ما كان فاعلا وقد ضمن النحاة اعترافهم بهذه القرينة فى تعريف الفاعل حين قالوا : « الفاعل اسم .. الخ » ومن قبيل هذه القرينة ايضا بنية الفعل الذى قبله فلا يكون الفاعل فاعلا الا اذا كان هذا الفعل مبنيا للمعلوم .

2 — العلامة الاعرابية :

فهو مرفوع وعلامة الرفع قرينة من قرائن الفاعل ولو كان منصوبا مثلا ما كان فاعلا .

3 — المطابقة :

لان الفعل معه اسند الى المذكر الغائب فكان ذلك قرينة على ان احدهما للاخر اما من حيث الافراد والتثنية والجمع فالمطابقة هنا خارج نطاق القرائن المطلوبة .

4 ــ التضام :

لان الفعل يتطلب هذا الفاعل فلو لم يكن مذكورا لجرى تقديره فى الجملة وللنحاة عبارة مشهورة تقول : « كل فعل فلا بد له من فاعل » .

5 ــ الرتبة :

فهذا الاسم المرفوع جاء بعد الفعل فأعرب فاعلا ولو سبق الفعل لكان شيئا آخر غير الفاعل. فرتبة الفاعل من الفعل رتبة التأخير وهى من الرتب المحفوظة التى لا تتخلف .

6 ــ الاسناد :

وهذه هى القرينة المعنوية التى تدل مع ما سبق على ان هذا فاعل اذ لو لم يكن مسندا اليه فى جملة فعلية ذات بنية خاصة ما كان فاعلا .

واما نائب الفاعل « زيد » فى الجملة الثانية فقرائنه ما يأتى :

1 ــ **البنية** : لانه اسم والفعل مبنى للمجهول .

2 ــ **العلامة الاعرابية** : لانه مرفوع .

3 ــ **المطابقة** : الفعل مسند الى المذكر الغائب .

4 ــ **التضام** : الفعل يتطلبه ويقدر عند عدم الذكر .

5 ــ **الرتبة** : مكانه دائما بعد الفعل .

6 ــ **الاسناد** :

هو مسند اليه فى جملة ذات بنية محددة ولا يلزمنا هنا فى فهم الاسناد ان نعتذر لانه مفعول فى المعنى لاننا لا نقدم مثل هذا الاعتذار مع فاعل الفعل

المطاوع وله نفس الوضع والافكار النحوية وصفية لا منطقية .

وحين قال ابن مالك :

الحال وصف فضلة منتصب
مفهم « فى حال » كفردا اذهب

كان يحاول ان يحدد القرائن التى يعرف بها باب الحال وهى :

1 ــ البنية :

لان الحال المفردة تفهم من كونها احدى الصفات الخمس التى افردناها فى قسم من اقسام الكلم فاذا جاءت على غير هذه البنية كالمصدر وغيره فذلك من باب النقل واهدار قرينة البنية الوصفية عند امن اللبس وسنعرض لذلك بعد قليل .

2 ــ العلامة الاعرابية :

فالحال المفردة منصوبة ولا تكون غير ذلك .

3 ــ المطابقة :

يصر النحاة على ان الخبر والحال وصفان فى المعنى ففيهما من المطابقة بعض ما فى النعت الحقيقى فيطابقان افرادا وتثنية وجمعا وتذكيرا وتأنيثا .

4 ــ الربط :

هذه المطابقة تربط بين الحال المفردة وبين صاحبها ولكن النحاة فضلوا ان يحملوا الوصف ضميرا مستترا مطابقا وهكذا عززوا الربط بعود الضمير . اما الحال الجملة فأمر الضمير فيها أوضح من ذلك .

5 ــ الرتبة :

رتبة الحال ان تكون بعد صاحبها واما ما ورد بخلاف ذلك فمداره جواز اهدار القرينة عند امن اللبس وسنعرض لذلك بعد قليل .

6 ــ الاداة :

وتتمثل هذه القرينة فى واو الحال فى مواضع ذكرها .

وهكذا تضافرت القرائن المختلفة على بيان باب الحال كما تضافرت على بيان الابواب الاخرى التى ذكرتها من قبل . ولعلى بهذا اوضحت مبدا هاما من مبادىء النحو العربى لم يعطه النحاة من قبل ما يستحقه من اهتمام هذا ان كانوا قد فطنوا اليه فطنة تامة ،

لان كل ما جاء فى كلامهم عن شرح هذه القرائن كان ملاحظات متفرقة لا يسلكها نظام كهذا النظام الذى اعرضه .

جواز اهدار القرينة عند امن اللبس :

ان امن اللبس هو اغلى ما تحرص عليه اللغة استعمالا واثمن ما يتطلبه اللغويون تحليلا ومن ثم يصبح الوصول اليه غاية لا يدعو الامر بعدها الى البحث عن مزيد من القرائن . ومن هنا يكون اهدار القرينة عند امن اللبس امرا مقبولا لا ياباه الاستعمال اللغوى والدليل على ذلك اننا فى عرضنا اهدار كل قرينة على حدة فى الاستعمال سنحرص على ان تكون شواهد من القرآن ومن الشواهد التى استعملها النحاة ومن مسموعاتهم عن العرب ولكننى قبل ان ابدا فى عرض اهدار القرائن واحدة بعد الاخرى احب أن اضرب مثلا يوضح سبب جواز اهدار القرينة . فالمعروف ان الحركة الاعرابية احدى القرائن وان النحاة بالغوا فى الحرص عليها وورث الناس عنهم هذه المبالغة فى الحرص وارتبطت نشأة النحو فى التاريخ بهذه الحركة الاعرابية فكان النحو لعلاج اللحن فى الاعراب . وكلنا يبدى تذمره عند الاستماع الى المحاضر او المذيع او المحامى حين يظهر اللحن فى كلامهم ولا تنضبط العلامات الاعرابية على السنتهم ولكننا على رغم ذلك كله نفهم ما يقولون بحيث لا يحتمل فى فهمنا معنى آخر اى ان امن اللبس قد توفر فى كلامهم على الرغم مما اصاب اواخر الكلمات من لحن . فلماذا ؟ لان المعنى النحوى — كما سبق ان اشرت — لا يرتبط بقرينة واحدة ولا يتوقف عليها . فحين اهدرت قيمة الحركة الاعرابية فى كلام المحاضر والمذيع والمحامى كانت هناك قرائن اخرى تحافظ على المعنى وهى القرائن التى عرضتها من قبل . وحين كانت هذه القرائن وافية فى الدلالة على المعنى اصبح اهدار قرينة العلامة الاعرابية فى الكلام امرا غير واضح الضرر لاننا وصلنا الى وضوح المعنى على اى حال .

وسنرى فيما بعد ان ذلك ونحوه وقع فى نصوص التراث لا عن خطا اقترفه العربى الاول كما اقترفه المحاضر والمذيع والمحامى فى وقتنا هذا وانما وقع ذلك لاسباب خاصة بالاستعمال كضرورة الشعر او المجاورة او لاسباب بلاغية . ولا يدخل فى ذلك بالطبع اختلاف القرينة باختلاف اللهجة .

واول ما نعرض له من ذلك ان البنية باعتبارها قرينة نحوية ربما اهدرت اذا اتضح المعنى بدونها وهاك بعض الامثلة :

1 — تحافظ اللغة على ان تكون صلة ال صفة صريحة ولكن الضرورة الشعرية قضت وامن اللبس لم يمنع ان تكون صلة ال فعلا مضارعا فقرأنا فى التراث عبارة « الترضى حكومته » و « صوت الحمار اليجدع » وكذلك قول الشاعر : « من القوم الرسول الله منهم » .

2 — قد يستتر الضمير او يحذف المبتدا والخبر او غيرهما فلا تقوم قرينة البنية شاهد على المعنى لعدم ذكرها فلا يؤدى اهدارها حينئذ الى اللبس.

3 — تحافظ اللغة على ان يكون خبر فعل المقاربة من قبيل الفعل المضارع ولكن ورد اهدار هذه القرينة فى قول الشاعر :

فعدت الى فهم وما كدت آيبا
وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

4 — تدخل لو على الفعل الماضى ومع ذلك ما نزال نستمتع بقول الشاعر :

لو بغير الماء حلقى شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصارى

5 — قد تهدر قرينة البنية فى المفعول المطلق فيسمى المنصوب حينئذ « النائب عن المفعول المطلق » .

6 — من شأن الحال ان يكون مشتقا وقد اهدرت البنية المشتقة فجاء الحال مصدرا كما جاء جامدا ولم يستطع النحاة حتى تأويله بالمشتق وذلك حين يكون موصوفا نحو قرآنا عربيا او معدودا نحو فتم ميقات ربه اربعين ليلة او تفضيليا نحو هذا بسرا اطيب منه رطبا او محددا نحو هذا مالك ذهبا او مفرغا نحو وتنحتون الجبال بيوتا او مؤصلا نحو أاسجد لمن خلقت طينا .

7 — من شأن الحال ان تكون نكرة وقد اهدرت قرينة البنية فيها فجاءت معرفة نحو كلمته فاه الى فى وارسلها العراك وجاءوا الجماء الغفير .

8 — من شأن صاحب الحال ان يكون معرفة وقد ورد نكرة فلم يجد النحاة مسوغا لتنكيره وهذا من اهدار البنية عند أمن اللبس نحو مررت بماء قعدة رجل وعليه مائة بيضا « وصلى وراءه رجال قياما » .

9 — من شأن « اما » ان تتكرر ولكن قرينة بنيتها قد تهدر فلا يتم تكرارها نحو « اما ان تتكلم بخير والا فاسكت » وكقراءة ابى : « وانا او اياكم لاما على هدى او ضلال مبين » .

10 — من شأن الشرط والقسم اذا اجتمعا ان يكتفى بجواب ما تقدم منهما مع حذف جواب المتاخر ولكن ذلك تخلف فى بنية جواب القسم فى قول الشاعر :

لئن كان ما حدثته اليوم صادقا
اصم فى نهار القيظ للشمس باديا

11 — ورد فى النسب كثير مما اختلف مع القواعد المتصلة ببنية المنسوب نحو يمانى وسليقى وعميرى وقرشى وسلمى وهذلى وفقمى وعبدرى ومرقسى وعبقسى وعبشمى وبصرى ومروزى ورازى وبحرانى .

12 — قال الراجز : فى كلت رجليها سلامى واحدة .. فاطرح البنية الاصلية وهى كلتا للوزن .

13 — ولعل خير ما يمثل اعتراف النحاة بظاهرة اهدار قرينة البنية عند أمن اللبس قول ابن مالك :

ولا يجوز الابتدا بالنكرة
ما لم تفد كعند زيد نمرة

اذ لو ترجمنا عبارته بعبارة هذا البحث لكان « ما لم تفد » فى صورة « ما لم يؤمن اللبس » فيجوز اهدار المعرفة واستعمال النكرة » .

واما اهدار قرينة العلامة الاعرابية عند أمن اللبس فما اكثره فى التراث العربى حتى لقد وجد النحاة فيه مجالا خصبا للتخريج والتأويل والتقدير وسنحاول فيما يلى ان نورد امثلة على هذه الظاهرة التى كانت من اسباب تضخم كتب النحو لمخالفتها لفلسفة العامل النحوى كما كانت سببا فى الكثير مما اعان اشتهار النحو العربى بالصعوبة وعدم الاطراد ولا سيما ان النحاة بنوا منهجهم على اساس وحيد هو اختلاف المعانى باختلاف الاعراب .

1 — واول ما نبدا به من هذه الامثلة ما سمع من قولهم : « خرق الثوب المسمار » برفع الثوب ونصب المسمار . وواضح ان اللبس مأمون فى هذه الجملة لاتضاح قرينة الاسناد بين « خرق » و « المسمار » وان قرينة التعدية واضحة بين « خرق » و « الثوب » فلما اتضحت القرينتان المعنويتان دون حاجة الى القرينة اللفظية اهدرت القرينة اللفظية (وهى العلامة الاعرابية) فى الكلام .

2 — قال تعالى : « ان هذان لساحران » ومن الواضح ان الاشارة اسم ان وان الصفة خبرها بالقرائن الآتية :

أ) الاشارة معرفة وهذا موضع المعرفة والصفة نكرة مشتقة وذلك شأن الخبر المفرد وهذه قرينة البنية.

ب) دخلت ان على الاشارة ومن شأن « ان » ان تدخل على اسمها الا فى حالات محددة وهذه قرينة التضام .

جـ) اقترنت الصفة باللام ومن شأن ما اقترنت به اللام ان يكون خبرها الا اذا تقدم اللام ظرف او جار ومجرور فيكون الاقتران بين اللام واسم ان المؤخر نحو ان فى الدار لزيدا وان عندك لزيدا وهذه قرينة التضام ايضا .

د) تقدمت الاشارة على الصفة حسب قاعدة الاسم والخبر وهذه قرينة الرتبة .

فلما تضافرت هذه القرائن جميعا اصبح اللبس مأمونا فأهدرت العلامة الاعرابية لتكون هناك مناسبة صوتية بين الاسم والخبر . وكثيرا ما تكون المناسبة الصوتية مطلبا من مطالب الاسلوب الادبى ولا سيما اسلوب القرآن وما فيه من الفواصل واسلوب الشعر وما فيه من القوافى .

وشبيه بهذه الآية قوله :

اذا مت كان الناس صنفان شامت
وآخــر مثــن بالــذى كنت اصنع

وقـــولـــه :

اذا اسود جنح الليل فلتأت ولتكن
خطاك خفافا ان حراسنــــا اسدا

3 ــ ومثل ذلك ما يقال فى « جحر ضب خـــرب » بالجر فى الكلمة الاخيرة اذ ان قرينة التبعية تبدى ان الخراب مما يوصف به الجحر ولا يوصف به الضب فلما اتضحت قرينة التبعية وما يتضافر معها من المطابقة والرتبة اهدرت الحركة الاعرابية ليتم بها نـــوع مـــن المناسبة الصوتية التى عللها النحويون بالجوار .

4 ــ قال تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هـــادوا والصابئون والنصارى ... » برفع الصابئين ومن الواضح ان قرينة التبعية (عطف النسق) مفهومـــة بين هـــذه المتعاطفات جميعا ولا يتطرق الى ذهن القارىء معنى ايسر من معنى العطف وقد تضافر مع التبعيـــة مـــن القرائن قرينة الاداة التى تمثلهـــا واو العطف فأمـــن اللبس فأهدرت العلامة الاعرابية وربما كان ذلك للتنبيه الى عزل الصابئين عن اصحاب الديـــانات السماوية الثلاث لانهم ليسوا منهم .

5 ــ قـــال الشـــاعـــر :

ان ابـــاهـــا وابـــا ابـــاهـــا
قـــد بلغـــا فى المجـــد غاياتهـــا

ففى نهاية الشطرة الاولى كمـــا فى نهايـــة الشطرة الثانية اهدار للعلامة الاعرابية لان اللبس مأمون وذلك للمناسبة اللفظية . وقد يقول قائل فى هذا الموضع كما فى « ان هذان لساحران » ان هذه لغة قوم والرد على ذلك ان هؤلاء القوم قد اهدروا العلامة الاعرابية اتكالا على وضوح القرائن الاخرى ولو لم يؤمن اللبس ما استطاعوا ذلك . هذا الا اننى اتشكك فى ان هاتين اللغتين لغتا قوم واميل الى الراى بأن النحاة هنا يحاولون الاعتذار عن النصوص وهى ليست فى حاجة الى ذلك . وقـــد انكر المبرد لغة من يلزم المثنى الالف .

6 ــ قـــال الشـــاعـــر :

وتضحك منـــى شيخة عبشميـــة
كأن لم تـــرى قبلى اسيرا يمانيا

لاحظ اهدار العلامة الاعرابية فى « ترى » لا مـــن اللبـــس .

7 ــ قـــال الشـــاعـــر :

وحلت سواد القلب لا انـــا باغيا
سواها ولا عن حبهـــا متـــراخيا

والمعنى واضح واللبس مأمون ولكن النحاة ترددوا وتاولوا وتخيلوا ما شاءوا .

8 ــ وقـــــال :

كـــأن اذنيـــه اذا تشـــوفـــا
قـــادمـــة او قلمـــا محـــرفـــا

وحكى قوم منهم ابن سيدة ان قوما من العرب تنصب بها (كأن) الجزئين معا . فمن هـــؤلاء وايـــن بقيـــة مـــا روى عنهم من النصوص ؟

9 ــ وقـــال :

ان تقرآن على اسمـــاء ويحكمـــا
منـــى السلام والا تخبـــرا احـــدا

والقرائن واضحة واللبس مأمون والعلامة الاعرابية مهـــدرة .

10 ــ وقـــــال :

الـــم يأتيـــك والانبـــاء تنمـــى
بمـــا لاقت لبـــون بنـــى زيـــاد

وقرينة الجزم فى يأتيك مهدرة والمعنى واضح واللبس مأمون ببقيـــة القـــرائـــن .

11 ــ وقـــالت الـــزبـــاء :

مـــا للجمـــال مشيهـــا وئيـــدا
اجنـــدلا يحملـــن ام حـــديـــدا

فنصب الخبر ولكن الكوفيين راوه من قبيل تقـــدم الفاعل واوله البصريون على حذف الخبر والخبر ماثل امـــامهـــم .

12 ـــ وقـــــال :

الا رب مولـــود وليـــس لـــه اب
وذى ولـــد لـــم يلـــده ابـــوان

فاهدر الجزم ولكن وضوح القرائن الاخـرى حفظ المعنـــى مـــن اللبـــس .

13 ـــ وقـــــال :

امـــا ترى حيث سهيـــل طـــالعا
نجمـــا يـــضىء كالشهـــاب لامعـــا

فاهدار الحركة واقع فى « سهيل » لان خبره «يضىء» قـــد اوضـــح المعنـــى .

14 ـــ كل ما سماه النحاة قطع النعت فهو من قبيل اهدار قرينة العلامة الاعرابية عند امن اللبس . وذلك كالذى مثلوا من قولهم : « جاء الرجلان الكريمين » .

15 ـــ وقـــــال :

لعـــن الاله تعلة بـــن مسافـــر
لعنا يشـــن عليـــه مـــن قـــدام

فاهدر الحركة قربانا للقافية والمعنى واضح بلا لبس ما دامت القرائن الاخرى تدل عليه .

وكذلك كان اهدار قرينة المطابقة عند امن اللبس مجالا للتخريج والتأول والتقدير لدى النحاة واوضح ما كانت هذه الظاهرة فى باب الفاعل والخبر والحال والنعت والموصول وهى الابواب التى تتكل كثيرا على المطابقة ومن امثلة ذلك ما يلى :

1 ـــ قال تعالى : «والملائكة بعد ذلك ظهير» . وقال النحاة والمعنى : ظهيرون . واقول : اتضح المعنى فأمن اللبس مع اهدار قرينة المطابقة فساغ اهدارها مع وجود غيرها من القرائن ومنها الرتبة والعلامـــة الاعرابيـــة والبنيـــة والتضـــام .

2 ـــ وقـــال الشـــاعـــر :

فـــلا ودقـــــة ودقـــت ودقهـــا
ولا ارض أبقـــــل ابقـــالهـــــا

فأهدرت قرينة المطابقة فى خبر « لا » التى فى الشطرة الثانية لوضوح المعنى وامن اللبس .

3 ـــ وقـــــال :

فمن يك اضحى بالمدينـــة رحلـــه
فانـــى وقيـــــاربهـــا لغـــريـــب

وقدر النحاة ذلك « لغريبان » . وسببه احد امرين :

ا) اهدار القرينة عند امن اللبس وذلك بعدم المطابقة بين المتعاطفين وغريب .

ب) ان تكون جملة «وقياربها» حالا من الياء فى «فانى» وغريب خبرا لان . ويكون المعنى : فانى لغريب بالمدينة على الرغم من وجود قيار وعليه رحلى بها .

4 ـــ وقـــــال :

اكـــل عـــام نعـــم تحـــوونـــــه
يلحقـــه قـــوم وتنتجـــونـــــه

قارن ذلك بقـــولـــه :

قومى ذرى المجد بانوها وقد علمت
بكنـــه ذلك عـــدنـــان وقحطـــان

« فالقوم » و « النعم » من اسم الجمع فاما ان تكون المطابقة للفظ والقرينة مهدرة فى الثانى واما ان تكون للمعنى والقرينة مهدرة فى الاول .

5 ـــ سمع عن العرب : «الغناء رقية الزنى» ولا مطابقة بين الاول والثانى فى التذكير والتأنيث ولكـــن المعنى واضح واللبس مأمون بغير المطابقة من القرائن .

6 ـــ يقولون : امراة حائض وطالق ومرضع وناشز وفاقد . واللبس مأمون بقرائن ليس بينها المطابقة فى التذكير والتأنيث ، ومن ذلك :

«فلو انك فى يوم الرخاء سألتنى
طلاقك لم ابخل وانت صديق»

7 ـــ قال الشـــاعر :

بتيهـــاء قفـــر والمطـــى كأنهـــا
قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها

فوصف التيهاء بأنها قفر واهدر المطابقة .

8 — قال الشاعر :

كرب القلب من هواه يذوب
حين قال الوشاة هند غضوب

يريد شديدة الغضب وقد اغنت هنا قرينة الرتبة والعلامة الاعرابية والاسناد عن قرينة المطابقة فأهدرت المطابقة .

9 — قال المتنبي :

انا الذى نظر الاعمى الى ادبى
واسمعت كلماتى من به صمم

ولم يقل « ادبه » و « كلماته » فلم يطابق بين الصلة والموصول وطابق ضمير المتكلم اتكالا على ان الخبر واصف للمبتدأ .

10 — قال الشاعر :

واعلم ان تسليما وتركا
للامتشابهان ولا سواء

فترك التثنية فى سواء من قبيل اهدار المطابقة واللبس مأمون بقرائن أخرى .

11 — ما يسميه النحاة «التغليب» نحو : فرح الصبية والبنات بملابسهم الجديدة يحمل فى طيه صورة من صور اهدار المطابقة عند امن اللبس لان القرائن الاخرى تغنى عن المطابقة .

12 — وربما توسعنا فى تطبيق ذلك الى ان يشمل معاملة جمع التكسير معاملة المؤنث من حيث المطابقة وفى ذلك اهدار المطابقة فى الجمع والامر كذلك فى الالتفات من ضمير الى آخر فى السياق .

اما اطراح قرينة الربط عند امن اللبس فقد تسبب فى الكثير من التقديرات التى حاول بها النحاة ان يجبروا ما ظنوه نقصا فى عناصر الجملة وما كان اجدرهم ان يدركوا ما للغة العربية من مزاج فى الاستعمال يحرص على امن اللبس ولا يتمسك بعد ذلك بالقرائن الزائدة عن الحاجة . ولو تمكن السامع او المعرب من فهم وجه الترابط بين الكلمات بدون القرينة اللفظية الخاصة فلا حاجة اذن لديهما الى هذه القرينة ويصبح ابقاؤها نوعا من الاطناب يقبل ولا يتمسك به . وهاك امثلة توضح اهدار هذه القرينة :

1 — قال تعالى : « اهذا الذى بعث الله رسولا » فالهاء العائدة من الصلة الى الموصول محذوفة ولكنها مفهومة واللبس مأمون لان القرائن الاخرى اغنت عنها كما يلى :

ا) فمن حيث البنية نجد بنية الموصول والصلة جارية على العرف الاستعمالى العربى فالموصول هو « الذى » والصلة جملة فعلية .

ب) ومن حيث التضام استوفى الاسم الموصول صلته التى يفتقر اليها بايراد هذه الجملة معه .

ج) ومن حيث الرتبة جاء الموصول متقدما وجاءت الصلة متاخرة كما جرى عرف الاستعمال .

د) ان افراد الموصول وغيبته وتذكيره وما عهد من مطابقة الضمير العائد للموصول صير امر فهم الضمير ممكنا بالنسبة للسامع والمعرب .

فالقرائن الاربع (البنية والتضام والرتبة والمطابقة) يسرت امن اللبس فلم يعد من الضرورى ذكر لضمير الرابط فاهدرت المطابقة ولو ذكر الضمير ما اضاف الى الفهم شيئا .

2 — قال الشاعر :

قومى ذرى المجد بانوها وقد علمت
بكنه ذلك عدنان وقحطان

فقد اغنت البنية والرتبة والتضام والمطابقة بين الذرى وضميرها وعدم المطابقة بين الضمير والقوم عن ذكر ما يعود على القوم من ضمير بارز .

3 — وقال :

فابت الى فهم وما كدت آيبا
وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

ففى « آيبا » اطراح البنية وفى خبر كاد اطراح « الربط » لان « آيبا » تحتمل انا وانت وهو لان الصفة لا تتغير بحسب ضمائر الاشخاص ومع ذلك ظل اللبس مأمونا ببقية القرائن .

4 ـــ وقـــــال :

ويوما توافينــا بوجــه مقســم
كأن ظبية تعطو الى وارق السلم

فتخفيف « كان » اهدار لقرينة البنية وحذف الضمير بعدها اهدار لقرينة الربط بين جملة التشبيه وفاعل « توافى » والتشبيه فى البيت على معنى كأن واسمها وخبرها والمعنى واضح بغير الربط من القرائن وربمـــا اهتم النحاة برواية الجر من قبل الاهتمام بما كـــانوا يسمونه « الغريب » ورواية الرفع اوضح ويعززهـــا تخفيف كأن فى قوله :

وصـــــدر مشـــرق النـحـــــر
كـــأن ثـــدييــــاه حـــقـــــان .

5 ـــ مما جرى فى الاستعمال : « مر زيد يد تلوح وفم يبتسم » ولا يفهم السامع فى اليد الا انها يده ولا فى الفم الا انه فمه . ومن هنا ساغ اهدار قرينة الربط بحـــذف الضميـــر .

6 ـــ قـــال الشاعـــــر :

جـــزى الله عنا والجزاء بفضله
ربيعـــة خيرا مـــا اعف واكرمـــا

وكل القرائن تدل على معنى : « ما اعفها واكرمها ». وهذا هو المقصود بقول ابن مالك : « ان كان بعد الحذف معناه يضح» اى ان قرينة الربط هنا مهدرة عند امن اللبـــس فقـــط .

7 ـــ ان ما يسمى تعدد النعت وتعدد الخبر الخ هو فى الحقيقة اهدار للربط بحرف العطف مع امن اللبس .

8 ـــ قـــا الشـــاعـــر :

من يفعل الحسنات الله يشكرها
لا يذهب العرف عند الله والناس

ولما كان المعنى واضحا مع اسقاط الفاء اهـــدرت قرينة الربط عند امن اللبس .

9 ـــ ومثل ذلك يلحظ فى قول الشاعر :

ومن لا يزل ينقاد للغـــى والصبـــا
سيلفى على طول السلامة نادما

حيث اهدرت قرينة الربط باسقاط الفاء عند امـــن اللبـــس .

10 ـــ قـــال الشاعر :

فأمـــا القتـــال لا قتـــال لديكمـــو
ولكـــن سيرا فى عراض المواكب

فاسقط الفاء من جواب اما فكان ذلك اهدارا للربط عند امن اللبس .

لقد سبق ان شرحت المقصود باصطلاح « التضام » وبينت انه قرينة نحوية سواء فى معناه الايجابى حين تستدعى الكلمة كلمة اخرى او بمعناه السلبى حين تتنافى احدى الكلمتين مع الاخرى وفيما يلى من امثلة يتضح ان الاستعمال العربى يشتمل على الكثير مـــن الصور التى اهدرت فيها قرينة التضام عند امن اللبس وذلك بواسطة الحذف او الزيادة او نحوهما . وهاك بعض هذه الامثلـــة :

1 ـــ من شأن الوصف الذى يرتفع معه فاعل (يغنى عن الخبر) ان يعتمد على نفى او استفهام الخ . ولكن اقترانه بذلك قد يتخلف عند امن اللبس كقول الشاعر :

خبير بنو لهب فـــلا تـــك ملغيـــا
مقالـــة لهبـــى اذا الطيـــر مرت

فحذف الاعتمـــاد واهـــدرت قرينـــة التضـــام فى احـــد المواضـــع لان القـــرائـــن الاخـــرى اغنـــت عن ذلك ومن هـــذه القـــرائـــن :

ا) البنية فالذى معنا هنا جملة وصفية المسند فيها صفة مشبهة والفاعل من الاسماء الخمسة وذلك متسق مع العرف الاستعمالى للغة .

ب) قرينة العلامة الاعرابية فالصفة مبتـــدأ مرفـــوع بالضمة والفاعل من الاسماء الخمسة مرفـــوع بالـــواو .

ج) قرينة التضام وذلك ان الصفـــة المشبهـــة لم يتقدم ما يوصف بها فأهدر اعتمادها ثم تطلبت فاعلا فذكر الفاعل معها وهذا هو المثال الاخر من امثلة التضام فى الجملة الوصفية .

د) قرينة الرتبة لان من شأن الفاعل ان يتأخر وقد تأخر هنا .

ولقد كان الكوفيون على صواب عند عدم اشتراط الاعتماد وكان عليهم أن يضيفوا : « عند أمن اللبس » .

2 — يقول النحاة انه يجوز حذف ما علم من مبتدا او خبر . ويقول ابن مالك :

وحذف ما يعلم جائز كما
تقول زيد بعد من عند كما

وفى جواب كيف زيد قل دنف
فزيد استغنى عنه اذ عرف

والذى يصدق على جميع صور الحذف فى اللغة العربية انه اهدار لقرينة التضام عند امن اللبس لان المحذوف فى كل الحالات ضميمة تطلبها ضميمة اخرى .

3 — لا يفصل بين الناسخ المنقول عن الفعلية وبين اسمه بتتمة خبره الا الظرف والمجرور حسبما يقول البصريون . ومع ذلك قال الشاعر :

فنائذ هذا جون حول بيوتهم
بما كان اياهم عطية عودا

ففصل بالضمير وهو مفعول فى جملة الخبر بين كان واسمها فأهدر قرينة التضام عند امن اللبس. وهذا موضع آخر اصاب فيه الكوفيون جادة الصواب اذا جازوا الفصل مطلقا .

4 — كل امثلة زيادة كان فى الحشو اهدار لقرينة التضام بالفصل بين متلازمين حقهما الا يفصل بينهما ، كالصفة والموصوف فى قوله :

فى غرف الجنة العليا التى وجبت
لهم هناك بسعى كان مشكور

وكالمتعاطفين فى قوله :

فى لجة غمرت اباك بحورها
فى الجاهلية كان والاسلام

وبين فعل المدح والمرفوع الذى بعده كقوله :

ولبست سربال الشباب ازورها
ولنعم كان شبيبة المحتال

وبين الجار والمجرور كقوله :

سراة بنى ابى بكر تسامى
على كان المسومة العراب

واللبس فى كل اولئك مأمون بفضل القرائن الاخرى

5 — «لا يكون خبر افعال المقاربة مفردا الا شذوذا» . هكذا تقول القاعدة . واقول انما يكون ذلك اهدارا لقرينة التضام عند أمن اللبس لان بين افعال المقاربة والخبر المفرد تنافيا اى تضاما سلبيا ومن امثلة وروده : « فطفق مسحا بالسوق والاعناق» وقول الشاعر :

فأبت الى فهم وما كدت آيبا
وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

6 — قال ابن مالك :

وكونه بدون أن بعد عسى
نزر وكاد الامر فيه عكسا

فالقلة من امثلة خبر كل من هذين الفعلين المذكورين يشتمل على اهدار لقرينة التضام بين « ان » المصدرية والمضارع المخبر به فى الجملة المنسوخة .

7 — تدخل لا النافية للجنس على الاسماء ومع ذلك قال الشاعر :

فقام يذود الناس عنها بسيفه
وقال : الا لا من سبيل الى هند

فأهدر التضام عند أمن اللبس .

8 — قال ابن مالك فى باب « لا النافية للجنس » :

وشاع فى ذا الباب اسقاط الخبر
اذا المراد مع سقوطه ظهر

وكأنه فى هذا البيت يردد قولى : « يجوز اهدار القرينة عند امن اللبس » .

9 — قالت العرب : « لا عليك » وفهمت من ذلك : « لا بأس عليك » وفى ذلك اسقاط اسم لا النافية للجنس وهو اهدار للتضام عند أمن اللبس .

10 — قال ابن مالك فى باب ظن واخواتها :

ولا تجــز هنـــا بــلا دليـــل
سقــوط مفعــولين او مفعــول

والاصرار على الدليل هنا اصرار على التأكد من امن اللبس قبل اهدار التضام .

11 — من امثلة اهدار التضام عند امن اللبس ان يدخل حرف الجر الزائد على الفاعل كما فى قوله تعالى : « ما جاءنا من بشير ولا نذير » وقوله : « وكفى بالله شهيدا » بل ان الحكم بزيادة الحرف هنا يحمل بعض الاعتراف باهدار التضام .

12 — يحذف الفعل ويبقى الفاعل عند امن اللبس «كمثل زيد فى جواب من قرا » .

13 — ليس من شأن « حاشا » ان تضام « ما » ولكن ذلك التضام ورد مع امن اللبس نحو قوله :

رأيت القــوم مـــا حشا قــريشا
فانـــا نحــن افضلهــم فعــــالا

وقد حكم النحـــاة بشذوذه .

14 — قال النحاة ان جملة الحال اذا كان فيها مضارع منفى بلا امتنع اقترانها بالواو . وقال الشاعر :

اقادوا مـــن دمــى وتوعدونـــى
وكنت ولا ينهـــنهنــى الــوعيــد

وقـــال ايضـــا :

اكسبتـــه الــورق البيض ابـــا
ولقـــد كـــــان ولا يــدعـــى لاب

والمعنى واضح مع الواو بل انـــه فى البيت الثانـــى متعلق بها . فلو حذفت لكانت لا وما بعدها خبرا لكـــان وهذا أولى من اعرابها حالا .

اما اهدار الرتبة عند امن اللبس فيكفى فى الاقتناع به ان بعض الرتب غير محفوظ فيمكن اهدارها كما يمكن اعتبارها ولا بأس على من يستعمل اللغة مـــن هـــذه الطريقة ولا من تلك الا اذا وقـــع اللبس مـــن جـــراء اهدار قرينة الرتبة فيتعين حينئذ الاحتفاظ بالرتبة التى كانت غير محفوظة والابقاء عليها لتعلق المعنى بهـــا .

ومن امثلة الرتب غير المحفوظة الرتبة بين المبتدا والخبر والرتبة بين الفاعل والمفعول وبين اسم ان وخبرهـــا واسم كان وخبرها وبين المفعولين بعضهم وبعض وبين الحال وصاحبها الخ . وفيما يلى امثلة على اللجوء الى حفظ الرتبة غير المحفوظة عند خوف اللبس :

1 — يجوز تقديم المبتدأ على الخبر وتقديم الخبـــر على المبتدأ الا اذا خيف اللبس نحو اخى صديقى فان المعنى يتعلق بالرتبة حينئذ فتحفظ الرتبة . هذا ومـــا تقدم من جواز تقديم الخبر عند امن اللبس فيه اهدار لقرينة الرتبة اتكالا على غيرها من القرائن .

2 — ومثل ذلك يقال فى اسم كان وخبرها نحو كان زيد قائما وكان قائما زيـــد فاذا خيف اللبـــس حفظت الرتبة نحو كان هذا اخى .

3 — ومثله اسم ان وخبرها الظرف والجار والمجرور فيمكن اهدار الرتبة بينهما ما دام المعنى واضحا فتقول ان زيدا فى الدار وان فى الدار لزيداً فاذا قلت كان موسى عيسى حفظت الرتبـــة .

4 — ويجوز فى مفعولى اعطى ان يتقدم ايهما ويتأخر الآخر اتكالا على ان الاول منهما ما صلح فاعلا للمطاوع (وهذه من قبيل قرينة الاسناد) تقول اعطيت زيـــدا هدية واعطيت هدية زيدا فيكون زيد هو المفعول الاول فى الحالتين لانه صلح فاعلا لما طاوع اعطى وهو اخـــذ اما اذا خيف اللبس بأن قلت اعطيت هندا زيدا تعين حفظ الرتبة حفاظا على المعنى .

5 — والقاعدة ايضا يتقدم الفاعل على المفعول او يتأخر فيكون ذلك من قبيل اهدار الرتبة عند امن اللبس فاذا خيف اللبس كما فى ضرب هذا ذلك تعين حفظ الرتبة حفاظا على المعنـــى .

6 — ومفعولا ظن واخواتها يتقدم اى منهما او يتأخر ما دام اللبس مأمونا . تقول حسبت زيدا قائما وحسبت قائما زيدا فاذا خيف اللبس حفظت الرتبة كما فى حسبت موسى عيسى .

7 — ومن امثلة اطراح الرتبة عند امن اللبس تقديم المعطوف على المعطوف عليه فى قول الشاعر : « عليك ورحمـــة الله الســـلام ».

8 ـ ومن امثلة ذلك عود الضمير على متأخر لفظا ورتبة كالحال فى ضمير الشأن فما دام اللبس مأمونا فلا بأس من ذلك كما فى نحو قوله تعالى : « قل هو الله احد » .

قد راينا من ذلك كيف تهدر قرينة الرتبة عند امن اللبس .

ولقد سبق ان ذكرنا ان الادوات تفيد الربط وان منها ما يربط بابا نحويا بباب آخر ومنها ما يكون امينا على معنى الجملة كلها فلو حذفت الجملة وعليها دليل لكانت الاداة بمفردها وافية بالمعنى . ومن العبارات الشهيرة فى الاستفهام الام وحتام وعلام ومتى واين الخ دون ذكر الجملة .

على ان الاداة ولها كل هذا الخطر باعتبارها احدى قرائن المعنى فى السياق يمكن ان تهدر عند امن اللبس . وقد سبق ان شرحت كيف امكن للقرائن الاخرى وبخاصة قرينة النغمة ان تغنى عن اداة الاستفهام فى قول ابن ابى ربيعة :

ثم قالوا : تحبها ؟ قلت بهرا
عدد النجم والحصى والتراب

وكثيرا ما يجرى فى كلامنا الآن ان نؤدى معنى الاستفهام والعرض والنغمة دون الاداة وفى الكلام الفصيح ايضا يمكن ان نتصور رجلا يقص على سامعه قصة كفاحه للوصول الى غاية كان يأمل فى الوصول اليها فاذا فرغ سأله السامع : « ووصلت الى ما اردت ؟ » دون ان يستعمل اداة الاستفهام .

والنغمة نفسها يصعب اسقاطها من الكلام اتكالا على الاداة . دعنا نتصور رجلا جاء يقص علينا قصة جريمة حدثت فيدور فى الذهن معنى الاتهام له بالمشاركة فى الجريمة فنلقى عليه سؤالا فى صورة «هل كنت هناك» لكن لا بنغمة الاستفهام « بهل » بل بنغمة الاستفهام مع استعمال « ماذا ؟ » ويكون المنطوق حينئذ « هل كنت هناك » ولكن المفهوم يكون « ماذا كنت تفعل هناك ؟ » ومعنى هذا ان النغمة كما اغنت عن الاداة فى بيت ابن ابى ربيعة حورت معناها فى هذا المثال

على ان السحرة والكهان وخطباء المسجد يهملون تنغيم الكلام الى حد كبير فيبدو كأنهم يرتلون على نغمة واحدة ومع ذلك يظل كلامهم مفهوما فهل هذا من اطراح قرينة لنغمة عند امن اللبس . اظنه كذلك . ولكنى اقطع ان كل نص مكتوب لا يمكن الا ان نتصور عند فهمه اننا قد اهدرنا النغمة نهائيا عند امن اللبس لان الكتابة لا تبدو فيها النغمات ويكون ذلك اكثر صدقا عند الوصول الى الفهم بواسطة القراءة الصامتة .

اسقاط العامل والتقدير والمحل :

وبعد فقد وصلت فيما سبق الى ثلاثة من اهم الامور وهى :

1 ـ احصاء القرائن النحوية معنوية ولفظية وتقديم دراسة لكل واحدة منها على وحدة .

2 ـ انشاء مبدا هام جدا لم يفطن اليه النحاة هو مبدا تضافر القرائن .

3 ـ انشاء مبدا آخر اهم وهو جواز اهدار القرينة عند امن اللبس .

فأما الاحصاء الذى تمت به للقرائن فقد اوضح ان القرائن المعنوية هى العلاقات التى تقوم بين الابواب فى السياق من حيث المعنى الوظيفى الصرفى والنحوى وان اتضاح العلاقة بين باب وباب فى السياق ليعتبر بذاته قرينة على المعنى ومن هنا كانت العلاقات الواضحة خير دليل من ادلة الفهم بالنسبة للسامع ومن ادلة التحليل بالنسبة للمعرب .

على ان هذه القرائن المعنوية قد لا تتسم بالوضوح فى بعض الحالات فلو توقف المعنى عليها والحالة هذه لتطرق اللبس الى الفهم وهذا شر ما يبتلى به الاتصال اللغوى لذلك عمد الاستعمال اللغوى الى الاستعانة بظواهر الاصوات والصرف لتسخيرها فى بيان معانى النحو فاستمد منها عددا من القرائن اللفظية التى تعين على الكشف عن المعنى جنبا الى جنب مع القرائن المعنوية . ولا شك ان هذه القرائن اسهل منالا فى الفهم من القرائن المعنوية لانها مدركات حسية تبدو كمعالم الطريق يهتدى بها سالكه عند ما تتشعب الطرق ويعز الرفيق . والذين جربوا الاسفار يعرفون قيمة العلامات التى توضع على الطرق مشيرة الى الاتجاهات واسماء الاماكن والمسافات وهلم جرا والذين سلكوا الصحراء يدركون قيمة الشمس والنجوم والكواكب والجبال

والدروب المطروقة والمياه فى تمكينهم من تحديد اتجاهاتهم وادراك مواقع وجودهم وتحديد غايات مسيرتهم . ذلك هو شأن القرائن اللفظية فى الكلام فاذا رأيت بنية ادركت معناها الوظيفى واذا رأيت علامة اعرابية خطر ببالك من الابواب ما يمكن ان تدل عليه واذا رأيت مطابقة من نوع ما فالابواب ذات المطابقات معروفة ومحصورة واذا رأيت رابطة ادركت اشارتها الى ما بين عنصرين او اكثر من عناصر الجملة من علاقة معينة واذا رأيت احد المتلازمين بحثت بمقتضى التضام عما يلازمه واتخذت الاول قرينة على الثانى واذا رأيت رتبة فهمت معناها او اداة ادركت وظيفتها او نغمة لمحت فحواها .

واما المبدأ الثانى وهو تضافر القرائن على الكشف عن المعنى النحوى فقد كان الضربة القاضية فى حلبة الصراع مع العامل النحوى لانه اوضح ان العلامة الاعرابية وهى مناط القول فى العامل لا تعدو ان تكون واحدة من القرائن الدالة على المعنى لا اكثر من ذلك ولا اقل . فاذا بنينا المعنى النحوى عليها وبنينا النحو كله على اساسه فقد رجحنا دون مرجح واهتممنا بدور احد الممثلين على المسرح دون بقية الأدوار فضاع معنى القصة وغابت معالم الحوار واصبح فهم المسرحية مجالا خصبا للتخمين والتأويل والتخيل ومحاولة ملء الفجوات التى غفلنا عنها اثناء التفرج على المسرحية .

لقد قصر النحاة منهج النحو على تقسيم النحو الى حالات اعرابية اربع هى :

الرفع ــ النصب ــ الجر ــ الجزم

وقرروا ان العلامات الدالة على كل حالة قد تكون أصلية كالحركة وقد تكون فرعية كالحرف . وقد جعلوا الضمة من الحركات علم الرفع والفتحة علم النصب والكسرة علم الجر والسكون علم الجزم . وتنوب احدى الحركات عن اختها كما ينوب الحرف عن الحركة .

وقالوا ان الاعراب اثر يجلبه العامل فى آخر الكلمة وان هذا العامل نفسه اما ان يكون لفظيا واما ان يكون معنويا وراحوا يحددون العوامل اللفظية والمعنوية حتى بلغوا بعددها مائة كاملة . وانشأوا لها الفلسفات حتى اصبح فهم النحو عسيرا على المبتدئين واصبح استيعابه عسيرا على غيرهم . وطالت الكتب وضج الناس بالشكوى حتى تصدى المتأخرون للعامل بالنقد وكان سبب التصدى واضحا ولكن منهج النقد لم يكن سليما . ومن هنا تخبط النقاد كما تخبط النحاة . فقد رفض النقاد العامل النحوى واقاموا فى مكانه عاملا آخر هو المتكلم حيث انكروا بذلك الطابع الاجتماعى للغة او هو الله سبحانه وتعالى حيث لجأوا الى الاعتراف بالتوقيف ورفض المواضعة العرفية ايضا .

ان القول بأن الفرد المتكلم هو العامل ينسى ان هذا المتكلم ليس له حرية التصرف فى اللغة وانه لو خالف الاستعمال لم يسلم له ذلك لان اللغة ليست ملك الفرد وانما هى ملك المجتمع . وان القول بأن العامل هو الله سبحانه وتعالى ليس الا عودا الى قضية حسمت تماما منذ ازمان وهى ما اذا كانت اللغة توقيفا او مواضعة وقد استقر الناس على ان اللغة مواضعة وتعارف وانها من صنع المجتمع .

على ان النحاة فى انشغالهم بالعامل لم يستطيعوا تجاهل القرائن الاخرى فراحوا يلمون بالاشارة اليها الماما خفيفا كلما دعا الأمر الى ذلك ولم يسلكوها ابدا فى نظام واحد كالذى حاولته فى هذا البحث كما لم يبينوا تضافرها للكشف عن المعنى النحوى كما شغلوا بالشذوذ والقلة والندرة ونحوها عن جواز اهدار القرينة عند أمن اللبس .

مبدأ تضافر القرائن اذن يفسر التعليق النحوى كله على حين لا يفسر العامل النحوى منه الا قرينة واحدة هى العلامة الاعرابية وهذا المبدأ ييسر ادراك العلاقات النحوية بما يحدد من الامور المحسوسة على حين يفسح العامل النحوى الطريق امام التخريج والتأويل والتقدير وهى امور فردية لا ضابط لها وكثيرا ما اختلف النحاة فيها فانفرد كل واحد منهم بتخريجه وتأويله وتقديره وليس هناك مجال للتقدير فى حدود مبدأ تضافر القرائن لأن كل شىء محدود او ملفوظ .

واما المبدأ الثالث الذى انشأته فهو جواز اهدار القرينة عند امن اللبس فيذهب تماما بالاعراب التقديرى والاعراب المحلى وينفى الخلافات النحوية حول المسائل كما يزيل فكرة الشذوذ والندرة والقلة الخ فالاعراب التقديرى الذى يقوم على تقدير الحركة لعدم ظهورها يضيف على المعرب من الاعباء اكثر مما يفسر من المعانى فالحركة الاعرابية تقدر على المبنيات وعلى المقصور والمنقوص والواضح الذى لا شك فيه ان المعنى النحوى لهذه الكلمات اسرع بلوغا الى الذهن

من الاعراب التقديرى ولو أن الاستعمال اللغوى راى ان القرائن التى تدل على كلمة مبنية فى موضع ما من الجملة لم تؤد المعنى المقصود كاملا لعدل عن استعمال هذا اللفظ المبنى الى استعمال المعرب ولكن القرائـــن الدالة على الباب النحوى لهذا المبنى فى الجملة لم تترك حاجة الى العلامة الاعرابية فاهدرت العلامة لان اللبس مأمون . ولكن النحاة لم يعترفوا باهدارهـــا فراحـــوا يتمسكون بها فقدروا لها حركة واضافوا بهذا التقدير عبئا على المعربين وشجعهم على ذلك او الجاهم اليه انهم بنوا النحو على القول بالعامـــل فكيف يغفلـــون تقدير اثره فى آخر الكلمة اذا لم يظهر هذا الاثر ؟ والذى قيل فى المبنيات يقال مثله فى المقصور والمنقوص . وهكذا نرى ان العامل هو المسئول عن الاعراب التقديرى فاذا بطل العامـــل بتضافر القرائن بطل الاعراب التقديرى ببطلانه ثم بجواز اهدار القرينة عند أمن اللبس .

ولهذا السبب نفسه يبطل الاعراب المحلى ايضا . صحيح ان الجملة ذات المحل الاعرابى حلت محل المفرد. ولو ان المفرد كان فى الاستعمال لاستحق حركة اعرابية ما ولكن الامر يحتاج الى نظرة ادق من نظرة النحـــاة الى المشكلـــة كمـــا يلى :

1 — ان العدول عن استعمال المفرد المعرب الى استعمال الجملة يقوم على اساس من النمطية النحوية والبـــلاغيـــة التـــى تجعل مواضع للمفرد ومواضـــع اخرى للجملة كالذى يحدث فى الخبر والحال والنعت . والدليل على ذلك انك اذا حاولت أن تستبدل بالجمل ذوات المحل مفردات معربة ما استقام لك ذلك ولوجدت انك تحل محـــل الجمل الاسمية او الفعلية جملا اخرى وصفيـــة دون المفردات .

2 — ان استعمال الجملة ذات المحل الاعرابـــى فى جميع الحالات يحصن المعنى النحوى للجملة بعدد من القرائن يجعل السياق فى غنى عن العلامة الاعرابية ومن ثم عن المحل الاعرابى ولو صح ان الامـــر يستدعـــى وجود الحركة على محل الجملة لضرورتها ما استعملت الجملة ولكانت اللغة قد لجأت الى حيلة أخرى تضمن الوفاء بمطالب الافهام وأمن اللبس .

3 — ما فائدة الاعراب المحلى اذا كان فهمه اعسر من فهم المعنى العام للجملة وما المانع من أن نقول ان الجملة خبر او حال او نعت الخ دون ان نقول انهـــا فى محـــــل كـــــذا ؟

4 — من الواضح ان القول بالعامل هو السبب فى القول بالمحل وانه اذا ثبت بطلان العامل ثبت بطلان الاعراب المحلى تبعا لذلك .

اما ما قال عنه النحاة انه نادر او شاذ او قليل فقد سبق ان فسرنا طائفة من امثلته تحت عنوان جـــواز اهدار القرينة عند امن اللبس فعد الى ذلك ان شئت.

وفى ختام هذا البـــاب احب ان اشير الى اقتناعـــى بأن من الممكن ان يقوم النحو العربى على اساس القرائن وتضافرها وجواز اهدار احداها وذلك فى تبويب جديد يناسب مطالب المنهـــج العلمى والطريقة التعليميـــة وينفى من النحو نظرية العامل والاعراب التقديرى والاعراب المحلى ويزيح عن كاهل المتعلمين جمهرة الشاذ والقليل والنـــادر والضرورة ويـــرد اعتبار القراءات القرآنية والحديث النبوى الشريف والله ولى التوفيق.

تطور الحرف العربي

الدكتور
ممدوح حقي

في العالم العربي اليوم اهتمام جدي باصلاح الحروف المطبعية العربية وتطويرها تمشيا مع التاريخ وكسب الوقت الذي يتسم به العصر الحديث ، ولقد فتحنا صدر المجلة لكل محاولة في هذا الموضوع مهما كان شأنها ، ايمانا منا بوجوب خدمة الفكر العربي في جميع صوره ومظاهره ، واذا كان الحرف العربي قد تطور منذ بدايته حتى اوائل هذا العصر تطورا متماديا فانه كان يتمشى باستمرار مع النظرة الجمالية لفن الخط ، ولقد ذهب بذهاب الخلافة العثمانية عام 1924 ذخائر فنية ومخطوطات رائعة ولوحات نادرة لا نملك اكثر من دمعة حرى نذرفها على ضياعها وفقدانها ، وما بقي منها في مساجد استانبول وبورصة وقونية لا يزيد على قطرة من بحر ، ولولا نهضة الخط الفنية في مطلع هذا العصر في سوريا على يد رشا التركي وممدوح الشريف وبدوي وحلمي وفي لبنان على يد البابا وفي مصر على يد الهواويني وسيد ابرهيم ومدرسة الخط العليا ـ لضاعت البقية الباقية من هذه الجمالية الرائعة ، ولقد بدأت بعد الحرب العالمية الاولى حركة رجعية ضد الخط العربي وتفاقمت بعد الحرب العالمية الثانية وظهرت انواع من الخطوط التافهة متأثرة بسريالية الرسم والرقص والموسيقا وتجريداتها يدعم نشاطها عاملان قويان هما:

1 ـ الحرب المتسترة والمفضوحة من الاجانب والشعوبيين ضد العربية .

2 ـ تزايد استعمال الآلات الكاتبة بحروفها النتية الواضحة ، وانعدام البرامج التعليمية من مادة الخط، مما ادى بالطلاب والاجيال التي توالت بعضها وراء بعض الى اهمال خطوطها حتى اصبحت اشبه بخربشة الدجاج .

ولا شك ان عدد مربعات الحروف المطبعية العربية اكثر من مربعات الحروف اللاتينية وان الحاجة الى الاقلال منها وتيسيرها امر ضروري جدا لكن على شرط الا تخل بجمالية الخط العربي الاصيل ، وهذا ما ندعو اليه ونحث عليه وان كنا نفتح صدر مجلتنا ـ كما قدمنا ـ لكل محاولة ومنها المقالات التالية ،

ممدوح حقى

الحروف العربية والمطابع

الأستاذ خير الدين حقي
سورية

قرات فى المجلد التاسع من مجلة اللسان العربى نقد الاستاذ يحيى بلعباس للحروف العربية وانني اذ اقره على كثير مما جاء فى مقاله لكنني لا ارى فى الحل الذى اقترحه لحروف الطباعة ما يحل المشاكل التى طرحها للاسباب التالية :

1 ـ يلاحظ تأثر الاستاذ بلعباس بالخط اللاتينى من حيث ايجاد حروف صغيرة واخرى كبيرة ، فما اغنانا عن هذا التعقيد ؟ لعل الحروف الكبيرة تنفع للدلالة على اسماء الاعلام ، وعندها يكفى وضع اشارة فوق الحرف الاول من الاسم لتمييزه شبيها بما كان اقترح فى وقت ما فى مصر وسميت بحروف التاج ثم اهملت مع ذلك ، اذ ثبت عدم جدواها . فما فائدة اثقال مطابعنا بمجموعة كاملة من الحروف لا لزوم لها .

2 ـ ان القصد ، باعتقادى ، من اقتراح الاستاذ بلعباس بجعل الحروف منفصلة هو للتخلص من كثرة اشكال الحروف بين ان تكون فى اول الكلمة او فى وسطها او آخرها او كانت منفصلة . لكن الاستاذ احمد الاخضر قد وجد لهذا حلا موفقا جدا ، اذ اختصر الحروف الى عدد مقبول . والنماذج التى اوردها فى المجلد التاسع نفسه هى على غاية من الاهمية وقد يكون النموذج المشتق من الكوفى اجملها واوضحها .

ولقد عالجت قضية الحروف العربية طوال اعوام كثيرة ، والذى دعانى لذلك هو ان الامم التى تكتب بالحروف اللاتينية اعتمدت نموذجا موحدا للمخططات الهندسية والخرائط ، بينما نحن لم نعتمد نموذجا معينا . وطلابنا فى كلية الهندسة يتقنون مصوراتهم لكنهم يشوهونها بخطهم الردىء غالبا . فابتكرت لهم نموذجا مبسطا مشتقا من الخط الكوفى المشجر والشطرنجى تسهل كتابته بادوات الهندسة ، وهم مجبرون على تعلمه مع تعلم الرسم ويمكنهم اتقانه مهما كانت موهبتهم ضعيفة فى كتابة الخطوط المألوفة، والتى تحتاج الى مهارة خاصة . ومع هذا المقال نموذج من هذه الكتابة .

وقد جرنى هذا الى تبسيط الحروف المطبعية فاخذت بطريقة الاستاذ الاخضر من حيث فصل ذيل

الحرف عن صدره ، وكونت الحروف المبينة فى الشكل رقم (4) من الكراس وعددها اربعة واربعون حرفا، هى كل ما يلزم لكتابة اى نص كان . وفى الشكل رقم (5) نموذج من استخدام هذه الحروف كأنما سبكت ورصفت .

وقد قرأت مؤخرا فى جريدة الاهرام القاهرية نقلا هى كل ما يلزم الكتابة اى نص كان وفى الشكل عدد اشكال الحروف الى واحد وعشرين شكلا .

وفى بيروت اقترح المهندس نصرى خطار نماذج لحروف منفصلة اخذت بعض المجلات اللبنانية باستخدامها فى العناوين كمجلة الصياد ومجلة الشبكة مع تحريف بسيط لا يمس الجوهر كثيرا . وهنالك محاولات كثيرة كما ذكرتم فى تعليقكم على النماذج التى نشرتم صورا عنها .

حتى ان الاستاذ المستشرق فى جامعة امستردام الدكتور ادوار بلويج له محاولات لتطويع الحرف العربى لآلة الطباعة (اونسيت) مع تبسيطه . فيا حبذا لو ان مجلة اللسان العربى تأخذ المبادرة فى جميع الجهود المبعثرة هنا وهناك وتنشرها فلعلها تجد من تستهويه هذه القضية فيبتكر شيئا ترضى عنه الناس.

3 — لقد جعل الاستاذ بلعباس حروفه بطول واحد (عدا الالف والراء والزين) وهذا الاقتراح يتعب النظر فى القراءة لصعوبة تمييز الحروف بعضها عن بعض . وقد دلت تجارب اجريت على قراءة نصوص طبعت بحروف لاتينية صغيرة مرة وكبيرة مرة اخرى ، فكان تمييز الحروف الصغيرة اسرع واسهل من تمييز الكبيرة ، ذلك لان حروفا تعلو واخرى تنخفض وبعضها يمتد واخرى تقصر يريح النظر والاعصاب ويساعد على سرعة ارتسام الكلمة فى الذاكرة بمجرد القاء نظرة خاطفة عليها .

4 — ينتقد الاستاذ بلعباس وجود النقاط على الحروف وفكر انه قد تخلص منها بلصقها بالحرف تارة بنقطة وتارة بعقفة . ولعل انفصالها يكسبها وضوحا اكثر لا سيما عند ما يصغر حجم الحرف .

5 — ان الحرف العربى قد اكتسب على الزمن طابعا جميلا لا يمكن اغفاله ، وفى الحروف التى اقترحها الاستاذ بلعباس قساوة بالغة . ولا ادعى ان الحروف التى اقترحتها قد حافظت على جمال الحرف العربى لكنها حافظت على الاقل على طابعه . فاذا اردنا ان نطوع الحرف العربى للتكنيك الحديث والمطابع الحديثة فيجب ان لا يكون هذا على حساب تجريد الحرف من صفاته الجمالية . ومن المؤكد اننا سنصل الى الحل المناسب اذا اجتمعت جهود المهندسين والخطاطين وعلماء اللغة . وفى يقينى ان ما توصل اليه الاستاذ الاخضر هو خطوة مباركة وواسعة نحو الامام .

6 — وفى مقال الاستاذ بلعباس نقطة هامة جدا هى موضوع الحركات . وجدير بنا ان نقف عندها قليلا . فقد كنت انا نفسى فيما مضى متحمسا لاعطاء الحركات اشكالا تدخل بين الحروف ، او بتعبير آخر ايجاد اشكال للحركات بحجم الحروف كما جاء فى اقتراح الاستاذ بلعباس لكننى عدلت عن هذه الفكرة لاسباب عديدة هى :

ان الحركات تمثل حروف علة صغيرة لكنها فى الواقع هى علة كبيرة . فالحركات فى لغتنا عامل صرفى لبيان جذر الكلمة وعامل نحوى لوظيفة الكلمة . فالعامل الصرفى سماعى ويجب حفظه بالتلقين . فكلمة لعب مثلا مكسورة العين وكلمة ضرب مفتوحة العين . وكذلك المضارع والامر وغيره . لكن العامل النحوى يتغير بحسب وظيفة الكلمة ان كانت فاعلا او مفعولا او مضافا او غير ذلك . ولا يمكن الا لذى ثقافة لغوية من وضع الحركة المناسبة ، كما لا يمكن الا لذى ثقافة لغوية الى حد ما من فهم الوظائف من خلال الحركات. ولاوضح هذا بمثال ، فلو قرأنا على رجل عامى الاية الكريمة « انما يخشى الله من عباده العلماء » يفهم منها ان الله سبحانه وتعالى يخشى العلماء من عباده وليس العكس كما هو واضح لذى ثقافة لغوية من الفتحة على اسم الجلالة .

وذو الثقافة العادية فى اللغة لا يحتاج على الغالب لجميع الحركات الا لما يوجب الالتباس فقط . فلماذا اذن حشر الكلمة بكل الحركات واطالة الكتابة بما لا طائل تحته ؟ لا سيما وان وضع الحركات على وجهها الصحيح يحتاج الى ثقافة عالية فى اللغة وقد يخطىء حتى المتخصصون فيها ، ويكون هذا الخطأ سببا فى تعميم الخطأ . فعدم وجود الحركات كلها احفظ فى نظرى للغة وايسر للكتابة الا لما يوجب الالتباس . فمثلا لو كتبنا كلمة « كسرت » لوحدها فيمكن ان تقرأ بثمانية اشكال لكلها معانيها وهى :

كسرت ، كسرت ، كسرت ، كسرت
كسرت ، كسرت ، كسرت ، كسرت

فقد يكون وجودها فى الجملة يدل على المقصود من هذه الحالات الثمان ولكن ليس ذلك دوما . فلو كتبنا « كسرت القلم » فقد ينطبق على كلمة كسرت الحالات الاربع الاولى من الثمانية الواردة اعلاه .

اما لو كتبنا « كسرت المحبرة » فينطبق عليها الحالات الاربع الاولى والحالة الثامنة ايضا .

ففى مثل هذه الحالات يكون لوضع الحركات جدوى بل يصبح ضرورة . على انه فى الجملة التالية مثلا « صنع النجار المقعد من خشب الجوز » فلا تحتاج الى حركات تثقل الكتابة . وعلى هذا فان اعطاء الحركات اشكالا كالحروف يصبح ادخالها فى الكلمة الزاميا مما سيشوش الكتابة بالاخطاء الفادحة التى سترتكب الا اذا كان الكاتب على درجة عالية من الثقافة وكذلك القارىء . وفى مثل هذه الحالة ولمثل هؤلاء لن تبقى هنالك ضرورة للحركات الا فى مجالات ضيقة . فلنتصور انسانا ذا ثقافة متوسطة فى اللغة وقواعدها فهل سيسلم من حشو ما يكتب بعشرات الاخطاء فى الصحيفة الواحدة ؟ فان كان القارىء عالما سيتشوش فيما يقصد الكاتب وان كان ذا ثقافة ضعيفة فانه سيفهم المعنى المقصود بصرف النظر كليا عن الحركات وبخاصة اذا راعى الكاتب ترتيب الجمل بحسب سليقة اللغة العربية بأن جعل الفعل اولا والفاعل يسبق المفعول به .

لعلنى تمكنت من شرح وجهة نظرى فى هذا الموضوع ، وما اقصده اصبح واضحا وهو انه يجب عدم اثقال الكلام بالحركات والاكتفاء بالضرورى منها فقط لذلك ندمجها بين الحروف لا يحقق الغرض والافضل ان تبقى اشارات اضافية كما هى وان نركز اهتمامنا على تطويع الحرف العربى للمطابع الحديثة واختصار مئات السبائك بأقل عدد منها مع المحافظة على جمال الخط العربى وصرف النظر كليا عن موضوع اعطاء الحركات اشكال حروف .

خيرالدين حقي
جامعة حلب
كلية الهندسة
الجمهورية
العربية السورية

نماذج مقترحة من الخطوط
للمصورات الهندسية والطباعة والاوكد الآلية

ا ب ت ث ـــ ج ح خ د ذ

ر ز س ش س ص ص ض

ط ط ظ ع ع غ ف ف ف

ق ق ق ـــ ك ك ك ل

ل ل م م م ن ن ن هـ

هـ هـ ه و و لا ي ي ى .

الشكل رقم (١)

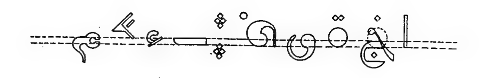
يمثل هذا الشكل حروف الابجدية المقترحة لمكاتب المهندسين للكتابة على المخططات . وهي لا تحتاج لغير المسطرة والمدور . وهذه الحروف التي نعلمها لطلاب كلية الهندسة مأخوذة من الخط الكوفي الشطرنجي والخط الكوفي المشجر .

وعدد ابوابه تسعة: ثلاثة في صحنه
غرباً وشرقاً وجوفاً واربعة في بلاطاته
اثنان شرقيان واثنان غربيان ، وفي

الشكل رقم (٢)

يمثل نموذجاً للكتابة بالحروف المبينة في الشكل السابق بمقاييسها ذاتها وضم بعضها لبعض .

وصورة الغلاف نموذج آخر لاستعمال الحروف المبينة في الشكل رقم (١) .



الشكل رقم (٣)

ان صفيحه من البلاستيك اذا جعل فيها خروق بحسب هذا الشكل يمكن ان تخدم لكتابة الحروف المبينة في الشكل رقم (١) على الطريقة ذاتها المستعملة في الحروف الاجنبية Normographe . وهـذه اللوحة تغني عن استعمال المدور وترسم الحروف بصورة اسرع وادق .

الشكل رقم (٤)

حروف مقترحة للطباعة تتميز عما جاء في الشكل رقم (١) بطريقة وصل بعضها ببعض وذلك بواسطة نبرة مدببة في بداية كل حرف . وميزة هذه الحروف هو امكان اختصار عدد السبائك في مطبعة كاملة الى ٤٤ حرفاً لا غير تنفع في اول الكلمة او في وسطها او آخرها او ان جاءت الحروف منفصلة ، بدلاً من مئآت السبائك كما هو الحال في المطابع الحالية . وبهذه الوسيلة يصبح رصف الحروف العربية أيسر بكثير من ذي قبل واسرع من رصف الحروف اللاتينية ، ويسهل ميكانيك آلات الطباعة الحديثة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الله لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم لا تأخذه
سنة ولا نوم له ما في السموات وما في
الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلّا
بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم
ولا يحيطون بشيء من علمه إلّا بما شاء
وسع كرسيه السموات والأرض ولا
يؤده حفظهما وهو العليّ العظيم

الشكل رقم (٥)

نموذج من الكتابة بالاحرف المقترحة للطباعة في الشكل (٤) كانما سبكت ورصفت.

ﻻ ب ت ث ك ن ي

الشكل رقم (٦)

صور مقترحة للحروف الضيقة لتأخذ عرضاً يساوي عرض بقية الحروف تماماً بنية تبسيط الآلة الكاتبة اليدوية ليكون للدربة حاملة الورقة ازاحات متساوية لجميع الحروف فيسهل ميكانيكها ويرخص ثمنها .

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس الى حسن الثناء سبيل
تعيرنا انا قليل عديدنا فقلت لها
ان الكرام قليل

نموذج من الخط لآلة الكاتبة

الشكل رقم (٧)

نموذج من الكتابة بهذه الحروف المعدلة والمبينة في الشكل (٦)
كانما صنع آلة كاتبة بها. ولئن بدت النقفة في الألف واللام مستغربة ،
انما اقتضت الحاجة اليها ، وهي مأخوذة من الخط الديواني .

ويتألف القصر من طابقين: اما الطابق
السفلي فهو القصر القديم ، وأما
العلوي فقد أمر ببنائه الملك فيليب

الشكل رقم (٨)

هو محاولة اخرى للطباعة بحروف دون نبرات . ويقارن هذا
الشكل على الشكل رقم (٥) وله المزايا ذاتها .

ج د خ د ذ

ص ض ط ظ لا

الأصطلاح الدخيل

الأصطلاح الدخيل

الشكل رقم (٩)

اقتراح بديل لبعض الحروف الواردة في الشكل (٤) بغية تقريب شكلها من شكل الحروف المألوفة في الكتابة مع نموذج لكتابة بهذه الحروف .

بحث في تطوير الكتابة العربية

للأستاذ جودت نور الدين

هذا البحث انما هو محاولة لحل مشكلة الكتابة العربية ، وهى ليست المحاولة الاولى ولن تكون الاخيرة

وهو ليس بحثا فى علم اللغة ولا فى فن الخط ، وان اتى على جوانب مهمة منهما لها علاقة بالكتابة والحرف، وللكتابة والحرف علاقة بها .

وفيما خص الحرف بالذات ، انى اتناوله من ناحيته العلمية ، اى مجردا من قدسيته الدينية وقيمته السحرية ، وبعيدا عن الخلفيات والواجهات السياسية ولا يعنى هذا فى اى حال انى لن اعرض لجوانب وظروف دينية وسياسية كعوامل فاعلة فيه .

القسم الاول : مشاكل الكتابة العربية

اولا — مشاكل الكتابة :

— لا ينكر الا مكابر ان للكتابة العربية مشكلة واحدة على الاقل هى صعوبة قراءتها ورسمها على وجه صحيح تام ، ومع ظهور الطباعة برزت مشكلة جديدة لها تعقدت مع تقدم هذا الفن ، وكان من نتائج هاتين المشكلتين ثالثة هى الضعف فى اللغة ، ويزيد البعض مشكلة رابعة : مساهمة الكتابة العربية فى ازمة الخلق الادبى .

1 — المشكلة التربوية :

قال قاسم امين وردد من بعده طه حسين ، ان المرء يقرأ اللغات الاوروبية ليفهمها بينما ينبغى له ان يفهم العربية ليقرأها ، وان كل من تعلم او علم يواجه هذه الصعوبة : بالنسبة للطفل صعوبة فى تمييز الصور المتعددة للحرف الواحد (حسب موقعه من الكلمة) ، وكثرة الحروف المنقطة ، بالاضافة الى الحركات او العلامات الصوتية التى يبلغ عددها ثمانية على الاقل (مع الشدة والتنوين) ، أما فى غير المشكل فهى صعوبة بالنسبة للراشدين المتعلمين ونادرا ما تجد بينهم — وبين اساتذة الادب العربى — من يخرج اللفظ اخراجا صحيحا — حتى عند قراءته جريدة يومية — الا بمزيد من التأنى وارهاف الذاكرة واجهاد الاعصاب، حسب تعبير محمود تيمور (1) . أما المتمرن فانه «يعرض نفسه لحول عينيه اذ هو لا يقع بصره على الكلمة الا وهو يجيله فيما بعدها من الكلمات حتى يعرف معنى تلك الكلمة هل هى اسم او حرف او فعل ، وما وظيفتها فى الجملة وما تستحقه من البناء او حركات الاعراب» (2) ولهذا يعمد الكثيرون الى تسكين اواخر الكلمات كى يتفادى التحريك الخاطىء .

اما فى الكتابة فتواجه المتعلم — بالمعنى الحرفى — صعوبتان : اختلاف صورة الحرف الواحد بين مخطوط ومطبوع ، ثم صعوبة املائية ناتجة فى الدرجة الاولى عن طبيعة الهمزة ومنزلتها بين الحروف العربية ، والصعوبة الاولى قائمة فى اللغات الاخرى ، ولكن هذا لا ينفى انها صعوبة وينبغى تذليلها ، لا سيما واننا فى عصر متسارع ينبغى فسح الوقت فيه امام التفكير والانتاج وتخصيص اقل قدر منه لاتقان استعمال الوسائل .

اذن مشكلة الحرف التربوية مشكلة تهجئة وتحريك واملاء واقتصاد فى الوقت .

2 — مشكلـــة الطبـــاعـــة :

— جاء فى مقال بتوقيع شعيب احمـــد الدربـــى ان عيون صندوق الحروف فى اول مطبعة عربية (مطبعة حلب التى اسسها الشماس عبد الله زاخر سنة 1706) كان عددها 222 — اما المطبعة الامريكية التى نقلت من مالطة الى بيروت فقد كان عدد العيون فيها بالحروف المشكولة 900 (ولنا ان نتصور العناء الذى يلاقيـــه العامل الفنى فى تنضيد النصوص المحركة) وبعدهـــا جرت محاولات عديدة لاختصار عدد اشكال الحروف فى اتجاهين اثنين : اولهما يحافظ على طبيعة الابجديـــة العربية فى الاتصال والانفصال ومن رواده اللبنانـــى الشيخ ابرهيم اليازجى بالنسبة لمطبعة التنضيد اليدوى (المونوتيب) ومن لاحقيه اللبنانى كامل مروه بالنسبة لمطبعة التنضيد السطرى الحديثـــة (اللينـــوتيب) . والاتجاه الآخر يفكك الكلمة كليا باستعمال صور الحروف المنفصلة ، واول من نادى به سفير ايران الاسبق فى لندن ناظم مالوكى خان 1882 ، وتبعه اسماعيل حقى الميلاسى فى اوائل القرن المشرين ، ورو جت جريـــدة « المقطم » القاهرية لـــ « حرف اديب » سنة 1936 وغير هؤلاء (3) .

والمشكلة بالنسبة لمطبعة التنضيد اليدوى (القديمة) اننا اذا اردنا طبع نص مشكول مع تعدد صور الحرف الواحد لزمنا جهد كبير ووقـــت طويـــل ، لان عيـــون الصندوق لن تقل عن 226 فى هذه الحالة . والمشكلة بالنسبة لمطبعة التنضيد السطرى السريعة ان مجساتها لا تعدو الـــ 90 وعلى احسن تقدير الـــ 96 ، واننا لا نستطيع وضع الحركة على الحرف لانه غير مجوف ولا يمكننا ذلك الا اذا اعتبرنا الحركة بمقام الحرف تسبقه او تتلوه مباشرة ، اما فى الآلة الكاتبة المتستعملة حاليا — او الراقنة — فلا يمكننا كذلك طبع نص مشكول لان فيها 47 طارقة فى طرف كل منها شكلان فيكون المجموع 94 شكلا (فى الراقنة الفرنجية 44 طارقة) . وصنـــع راقنة جديدة تتسع لها كلها غير عملى فنيا وماديا .

3 — المشكلـــة اللغـــويـــة :

— شهر عن العربية انها بصعوبة الالمانية والروسية والفرنسية ، وبعضهم يقول بأنها اصعب منها ، لاسباب ترجع الى تواعدها فى الدرجة الاولى (وجود مجـــرد ومزيد ، ومعلوم ومجهول ، وصحيح ومعتل ، ومعرب ومبنى ، ومصروف وممنـــوع مـــن الصرف ، ومقصور وممدود ، وتعدد الاوزان للثلاثى وتعدد المصادر للفعل الواحد . وتعدد المفاعيل ، وتعدد الجموع ، وتعـــدد المفردات للاسم الواحد ...) وتجىء مشكلة الحـــرف التربوية والطباعية لتزيد فى تعقيد العربيـــة والتخـــوف منها فيؤدى ذلك الى الصدوف عنها او تفضيل احدى اللغات الاجنبية عليها او الى التطـــرف والدعـــوه الى احلال العامية محلها ، اقتناعا او اصطناعا . ولا شك فى ان جزءا من حل مشكلة اللغة — وبالتالى تشجيع الاقبال عليها والعناية بها ودفع الاتهامات عنها — يكمن فى حـــل مشكلـــة الكتابـــة .

4 — المشكلـــة الادبيـــة :

— يرى التونسى البشير بن سلامة (4) ان العربية فى الجاهلية كانت مكتملة كلغة (ضبط فى الاعراب وتوازن فى النبرة الموسيقية) وبدائية ككتابة (خالية من الاعجام والتحريك ردئية التصوير لانها رموز) ، وما زال هذا النقص — ولو جزئيا — الى ايامنا . ويرد بدائيتها الى نزعة السماع والرواية التى سادت ما قبل نزول القرآن وحتى ما بعد نزوله ، على الرغم من اعتباره « حـــدثا لغويا » — على حد تعبير المستشرق الفرنسى بلاشير Blachere — من حيث كونه لا شعرا ولا نثرا ومن حيث دعوته الى القراءة والكتابة فى العديد من الآيات.

وان القراءة الكاملة المعتمدة على الكتابة الكاملـــة تحرر الانسان من « سلطان الذاكرة » الآسر الرتيب او « الذاكرة المتشدة » (والتعبيران للكاتب الفرنسى الان Alain وتسند الافكار المنطقة نحو المجهـــول والمغامرة الكبرى ، اى نحو الخلـــق .

ويرى السيد بن سلامة ان التفاوت بين بناء الثقافة وبناء اللغة الموروث المنقوص ادى الى عزلة العربيـــة واقتصارها منذ القدم على نخبة معينة . ويتقلص ادب الرواية والسماع الذى كان يعوض النص المشكـــول وببقاء هذا على صورته اتسعت الشقة بين الفصحى والعامية وزادت الفصحى « برعاجية » فظهرت ككائن مصطنع بعيد عن الحياة الحق المتفتحـــة على جميـــع التيـــارات .

ويتبنى الكاتب مقولة محمود تيمور بأن « المسألـــة ليست فى القراءة الصحيحة وفى تجنب اللحن فقط بل هى تتعلق بتقدم العرب اذ خلو الحروف من الحركات يعد مظهرا من مظاهر التخلف » . ويتساءل هو بدوره عن « حظ اللغة العربية من التقدم الفكرى » فيقول : « هل سمعنا فى ايامنا هذه بعالم عربى قدم اختراعاته واكتشافاته باللغة العربية ؟ وهل سمعنا ان نظرية من النظريات الفلسفية اكتسحت عالمنا الحاضر وهى نابعة من فكر عربى وزاحمت الماركسية والوجودية وحتـــى الماوية وغيرها من الفلسفات ، وهل سمعنا ان قصة او ديوانا من الشعر باللغة العربية صار بالنسبة لمثقفى العالم الشغل الشاغل ؟ (5) .

ومن وجهة اخرى ، نرى ان انصراف الناس فى ايامنا الى المسموع المرئى ينعكس انعكاسا سلبيا على المطبوع المقروء ، ولا سيما على الانتاج الادبى وتسويقه وهذه المشكلة قائمة بالنسبة للغات الاجنبية ايضا ، فكيف تكون الحال اذا كان هذا المطبوع صعب القراءة وفى بلاد عدد اميها يفوق عدد المتعلمين او يساويه على احسن تقدير ؟

ثانيا — حلول سابقة :

— لن اتوقف هنا — ولا فى الحل الجديد — عند المشكلتين الفرعيتين الثالثة والرابعة الا بمقدار : قبل كل شىء — وهذا هو الاهم — لاعتبار ان ما يعود فيهما للكتابة نتيجة تزول بزوال السبب ، ثم لان المقام ليس مقاما لبحث مشكلة الخلق الادبى من حيث الجوهر . ولنبدأ بالثانوى بالنسبة للبحث :

1 — ان تساؤل السيد بن سلامة عن حظ العربية من التقدم الفكرى واعتباره اللغة مسؤولة عن عدم تقديم عالم عربى اختراعاته واكتشافاته بها فيه عكس لبعض الحقائق ، فاللغة هى التى تجد فى التقدم الفكرى قاعدة ترتكز عليها لان التقدم هو الذى يطور اللغة ايضا من حيث الكتابة والمفردات والتراكيب والاساليب والنفس . وكما يقول مواطنه التونسى الاديب محمود المسعدى فان الفكر النير يفرز بطبيعة الحال لغة مناسبة له . ان التخلف لا يتجزأ وكذلك التقدم . فمثلا لو لم يكن الاسلام ثورة اجتماعية جذرية فى جميع مناحى الحياة العربية (ولعله الثروة العربية الحقيقية الوحيدة حتى الآن) لما تمكن من فرز لغة جديدة — من حيث الاسلوب — ولا كتابة جديدة — من حيث الشكل .

ان النقص فى الكتابة هو فعلا مظهر من مظاهر التخلف ولكن بمعنى انه نتيجة لا سبب . ولو كان العرب اقوياء اقتصاديا وعسكريا وسياسيا لازدهر انتاجهم الفكرى ولكانت لهم اختراعات عربية يعطونها اسماء عربية ، ولنشروا بل لفرضوا لغتهم بحكم كل ذلك وبحكم اضطرار الآخرين الى التعامل بها — شأنهم فى العصر العباسى مثلا — وكما كان الشأن بالنسبة للاسبانية ، وكما هو الآن بالنسبة للفرنسية والانكليزية والالمانية والروسية ، وكما سيكون بالنسبة للصينية ، من يدرى!

ومن جهة اخرى ، من المستحيل ان يتعايش تخلف الكتابة مع تقدم الامة كما ان من النادر تعايش تقدم الكتابة مع تخلف الامة . وان مجرد استيراد اى مظهر من مظاهر التقدم — كاحدى الكتابات مثلا — لا يقدم امة متخلفة .

اما الدعوة الى العامية ، فهى من وجهة نظر ادبية خالصة مناهضة لحقائق الادب :

ا — سبب انتشار العامية هو عرقلة نمو الفصحى وانتشارها الناتج فى المقام الاول عن الامية ، وفى المقام الثانى عن عدم العناية بها ومزاحمة اللغة — واحيانا اللغات — الاجنبية لها فى كثير من البلدان العربية منذ المرحلة الابتدائية ، بل ومنذ مرحلة الروضة احيانا .

ب — اذا اخذنا بالعامية وجب علينا ان نضع القواعد لها كما توضع لاى لغة يراد لها ان تبقى بعيدة عن الفوضى ، وتعلم القواعد الجديدة قد يبلغ درجة الاستحالة بسبب وجود العديد من العاميات حتى داخل البلد الصغير الواحد . اما تسهيل قواعد اللغة الحالية فهو ايسر نظريا وممكن عمليا ، واعمال مجمع اللغة العربية فى القاهرة معروفة فى هذا الحقل (6) ، « واحرفية » اللبنانى يوسف السودا مثل تطبيقى قابل للتحسين (7) .

ج — من اهداف الفن الصحيح السمو بالذوق العام. والفن العامى نفسه — كالزجل فى لبنان مثلا — يلتزم بموازين موسيقية تقربه من الفصيح ، وتتقرب مفرداته ولغته من الفصحى كلما عمقت معانيه وغنيت صوره .

والشاعر اللبنانى سعيد عقل — احد دعاة العامية — يعلم جيدا انه لم يخلد من شعراء العامية فى فرنسا كلها وعلى مدى قرون الا واحد هو شاعر الاقاليم فريدريك ميسترال ، بل ان شاعرنا نفسه اذا كان الامر جدا لا ينظم الا بالفصيح واى فصيح . ومن يقرأ مطولاته الرائعة او قصيدته « الجاهلية » فى نهرو يخرج بهذا الانطباع والاقتناع ، حتى انه فى كتابه الغزلى النثرى الاخير « كتاب الورد » يتغزل متوحدا مع فصحاه ، لا مع محبوبه ، كما قال احد النقد .

د — اتجاه الادب هو نحو الانتشار والشمول الانسانى لا نحو التقوقع والتحجر على الذات . وان الكتابة بلغة يقرأها عشرات الملايين انجح للادب رسالة وسوقا وحافزا فى الحوافز على الابداع — من كتابته بلهجة يحكى بها بضعة ملايين فى بضعة بلدان (وهذا ، بالاضافة الى مناخ الحرية ، ما يفسر ازدهار النشر والطباعة فى لبنان ، لا غير ذلك) .

هـ — ان القول بازدواجية لغة الحياة ولغة الكتابة ثم اعتبار الفصحى بمقام اللاتينية المتحفية فيه تضييق على المعنى . فقد سبق ان قلنا بأن العامية ظاهرة تخلف لانها تعكس واقع الامية الناتج عن التخلف العام . ولا اظن احدا يوافق على ان التخلف هو الحياة الصحيحة. ومن جهة اخرى لا يصح تشبيه العربية باللاتينية المنقرضة لان للعربية شعوبا تتكلم بها وتكتب وتقيم شعائرها الدينية اليومية ، بينما حلت محل اللاتينية لغات مختلفة ولم تعد تلك مستعملة الا لاقامة بعض الشعائر الدينية وفى نطاق محدود .

و — ان تيسير الفصحى وتطويرها كلفة مستطاع لمن يريد . ولنا فى لغة مارون عبود وكمال يوسف الحاج ومحمود المسعدى الجريئة الحية امثلة على ذلك . واما تسهيل كتابتها وقراءتها دون الخروج على عبقريتها واصولها — ولكل لغة عبقرية واصول — فنأمل ان تساهم محاولتى هذه الى جانب المحاولات السابقة — ان فعلا اورد فعل — فى اكمال القاموس لا فى نقضه .

بقيت اذن المشكلة الرئيسية :

2 — صورة الحرف وقراءته :

ا — فى 6 — 2 — 1941 اصدر وزير المعارف المصرى الدكتور محمد حسين هيكل قرارا عهد بموجبه الى مجمع فؤاد الاول للغة العربية « بدرس ما من شأنه تيسير الكتابة العربية » وذلك بناء على اقتراح من عبد العزيز فهمى فى جلسة سابقة للمجمع « بوضع طريقة لرسم الكتابة العربية تقى القارىء اللحن والخطأ » (8) . ثم قدم عبد العزيز فهمى نفسه اقتراحا عمليا **باعتماد الحروف اللاتينية** مع الابقاء على عشرة من الحروف العربية الحالية (انظر البيان رقم 1) ، كما قدم على الجارم اقتراحا آخر يدعو الى ان تكمل حروف الكلمة بزوائد فى صلبها تدل على الحركة « بحيث يؤدى كل حرف صورته الصوتية صادقة » (انظر البيان رقم 2) (9)

وابرز الدعاة الى الحروف اللاتينية فى ايامنا هو الشاعر اللبنانى سعيد عقل نفسه . وهو يدعو فى نفس الوقت الى اعتماد اللهجة المحكية كـ « لغة قومية » وتعلم « لغة حضارية » او لغتين من اللغات الحية (الفرنسية ، الانكليزية ، الالمانية ...) وابقاء « لغة الجيران » للجيران ، وسمى كل ذلك « ثورة اللغة والحرف » (10) . ويبلغ عدد حروفه 36 بما فيها الاحرف الصائتة او الحركات . وطريقته — كطريقة فهمى تدعو الى حرف موحد الشكل والى كتابة الصوتيات فى صلب الكلمة كما هو الحال فى العديد من اللغات الاجنبية .. واول ما طبع بها كتاب له بعنوان « يارا » فى مطلع الستينات .

ب — سبق ان ذكرنا ان اول من دعا الى **استعمال الحروف العربية المنفصلة** هو ناظم ما كوم خان سفير ايران الاسبق فى لندن سنة 1882 اذ « قام بعمل احرف طباعية منفصلة وطبع عليها بعض الكتب بالعربية ومنها اقوال الامام على ، وبالفارسية كتاب « كلستان » . ودعا الى هذا الاتجاه اصحاب مجلة « المقتطف » ويوسف غسطين مدير جريدة « الاهرام » الاسبق ويوسف صفير وغيرهم (11) .

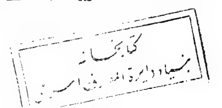
ومنذ بضع سنوات وضع المهندس اللبنانى نصرى خطار صورا موحدة لاحرف عربية منفصلة سبكت للاستعمال التجارى وللعناوين على امل الاخذ بها فى الطباعة العادية ، واشكال بعضها تشبه اشكال بعض الاحرف العبرية (12) .

وظهرت فى جريدة « النهار » البيروتية مقالة بقلم عطا الله ذبانة يؤكد فيها انه « ابتكر ابجدية جديدة وسهلة لاصلاح الحروف العربية وتثوير الرسم العربى ... انطلاقا من روح عصرنا الثورى واستلهاما لآخر المحاولات وارقاها فى العالم كله » (13) والابجدية الجديدة تقوم على حروف منفصلة متساوية الارتفاع بعض هياكلها مستمد من صور الحروف الحالية وبعض صورها تذكر بصور الابجدية الارمنية. ومن خصائصها الغاء التنقيط منها جميعها والغاء الشدة واعتبار الهمزة حرفا قائما بذاته « واكتشاف حروف صوتية عربية تنوب عن الضمة والفتحة والكسرة وتدخل فى صلب بناء الكلمة » ، واخيرا ادخل ثلاثة احرف لاتينية اساسية (G, P, V) بقصد استعمالها عربيا عند كتابة اسماء ومصطلحات معربة وذلك لعدم توافر حروف عربية بمثل مخارجها » (14) .

واطلعت مؤخرا على اقتراحين لمغربيين هما مصطفى النعمان ويحيى بلعباس فى مجلة « اللسان العربى » يكرر اولهما اقتراح على الجارم ويكرر ثانيهما اقتراح نصرى خطار (15) .

هذا مع الاشارة الى ان اقتراح خطار نفسه (وكذلك اقتراح ذبانة) يعيد الى الذهن اقتراح محمود تيمور الذى قدمه للمجمع اللغوى بالقاهرة وطبع سنة 1951 بعنوان « ضبط الكتابة العربية » ، وهو يرى « ان نقتصر من صور الحروف على صورة واحدة .. الصورة التى لا تقبل الاتصال من بدء الكلمات » باستثناء بعض الاحرف « الالف ، الدال ، الواو ، التاء المربوطة ...) مع وضع الضوابط على الحروف : « حروف مألوفة وضوابط معروفة » (16) .

ج — قدم المغربى احمد الاخضر غزال الى مجمع اللغة العبية فى القاهرة مشروعا يقضى **باختصار اشكال الحروف الحالية** الى « تسعين شكلا بما فى ذلك حروف الضبط والشكل وعلاماته والارقام والوقف » وبوضع الحركة بعد الحرف مباشرة . وتبنت الحكومة المغربية هذه الطريقة سنة 1956 ورحب بها المؤتمر الاول للجان العربية الوطنية للاونيسكو سنة 1958 واوصى المؤتمر العربى الاول للتعريب سنة 1961 بالانتفاع بها . كما ان هذه « الطريقة المعيارية » اعجبت الاب كورون مدير المطبعة اليسوعية سابقا فى بيروت ومدير دار المنشورات العربية حاليا فى باريس وليون بفرنسا ، لان الحركات المستقلة تمكن من اختصار امهات الحروف وتقلل كثيرا من عدد الحروف المطبعية التى يزيد عدد صناديقها حاليا عن 250 صندوقا . واننا



نجد الحركات موضوعة بعد الحروف مباشرة فى كثير من الكتب المطبوعة فى لبنان منذ اوائل الخمسينات ومنها « لسان العرب » «(17) .

واختصر اللبنانى كامل مروة اشكال الحروف المطبعية من 104 الى 56 فقط فاصبح من الممكن استعمالها فى المطبعة الحديثة التى تتسع لـ 90 قناة . وقد وازنت طريقته بين مقتضيات الاقتصاد والمحافظة على الشكل المعتاد للحرف العربى .

واستوحى التونسى البشير بن سلامة طريقة احمد الاخضر المعيارية فى وضع طريقة سماها « الكتابة النموذجية » ، ولاحظ ان « الحركة اذا كانت مصحوبة برابط (بين الاحرف) يكون مدروسا شكله بحيث يمكن ان يربط بين جميع الحروف من دون ان يخل بجمال الخط امكن لنا استنباط حروف يضبط الخطاط نوعيتها ويختصر العدد الكبير منها . وقد توصلنا الى ذلك فاصبح عدد الحروف 58 حرفا بعد ان كان يزيد عن المائة . واذا اضفنا الحركات مع الروابط وادوات الوقف والشدة والتعريفة تحصلنا على آلة ذات 91 حرفا » «(18) . ويلاحظ صاحب هذه الطريقة ان حروفه الـ 58 تظهر (وهى مستقلة) « مبتورة لان جزءا منها سواء كان الايسر او الايمن او الاثنين معا موجود فى الرابط الذى يحمل الحركة ، ولكنها كلما اقترنت به اصبحت كاملة لا يميزها عن الكتابة العادية شىء ــ وانه بالنسبة للحروف الهجائية النهائية تظهر الحركة بدون رابط وتفصل هكذا عما بعدها » (19) فلا تختلط الكلمات فى السطر الواحد (البيان رقم 3)

د ــ بقيت محاولة اخرى ، « تلك التى حددها وروج لها الدكتور اديب ابو غزالة ودعاها « الكيان المجرد للحرف العربى » . وهى فكرة تدعو لحذف الكاسعات والذيول والتطاريق من الاحرف العربية لتكون ذات شكل واحد موحد اينما وقعت من الكلمة على ان تبقى متصلة » (20) . وبكل اسف لم يتوصل الى علمى تفاصيل عنها غير هذه ، ولا ادرى اذا كانت تدعو الى الغاء التنقيط ووجوب التحريك .

3 ــ الاملاء العربى :

اقر بادىء ذى بدء بأن ليس للحرف العربى مشكلة املائية صعبة جدا . فالعربية ــ بخلاف الفرنسية او الانكليزية مثلا ــ لغة صوتية تكتب اجمالا كما تلفظ. وليس من صعوبة حقيقية فى املائها الا الهمزة ، ويليها الالف ، فهذه تلفظ احيانا دون ان تكتب (مثل هذا ولكن واولئك) او تكتب دون ان تلفظ (كواو الجماعة) كما تكون تارة ممدودة وطورا مقصورة . وقد جرت عدة محاولات لتسهيل الاملاء العربى اذكر بعضها .

ــ فى مصر دعا على الجارم الى **تسهيل كتابة الهمزة** باتباع قواعد اربع اهمها الثانية وهى تقضى بأن « تكتب الهمزة المتحركة فى وسط الكلمة وفى طرفها على حرف مناسب لحركتها وبذلك يستغنى عن الحركة هكذا : سأل ، سئل ، ضؤل ، النبؤ ، فى جزئى الكتاب .. (21)

وفى لبنان دعا الشاعر جوزف نجيم الى تسهيل كتابة الهمزة فتكون اطلاقا فى اول الكلمة على الالف (اخذ) وفى وسطها على ياء مهملة (سئل) وفى آخرها مستقلة (جاء) ، وذلك بصرف النظر عن حركتها او حركة ما قبلها .

ــ وبشأن **كتابة الالف** سبق لنادى دار العلوم بمصر فى منتصف الثلاثينات (وكان وقتها سعد زغلول وزيرا للمعارف) ان ناقش « رسم الالف المتطرفة الفا ممدودة سواء اكانت واوية ام يائية» (22) وجدد العراقى منير القاضى الاقتراح وقدمه الى المجمع العلمى العراقى ببغداد فنشرة المجمع فى كراس مستقل (23) . ومؤخرا بعث اللبنانى احمد اللواسانى نفس المشروع على صفحات ملحق جريدة « النهار » البيروتية .

ــ واقتراحات **الكتابة الصوتية** ليست جديدة . ومعروف ان طه حسين دعا اليها وانه كان الى سنة 1960 يوقع مقالاته فى جريدة « الجمهورية » القاهرة باسمه كما يلفظ .

القسم الثانى : الطريقة الطبيعية

اولا ــ فى الامـلاء :

1 ــ يبدو اقتراح **كتابة الالف** المتطرفة الفا ممدودة على الاطلاق معقولا ووجيها لان اختلاف صورتى الالف مع وجود صوت واحد لهما لا مبرر له فى الواقع الا الدلالة على مصدر واوى او يائى وعلى ما ينجز عنه فى التصريف مثلا بالنسبة للافعال (ما ينتهى ماضيه بألف ممدودة ينتهى مضارعه بواو مثل دعوا ــ يدعو، وما ينتهى ماضيه بألف مقصورة ينتهى مضارعه بياء مثل رمى ــ يرمى) . وفى الالف المقصورة دلالة على التأنيث فى كثير من الكلمات (كبرى ، سلوى ..) ولكن النحاة انقسموا فى هذا الشأن ، وذهب فريق منهم الى ان ما كان اصله ياء اجازوا كتابته الفا ممدودة وما كان اصله واوا لا يجوز كتابته الفا مقصورة (24) . وذكر على الجارم انه جاء فى كتاب الشيخ نصر الهورينى ما معناه « ان جماعة من النحاة جروا على كتابة الباب كله بالالف (الممدودة) حملا للخط على اللفظ كما فى الشافية ووجهه شيخ الاسلام بأنه القياس ، وقال البطليوسى فى شرح أدب الكاتب : ان ابا على الفارسى اختار هذا الرأى » «(25) . وهكذا فالافضل والاسهل

ان تكتب الفا ممدودة كل الف مقصوره فى حرف او اسم او فعل فى اعراب او بناء .

اما الكلمات التى تلفظ فيها الالف ولا تكتب كاسم الاشارة المسبوق بهاء التنبيه (هذا ، هــذان ..) او لكن والرحمن .. فينبغى ان تكتب ــ على تلتها ــ كما تلفظ ما دامت كتابتها بهذا الشكل لا تمــس جوهــر اللغة ، بعكس الالف فى واو الجماعة اذ يجب اثباتها كى لا يختلط المفرد بالجمع على الاقل (ويمكــن ان يحافظ على صورة اسم الجلالة « الله » كما هى ، دون ان يكون فى هذا الاستثناء الوحيد خروج ينكــر على الواعد التى وضعناها) .

ويذكر الشيخ احمد رضا العاملى فى معرض تفسيره لاقدم نص عربى وصل الينا ــ وهو نقش النمارة كما سيأتى ذكره ــ ان نزع الالف من الكتابة يرجــع الى تأثير الخط النبطى على الخط العربى « اذ ليــس فى الاول لحرف اللين ولا للهمزة صوره » (26) .

وما دام الشكل واجبا على الحروف ــ كما نقترح ــ فان الاسماء الموصولة تكتب هى ايضا كما تلفظ (الذى، اللذين ..) ، وقس على ذلك .

2 ــ اما بشان **كتابة الهمزة** فارى ان على الجارم خطا خطوه بسيطة على طريق الحل بدليل انه اضطر الى وضع اربع قواعد على الاقل لضبطها ، وان جوزف نجيم قام بخطوة عملية فقط عند ما اقترح الاقتصار على صور ثلاث لها حسب موقعها فى الكلمة لانه انطلق من الموجود على علاته واستخرج قاعدة على مبدا الشيوع والاغلبية دون الذهاب الى ابعد مــن ذلك . وارى ان الحل ينبغى ان يكون جذريا وكاملا مــن حيث منزلــة الهمزة فى الهجاء العربى ووظيفة احرف العلة الثلاثــة التى تجلس عليها سعيدة فى اكثر الاحيان .

« يقول لسان العرب » كبير امهات المراجع المتاخرة التى وعت ما قبلها ما يلى : « قال الازهرى : اعلم ان الهمزة لا هجاء لها انما تكتب مرة الفا ومرة ياء ومــرة واوا ، والالف اللينة لا حرف لها ، انما هى جزء من مدة بعد فتحة . والحروف ثمانية وعشرون حرفا مع الــواو والالف والياء ، وتتم بالهمزة تسعة وعشريــن حرفا . والهمزة كالحرف الصحيح غير ان لها حالات من التليين والحذف والابدال والتحقيق تعتل ، فألحقت بالاحــرف المعتلــة الجوف وليست من الجــوف ، انما هى حلقية فى اقصى الفم » (27) .

ويقول « معجم متن اللغة » : « ان الالف والهمزة ليسا حرفين تامين بل يعدان حرفا واحدا ، لان الحرف التام يتعين له صورة فى النطق وفى الكتابة معا . ولكن الهمزة ذات صورة فى النطق دون الكتابة والالف ذات صورة فى الكتابة دون النطق . لكنهم لم يتحرجوا مــن اطلاق اسم الالف على الهمزة فى كثير من الموارد ،،، والظاهر فى ترتيب سيبويه لحروف الهجاء ان الالف اول حروف الحلق ، وعلى ذلك جلة الائمــة . لكــن الخليل بن احمد فى « العين » وابن سيدة فى « المحكم » عدها بين حروف الجوف التى لا تنــدرج فى مــدارج الحروف بل تخرج من الجوف . واراد سيبويه بها الالف المتحركة واراد بها الخليل الالف اللينة . ولــم يهمــل سيبويه الالف اللينة فعد الحروف معها تسعة وعشرين حرفا » (28) .

ومن جهة اخرى ، يقول « لسان العرب » : « قال (ابو العباس) واختلف العلمــاء باى صــوره تكتب الهمزة ، فقالت طائفة : نكتبها بحركة ما قبلها وهم الجماعة ، وقال اصحاب القياس : نكتبهــا بحركــة نفسها ، واحتجت الجماعة بأن الخط ينوب عن اللسان قال وانما يلزمنا ان نترجم بالخط ما نطق به اللسان . قال ابو العباس وهذا هو الكلام » (29) .

وعند اجتماع الهمزتين بمعنيين نجد مــن يحقــق الاثنتين كعاصم والكسائى ، ومن يحقق الاولى ويخفف الثانية كالخليل ومن يخفف الاولى ويحقق الثانية كابى عمرو بن العلاء . ومنهم من يخفــف الاثنتــين كاهــل الحجــاز ،،، » (30)

وفى « اللســان » نجد ان الهمز على ثلاثة انواع ،، التحقيق (وهو اعطاء الهمزة حقها من الاشبــاع فى اللفظ) والتخفيف (قليل من الاشبــاع والاعــراب) والتحويل (الى ياء مثل خبأت ــ خبيت او الى واو مثل رفأت ــ رفوت) ، « وتميم اصحاب النبر واهل الحجاز اذا اضطروا نبــروا (31) .

من هذه النصوص يبرز اختلاف علماء اللغة فى ثلاثة امور : فى منزلة الهمزة وفى املائها وفى اخراجها .

ووضع الامر فى نصابه يقتضينا اعتبار الهمزة حرفا مستقلا قائما بذاته لعدة اسباب :

ــ لان لها صوتا مستقلا مميزا (ء) ، واذا كان لصوت اساسى صورة فى النطق دون الكتابة فينبغى ايجاد صورة مكتوبة مستقلة لهذا الصوت .

ــ لانه فى حالة تعادل الآراء ترجع القاعدة الاكثــر بســاطــة .

ــ لان علاقة الهمزة بالالف من حيث اللفظ كعلاقة بعض الاحرف الاخرى فيما بينها (التاء والطاء ، السين والصاد ، السين والزاى ، والقاف والكاف ،،،)

يقول ابن جنى مخالفا راى ابى العباس ثعلب : « ان جميع هذه الحروف انما وجب اثباتها واعتدادها لما كانت موجودة فى اللفظ الذى هو قبل الخط . والهمزة ايضا موجوده فى اللفظ « كالهاء » و « القاف » وغيرهما ، فسبيلها ان تعتد حرفا كغيرها . فأما انقلابها فى بعض احوالها لعارض يعرض عليها من تخفيف او بدل فلا يخرجها من كونها حرفا . وانقلابها اول دليل على كونها حرفا . الا ترى ان « الواو » والياء ، والتاء ، والهاء ، والنون ، وغيرهن قد يقلبن فى بعض الاحوال ولا يخرجهن ذلك من ان يعتددن حروفا ؟ » (32) .

لننظر بعد هذا فى املائها ولنورد مجموعات الامثلة التالية : جرؤ ، تجرأ ، يجترىء — تأمل ، يؤمل — سأل ، سئل ، مسؤول — اخذ ، آخذ — امر ، أمر.

بفضل من التأمل نستنتج ان ما دعا الى كتابة الهمزة على كرسى . فى المجموعات الثلاث الاوليات هو تسهيل قراءتها او قراءة احرف غيرها بالضم او الفتح او الكسر . وبعبارة اخرى ان كراسيها الثلاثة هى مجرد حركات مكتوبة فى صلب الكلمة . ولو وضعنا الحركات العادية على الاحرف فى كل كلمة واستغنينا عن الكراسى لما تغير اللفظ اطلاقا . ان الواو تلفظ مخففة كضمة والياء ككسره والالف كفتحة (اليست الالف « جزءا من مدة بعد فتحة » ؟) ولنا دليل آخر هو انه عند ما تكون اصلية فى اول الكلمة كما فى المجموعتين الاخيرتين تبقى على صورتها برغم تغير حركتها ، اما عند ما يشبع لفظ ما قبلها من احرف العلة فانها تكتب مستقلة (مجزؤ ، مقرؤ ، اسماء ، مسيء ..) ، وفى هذه الحالة الاخيرة لا تكتب على كرسى الا لمجرد التحريك عند الاضافة (اسماؤهم ، من مجزوئه ......) ...... وكل هذه التعقيدات لان الهمزة مهضومة الحقوق لا تعامل كحرف كامل ، بينما صوتها ليس اخفت الاصوات فى الابجدية العربية ، وهذه تتم بها فعلا تسعة وعشرين حرفا كما يقول « اللسان » (33) .

لذلك ارى بالنسبة للهمزة ما يلى :

— معاملتها معاملة الحروف الاخرى .

— وضع الحركة عليها كما توضع على الحروف الاخرى ،

— كتابتها على صورة واحدة اينما وقعت من الكلمة .

— اختيار شكل لها قابل للاتصال والانفصال قدر الامكان . والشكل الانسب هو صورتها الموحده مع الالف «ا» « وكان فى الامكان اختيار شكل آخر لها مثل «ء» الهمزة الفارسية المألوفة مع زيادة سن عليها للسماح بوصلها من الجهتين لولا الحرص على قواعد اللغة والبيان بوجود همزة قطع وهمزة وصل.

ثانيا — صورة الحرف العربى :

تتميز الكتابة العربية اولا باتصال معظم الحروف فى الكلمة الواحدة وثانيا بأن ضبط لفظها يتم بحركات صوتية توضع فوق الحروف او تحتها وثالثا باتجاهها من اليمين الى اليسار .

هذه الخصائص الثلاث هى الاساسية فى نظرى ، اما المميزات الاخرى كالاعجام (التنقيط) وتعدد صور الحرف الواحد حسب موقعه من الكلمة ، وغيره ، فهى فروع :

1 — لدعاة الحرف اللاتينى : فضل فى وضع الاصبع على بعض ادواء الكتابة العربية وفى طليعة هذه اهمال اثبات الصوتيات فى الكلمة ثم تعدد اشكال الحرف الواحد وكثرة الحروف المنقطة حتى ان الكتابة المنقوطة والمشكولة تبدو كغابة يتعب فيها النظر ولا سيما اذا كان النص مخطوطا .

واما « الامراض » الاخرى التى اشار اليها هؤلاء الدعاة فلا وجود حقيقيا لها :

أ — **اختلاف الحجم** بين الاحرف العربية لا يقتصر على العربية بل هو قائم فى الحروف اللاتينية ولا سيما فى الشكل العادى (قارن بين n و m, i-w, g-h, ...)

ب — عدم استعمال **حرف التاج** فى العربية (وهو قائم فى اللغات الاوربية ويدل على بداية الكلام او اسماء الاعلام) يمكن تعويضه — اذا كان لا بد من ذلك — اما بكتابة اول كلمة بحروف بارزة كما هو الحال الآن واما بكتابة اول حرف من الكلمة بشكل بارز او اكبر من الاحرف الاخرى .

ج — ان **استعمال احرف لاتينية** ليس لمخارجها مقابل فى العربية عند كتابة اسماء ومصطلحات معربة يقودنا الى زيادة كبيره فى عدد هذه الاحرف لان فى كل لغة من اللغات الحية اصوات لا مقابل لها فى العربية؛ ففى الفرنسية وحدها اكثر من عشرة اصوات (هى عدا اللفظ الخاص لبعض المقاطع . فكيف بنا اذا اضفنا الاصوات الاخرى فى الانكليزية والاسبانية والالمانية والروسية وغيرها ؟ ام ان علينا ان نكتفى بأسماء الاعلام من جميع الجنسيات مكتوبة بلغة اجنبية واحدة ، اى مترجمة ؟ لماذا لا نترجم اذن الى لغتنا مباشرة ؟

د — ان استعمال الحرف اللاتيني امر ليس سهلا من ناحية نفسية حظرية ، ذلك ان اللغة الام — اى لغة ام — هى بمعطياتها الاساسية فيض من ذات الامة وجزء من شخصيتها ، وليست كاللغة الاجنبية بالنسبة لها : مجرد اداة للتخاطب ونقل الافكار والثقافة . اللغة الام هى الجلد من الجسد وليست الثوب منه .

هـ — بقى سؤال هام : ما هو مصير تراث ضخم يمتد على مدى الف عام مكتوب بالحرف العربى ؟ هل انه كله غير ذى قيمة وينبغى اهماله ؟ ام ان علينا ان نختار الجيد الصالح منه ونعيد طباعته بالحرف اللاتينى ، وفى هذه الحال نسأل : بأى معيار وبأى ذوق نفعل ما نفعل ، مع العلم بأن للاجيال القادمة حقها هى ايضا فى الاختيار والانتقاء وقد ترى غير راينا كما قد تجد فى التراث ينابيع لقيمها الخاصة بها وموارد ؟

يتوجب اذن طباعة التراث كله بالحرف اللاتينى ، وهذا عمليا مستحيل وخيالى النفقات .

2 — ان استعمال **الاحرف المنفصلة كليا ، لاتينية كانت ام عربية** ، لا يتماشى مع وجه الكتابة العربية وروحها . ولو افترضنا افتراضا ان الاخذ به ممكن لاعترضتنا صعوبات كثيرة ابرزها البطء فى الكتابة وامكان اختلاط حروف الكلمات وصعوبة التشكيل ..

3 — ان اقتراح احمد الاخضر **اختصار اشكال الحروف ووضع الحركة مباشرة بعد الحرف** اقتراح عملى ملائم . ولا يغير الكلمة العربية ان تطول قليلا بالحركات لان الكتابة الحالية ليست « مختزلة من تلقاء نفسها » كما يقول محمود تيمور ، واختزاليتها ليست من المثالية بالقدر الذى يصوره خطاط لبنان كامل البابا (34) ، لان هذه الاختزالية قائمة على حساب القراءة واللفظ الصحيح . وان مد الكلمة بالحركة عود بها الى حجمها الطبيعى المناسب للفظها

ولكن عيبى هذا الاقتراح الاساسيين انه لم يتخلص من الاعجام ولم يوحد شكل الحرف .

وادى كامل مروة خدمة جليلة للطباعة العربية باختصاره اشكال الحروف الحالية ، الا انه لم يمكن الى الغاية فيوحد اشكال الحرف ويلغى التنقيط ويثبت الحركات . وعذره فى ذلك ان هاجسه كان اقتصاديا فقط .

واما البشير بن سلامة فبوصوله فقط الى 58 شكلا للحروف الابجدية اضطر الى اهمال عدد من العلامات كى يبقى فى نطاق استيعاب المطبعة الحديثة: علامات العمليات الحسابية ، مدة الالف ، علامة الاستفهام ، القاطعة .. ثم انه كأحمد الاخضر — وهنا الاهم — لم يوحد شكل الحرف ولم يتخلص من الاحجام وبقيت صورة الكتابة هكذا مثقلة .

ما الحل اذن ؟

ثالثا — الطريقة الطبيعية :

تعتبر الاغلبية ان الخط العربى انبثق من الخط النبطى . وان نقش النمارة الذى اكتشفه العالم الفرنسى ديسو والذى يرجع الى سنة 328 ب م ، ونقش حران بحوران وكتابة ام الجمال تظهر العلاقة الحميمة بين الكتابة النبطية والكتابة العربية التى حلت محلها (راجع البيانات 4 و 5 و 6) . كما ان تفحص النقوش الاثرية التى وصلت الينا تدل على ان الكتابة النبطية تاثرت كثيرا بالكتابة الارامية وانها حملت تضاعيف من الكتابات الحميرية والسبأية والسريانية والنسطورية والعبرانية قبل ان تفرز فى النهاية الخط العربى القديم : الكوفى المكى والكوفى الحيرى وغيرهما (35) .

والخط الكوفى خط هندسى بمربعاته وزواياه وخطوطه المستقيمة الخالية من التنقيط (انظر البيانين 7 و 8) . وبحكم التوسع ومتطلبات الادارة والتجارة تخلص على يد « قطبة المحرر » فى العصر الاموى من زواياه الدقيقة (انظر البيان رقم 8 — 2) . وجاء ابن مقلة فى اواخر القرن الثالث الهجرى (اوائل القرن العاشر الميلادى) فأكمل ما بداه قطبة وطور الكوفى الى النسخى المدور غير المزوى ووضع مبادىء الخط : اعتماد الهندسة فى رسم الحروف (استعمال الدوائر كاطار) وتحديد التناسب بينها (ولا سيما بجعل الالف وحدة للخط) .

اما ضبط الكتابة وبالتالى اللغة فقد بدا منذ بدء اللحن بدخول شعوب غير عربية فى الاسلام . ومعروف ان ابا الاسود الدؤلى هو الذى وضع اصول النحو عن على ابن ابى طالب بدعم من زياد بن سمية امير البصرة ليعرف به العرب كلامهم — على حد تعبير ابى الاسود — وللحفاظ على القرآن بطبيعة الحال. وابو الاسود هو اول من **وضع الحركات على الاحرف بشكل نقط** : النقطة فوق الحرف فتحة ، وتحته كسرة وفوقه مع تأخرها عنه قليلا ضمة (انظر البيانين رقم 8 — 1 و 9 — 1) . وصارت بعد ذلك على التوالى: نقطة مدورة ونقطة نصف مدورة ونقطة كالمعين (الشكل الهندسى) . واعتقادى انه لم يكن يتيسر لابى الاسود وضع حركاته بتلك الاشكال لو كانت الحروف معجمة ، وان هذه الصعوبة نفسها هى التى دفعت الخليل بن احمد واضع النقط على الحروف

للتمييز بين اشكالها الى تطوير اشكال الحركات كي لا تختلط بنقط الحروف فصارت الحركات كما نعرفهـا الآن (راجع البيان رقم 9 — 2) .

هذه العودة الى الينابيع ، مضافة الى كل ما تقدم مكنتني من استخراج اشكال للحروف العربية تذلل الصعوبات التى تشكو منها القـراءة والطباعـة ، وتصلح لان تسمى « الطريقة الطبيعية » : طبيعيـة لانها تعود الى الينابيع كما قلت ، وطبيعية لانها تبسط شكل الحروف وتخلصها من الزوائـد والمثقـلات ، وطبيعية لانها تعامل الحرف كحرف ، وطبيعية اخيرا لان القراءة بها تصبح سهلة تامة والطباعة سريعة واضحة والتماثل بيـن الحـرف المخطـوط والحـرف المطبوع ادق واكمل . والمبادىء التى تقوم عليها هى :

1 — المحافظة على الصلـة الوثيقـة بالتـراث واستخراج صور الحروف الجديدة منصورها الحالية دون التقيد بنوع واحد من انواع الخطوط المعروفة (النسخى ، الثلث ، الفارسى ، الرقعة ، الديوانى ، الكوفى ...) ، والصور المعتمدة هي اجمالا الصـورة الاساسية الوسطى للحروف القابلة قـدر الامكـان للاتصال والانفصال عـن اليميـن وعـن الشمـال (البيان قسم 10) . هذا مع امكان قسمة احـرف الكلمة الواحدة بين آخر السطر والسطر الذى يليه والاشارة الى ذلك بواسطة واصلة (Trait-d'union) مثلما تدعو الحاجة احيانا فى اللغات الاوروبية ومثلما كان الشأن بالنسبة للقرآن نفسه عند كتابته بالحرف الكوفى (راجع البيانات 7 و 8 — 1 و 9 — 1) .

2 — وجود شكل واحد للحرف الواحد اينما وقع من الكلمة : ولم يخرج على هذا المبـدا الا حرفـان ولاعتبارات لغوية او بيانية : التاء بشكليـن قصيرة وطويلة (للدلالة على المؤنث او على الضمير او على الجمع ...) والهمزة بثلاثة اشكال : عادية وعند ما تكون همزه وصل وعند ادغامها فى الالف (مثل آدم).

3 — **الغاء التنقيط** من الصور الجديدة جميعهـا (كما كان فى الماضى : انظر البيانات رقم 6 و 7 و 8 و 9 و 1) . ولا يتناقض هذا مع المبدا الاول لاننا ابقينا على العلاقة بين الاحرف المتشابهة ولكن بشكل آخر: بشكل سن اجمالا فى صلب الحرف بدلا من النقطـة التى تميزه عن شبيهه (36) .

4 — المحافظة قدر الامكان على **الاحجام المعتادة للحـروف** ومراعاة حركـة اليـد عند كتابـة الكلمة الواحدة بحيث نختصر الوقت الى ادنى حد ممكن .

5 — **التوافق بين صور الحروف والكلمات فى حالى الكتابة والطباعة** (وهذا غير موجود فى الابجديـات الاوروبية الا فى حـال الكتابـة بالحـرف المنفصـل « السكريبت ») .

6 — **وجوب تشكيل الكلمـة فى حـالى الكتابـة والطباعة بالحركات الثلاث المعروفة** ، بالاضافة الى الجزمة منعا للتحريف (اذ ان تركهـا للدلالـة على السكون كما يرى سيبويـه لا يكفـى فى كثير مـن المواطن) ، على ان توضع الحركات مباشرة بعـد الاحرف فى الطباعة وفوقها او تحتها عند الكتابة باليد.

1 — ان من خصائص العربيـة ان عـددا مـن صوتياتها حروف صغيرة تسمى حركات وتكتب فوق الحروف الاخرى او تحتها . وليس ثمة فرق بين ان تكتب الصوتيات فى صلب الكلمة امتدادا افقيا او ان تكون ملازمة لها بشكل آخر فى صلب حيزها المكانى .

وكمثل تطبيقى على الطريقة اقدم فاتحة القرآن اذ فيها ايضا جواب على اكثر من سؤال (البيان 11).

— فـوائـد الطـريقـة :

يمكن ترتيب الفوائد العديدة لهذه الطريقة الطبيعية كمـا يلـى :

أ — فى القـراءة :

— سهولة تعليم القراءة للصغار والكبار بوجـود الحـروف .

— سهولة تعلم القراءة للصغار والكبار بوجـود حرف موحد الشكل .

— تشجيع الاقبال على قراءة الكتاب العربى .

ب — فى الكتـابـة :

— بوجه عام ، رفع المستوى العـام فى اللغـة العربية بحكم التشكيل عند الكتابة والنطق الصحيح عنـد القـراءة .

— بوجه خاص — تحل مشكلة كتابة الهمزه مـن الاساس باعتبارنا اياها حرفا عاديا وبوضع الحركة عليهـا كغيرهـا .

— تصبح الكتابة صورة طبق الاصل عن الطباعة والعكس بالعكس .

— لا بطء ولا ثقل فى رسم الكلمات بحلول الحركات الثابتة محل النقط من حيث الوقت والحيز .

ج ــ فى **الطباعة** :

1 ــ اختصار عيون المطبعة بحيث لا تعود تتجاوز الثمانين عينا كما هو مثبت فى البيان رقم 12 :

ــ اشكال الحروف 32 (بينما عددها لا يقل عن 60 فى مطبعة اللينوتيب السبعينية الحديثة جدا) .

ــ الحركات 22 (ويمكن تخفيضها الى 13 لو وضعت الحركة بعد الشدة مباشرة لا عليها ولكن صورة الكلمة تصبح مشوشة) .

ــ علامات الوقف 12

ــ الارقام وعلامات الحساب 14

فيكون المجموع 80 عينا فى صندوق الطباعة بالنسبة لجميع النصوص .

2 ــ اختصار الوقت فى عملية الطبع وسهولة اقتناء اليد العاملة وانخفاض تكاليف الطباعة .

3 ــ التمكن من طباعة نص مشكول بالراقنة فيتم التطابق بينها وبين المطبعة .

ــ الصعوبات :

انا موقن بأن دون الاخذ بهذا المشروع مصاعب عدة منها الفنى ومنها النفسى ومنها السياسى ومنها المادى :

ا ــ الصعوبات الفنية : معظمها طباعى واهمها ضرورة وجود مصحح مثقف فى المطابع ثم ضرورة سبك الحروف بشكل لا تختلط فيه عند الطباعة ويمكن من وضع الحركات او الشدة دون الاخلال بجمال الخط ، ثم ضبط المسافة بين السطر والسطر. وكل هذا من شأن الخطاط والفنى وسهل تنفيذه ولا يشكل صعوبات جوهرية .

ب ــ العادة القديمة : والعادة طبيعة ثانية ــ فالصور الحالية تأصلت فينا واتخذت مسحة من التقديس لا لمجرد كتابة القرآن بها (اذ انه كتب اول ما انزل بالخط الكوفى) بل « لشدة الالفة بها وطول العهد معها » على حد تعبير محمود تيمور . وغذى هذا الشعور تحول الخط العربى عن وظيفته الموضوعية الى مادة فنية وطاقة جمالية (تعويضا عن فن التصوير والنحت فى البلاد الاسلامية) .

ولكن العادة ، كما هو ثابت فى علم النفس ، يمكن تعويضها بعادة جديدة . والواقع ان الاخذ بصور الحروف المقترحة (او بأى صور اخرى تقوم على نفس المبادىء وتكون اكثر ملائمة) لن يكون عادة جديدة بكل معناها بل مجرد تحويل بسيط للعادة القديمة لان معظم الصور باقية كما هى والباقى شديد الشبه او وثيق العلاقة بسلفه . وستحدث لا محالة اخطاء فى البداية ، ولكنها ستقل بالتدريج تبعا للتعود وجهود النقاد ، وسيكون شأن القارىء او الكاتب فى ذلك « شأن الشاعر المطبوع حين ينظم ما ينظم صحيحا لا خلل فيه طوعا لما ادمن من قراءة الشعر ولو لم يعرف من علم العروض شيئا » (37) .

ج ــ **السياسة التربوية** : وهى ذات شقين :

ــ الاول تبنى المشروع من قبل السلطات التى بيدها مقاليد التربية والتعليم فى كل بلد عربى ، وفرضه فى جميع المدارس الرسمية والحرة . واذا لم يحظ بسلطة تنفيذية تتبناه يبق حبرا على ورق ويلق على احسن تقدير مصير الكثير من توصيات اللجان والمؤتمرات والمجامع اللغوية .

والآخر اعطاء اللغة العربية حقها الكامل كلغة ام فى البرامج التربوية ولا سيما فى المرحلتين الابتدائية والمتوسطة ، مرحلتى التأسيس ، كما تفعل جميع البلدان المتقدمة ــ كفرنسا وانكلترا مثلا ــ بالنسبة للغاتها ، هذا مع التأكيد على ضرورة اتقان لغة اجنبية حية لا يمكن الاستغناء عنها لكل مثقف ثقافة حقيقية.

إن الانتقاص من حق اللغة الوطنية فى التعليم هو السبب الاساسى فى تدنى مستوى الطلاب (والمعلمين الذين كانوا من قبل طلابا) فى اللغة العربية . وبدلا من الجهر بالعلة الحقيقية وتلافيها يردها البعض جهلا او تجاهلا الى صعوبة اللغة بحد ذاتها ، كأن اللغات الصعبة الاخرى لا يتعلمها اهلها لهذه العلة، والا فما معنى ان تكون المدارس فى الماضى ــ ومنها مدرسة الحكمة فى بيروت مثلا ــ قد خرجت طلابا واساتذة اسلست اللغة لهم قيادها وملكوا ناصيتها؟

د ــ قد يلاقى المشروع تحفظا لدى فريق من **الخطاطين العرب** ممن يتعلقون بالجمالية الحالية للخط او ممن يتكسبون منه . ولكنى اعتقد بأنه سيجد لدى الخطاط الفنان كل ترحيب لانه سيتيح له الفرصة ليرسم صورا وتراكيب جديدة ــ وربما خطوطا جديدة، على ما فعل ارباب هذا الفن مثل ابن مقلة وابن البواب وياقوت والحافظ عثمان ــ فيوفر له متعة الخلق والابتكار ، ولا سيما ان الصور الجديدة مستمدة من صور الخطوط المعروفة المألوفة على تنوعها ؛ وانها ما زالت سهلة المد قابلة للانثناء والاستطالة . فالخط بها ما زال منسوبا وما زال على معيار الجودة عند الصولى فى « اعتدال اجسامه واستطالة الفه

ولامه واستقامة سطوره وعدم اشتباه رائه ونونه وتناسق دقيقه وجليله » . والفه ما زالت على اعجاب كامل البابا بها عند مصطفى راقم « كالقامة الفرعاء ». واذا لم تعد العين عندنا كحاجب الحسناء والنون كثدى الناهد فان الهمزة عندنا كصولجان الملوك ونوننا الرتعية جناحا طائر والعين كقلب العميد .

* *

.. وبعد ، آمل ان ينال هذا المشروع الاهتمام الذى يستحقه من قبل ذوى الشأن الغيورين على اللغة العربية لانى اعتقد بأن التطور هو فى هذا الاتجاه ، اتجاه التبسيط لا محالة . و لاحاجة بى لتكرار ما نوهت به اكثر من مرة من ان محاولتى هذه لا تدعى الكمال بل هى قابلة للتهذيب والتحسين . وحسبى انى لم اكتف بموقف المتفرج على حال اللغة، بل قمت بخطوة عملية ايجابية فى سبيل النهوض بها، فاذا اصبت فلى اجران ، وان لم اصب فلى اجر واحد على الاقل !

جودة نور الدين

اهم مراجع البحث

1 — محمود تيمور — ضبط الكتابة العربية ص 7 — الطبعة الاولى — مطبعة الاستقامة القاهرة 1951 .

2 — مجمع اللغة العربية (عبد العزيز فهمى) محاضر جلسات الدورة العاشرة — ص 285 — القاهرة 970 .

3 — جريدة « النهار » البيروتية بتاريخ 28 — 11 — 1971 .

4 — البشير بن سلامة — اللغة العربية مشاكل الكتابة — الطبعة الاولى — الدار التونسية للنشر تونس — 1971 .

5 — المصدر السابق — ص 107 .

6 — مجمع اللغة العربية — محاضر جلسات الدورة العاشرة ص 266 — 274 (مذكرة احمد امين بـ « اقتراح ببعض الاصلاح فى متن اللغة »).

7 — يوسف السودا — الاحرفية — دار الريحانى للطباعة والنشر — بيروت 1970 .

8 — مجمع اللغة العربية — محاضر الجلسات 7 و 8 و 9 — ص 50 و 53 — 54 — القاهرة 1970.

9 — راجع التفاصيل والمناقشات فى محاضر جلسات الدورة العاشرة من 18 / 10 / 43 الى 29 / 5 / 44 .

10 — جريدة «النهار» تاريخ 27 / 6 / 1972 .

11 — شعيب احمد الدربى — قضية الحرف العربى ملحق جريدة « النهار » بتاريخ 28 — 11 — 71 .

12 — مجلة التجارة — الابجدية الموحدة — عدد شباط — آذار 1968 — بيروت .

13 — جريدة « النهار » بتاريخ 27 — 2 — 1972 .

14 — المصدر السابق ..

15 — ضبط الكتابة العربية ... ص 35 و 36

16 — لسان العرب — ابن منظور — دار صادر دار بيروت — بيروت 1955 .

17 — مجلة اللسان العربى — المجلدالتاسع — الجزء الاول ص 219 — 221 يناير (كانون الثانى) 1972 — المكتب الدائم لتنسيق التعريب .

18 — اللغة العربية ومشاكل الكتابة ... ص 83 — 84 .

19 — المصدر السابق ص 86 .

20 — قضية الحرف العربى — المصدر 11 .

21 — المصدر 6 — ص 320 — 321 .

22 — المصدر 8 — ص 55 .

23 — منير القاضى — تسهيل الخط العربى — ص 6 — مطبعة المجمع العلمى العراقى — بغداد 1958 .

24 — المصدر 2 — ص 341 .

25 — المصدر السابق — ص 330

26 — الشيخ احمد رضا العاملى — مولد اللغة — ص 48 — دار مكتبة الحياة — بيروت 1956

27 — لسان العرب — الجزء الاول ص 17 — دار صادر ودار بيروت — بيروت 1955 .

28 — الشيخ احمد رضا العاملي — معجم متن اللغة — المجلد الاول — ص 131 — دار مكتبة الحياة بيروت 1958 .

29 — المصدر 26 — ص 18

30 — المصدر السابق ص 18 — 19

31 — المصدر السابق ص 22

32 — دار المعارف للبستاني — المجلد الاول — ص 17 — الطبعة الاولى — بيروت 1956

33 — اما اللام الف فليست حرفا مستقلا وانما هي اجتماع حرفين : اللام والالف كما يدل عليها اسمها . « وانما ارادوا بهـا الالف اللينـة الهوائية فقرنوها باللام دون غيرهـا ليمكـن النطق بها . ولعله روعي في هذا التخصيص اقترانها به في اداة التعريف » ال « فجرت هنا كذلك » (معجم متن اللغة — 12 — ص 131).

34 — مجلة « الحسناء » البيروتية — العدد 536 — تاريخ 3 — 12 — 1971 .

(35) — Mohammad Aziza - La calligraphie arabe - STD - Tunis - 1971

مع الملاحظة ان الوثائق التاريخيـة المصورة مأخوذة عنه .

وراجع ايضا في نفس المعنـى مصور الخـط العربي — ناجي زين الدين — مطبعة المجمع العلمي العراقي — بغدد 1970 .

36 — نشير على سبيل التفكهة الى ما ذكره «اللسان» في باب «القاب الحروف وطبائعها وخواصها» عن الشيخ ابى العباس احمد البوني — رحمـه الله — من ان ما كان من الحروف مهملا غير منقوط فهو اشبه بمنازل السعود ، وما كان معجما منقوطا فهو في منازل النحوس يندرج فيها تبعا لعدد النقط فيه » . ان كان الامـر كذلك فان حروفنا الخالية كليا من التنقيط هي في سعد السعود !

37 — ضبط الكتابة العربية — ص 28 .

جـدول بالبيـانـات

الـرقـم :

1 — ابجدية عبد العزيز فهمي — مجمع اللغة العربية — الدورة 10 — ص 313

2 — علامات على الجازم — مجمع اللغة العربية — الدورة — ص 323 .

3 — حروف البشير بن سلامة — اللغـة العربيـة ومشاكل الكتابة — ص 84

4 — 1) كتاب النبي محمد الى المنذر السماوي امير البحرين (متحف الآثار العراقية رقم 100 — 115 ص 14) .
2) جدول مقارن بين الكتابة النبطية والكتابـة العربية القديمة — فن الخط العربي .

5 — 1) نقش النمـارة « 328 ب . م . » — فـن الخط ص 16
2) نقش حران بحوران — فن الخط ص 16

6 — 1) كتابة الجمال — القرن السادس ق . م — فن الخط ص 17
2) كتابة منقوشة في المدينة على ايام الخلفـاء الراشدين — فن الخط ص 17
3) خط كوفي منقوش على ضريح ثابت بن يزيد — السنة 64 للهجرة — فن الخط ص 17

7 — صفحة من قرآن حروفه غير منقوطـة (متحف الفن الاسلامي — القاهرة) — فن الخط ص 21

8 — 1) صفحة من قرآن منسوب الى الخليفة عثمان — فن الخط — ص 19
2) كتاب منسوب الى عكرمـة (سنـة 143 هجرية) — فن الخط — ص 19

9 — 1) الضبط في النقط صفحة من قرآن يرجع الى القرن الثالث الهجري — فن الخط — ص 22
2) حروف منقطة ومشكلة (مخطوطة عربية من معهد المخطوطات في ميلان بايطاليا رقم 56 × ص 22

10 — كيفية استخراج صور الحروف الجديدة

11 — نموذج من الكتابة بالطريقة الجديدة — فاتحة القـرآن .

12 — صندوق الطباعة الجديدة .

البيان 10 : كيفية استخراج الصور الجديـــدة

الالف : لم تتغيـــر .	ا ←
الهمزة : ــ ادمغت صورتها العادية فى الالف .	ء ← ا ←
ــ ابقيت صورتها الممدوده كما هى .	آ ←
ــ همزة الوصل جعلت صادها فى راسها .	ا ←
الباء : على صورتها فى اول الكلمة مع الغاء النقطة .	بـ ←
التاء : ــ التاء المربوطة فى آخر الكلمة بصورة كونية مع الغاء النقطتين .	ة ← ه ←
ــ والتاء الطويلة هى القصيرة مطولة ومعرقة .	
الثاء : هى الصورة الوسطية العادية مكبرة سنها لتماثل نقطها السابقـــة بالرقعى او الـــديـــوانـــى .	ثـ ← ـ ←
الجيم : جعلت نقطتها سنا فى وسط قاعدتها .	جـ ← حـ ←
الحاء : هى هى مع تطويل قاعدتها ليمكن وصلها فى الطباعة (كالجيم) .	حـ ←
الخاء : جعلت نقطتيها فى وسط جزئها الاعلى .	خـ ← خـ ←
الدال : هى هى مع وجوب ابقائها زاوية جاده كى لا تختلط بالباء اذا قصرت .	د ←
الذال : جعلت نقطتها سنا فى ذيلها لا فى راسها كـــى يسهل رسمها فى الكتابة باليد .	ذ ← د ←
الراء : لم تتغيـــر .	ر ←
الزاى : جعلت نقطتها سنا فى ذيلها .	ز ← ر ←
السين : لم تتغيـــر .	سـ ←
الشين : صورة الشين الكونية القديمة .	شـ ← سـ ←
الصاد : حذفت سنها الزائدة .	صـ ←
الضاد : حذفت سنها الزائدة وجعلت فى قاعدتها بدلا من نقطتها .	ضـ ← صـ ←
الطاء : لم تتغيـــر .	ط ←
الظاء : جعلت نقطتها سنا فى قاعدتها فقط .	ظ ← ط ←
العين : الصورة الوسطية للعين النسخية العادية .	ـعـ ←
الغين : الصورة الوسطية للغين النسخية العاديـــة مع جعل نقطتهـــا سنا فى وسطهـــا العلـــوى .	غـ ← ـعـ ←

الفاء : حذفت نقطتها فقط . ← ف ←

القاف : جعلت نقطتاها سنا من جهة اليمين . ← ق ← ف ←

الكاف : الصوره النسخية العادية مع تطويل قاعدتها قليلا ليمكن وصلها بدون رابط . ← ك ←

اللام : لم تتغيـر . ← ل ←

الميم : لم تتغير وانما يقتصر على ربطها من اسفل كى لا تختلط بصور بعض الاحرف عند الاخرى عند سرعة الكتابة باليد . ← ـه ←

النون : لم تتغير وانما يستعمل لها الشكل الرقمى . ← ن ←

الهاء : لم تتغير وانما تبتدىء برابط ليسهل وصلها مـن اليمين . ← ه ←

الواو : هى هى . ← و ←

الياء : يمال شكلها الحالى وتخذف تعريتها ليسهل وصلها مـن الجهتين . ← ى ← ى ←

ملاحظـة : لا لزوم للام الالف ما دام الالف والـلام موجودين ولا لصورة الهاء فى ضمير المذكر الغـائب ما دامت الهاء العادية تفى بالمطلوب دون اخلال لقواعد اللغـة .



ملحق رقم ١

بيان أحرف الهجاء العربية مرسومة بالأحرف اللاتينية وما يلزم منها العربية مع أسمائها

الاسم	الحرف	الرسم اللاتيني
ألف	ا	[illegible]
باء	ب	[illegible]
تاء	ت	[illegible]
زاي	ز	[illegible]
سين	س	[illegible]
شين	ش	[illegible]
قاف	ق	[illegible]
كاف	ك	[illegible]
لام	ل	[illegible]
جيم	ج	[illegible]
حاء	ح	[illegible]
خاء	خ	[illegible]
دال	د	[illegible]
ذال	ذ	[illegible]
راء	ر	[illegible]
صاد	ص	[illegible]
طاء	ط	[illegible]
ظاء	ظ	[illegible]
عين	ع	[illegible]
غين	غ	[illegible]
فاء	ف	[illegible]
نون	ن	[illegible]
هاء	ه	[illegible]
واو	و	[illegible]
همزة	ء	[illegible]
ياء	ي	[illegible]

أما أحرف الحركة فهي: ([illegible]) للفتحة و ([illegible]) للضمة و ([illegible]) للكسرة.

وأما الأحرف التي لا تشبه نظيراتها العربية فهي: [illegible]

ويلاحظ أن الحروف المرسومة هنا هي حروف عادية أما الكبيرة اللاتينية [illegible] المعروفة، وتركيب الحروف اللاتينية العربية يكون بكتب [illegible] متصلة ببعضها دون انقطاع

رسم العلامات

الفتحة : ـَ - مثل : هيكم (هَم)

الضمة : ـُ - مثل : كتب (كُتِبَ)

الكسرة : ـِ - مثل : كتب (كُتِبَ)

السكون : ـْ - مثل : فتل (فَتْل)

تنوين المفتوح : ـً - مثل : شرابا (شرابًا)

تنوين المضموم : ـٌ - مثل : شرابٌ (شرابٌ)

تنوين المكسور : ـٍ - مثل : شرابٍ (شرابٍ)

الهمزة الممدودة : عـ - مثل : آن (آن)

②

③

2	1			ء	ا		
4	3			و	ؤ		
6	5			ط	ه		
8	7			ظ	ن		
٥	9			ي	ئ		
				د	ذ	ه	
ل	لا	ق	ة	أ	ؤ	ج	ج
		ى	ه	ح			
		س			ر	خ	
	ش					ع	ع
ه	ص	إ		غ		غ	غ
				ض			

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى
المنذر بن ساوى سلام عليك فإني أحمد الله
إليك الذي لا إله غيره وأشهد أن لا إله
إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله أما بعد فإني أذكرك
الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من يطع
رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي و
إن رسلي قد أثنوا عليك خيرا وإني قد شفعتك في قومك
فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل
الذنوب فاقبل منهم وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن
أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية

الله
رسول
محمد

1

البيان رقم (4)

ا				
ب				
ج				
د				
ه				
و				
ز				
ح				
ط				
ى				
ك				
ل				
م				
ن				
س				
ع				
ف				
ص				
ق				
ر				
ش				
ت				
لا				

البيان رقم (5)

1

٢

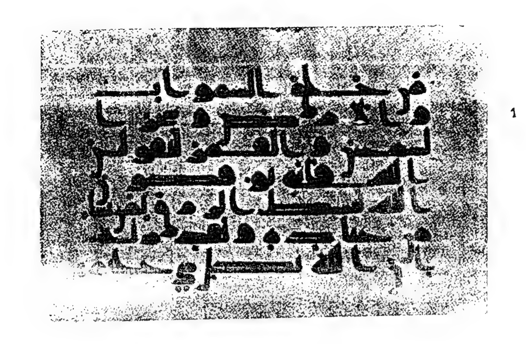
البيان رقم (6)

3

1

٢

البيان رقم (8)



1

البيان رقم (9)

2

هذا باب ما بنا على أفعل

[illegible] ما بنا على أفعل ويكون الفعل على فعل يفعل والمصدر

[illegible] فعله وما بنا الفعل على فعل يفعل وذلك قولك

[illegible] ومن العرب من يقول [illegible] وسهد

يسهد سهدة وفهد يفهد فهدة ودهد يدهد [illegible]

وقالوا كهد يكهد وشهد يشهد وقالوا صدئ يصدأ

صدأ وقالوا أيضا صدآ [illegible] وقالوا العنبر والأعنبر [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين *

إياك نعبد وإياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم *

صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم

ولا الضالين *] صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم

ـ [illegible] سنة ١٩٧٢

البيان رقم (11)

[illegible]

البيان رقم (7)

الأبجدية
٢٨

أ ا ب ة ث ج ح د ذ ر ز س ش ص ض

ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ي آ أ ت

الحركات
٢٢

علامات الوقف
١٢

– : . « » . ( ) ، ؛ ! ؟ *

علامات الحساب
١٤

– : . + × = ٪ / ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

مشتركة

٨٠

البيان رقم (12)

نقد للصور المقترحة في إصلاح الكتابة العربية

للأستاذ مهدي الظالمي
العراق

حينما فتحنا الباب امام الكتاب لبحث موضوع الحرف العربى تجنبنا الخوض فى المعركة وتركنا رحاها تدور فيما بين الهاجمين على الحرف العربى والمدافعين عنه وكنا واثقين سلفا بأنها معركة لها دوافع بعضها طيب وبعضها شعوبى خبيث ، والمحنا الى مقدار الجمالية فى حرفنا هذا عند التعليق البسيط على بعض المقالات التى نشرناها ونشرها باستمرار ولعلنا نبدى رأينا الكامل قبيل اغلاق الباب ، لكن لا بد هنا من بيان ما يلى تنويرا للاذهان.

1 ــ فى اكثر لغات العالم نوعان من الحروف احدهما للكتابة باليد والثانى للطباعة ، اما الحرف العربى فهو واحد فى كليهما وفى ذلك ميزة ذات قيمة لا يمكن نكرانها ولكن فيه كذلك بعض ما يتعب رصا فى الحروف فى المطبعة لكثرة تداول الحرف ما بين اول ووسط وآخر ، ويهدر من وقتهم كثيرا .

2 ــ واليوم وقد حلت هذه المشكلة بوجود المونوتيب الالكترونى فقد اصبح صف الحرف العربى اكثر اختصارا للزمن من رصفه حرفا حرفا كما كان من قبل .

3 ــ كما ظهرت محاولات ناجحة لاختصار الترابط بين الحروف المطبعية الى ادنى حد مما سهل مهمة الطباعة ، اما الخط اليدوى فقد بقى على صورته وجماليته .

4 ــ ونحن من راى صاحب المقال الاستاذ مهدى الظالمى بأن هذه المحاولات قد فاتها الزمن، ولكن ما حيلتنا والكتاب والمصلحون ومحاولو الاصلاح والمتهجمون كلهم ما زالوا يعيدون ويكررون البحث فى هذا الموضوع ؟ افلا نترك للآراء المختلفة حريتها وننتظر نتيجة المعركة ؟ ونحن على شبه اليقين بأن الحق والجمال والصورة الحلوة والتاريخ والمستقبل كلها مع حرفنا المتناسق بكل حلاوته المستساغ بكل لطفه الخالد بالرغم من المعارك الدائرة حوله .

ممدوح حقى

نشرت « اللسان العربى » فى الجزء الاول من المجلد التاسع صورتين مقترحتين لاصلاح الحرف العربى للاستاذين مصطفى النعمان ، ويحيى بلعباس (ص 219 ، ص 221) ..

واود ان اشير — قبل مناقشة الاقتراحين — الى ان الفكرة بمجموعها قد جازها الزمن ولم يعد لها من الاهمية ما كان لها قبل عقدين من السنين . وفكرة الاصلاح للحرف العربى بوضع حروف بديلة منه تقع ضمن دائرة الاتهام للحرف العربى بالقصور عن تأدية المعانى الجديدة التى طرحتها الحضارة المعاصرة ، وهى حلقة فى سلسلة طويلة بدأت بالشكوى من صعوبة اللغة العربية ، وتهويل لهذه الصعوبة حتى صور بعضهم تعلمها ضربا من المستحيل (1) ، ثم بمقترحات طرحتها الاوساط الاستعمارية والمشبوهة (2) ، والسائرون فى الركاب (3) ، وبلغت ذروتها حينما تسللت الى أروقة بعض المجامع اللغوية فى البلاد العربية (4). وطرحها على صفحات « اللسان العربى » من جديد ينبىء بانها لم تنته بعد .

اما سدنة الحرف العربى ، والمستشرقون المنصفون (5) فلم يقفوا من هذه الدعوات موقف الرفض السلبى ، بل تدارسوا كل دعوة بوعى وتفهم واتخذوا بحتها ما يجب من المواقف التى وحدها الايمان بقدرة الحرف العربى على احتواء الفكر الانسانى المعاصر ، وصلاحيته للتعبير عنه ، كما صلح بالامس لاحتواء الفكر اليونانى والرومانى والهندى والفارسى . وكان لمجمع اللغة العربية فى القاهرة دور بارز فى هذه الدراسات ، فتقبل كل دعوة واقتراح للاصلاح المزعوم، ودرسها فى ضوء الواقع اللغوى الذى تعيشه الامة ، والنتائج المترتبة على تطبيق كل اقتراح (6) .

ودعوة الاستاذين النعمان وبلعباس تقع ضمن عشرات الدعوات من امثالها والتى باءت جميعها بالفشل ، وتحجرت على صفحات الكتب والمجلات التى نشرتها ، ولم يعد لها على صفحات الواقع اللغوى وجود (7) وفى مجال مناقشتنا للاقتراحين لا نجد بدا من اعادة الاعتراضات التى رد بها المدافعون عن صلاحية الحرف العربى على تلك الصور المقترحة بديلا للحرف العربى ، ولا بد لنا ايضا من الوقوف عند نتائج دراسات اللجنة التى الفها مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، والتى استمرت دراستها لهذه الحروف البديلة ما يزيد على العشرين عاما ، اى منذ ان الف المجمع عام 1938 لجنة « تعمل بجميع الوسائل المقبولة لتسهيل كتابة الحروف العربية والابتكار من ذلك لتسهيل القراءة العربية الصحيحة على ان لا يخرج هذا التحسين والابتكار الكتابة العربية عن اصول اوضاعها العامة » (8) حتى انتهاء اللجنة الفرعية الى استبعاد كل « المقترحات التى ابتكرت حروفا او علامات شكل متصلة او منفصلة للاسباب الآتية :

1 — انها تخرج حروف الكتابة عن طبيعتها واصولها واوضاعها المتعارف عليها .

2 — انها تباعد بيننا وبين تراثنا المكتوب بالحروف العربية المألوفة .

3 — تقضى على فن الخط العربى الموروث .

4 — ان فيها من التعقيد والتنكير ما يحول بيننا وبين غرض التيسير والاختصار » (9) .

ويلاحظ ان الاسباب المتقدمة التى دفعت بها اللجنة مثل هذه المقترحات تصلح تماما لدفع الاقتراحين الجديدين اللذين طرحتهما « اللسان العربى » ، وربما كان فيهما من التشويه والتنكير اكثر مما فى بعض تلك المقترحات المرفوضة ، فكلمة « كتب » مثلا على مقترح الاستاذ مصطفى النعمان تكون صورتها كالآتى :

وعلى مقترح الاستاذ بلعباس

ولا اظن احدا ينكر ما فى الصورتين من تحريف وتشويه لجمال حرفنا الاصيل .

ونستطيع ان نضيف الى ما ذكرته اللجنة من اسباب مقنعة لاستبعاد هذه المقترحات اسبابا اخرى منها :

5 — ان المقترحين يفقدان الكتابة العربية انسيابيتها بما يضعان لنظام النقط من تعقيد ، وما يفترضان بها من اتصال ، وما يتطلبان من كثرة الخطوط المختلفة الاتجاهات ، وما يستتبع ذلك من جهد يضاع ، يلاحظ هذا فى رسم حروف كلمة « كتب » المتقدمة .

6 — ان الحروف المقترحة تفتقد اهم خصيصة من خصائص الحروف العربية « حيث ان الحروف العربية تعين على الاختزال عند الحاجة اليه بسبب السرعة والاقتصاد ، وللسرعة والاقتصاد قيمتهما فى هذا الزمن » (10).

7 — « ان الحروف العربية قد استعملت لا فى لغتنا فقط بـل ان امما كثيرة ، اسلاميــة وغير اسلاميــة استعملتهــا ايضا » (11) .

فاستبدال هذه الحروف الشوهاء بها لا تفقدنا صلتنا بتراثنا فحسب بل تفقدنا صلتنا بهذه الامم وصلتهــا بنــا ايضا .

8 — ان الحروف العربية « لطول عهدنا بهــا قــد اصبحت جزءا من اللغة لا ينفك عنها ، الفناها والفتها انواتنا ، وتكونت من هذه الالفة عادات ذهنية مــن الصعب علينا ان نعدل عنها الى غيرهــا لغير حاجــة قاضية لهذا العدول » (12) .

اما ما يتعلق من الاقتراحين بشأن الحركات فلــم يكن جديدا فى المحاولات التى زعمت اصلاح الحــرف العربى فهو نفس الاقتراح الذائع الصيت الذى طرحه احمد لطفى السيد عام 1899 بضرورة الدلالة بحروف المد الثلاثة على الحركات (13) ، والاختلاف الوحيد هو فى صورة هذه الحروف ، فهى عنده نفس الحروف العربية المألوفة وعندهما صورها المقترحة ، واقتــراح السيد لم تستطع شهرة صاحبه ولا علمه ولا منصبه اخيرا كرئيس لمجمع اللغة العربية فى القاهــرة ، لــم تستطــع كل هذه الاعتبارات ان تقربــه من النجاح كما لم يستطع تعديله من قبــل الاب انستــاس مــارى الكرملى (14) — وهو من هو فى علو كعبه فى الدراسات اللغوية — ان يمنحه شيئا من القوة . وقد وجهت اليه جملة من الاعتراضات ، ترد نفسها اعتراضات على الاقتراحين الجديدين منها :

1 — انه يستدعى تطويلا فى الكتابة العربية ، وما يستلزم ذلك من استنزاف للجهد والوقت والمــال فى الكتابة اليدوية والطباعة ، ويجرد الخط العربى مــن ميزته الفذة (الاختزال) ، يقول العلامة (نللينو) فى معرض رده على الاقتراح الداعى الى استعمال الحروف اللاتينية يقول عن الحرف العربى : « فهو قريب مما يسمى بالاختزال ، والخط العربى ليس فى حاجة الى الاختزال لان طبيعته تغنيه عن طرق الاختزال » (15).

2 — فى حالة تطبيق مثل هذا الاقتــراح سيحصــل لبس بين صور حروف المد الاصلية ، وصورها المعوض بها عن الحركات فكلمة « محمد » عنده ينبغى ان تكتب « **موحامادون** » — وكان من مقترحه فك الادغــام واثبات التنوين — فلا يدرى حينئذ هل هذه الواوات والالفات ومثلها الياءات أهى حروف اصلية ام حركات ؟

وهذا ما دفع الاب انستاسى مــارى الكرملى ان يقترح شكل الصور الموضوعة للحركات ، ولا يخفى ما فى هذا من تكلف وتعسف وتشويه لحرفنا العربى الجميــل .

3 — نحن فى كتبنا المطبوعة وفى كتابتنا اليدويــة نستغنى عن كثير من الحركات ، اما فى ضوء المقترحين اللذين يلزمان بوضع صور للحركات تدمــج فى جسم الكلمة ، **فذلك يعنى الزام الكاتب وضع الشكــل كاملا « وفى هذا بالطبع — علاوة على ما فيه من فرض رأى الكاتب على القارىء من حيث الخطأ والصــواب — تطويل فى كتابة الكلمة طباعة وكتابة » (16) .**

4 — وبالتالى فهل هناك ضرورة قصوى تفرض علينا ان نخرج من رسمنا العربى البسيط الى رسم مركب معقد يساعد فى قطع الصلة بين حاضر الامة وتراثهــا الضخــم ؟

ونعود — اخيرا — الى ما ورد فى معرض التقديم للمقترحين من القول : ان الجامعة العربية جادة الآن فى دراسة امثال هذا الابتكار للاتفاق على حل نهائى ، فهو — ان صح — يعنى ان المؤسسات الثقافية للجامعة العربية تشغل نفسها بمواضيع غير ذات جدوى ، لان مؤسسات ثقافية اخرى انتهت من بحث هذه المواضيع وهو يخالف ما عهد بمؤسسات الجامعة الثقافية فــى مثل هذا المجال ، وعن امثلة الثقة التى توليها الجامعة لابحاث مجمع اللغة العربية فى القاهرة ، ان اللجنــة التى الفتها الادارة الثقافية فى الجامعة للنظر فى تيسير الكتابة العربية عند ما اجتمعت اجتماعها الاول فى اواخر مارس عام 1956 رأت ان تنضم الى لجنــة التيسير بالمجمع وان توالى اجتماعاتها بدار المجمع للاطلاع على جهــوده فى موضــوع التيسيــر ، فهــل ان هــذه المؤسسات عادت الآن لتلقى من حسابها كل الجهود المبذولة فى هذا المجال ، لتبدأ من جديد دراسة لصور حروف مبتكرة ؟

كما ان المكتب الدائم للتعريب الذى قال عن نفسه انه « يأمل ان يكون اتصاله بالمجامع اللغويــة اكثــر عمقا .. كما سيكون اتصاله بالهيئات العلمية العربية اكثر توطدا واستقرارا لتجنب ازدواجية العمل بحيث لا تنافس هيئة منها فى موضــوع تقــوم هــى على

خدمتــه » انه بطرحه لهذه النمــاذج من الحــروف المقترحة الزم نفسه هو الآخر بأن يبدأ من حيث بدات تلك المؤسسـات لا من حيث انتهت ، وهو مـا ينبغــى ان يكــون .

وختاما ، اليس من حق الانسان العربى ان يتساءل عن مبررات طرح مثل هذين المقترحين على صفحات « اللســان العربى » التى تؤلف نقطة ارتكاز فى الدراسات اللغوية ، والتى تضع خدمة اللغة العربية وتيسيرها ، ونشرها بين المتعلمين الهدف الاساسى لها ، وليس فى الاقتراحين تيسير ولا تجديد ، بل تعقيد وتشويه ..

---

1 — قال احد المستشرقين عند ما بدأ يتهم العربية :« اننى اوثر ان اجتاز افريقية كلها ماشيا من الاسكندرية الى الرجاء الصالح على ان اشرع ثانية فى تعلم اللغــةالعربية » حاضر اللغة العربية : سعيد الافغانى ص176

2 — من امثال دعوة « ولهم سبيتا » عام 1880لاصطناع العامية وكتابتها بحروف لاتينيــة فى كتــابه « قواعد العربية العامية فى مصر » . وردها القاضىالانكليزى «ولمور» فى كتابه « لغة القاهرة » عام 1903

3 — يلاحظ هذا فى كتاب « ياره — شعر » لسعيد عقلوالذى كتب على غلافه : اول كتاب لبنانى يطبع بحروف لاتينية ، نقلا : عن القومية العظمى للدكتور عمر فروخص 147 . ويلاحظ كذلك « حروف الهجاء العربيــة » للدكتور انيس فريحة . وغيرهما .

4 — طرح عبد العزيز فهمى رايه باستبدال الحروفاللاتينية بالعربية على مجمع اللغة العربية بالقاهــرة عام 1943 وشغل اعمال المجمع طيلة ثلاثــة اعــوام(يلاحظ رايه مفصلا فى كتابه « الكتابة العربية بحروف لاتينيــة ») .

5 — امثال المستشرق الفنلندى « يوحنــا اهتنينكرسكو » (يلاحظ دفاعه عن الحرف العربى فى مجلــة المجمع العلمى العربى بدمشق 4 — 486 الصادرة عام1924 (نقلا عن حاضر اللغة العربية ص 175) .

والمستشرق « نللينو » الذى دافع عــن الحــرفالعربى ، ورد دعوة القائلين باستبدال الحرف اللاتينى به (يلاحظ ذلك فى « الاتجاهات الوطنيــة فى الادبالمعاصر : للدكتور محمد محمد حسين : 2 — 355).

6 — يلاحظ مجمل هذه الدواسة فى « مجموعــةالبحوث والمحاضرات التى القيت فى مؤتمر مجمع اللغة العربية فى دورته الخامســة والعشريــن ابتــداء منص 77 »

7 — اورد الدكتور انيس فريحة نماذج من هــذهالصور فى كتابه « حروف الهجاء العربية » .

8 — مجموعة البحوث والمحــاضرات : الدورة :25 ، ص 77 .

9 — المصدر السابق : الدورة : 26 ص 239 .

10 — تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها فى مصر :الدكتورة نفوسة زكريا سعيد ص 219 .

11 — المصدر السابق ص 219 .

12 — يلاحظ رأى الكرملى فى « الاتجاهات الوطنية »2 — 351 .

13 — المصدر السابق 2 — 255 .

14 — مجموعة البحوث والمحاضرات : الدورة :25 ص 79 .

15 — المصدر السابق ص 81 .

16 — اللسان العربي ج 1 م 9 .

متاعب اللغة العربية

في العصر الراهن

الدكتور عبد الله الصوفي
- صوفيا -

تلقينا من الدكتور عبد الله الصوفي مقالا جاء فيه ان لغتنا تواجه مصاعب عدة تقف حجر عثره تحول دون تعلمها . وحصر هذه المتاعب فى ثلاث هى :

ا ـ وجود لغتين فصحى وعامية .

ب ـ وجود حركات الفتح والضم والكسر والسكون والتنوين .

ج ـ عدم ارتباط العربية التاريخى التكوينى باللغات العالمية الواسعة الانتشار فى عالمنا المعاصر وهو عالم يتميز بثورة صناعية تقنية علمية جبارة لم يسبق لها مثيل ..

ورأى لحل المعضل الاول ان يمارس التعليم فى جميع درجاته باللغة الفصحى وان يكرس يوم فى العام للتخاطب بها على نطاق الوطن العربى بأكمله .

ورأى لحل المعضلة الثانية ادماج الحركات فى صلب الكلمة ، وابتكر لها صورا خاصة تجدها فى الصفحة الاخيرة التى ننشرها مصورة فى آخر هذا المقال ثم قال:

1 ـ تنتفى الحاجة تماما الى كتابة الحركات .

2 ـ ويزول الالتباس بالنسبة للناسخ والقارىء والسامع والمتكلم .

3 ـ ولا يعود هناك حاجة للهمزة والتضعيف والتنوين .

4 ـ وتحل مشكلة الحروف الطباعية على نحو مرض اذا ما تم اعتماد الاحرف المنفصلة على غرار اللغات الاوروبية ومشاكل كثرة الرموز والحروف والمفاتيح فى الآلة الراقنة .

5 ـ يسهل تعلم القراءة بساعات لا بأيام و .. الخ

وفيما يلى ننشر بقية المقال الخاص به لان الآراء المتقدمة قد كثر تداولها وآخرها ما نشرناه فى العدد التاسع واصبحت معروفة لدى القراء .

قال الدكتور الصوفى :

لا شك فى ان اعتماد الحروف المنفصلة فى الطباعة والرقن يجعل القراءة والمطالعة فى متناول سائر المبتدئين ويعجل عملية محو الامية اذ يصبح فى مقدور

كل امى مطالعة الصحيفة العادية بعد تعلم شكل الحروف الطباعية فقط اى الحروف الكاملة ، بل وسيصبح فى مقدور المواطن العاقل الامى تعلم القراءة لا فى ايام وانما خلال ساعات قلائل فكل ما يحتاج اليه هو تعلم شكل الحروف الهجائية المستقلة ، اما الكتابة المتصلة فلسوف تظل مقصورة على النسخ باليد كما هو شأن غالبية لغات العالم . ولن يدوم طويلا الارتباك او الاستغراب جراء اعتماد الحروف المنفصلة فى الطباعة والرقن ، فحالة الارتباك ستكون وقتية وعارضة لن تتأثر الاجيال القادمة بها وسيزول استغراب جيلنا الحالى لها بعد حين كما كان الامر عند وضع النقاط على الحروف فى عهد الحجاج . ونورد فى الصفحة الاخيرة نموذجا للطباعة بالطريقة المقترحة.

لا توجد الطريقة المقترحة حلا مرضيا لمشكلة تحريك الاحرف فى حالة الوقف ، فمثلا ستكتب جملة طلع الفجر هكذا طلع الفجر اما اذا ذكرنا هذه الجملة بتسكين الراء اى بالوقف للفلجر فلن يكتب بالطريقة الجديده اى حرف زائد بعد الراء ، ومن رايى ان تكتب شارة السكون على حرف الوقف ليفهم القارىء انه يجوز تحريك هذا الحرف ايضا وان لم تعين الطريقة ماهية التحريك فهل هو النصب او الرفع او الجر ، وعلى اية حال فان الوقف دون التحريك من خصائص اللغة العربية وسيظل يلعب هذا الدور .

تصبح كتابتنا ابطأ مما تعودنا حتى الآن ، ولكن هذه التضحية اصبحت ضرورية فى نظرى .

اما بشأن المصطلحات فلا بد من الاشارة الى ان معظم اللغات الحية وكذلك اللاتينية القديمة المستعملة حاليا فى المطلحات العلمية انما تتميز بوجود جذر معين لكل مفهوم ويتوفر هذا الجذر فى سائر الكلمات ذات المدلول المشتق عن المفهوم او المدلول الاساسى وكل ما فى الامر لا يتعدى اضافة بعض الاحرف المحددة الى الجذر تتقدمه او تتبعه (اى السوفيكس والبريفكس) اللغات التى تمتلك مثل هذه السمة فى مرحلة تطور اعلى من اللغات التى سبقتها تاريخيا ومنها العربية. ان احرف الكاف والتاء والباء مثلا موجودة فى سائر الكلمات التى تمت الى فعل الكتابة بصلة ، فهى اذن بمثابة الجذر لها ، بيد ان احرف هذا الجذر قد تتباعد فيما بينها عند اختلاف المدلولات ، فلو تأملنا كلمة « مكتوب » لوجدنا ان « واوا » قد فصلت التاء عن الباء ، وفى كلمة « كتاب » جاءت الالف لتفصل بين احرف نفس الجذر . وعلى اية حال فهذه الميزة من خصائص العربية كذلك ولا حيلة لنا فيها مهما اضافت الى اللغة من تعقيدات ، ولكن وجود الجذر دون اى تغيير فى جميع مدلولات المفهوم الواحد يسهل اللغات الاخرى ويجعل من الهين ادخال مدلولات ومصطلحات جديدة ، كما يجعل من اليسير القيام بتصنيفها وترتيبها ان كلمة Télé التى تعنى البعد باللاتينية موجودة فى جميع المدلولات المشتملة عليه ضمن كلمات مركبة مثل Téléphone و Télégraphe Télévision و Télescope ... الخ ففى اشباه هذه الكلمات نجد ان كلمة البعد Télé موجودة دوما وتاتى فى البداية ثم تتلوها كلمة اخرى ، وفى مثالنا تعنى الكلمات الاربع التى اتت بعد Télé على التوالى « الصوت » و « الخط » (او الكتابة) و « الرؤية » و « التنظير » (او الملاحظة) والترجمة الحرفية للكلمات الاربع هى تيليفون : « الصوت الآتى من بعيد » وتيليغراف : « الكتابة الآتية من بعيد » وتيليفيزيون : « المشاهدة من بعيد » وتيليسكوب : « التفحص البعيد » اى ان الكلمة الدالة على وجود البعد متمثلة فيها جميعا بينما ينتفى من المصطلحات العربية الفصحى الموضوعة لهذه الكلمات اى اشارة للبعد ، فالمجامع اللغوية عربت كلمة تيليفون بـ « المسرة » او « الهاتف » والتيليغراف بـ « البرق » و « التيليفزيون » بـ « الرائى » و « المرناء » وفى اعتقادى فان اللجوء دوما الى الاجتهاد فى وضع المصطلحات الجديده دون الانطلاق من مبادىء او قواعد ثابتة معينة ودون الربط بين بعضها بعضا كما هو الامر فى اصولها الاجنبية ، يشكل عدا صعوبته واختلاف آراء الباحثين حول التسميات المقترحة ابتعادا حقيقيا عن المعنى الاصلى للمصطلح اللاتينى او الاجنبى الذى نريد تعريبه اى ان مصطلحنا الجديد سيظل يشكو من الضعف فى خاتمة المطاف .

ان الراى المنادى بتحوير الاسم اللاتينى بشكل يلائم العربية جدير بالاهتمام فاطلاق كلمة « تلفاز » — على وزن مفعال ، اسم الآلة — على جهاز التيليفزيون يهىء لنا امكان استخدام فعل من هذه الكلمة فى التصاريف (تلفز يتلفز تلفزة) ولكن هل هناك كلمات كثيرة من هذا النوع ؟

لقد عرفت العربية منذ القديم الادغام والكلمات

المركبة (عبشمى مثلا من عبد شمس وسامراء من سر من راى ...) فلا بأس اذن من اللجوء الى مثل هذا الاسلوب لجوء يتلافى كل ما ذكرناه من قصور او بعض هذا القصور .. اننى اقترح على سبيل المثال تسمية التيليفون بـ « الصوبعد » « والتيليغراف » كتبعد و « التيليفزيون » رؤبعد « والتيليمتر » قياسبعد وها هى نماذج من استعمالاتها :

تلقى فلان مخابرة صوبعدية .. شاهدت برنامجا روءبعديا ملونا ... طير عدنان رسالة كتبعدية الى عمر ... اجرينا ابحاث القياسبعدية للمكان ،، الخ ،

مثال توضيحى آخر : ان الكلمات اللاتينية المنتهية بـ Itis تعنى فى المصطلحات الطبية حدوث الالتهاب ككلمة Meningitis تعنى التهاب السحايا و Hepatitis التهاب الكبد وهكذا ... وفى اعتقادى فان استعمال كلمات مثل كباد لالتهاب الكبد وقلاب لالتهاب القلب ، بالعربية ليس بالحل الافضل عند تعريب المصطلحات اللاتينية الطبية ، علما انه ليس بالامكان دوما اللجوء الى « فعال » فى سائر اعضاء البدن . والمسألة تحل نفسها من تلقاء ذاتها ، فمن المعروف ان مصطلح « ذات الجنب » يستخدم منذ امد بعيد للدلالة على التهاب الغشاء المحيط بالرئة ، بل والتهاب الرئة يسمى ايضا بـ « ذات الرئة » فماذا لو اعتمدنا كلمة « ذات » للدلالة دوما على حدوث الالتهاب ؟ مثل ذات الكبد ، ذات الدماغ ، ذات الشغاف ، ذات الحنجرة .. وبالتالى فان كلمة « ذات » ستلعب فى العربية دور Itis فى التسميات اللاتينية .

ان كل ما اقترحه لا يخرج عن كونه امثلة قياس تصلح كمنطلقات مبدئية يمكن السير على نهجها فى كثير من المصطلحات العلمية ، وفى الواقع فان طبيعة عصرنا الدينامى تتطلب القيام بخطوات انعطافية جريئة تستهدف السهولة والدقة ، واستئصال كل النوافل من الاستعمالات العادية . اوليس فى مقدورنا مثلا ، بغية التخفيف والتيسير ، الغاء كان واخواتها وكاد وشقيقاتها واعتبارها جميعا افعالا ما تشبه باقى الافعال الاخرى بالنسبة للتلامذة والمواطنين العاديين على الاقل ؟

حرف الفتحة : ا
حرف الضمة : و
حرف الكسرة : د

قَلْب : قالب   عَرَب : عارب
قُل : قول   أَمْر : امر   أَل : ال

مَسْؤَل : سالواال   إنسان : نسان
رَجُلٌ : راجولن   رَجُلٍ : راجولن   رَجُلًا : راجولان

ريم على القاع بين البان والعلم   أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
ريمٌ ان عالا لقاعد بايناا لبان د والعالم د
احلالا سافكا دامي في لاشهرد لحرم

لكل شيء إذا ما تم نقصان   فلا يغر بطيب العيش إنسان
لكللد شيئن ذاما تما نقصانه
فلا يغررا بطيبد العيشد نسانه

التراث العربي

وعناصره الصالحة لنهضة عربية حديثة

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

الحضارة فى مدلولها العام تستلزم طائفة من العناصر ، ابرزها : شيوع العمران وانتشار العلوم والفنون وحسن انتظام الاجتماع وتوازن الاقتصاد وعظمة الجهاز السياسى وضخامة المقومات العسكرية وما شئت من مظاهر العزة والمنعة والوفرة والامن والنظام . والحضارات تقوى وتضعف بحسب قوة تلك العناصر وضعفها ودرجة اكتمالها والصبغة التى تصطبغ بها ، فهنالك حضارات يطغى فيها الجانب المادى على الجانب الروحى اى تسود فيها مظاهر العمران والمدنية الملموسة وتلك سمة يغلب وجودها فى الحضارات الاوربية بخلاف الحضارات الشرقية التى تضم الى جانب هيكلها المادى مجموعة روحية لا تزال الانسانية تستمد منها الى الآن سواء فى ميدان الفلسفة ام الاقتصاد ام الاجتماع وغير خاف ان اقدم الحضارات فى العالم هى الحضارة الشرقية من صينية وهندية ومصرية وآشورية وكلدانية وفنيقية وفارسية ولهذه الحضارات الاسيوية تراث فكرى ومادى كان ولا يزال من اجل دعائم الحضارة الغربية الآرية واقول مادى لان كثيرا من الاختراعات قد استمدتها الانسانية منذ فجر التاريخ من الحضارات السامية القديمة .

ان من يتتبع مقومات الحضارات الانسانية يلاحظ ظاهرة قديمة وهى امكان رد معظم هذه المقومات الى المدنية الشرقية ففى الفلسفة وفى العلوم وفى الاقتصاد يصطدم المؤرخ بطائفة من المعلومات منتشرة فى كتب منها المطبوع ومنها المخطوط يدل مجموعها على ان كثيرا من مظاهر المدنية التى تبناها عصر الانبعاث فى اوربا ترجع لاعمق العصور ولاعرق المدنيات الشرقية .

والحضارات تتكيف تبعا للجو المحلى وطبقا لمؤثرات تتفاعل فتسمها بطابع خاص .

فما هى وضعية الحضارة المغربية بالنسبة للحضارات العالمية ؟ وما هى منزلتها كحضارة اسلامية بالنسبة للحضارات التى توالت على المغرب قبل الفتح الاسلامى ؟ وما هى علاقة الحضارة الشرقية بالحضارة المغربية فى عدوتى المغرب والاندلس ؟

ان العرب لما فتحوا افريقية والمغرب وجدوا للحضارات العالمية ؟ وما هى منزلتها كحضارة اسلامية الامم التى تنازعت السلطة فى المغرب قبل دخول الاسلام اليه والحضارة القرطاجية قد قضى عليها طغيان الرومان الذين محقوا عاصمة قرطاج واستأصلوا من ربوعها الزاهرة جذور المدنية والعمران ثم بنوا على انقاضها شيئا جديدا ما لبث الوندال ان استأصلوه بدورهم ولكن لم يلبثوا فى المغرب زهاء القرن حتى انقض عليهم الروم سكان الامبراطورية الرومانية الشرقية (بيزانس) فارتكبوا فيهم ما ارتكبوه هم فى الرومان وما ارتكبه الرومان فى القرطاجنيين وقد ذكر المؤرخون انه لم تمض ستة اشهر على انتصاب الروم حتى عفوا على آثار الوندال بالبلاد وخرج المغرب من سلسلة الاحتلالات الاجنبية صفر اليد خاوي الوفاض منهوك القوى ووجد سكان البلاد — وهم البربر — انفسهم كما كانوا اول مرة بدائيين فى حضارتهم وقد اكد الاستاذ الفريد بيل Alfred Bel فى كتابه (ديانة الاسلام فى بلاد البربر) (ص 64) ان مما لوحظ كون لغة القرطاجنيين والرومان وكل ما استمده البربر خلال الاحتلال الرومانى والقرطاجنى — قد اندرس بعد انقضاء الاحتلال المذكور وان البربر عادوا الى استعمال لغتهم والى اساليبهم الوحشية مما يدلنا على انهم لم يستفيدوا قلامة ظفر من حضارة قرطاج ولا رومة . ولعل الاستاذ بيل نسى ان يقول بأن الشىء الذى ظل متغلغلا فى روح البرابرة هو اللغة البونية التى كانت قريبة من العربية والتى امتد اشعاعها على يد الكنعانيين العرب بين ابناء البربر من قرطاج الى قابس ومن طنجة الى بجاية .

ولكن هل كانت للبربر حضارة قبل سلسلة الاحتلالات الاجنبية ؟ ام كانوا مغمورين فى بوتقة الشعوب المتوحشة كما يزعم كثير من المؤرخين الاجانب ؟ يجب ان نعلم قبل كل شىء ان البربر اسيويون لا افارقة وانهم هاجروا من آسيا الى المغرب عن طريق مصر والبلاد الليبية وجاء برابرة الاطلس المغربى على الخصوص من ربوع الشام حيث كان يجمعهم قرب الجوار مع ابناء عمهم العرب الكنعانيين فالحضارة البربرية حضارة اسيوية بدائية ترتكز على الزراعة والرعى وقد وصف لنا مؤرخون اجانب التجانس الذى كان ملحوظا بين عادات العرب والبربر والذى كان يبلغ سويداء الحياة الاجتماعية بل والدينية وقد اخترع البربر احرفا هجائية فى الوقت الذى اخترع الكنعانيون احرفا خاصة بهم ، والحروف المعروفة بحروف تفناغ لا تزال مستعملة عند البربر الطوارق الصحراويين الى يومنا هذا . وعند ما انكشف شعاع الحضارات القرطاجنية والرومانية والوندالية من المغرب انساق البربر فى تيار حضارتهم الشرقية الاصلية التى تتبلور فيها مثل عليا ملكت منهم المشاعر وتغلغلت فى الاعماق حيث كانوا — كالعرب — يحبون الاستقلال ويتشبثون بالحرية وتجمعهم مع العرب كما قال سديو Sédillot (ميول وعواطف واحدة ومبادىء متشاكلة كحب الفخر والهيام بالحرية واكرام الضيف) .

وقد وجد البربر انفسهم بعد الفتح العربى الاسلامى ازاء شعب من بنى عمومتهم يشاطرهم مثلهم السامية وتقاليدهم الحرة فامتزج العنصران ولم يزد توالى القرون هذا التمازج الا قوة فتكونت مع الزمان مدنية مغربية مزدوجة التوام انصهر فى بوتقتها تراثان كلاهما شرقى الاصل طبعه الاسلام ووسمته العروبة بميسمها الخاص

وهنا تظهر حيوية الاسلام فى افريقيا الشمالية وخاصة تلك الحيوية التى اقر بها الفريدبيل كما اقر بها قبله وبعده مستشرقون منصفون ، فالاسلام هو الذى استطاع وحده ان يخلق فى هذه البلاد حضارة حقا دائمة مكتملة العناصر بعد ما عجزت عن ذلك الحضارتان القرطاجنية والرومانية رغم سموهما واعنى بالحضارة الحق حضارة ترتكز على مقتضيات اجتماعية كوجود الامة واكتمال مقوماتها وتوفر العناصر الروحية والمادية الضرورية لقيام كيانها واستمرار وجودها وصيانة ترابها وتراثها وهذا الشىء قد أوجده الاسلام الذى انضوى المغرب تحت رايته طوال اربعة عشر قرنا .

وقد تطورت تلك الحضارة المغربية ضمن دائرة العروبة والاسلام محتفظة على مر العصور بروحها الشرقية الخالصة وتطورت بجانبها حضارة اخرى — هى حضارة الاندلس — استمدت روحها من تراث الشرق الذى نقله الفاتحون والمهاجرون واضفت العوامل والتفاعلات المحلية على تلك الروح جلبابا لم تكن لحمته ولا سداه ليمتدا الى الاعماق حيث ظلت السيطرة للروح الشرقية وحدها .

ان للوضعية الجغرافية بعض الاثر فى تكييف العقلية نوعا ما ثم الانتاج الفكرى ثم مظاهر الحضارة ومع ذلك فقد ظلت الحضارتان الاندلسية والمغربية شرقيتين بعد ان تفاعلتا نحوا من ثلاثة قرون اى منذ عهد المرابطين الى عهد المرينيين تحت اشراف عاصمتى مراكش وفاس .

والثقافة الشرقية هى المنوال الذى حاك عليه رجال الفكر المغاربة منذ صدر الاسلام ومن تتبع جزئيات التراثين الشرقى والمغربى اسلوبا ونزعة وروحا لاحظ وحدة الجوهر ادبا وفلسفة واجتماعا مع فروق سطحية مرجعها الى مقتضيات اللون المحلى .

فالحضارة المغربية شرقية بدءا ونهاية ليس فيها اى اثر يذكر للحضارة اللاتينية التى قدر لها ان تمر مر السحاب فى هذه البلاد .

والحضارة الاندلسية حضارة مغربية صميمة اى شرقية المبنى عربية المعنى وقد تناولت عواصم العدوتين وبالاخص مدينتى فاس وقرطبة مع عواصم الشرق فى حمل راية الحضارة العربية الاسلامية فى العالم ايام كان الجهل رابضا بكلكله الثقيل على اوربا فكانت فاس مركزا للاشعاع الفكرى والروحى يستمد من نبراسه الاوربيون كما هو معلوم عند من له ادنى الملم بتاريخ الحضارات .

وتراث العروبة نفسه لم يكتمل فى كثير من مقوماته الا بمساهمة المغاربة فى بناء صرحه كالشريف الادريسى (استاذ اوربا) بجغرافيته وابن بطوطة برحلاته وابن خلدون باجتماعياته والحاتمى باشراقاته وابن رشد بفلسفتهوفقهه وطبه وابن الخطيببادبياته ونكاته (التى يذ بها الجاحظ فى كثير من الاحيان) وابن حزم بتنسيقاته الفلسفية والدينية وابن طفيل بنظرياته فى الفلسفة الفطرية .

فنحن معشر المغاربة بعنصرينا امة عربية المحتد شرقية الروح اسلامية العقيدة وحضارتنا حضارة شرقية عربية اسلامية فى جوهرها ومقوماتها .

وهى حضارة تتمثل فيها كل المؤهلات التى تتكون الحضارة من بعضها فضلا عن مجموعها .

وقد عاش المغرب والاندلس متحدين نحوا من ثلاثة قرون (من عهد المرابطين الى اوائل عهد المرينيين) وتم الانصهار والتمازج بين العنصرين اللذين كانت تجمعهما عوامل شتى لما كان بين البلدين من اواصر التزاور والمبادلة فكانت الوفود الاندلسية تترى على مراكش عاصمة المرابطين والموحدين ثم على فاس حاضرة المملكة المغربية فى عهد المرينيين وكان افراد الشعب المغربى الذين يهبون بين الفينة والفينة لانجاد اخوانهم سكان العدوة الشمالية يتصلون بالعناصر الاندلسية ويقتبسون منها فكريا واجتماعيا واستمر الاحتكاك عن طريق رجال مشهورين خلال القرنين الخامس والسادس حيث ظهر فلاسفة واطباء افذاذ كابن طفيل وابن رشد وبنى زهر ولم يكد ينتصف القرن السابع الهجرى الذى شهد سقوط معظم العواصم الاندلسية فى قبضة الاسبان حتى تضخمت حركة الهجرة فكان لذلك اثره الفعال فى حياة المغربالناعمة وقد توالى سيل المهاجرين الاندلسيين ايام السعديين فنقلوا معهم نماذج الحضارة الاندلسية التى طبعت الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية المغربية وعند ما وقع النفى العام بالاندلس غصت رحاب بعض كبريات المدن المغربية كفاس وتطاون وسلا بعلماء وشعراء وفنانين وتجار وارباب حرف ساهموا فعليا فى صهر الحضارتين صهرا طبعهما منذ ذلك العهد بطابع الطرافة والرصانة والسمو وقد امتزجت كثير من العادات والمظاهر المقتبسة من الحضارتين امتزاجا عميقا تعذر معه رد كل منهما الى ينبوعه فى كثير من الاحايين .

وقد ابرز الدكتور رينو Reinaud فى كتابه الطب القديم بالمغرب (نشرة معهد الدروس العليا عدد 1 ص 72) « امتزاج تاريخ الاندلس بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين والموحدين » فما هى اذن هذه العناصر الخالدة التى بلورت حضارة المغرب والتى لا تزال فى روحها ومبناها كفيلة بدعم كل تطور عربى فى العصر الحديث ؟

فمن ابرز مظاهر تراثنا الفكرى والحضارى الصالحة لنهضة عربية حديثة تلك العناصر الاساسية للمنهجية العلمية والتقنية التى ارتكز عليها الانبعاث فى اوربا بعد عصر النهضة وانطواء العصور الوسطى التى ظلت قرابة الف عام الاطار الزمنى لازدهار الحضارة العربية فى مختلف مجاليها الانسانية فقد برهن العرب

طوال قرون عن اصالة نادرة وعن روح خلاقة وعن استعداد للتكيف فأبدعوا منهجا تجريبيا رصينا لم يكن للانسانية عهد به وطوروا الاختصاص التقنى وحرروا الفكر وعززوا شمولية الكشف العلمى بربط الماضى بالحاضر ودعم التبادل بين الشرق والغرب فى تسامح وموضوعية وانكار للذات وتطلع عارم الى التضلع من اللغات واستكناه مختلف الاتجاهات والنظريات والمذاهب والنظم والعادات لدى الامم والشعوب تفتيقا للفكر وتوسيعا للافق وبذلك شادوا بنيانا شامخا ما زال الى الآن موئلا ومنبعا للفكر الانسانى النزيه .

فلنستعرض اذن الوانا من الكشوف المغربية فى مجالات الطب والكيمياء والصيدلة والعلوم الطبيعية والرياضية والفلكية وغيرها ثم بعض المجالى الاجتماعية والاقتصادية والفنية لنستشف مدى اسهام المغرب الاقصى فى دعم الكيان العربى الاسلامى خاصة والانسانى عامة — فكرا وحضارة — بعناصر لا تزال غضة فى منهجيتها وقوامها .

كان القرن الرابع فى الاندلس هو عصر النهضة تفتق فيه الفكر العربى سواء من حيث دراسة الفنون والتقنيات ام من حيث الاختراعات والكشوف العلمية (1) وهكذا برز ابن جلجل كأعظم طبيب طبائعى فى عصره عرب «مفردات ديسقوريدس» وزاد عليها الادوية التى جهلها والتى كانت معروفة عند العرب كما برز ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوى صاحب كتاب « التعريف لمن عجز عن التأليف » الذى كان اعظم ممثل لفن الجراحة فى المدرسة العربية (2) اعتمده واستند الى بحوثه جميع مؤلفى الجراحة فى القرون الوسطى وكتابه يعد اللبنة الاولى فى هذا العلم اذ هو اول من ربط الشرايين ووصف عملية تفتيت حصى المثانة واستخرجها بتشريح جراحى وعالج الشلل واستعمل خيوط الحرير فى رتق الجراحات والظاهرة التى امتاز بها هذا الكتاب هو روحه التجريبية وتركيز النصوص على آلات اثبت صورها فى كتاب هو اول تعبير للجراحة كعلم (3) ويرى لوكلير (4) ان المغرب كان اشد اقطار الاسلام عمقا من الناحية العلمية يشهد بذلك — حسب القفطى (5) عدد الاطباء والصيادلة المغاربة الذين رافقوا المعز الفاطمى الى مصر .

وكانت بفاس فى القرن الرابع « مدرسة طبية (6) كما كان البرابرة قبل هذا العصر يستعملون الحقن بجراثيم الجدرى لضمان حصانة المصاب (7) على ان القرنين الخامس والسادس قد عرفا فى المغرب الاقصى تحرر الفكر بصورة لم يسبق لها مثيل — كما قال لوكلير (8) تشهد بذلك رعاية البلاط المراكشى لامثال ابن طفيل وابن باجة وابن رشد وبنى زهر وقد اتصل بهذا الفن علم الصيدلة وعلم العقاقير والفلاحة حيث يعتبر كتاب ابن العوام ابى زكرياء يحيى بن محمد عديم النظير فى الادب العربى (9) « لما يحتوى عليه من معارف تطبيقية ووثائق قديمة وثمينة » بل هو اعظم ما انتجه لا العرب وحدهم بل حتى العصور القديمة « وقد كان الشريف الادريسى السبتى من هذا الطراز فطاف فى آسيا واوربا ووصف نباتات كل قطر وصفا اصيلا (10) وكتابه فى الادوية ملىء بالملاحظات

1) لوكلير — تاريخ الطب العربى ج 2 ص 350
2) لوكلير ج 1 ص 334
3) لوكلير ج 1 ص 456 ويوجد فى المكتبة الوطنية بالرباط ضمن مجموع عدد 1427 د جزء من هذا الكتاب يحتوى على 28 صورة للمكاوى وآلات التشريح .
4) ج 1 ص 407
(5) « اخبار العلماء بأخبار الحكماء » ص 85 .
6) « شهيرات نساء المغرب » للكانونى (مخطوط) نقلا عن « فن الاسنان بالمغرب الاقصى » لكاتب اوربى لم نستبن اسمه فى المخطوطة .
7) كودار — وصف المغرب وتاريخه ج 1 ص 239
8) ج 2 ص 72 .
9) ج 2 ص 11 و 110
10) الاعلام للمراكشى ج 3 ص 34

الشخصية اقتبس منه ابن البيطار فى مائتى موضع من كتابه فى الاعشاب (لوكلير ج 2 ص 8) واعتمد عليه وحده فى ثلاثين موضعا (ص 68) كما اعتمده استاذ ابن البيطار ابو العباس النبطى وهو مع تلميذه ابرز العلماء النباتيين العرب الذين لم ينجب الشرق من يضاهيهم فى هذه الآونة عدا فخر الدين الرازى وقد استطاع الاندلس بفضل شبكة علمائه — كما يقول لوكلير (11) — ان يحمل راية الفلسفة والطب فى العالم الاسلامى وبفضل هذا الانبعاث العربى فى الاندلس صارت اوربا تنفض عنها اردية الركود واصبح المسيحيون يتوافدون على طليطلة للارتشاف من معين العلم وقد استنجد اسقف المدينة بعلماء العرب لعلاج الفتر اللاتينى واذ ذاك بدات ترجمة مصنفات العرب العلمية فنقل جيرار دوكريمون وحده من العربية الى اللاتينية ستة وسبعين كتابا عربيا او اغريقيا معربا على ان حركة الترجمة بدات فى المغرب العربى منذ القرن الرابع فهذا قسطنطين التونسى الصقلى قد اسس مدرسة سالرنا وهى اول مدرسة من نوعها فى اوربا كانت مبعث انوار الطب الحديث فى العالم الغربى شارك فى التدريس بها الطبيب يونس العربى الفاسى (اللسان العربى ج 5 — بحث الدكتور احمد مكى) وقد ولد عام 400 بتونس (وتوفى عام 475 هـ) وظلت المخطوطات الطبية العربية التى حملها الى سالرنة غذاء اوربا عدة قرون وقد ترجم للاتينية اهم كتب الطب العربى كزاد المسافر لابن الجزار وكتب للرازى واسحق بن سليمان الاسرائيلى والف نحوا من اربعة وعشرين كتابا منها « قانون الطب » فى اثنى عشر مجلدا وفياتيكوم (12) فى الطب العام فى سبعة اجزاء .

ونبغ فى الشرق العربى فى هذا العصر علماء افذاذ تساوقت ابتكاراتهم مع زملائهم فى الغرب منهم السويدى صاحب « التذكرة » المتوفى عام 691 هـ وابن ابى اصيبعة وجمال الدين القفطى على بن يوسف المصرى (646 هـ) وعبد اللطيف البغدادى (629 هـ) (حيث امتاز فى وصف اعشاب مصر) وابن النفيس المصرى (687 هـ) الذى كان اعظم اطباء عصره ولعل مما ساعد على تطور الطب وما اتصل به من علوم سهر المنصور الموحدى على مصالح الاطباء وتنظيمه لمهنة الطب وقد سبقه الى ذلك الخليفة المقتدر الذى فرض على الاطباء تادية امتحان تقنى فبلغ عدد المتخرجين ببغداد عام 319 هـ ثمانمائةوستين طبيبا (13) وقد اجرى اول امتحان للصيادلة ايام المعتصم عام 221 هـ .

وكانت التجربة هى الطريقة العادية عند الاطباء حيث ظهر كتاب التذكرة لابى العلاء زهر بن زهر الاندلسى الذى كان والده ابو مروان عبد الملك بن ابى بكر رئيس الطب ببغداد ثم بمصر والقيروان (14) وهو كتاب ترجم الى الفرنسية عام 1911 م بعد ان تعددت ترجماته عشر مرات بين 1490 و 1554 م) كمجموعة من الملاحظات سجلها ابو العلاء لولده ابن زهر لتعريفه بالادواء الغالبة فى مراكش وبالادوية

---

11) ج 2 ص 72 وقد اعتمد ابن البيطار ايضا على عبد الله بن محمد بن صالح الكتامى الحريرى الشجار الذى كانت له حانوت بمراكش عام عام 583 هـ (اللسان العربى ج 6 ص 1968) اما النبطى فهو احمد بن محمد بن مفرج المعروف بابن الرومية او ابن العشاب ولد باشبيلية عام 561 هـ) ودرس الاعشاب شخصيا دون اعتماد على ديسقوريدس وجالينوس واقتبس منه تلميذه ابن البيطار ذوقه الخاص وقد رحل الى الشرق عام 613 هـ او 614 هـ بعد ما درس اعشاب الاندلس والمغرب وصنف معجما للحشائش وفاق اهل زمانه فى معرفة النبات وتوفى باشبيلية عام 638 هـ (نفح الطيب ج 2 ص 635) وذكر لوكلير بصدد ابن البيطار (ج 2 ص 225) انه اعظم نباتيى العرب وقد تنقل فى جبال الشام صحبة رسام كان يصور له الاعشاب وخلف لنا اعظم مجموعة فى العلوم الطبيعية وقد عينه الملك الافضل فى مصر رئيس عشابى القاهرة وقيل رئيس اطباء مصر (النفح ج 2 ص 683) وكتابه « جامع المفردات » اكمل ما صنفه العرب فى الطب يحتوى على الفى وصفة للعقاقير ترجمه لوكلير الى الفرنسيةوقد كان النبطى — حسب احاطة ابن الخطيب اماما فى الحديث حافظا ناقدا .

12) او (Viatique) ومعناه زاد المسافر

13) القفطى ص 130

14) نفح الطيب للمقرى ج 1 ص 445

المناسبة لها ولابى العلاء ايضا « مجربات » طبية جمعت بمراكش عام 526 هـ يوجد مخطوط لها فى الاسكوريال (رقم 844) ولعل ولده ابن زهر ابا مروان عبد الملك مؤلف كتابى « الاقتصاد » و « التيسير » قد بذ سابقيه حيث اعتبر اعظم من ابن سينا ولا يعدله سوى الرازى فى الشرق (15) وكان لا يعالج الا بعد الفحص الدقيق وجس النبض والنظر الى قوارير البول لتحليله وقد نهج ابن زهر خاصة فى كتاب « التيسير » اسلوبا جديدا فى الحكمة القياسية مستخدما التمحيص العقلى للوصول الى احسن النتائج فهو طبيب التجربة يصف الدواء على غرار اطباء عصرنا ويباشر الصيدلة لتجربة الادوية بنفسه ولذلك توصل بفضل قياساته الطبية وتجربته الشخصية فى البلاط المراكشى الى الكشف عن امراض جديدة لم تدرس قبله كالامراض الرئوية (التى منها تشريح القصبة فى مرض النبحة) وكذلك التخصص فى الجهاز الهضمى حيث استعمل الانابيب المجوفة لتغذية المصابين بعسر البلع والحقن المغذية واكتشف طفيلية الجرب وسماها صؤابة الجرب وارتكز على الطبيعة لعلاج الادواء (16) وكان سر نجاحه هو تشبعه بروح العصر الحديث حيث كان يتسم مثلا بنكران الذات فينسى نفسه ويستغرق فى مريضه وقد عرضت عليه حالات خطيرة حاول ان يعيشها مستمدا من ذكرياته وتجاربه ومنطقه وقد ابرز كودار (17) Godard هذه الميزة عند ابن زهر فاكد انه استعاض بالمنهج التجريبى والطريقة العقلية عن التقليد فى ممارسة فن الطب وكانت له عبقرية فذة تطورت بفضلها شعب ثلاث حاول توحيدها وهى الصيدلة والجراحة والطب العام ولعل من النقص الملحوظ فى عصرنا الحاضر تباعد هذه العناصر المتزايد بعضها عن بعض اما الحفيد ابو بكر بن ابى مروان (596هـ) فقد اضاف الى تضلعه فى الطب مشاركته فى العلوم الاسلامية حيث كان محدثا يحفظ صحيح البخارى باسانيده (18) ولم يكن فى زمانه اعلم منه باللغة وكان شاعرا يحفظ ديوانذى الرمة وهو ثلثلغة العرب(19) وظاهرة المشاركة هذه توفرت فى كثير من الاطباء كأبى جعفر بن هارون الترجالى تلميذ ابى بكر المعافرى فى علم الحديث والمتخصص فى طب العيون وابى يحيى هانىء بن الحسن اللخمى الغرناطى المشارك فى الحديث والاصول والطب الذى (20) تتلمذ لابن قرتون بفاس ومن الاطباء الذين كان لهم باع طويل فى التجارب العلمية الوزير ابو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجة شيخ ابن رشد المتوفى بفاس عام 533 هـ (21) وقد تعاون معه تلميذه ابو الحسن سفيان الاندلسى المتوفى عام 537 هـ فى تاليف كتاب التجربتين (22) على ان ابن رشد نفسه ضرب اروع مثل فى المنهجية التجريبية فاقترح فى شرحه لابن سينا ما يصفه الاطباء اليوم وهو تبديل الهواء فى الامراض الرئوية مشيرا الى جزيرة العرب وبلاد النوبة كمراكز شتوية (23) وابن رشد هو اول من اشار الى الدورة الدموية الكبرى وعللها فى كتابه « الكليات » الذى استمد منه ويليام هارفى (William Harvey) معظم نظرياته وقد سبقه ابن النفيس المصرى الى الكشف عن الدورة الدموية الصغرى او الرئوية قبل الغربيين بثلاثة قرون (24) .

وهذه الروح العلمية الفياضة هى التى تمخض عنها ما اشار اليه مؤرخ فرنسى من الد اعداء العرب هو رونان (Renan) فى كتابه «Averroès et

(15) ذكر ابن عبد الملك فى « الذيل والتكملة » ان ابن رشد كان يفضل ابن زهر على غيره من اهل عصره .
(16) حضارة العرب — كوستاف لوبون — الطبعة الفرنسية ص 530 .
(17) تاريخ المغرب ص 452 .
(18) الانيس المطرب ج 2 ص 180
(19) المطرب لابن دحية
(20) ابن ابى اصيبعة ج 2 ص 75
(21) جذوة الاقتباس لابن القاضى ص 335 .
(22) ابن ابى اصيبعة ج 2 ص 63 والقفطى ص
(23) لوكلير ج 2 ص 79
(24) حضارة العرب ص 531 (الطبعة الفرنسية)

«l'Averroïsme» (ابن رشد ومذهبه) مــن اعتراف كريسطوف كولومب فى رسالة تركها بعد موتــه بأن الذى اوحى اليه بوجود قارة جديدة وراء المحيط هــو ابن رشد المغربى فى كتابه « الكليات » على ان مجلة « نيوزيك » الامريكية اكدت (فى عدد ابريل 1960) ان العرب انطلقوا قبل سنة 1100 م (اى قبل كريسطوف كولومب بأربعة قرون) من ميناء الدار البيضاء بالمغرب الاقصى فرسوا فى عدة مواضع على الساحل الامريكى واكد هذه النظرية كثير من العلماء (25) .

اما المارستانات وهى المستشفيات والمصحات فقد وصف عبد الواحد المراكشى (26) الذى عاش فــى بغداد ــ المستشفى الموحدى قائلا :

« وبنى اى المنصور الموحدى بمراكش بيمارستانا ما اظن ان فى الدنيا مثله وذلك انه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع فى البلد وامر البنائين باتقانه على احسن الوجوه فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخــارف المحكمة ما زاد على الاقتراح وامر ان يغرس فيه مع ذلك من جميع الاشجار المشمومات والمأكولات واجرى فيه مياها كثيرة تدور على جميع البيوت زيــادة على اربع برك فى وسط احداها رخام ابيض ثم امر له من الفرش النفيسة من انواع الصوف والكتان والحرير والاديم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتى فوق النعت واجرى له ثلاثين دينارا فى كل يوم برسم الطعام ومــا ينفق عليه خاصة خارجا عما جلب اليه من الادويــة واقام فيه الصيادلة لعمل الاشربة والادهان والاكحال واعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهــاز الصيف والشتاء فاذا نقه المريض فان كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل وان كان غنيا دفع له ماله .. ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل اليه وعولج الى ان يستريح او يموت وكان فى كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخله يعود المرضى .. ولم يزل مستمرا على هذا الى ان مات .

وذكر ميلبى (فى كتابه الموحدون) المــؤلف عــام 1923 ص 129 ان هذا المستشفى « لا يخلف وراءه مصحات اوربا المسيحية فحسب بل تخجل منه حتى اليوم مستشفيات باريس » .

ولا بدع اذا كان مستشفى الموحدين بهذه المثابــة بالنسبةلاوربا فقد قال ولتر فىمختصر التاريخ: « ازدهر علم الطب والتداوى عنــد العــرب على حين كــان الاوربيون يجهلون هذا العلم الشريف ويحتقرون اربابه اذ ان الكنيسة كانت قد حرمته عليهم وحصرت التداوى فى زيارة الكنائس والاستشفاء بذخائــر التديسيــن وبالتعاويذ والرقى التى كان يبيعها رجال الدين» الى ان قال : وكان الاوربيون يستنكفون من النظافة لانها تشبه الوضوء عند المسلمين » .

وقد كــان الاوربيــون يضطــرون الى اللجــوء للمستشفيات العربية فهذا الملك شانجه توجــه الى قرطبة من اجل العلاج من مرض الاستسقاء (لوكلير ج 2 ص 351) .

وبدأ افول الحركة الفكرية فى المغرب آخر الدولــة المرينية بعد سقوط غرناطة اواخر القــرن العــاشر الهجرى وردود فعل الاسبان الانتقامية (Reconquista) فلم ينبغ فى البحث العلمى عدا رجال قلائل امثال الوزير الغسانى مؤلف كتاب « حديقة الازهار » الذى نشر عنه الدكتور رينو (27) دراسة اكد فيها ان هذا الكتاب يمتاز بمنهاجه الواضح جدا فى الوصف النباتى الــذى يتسم غالبا بطابع الاصالة والطرافة مع محاولة مفيدة لترتيب ثلاثى يدخل عنصرا جديــدا فى وصف اعشاب المدرسة الصيدلية الشرقية وقد ظل المغرب مع ذلك خلال العصور الاخيرة من تاريخه ــ بالرغــم عــن احتــلال البرتغال والاسبان لبعض مراسيه ومحاولة تدخل الاتراك فى شؤونه ــ يواصل منهجه التجريبى على نطاق ضيق حيث ظهرت اساليب (28) لمعالجة انواع الرمد وتشريح العين لازالة غشاوتها وتخديــر ــ ــ

(25) نشرة المعهد المصرى 26 عام 1934 ــ بحث بقلم ماكس ما يرهوب ص 33 وقد اشار ابن النفيس الى ذلك فى « الكتاب الشامل فى الطب » الذى كان يحتوى على ثلاثمائة مجلد اهدى منهــا المؤلف ثمانين مجلدا لمستشفى قلاوون .

(26) راجع الخليج العربى فى تاريخــه السياسى ونهضته الحديثة ص 13

(27) المعجب ص 177 ــ كتاب ميلبى (Les Almohades - millet) ــ 1923 ص 129

(28) نشرة معهد الدروس المغربية العليا ج 18 ص 195

المرضى قبل العمليات الجراحية واستخدام وسائل الايحاء والتنويم مع المهارة فى طب الاسنان وقد اعطانا الطبيب احمد بن حمدون بن الحاج (29) المتوفى عام 1316 هـ (30) للمرة الاولى فى تاريخ المغرب تقسيما فنيا للادوية كما صنف الشريف العلمى الذى درس بالاسبطالية الكبرى بالقاهرة عام 1291 هـ كتاب « ضياء النبراس فى حل مفردات الانطاكى بلغة اهل فاس » (طبع عام 1318 هـ) يحتوى على مفردات بربرية ولاتينية وافرنجية مرادفة للمصطلحات الطبية العربية مع تخليل ذلك بالمصطلحات الحديثة كالتصعيد والتقطير ووصف العمليات العلمية وهو كتاب متين التحليل يعتبر نقطة تحول فى تاريخ الطب المغربى .

ولنضرب الآن مثلا آخر بشعبة من العلوم هى الرياضيات فقد كان العرب اساتذة النهضة الاوربية فى الحساب (31) وقد فند سيديو (Sédillot) (32) ما زعمه بعض المستشرقين من ان علماء العرب انما اقتبسوا من الاغريق مشيرا الى ما ابدعه الفكر العربى فى هذا المجال مثل ادراج الخطوط المماسة للدائرة (tangentes) فى الحسابات والاستعاضة عن الاساليب العتيقة بحلول مبسطة اصبحت اساسا فى علم حساب المثلثات الحديث (trigonométrie)

وقد لاحظ العالم شال (Chasles) انه كان للعرب فضل التفكير فى تطبيق الجبر على الهندسة وتأكد ذلك بعد ان نشرت مؤلفات محمد بن موسى الخوارزمى منذ عام 1836 م من طرف روزن (Rosen) ومن بينها بحث فى الجبر حلت مشاكله فى المعادلات الثلاثية بطريق هندسية وبقا لبأن الخوارزمى هذا لم يحل سوى المعادلاتمن الدرجة الثانية (équation de 2e degré)

وان الذى حل معادلات الدرجة الثالثة هو عمر بن ابراهيم(33)ولعل لفظتى الغوريتم واللوغريتم مشتقتان من اسم الخوارزمى الذى يعتبر اقدم الرياضيين العرب حيث عاش فى عصر المأمون العباسى ونقلت كتبه فى الجبر والمقابلة الى اللاتينية وقد ابدع العرب فى علم المثلثات نظرا لتطبيقاتها فى علم الفلك .

واسهم الغرب الاسلامى اى المغربالكبير والاندلس فى بلورة هذا الاشعاع العلمى العربى فظهر ابن حمزة المغربى فى القرن الرابع واستعمل طرقا جديدة فى اللغريتم ، واشتهر فى الاندلس ابو عبيدة مسلم بن احمد ويحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة وابو القاسم اصبغ بن السمح (له تآليف منها المدخل الى الهندسة فى تفسير اقليدس وكتاب كبيرفى الهندسة) وابو القاسم بن الصفار وابو الحسن الزهراوى (كان عالما بالعدد والطب والهندسة له كتاب شريف فى المعاملات) وابو الحكم عمر الكرمانى (من الراسخين فى العدد والهندسة) وابو مسلم بن خلدون (كان متصرفا فى الفلسفة والهندسة والنجوم والطب) وتلميذه ابو الحسن مختار الرعينى (كان بصيرا بالهندسة والنجوم) وعبد الله بن احمد السرقسطى (نافذ فى الهندسة والعدد) ومحمد بن الليث (بارع فى العدد والهندسة) وابو حى القرطبى (بصير بالهندسة رحل الى مصر عام 442 هـ) وابو الوقشى الطليطلى (الهندسة) (النفح ج 2 ص 874) .

وقد احصينا فى «معجم الرياضيين بالمغرب الاقصى» الذى نشرناه عام 1385 هـ — 1965 م فى مجلة « اللسان العربى » (العدد الثالث ص 134) نحوا من مائة وثلاثين من المهندسين والرياضيين وعلماء الهيئة المغاربة الذين برزوا فى هذا القطاع العلمى الهام وخلفوا لنا تراثا رائعا اسهموا به فى دعم صرح الحضارة والبحث العلمى فى العالم ومن بين هؤلاء :

1 — المهندس الحاج يعيش الذى بنى لعبد المومن ابن على الموحدى مقصورة وضعت على حركات هندسية ترفع لخروجه وتنخفض لدخوله .

2 — المهندس عبيد الله بن يونس الذى استخرج مياه السقى بصنعة هندسية (35) .

(29) راجع كتابنا « تاريخ الطب والاطباء بالمغرب » 1380 — 1960 ص 72
(30) رينو ص 8
(31) الاعلام للمراكشى ج 2 ص 246
(32) كوتيى (Gautier) فى كتابه عادات المسلمين واعرافهم ص 238 .
(33) تاريخ الطب العربى — لوكلير ج 1 ص 320
(34) حاضر العالم الاسلامى ج 1 ص 151 .
(35) نزهة المشتاق للادريسى ص 67 من الجزء المطبوع حول افريقية والاندلس .

3 — ابن الياسمين الذى ولد بفاس اواسط القرن السادس والخبير فى الجبر والمقابلة .

4 — المهندس المعمارى ابو عمران موسى بن حسن بن ابى شامة مصمم بعض الاجنحة فى جامعة القرويين عام 599 هـ .

5 — ابن البنا المراكشى (المتوفى عام 721 هـ) صاحب مقدمة اقليدس ومختصر الفلاحة والاصول فى الجبر والمقابلة وتلخيص فى الحساب شرحه ابن المجدى احمد بن رجب بن طنبغا القاهرى عام 850 هـ واختصره ابن الهائم القرافى المتوفى عام 815 هـ .

6 — على اليفرنى المكناسى (734 هـ) وهو امام الرياضيات فى عصره (36) .

7 — على بن احمد التلمسانى صانع منجانة المدرسة العنانية بفاس عام 758 هـ (37) .

8 — امير المؤمنين فى الحساب ابراهيم المصمودى 912 هـ (38) .

9 — الفلكى احمد الغزانى الفاسى (39) 920 هـ .

10 — محمد بن هلال امام التعاليم فى سبتة وشارح المجسطى فى الهيئة (949 هـ) .

11 — ابن مشون محمد بن يوسف السبتى صاحب الرجز فى الجبر والمقابلة (40) عام (989 هـ) .

12 — السلطان احمد المنصور الذهبى الذى كان يفك كل يوم شكلا من كتاب اقليدس (41) .

13 — شيخ جماعة الفنون بمراكش احمد التلليتى الاختصاصى فى الرياضيات والمساحات والهندسة وهو من رجال القرن الحادى عشر .

14 — محمد بن محمد بن سليمان الرودانى الفاسى (1094 هـ) الخبير الاوحد فى الرياضيات والهيئة والمخروطات والمتوسطات والمساحة وقد عاش فى بغداد فذاع صيته واخترع آلة فلكية وصفها صاحب نشر المثانى (ص 87) .

15 — المنجم الرياضى محمد المسناوى مرينو (1207 هـ) صاحب كتاب « تقدير قرض النفقات » فى علم الاقتصاد الرياضى .

16 — الاستاذ المعطى مرينو (1223 هـ) صاحب كتاب « كنز الاسرار فى تعديل الكواكب » وكتاب ابعاد النيرات ورصده وكتاب المزاول .

17 — احمد بن عبد الله التنانى الصويرى (1320 هـ) صاحب المؤلفات العديدة فى الجبر والمقابلة واللوغاريتم والذى حل اشكالا هندسية نقلها الى الرياضيات وكان رئيس الرياضيين والمهندسين ورئيس المدفعية فى الجيش المغربى .

واذا اعتبرنا شعبة اخرى من العلوم التطبيقية كعلم الجغرافيا نلاحظ ان الخرائط العربية الاولى كانت عبارة عن خلاصة لما ورد عن بطليموس وظل العالم طوال الف عام عالة على هذا الجغرافى والفلكى اليونانى الذى هو من رجال القرن الثانى الميلادى حتى ظهر الشريف الادريسى الذى وصفه كوتيى (42) بانه استاذ اوربا فى الجغرافية حيث ظل الغربيون يستمدون ازيد من ثلاثة قرون من خريطته العالمية فكان اطول باعا من بطليموس واكثر دقة فى ملاحظاته وتقريراته لان بطليموس احصيت عليه فى تقديره للمسافة الفاصلة بين طنجة والاسكندرية وحدها اغلاط بلغت ثمان عشرة درجة طولية بينما تقل اغلاط تقديرات الادريسى للاطوال ما بين طنجة وطرابلس الغرب عن درجة واحدة وقد نبه الادريسى على هذه

---

(36) درة الحجال ص 441
(37) جذوة الاقتباس لابن القاضى ص 31
(38) درة الحجال ص 107 وسلوة الانفاس (ج 2 ص 4) .
(39) درة الحجال ص 91
(40) الاعلام للمراكشى ج 3 ص 263
(41) درة الحجال ص 176 + الدرة ص 51
(42) فى كتابه عادلت واعراف المسلمين عند ما تعرض له .

الاغلاط ومعلوم ان الاقتصاد فى كل امة يعد قواما جوهريا فى تطورها الحيوى وقد اسهم العامل الاقتصادى فى بلورة الحضارة المغربية منذ فجر الاسلام فالامة المغربية قد استقبلت الفاتح العربى كمحرر لا سيما وان العرب حملوا معهم الى افريقيا كما يقول كوتيى « حكومة نظامية مجهزة بجميع المقومات العسكرية والادارية » فكان فى ذلك الخلاص من جبايات مرهقة فرضها الرومان الذين احالوا الشمال الافريقى الى « مخزن محصولات » لامداد روما فكان الامبراطور الرومانى نفسه اكبر ملاك عقارى فى المغرب الكبير ومنذ اواخر القرن الثانى الهجرى انطلق الاقتصاد المغربى من عقاله فانتظم واصبح « منطقيا تارا » — كما وصفه المؤرخ طيراس فى تاريخ المغرب وامست عاصمته الادريسية فاس مركزا اقتصاديا وفكريا رسم الخطوط الاولى للوحدة القومية والتخفيف من عوامل الانفصالية والتشتت القبلى لا سيما بعد ان تجمعت فى العاصمة الجديدة ثمانمائة عائلة اندلسية هاجرت اليها (عام 202 هـ — 818 م) بعد وقعة الربض وقبلها ثلاثمائة اسرة قيروانية (198 هـ) وقد شاهد المغرب اول عملة وطنية مستقلة عام 185 هـ حيث تبلور الاشعاع الحضارى باستقرار اقوى (حتى فى الصحراء) وتصاعد العمران وانبثاق مدة جديدة وتعززت الفلاحة التى كانت محور الاقتصاد باعمال الرى الكبرى وازدهرت الحركة التجارية فكانت سجلماسة الصحراوية مركزا للتوافل بين المغرب والبصره وبغداد وكانت الظاهرة الاساسية التى اتسم بها هذا العصر هى الطمأنينة والامن مما شجع ظهور البوادر الاولى لانتشار الضيع الزراعية وما لبث هذا الاقتصاد ان تكيف فاتسعت مصادره وموارده باتحاد الاندلس والمغرب وهكذا نعند ما كشف عباس ابن فرناس الاندلسى وهو اول طيار عربى بالاضافة الى الجوهرى استخدم آلة لامتطاء الاثير — طريقة جديدة لصنع الزجاج من الحجر تكونت آنذاك مجموعة من الصناعات سبقت البندقية الى كثير من الكشوف وعمرت العالم باصناف المنجزات من اقداح وعلب وانابيب وآوان كيماوية وكانت المصانع تنفخ الزجاج وتفرغه وتنحته وتعزز بذلك فن الترصيع فى دمشق والزجاج البلورى الرقيق الذى سبقت به مصر صناعات بروسيا وتشيكوسلوفاكيا اوائل هذا القرن.

وقد جعل الموحدون — كما يقول اندرى جوليان فى تاريخ افريقيا الشمالية — حدا للفوضى المالية التى كان يتخبط فيها ملوك الطوائف فظهر عنصر جديد هو التصنيع واصبحت سبتة مركزا دوليا لانتاج الورق يضاهيه جودة ورق شاطبة فى الاندلس وسامرا فى العراق وكانت هذه المراكز تمد اوربا الشرقية والغربية وقد عثر المستشرق كازيرى فى الاسكوريال على مخطوط عربى من ورق القطن يرجع تاريخه الى عام 1009 م (وهو هذا العصر بالذات) يدل على ان الورق المقصود كان من القطن وقد سبق المغرب اوربا الى صنعه ومعلوم ان العرب اول من صنع الكاغد من الخرق البالية (لوبون — حضارة العرب — ص 519) وقد اصبحت فى فاس وحدها ايام الموحدين 3094 مصنعا للنسيج و 47 للصابون و 12 لتسبيك الحديد والنحاس واحد عشر معملا للزجاج واربعمائة لصنع الورق او الكاغد (43) علاوة على الثروة المعدنية التى اتخذت موادها الاولية من حديد ونحاس وفضة وتوتيا وغيرها منطلقا لسلسلة مصانع انتشرت بسرعة فى حواضر المغرب وبواديه بالاضافة الى مصانع السكر فازدهرت المبادلات بين المغرب ودول اوربا وخاصة موانىء بيزة وجنوة والبندقية ومرسيلية وكان المسلمون آنذاك هم اول من نظم الاساليب التجارية طبقا لمقتضيات التجارة الدولية — كما يقول اندرى جوليان — الذى اكد ان الاسطول المغربى اصبح آنذاك اول اسطول فى البحر الابيض المتوسط .

ونفتح هنا قوسا صغيرة لنؤكد ان هذه الروح القانونية نجدها متبلورة فى مواقف المغرب الذى كان يقف دائما فى صف الشعوب التواقة الى التحرر كشعب الولايات المتحدة التى كان المغرب اول دولة اعترفت باستقلاله فى العالم ايام السلطان محمد بن عبد الله المحدث الفقيه السلفى (المتوفى عام 1204 هـ) الذى كانت دول اوربية تدفع لاسطوله جزية سنوية لحمايتها من القرصنة فى البحر الابيض المتوسط كما برهن عن روح دولية اكد المؤرخ والحقوقى الفرنسى

---

43) زهرة الآس للجزنائى ص 33

الكبير جاك كايى انه سبق بها ما عرفتـه اوربـا فى العصر الحـاضر .

وكانت هذه الفترة التى استمرت ازيد من ثلاثة قرون اروع فترة فى تاريخ وحدة المغـرب العربـى تفتقت خلالها معالم الحضارة ومراسم العمارة وبدائع الفن انضافت الى قوة التخطيط الاجتماعى الذى تبلور فى تأمين السبل الصحراوية والتفجر الديمغرافى وتكاثـر المارستانات وتزايد المـدارس والاحيـاء الجامعيـة وانطلاق مصانع المراهم والادهان والاكحال (44) ولعل من ابرز مظاهر هذا الازدهار آخر ايام بنى مرين القوة الشرائية للنقود حيث لاحظ ابن بطوطة انها كانت تعدل فى المغرب ثلاثة اضعافها بمصر وبالرغم من النكبات التى بدأت تترى على المغرب بعد نكبـة « الفردوس المفقود » فان المنصور السعدى استطاع اواخر القرن العاشر الهجرى فى معركة « وادى المخازن » ايقاف غزو البرتغال للشواطىء المغربية مع تقليص النفـوذ الاستعمارى البرتغالى فى البحر الهنـدى والخليـج العربى كما كان اسطوله قبل ذلك رادعا للصليبيين فى سواحل الشام وفلسطين وصعقت اوربا بعد الهزيمة النكراء التى الحقها المغرب بالبرتغال الـذى فقـد استقلاله من جراء هذه الضربة ازيد من ستين سنـة فصارت الدول الغربية تخطب ود السلطان السعدى واقترحت انجلترا عليه التعاون لتأسيس كوندومنيوم الهند ونفق الدينار الذهبى المغربـى على الصعيـد العالمى وتصاعد التصنيع وخاصة تكرير السكر الذى اصبح البلاطان الفرنسى والانجليزى يتنافسان فـى اقتنائه كأجود ما ينتجه العالم وبعث المغرب تقويـة لمبادلاته مع اوربا عملاء للدعاية لمنتجاته كما شارك فى المعارض الدولية كمعرض باريز عام 1285 هـ وحمى الصناعة الاهلية من المزاحمات الاجنبية وبذلك برهن فى شتى المجالات على تساوقه مع ما يستجـد مـن معطيات الحضارة بأوربا وقد عرف المغـرب انظمـة اقتصادية واجتماعية سبقت الاحـداث والكشـوف الاوربية فقد منحت الدولة مثلا القروض للدور التجارية لجلب المحاصيل اعوام الجفاف وبيعها بأثمان فى متناول الشعب كما كانت تتخذ كل الوسائل لالغاء ما يزيـد على الاعشار والزكوات من مكوس وجبايات تخفيفا لوطأتها على الشعب وعلى اقتصاديات البلاد ولعـل المغرب كان من اكثر الشعوب ايمانا بفعالية العمـل كراس مال قبل ظهور نظرية كارل ماركس التى يعتقد انصار الاشتراكية والشيوعية بأنهـا مكسب جديـد للانسانية فقد اكد ابن خلدون فى تاريخـه (45) ان « الكسب هو قيمة الاعمال البشرية » فلذلـك لاحـظ ماسينيون فى احصاء قام به عـام 1924 للصناعـة المغربية (46) ان عدد رجال الحرف فى المدن المغربية يعادل نصف عدد السكان كما اعترف المؤرخون الاجانب بأن نظام الحناطى عندنا وهو اشبه بما عرف اخيرا فى ايطـاليـا (système des corporations) كان يعمل فى اطار من الحرية الكاملـة لم يفسد الا باحتكاكه بنظريات اوربا وقد امتاز الانتاج الصناعى المغربى بجودة نادرة فتحت له منافذ فى اوربا الى آخر القرن الماضى ويكفى دليلا على ذلك قطن المغرب الذى كان فيه نوعان معروفان فى اوربا « سى — ايسلاند » لهما سدى حريرى طويل من الطراز الامريكى وقـد تساوق مع ازدهار التصنيع ازدهـار الفلاحـة حيث بلغت السوائم وحدها خمسين مليون راس من الغنم والمعز ستة ملايين راس من البقر (47) ويرجع التفجر الديمغرافى بالمغرب لقلة الوفيات ولارتفـاع معـدل الاعمار الى ما بين 65 و 70 سنة فى الحواضر ومائة فى الاطلس بفضل انتشار المارستانـات والملاجـىء الصحية وخلو المجتمع الاسلامى من امراض العصر الناتجة عن الخمور او الزنا مثل الامراض التناسلية التى عرفت بالمغرب بالامراض الاسبانية او الفرنسية)

اما فى الحقل الجامعى فقد احتفل المغـرب منـذ سنوات بذكرى مرور احـد عشر قـرنا على تأسيس جامعة القرويين التى مافتىء المؤرخـون الغربيـون يعتبرونها اول مدرسة فى الدنيا » لا تزال قائمة الى الآن كما اعتبروا مدينة فاس فى افريقيا اشبه بأثينا عاصمة الفكر بأوربا واعتبرهـا المشارقـة انفسهم وخاصة منهم العراقيين كبغـداد المغـرب (48) اى

44) المعجب لعبد الواحد المراكشى ص 177
45) م 1 — ق 3 ص 686 و 709 طبعة بيروت
46) النشرة الاقتصادية والاجتماعية المغربية رقم 49 — 50
47) كودار صفحة 188
48) المعجب للمراكشى

كعاصمة للغرب الاسلامى بالنسبة لدار السلام فـى حاضرة الخلافة وهكذا امتاز المغرب بمدارسه الرائعة التى هى احياء سكنية للطلبة كما امتاز بمعاهد تقنية فى القرن الماضى كمدرسة المهندسين (49) ومدرسة المدفعية (بالجديدة) ومدرسة الفنون وتعـزز هـذا الانبعاث الفكرى بايفاد بعثات من الطلبة الى الخارج لاستكمال معارفهم العلمية والتقنية كما تعـزز نتـاج العقول بمطبعة حجرية نشرت مئـات المخطوطـات العربية المختارة من بين آلاف المخطوطـات النـادرة المكدسة فى المكتبات العامة والخاصة بالمغرب .

واذا كان للشعوب والامم مجال يجب الانصراف اليه تعزيزا للكيان الوطنى ودعما للحضارة القوميـة فهو هذه المجموعـة من المجـالات التـى تستلـزم تخطيطاتها الرصينة درجة عليا من التقـدم الفكـرى والسمو الاجتماعى والتطور التقنى بالاضافة الى الكفاية الاقتصادية ولذلك عمد الاستعمار ــ كما يقول اندرى جوليان ــ الى التعجيل بانهيـار المغـرب اقتصاديا للسيطرة عليه سياسيا ففرضت فرنسا حمايتها عـام 1912 م عن طريق القروض والدبلوماسيـة المالية ولذلك وجب ان تستفيد نهضتنا الجديدة من هذه العبرة فتتلافى كل استرهان لمقوماتها وتوجه تخطيطهـا الى دعم سياستها الوحدوية العربية فى الاطار العـالمى عن طريق تراثها الطبيعى فلو ان العرب استطاعوا خلق وحدة اقتصادية حقيقية تحتجز الثروات وخاصة البترول وارصدة البنوك ومختلف اوجـه الاستثمـار لتوفر لدينا اكبر ضغط سياسى على الغرب الذى مـا زال يستنزف قوانا الحيوية ويجرح كرامتنـا بمكايده ومن مظاهر حضارتنا الفكريـة التى يجب ان نـداب متكاتفين شرقا وغربا على صونها ودعمها لربط الماضى بالحاضر مكانة اللغة العربية التى كـان نفوذهـا فى العصور الوسطى بعيد المدى حتى ان جانبا من اوربا الجنوبية كان يوقن بأنها هى الاداة الوحيـدة لنقـل العلوم والآداب ــ كما يقول جورج ريفوار ــ « وقد انطلق المنهاج العلمى اول ما انطلق باللغة العربيـة ومن خلال العربية فى الحضارة الاوربية » بهذا اعترف الاستاذ ماسينيون الذى اكد « ان اللغة العربية اداة خالصة لنقل بدائع الفكر فى الميدان الدولى وان استمرار حياة اللغة العربية دوليـا هـو العنصر الجوهـرى للسلام بين الامم فى المستقبل » فلا يمكن اذن لايـة نهضة عربية حديثة ان تكتمل دون ان تستعيد لغـة الضاد مكانتها المرموقة فى المحافل الدولية علميا وتقنيا وحضاريا ــ ولنقتصر نظرنا على مثال واحد يبرز مدى اسهام المغرب العربى فى دعم لغة الضاد فهذا الشيخ مرتضى الزبيدى امام اهل اللغة فى القرن الثانى عشر يتتلمذ لابى عبد الله محمد بن الطيب الشرقى الفاسى (المتوفى عام 1170 هـ) فى اكبر موسوعة لغوية فى العصر الحديث « هى تاج العـروس مـن جواهـر القاموس » (كما يتتلمذ لمحمـد الحسنـى البليـدى الجزائرى (المتولات العشر للدكتور حقى) وقد كان للاستاذ المغربى اثر عميق فى تكوين تلميـذه المصرى حتى انه لا يمر مشكل الا واستند الزبيدى فى حله الى شيخه الذى كان اللغويون يصححون المعـاجم مـن املاءاته وتحليلاته كما فعل ابن القزاز البربرى حيث صحت عليه اللغة فى القرن الرابع الهجرى مع صاعد العراقى اضف الى ذلك ان الفكر المغربى قد طعـم المعجم العربى بطائفة من المصطلحات النابعـة مـن مصادر الاشتقاق العربية الاصلية (50) والتى اكتملت بها مجالى الحضارة العربيـة فى الادارة والقضـاء والشرطة والاقتصاد والصناعة والفلاحة والاجتمـاع والعمران وقد استعرضنا جوانب من هذه المظاهر فى كتابنا « تطور الفكر واللغة فى المغـرب الحـديث » الذى هو عبارة عن سلسلة محاضرات القيناهـا فى القاهرة باشراف معهد الدراسات العربيـة العليـا فعناصر التكامل هذه لا ينبغى ان تخلق فى حضارتنـا العربية ثنائية متنافرة الطرفين بل كيـانا متسـاوق الاجزاء ينطلق من المفهوم العلمـى العربـى الخاص الى المدرك العلمى الانسانى العام فى تجـاوب يحفظ للكيان العربى عالميته التى ظلت طابعه البارز طوال القرون الوسطى الى العصر الحـديث وقـد فجـر الاستعمار بين الاخوة فى الشرق والغرب هذه الثنائية الانفصالية التى ما زلنا نعانى من ويلاتها الامرين فى

---

49) المجلة الاسيوية المجلد العاشر ص 152 .

50) راجع بعضها فى المستدرك على المعاجم العربية لدوزى وبعضها الآخر فى كتابنـا « تطـور الفكـر واللغـة فى المغـرب الحـديث » .

جانباتنا الهامشية التى تنسينا احيانا عمق المشاكل المصرية وحتى فى ادق مجالات المعرفة كان للمغرب النصيب المرموق فقد استطاع ان يسهم حتى فى تكييف الفن المعمارى العالمى بروائع ما زالت قائمة الى الآن حيث تجلى ابداع الموحدين منذ القرن الخامس فى روعة وفخامة مرصد الخالدة او الخيرالدة (Geralda) باشبيلية ومسجدى حسان بالرباط والكتبية بمراكش كما امتاز الفن المرينى فى القرن الثامن برقة الاشكال وتشعب الرسوم وتداخل التسطيرات والتوريقات والمقرصنات والترخيمات ونقوش الخشب والادهان البديعة والشماسيات الملونة والنحاس المموه وترصيع المنارات والجدران بالزليجيات ورغم اتجاه الفن المعمارى منذ القرن العاشر الى هندسة الحصون والقلاع لمواجهة الغزو الاستعمارى الاوربى فقد ظل ينافس اوربا فى التجديد حيث لم يكن قصر «الرياض» بمكناس يقل روعة عن قصر « فرساى » بفرنسا وهكذا تبلور فى الفن المغربى طابع خاص اضفى على الحضارة فى الشق الغربى للوطن العربى لونا جديدا شكل احدى لبنات انبعاث الانسانية الفكرى منذ العصور الوسطى

ومن هذه العجالة يتجلى انه اذا كان المغرب العربى قد حقق تطورا رائعا فى مجالات الفكر والحضارة المختلفة فما ذلك الا بفضل تساوق النشاطات العلمية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية بين شقى العروبة فابلغ الروابط واعمقها قد استوثق بين الشرق العربى والشمال الافريقى والاندلس على يد رسل الفكر الذين كانوا يهاجرون زرافات ووحدانا فى موجات غامرة كل عام للحج او الدج وكان لهذا التبادل مظاهر شتى تبلورت فى وفرة الوافدين من علماء المشرق على ملوك المغرب حماة العلم والفكر امثال المنصور السعدى (51) الذى احتضن بلاطه رجالات افذاذا من الحرمين والقدس ومصر والشام والعراق والهند وكان افصح جواز يقدمه المواطن المغربى او المشرقى فى الحدود المطاطة هو اسلامه وعروبته فكانا يستيقضان ويستسفران فى الحواضر العربية والاسلامية شرقا وغربا دون ميز يتبوآن هنا وهناك المناصب السياسية والدبلوماسية والعلمية فلم يكن للمواطنة الضيقة اى اثر فى الحيلولة دون انبثاق هذا الشعور الفياض بالوحدة التلقائية النابعة من وحدة الدين واللغة والتاريخ والمصير وقد ظل اقطاب الفكر المغربى ينتجعون الشرق لاستتمام المعارف وتبادل الاجازات العلمية ووجوه النظر فى مختلف المجالات التقنية باطراد ووثوق كما عرف الشرق كيف يقدر فى شخص زملائه فى الغرب الاسلامى حرية الفكر ونزعة التجديد ولعل ما لاحظه المقرى وقبله ابن خلدون من فروق بين الشقين فى الاتجاهات الفكرية والمناهج العقلية يرجع الى انطباع الشرق بالعمق الكلاسيكى فى ملكة العلوم واصطباغ الفكر المغربى بالوان من البحث جديدة تحت تاثير التفاعلات مع الغرب ومن بين المغاربة الذين كان لهم ضلع قوى فى دعم هذا التبادل الثرى بين شقى العروبة نجتزىء بالاشارة الى بعض ممن عاشوا فى العراق امثال :

1 — جمال الدين محمد بن ابى بكر البغدادى اصله من قصر كتامة وهو صاحب الوتريات وقد ورد على مراكش عام 655 هـ ثم للمرة الثانية عام 663 هـ (الاعلام للمراكشى ج 3 ص 152) .

2 — محمد بن احمد بن ابراهيم البغدادى الفاسى المتوفى بفاس عام 546 هـ (تكملة الصلة لابن الابار ج 2 ص 193 الذيل والتكملة لابن عبد الملك ج 4)

3 — ابو الحكم عبيد الله (او عبد الله) بن المظفر المرينى المغربى كان طبيب المارستان بالعراق ايام السلطان محمود السلجوقى (وفيات الاعيان ج 2 ص 307) خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهانى (قسم المغرب تونس 1966 ص 289)

4 — عبد الله المراكشى الهنتاتى جمال الدين فوض الله عمر البغدادى المعروف بالمجرد توفى عام 795 هـ (الاعلام للمراكشى ج 6 ص 102 مخطوط)

كما تتلمذ للغزالى صالح بن حرزهم الفاسى (انس الفقير لابن قنفذ ص 12) وابن حنين الكنانى المتوفى

---

(51) راجع بحثنا حول رسل الفكر بين الشرق العربى والمغرب العربى فى مجلة « اللسان العربى » العدد الخامس 1387 — 1967 .

* خصصنا العراق الشقيقة بالذكر لان هذه المحاضرة اعدت للمؤتمر الدولى للمؤرخين الذى انعقد عام 1973 ببغداد .

بفاس عام 569 هـ (الجذوة ص 304 و 322) وعبد القادر الاندلسى التطوانى التبين المتوفى عام 566 هـ (تاريخ تطوان ـــ لمحمد داود ج 1 ص 74)

اما العراقيون بالمغرب فقد الفت فى شأنهم المصنفات منها « العراقيون الحسينيون بالمغرب » لمحمد هاشم زيان العراقى (فهرس الفهارس ج 1 ص 246) «والشيعة العراقية بالمغرب» لاحمد بن عبد الوهاب الوزير الغسانى « ومطلع الاشراف من الشرفاء الواردين من العراق » لعبد السلام القادرى .

كما شارك مغاربة فى كفاح الشرق ضد الاستعمار منهم :

1 ـــ يوسف بن دوناس الفندلاوى استشهد فى حرب الصليبيين فى الشام عام 543 هـ (معجم البلدان ج 6 ص 401) .

2 ـــ العباس بن احمد الفاسى استشهد فى الحروب الصليبية بالشام عام 595 هـ (الجذوة ص 278)

3 ـــ يوسف بن محمد بن عبد الله البلوى المالقى المتوفى عام 602 هـ غزا مع صلاح بالشام (تكملة ابن الابار ص 737 / صلة الصلة لابن الزبير ص 217) .

4 ـــ محمد الجيلانى السباعى المراكشى حارب الفرنسيين بمصر (عجائب الآثار للجبرتى ج 3 ص 44 ـــ الاعلام للمراكشى ج 5 ص 144)

فهل يمكن لاية وحدة ان تقوم على غير هذه الدعامة من التكامل بين اجزاء العروبة وهل يتأتى لنهضة عربية رصينة ان تنبثق فى العصر الحديث دون الارتواء من هذا المعين الصافى الذى عكرته ولا تزال رواسب وذيول التخلف الناتج عن انفصال اجزاء الوطن العربى بعضها عن بعض ردحا طويلا من الزمن تحت [illegible] الكائدين . وهنالك مظهر آخر لحضارة المغرب يتجلى فى رسالتها فى افريقيا واوربا وامريكا الجنوبية فالمغرب يحتل موقعا ممتازا فى القارة الافريقية حيث يشرف على بحرين تركزت فيهما حيوية وحضارة ولكن هذا الوضع المحظوظ فى قلب العالم الغربى لم يفت فى اعضاد روح المغرب الشرقية التى عززتها وشائج شتى وطبعها الاسلام والعروبة بميسمها النهائى .

ان المغرب الذى يتحلى منذ ازيد من الف سنة بالحضارة العربية ما زال نقطة وصل بين عالمين ومحورا جوهريا للروابط الدولية بين الشرق والغرب

ويقبض المغرب ـــ بفضل طنجة التى كانت عاصمته الدبلوماسية ـــ على مقاليد غربى المتوسط بينما تشرف قناة السويس على شقه الشرقى ولذلك فان هذين الطرفين العربيين الذين يشرفان على مركز يتسم بحساسية نادرة فى الوضع الدولى الراهن لا بد ان يلعبا دورا مهما فى حوض المتوسط الذى لا يمكن ان يتم فيه شيء بدون مساهمة ـــ ترتكز على المساواة والسيادة ـــ من طرف جميع الاقطار العربية التى تمتد حلقاتها من طنجة الى دمشق على طول ثلاثة اخماس ضفاف المتوسط تلك حقيقة ناصعة كان من المحتوم ان تفرض وجودها على الافكار الغربية قبل اليوم .

وبلغ اشعاع الفكر العربى عن طريق المغرب اقاليم افريقية شاسعة تمتد الى تخوم النيجر جنوبا وحدود مصر شرقا فكان المغرب محور ومصدر حيوية نابعة عن الاستقلال الذى كان يتمتع به فلم تعد هنالك دولة عربية مستقلة فى افريقيا غير المغرب بعد عام 1250م حيث سقطت مصر نفسها تحت سيطرة الاتراك فظل المغرب يواصل طوال الف عام حمل مشعل الحضارة العربية كولد بار للشرق العربى الرائد موقنا بأن الانتماء للشرق هو الميزة الجوهرية فى حضارتنا بل هو القوام الاساسى لكياننا ولهذا شكل المغرب كجزء قائم من هذا الوطن العربى نقطة وصل مع اوربا وقنطرة الى العالم الجديد وذلك ضمن التأثير الذى تركته حضارتنا فى الغرب والذى لم يكن لينصرم ـــ ضمن تبادل موصول ـــ لولا تلك الآفة الاستعمارية التى حولت من جراء مطامعها التوسعية مجرى تاريخنا فلو ان المغرب والغرب ظلا مستقلين سياسيا الواحد عن الآخر لامكنهما ان يعززا تقاربهما فى نطاق روابط حرة وتناسق قار لان التعاون لا يمكن ان يثمر الا اذا جرى على اساس من المساواة وتبادل احترام السيادة والكيان فحتى اذا سلمنا بما يزعمه بعض المؤرخين من وجود رواسب عاطفية ضد الاجنبى فى نفوس

المغاربة فان ذلك لم يكن ذاتيا وانما هو شيء عارض تمخض عن طغيان المطامع والدسائس الاوربيــة فى البــلاد .

ان النفسية العربية التى تجمع بين النبل والاريحية لا تنفعل انفعالا سيئا الا ازاء مــا يمس بكبريائهـا الوطنى ويهددها فى حريتها ورمز وجودها ففكرة الحرية عند الرجل العربى ليست معناها الفردية الانانيــة وانما هى توثان طبيعى نزيه لتحقيق الذاتية وحفظها.

فلهذا تبلورت مدنيتنا فى اشعاع ثقافى ممتاز اكثر منها فى نفوذ مادى ومع ذلك فان قوة المغرب الماديــة ما فتئت سائدة فى البحر المتوسط الذى كان رومانيــا فاصبح طوال العصور الوسطى (بحرا عربيا) كما يقول م ماكس فنتيجو ــ بجزره وسواحله واساطيله ونهضة تجارته واضحت لغة القرآن هى اللغة الدولية للتجــارة والعلم .

وقد اكد الكاتب الفرنسى المقتدر اندرى سيكفريد عضو اكاديمية باريس ان العرب غرسوا فى البحــر المتوسط حضارة يانعة فطــوروا الــرى وادخلــوا غراسات جديــدة كالقطــن والارز وقصب السكــر والحوامض (وبسببهم فقد البحــر المتوسط طابعــه المسيحــى) .

ان الاشعاع المادى للقوة المغربية فى المتوسط هو آخر ما نفكر فيه لابراز الرسالة التى إضطلعنا بهــا فى هذا البحر ومع ذلك فان الاسطول الموحدى الذى كان يضم اربعمائة قطعة ما لبث ان اصبح اول اسطول فى المتوسط (اندرى جوليان) على ان المغرب قــد تزعم العالم الإسلامى والعربى فى هذا العصر مما حدا صلاح الدين بطل الحروب الصليبية الى الاستنجاد بالاساطيل المغربية لايقاف تقدم المسيحيين فى طريق الشام وما لبث هذا الاسطول ان ضم أزيد من ستمائة قطعة حربية ايام ابى الحسن المرينى . وسيادة العرب فى البحر المتوسط ظهرت بوادرهــا ولــا تمــر على انبثاق الاسلام بضعة عقود فقد غزا معاويــة بعض جزر المتوسط بألف وسبعمائة سفينة ثم قامت الاوراش التونسية تعزز بانتاجها الجديد قوة الشرق العربــى البحرية حيث صنعت فى بعض ايام ابن نصير وحده نحو مائة قطعة وقد برهن المغاربة منذ القرن السادس الهجرى عن حاسة استراتيجية مبكرة حيث ادرك عبد المومن بن على الموحدى اهمية جبل طارق الذى هو احد مفاتيح المتوسط فعمد الى تحصينه واحالته الى قاعدة امامية للدفاع عن افريقيا والانــدلس وحتــى فى خصوص فكرة الجندى المجهول نلاحظ وجود مــا سمى فى الاندلس بالشهيد الغريب Le martyr inconnu فى المخاضة التى بــين حصــن بالمــا Palma del Rio وهــــى الجــرف Al-Jarf (الادريسى ــ النزهــة ص 208) .

ان رسالة الحضارة المغربية الحق فى البحر المتوسط تتجلى فى مظهريــن اثنين هما التــأثير الاقتصــادى والاشعاع الثقافى على ان الدور الاقتصادى نفسه لــم يكن فى الواقع سوى نتيجة للنفوذ الادبى فسياســة التسامح التى نهجها المغرب فى اغلب عصوره قــد ساهمت فى توثيق الروابط بين المسلمين والمسيحيين حتى اصبحت المراسى المغربية فى سواحــل المتوسط مصدر نشاط فياض فهى التى كانت الينبــوع الاول للمبادلات مع بيزا وجنوة والبندقية ومرسيليا وغيرها مــن مــوانــيء .

وقد اكد مسيو ماكس فنتيجو مؤلف المعجزة العربية (Le miracle arabe) ان الحكومة الموحدية كانت من اشد الحكومات احتراما للحرية وان الاندلس عرفت فى عهدها عصرا ماجدا تألق فيه نجم المعارف والعلوم العربية التى سرى تيارها المنعش فى جنبات اوربــا نعم ان من مظاهر تلك المعجزة العربية تحقيق شعوب اوربا الغربية من ايطاليين وفرنسيين والمان وانجليــز لذلك الانقلاب الفكرى العظيم الذى تفتق عن عصر النهضة وقد سبق لكوستاف لوبون ان قال نقلا عــن العالم الايطالى ليبرى Libri (لولا العرب لتأخــر انبعاث الآداب فى اوربا عدة قرون) .

نعم لم يتصل الاوربيون بالعلوم العربية الا عــن طريق اسبانيا المسلمة التى برهنت فيها تنافس العناصر العربية والمسيحية عما للثقافة العربية من تفوق غير منازع على الثقافة اللاتينية وما لبث هذا الاشعــاع العربى ان غمر شعوب الغرب فبلغ كبريات العواصم وشمل مدن بيزا وبولونى ومونبيليى وسلامانك وافنيون وباريس من وحشتها اللاتينية حيث فتح امامها مجال الفكر والحياة الثقافية كما قال فنتيجو ورغم انهــزام

الموحدين السياسى وعـودة الانـدلس الى حظيرة المسيحية ظل نفوذ الحضارة العربية يتزايد فى نظـر الغربيين حتى صارت باريس نفسهـا التـى اسس جامعتها الملك فيليب اوجست على اثر عودته مـن الشرق ـ تستمد من المغرب والشرق كثيرا من كشوفها

والذى يزيد هذه الظاهرة غرابة ان الفتوح العربية لم تكن حركة توسعية ولا حربا صليبية ضد المسيحية وانما كانت رسالة تمدينية لا تهدف الى اى لون مـن الوان الادماج ومن مظاهر تسامح ملوك العرب ونزاهة وجهتهم ان جوهن ملك انجلترا عرض عام 1199 على آخر ملوك الطوائف وهو محمد الناصر ان يحميه ضد البابا فى مقابل جزية سنوية واعتناق الاسـلام مـن طرف انجلترا ملكا وشعبا ولكن الملك العربى رفض هذا العرض لان اريحيته ابت عليه استغلال الضائقة السياسية التى كان الانجليز يتخبطون فيهـا لحملهم على اعتنـاق الاسلام .

اليس اذن من الغريب ان لا يتجلى اثر الحضارة العربية فى ذهن الاوربـى المتوسط الا فى فتـوح اوقف تيارها شارل مارتيل فى بلاط الشهداء ؟

ومنذ القرن السادس عشر امكن للحضارة المغربية التى كانت الى ذلك التاريخ منحصرة فى البحر المتوسط ان تدخل الى امريكا الجنوبيـة بواسطـة الغـزاة البرتغاليين الذين اكتسحوا اذ ذاك العالم الجديد فقد تلقت البرازيل مثلا طوال ثلاثة قرون متوالية تأثـير المدنية الاندلسيـة فاتسعت جميـع مظاهر الحيـاة الاجتماعية الامريكية بطابع مغربـى ينمـو ويضعف حسب الاصقاع فتقنعت المراة البرازيلية على طريقة زميلتها المغربية وكيفت اسلوب حياتها كما فعلت المراة الصقلية المسيحية فيمـا حكاه الرحالـة ابن جبيـر تكيفا ـ يحذو حذو النعل بالنعل ما عهد فى الاندلسيات والمغربيات نعم اصبح الشىء الكثير فى البرازيل صورة لما كان عليه مجتمعنا فى العصور الوسطى من اناقـة النساء الارستقراطيـات فى الحـواضر واتخاذهـن الطنافس الوثيرة للجلوس بدل المقاعد الخشبيـة الى غير ذلك من طرائق الحياة الفردية ومناهج الفلاحة والغراسة فى البادية فبالرغم عـن اختـلاف الطقس استخدم الفلاح الامريكى اجهـزة واساليب الفلاحـة المغربية وانتشر استخدام الطواحين الهوائية فىمجموع انحاء امريكا الجنوبية مع جميع ما ينطوى عليه نظام الرى عندنا (السواقى والآبار الخ) وقد نقل المعمرون البرتغاليون الى امريكا جميع ما انجزه المغاربة فـى القسم الجنوبى من الاندلس من مصانع السكر والقطن الى مزارع الحوامض ودودة القز (كانت 3060 قرية اندلسية تتعاطى تربية دودة القـز) على ان اللغـة الاسبانية الامريكية تنم عن الآثار التى تركتها حضارتنا فى الميدان الثقافى والاقتصادى والاجتماعـى بامريكـا فالاصطلاح الامريكى فى المياه والسقى والرى معظمه عربى وكثير من الازهار والنباتات العطرية ما زالت تحمل فى اسبانيا وامريكا اسماء عربية اضف الى ذلك ما يمس (مودة) النساء من اسماء الحلى والمصوغات

والشبه وثيق بين المغرب وامريكا الجنوبية فـى ميدان الهندسة المعماريـة حيث لا تختلف فى البلدين اساليب البناء فى الكنائس والاديرة والمنازل والحمامات وقد تأثر الاصطلاح الامريكى ايضا بالمفردات العربية.

ويضيق المجال عن تعداد المناحى التى تجلت فيها آثار الحضارة المغربية والاندلسية فحتى اساليبالطبخ واسماء العائلات لا تختلف فى امريكا عنها فى المغرب ووحدة اصول العائلات العربية تفسر لنا نجاح الهجرة العربية الى امريكا ورسالتنـا الحضاريـة اصبحت فى الظروف الدولية الراهنة اشد واقعية من اى وقت وابرز عنصر يجب ان تنطلق منه العناصر الحضارية الاخرى عند اخواننا فى الشرق لبناء صرح نهضتنا الحديثة .

في القياس اللغوي

الاستاذ ابراهيم انيس

نشرت مجلة « مجمع اللغة العربية بالقاهرة بحثا قيما للدكتور ابراهيم انيس تحت العنوان اعلاه نقتطف منـــه مـــا يلى :

امكن لنا فى احصاء سريع ان نجمع من معجم لسان العرب ومحيط الفيروزابادى نحو 71 مثالا رويت عن العرب القدماء هـــى :

صديق ، صريع ، شريب ، قليب ، (به داء وتعب) ، خريت ، بريت (دليل حاذق) بليت (عاقل لبيب) صميت، نسيق ، زميت ، عميت ، (الرقيب الظريف) سكيت ، حديث ، خبيث ، عبيث ، عنين ، خريج ، ضليل ، مريخ (احمق) ، مديخ (عظيم عزيز) مريح (كثير المـــرح) شرير ، غريد ، سكير ، مريد (طاغية) ، جبير ، جزير (كثير الذبح) ، ختير (غادر) سمير ، شخير ، شغير ، شنير (سيء الخلق) ، شمير (مجتهد) ، ظفير ، غدير، فكير (كثير التفكر) اريس (اكار او امير) ، دعيس (ماهر فى الطعن) رديس (ماهر الرمى بالحجارة) قسيس ، نطيس ، (طبيب ماهر) ، عقيص (بخيل) ، عريض (يتعرض للناس بالشر) فقيع (شديد البياض) ثقيف (حاذق فطن) ، خريق (سخى ظريف) عشيق ، شنيق (شديد الاعجاب بنفسه) طليق ، مسيك (بخيل)، سجين (دائم شديد) غليم ، قديم (الملك او من يتقدم الناس) ، زبين (مدافع الاخبثين) ، سخين (حار) ، طعين (حاذق فى الطعن) ، المسيح (الدجال لشؤمه)، ظليم ، فخير ، حريف ، خمير ، هزيل ، متيخ ، (وصف للعود الطويل اللين) لطيخ (احمق) ، شتير (سيء الخلق) ، رئيس (كثير الرياسة) ، طليس (اعمى) ، زريع (ما ينبت فى الارض المستحيلة) ، القريع (السيد) ، طريق (كثير الطروق) ، غسيل (كثير الضراب) .

وكلها تفيد المبالغة فى الفعل . وورد ايضا فى اللسان والمحيط نحو 20 مثلا من هذه الصيغة تعبر عن اسماء لاشياء ولعلها كانت فى وقت من الاوقات صفات فهى :

سجيل (حجارة) ، كليت (حجر يسد به) ، جريث ، قريث ، زمير ، جنيس (نوع مـــن السمك) بطيـــخ ، دريج (الطنبور) ، ذريج (دويبة) ، خريع (شجر العصفور) ، عقير (عشبة يتداوى بها) ، طبيع (لب الطلع) ، عريس (مأوى الاسد) ، فطيس (مطرقة التليد (الخزانة) القميس (البحر) ، ابيل (قطعة من الطير) ، الزبيل (القفة) ، التنين (الحية العظيمة) ، القنين (الطنبـــور) .

اى ان ما ورد عن العرب القدماء من هذه الصيغة ليس من القلة على الصورة التـــى نلحظهـــا فى كـــلام علمـــاء اللغـــة .

صيغة «فعلون»
في غير اللغة العربية
من اللغات السامية

الاستاذ حامد عبد القادر
عضو مجمع القاهرة

ورد فى الجزء الحادى والعشرين من مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذا (1) البحث القيم ننشره تعميما للفائدة :

وردت هذه الصيغة فى بعض اللغات السامية الاخرى بصور مختلفة اكثرها فعلون بكسر الفاء وامالة الضمة الطويلة :

وقد دل البحث على ان زيادة الواو والنون فى آخر الكلمة تكون فى الغالب للدلالة على المكان او على التعظيم او التكبير . وقد تكون لغير هذا او ذاك كما سيتضح فيما بعد .

ومن الممكن حصر الاسماء المزيدة بهذه الزيادة فى اربع مجموعات ، لانها اما ان تكون اسماء اعلام ، واما ان تكون اسماء اجناس .

والاعلام اما اعلام اشخاص ، واما اعلام امكنة . ويدخل فى الامكنة الجبال والمدن . واسماء الاجناس اما اسماء ذوات واما اسماء معان .

وفيما يلى بيان لذلك :

(ا) النوع الاول : اسماء اعلام الاشخاص . ونمثل لها بما يأتى :

1 ــ جدعون : البطل العظيم . وقد اطلق على احد قضاة بنى اسرائيل الذين ساسوا امورهم من بعد موسى .

2 ــ شمعون : الاستماع او ذو الصيت الحسن او السمعة الطيبة .

وقد اطلق على احد ابناء يعقوب الاثنى عشر .

3 ــ شمرون ــ حارس . علم على شخص . او على مكان

4 ــ صيدون : علم على اول ابناء كنعان بن حام بن نوح وقد قيل انه سمى باسم مدينة صيدون التى سيأتى الكلام عليها .

---

(1) قدم الاستاذ عبد الله كنون الى مؤتمر المجمع فى دورته الحادية والثلاثين بحثا له فى اسم خلدون وهل هو مكبر على الطريقة الاسبانية . فأحيل الى لجنة الاصول ؛ وفى اثناء دراستها له قدم الاستاذ حامد عبد القادر بحثه هذا .

5 ، 6 ــ محلول وكليون علمان على ابنى اليملك المذكور فى قصـــة راعـــوث .

(ب) النوع الثانى : اعلام الامكنة . ونمثل لها بما يأتى :

1 ــ جبعون : مكان الجبل ، وقد اطلق على مدينة فى منطقة جبلية فى فلسطين على اربعة اميال جنوبى بيت لحم .

2 ــ حرمون : بارز . علم على اعلى قمة فى منطقة جبلية فى الشمال الشرقى من فلسطين تعد جزءا مـــن لبنان . وتسمى هذه القمة ايضا جبل الثلج 2 لان الثلوج تكسوها فى فصل الشتاء وقد اطلق عليهـــا حديثا اسم جبل الشيخ .

3 ــ صيدون : مكان الصيد (مصيد) او مكان التحصن (حصن ــ قلعة) وهو اسم اطلق على اولى المستعمرات التى اسسها الفينيقيون على الساحل الشرقى للبحر المتوسط . وقد سميت باسم كبرى مدنها وهى صيدون التى تسمى الآن صيدا . وقيل ان اول ابناء كنعان بن حام قد سمى باسمها .

4 ــ صيون : اسم جبل يقع فى الجزء الجنوبى الغربى من اورشليم . وهو اقدم اجزاء المدينة واعلاها ويطلق انبياء بنى اسرائيل وشعراؤهم هذا الاسم على اورشليم نفسها او على سكانهـــا او على اسرى اليهود وسبايـــاهم . وربمـــا اطلـــق على فلسطين كلهـــا .

وهذا الاسم هو فى السريانية والعربية ، صهيون بكسر الساد . ويرجع هذا الاختلاف فى التسمية الى الاختلاف فى اشتقاق الاسم فهو فى العبرية مشتق من فعل مهجور هو صيى بمعنى لمـــع او اضاء من بعد . اما فى السريانية والعربية فهـــو مشتق من فعل آخر مهجور ايضا هوصها . بمعنى اشتعل واحترق ، يقال صهت الارض اى شرقيت وجفت من شدة الحرارة .

ومن الممكن التوفيق بين الرايين بأن يقال ان اشعة الشمس المحرقة اذا سقطت على ارض تجعلهـــا جافة ، كما تجعلها تبدو من بعد كانها مشرقـــة لامعة لانعكاس اشعة الشمس عليها .

وفى اشتقاق هذا الاسم راى ثالث هو راى مـــن يقولون انه مشتق من فعل ممات ايضا هو صها يصهو اى ارتفع . ومنه صهوة الفرس . وصهوة كل شىء اعلاه . وحينئذ يكون معنى صهيون « قمة جبل » ولا شك ان هذا الاسم ينطبق على المسمى اشـــد الانطبـــاق .

5 ــ شمرون : مكان الحراسة ــ مراقب . وهو اسم جبل عظيم فى وسط فلسطين يسمى جبل الحراسة او المرقب . ثم اطلق على مدينة انشئت فى منطقة ذلك الجبل وهى سماريا عاصمة للدولة الشمالية (اسرائيل) التى اسسها بعد وفاة سليمان عليه السلام وانقسام اليهود على انفسهم عشرة مـــن الاسباط او هم من عدا سبطى يهوذا وبنيامين .

6 ــ حبرون : خليل ــ صديق امين . وهو اسم لمدينة تقع على بعد 22 ميلا جنوبى اورشليم (بيت المقدس) اتخذها داود عليه السلام مقرا لملكه قبل استيلائه على اورشليم . والمراد بخليل هنا ابراهيم خليل الله عليه السلام . ويسمى « ابو الفداء » هذه المدينة (بيت حبرون) .

(ج) اسماء ذوات (اجناس مادية) ونمثل لها بما يأتى :

1 ــ حلبون ــ بياض البيضة .

2 ــ حلمون ــ صفار البيضة .

3 ــ ملون ــ مكان الكلمات ــ معجم لغوى .

4 ــ شاعون : ساعة يد او حائط .

5 ــ عتون ــ صحيفة . جريدة .

6 ــ فعمـــون ــ جـــرس .

(د) اسماء معان (اجناس معنوية) ونمثل لها بما يأتى :

1 ــ وعيـــون ــ فكـــرة .

2 ــ غلبون ــ غلبـــة او قهـــر .

3 ــ حفازون ــ سرعـــة .

4 ــ حازون ــ رويا صادقة ــ الهام ــ وحى .

تصحيحان

للأستاذ محمد بهجة الأثري - بغداد

(الكشغرى) لا (الكشفرى)

فى البحث القيم : « معاجم الابنية فى اللغة العربية» المنشور فى « اللسان العربى » — م 9 — 133 — 161 — ذكر السيد د . احمد مختار عمر (الكاشغرى) مؤلف « ديوان لغات الترك » زهاء ثلاثين مرة بالفاء (الكاشفرى) و (كاشفر) ، لم يخالف فى ذلك ولا مرة . ولست اعرف فى المدن مدينة تسمى (كاشفر) بالفاء ، وانما هنالك (كاشغر) ، وتلفظ بسكون الشين وفتح الغين المعجمة . وهى قاعدة (تركستان الشرقية) على حدود الصين : مدينة ، وقرى ، ورساتيق . وموقعها فى الاقليم السادس من الاقاليم السبعة ، حيث الطول ست وتسعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض اربع واربعون درجة . والى هذه المدينة ينسب مؤلف «ديوان لغات الترك» محمود بن الحسين المتوفى سنة 466 هـ كما ينسب اليها جماعة من المسلمين العلماء فى كل فن . وقد سماها ابو الفداء فى « تقويم البلدان » (قاشغر) بالقاف فى اولها و (كاشغر) بابدال القاف كافا ، وعزا التسمية الاولى الى « اللباب » — اى اللباب فى تهذيب الانساب لابن الاثير — ، وتابعه فى ذلك القلقشندى فى « صبح الاعشى » . غير ان هذا الكتاب — فى نسخته المطبوعة — لا ذكر فيه لـ (قاشغر) ، وانما المذكور فيه (كاشغر) لا غير ، وقد رسمت (كاشغر) فى « بلدان الخلافة الشرقية » (الترجمة العربية) مرتين (كاشغار) بزيادة الف بين الغين والراء ، وهو خطأ . ونقل ابو الفداء والقلقشندى عن « القانون » ، واحسبه القانون المسعودى لابى الريحان البيرونى ، قوله : « وتسمى — اى كاشغر ازدوكند » ، ورسمت فى كتاب الاول « اردوكند » وفى كتاب الثانى بالزاى (ازدوكند) ، ولم يذكرا فى « معجم البلدان » .

(النطنزى) لا « النطترى)

وورد فى هذا البحث ايضا « ص 160) تصحيف آخر ، عند ذكر مؤلف « دستور اللغة » : ابى عبد

الله الحسين بن ابراهيم (النطنزى) (1) ، فرسم لقبه هذا (النطترى) ، بالتاء والراء بعد الطاء . وقد تصفحت هذه الكلمة فى الكتب بصور اخرى ، منها : (النطزى) بالنون والطاء والزاى ، كما وردت فى نسخ « خريدة القصر » المخطوطة ، على ما ذكرته فى مقدمة الجزء الاول من هذا الكتاب — قسم شعراء العراق (ص 30) ، ومنها : (النطرى) بالنون والطاء والراء ، كما وردت فى « نصرة الثائر على المثل السائر » (ص 192) . وانما هى (النطنزى) ، وهى نسبة الى (نطنز) ، بنونين مفتوحتين ، بينهما طاء مهملة ، وآخرها زاى ، ويقال (نطنزة) بزيادة هاء : بلد بين (قم) و (اصفهان) . و « الحسين » هذا ، رسم فى « نصرة الثائر » « الحســن » ، فذلك تصحيف آخر فيه . وهو اديب ، صاحب تصانيف فى الادب ، وكان يقال له « ذا اللسانين » . توفى فى المحرم سنة 497 هـ .

وممن ينسب الى (نطنــز) ايضا : ذو البراعتين تاج اصفهان ، وهو من اسبــاط « ذى اللسانين » . وكانت (نطنز) من جملة اقطاعه . وقد بنى دار كتب فى اصفهان ، تنوق فى بنائها ، واغرب فى انشائها . ترجمة العماد الكاتب القرشى الاصفهانى فى « خريدة القصر — قسم شعراء العجم » وقال انه سمع منه اكثــر شعر الابيوردى . ومــن اسبــاط « ذى اللسانين » ايضا : شمس الدين ابو الفتح محمد بــن على بــن ابراهيم (النطنزى) . ترجمه الصفدى فى « الــوافى بالوفيات » (4 — 161) وقال : « كان من البلغاء اهل النظم والنثــر ... كثير المحفــوظ ، يحب العلــم والسنة ، ويكثر الصدقة والصيام . ونــادم الملــوك والسلاطين . وكانت له وجاهة عظيمة عندهم ، وكان تياها عليهم ، متواضعا لاهل العلم . توفى فى حدود الخمسين والخمس مائــة » ، واورد الصفدى مــن شعره مقطوعات قصارا ، رواية عن محب الدين بن النجار البغدادى .

محمد بهجة الاثرى — بغداد

(1) انظر كتاب الابيوردى للدكتور حقى . فقد اشار الى تصحيحها هناك .

صيغة « أفعل » و « فعلى »

الأستاذ إدريس العلمي

احب ان الفت النظر الى غلط لغوى اخذ يتردد بكثرة فى الايام الاخيرة على اعمدة الصحف العربية فى المشرق والمغرب وعلى السنة بعض المذيعين العرب آملا ان تعملوا على التنبيه عليه واصلاحه فى الوطن العربى كله لتوصيات مؤتمر التعريب المنعقد بالرباط فى سنة 1961 .

والغلط الذى نرجو ان تتفضلوا بالتنبيه عليه واضح فى العبارة التالية التى كثر استعمالها بمناسبة قيام حرب 10 رمضان بين العرب واليهود وهى **« الدولتان الاعظم »** .

فكلمة « الاعظم » هى على صيغة تفضيل للمفرد المذكر بينما يجب ان تطابق كلمة « الدولتان » بأن تكون على صيغة تفضيل للمثنى المؤنث فنقول : « الدولتان العظميان » ، فى حالة الرفع ونقول فى غير حالة الرفع : « الدولتين العظميين » .

اما كلمة « الاعظم » ونقول فى المثنى المذكر « الشعبان الاعظمان » او « القطران الاعظمان » ونقول فى المفرد المؤنث « الدولة العظمى » .

وكتب بعضهم : « الدولتان العظماوان » وهو غلط آخر لان وزن « فعلاوان » هو مثنى « فعلاء » لا «فعلى» فنقول مثلا « حمراوان » فى مثنى « حمراء » و «زرقاوان» فى مثنى « زرقاء » الخ ..

اما مثنى « عظمى » فليس له فى اللغة العربية سوى صيغة واحدة هى : « عظميان » فى الرفع و « عظميين » فى غير الرفع .

ولا يخفى ان « عظمى » مثل « فضلى » و « كبرى » و « صغرى » و « حسنى » هى على وزن « فعلى » الذى يثنى على صيغة « فعليان » مرفوعا و « فعليين » غير مرفوع ويجمع على صيغة « فعليات » فنقول : فى مثنى وجمع :

— عظمى : عظميان او عظميين — عظميات

— فضلى : فضليان او فضليين — فضليات

— حسنى : حسنيان او حسنيين — حسنيات

قال الله تعالى فى كتابه الكريم : « هل تتربصون بنا الا احدى الحسنيين » فقد قال عز من قال : « الحسنيين » فى مثنى « الحسنى » فلم يقل « الحسناوين » الذى هو مثنى « الحسناء » بل قال الحسنين مثنى حسنى .

ادريس بن الحسن العلمى

أبحاث عامة

تعريب الادارات بالمملكة المغربية

اذاع معالى الوزير الاول فى حكومة صاحب الجلالة ملك المغرب منشورا على جميع الوزارات فى 11/ 10 / 1973 دعا فيه الى السير فى تعريب الادارة تعريبا شاملا ، كما دعا جميع الدوائر الحكومية الى مراسلة المواطنين ومخاطبتهم بالعربية لا بالفرنسية . وقد راى المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى فى هذه البادرة خطوة طيبة طالما هدف اليها وسعى نحوها وتمنى التوفيق فيها لا فى المغرب الاقصى وحده بل فى جميع انحاء المغرب العربى (تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا) وهى بشرى نزفها الى العالم العربى كله ونهنئ حكومة صاحب الجلالة على السعى نحو تحقيقها، ورأينا ان من واجبنا ونحن نمثل الجامعة العربيةوالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم هنا ان نقدم خدماتنا ومعاوناتنا لتحقيق هذا الهدف النبيل الذى يخلص جزءا كبيرا من الوطن العربى من الضغط الثقافى الاجنبى ويمنحه استقلاله الفكرى فيستقى المعرفة من حيث شاء وينميها فى ظل الحضارة كما يشاء . ورفعنا بهذا المعنى خطابا الى معالى الوزير الاول ، فاذاع على اثره منشورا آخر هذا نصه :

المملكة المغربية

الوزير الاول

الرباط فى : 30 اكتوبر 1973

الى السيد وزير ....

الموضوع : هدية من المكتب الدائم لتنسيق التعريب .

سلام تام بوجود مولانا الامام دام له النصر والتأييد .

وبعد ، عطفا على المنشور رقم 122 بتاريخ 5 اكتوبر 1973 والمتعلق بتحريف الكتابة العربية خاصة وبالتعريب عامة ، يشرفنى ان اوافيكم صحبته بنسخة من الرسالة التى وردت على من طرف السيد مدير المكتب الدائم لتنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والتى يعلن فيها عن استعداد المكتب للمساهمة بجميع امكانياته المادية والبشرية فى تحقيق اهداف التعريب .

هذا ويجعل المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى اجهزته وخبرته رهن اشارتكم لتعريب كل ما تشعر مصالحكم التقنية المختصة بالحاجة اليه كما يعتزم تقديم كمية من المعاجم لوزارتكم تجدون صحبته قائمة بعناوينها ، الرجاء منكم الاتصال فى هذا الباب مع السيد مدير المكتب المذكور ليزودكم بما تحتاجون اليه من وثائق تساعدكم على السير قدما فى تعريب ادارتكم .

وتقبلوا خالص التحيات والسلام .

الرّوضُ والعَروس والعِراق وبدائع أخرى

الأستاذ عبد الحق فاضل
(الرباط)

(الـــوردة) تسمـــى بالانكليزيـــة والفرنسيـــة : (rose) ويؤثلونها مـــن (rosa) اللاتينية ، وهذه يؤثلونها مـــن (rhodon) الاغريقية ، بمعناها .

لكن يجوز ان يكون اثل (rosa) من العربية وهو (**الورس**) : نبات كالسمسم صبغ به . و (الوارس) من الثياب : الاحمر ، و (ورس) النبت ــ زنة ورث : اخضر ، و (أورس) الشجر : اورق ــ اى ان (ورق) الشجر ايضا ربما جاءت تسميته من الورس . وانتقل اللون الى عالم الطير ، من ذلك (**الورسى**) : ضرب من الحمام الى حمرة وصفرة ، ومنه فيما يظهر اسم (**الورشان**) ــ كالخفقان ــ وهو ايضا نـــوع مـــن الحمام الا انه برى اكدر اللون . ولعل منه ايضا اسم (**الورقاء**) : الحمامة عامـــة ، او التـــى لونهـــا الى الخضرة . ومما يدل على علاقة الكلمة بالورس انهـــا تطلق كذلك على شجيرة لها ورق ناعم مدور واســـع وساقها اغبر . لكن الورقاء الحمامة سميت بلونها ، والورقاء الشجيرة سميت بورقها ، ومآل كلتيهما الى الورس بمعنييه .

على ان (**الورد**) ايضا تختلف الوانه ومعانيه فهو : نور الشجر ، والزعفران ، والاسد ، ثم هو الشجيرة الشائكة المعروفة المختلفة انواعها والـــوان زهرهـــا وروائح اشذائها .

واما ان كان اثل (rosa) اللاتينية هو (rhodon) الاغريقية حقا كالذى يذهبون اليه فهذه الاخيرة ايضا من العربية ونعنى (**الروض**) ، الذى سنـــرى انـــه تسرب الى الآريات ببعض المعانى المائية ايضا .

ومـــــن (rosa) ــ التـــى صـــارت بالفرنسيـــة فالانكليـــزيـــة : (rose) ــ نشأ بالفرنسية (rouge) احمر . هذا يقوله المؤثلون الاوروبيون انفسهم .

ولعل هذا (الروج ـ rouge) انما نشأ فى العربيـــة اولا من (الورد ، الورس) **مثل شبيهها (الارجوان)** : الاحمر ، وشجر له وَرْدٌ ، ونبات احمر .. و (الارجوانى): القانى . بل لعل (الروج) من (الارجوان) نفسه . وكما غرب (الروج) الى اوربا بالفرنسية وغيرها ، شرق (الارجوان) الى الهند فصار منذ عهود سحيقة يدعى بالسنسكريتيـــة (ergewan) . وهو بالفارسية (**ارغـــوان** ــ arghavan)

لكننا لا نقصد هنا الى مجرد ايراد بعض الاسماء مع اثولها ، وانما نروم التحدث كذلك عن قصة مجموعة حاشدة من المفردات — دعانا الاختصار الى اغفال الكثير منها .. لا للقول انها من اسرة لغوية واحدة فقط لكن لبيان طريقة كل واحده منها فى تكوين نفسها لتظهر الى الوجود بمعناها او معانيها ايضا ، فضلا عن اثبات وجودها — بعضها فى علم الجغرافية وبعضها فى سجل التاريخ ، وما حققه فريق منها من انجازات فى حياة الحضارة والبداوة . نذكر منها كنماذج دعائية : المرساة، الشرف، الزراعة ، royal العرش ، archayology .. وموريطانية !

ولنضرب صفحا هذه المرة عن الترسيس لان حديثه يطول ، ولنكتف بان نمسك براس الخيط من كلمة (الاس) التى هى الاثل الخصب لكثير من المواليد اللغوية النجيبة النابهة . و (الاس) : اصل البناء، ومبتدا الشىء ، كما هو معلوم . ومنه يظهر فى الفرنسية (asseoir) : اجلسه ، واثبته .

ومن الاس نشأ (الارس) — بالكسر : الاصل الطيب ، ولا نكاد نشك فى انه كان يعنى اولا مطلق الاصل طيبا كان او غير طيب . ومنه نبع (الرس) : ابتداء الشىء ، ومن هذا ظهر (السر) الاصل ، وجوف كل شى ، ثم ما يكتمه الانسان فى نفسه . يتضح ذلك فى قولهم (تراسوا) بتشديد السين — الخبر : تساروه — بتشديد الراء . ومن عجب ان القاموس يذكر صيغة (المسرة) ليقول انها « الآلة يسار بها » ! فما هى ياترى تلكم الآلة التى كان العرب يتسارون بها ؟ هى آلة جوفاء كالطومار يسار المرء بها جليسه . ومن هنا على ما يبدو اطلق بعض المحدثين هذه (المسرة) على التلفون . لكن عيبها انها لا يمكن اشتقاق الافعال منها بالمعنى التلفونى ، فان قولك مثلا « ساررت فلانا » يعنى غير قولك « خاطبته بالتلفون » او « تلفنت له » .

ومن الرس نشأ (الراس) بمعنى العرق اى الجذر اول الامر فيما نعتقد . وكثيرا ما استعملوا (الراس) بمعنى الفرع كقول العراقيين مثلا ان (الفالة)لها ثلاثة رؤوس (والفالة رمح له ثلاث شعب او اكثر سهمية الرؤوس يصيدون بها السمك) .. وكقول العهد القديم عن نهر جنة عدن : « تخرج منه اربعة رؤوس »: اى تتفرع منه اربعة انهار هى دجلة والفرات ونهران آخران — مما يؤيد رأينا فى ان (الراس) كان يعنى الفرع اول الامر . ودليل آخر على علاقة (الراس) بالفرع والجذر معا هو ان (razza) بالايطالية ومثلها (race) بالفرنسية والانكليزية تعنيان السلالة المنحدرة من اصل واحد ، وانها تعنى بالانكليزية علاوة على ذلك : الجذر ، يضاف الى هذا ان الفرنسية ايضا صاغت منها (racine) بمعنى الجذر . ووردت الكلمة كلتا فى هاتين اللغتين بصورة (radix) السنخ اللغوى للكلمة ، والجذر ، والمنبع ... وهى بنصها من اللاتينية .

وينطق (الرس) فى الفارسية (سر — sar) راس اما فى الانكليزية فهو (sir) : سيد ، او سيدى . وهو كذلك من القاب النبلاء عندهم . واستعمال الراس هنا بمعنى السيد مألوف لدى العرب ، فراس القوم وراس القبيلة : سيدهم ورئيسهم . ومن (الرئيس) صيغ (ازير) القوم : عميدهم ، اما (الرواز) — كالغاز — فرئيس البنائين ، والارجح انه كان يعنى الرئيس بوجه عام ثم تخصص بالبنائين .. ويظن المعجميون ان اثله (الرائز) وما دروا انه (الراس) وبالمناسبة نذكر فى الفارسية (راز) : سر .

ومن هذا فى اللاتينية (erus) : رئيس ، وسيد .. ومثلها تماما (herus) وتهمنا هذه الصيغة الاخيرة لانها الاثل المباشر لكلمة (heros) بطل، الذىنجدهبنفس الصيغة فى الفرنسية وبصيغة (hèro) فى الانكليزية. على ان الكلمة موجودة فى الاغريقية ايضا بصورة (eros) اى اقرب الى الصيغة اللاتينية الاولى ومن ثم اقرب الى (الراس) العربية . وقد ارتقت الكلمة فى هاتين اللغتين القديمتين الى حد انها صارت تطلق ايضا على اشباه الآلهة والمؤلهين من الابطال .

ويقابل (sir) بالعربية (السرى) — زنة الطرى . وهى تنطق باللغة البابشورية * (شرو —

---

* كنا ذكرنا فى بحث سابق اننا نصطلح بهذه الصيغة على اللغة « البابلية » (الاشورية) اختزالا. اما الانكليزية فنقترح لها صيغة : « Babissyrian)

sharru) بمعنى الشريف او السيد ايضا ومنه اسم (**شروكين** ـــ sharrukin (اى الملك (= كين) الجليل (= شرو) ، وهـــو الملك الآشورى الشهير الذى تحرف اسمه الى (**سرجون**) .

و (شرو) هذه قريبة من (**شرف**) ـــ بضم الراء ـــ اى ارتفع مادة او معنى ، ومـــن ذلك (**مشـــارف**) الارض : اعاليها ، ثم صارت (مشارف) المدينة تعنى المرتفعات تبدو المدينة منها للمسافـــر ، و (**مشارف الشام**) : كانت تطلق على « قرى من ارض العرب تدنو من الريف ، منها السيوف **المشرفية** » . ومن التحام هذه المادة بماده (السرو) صار (**السرف**) هو الشرف وزنا ومعنى .

و (**السراوة**) كذلك تعنى الارتفـــاع المـــادى او المعنوى ، ومن صيغها شجر (**السرو**) ، بذا سمـــى لارتفاعه . ومن هنا ظهرت (**السورة**) ـــ كالصورة : ما طال من البناء او المجد ، و (**السورة**) ـــ كالثورة من المجد : ارتفاعه واثره . وطريف ان نجد الصيغة المضمومة فى الفرنسية بشكل (sur) : على ، فوق . وهى فى الانكليزية والفرنسية عدا ذلك راسنة ✻ بهذا المعنى او نحوه فى مثل (surface) : سطح ، ويؤثلونها من اللاتينية هكذا : (super : فـــــوق - facies وجه) . وكنا فى مناسبة اخرى قد اثلنا هذه الاخيرة من (الوجه) العربية (فى فصـــل « العنف فى تسميـــة الاعضاء » ـــ العدد العاشر) .

امـــــــا (super) تلك فاثلها فى اللاتينية نفسهـــا (supra)بمعناها ، وواضح ان اثل هـــذه الاخرى فى العربية هو (السورة) ـــ بالفتح ـــ التى مرت بنـــا توا . وتظهر super فى اللغات الاوربية الجديثة فى مثل (superman) الانسان الاعلى ، (وقد سبق ان اثلنا man : انسان ، رجل » ايضا فى العربية من الاسم الموصول « من : الذى » ويعنى كذلك : الشخص او المرء فى قولك « حررت بمن معجب لك » اى بشخص معجب لك ـــ كتابنا « مغامرات لغوية ») . ومنها ايضا الكلمة الموسيقية العالمية (soprano) وهـــى صيغـــة ايطـــاليـــة .

اذا ادعينا لك الآن ان (royal) متأثلة من **(الراس)** فان لك بل عليك ان تتردد كثيرا فى قبول ذلك ـــ لكننا نرجو اليك ان تسير معنا قليلا - حتى يسعك اطراح التردد عنك لتجزم برفض هذا المزعم او قبوله .

يظهر ان اطلاق (**الراس**) على كبير القوم وسيدهم الذى منه صيغ (**الرئيس**) و (**الرئاسة**) ـــ قـــديم عند العرب بدليل تسربه مع الهجرات الآرية القدمى وما بعدها الى لغات اخرى من بنات العربية . ففى الحبشية (**راس** ـــ rās) تعنـــى نفس الشىء اى رئيس القبيلة او المنطقة اى القيل ـــ بالفتح ـــ (وهو بالتعبير العربى كان يطلق على الملك او الرئيس عند حمير) . ومن ذلك (**راجا** ـــ rāja) ايضـــا كـــانت تطلق فى الهند على القيل اى الواحد من ملوك الطوائف فيها قبل عهد الاستقلال الذى الغيت فيه الراجوية . ومثلها تماما باللاتينية (rex) : القيل ، وتنطق كذلك (regis) وكأنها متأثلة مباشرة من (رئيس) . على ان ظهور الكاف فى (الراس) قد كان فى المعربة قبـــل تسرب الكلمة مع المهاجرين الآريين ، ونعنى صيغـــة (**الركس**) ، الا ان معناها تخصص فى العربية بجعل (راس) الشىء الى اسفل منذ قالوا (ركست) الشىء ، ومنها (اركسته) : قلبته على راسه وجعلت اسفله اعلاه واوله آخره . ومن بقايا معنى الراس فى الصيغ الكافية نجد (**الكروس**) ـــ بتشديد الواو : العظيم الراس من الناس ، وعلى المجـــاز : الاســـد العظيم الهامة . وكما نطقوا همزة (الراس) كافا نطقوها عينا يوم قلبوها فصارت **العرش** (كالراس) **والعريـــش** (كالرئيس) من القوم : رئيسهم المدير لامرهم .

ومـــــن (res) او (regis) يظهـــر معنـــى الملك فى صيغة (ريه ـــ re) بالايطالية و (روا ـــ roi) بالفرنسية ، ومؤنثه الملكة (regina) فى كـــل مـــن اللاتينية والايطالية و (reine فى الفرنسيـــة . وامـــا الملكـــى وهـــو (reguis) **فى الاولـــى** ، و (reale) فى الثانية وفى الاسبانية ، و (royal) فى الثالثـــة وفى الانكليزية . ولعل القارىء قد لحظ ان (reale) هى اثل (**الريال**) الذى يطلق على الدرهـــم المحلى فى بعض انحاء المعربة اى السعودية وبعض مشيخات الخليج. وكان بعض الكتاب يترجمون (الدولار) الى (ريـــال) كأنما خالوا ان هذا اقرب من ذاك الى لغة الضاد .

✻ تستعمل الراسنة من الرسن بمعنى الكلمة التى تسبق كلمة اخرى لتغيير معناها ، مقابل : prefix

نعود الى قصة (الراس) . فهو ينطق بالسريانية (ريش) ! وصار (**الريش**) يعنى بالعربية شعر الراس اول الامر ثم صار يعنى عموم الشعر ، ثم صار من الطائر بمثابة الشعر من سائر الحيوان - بدليل ان الريش ينطق بالعربية كذلك (**الراش**) !

ومنه اشتقت صيغة (**الشعر**) ايضا ، فيما نعتقد . ذلك بأن (**الريش**) - بفتحتين : كثرة الشعر فى الوجه والاذنين . فمن هنا صارت (**ريش**) - بالكسر - تعنى (شعر) الوجه اى اللحية فى الفارسية . وفيها ايضا يسمى الابد (**شير**) ، ربما بسبب شعر لحيته الجليلة ، بل شعر لبدته بقضها وقضيضها .

ومن تزايد ريش الفراخ كلما نمت وقويت ، قالوا على الاستعارة : (**ارتاش**) الرجل : اصاب خيرا وصلحت حاله فرئى عليه اثر ذلك . وصار (**الريش**) الذى هو كسوة الطائر وزينته يعنى كذلك : « اللباس الفاخر ، والاثاث ، والمال ، والخصب ، والمعاش » . والمثرى الذى يملك هذه النعم يدعى بالفرنسية (riche) وبالانكليزية (rich) وبالسكسونية (rice)

ومن (الشعر) صيغ (**الشعار**) : اللباس يلى الشعر من الجسد ، ثم صار يعنى الشمائل و (**الشعائر**) اى المناسك .. ثم الرمز يتنادون به للحرب ، ثم شعار الاسرة والدولة : علامتها . ثم اكتسب (الشعار) معناه المعروف على عهدنا الذى اكتظ حتى كاد يختنق بالشعارات . ولا يستغربن احد ان نقول ان (**الشعير**) ايضا من الشعر ، لان سنبلته يمتد منها شعر نباتى وشبيه بذلك اطلاق السبلة (بفتحتين) اى شعر الشارب ، على السنبلة نفسها .

ومن ذلك : (**الشعور**) يظهر انه انبثق من (شعار) الحرب اى كلمة السر كما يسمى الآن حيث قيل (اشعر) القوم : جعلوا لانفسهم شعارا او نادوا بشعارهم . ومن هذا قيل (اشعرته) بالامر : اخبرته . وصار قولك بعد هذا : « شعرت بالامر » يعنى : علمته او احسست به ، واصله : انبئت به . ومن هنا صار (**الشعور**) يعنى الاحساس وصار (**الشعر**) - بالكسر - يعنى هذا الكلام الذى ليس موزونا ولا مقفى ولا ممعنى ، عند بعض المتجردين . ذلك بأن (**الشاعر**) كان قديما يفصح به - موزونا ومقفى وممعنى عن شعوره كالذى سجله حسان بقوله :

ما الشعر الا شعور المرء يعرضه
على الخلائق ، ان كيسا وان حمقا

وورد الشعر فى اللغات السامية القديمة بصيغ متقاربة منها (**شير**) وكان يعنى الغناء غالبا ، لان الشعر مادة الغناء ، ومن ذلك (**هشرى هشريم**) : نشيد الانشيد .

ومن (الراس) تكون الارتعاش والارتعاد والصرع . فكيف كان ذلك ؟

من (الراس) قالوا (**الرعوس**) - كالرؤوف : من يرجف (رأسه) نعاسا او نشاطا ، ومن ذلك سمى المرتجف المضطرب فى سيره (**الرعيس**) . ومن هنا جاء (**الرعش**) و (**الارتعاش**) و « **الارتعاد** » الارتجاف . ثم قيل (**رعصت**) الشىء و (**ارعصته**) : حركته وهززته ، و(**ترعص**) الشىء : تلوى واهتز ومنه بالدارجة العراقية (**الرعيصة**) - زنة الجميزة الترعص والصرع . وواضح ان مرض (**الصرع**) هذا قد نشأ فى الفصحى من الرعص مبنى ومن هذه الصيغة العراقية معنى . ومن هذا القبيل (**المروض**) : المحرك راسه وجسده بلا عمد ، ومن به خبل من اهل الارض والجن ! ونكرهم الارض هنا يوحى بأنهم توهموا ان اثل (المروض) هو الارض ، لكننا نرى انه من الراس او الرعص ، بقلب وابدال .

وحين نطقوا همزة (الارس) كافا ظهر (**الكرس**) - بالكسر : الاصل ، ومنه بالموصلية (**الكرز** - giriz) : الجذر . وكما نشأ (السر) من الرس نشأ معنى الاختفاء من هذا (الكرز) الجذر حيث قيل فى الفصحى (**كرز**) - بفتحتين : استخفى ، اى مثل (استتر) ، و (**كارز**) الى المكان : اختبأ فيه . وبالعراقية (**كرص**) الشخص : خنس او سكنت حركته ونأمته .

ومن (الكرس) بمعنى الاصل قالوا (**كرس**) البناء تكريسا : اسسه . عندئذ نشأ (**الكرسى**) : ما يقعد عليه ، ثم السرير . ثم (**كرست**) الشىء لكذا باستعمال المحدثين : خصصته . وهو استعمال نحسبه نصرانيا نشأ من (تكريس) البيعة والامتعة الكنسية لخدمة الله . ويظهر ان التكريس الخاص بالبيعة اصل معناه تخصيصها بكرسى الرئاسة الدينية فى المنطقة . ولعله من هذا نشأ فى التعبير النصرانى ايضا (**كرز كرزا**)

ـــ من باب ضرب : وعظ ونادى ببشارة الانجيل ، اى من معنى كرسى الوعظ هذه المرة .

وللعـــرش حكاية اخـــرى ، ظهرت يوم قالـــوا (**عرشت**) البيت : بنيته ، والكرم : رفعت دواليه على الخشب ، ثم عرشت بالمكان : اقمت ، واثلها عرست. ومن ثم صار (**العرش**) كالكرسى يعنى السرير ، ثم سرير الملك خاصة .

من (الرس) و (الارس) ايضا نشأ قولهم **(ارصى)** بالمكان : لزمه ، و (**ارسى**) الشيء : ثبت و **(رسخ)** فهو (راس) و (راسخ) . و **(الرواسي)** و **(الراسيات)**: الجبال . و (ارسيت) الشيء : اثبته ، ومنه (ارساء) السفينة : ايقافها بطرح الامجـــر (= **المرساة**) فى قعـــر المـــاء .

ومن هذه الثلة اى الرسو والرسوب والرســـوخ ينبعث فى الانكليزية فعـــل (rest) : يستـــريـــح ، يهجع ، وهى من السكسونية . ونفس الكلمة بمعنـــى البقاء والمكوث يؤثلونها من الفرنسية . لكننا نرى انهما كلمة واحدة تخصصت فى السكسونية بمعنى الاستراحة وفى الفرنسية بمعنى المكوث ، وقد اخذتها الانكليزية عن اللغتين بمعنييها باعتبارها كلمتين . لكنهم يوثلون (rest) الفرنسية من كلمتين باللاتينية همـــا Re مـــــرة اخـــرى stare :وقوف) . على اننا نؤثـــل (stare) هـــذه ايضا مـــن (الاس) فـــن المعلـــوم ان صلب الكلمـــة اللاتينيـــة هـــو (sta) والبـــاقـــى عـــلامـــة المصـــدريـــــة . وعلى هـــذا ينبـــىء معنـــاهـــا ان اثلهـــا العـــربـــى المبـــاشـــر هـــو (الاست) : الاس والاصل . وهو فى الفارسية **(ايست)**: وقوف ، ومنه (**ايستـــاه** ـــ îstagah محطـــة ، و (**استـــوار** ـــ ostuvar) : ثابت او راســـخ ، و و (**استان** ـــ ostan) : مكان او موطن، و (**استون** ـــ ostûn) : عمود ، ومنه اقتبست العربية (الاسطوانية)، و (**استاذ** ـــ ostad) : المعلم ورئيس الصنـــاع ، واصل المعنى العميد ، ومنه (**الاستاذ**) بالعـــربيـــة الفصحى و (**الاسطه**) بالدارجات .. الخ .

ومـــــن Rest الفـــــرنسيـــــة صـــاغـــوا (restaurant) : مطعم ، ثم استعيرت بمعناها فى الانكليزية . ونخال ان اصل معنى (restaurant) هو الفندق والنزل من معنى الاستراحة والمكث ، لكنه صار يعنى المطعم لان بعض المسافرين يغشونه لتناول الطعام واستئناف السفر دون مبيت فيه . وعكس هذا نشاهده فى اطلاق (اللوكندة) بالمصرية على الفنـــدق وهى بالتركية تعنى المطعم بصيغـــة : (lokanta) وكانوا يكتبونها قبل الغاء الحروف العربية (لوقنطة).

اما حكاية (**الانفجار السكانى**) فقد بدات يوم قلبوا فعل (رسا يرسو) فنطقـــوه (**سرا يسرو**) . فمنـــه (**سرت**) الجرادة : باضت ، ذلك بأنها تغرز ذنبهـــا فى الارض قبل ان تبيض ، فكأنما قـــالوا (ارست) ، ومنه (**سرات**) ـــ بالتخفيف او التشديد ـــ الجرادة او السمكة او الضبة : باضت . ولغزارة بيض السمكة على الاخص قالوا على المجـــاز والتهكم : (سرات) المراه : كثر اولادها ! فهذا هو ما يسمونه باصطلاح عصرنا : « **الانفجار السكانى** » .. ويمكنهم بكل اطمئنان لغوى ان يصطلحوا على تسمية تفجعا وسخرية معا : (**التسرئـــة**) !

ثم نأتى الى (**الزراعة**) .. التى دشنتهـــا الجرادة بأن (رزت) بتشديد الراء : ادخلت ذنبها فى الارض وباضت . ومثلها تماما (**غرزت**) . ومن هـــذا الـــرز الجرادى صيغت (الرزة) ـــ زنة الرجـــة : حديـــدة كالوتد تدق فى الارض او الجدار لربط الدابة ، تشبيها بذنب تلك الجرادة . ومنه (غرزك) العود فى الارض : ادخالك اياه فيها واثباته . ومن الغرز نشأ (**الغرس**) وهو خاص بالنبات ، فى مثل (غـــرس) الشجـــر .

وانقلب (الرز) فنشأ (**الزر**) ومنه (زره) بالرمح: طعنه ، ومجازا (**الزرة**) ـــ كالذرة : العضة ـــ ومما يدل على علاقة هذه الكلمة بالرسو قـــولهم (**زرزر**) الرجل بالمكان : ثبت .

فمن هذا (الزر) بمعنى الغرز والغرس فيما يظهر نبت (**الزرع**) . وهنا تجابهنا فى اللاتينية (sero) زرع ، بـــذر .

وبقلب الكلمة نشأ (الزعر)ومنه (**الزعـــراء**) كالروزاء : ضرب من الخوخ . و (**الزعرور**) شجر ثمره كالنبق حجما ولونا وطعمه مز ، او هكذا هو بالعراقية وقد كان الزعرور يسمى بالشومريةوالبابلية (**ارزلو** ـــ arzallu) ، وهو بالسريانية **(عزرارثا)** . اما باللاتينية فهـــو (azarlus) ، وبالانكليـــزيـــة (azarole)

وكما قالوا (غرز) العود فى الارض : اثبته ، قالوا (**ركز**) الرمح ونحوه : غرزه فى الارض واثبته . ومن المحتمل ان يكون هذا (الركز) او ذلك (الكرس) الذى تقدم الكلام عليه هو منشأ (**الكرز**) — بفتحتين : شجر ثمره يشبه الاجاص لونا لكنه اصغر حجما ، ويسمى **بالمعربيه** (حب الملوك) لانه كان اول دخوله المغرب نادرا وباهظ الثمن على ما يبدو ، لا تحظى به الا موائد الكبراء والملوك . لكنه اليوم موفور ميسور .

وشجر (الكرز) فى شمال العراق برى يسمى بالموصلية (**الكراز**) . واسمه بالتركية (**كراز** — kiraz) وبالفارسية (**كيلاس** — gîlas) . وهو بالفرنسية (**cerise**) وبالانكليزية (cherry) وكان الاغريق (العرب ؟) يدعونه kerasos واللاتين (cerasus) . ومن الطريف ان هذا الاسم اللاتينى اطلقوه على بلدة فى (بونتى — Ponty) كان يأتيهم منها الكرز . ولولا معرفتنا بحسب الكلمة ونسبها بالعربية لظن بعضهم ان اسم الكرز فى اللغات الاوربية وغيرها قد انحدر من اسم تلك البلدة ، بدل العكس .

ونأتى الى (**العرس**) الذى بدا متواضعا من التراب وانتهى الى سرير الزفاف . عند ما نطق العرب همزة (الارس) عينا صار قولهم (**اعرس**) القوم و (عرسوا) — بالتشديد — يعنى : نزلوا من السفر للاستراحة ثم يرتحلون ، وكأنهم قالوا : ارضوا تأريضا بمعنى نزلوا الى الارض . و (**ابن عرس**) : دويبه كالقط مستطيلة الجسم ، ولعلهم قصدوا انه (ابن الارض) لانه يعيش فى اوجرة له فى الارض او لان لونه بلون الارض . و (**العريس**) — كالسكير — و (**العريسة**) — كالسكيره : مأوى الاسد . ولا ندرى بالضبط كيف صار (**العرس**) — بالكسر — يعنى رجل المراة ومراة الرجل . و (**العوس**) يطلق على كل من الزوجين ما داما فى عرسهما . لكن المحدثين صاروا يطلقون (**العروس**) على الانثى و (**العريس**) على زوجها ، دفعا لالتباس الصيغ . ومن المحتمل ان تكرار نزول (العروسين) اثناء السفر — لافتراش الارض — ثم التحاقهما بالركب . هو الذى جعلهم يشتقون من التعريس ، اى التأريض ، صيغة (العروسين) للزوجين المقترنين حديثا ، ثم (العرس) للزوج **والزوجة بوجه عام ... بدليل قولهم** (اعرس) الرجل **باهله غشيها** .. وبدليل ان العروس والعريس ما زالا فى الدارجات العربية يعنيان الزوجين **يوم الزفاف** وما بعده من ايام عسلية قليلة ، ثم تزول عنهما صفة العرس وتبقى صبغة الزواج .

ومن (العرس) او نحوها نشأ (**العرص**) فقالوا (**تعرص**) : اقام ، و (**العرصة**) — **بالفتح** : كل بقعة من الارض ليس بها بناء ، ثم باحة الدار . بيد ان (العرص) — بالفتح — و (الاعراص) — بالكسر — بمعنى الاضطراب ، اثلها (الرعص) و (الصرع) .

وعند ما حشوا (الاس) بالراء فصار (الارس) — بالكسر : **الاصل الطيب** .. كالذى سبق ذكره نشأ منه (**الارث**) و (**الورث**) : ما يخلفه الميت لورثته ، باعتباره اصل ثروة ذوى الطراف والتلاد . ونجد فعل (ورث) فى الفرنسية بصورة (herite) ، اما فى **الانكليزية فهو** (inherit) . ودخول الكلمة فى الآريات يرجع الى الهجرات العربية الاولى لاننا نجدها فى **الاغريقية** (yier) : وارث ، وهى فى اللاتينية (haeres) . وهاتان الكلمتان كالكثير من مثيلاتهما تدلان على ان الاغريقية ليست اثل اللاتينية دائما ، وانما هما لغتان متشابهتان منشعبتان من اصل واحد هو فى مفهومنا : العربية ، مثل تشابه الساميات لانشعابها من نفس ذلك الاصل الواحد ، ولئن كان شبه الآريات بذلك الاصل ابعد من شبه الساميات به فلان انسلاخ الآريات كان اقدم عهدا ولانها طرأت عليها من الهجرات المتوالية فى مختلف الاقاليم شرقا وغربا وتعرضت من التقلبات التطورية لما لم تتعرض له اللغات السامية التى استقرت كلها فى منطقة الشرق الاوسط ، قريبة من اللغة الام ، وشديدة الاحتكاك بعضها ببعض ، وقليلة الاختلاط نسبيا بلغات غريبة .

من (الارس) كذلك نشأت (**الارض**) باعتبارها الاساس والاصل ، للنبات على الاخص . ونرى ان (**الارث**) ايضا كان يعنى الارض اول الامر . الا تصدق ؟ انه ما زال يعنى ذلك بالانكليزية : (ارث — earth) : ارض !

وكما صار (الارث) يعنى تركة الميت صارت (**الاثرة**) — بالضم : المكرمة المتوارثة ، ومثلها (**المأثرة**) وقريب منها (**التراث**) .

ومن (الارث) نشأ (**الاثر**) بقيــة الشيء . ثــم صار يدل على المخلفات بوجه عام حتى صرنا نقــول مثلا (**آثار الاديب**) ، الذى ما زال حيا ، يرزق او لا يرزق الا قليلا : مصنفاته .

ومن هذا الباب ايضا (**الثــرى**) وهــو : الارض والتراب الندى ... ومنه صيغ (**التراب**) الذى يسجل له (مجد الدين واللغة) عشرة اوجه منهــا : التيراب والتوراب والتورب (وكلهن بفتح التــاء) والتــريب (بفتح التاء والياء) . ولا نعلم هل نشــأت (terra) الارض والتراب باللاتينية ، من (الثــرى) ام مــن (التريب) ـــ زنة زينب ـــ أم انها نطقت كذلك قبــل مغادرتها المعربة . وهى ما زالت بالايطاليــة تعنــى التراب والارض ، وتنطق بالفرنسية (terre) ، ومنها (territory) بالانكليــزيـــة و (territoire) بالفرنسية ، الذى صاروا يعربونه : (التراب الوطنى) والذى نقترح تسميته (**الثرى**) ، والنسبــة اليــه : (**الثروى**) ـــ زنة البدوى ـــ بدلا من (التراب الوطنى) الذى لا تمكن النسبة اليه ، فضلا عن انه مطول يتألف من كلمتين ... فبدلا من القــول (التــراب الوطنــى الفلسطينى) نقول (الثرى الفلسطينى) ـــ كالذى كنا تطرقنا اليه غير مرتين ، ونعيده هنــا توكيدا وتذكيرا واطلاعا لمن لم يكن اطلع .

اما (**الثور**) و (مآثــره) الجلى عنــد الاغريــق والرومان فقد بدأ متواضعا كذلك من (الثرى الــذى منه نشأ فعل (**ثار**) ، والمصدر (**الثورة**) و (**ثئور**): الهيجان والوثب ، واصل المعنى هيجان التراب وارتفاع العجاج . ثم اطلق (**الثور**) على فحل البقر لانه يثــور او لانه يثير الثرى عند ثورته ، و (**الثورة**) : انثــاه

وهذا ايضا تسرب الى الآريات بصيغة (tauros) فى الاغريقيــة و (taurus) فى اللاتينية ، وفى كلتيهما يعنى الثور والجبل الذى صار العــرب يسمونــه (**طوروس**) كالذى كنا ذكرناه فى عدد سابق فى اللسان العربى .. كما ذكرنا طرفا من شائق اخبــار الثــور والثورة وذريتهما العجيبة من الآلهة والنجوم والاصنام (بعنوان « عشتار » ـــ العدد : 9) .

وتجىء (الثورة) ـــ انثى الثور ـــ فى هاتين اللغتين الآريتين القديمتين بنصها العربى : (taura) : البقرة العقيم . اما نطقها بالتاء بدل الثاء فمعلوم انه عادة نطقية عربية ما زالت قائمة فى بعض الدارجات . لكن الذى يستحق الملاحظة ان الثور والثورة ينطقان فــى هاتين اللغتين الآريتين الاوربيتين بفتح اولهما كما فى فصحانا ، اى اصح من نطقنا نحن العرب بها فى عامة دارجاتنا ، بضمة ممالة .

ويبدو انه من اسم (الثور) فى هاتين اللغتين نشأ (tauropolos) : الاســم الاول لارتميــس (Artemis)

ويرد من اسم (الثور) فى اللاتينية :

Tauri : قوم مــن سلالة السيثيــين (scythian)

Taurini : الثورى ، اى المنسوب الى الثور ، ويطلق كذلك على شعب من السلالة الليغورية (Ligurian)

Taurois : حــصــن فــى (Gallia Norboùnensis)

Taurménium : بلدة على الساحــل الشرقى مــن جزيرة صقليــة ، وتــدعــى اليــوم (Taurmina) وقد كنت سمعــت بجمال مناظرهــا فعرجت عليهــا بالقطار ، قبل عبور مضيق مسينيــة فى طريقــى الى نابولى ، ووجدتها كما سمعت عنها واجمل .

ومن اسم (الثور) فى اللغات الحديثة ولا سيما بنات اللاتينية بقــى بالاضافــة الى ما تقــدم : (toro) فى الايطالية والاسبانية مثلا . ومن ذلك اسم (Torino) الثوير اى الثور الصغير ، وهو اسم المدينة الأيطالية المعروفة ، مركز معامل فيات . وربما كان منه اسم بلدة (Toranto) الايطالية كذلك . وهذا ، مع بعض الاسماء المقدسة اللاتينية المشتقة من اســم اللات Latu ـــ بالبابشورية) (من قبيل اسم Lato زوجــــة جــوبيتــر ، و (Latium) : اسم المنطقة التى انشئت فيها روما) ـــ يدل على ان للاعربين شأنا كبيرا ما يزال مجهولا فى بناء ايطالية وغيرها من ربوع البحر المتوسط الشمالية سبق عهد الكنعانيين (الفنيقيين) .

من معنى الارض ولزوم المكان قالوا (**ارز**) الرجل الى وطنه : حيثما ذهب يرجع اليه ، وكأنهم قالوا انه قد ارض ... و (ارزت) الحية : لاذت بجحرها ورجعت اليه . وشجرة (آرزة): ثابتة ، وكأنها آرضة . ومن هنا صيغ اسم شجر (**الارز**) المعــروف بضخامتــه وصلابته وتعميره ، واشهر انواعه اللبنانى .

وهنا يذكرنا بنفسه (**الرز**) : الحب الابيض المعروف الذى يطبخ . وقد جاء اسمه على ما يظهر من كـون نبتاته تغرز فى الارض المغمورة بالماء . وقد عـرف فى العربية بهذه الاسماء : ارز (aruzz) ، وارز (aruzz) وارز (urz) ،ورز (uruz) ، ورز (uruzz) ورنـز (runz) ، وآرز (âruz) ،وارز (aruz) ومـا كانت بنا حاجة التى آستعراض كل هذا الجيش مـن الصيغ لولا اننا نريد الرد بها على القائلين ان هـذا النبات لم يعرفه العرب وانما منشؤه اواسط آسيـا دخل البلاد العربية حديثا نسبيا .. على حين ان جميع هذه الالفاظ جاهلى . وتعدد الصيغ يدل على ان (الرز) كان معروفا فى اماكن كثيرة من المعربة لدى قبائل كثيرة نطقها كل منها بطريقته . ولولا هذا التعدد فى الاماكن والبطون لما كان له هذا التعدد فى الاسماء .

ويذكر الاب روفائيل نخلة (فى : غـرائب اللغـة العربية) ان (الرز) مـن الاغريقيـة (arizo) * وان هذه من الصينية لكن هذا يعنى فى مفهومنـا ــ واستنادا الى التأثيل الذى راينـا ــ ان اثل الكلمـة الاغريقية هو هذا الاسم العربى المتنوع ولا سيما ان العرب هم الذين نقلوا الرز الى الاغريق ، لا العكس... اما منذ كان الاغريقى عربيا واما بعـد ان تأغرقـوا وانسلخوا عن العروبة كغيرهم من الآريين والحاميين والساميين .

ولا نحب الانجرار الى البحث عنمنشأ زراعة الرز هل هو اواسط آسيا ام غربها عند العرب ــ وخصوصا فى عهود خصوبة المعربة ــ لكن الذى نستطيع مناقشته بغير قليل من الثقة هو منشأ اسمـــــه .

وتلفت نظرنا الصيغة النونية تعنى (الرنز) فالظاهر انها هى التى سارت مشرقة حيث ظهرت فى الفارسية القديمة بشكل (virinzi) ومنها نجحت فى الفارسية الحديثة صيغة (**برنج** ــ birinj) . ومعلـــوم ان الحـــرف فى الفارسية الاولى يقابـل الـواو فى العربية ، كما تقابله الباء فى الثانية . والواو ايضا من العربية فقد نشأت من : ارث وارخ وارض وارق .. صيغ : ورث وورخ وورض وورق ...

* الصواب :

اما فى التاملية الهندية فيظهر الرز بدون نون اى : (arizi)

وقد ورد الـرز فى اللاتينيـة بصورة (loryza) ونجده فى اللغات الاوربية الحديثة بصيـغ مختلفـة متقـاربـة ، منهـا بالايطاليـة (ريــزو ــ rizo) وبالفرنسية (رى ــ riz) وبالانكليزيـة (رايس ــ rice)

وتقترن بهذه المادة بعض التسميات الجغرافية مثل (**ارزنان**) : بلد بأصفهان ، و (**ارزنجان**) : بلـد بالروم ، و (**ارزن** ــ Arzan) : بلدة بأرمينية تعرف بأرزن الروم . وقد تكون هذه التسميات من (الارز) وقد تكون من (الارض) وهو ما نرجحه . وعسى ان يتمهل القارىء الكريم قبل ان يتهمنا بالتمحل والغلـو فى الاستنباط ، فان (**ارزروم**) مثلا كما ينطقها العالمون ما هى (**ارضروم**) فى الخرائط التركيـة القديمـة ، اى (**ارض الروم**) كما نطقها العرب الاوائل الذيـن اطلقوا هذا الاسم عليها . فكذلك الصيـغ السالفـة الاخرى ربما كانت عربية اثلا .. واصلا ،ولنتماد قليلا اذن لنقول ان اسم (**اذربيجان**) ايضا ، الذى ينطقه اهله وسواهم (ازربايجان) ــ ربما كان من هـذه الفصيلـة .

اما (**الارض**) فهى من اهم بنـات هـذه الاسرة اللغوية . قلنا ان (الارس) الذى تقدم ذكره نطقـوه بالثاء (الارث) وبالضاد (الارض) ، وما زالت الاولى (ارث ــ earth) تعنى بالانكليزية الارض والتراب . واما (**الارض**) فمن اخبارها انها تظهر فى الجرمانيـة بصـورة (erd) بمعناها ، وبالفارسية بصورة (آرد ــ ârd) : طحين . ولا عجب فى انتقال معنى الارض الى الطحين الذى كثيرا ما يدعى الغبـار او التـراب فى مختلف اللغات ومنها مثلا (الغبرة) تطلق بالمغربية على انواع الدقيق والمساحيق منها (الحليب الغبرة): المجفف .

و (erd) الجرمانية تسحبنا الى اسم (الـورد) الاسد ، فلم يسموه بهذا لانه (وردى) اللون بل لانه (ارضى) اللون يوم كانت الارض تسمى بالعربيـة

(اردا) ايضا بشهادة الالمانية . واما (الورد) الزهر فمن معنى الروض وازدهاره بالالوان ، وربما كان اثله اللفظى (الورس) . وبه سمى (الفرس الورد) : الاحمر اللون الى صفرة . ونذكر بالمناسبة ان (الورد) الزهر ينطق بالارمنية بلفظه العربى تقريبا : (vart)

ونذكرنا هذه الصيغة الالمانية (erd) كذلك بأسماء جغرافية لعلها من هذا الاثل ، اورد القاموس منها (ارد — Ard) : قرية بيوسنج ، و (ارد — urd) قرية بفارس ، و (اردستان — urdstan) : بلدة قرب اصفهان . ونضيف الى هذه المجموعة (اردبيل — Ardabil) : بلدة فى شمال ايران . ولعل من هذا الباب ايضا اسم (اردشير) : من ملوك المجوس على تعبير الفيروزابادى — اى الفرس قبل الاسلام .

من معنى الاقامة قالوا (تارض) بالمكان : اقام ، ومن معنى العرق قالوا فسيل (مستارض) : له عرق فى الارض . و (الارضة) — كالحركة : دويبة يترك دبيبها تحت قشرة الارض ما يشبه الشرايين النافرة فى ظاهر الكف . وقد التقطت عين ابن الرومى هذا التشبيه حين هجا مغنية بقوله :

تضغط الصوت الذى تشدو به
غصة فى حلقها معترضة
فاذا غنت بدا فى جيدها
كل عرق مثل بيت الارضه !

وهو هجو فنى بارع تستحقه الكثيرات من مطربات اليوم . واعنى الغصة المعترضة فما تهمنى فى هذا المقام ببيوت الارضة التى تختفى عن ناظرى حين اسمع المغنية المذكورة ومثيلاتها فى المذياع او المشواف .

ومن معانى النبات قالوا (ارض اريضة) : زكية ، و (ارض يأرض) المكان : كثر عشبه وازدهى وحسن فى العين فهو (اريض) . وكان هذا تمهيدا لاشتقاق (الروض) و (الروضة) بمعنى : الارض المخضرة بأنواع النبات . ثم قالوا (اروض) المكان : اكتسى بالنبات وكثرت فيه (الرياض)ومن هنا جاء اسم الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية ، وهو كذلك اسم موضع بين مهرة وحضر موت ، و (رياض الروضة) : موضع بحضر موت ، و (رياض القطا) : موضع آخر .

ونجد فى اللاتينية والاغريقية من مادة (الروض) اسم (Rhoda) : بلدة فى اسبانيا تدعى اليوم (Rosas) . وابدال الدال سينا هنا يؤيد تأثيلهم (rosa) اللاتينية من (rhodon) الاغريقية التى سبق ان اثلناها فى مطلع هذا الحديث من (الروض) ايضا .

وقد وردت لبعض الفاظ هذه القبيلة الغفيرة معان مائية مثل (المراض) : مكان صلب فى اسفل السهل يمسك الماء ، و (الروضة) تعنى بالاضافة الى معناها المعروف : بقية الماء فى الحوض . و (راض) المطر الارض : صيرها كالروض . و (الترعة) التى اثلها التربة او الثرى او غيرهما تعنى : (الروضة) ، ومسيل الماء الى (الروضة) والنهر المصنوع بين نهرين اوبحرين ونجد من (الروضة) بمعناها المائى فى الاغريقية (Rodanos) وفى اللاتينية (Rhodanus) : نهر فى الغال (Gaul) وهو المسمى الآن (الرون — Rhone) . كذلك نجد فى اللاتينية (Rhodius) و (Rhodos) وهما من الاغريقية (Rodos) الجزيرة المعروفة فى البحر المتوسط قرب الشاطىء التركى .

ومن هذه المعانى المائية وامثالها نشأ (الورد) — بالكسر — و (الورود) . و (المورد) : موضع الورود، او الطريق الى الماء .. وذلك من قولهم (وردت) الدابة الماء : خلاف صدرت عنه . وانما قالوا (صدرت) الدابة عن الماء لان الواقف على اليابسة يرى عندئذ صدرها . فأما حين تنزل الى الماء فهو يرى الجزء الخلفى من جسمها ، ومن ثم تخصصت صيغة (دبرت) الدابة — التى نشأت من (وردت) — بمعنى اولته (دبرها) الذى صار يعنى مؤخرتها ، ومن هنا قيل امس (الدابر) : المنصرم . ثم صار (الدبر) من كل شىء : عقبه وآخره . وعندئذ نشأ (التدبر) و (التدبير) من قولهم : تدبر الامر : نظر فى ادباره اى عواقبه وتفكر فيه

ولننتقل الآن الى (موريطانية) . لما كان (مورد الدواب موحلا لخروجها مبللة يتقاطر الماء من اجسامها نشأ معنى الوحل فى مادة (ورط) حيث قالوا (تورطت) الماشية : وقعت فى موحل . وصارت (الورطة) تعنى الوحل ، والردغة (وهى الطين والوحل الشديد) تقع فيها الغنم فلا تتخلص ، والارض المطمئنة لا طريق فيها ، والبئر ، والهوة الغامضة ، والهلكة ، وكل

ما تعسر النجاة منه . ومما يؤيدنا فى ان الاثل هو مورد الماء قول المعجم ان (الموردة) : مأتاة الماء ، والطريق اليه ، والهلكة . فهذه الهلكة هى القاسم المشترك بين الورطة والمورطة . ويغلب على ظننا انه كان فى العربية صيغة (المورطة) كالموردة ولو انها لا توجد فى المعجم لاندثارها . وقد يبدو ان (المورطة) المفترضة هى اثل اسم (**موريطانية**) التى كانت قديما تطلق على المغرب الاقصى والتى نطقها اللاتين (Mauritania) لكن بما انها وردت فى الاغريقية بشكل (Maurousia) فيحتمل ان التسمية نجمت عن الورد (الزهر) او الورس ، من قول العرب اورس المكان : صار ذا ورس ، واورس الشجر : اورق .. او من اثل (الروض) فى قولهم اروض المكان : اكتسى بالنبات وكثرت فيه الرياض . وهذا اشبه بسخاء الطبيعة وجمالها فى المغرب الاقصى . ثم انحدرت التسمية الى القطر الواقع جنوبى المغرب العربى فى الوقت الراهن . فان صح هذا التأثيل تكون صيغة (Mauritania) اللاتينية محورة من (Maurusia) اللاتينية ايضا وهى من (Maurousia) الاغريقية .. الا اذا كانت (موروسية) هذه تعنى قديما (الموردة) اى مأتاة الماء والطريق اليه ، باعتبار المغرب بالنسبة الى القادمين من الشرق آخر اليابسة التى تنتهى بالمحيط الاطلسى . ولا نستبعد هذا النوع من التسمية لان (اليمن) مثلا بذا سميت فيما نرجح من (اليم) اى الماء ايضا ، لانها منتهى البر بالنسبة الى ذوى رحلة الشتاء — الحجازيين .

وقد اطلق الاغريق (Mauros) على الموريطانى او بالاحرى على المغربى ، بل بالاحرى على قاطن الشمال الافريقى الذى نسميه اليوم (المغرب العربى الكبير) . وهو (Maurus) باللاتينية و (Maure) بالفرنسية و (Moor) بالانكليزية . ومنها النسبة اليه : (Mauresque) الذى يعنون به ايضا (Arabesque) اى الزخرف العربى او المغربى .

من هذه الذرية الصالحة نأتى الى (الارق) و (الارف) و (الارك) ...وكلها تنطق همزتها واوا ايضا من (**الـورف**) بالمعنى الارضى بقى قولهم (ورف) الارضى توريفا : قسمها تقسيما ، و (ورف) — كوعد — النبات : نضر واهتز واشتدت خضرته فهو (**وارف**)

اما (**الارق**) بمعنى الارض فقد اندثر فى العربية وبقى فى السريانية (**ارقو** — Arqo) : ارض . وبقى فى العربية من معانيها الارضية (الرقو) و (الرقوة) — كالصحو والصحوة : ما استدار وارتفع من الرول . ومن معانيها النباتية : (اورق) الشجر : اورس ، اى ظهر ورقه ، و (الوراق) — كالوراء : خضرة الارض من الحشيش .

غير ان (**العراق**) حكايته اطول واكثر تعقيدا .

المعانى الاولية تعود الى الظهور فى (**العرق**) — كالحرص : الاصل . و (اعترق) الشجر و (اعرق) : امتدت عراقه ، اى عروقه . و (**العريق**) و (**الاعرق**) : ذو العرق والاصل . ومن هذا العريق او الاعرق نجد فى الاغريقية (Arcaios) بمعنى القديم او العريق ومنه صيغ (Archaeologp) علم الآثار *

ومن المعانى الارضية ان (العرق) يعنى كذلك : الارض الملح لا تنبت ، والجبل لا يرتقى لصعوبته ، والجبل الصغير (صند) ، والماء القليل .. ومنها (**عريق**) — بالتصغير : موضع بين البصرة والبحرين وثمة اسماء اماكن اخرى من هذه المادة فاطلبها عند سليل فيروزاباد .

و (**العراق**) من الدار : فناؤها ، ومن النهر : حاشيته من ادناه الى منتهاه ، او شاطىء البحر على طوله .. ويرى القاموس ان هذه البلاد العراقية سميت «بها لتواشج عراق النخل والشجر فيها ، او لانها على عراق دجلة والفرات اى شاطئهما ، او معربة (ايران شهر) ومعناه كثير النخل والشجر » . وهذا الراى الاخير اغرب بدوات الفيروز ابادى ، فلا « ايران شهر » تشبه اسم « العراق » لفظا ولا هى تعنى فى الفارسية « كثير النخل والشجر » ! .. لكن يجوز ان

* سبق ان قلنا فى حديث سابق ان الكاسعة « logy- » التى يلحقونها ببعض الاسماء بمعنى العلم اثلها من الاغريقية « logia » الكلام ، وهذه اثلها اثلها العربى « لغة » . كتابنا « مغامرات لغوية » .

تكون التسمية جاءت من عراق دجلة والفرات اى شطئانهما ، مثلما اطلقوا (الجزيرة) على شمال العراق لوقوعه بين هذين النهرين .

و (**العراقان**) : الكوفة والبصرة . واطلق المتاخرون الكلمة على (**عراق العرب**) اى عراقنا الرفدانى و (**عراق العجم**) اى المنطقة المسماة (عراق) فى ايران

نأتى الآن الى مادة (**ارك**) ، ولو ان حكاية (العراق) لم تنته بعد . فمن معنى الاصل بقى (الوركان) ــ بكسر الراء : ما يلى السنخ من الاصل ، و (**المروك**): الاصل . ومن معنى النبات (**الاراك**) وهو (العرق) ــ كالصدق : شجر من الحمض يستاك به . ومن معنى الارض والاقامة نجد ان (الاراك) كذلك : القطعة من الارض ، وجبل لهذيل ، و (اركت) بالمكان و (وركت) و (توركت) : اقمت . وهنا نشأت (**الاريكة**) : سرير فى حجلة ، او ما يتطأ عليه من سرير ومنصة وفراش ، نظنها اطلقت اول الامر على المنصة او الدكة او نحوها ثم ارتفع شأنها الى مقام السرر فى حجلة . او ما يتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش ، نظنها اطلقت اول الامر على المنصة او الدكة او نحوها ثم ارتفع شأنها الى مقام السرير فى حجلة وهى تعنى اليوم السرير المنجد الذى يتسع لجلوس شخصين فاكثر ، اى الكرسى الموسع.

ويلفت نظرنا بل يبعث دهشتنا اكثار العرب من استعمال هذه المادة فى صياغة الاسماء الجغرافية . من ذلك (**الاراك**) : جبل لهذيل كما تقدم ، و (**ذو ارك**) ــ بفتحتين : واد باليمامة ، و (**ارك** ــ Urk) وينطق (**ارك** ــ Uruk) ايضا : واد . اين ؟ لا ندرى . و (**اريك**) ــ Arik) : واد آخر ، الله يعلم اين يكون ــ و (**اريكتان**) ــ بالتصغير حسب ضبط الاصمعى : جبلان لابى بكر بن كلاب . ثم (**ارك**) ــ بفتحتين : قرية قرب تدمر ، وهذا يذكرنا باسم (**ارخ**) من نفس الوزن ــ الذى ورد فى العهد القديم بمعنى (**اروك** ــ Uruk) : المدينة الاثرية الشهيرة جنوبى العراق ، وهى التى سماها العرب (**الوركاء**) و (**الورفاء**) . ولا نستبعد ان يكون اسم (اروك) الاثرية نفسه مصوغا من العربية ولا سيما ان الصيغة نفسها وردت فى تسمية (وادى ارك) ــ بضمتين ــ الآنف ذكره ــ كما لا نستبعد ان يكون اسم (**ارك** ــ Ark) : موضع بسجستان ، ايضا من افراد هذه الطائفة التى اكثر العرب من تسمية الاماكن بها فى شتى الانحاء . ثم نذكر اخيرا (عراق العجم) الذى صاروا يكتبونه فى الخرائط الايرانية الحديثة (اراك) ربما ايحاء بأن هذا الاسم الهمزى الكافى هو اثل تسمية العراق ، فكان ان واجهتهم تسمية عربية اخرى اقدم و (اعرق) من الاولى ، لانه من المحتمل جدا ان يكون اسم (اراك) الايرانى هذا من هذه العشيرة الاعربية.

والذى يجدر ذكره بالمناسبة ان بعض الباحثين يرى ان اسم (العراق) كان قد نشأ اول امره من اسم (اروك) الشومرية تلك او نحوه من الاسماء العراقية القديمة ، ثم عنعنه العرب . ولا نستبعد كذلك ان يكون اسم (اروك) اقدم من الشومريين ، اى من لغة الساميين الاقدمين الذين حلوا المنطقة منذ العهود الحجرية ، فيما نعتقد .

وليس لدينا ما يرجع هذا الراى القائل ان اسم (العراق) منحدر من اسم اروك او يرجح عليه الراى السابق القائل انه من عراق النهرين اى شطيهما الممتدين على طولهما . وربما يؤيدهم فى هذا ما رأيناه من هذا الولع العربى فى تسمة الجبال والاماكن من مادة (الارك) . فان صح هذا تكون كلمة (العراق) عندئذ هى التى اكتسبت معنى الشاطىء من اسم بلد النهرين التاريخيين المعروف بخصوبة شطئانهما .

عبد الحق فاضل

الأدبُ العربي المغتربُ في حالة احتضار

نــداء الى الحكــومــات

الأستاذ إلياس قنصل «الأرجنتين»

لم نعد ننتظر من الادب العربى فى الارجنتين ان يتدفق بروائع تضاف الى دفتر المجد الذى كتبت سطوره الاولى منذ ستين سنة تقريبا ، بــل امسى قصارى املنا ان تنبثق من نفسه قوة تمد فى البقية الباقية من حياته التى تتلاشى يوما فيوما .

وهذا الذى نقوله عن ادب الضاد فى هذا المغترب، نعممه على سائر المهاجر الامريكية ونذهب الى ابعد من ذلك ، فنشير الى ان الادب العربى فى الارجنتين سيكون آخر علم ينطوى من اعلام هذه الدولة الفكرية الشامخة التى بناها حملة الاقلام الذين ركبوا البحــر الى ارض استهوى الناس ذهبها الوهاج .

ان القصائد العربية التى تسيل بها القرائح فــى اميركا — اليوم — هى لمع تظهر دون انتظام وعلى غير ميعاد ثم تختفى وكانت قديما اشعة متواصلة لا ينبتر لهــا بــريــق .

وعلى هذا فليس فى مكنتنا ان نحدد اتجاهات الادب الحالى ، او ان نعين معالمه او ان نثمن قيمته شأنه شأن الثمالة فى كأس من شراب متعدد الاصناف متباين الالوان ليس فيه طعم مبين من نوع وان كانت فيــه اجزاء راسبة من كل نوع .

لا نفكر ان الادب عامة والشعر خاصة قد انخفض، فى معظم انحاء العالم ، مقامه الرفيــع القديم بداعى طغيان المــادة على مــرافق الحيــاة بعــد ان قلبت الاكتشافات العلمية الاخيرة كثيرا من اوضاع الفكر الانسانى رأسا على عقب . وكان من اثر ذلك جماح المذاهب الرعناء — من فلسفية وادبية وخلقيــة — وانفلاتها من عقال المنطق والعرف .

لا تنكر ذلك ولكن الادب العربــى فى المغتربــات لم يخب نوره لهذه الاسباب فقد كان تأثيرها عليــه طفيفا جدا وثمة اسباب اخرى اثرت عليه ، اهمهــا فى رأينــا :

اولا — جفاف المهاجرة العربية وعدم اغتراب اى اديب ناشىء او ناضــج — يمكن اعتبــاره بعــد استقراره ، من ادباء المهجر .

ثانيا — احتجاب رقم كبير من المجلات والجرائــد وتضاؤل عدد قراء الصحف الباقية فالذيــن كانــوا يطالعونها من المهاجرين القدامى انتقــل اغلبهم الى رحمة الله . ولا ندحة لنا من ربط الصحافة العربيــة بالادب فهى التى كانت ميدانا — رئيسيا — له تنشر بدائعه وتحيطه بحفاوة هى منتهى التشجيع .

نعم ان الشباب المتحدر من اصل عربى غدا ، بعد ان استقلت الاقطار العربية واصبح لها وزنهــا فى تعديل المقررات الدولية ، يفاخر بأرومته ويعلن على

رؤوس الاشهاد اعتزازه بانتسابه الى امة الضــــاد غير ان هذا الشباب لا يفهم باكثريته الساحقة من اللغة العربية الا الكلمات البسيطة المهلهلة . فغيرته ــ وهو مشكور عليها فى اية حال ــ لا تفيــد فى دعــم الادب العــربــى .

ثالثا انصراف اغلب الادباء الباقين عن الادب العربى واقتصار انتاجهم على قصائد تنظم للمناسبات وتتلى فى الحفـــلات .

رابعا ــ لا مبالاة الحكومــات العربيـــة بالادبـــاء المغتربين وعدم اكتراثها بالابقـــاء على هـــذا النفس العربى فى العالم الجديد .

فان سأل سائـــل :

ــ وما تستطيع الحكومات ان تفعل ؟

كـــان الجـــواب :

ــ تستطيع ان تصنع كل شىء : ان هؤلاء الادباء كانت لهم ستهمة طيبة فيما وصلت اليه البلدان العربية من تقدم ونجاح وكانوا فى كل وقت بوق العروبة وراء البحار ، فمن النصفة ان ينالوا نصيبا من الجزاء .

فى وسعها ان تدعو الادباء الى زيارة البلدان العربية فان رؤية اوطانهم حرة مستقلة تذكى نيران الحماسة فى قلوبهم وتجدد نشاطهم وتمحو ما اعتور اذهانهم من جمود اشبه ما يكون بالقنوط .

فى وسعها ان تتولى طبع دواوين الشعراء وهـــى التى تجهد فى طبع منشورات تنطوى على رعاية شاملة تـــوزع فى الشرق والغـــرب .

فى وسعها ان تفعل ذلك وغير ذلك وهـــى التـــى تستفيـــد اولا وآخـــرا .

اننا نوجه هذا النداء الى الحكومات العربيـــة ــ الى وزارات الثقافة والارشاد والاعلام ــ فلعلها تفعل الآن ما كان من الواجب ان تفعله منذ سنوات فتعيد الى نفوس الادباء الذين لا يبرحون فى المضمار ثقـــة تؤكد لهم ان جهودهم التى سيفرد لها تاريخ الادب ــ وهو الحكم العادل ــ فصلا خاصــا ، تجد من اخوانهم المقيمين بعض التقدير وان تضحياتهم فى سبيل الادب والعرب لم تذهب ادراج الرياح .

عاصمة الارجنتين ــ الياس قنصل

*

البيروني: العالم العربي الإسلامي الخالد

الأستاذ صبيح صادق الحكيم
جامعة بغداد

تحتفل الامم عادة بعظمائها وعلمائها وفاء وتقديرا لهم ... ولقد زخرت الامة العربية والاسلامية بالاعداد التى لا تحصى من هؤلاء ... ولعل من ابرزهم العالم الاسلامى البيرونى ... الذى تمر ذكراه الالفية هذا العام ... والبيرونى من العبقريات التى ادهشت العلماء والباحثين لذكائه ونبوغه وموسوعيته ...

ولا غرابة ان نرى العديد من الامم والدول تدعى نسبة البيرونى اليها ... مثل تركيا والاتحاد السوفياتى وايران بالاضافة الى الامة العربية ... والحقيقة ان نسب البيرونى مجهول كما يعترف هو نفسه بذلك ... ولكن يجب الا ننسى انه قد تثقف بالثقافة العربية الاسلامية وكان مسلما ... والف معظم كتبه باللغة العربية ... ولهذا فالبيرونى يمثل الثقافة العربية الاسلامية قبل كل شيء ... ولكن بالرغم من هذا فالبيرونى شخصية عالمية ومن حق الانسانية ان تفتخر به وتعتز بأمثاله ...

وقد اخذ الاهتمام يزداد بالبيرونى فى الآونة الاخيرة ... ففى الاتحاد السوفياتى انشأت جامعة كبرى فى طشقند اسمها « جامعة البيرونى » ... وفى الولايات المتحدة تهتم الآن جامعة برنستون بتحقيق ابحاث البيرونى وغيره من العلماء العرب ... وقامت جامعة برلين بدراسة ابحاثه وحققت بعضها ... كما ان جامع لينجراد تقوم بتحقيق ابحاثه كذلك ... وفى المتحف الجيولوجى فى موسكو نلاحظ تمثالا للبيرونى بجانب تماثيل اشهر علماء الجيولوجيا ...

وفى الهند صدر مجلد بعنوان « المجلد التذكارى للبيرونى » باللغات الانجليزية والفرنسية والايطالية والاردية ... واصدرت اكاديمية العلوم السوفيتية سنة 1950 مجلدا عن البيرونى نشر تحت اشراف المستشرق تولستوف بمناسبة مرور الف سنة هجرية على مولده .. كما وان معهد الدومينيكن للدراسات الشرقية اصدر عددا خاصا عن ابحاثه ونشرها الاب بوالو فى مجلة (MIDEO) التى يصدرها المعهد المذكور ...

راى الكتاب والمستشرقين فى البيرونى :

يقول المستشرق ادوار سخاو E. Sachau الذى درس بعض مؤلفات البيرونى وطبعها — « ان البيرونى اعظم عقلية عرفها التاريخ » (1) .

ووصفه المستشرق كارلو نالينو Nallino « ان البيرونى اكثر الفلكيين ذكاء واوسعهم علما » وقال عنه المستشرق الايطالى آلدوميلى Aldomieli « يمثل لنا البيرونى عبقرية حقة ونبوغا فذا وهذان النبوغ والعبقرية مع انهما اليوم مقدران حق قدرهما لم ينالا بعد ما يستحقانه من اكبار واعتبار » (2) .

وقال عنه المستشرق الامريكى جورج سارتون G. Sarton « كان البيرونى باحثا فيلسوفا رياضيا

(1) تراث العرب العلمى : قدرى حافظ طوقان .ص 276 . (القاهرة) .

(2) العلم عند العرب واثره فى تطور العلم العالمى : آلدوميلى : ص 189 . ترجمة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف مرسى (القاهرة — جامعة الدول العربية)

جغرافيا ومن اصحاب الثقافة الواسعة بل من اعظم عظماء الاسلام » (3) .

وذهب الدكتور ماكس مايرهوف Max Meyerhof « ان اسم البيرونى ابرز اسم فى موكب العلماء الكبار واسعى الافق الذين يمتاز بهم العصر الذهبى للاسلام » (4) .

وقال عنه المستشرق ول ديورانت W. Durant « يمثل ابو الريحان العالم الاسلامى فى احسن صوره فقد كان البيرونى فيلسوفا ومؤرخا ورحالة وجغرافيا ولغويا ورياضيا وفلكيا وشاعرا وعالما فى الطبيعيات .. وكان عند المسلمين كما كان (ليبنتز) ويوشك ان يكون كما كان ليوناردو دافنشى عند الغربيين » (5) .

مولده ... ونسبه :

ولد البيرونى فى خوارزم ، فى ذى الحجة سنة 362هـ الموافق لشهر سبتمبر — ايلول — سنة 973 م ..

وهناك خلاف حول مولده فى مدينة خوارزم ... فذهب ابن ابى اصيبعة فى عيون الانباء ... الى ان البيرونى « منسوب الى بيرون وهى مدينة بالسند » (6) وقال السمعانى فى الانساب : « هذه النسبة الى خارج خوارزم فان بها من يكون خارج البلد ولا يكون من نفسها يقال له : فلان بيرونى هست ويقال بلغتهم انبيذ هست والمشهور بهذه النسبة ابو الريحان المنجم البيرونى » (7) .

وقال ياقوت فى معجم الادباء ان « هذه النسبة معناها البرانى لان بيرون الفارسية معناها برا وسألت بعض الفضلاء عن ذلك فزعم ان مقامه بخوارزم كان قليلا واهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم كأنه لما طالت غربته عنهم صار غريبا ، وما اظنه يراد به الا انه من اهل الرستاق يعنى انه من برا البلد » (8).

والواقع ان هذه الآراء تفسر كلمة البيرونى ولا تنص على ان البيرونى ولد خارج خوارزم ... اما قول ابن ابى اصيبعة « ... منسوب الى بيرون وهى مدينة بالسند » فخطأ ولده تصحيف كلمة (نيرون) الواقعة على نهر السند والمسماة نيرون كوت او صيدر اباد التى صحفها ياقوت الى (نيروز) ايضا ... واكبر دليل على ان ابا الريحان ولد فى خوارزم وليس فى خارجها قول البيرونى نفسه : « ... وقت مولدى قد اتفق بمدينة خوارزم ... وكانت الولادة يوم الخميس ثالث ذى الحجة سنة 362 هـ » (9) .

اما نسب البيرونى الكامل فمجهول ... ولا نعرف سوى ان اسمه ابو الريحان محمد بن احمد الخوارزمى البيرونى ... ولكن مما لا شك فيه ان لغته كانت الخوارزمية ...

حياته :

كان البيرونى ذا اهتمام ومتابعة للعلم منذ سن مبكرة ... وبقى حتى العشرين فى خوارزم حيث غادرها الى سواحل بحر قزوين ... واشتغل عند آل سامان .،، وتعرف على الشيخ الرئيس ابن سينا ودارت بينهما المناظرات العديدة . وقد لقى البيرونى كل رعاية من الامير نوح بن منصور السامانى ... وبعد سقوط ملك السامانيين اتجه الى امير جرجان شمس المعالى نوح ابن منصور السامانى ... وبعد سقوط ملك السامانيين اتجه الى امير جرجان شمس المعالى قابوس بن وشمكير الذى سعد بلقائه ... واقام البيرونى عنده .،، والف له كتاب (الآثار الباقية) واهداه اليه ... ولكن الاحوال لم تسر على ما يرام اذ سقط ملك شمس المعالى ... فغادر البيرونى الى خوارزم .،، حتى استولى عليها السلطان محمود ... وقبض على البيرونى ،،، وكان من المقرر ان يحكم عليه بالاعدام كما حكم على استاذه بذلك ، ولكن لسعة علمه واطلاعه ، وخصوصا فى

---

(3) ابو الريحان البيرونى : على احمد الشحات : ص 288 — دار المعارف . مصر . (1968 م) .
(4) نفس المصدر والصفحة .
(5) قصة الحضارة : ول ديورانت : المجلد الرابع — الجزء الاول . ص 183 ، ترجمة محمد بدران . (الطبعة الثانية) .
(6) عيون الانباء : ابن ابى اصيبعة . دار الفكر — بيروت . (1377 هـ — 1957 م) .
(7) الانساب ، السمعانى . الجزء الثانى . ص 392
(8) معجم الادباء : ياقوت الحموى : ج 6 ص 308
(9) تحديد نهايات الاماكن — البيرونى . (عن المقدمة صفحة هـ) .

مجال الفلك ، عدل السلطان عن رايه واخذه معه ... ودخل بلاد الهند . ومن هنا تبدأ حياة جديدة للبيرونى ، ففى الهند تعلم اللغة السنسكريتية واقتبس من علومها وفى ظل هذا السلطان كتب كتابه عن الهند . وفى سنة 422 هـ توفى السلطان محمود وكان ابو الريحان فى (غــزنــه) .

وفى عصر ابنه محمود الف البيرونى كتابة (القانون المسعودى) واهداه اليه . ثم وضع كتاب الصيدنــة وهو آخر مؤلفاته الكبرى فى عصر مودود الذى خلف مسعود . وفى سنة 440 هـ الموافقة لسنة 1048 م. فى الثالث من رجب (13 ديسمبر — كانون الاول) وافاه الاجل وهو فى غزنة ... وقد احب البيرونى غزنةواعتبرها موطنه وفيها توفرت له كل الامكانيــات العلميــة . وقد جاء فى كتابه تحديد نهايات الاماكن فى معرض سبب تأليف الكتاب : « ... واما بالخصوص فالاجتهاد لمعرفة ذلك بما يمكن فى الوقت لغزنة دار مملكة المشرق فانها للمستأنف — علىالتقدير الانسىوالتقدير كلمة بالحقيقة لله وحده — وطنى وفيها تمكنت من نفسى اداب على ما لا يزول عن خاطرى امره من الرصد والاجتهاد العلمى ولها اصحح القبلة وامرها لا يخفى بــل يعم اهلهــا واياى ويشارك فيه كل مجتاز بها » (10) .

البيرونــى الشــاعــر :

يعتبر البيرونى بالاضافة الى كونه عالما فى العلــوم التطبيقية فهو عالم بالادب واللغــة كــذلك ... ولــه مؤلفات فيها ، ولا غرابة ان نجده يحتل مكانا فى كتاب معجم الادباء لياقوت الحموى (11) فهو العالم الذى اتقن اللغة العربية وآدابها وهو بالاضافة الى هذا كان قد تعلم اللغاتالفارسية والسنسكريتية والسريانية واليونانية اما الخوارزمية فهى لغته واما العربية فهى لغته المفضلة والتى اكتسب بواسطتها ثقافة واسعــة والف بها ..

وقد وصفه ياقوت : بأنه « كان اديبا اريبا لغويا له تصانيف فى ذلك . » وقال عنه كذلك : « ... وكان رحمه الله مع الفسحة فى التعمير وجلالة الحــال فى عامة الامور مكبا على تحصيــل العلــوم منصبا الى تصنيف الكتب يفتــح ابوابها . » ولــه منهــا كتــاب شرح شعر ابى تمام وكتاب التعليل بأصالة الوهم فى معانى نظم اولى الفضل .

اما شعر البيرونى فيتميز بالبساطة والبعد عــن الغريب وبوضوح المعنى ... ولا تخلو قصائده مــن نصح وارشاد وافتخار بالعلم ... وقد طرح فى شعره الكثير من الاغراض الشعرية المعروفة . ففى المــدح يقــول : (12) .

اتــاذنــون لصب فــى زيــارتكـم ان كان مجلسكم خلوا من النــاس
فانتم النــاس لا ابغــى بكم بــدلا وانتم الــراس والنــاس بالــراس
وكــدكـم لمــال تنهضــون بهــا وغيركــم طاعــم مسترجــع كاسى
لدى المكـايد ان راجت مكــايده ينسى الالــه وليــس الله بالنــاسى

وهو عند ما يمدح لا ينسى نفسه فيفتخر بها ويمدحها كذلك ومن فخره - (13)

مضى اكثــر الايــام فى ظل نعمــة على رتب فيهــا علــوت كــراسيا
بجهــد شلوت الجــالبيــن ائمــة فما اقتبسوا فى العلم مثل اقتباسيا
فسائل بمقــدارى هنــودا بمشرق وبالغــرب من تقتاس قدر عماسيا
فلم ينثهم عــن شكر جهدى نفاسه بل اعترفوا طرا وعافوا انتكاسيــا

ومن شعره فى الحكمة : (14)

ومن حام حول المجد غير مجــاهــد نــوى طاعما للمكرمــات وكاسيــا
وبات قرير العين فى ظــل راحــة ولكنه عن حلــة المجــد عــاريــا

وكنتيجة لظهور البيرونى فى القرن الرابع الهجرى، وهو عصر الاهتمام بالزخرفة اللفظية . ولهذا نــرى انه كان مولعا بالجناس . ومنه قوله : (15)

فــلا يغــررك منــى ليــن مــن تــراه فــى دوس واقتبــاس
لانــى اسرع الثقليــن طــر الى خــوض الــردى فى وقت باس

وكذلك قــولــه :

تنغصت بالتبــاعــد طيب عيشــى فــلا شئ امــر مــن الفــراق
كتــابك اذ هــو الفــرج المرجــى اطب لمــا الــم مــن الــف راق

ومما يجدر ذكره هنا هو ان للبيرونى شعــرا يتميز بالالفاظ الفاحشة على سبيل الهزل لا يتناسب ومكانته ولكن البيرونى بين انه كان عفيف القلب متمسكا بالدين وان هذا الشعر يقال على سبيل الرد والنكتة .

البيرونــى المــؤرخ :

والبيرونى بالاضافة الى هذا مؤرخ مــن الطــراز الاول ... ففى بحثه عن تاريخ الهند بلغ القمة فى تصويرها بجميع نواحيها . فهو اولا قد درس السنسكريتية واتقنها ومن ثم درس احوال الهند والف كتابه تحقيق ما للهند

---

(10) تحديد نهايات الاماكن : ابو الريحان البيرونى : ص 35 .
(11) راجع معجم الادباء : ياقوت الحموى ج 6 (308 — 314) .
(12) معجم الادباء : ياقوت الحموى : ج 6 . ص 314 .
(13) معجم الادباء : ياقوت الحموى : ج 6 . ص 312 .
(14) نفس المصدر والجزء . ص : 313 .
(15) نفس المصدر والجزء . ص : 313 .

من متولة معقولة فى العقل او مرذولة . ويسمى كذلك تاريخ الهند والكتاب واحد وظن خطأ تدرى حافظ طوقان فى كتابه تراث العرب العلمى ان الاسمين كتابان منفصلان — وسيأتى بيان ذلك — .

وفى مقارنة اللغة العربية باللغة الهندية يقول : « ... ان القوم يباينوننا بجميع ما يشترك فيه الامم واولها اللغة ... وان تباينت الامم بمثلها ومتى رامها احد لازالة المباينة لم يسهل ذلك لانها فى ذاتها طويلة عريضة تشابه العربية وتسمى الشىء الواحد فيها بعده اسلم متقضبة ومشتقة وبوقوع الاسم الواحد على عدة مسميات محوجة فى المقاصد الى زيادة صفات اذ لا يفرق بينها الا ذو الفطنة لموضع الكلام وقياس المعنى الى الوراء والامام ويفتخرون بذلك افتخار غيرهم به من حيث هو بالحقيقة عيب فى اللغة » (16) وتظهر براعة ابو الريحان كذلك فى كتابه الآثار الباقية حيث يبحث عن تقاويم واعياد العديد من الامم . وهو موضوعى فى بحثه الى درجة كبيرة فهو لم يخش انتقاد القائد قتيبة بن مسلم الباهلى بالاضافة الى انتقاده شخصيات علمية اخرى ..

ومن المؤسف ضياع كثير من مؤلفات البيرونى التاريخية خصوصا التى عالج فيها تاريخ الفرق وتاريخ خوارزم وتاريخ الغزنويين الاول . ولكن الملاحظ هو ان هذه المؤلفات اصبحت نادرة الوجود منذ عهد مبكر . فياقوت وهو الذى كان على علم بكتاب البيرونى فى تاريخ خوارزم لم يكن هذا الكتاب فى متناول يده عند ما دون معجمه الجغرافى .

البيرونى عالم الطبيعيات :

برز البيرونى فى هذا المجال وبرع فيه براعة ادهشت العديد من الباحثين الذين اختصوا فى هذا المجال ...

فقد كان البيرونى من الرواد الذين اكتشفوا الجاذبية الارضية وممن قالوا بأن الارض تجذب كل ما عليها نحو مركزها وقد ناقش ما قاله علماء الهند فى حركة الافلاك اتدور الارض حول نفسها ام تدور السماء وكان منهم من اعترض على دوران الارض حول نفسها قال « ان الارض لو هكذا دارت اذاً لطارت من فوق سطحها الاحجار واقتلعت الاشجار » (17) فذكرهم البيرونى بأن « هذا لا يقع لانه لا بد لنا من ان ندخل فى الحساب ان الارض تجذب كل ما عليها نحو مركزها » (18) وجاء فى كتابه القانون المسعودى « والناس على الارض منتصبو القامات على استقامة اقطار الكرة وعليها ايضا نزول الاثقال الى السفل» (19)

وقد حاول البيرونى تحديد الوزن النوعى باستعمال جهازه المخروطى الذى يعد اقدم مقياس للكثافة . وهو عبارة عن وعاء مصبه متجه الى اسفل . كان البيرونى يزن المادة التى يريد استخراج وزنها النوعى ثم يدخل هذه المادة فى الجهاز الذى ملىء بالماء فينضح الماء من ثقب خاص فى اعلى الجهاز . فالعلاقة بين ثقل المادة وثقل حجم مساو لها من الماء تحدد الثقل النوعى المطلوب . ويذهب . آلدوميلى فى كتابه : العلم عند العرب الى اننا « نستطيع ان نقدر هذه الدقة فى طريقة البيرونى ومهارته فى اجراء التجارب اذا لاحظنا انه اعترف بأن النسبة بين الماء الحار والماء البارد هى 41677 . و . (ولم يكن ممكنا قياس درجة الحرارة بدقة حينذاك) » (20) .

المـادة	عند البيرونى		الوزن الحديث
	الذهب	**الزئبق**	
ذهب	19,26	19,05	19,26
زئبق	13,74	(13,59)	13,59
نحاس	8,92	8,83	8,85
صفر (نحاس اصفر)	8,67	8,58	نحو 8,4
حديد	7,82	7,74	7,79
قصدير	7,22	7,15	7,29
رصاص	11,40	11,29	11,35
	الزمرد	**الكوارتز**	
لازورد	3,91	3,76	3,90
ياقوت	3,75	3,60	3,52
زمرد	(2,73)	2,62	2,73
لؤلؤ	(2,73)	2,62	2,75
عقيق	2,60	2,50	
كوارتز	2,53	2,58	2,58

---

(16) تحقيق ما للهند من مقولة ... — ابو الريحان البيرونى : ص : 9 .

(17) بواتق وانابيب — قصة الكيمياء : برنارد جافى . ترجمة د . احمد زكى . ص 62 .

(18) نفس المصدر والصفحة .

(19) القانون المسعودى : ابو الريحان البيرونى ج 1 . ص 22 .

(20) العلم عند العرب : الدوميلى ص 194 .

وقد قام فيدمان E. Wiedemann بعمل قائمة تبين القيم التى حصل عليها البيرونى والخازن مرفقة بالقاييس الحديثة ... وهى بيانات محسوبة بوضع القيم المشار اليها بين قوسين اما بالذهب او الزئبق واما بالزمرد او البلور الصخرى (الكوارتز) . والعمود الاخير يبين المقاييس الحديثة وهى كما جاءت فى كتاب العلم عند العرب (21) .

وهناك آراء غاية فى الاهمية فى اسباب خروج الماء من العيون الطبيعية والآبار الارتوازية وفى كتاب الآثار الباقية يناقش بعض الناس حول مياه العيون وصعود مياهها فيثبت لهم ذلك على اساس الاوانى المستطرقة ... فبعد ان يناقش فى هذا الموضوع يقول :

ومثاله الآله التى تسمى سارقة الماء فانك اذا ملأتها ماء ووضعت كلا طرفيها فى آنيتين سطح ما فيهما من الماء سطح واحد فرها من الماء يقف ولو دهرا لا ينصب الى احدى الآنيتين لانها ليست بأولى من الاخرى ... ثم اذا صير احد طرفيها فى موضع اسفل قليلا سال اليه ما فى الآنية الاخرى وذلك انه لما سفل صار اقرب الى المركز فسال اليه ثم اتصل السيلان بتجاذب اجزاء الماء واتصالها الى ان يفنى ما فى الآنية المجذوب ماؤها او يوازى سطح ماء المسيل اليها سطح الماء المجذوب فتؤول المسألة الى الحالة الاولى وعلى هذا المثال عمل فى الجبال ... » (22)

وقد شارك البيرونى ابن الهيثم فى ان شعاع النور يأتى من الجسم المرئى الى العين .

وحول ضوء القمر والشمس ذهب الى ان « القمر شخص كرى الشكل مستحصف الجرم يرى النور الواقع عليه من الشمس كما يرى على الجدار وابعاضه المقابلة للمنير ويستر كل ما مر عليه من شمس او كوكب عن ابصارنا ستر كثيف لا كما تخفى الشمس الكواكب بغلبة الضياء المكثف للابصار وقوته الباهرة بالنهار وفى طرفى الليل ... » (23) .

وقد فهم البيرونى وادرك بوضوح ظاهرة المد والجزر ـ فشرحها وبين كيف تحدث الزيادة والنقص فى هذه الظاهرة بصورة دورية على نهج يساير تغير اوجه القمر . وهو يضيف ان الذين يجاورون مواطن البحر يعرفون هذه الاشياء ولكنهم لم يهتدوا لسببها قال : « . . واما خاصتهم فيعرفونهما فى اليوم بطلوع القمر وغروبه وفى الشهر بزيادة نوره ونقصانه وان لم يهتدوا للعلة الطبيعية . » (24)

فى الجغرافية :

والبيرونى كعالم فى الجغرافية نلاحظ ان له معلومات واسعة وقيمة فى هذا المجال . وخصوصا عن الهند وافريقيا واوربا ...

فقد كانت لديه فكرة عن بحر البلطيق والبحر الابيض الشمالى وعرف الكثير عن سكان شمالى شرقى اوربا خاصة النورمان والاسكندنافيين الذين يدعوهم لا باسمهم المعهود فقط وهو الروسى بل باسم الورنك ايضا . ويورد تفاصيل فريدة عن صناعة السيوف لدى الفرنجة والروس وفيما يتعلق بسيبيريا فانه اول من اورد لنا ذكر نهر انغرا Angara والاقوام التى تقطن الى الجنوب من خط الاستواء فهو يذكر ان هناك اصقاعا جنوبية « يكون فيها الوقت شتاز عند ما يكون لدينا صيفا » (25)

وقد توصل بجهده الشخصى على معلومات مهمة عن افريقيا الجنوبية وموزمبيق (سفالة الزنج) . وتكلم للمرة الاولى على انه ليس ما يمنع عن اتصال المحيط الهندى بالمحيط الاطلنطى جنوب القارة الافريقية وهذا عكس الاعتقاد السائد آنذاك . وقد برهن على ذلك بالعثور على الواح مراكب مخروزة عند جبل طارق ومصدرها هو المحيط الهندى وليس المحيط الاطلنطى اذ ان المراكب فى المحيط الاطلنطى تسمر بالحديد ولا تخاط . يقول البيرونى حول اتصال المحيطين وطبيعة تلك المناطق : ـ « واكثر ما يبلغ سالكو البحر الاعظم من جانب المغرب سفالة الزنج ولا يتجاوزونها وسببه ان هذا البحر طاعن فى البر الشمالى من ناحية المشرق ودخله فى مواضع كثيرة . وكثرت الجزائر فى تلك المواضع وعلى مثله بالتكافى طعن البر فى البحر الجنوبى فى ناحية المغرب وسكنه سودان المغرب وتجاوزوا فيه خط الاستواء الى جانب القمر التى منها منابع النيل ـ فحصل البحر هناك فيما بين جبال وشعاب ذوات

---

(21) نفس المصدر ص 195 .
(22) الآثار الباقية : ابو الريحان البيرونى ص : 262 / 263 .
(23) القانون المسعودى : ابو الريحان البيرونى . ج 1 . ص 23 .
(24) تحقيق ما للهند من مقولة ... ابو الريحان البيرونى . ص 253 .
(25) تاريخ الادب الجغرافى العربى : كراتشكوفسكى : ج 1 ـ ص : 250 . ترجمة صلاح الدين عثمان .

مهابط ومصاعد يتردد فيها الماء بالمد والجزر الدائمين ويتلاطم فيحطم السفن ويمنع السلاك . ومع هذا فليس يمنعه عن الاتصال ببحر اوقيانوس من تلك المضايق ومن جهة الجنوب وراء تلك الجبال فقد وجدت علامات اتصالهما وان لم يشاهد . وبذلك صار بر المعمورة وسط ما قد احاط به باتصال ... » (26) .

فى الـــزيـــاضيـــات :

وفى الرياضيات يبرز اسم البيرونى كرياضى لامع له اليد الطولى فى هذا المجال . فابتدع طريقـــة فريـــدة لاستخدام الجداول هى فى الواقع طريقـــة مبسطـــة للقانون العام الذى اطلق عليه فيما بعد اسم قانون جريجورى — نيوتن لحساب الاستكمال الذى استنبط بعد وفاة البيرونى بحوالى ستة قرون . كما وانه توصل الى ان مجموع المتوالية الهندسية المتصلـــة برقعـــة الشطرنـــج تساوى : (27) .

615 ، 551 ، 709 ، 073 ، 744 ، 446 ، 18 .

وقام كذلك بتبسيط رسم مساقط الكرة السماوية بطريقة تشبه ما نسب فيما بعد الى نيكولوزى دى باترنو عام 1660 . وقد استعمل البيرونى وبعض معاصريه الرموز (جا = جيب) و (جتا = جيب تمـــام) و (ظا = ظاطـــع) و (ظتـــا = ظاطـــع تمـــام) و (ظا = الظل) و (ظتـــا = ظل تمـــام) . وبحث فى تقسيم الزاوية الى ثلاثة اقسام متساوية . وقد انصفه (سمث) فى كتابه تاريخ الرياضيات حينما قال : بأن البيرونى « كان المع علماء عصره فى الرياضيات ، وان الغربيين مدينون له بمعلوماتهم عن الهند ومآثرهم فى العلـــوم » (28) .

وقال عنه جاك . س . ريسلر : كان عبد الله البيرونى الذى انشأ بحق حساب المثلثات الحديثة ، قد احل محل التحليلات المربعة لزوايا بطليموس التحليـــلات المثلثة الزوايا . والجيب محل وتر ابرخس وادخل خطوط التماس واسس النسب الحسابية المثلثية الهامة فى الشكل الذى نستخدمها فيه اليوم » (29) .

فى الاقتصـــاد :

للبيرونى كذلك نظرات صائبة فى الاقتصاد ... وقـــد قام الدكتور محمد يحيى الهاشمى ببحث حول هذا الموضوع من خلال دراسته لكتاب الجماهر للبيرونى ...

يرى البيرونى ضرورة اتخاذ قيمة ثابتـــة لتسهيـــل تبادل المصالح ... وينبه الى خطر الغلـــو فى تشريـــف الذهب والفضة فبرهن ان لا قيمة مطلقة لها بل قيمتهما نسبية اضافية ... وبهذا يأتى البيرونى بنظرية اقتصادية هامة فى عالم الاقتصاد ... وقد اعترف الدكتور كلاوزينك الذى كان استاذا فى جامعة بون اعترف بالتشابه بين نظرية البيرونى ونظرية اقتصادى حديث يدعى كتاب Knapp الذى يذهب الى ان قيمة الذهب هى ليست فى معدنه بل حسب الاعتبار اى كما يقول البيرونى وضعا لا طبعا (30) . وقد انكر البيرونى كنز الاموال واستدل بالآية القرآنية « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » ويفسر البيرونى فى سبيل الله اى فى سبيل انتفـــاع النـــاس بترددها فى ايديهم اثمانا لمصالحهم ... ولهذا السبب نفسه يرى البيرونى حكمة تحريم الاوانى الذهبية لانها تصير غير منتفع بها فى الوقت الذى جعلت لاجـــل تسهيـــل التبـــادل ...

فى الفلـــك :

كان البيرونى فلكيا ممتازا شهد له بذلك كل من قام بدراسته . وكانت مؤلفاته فى هذا العلم مرجعا لنصير الدين الطوسى فى ارصاده بالمراغة ولجمشيد غيـــاث الدين الكاشى فى ارصاده بسمرقند .

وكانت قضية دوران الارض حول محورها مـــدار جدل بين العلماء يومئذ . فبحثها البيرونى بفهم وادراك وسلم بدوران الارض حول محورها الخاص .

وقد ضبط البيرونى ابعاد خطوط الطول والعرض . وله نظرية فى استخراج محيط الارض وردت فى كتابـــه الاسطرلاب واستعمل معادلـــة لحساب نصف قطـــر الارض ويسميها بعض العلماء قاعدة البيرونى . وكان يعتبر اليونان والهند اصدق سائر الامم عناية بصناعة

---

(27) راجع المقالة الثالثة من القانون المسعودى : ابو الريحان البيرونى : تحقيق امام ابراهيم احمـــد . ص 4 ــ 5

(28) تاريخ العلوم : عبد الحليم منتصر . ص 146 . القاهرة ــ دار المعارف .

(29) الحضارة العربية : جاك . س . ريسلر ص 175 . ترجمة غنيم عبدون .

(30) نظريات الاقتصاد عند البيرونى . محمد يحيى الهاشمى . مجلة المجمع العلمى العربى . مجلد 15 ــ الجـــزء 2 .

النجوم ولكنه يفضل اليونان على الهند (31) . وحاول ان يبتكر الاسطرلاب الاسطوانى نسبه الى مسقطه ويسمى الآن بالاسطرلاب ذى المسقط الجانبى ومساقط دوائر الكرة فى هذا الاسطرلاب مرسومة على هيئة خطوط مستقيمة ودوائر وقطاعات ناقصة (32) .

وبحث كذلك فى الاجهزة واستعمالاتها واخترع جهازا يبين اوقات الصلاة بالاتقان حتى ذهب المؤرخ جورج سارتون G. Sarton الى انه لم يكن كاتبا عظيما طرق موضوع الآلات المستعملة فحسب بل كان مبتكرا للكثير من الآلات ايضا ... » (33) .

مناقشاته وموضوعاته :

كان البيرونى باحثا موضوعيا الى درجة كبيرة ... وقد اعترف بذلك الكثير من الباحثين والمستشرقين الا ان بعض هؤلاء يأخذ عليه ما يسمونه بالتحيز للدولة السامانية . والبيرونى لا يسلم الى قضية الا بعد التدليل عليها بالبرهان والدليل ... يقول فى صدر كتابه القانون المسعودى : « ان البرهان من القضية قائم مقام الروح من الجسد وبحمله النوعين يحصل العلم بالاستيقان لاقتران الحجة والتبيان كما يقوم بمجموع النفس والبدن شخص الانسان كاملا للعيان والله عز وجل استوفق لما عزمت عليه » (34) .

وقد تنبه البيرونى الى اثر التحيز والهوى فى الآراء التى تبعدها عن الموضوعية والحقيقة ... فيقول فى صدر كتابه الآثار الباقية : « بعد تنزيه النفس عن العوارض المردئة لاكثر الخلق والاسباب المعمية لصاحبها عن الحق وهى كالعادة المألوفة والتعصب والتظافر واتباع الهوى والتغالب بالرئاسة واشباه ذلك فان الذى ذكرته اولى سبيل يسلك بأن يؤدى الى حاق المقصود واقوى معين على ازالة ما يشوبه من شوائب الشبه والشكوك وبغير ذلك لا يتأتى لنا نيل المطلوب ولو بعد العناء الشديد والجهد الجهيد . » (35) .

وقد دفعته موضوعيته الى ان يناقش وينقد اى رأى يستحق النقد ايا كان صاحبه ... فقد انتقد جالينوس مرة ذلك لتصديقه خبر ملكة الحيات التى اذا رآها او سمع فحيحها امرؤ مات حالا .. يقول البيرونى : « فليت شعرى من اخبر بمكانها او اخبر امرها اذا كان المطلع عليها ميتا ؟ » (36) .

ومما يوضح منهجه هذا ماجاء فى قصة يوردها ثم يرفضها لانه يعتبرها مناقضة للعلم . يقول : « ... بل اعجب من هذا ما حكى الجيهانى فى كتاب المسالك والممالك من امر الاسطوانتين اللتين فى الجامع بقيروان ولا يدرى جوهرهما ما هو فزعم انهما ترشحان ماء كل يوم جمعة قبل طلوع الشمس وموضع العجب من كونه يوم الجمعة فلو قيل فى الاسبوع مطلقا يحمل على بلوغ القمر موضعا من الشمس مفروضا او ما يشبه ذلك ولكن يوم الجمعة مشترطة لا يحتمل ذلك » (37)

كتب البيرونى :

كتاب الآثار الباقية :

قال عنه المستشرق كراتشكوفسكى : « هو كتاب لا مثيل له فى جميع آداب الشرق الادنى » (38) ووصفه ول ديورانت : « كان اول مؤلفاته الكبرى رسالة علمية فنية عميقة تعرف باسم الآثار الباقية ... والكتاب دراسة نزيهة الى درجة غير مألوفة مبراة الى اقصى حد من الاحقاد الدينية » (39) .

وقد انهى البيرونى تأليف هذا الكتاب سنة 1000 م — 390 هـ . وهو لا يزال فى السابعة والعشرين تقريبا . الفه لشمس المعالى قابوس بن وشمكير . والكتاب يبحث فى التقاويم والاعياد عند الفرس واهل

---

(31) Extraits des principaux Géographes Arabes p. 238

(32) دائرة المعارف الاسلامية : المجلد الثانى . مادة اسطرلاب . ص 115 .

(33) ابو الريحان البيرونى : على احمد الشحات . ص 117 .

(34) القانون المسعودى : ابو الريحان البيرونى : ج 1 . ص 5 .

(35) الآثار الباقية : ابو الريحان البيرونى . ص 4 .

(36) مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى . الدكتور فرانتز روزنتال . ترجمة انيس فريحة ص 151

(37) الآثار الباقية : البيرونى . ص 364 .

(38) تاريخ الادب الجغرافى العربى : كراتشكوفسكى : ج 1 . ص 246 .

(39) قصة الحضارة : ول ديورانت . المجلد الرابع : الجزء الاول ص 183 ترجمة محمد بدران (الطبعة الثانية)

الشام واليهود والمسيحيين والصابئة والزرادشتيين والعرب ... وقد اعتمد فى تاليفه لهذا الكتاب على بعض المصادر المفتودة الآن ... وكذلك اعتمد على الرواية المتواترة التى تمتاز بعضها بقيمة نادرة . وفى هذا الكتاب يظهر ميله الى القومية الايرانية ... ووجه لوما الى قتيبة بن مسلم الباهلى .. **ولكنه فى نفس الوقت كان يذهب الى ان اللغة العربية هى اللغة الوحيدة الجديرة بان تكون لغة العلم ..**

وقد نشر الكتاب بالمتن العربى مع مقدمة بالالمانية المستشرق الدكتور ادوار سخاو عام 1878م فى ليبسك Leipzig ثم اعاد نشرها راسوفتز O. Harrassowitz فى ليبسك نفسها سنة 1923 مستعينا بالتصوير الشمسى . وقد ترجم هذا الكتاب الى الانكليزية فى لندن سنة 1879 كما قام بتحقيقه المستشرق السوفيتى ميكائيل مرسيليه .

كتاب تاريخ الهند :

وصفه روزن Rozen بأنه « اثر فريد فى بابه لا مثيل له فى الادب العلمى القديم والوسيط سواء فى الغرب او الشرق » (40) .

وقال عنه المستشرق الدوميلى ان البيرونى «استطاع بسهولة ان يكتب كتابا جديرا بالاعجاب ... وهو كتاب تاريخ الهند وقد اصبح هذا الكتاب مرجعا اساسيا سواء بالنظر الى التعرف على العلم العربى ام على الهنود كما هو مرجع اساسى فى التاريخ والجغرافية وكل ما يتصل بحياة الشعب الهندى » (41) والكتاب يسمى كذلك : تحقيق ما للهند من مقولة معقولة فى العقل او مرذولة . وقد ذهب قدرى حافظ طوقان خطأ الى اعتبار العنوانين اسمين لكتابين اى كتاب تحقيق ما للهند وكتاب تاريخ الهند حيث قال فى كتابه تراث العرب العلمى : « كتاب الهند ترجمه ايضا سخاو الى الانكليزية وطبع الاصل فى لندن سنة 1887 م ... وكذلك له كتاب « تحقيق ما للهند من مقولة معقولة فى العقل او مرذولة » وقد ترجم الى الانكليزية سنة 1887 م » (42) . والحقيقة ان الكتاب واحد ولعل المؤلف الفاضل لم يرجع الى اصل الكتاب ليتحقق من اسمه .

ويقسم البيرونى كتابه هذا الى ثمانين بابا يبحث فيه اصول الهند واعتقادهم بالله والموجودات وحال الارواح والطبقات والرس ونسخ الشرائع وفى ذكر كتبهم فى النحو والشعر وسائر العلوم ومعارفهم وانهارهم وبحرهم وفى الفلك وذكر الترابين والحج والصدقات والمباح والمحضور من الطعام والزواج والدعاوى والعقوبات والكفارات والمواريث والصيام والاعياد والافراح وموازنة آراء العلماء الهنود مع اراء المسلمين واليونان والايرانيين ... الى غيرها من المواضيع .

وقد تحدث البيرونى عن كتابه هذا فقال : « ... ليس الكتاب كتاب حجاج وجدل حتى استعمل فيه بايراد حجج الخصوم ومناقضة الزائغ منهم عن الحق وانما هو كتاب حكاية فأورد كلام الهند على وجهه واضيف اليه ما لليونانيين مثله لتعرف المقاربة بينهم فان فلاسفتهم وان تحروا التحقيق فانهم لم يخرجوا فيما اتصل بعوامهم عن رموز نحلتهم ومواضعات ناموسهم ولا اذكر مع كلامهم كلام غيرهم الا ان يكون للصوفية او لاحد اصناف النصارى لتقارب الامر بين جميعهم فى الحلول والاتحاد » (43) وقد نشر النص العربى المستشرق الالمانى ادوار سخاو فى لندن عام 1887 م وترجم الى الانكليزية عام 1888 م واعيد طبعه بلندن عام 1910 م .

ولعله من المفيد ذكر ما قاله ناشر هذا الكتاب من ان « البيرونى يعتبر من وجهه نظر تاريخ العلوم اكبر ظاهرة علمية فى الحضارة الاسلامية ذلك لان جميع الكتب التى الفت عن الهند قبل البيرونى تعتبر لعب اطفال بجانب تحقيقات البيرونى العلمية ... » (44) .

كتاب القانون المسعودى :

وهذا الكتاب كما قال عنه المستشرق الدوميلى :

---

(40) تاريخ الادب العربى الجغرافى : كراتشكوفسكى : ص 266 .
(41) العلم عند العرب : الدوميلى ص 188 .
(42) تراث العرب العلمى : طوقان . ص 282 .
(43) راجع تحقيق ما للهند من مقولة .
(44) استخراج الاوتار : ابو الريحان البيرونى . تحقيق احمد سعيد الدمرداش ص 21 .

« دائرة معارف ذات اهمية حقيقة كما يشتمل على تجهيزات حقة » (45) .

وقد سمى كتابه هذا بالقانون المسعودى فى الهيئة والنجوم واهداه الى سلطان غزنة مسعود ابن محمود الغزنوى . ويقال انه لما صنف القانون المسعودى اجازه السلطان بحمل فيل من نقده الفضى فرده الى الخزانة بعذر الاستغناء عنه ورفض العادة فى الاستغناء به (46) .

ويورد فى هذا الكتاب المعلومات الخاصة بالفلك ... ويبدو انه اعتمد فيه على كتاب الخازن الالآت العجيبة الرصدية (47) .

وتوصل البيرونى الى قوانين الاستكمال فى صورتها المبسطة وهى التى نسبت الى نيوتن وجريجورى من بعده بحتما؛ عام عند ما وجد ان الفترات المتساوية بين الزوايا لا تقبلها تغيرات متساوية فى الجيوب . وقد اعلن فى مقدمة كتابه خطته فى هذا الكتاب وتبين بوضوح روح البيرونى العلمية فى قوله : « الكتاب من بين الآثار المدونة ابقى على مر الازمنة واثبت على تبادل الامكنة ولم اسلك فيه مسلك من تقدمنى من افاضل المجتهدين فى حملهم من طالع اعمالهم واستعمل زيجاتهم على مطايا الترديد الى قضايا التقليد ... وانما فعلت ما هو واجب على كل انسان ان يعمله فى صناعته من تقبل اجتهاد من تقدمه بالمنة وتصحيح خلل عثر عليه بلا حشمة وخاصة فيما يمتنع ادراك صميم الحقيقة فيه مقادير الحركات وتخليد ما يلوح فيها تذكرة لمن تأخر عنه بالزمان وقرنت له باب الاستصواب لما صبت فيه او الاصلاح لما زللت عنه او سهوت فى حسابه ... » (48) .

وقد قامت عدة دراسات حول هذا الكتاب فهناك دراسات كارل شوى Carl Schoy وكذلك رمزى رايت Ramzy Wright فى دراسته للجانب الفلكى من الكتاب .

كما قام وان فيدمان E. Wiedemann بترجمة الفصلين التاسع والعاشر - (49) وقد طبع كتاب القانون المسعودى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الذكن بالهندسة 1373 هـ — 1954 م ويقع فى ثلاثة اجزاء . احتل الجزء الاول المقالات الاربع الاولى والجزء الثانى من المقالة الخامسة الى الثامنة والجزء الثالث من المقالة التاسعة الى الحادية عشرة ووقع الكتاب فى 1481 صفحة عدا المقدمات الفهارس وقام الدكتور امام ابراهيم احمد بتحقيق المقالة الثالثة من الكتاب . وللكتاب عدد لا بأس به من المخطوطات وهى:

1 — نسخة بالمكتبة الاهلية فى باريس . وقد نسخت عام 501 هـ (1108 م) .

2 — نسخة فى مكتبة الملة فى استنبول . نسخت عام 531 هـ (1136 م) . وهى النسخة المعتمدة فى الكتاب الذى طبع فى الهند وحاول كراوسه Krause المستشرق الالمانى استنساخها ولكن وفاته حالت دون اكمال عمله .

3 — نسخة فى مكتبة بايزيد فى استنبول كتب قبل عام 536 هـ (1141 م) .

4 — نسخة مكتبة جامعة (توبنجن) فى برلين بالمانيا وتاريخ نسخها قبل سنة 625 هـ (1166 م).

5 — نسخة المتحف البريطانى فى لندن . نسخت عام 570 هـ (1174 م) .

6 — نسخة دار الكتب المصرية فى القاهرة وتاريخ كتابتها عام 673 هـ (1274 م) (50) .

7 — نسخة بارلين باكسفورد وهى منسوخة عام 475 هـ (1082 م) وهذه أقدم نسخة واصحها . ولعل ياقوت الحموى كان صادقا حينما قال : « القانون المسعودى يعفي على اثر كل كتاب صنف فى تنجيم او حساب ... » (51) .

---

(45) العلم عند العرب : الدوميلى ص 189 .
(46) معجم الادباء : ياقوت الحموى : ج 6 : ص 308 .
(47) تاريخ الحضارة الاسلامية : د . ماجد عبد المنعم . (القاهرة — 1963 —) .
(48) القانون المسعودى . ج 1 ص 4 — 5 .
(49) لمعرفة المزيد عن هذه الدراسات راجع : العلم عند العرب — الدوميلى ص 193 . وتاريخ الادب الجغرافى العربى — (كراتشكوفسكى) : ص 253 .
(50) قصة هذا المخطوط قصة طريفة ... راجع دائرة المعارف الاسلامية ج 4 ص : 402 .
(51) معجم الادباء : ياقوت الحموى : ج 6 ص 311

كتـاب تحديـد نهـايـات الامـاكـن :

وهذا الكتاب يبحث فى نشاة العلوم وتاريخ خلـق العالم والكتب السماوية والمسافات والاطوال والعروض ومعرفة ما بين المدن فى الطول وطول المدن وعرضها بالاضافـة الى البحث فى ارصـاد ابرخس وبرونس وبطليموس بالاسكندرية وارصاد الشماسية ببغداد ... وارصاد البتانى وابى الوفاء وغيرهم من العلماء (52).

وفى هذا الكتاب حاول البيرونى من خلال عرضـه للمعلومات العلمية الى محاولة معرفـة سمت القبلـة وتصحيحها ... وقد بين فى عدة مواقف ان تاليفه لهذا الكتاب هو لمعرفة القبلة وتصحيحها بالاضافـة الى المعرفة العامة ... فقد قال فى كتابه هذا : « ... فالاسلام قد عم اكثر الارض وبلغ ملكه اقصى المشارق والمغارب وكل منهم محتاج لاقامة الصـلاة ونشر الدعـوة الى القبلة وما اظننى فيما اعمل من تصحيح ذلك او التطرق الى تصحيحه غير مأجـور فى الاخـرى ولا محمود فى الاولى » (53) .

وقال فى موضع آخر : « هذا الموضع وان كان لما نحن فيه كالغاية التى عندها يقف المجدى فواجب ان نخلص منها الى ثمرة تعم اهل البقعة ... ولتكن الثمرة التى يعم جدواها معرفة سمت القبلة وقد تقدم منهـا ما قرب مأخذه وسهل تناوله ... » (54)

وقد قام بتحقيق هذا الكتاب محمد بن تاويت الطنجى ونشره فى انقرة بتركيا سنة 1958 م وقد اعتمد على النسخة المحفوظة بمكتبة السلطـان محمـد الفاتـح باسطنبول (تحت رقم 3386) التى تمت كتابتها فى سنة 416 هـ اى فى حياة البيرونى اى قبل وفاته بـ 26 سنـة .

كما قام المستشرق الروسى الدكتـور بولجـاكوف بتحقيقه كذلك حيث نشره معهد المخطوطات العربيـة بجامعة الدول العربية فى نوفمبر (تشرين الثـانى) عـام 1962 م .

كتـاب الصيـدنـة :

وهو كتاب فى المادة الطبية ... وقد الفـه فى آخـر حيـاته .. وبين فى اول هذا الكتاب ان « الصيدنانى اعرف من الصيدلة والصيدلانى اعرف من الصيدنانى وهو المحترف بجمع الادوية على احمد صورها واختيار الاجود من انواعها مفردة ومركبة على افضل التراكيب التى خلدها له مبرزو اهل الطب وهـذه اولى مراتب صناعـة الطب ... » (55)

وفى هذا الكتاب عبر عن رايه باللغة العربية فقال : «... والهجو بالعربية احب الى من المدح بالفارسية» (56) وفى هـذا الكتـاب يشير البيرونـى الى الـزئبـق بقولـه « واحجـاره حمر تنشق فى الكـور فيسيل الزئبق منها » (57) . وهذه هى الطريقة التى استخدمها لافوزيه العالم الفرنسى لتحضير الاكسجين اذ يتحول اوكسيد الزئبق الاحمر الى زئبق يسيل كما ذكر البيرونى والغاز المتصاعد عند التجزء هو الاوكسجين ...

وقد نشر ماكس مايرهوف بعد دراسة تفصيلية هذا الكتاب مع ترجمة مقدماته عام 1932 . كما وكان ابو بكر على بن عثمان الكازانى قد نقله الى الفارسية عام 607 هـ الموافق لسنة 1211 م . وهذه النسخة هـى التى كانت معروفة حتى كشف عن نسخة عربية ناقصة فى مكتبة بمدينة بروس Brousse بتركيا وقد ساعد هذا المؤلف فى التعرف على بعض المعانى والمفردات لان البيرونى ذكر اسماءها بالفارسيـة والبلوشيـة والاغريقية والسندية والافغانية والسريانية والهنديـة بلهجاتها المختلفة .

---

(52) تحديد نهايات الاماكن : ابو الريحان البيرونى.
(53) تحديد نهايات الاماكن : ابو الريحان البيرونى . ص 35 .
(54) نفس المصدر ص : 253 .
(55) مجلة سومر (العراقية) — المخطوطات العربية فى المتحف العراقى ببغداد . كوركيس عواد (سنة 1959) المجلد الخامس عشر . ص 138 .
(56) الصردنة : ابو الريحان البيرونى — ص 13 . القاهـرة .
(57) مع البيرونى فى كتاب الصيدنة : للدكتور فاضل الطائى . مجلة المجمع العلمى العراقى . مجلد 18 .

وتوجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب فى المتحف العراقى ببغداد (تحت رقم 1911) . وهى نسخة حديثة الخط .. وعلى هوامشها تعليقات كثيرة بخط مالك النسخة الاسبق انستاس مارى الكرملى . وقد قام المجمع العلمى العراقى بتصويرها .

وقد طبعت خمس فصول منها فى القاهرة ... كما ويقوم حاليا بتحقيق هذا الكتاب وبعض رسائل البيرونى الاخرى فى علم الاتربازيين وبعض العلوم الطبية الكيميائى السوفيتى « عبد الله كاديموف » من كلية الدراسات الشرقية بجامعة البيرونى بطشقند .

استخراج الاوتار :

وموضوع الكتاب يبحث فى مسائل ونظريات فى الجبر والهندسة واساس الكتاب مستنبط من دعوة قديمة لارشميدس عن المنكسر المرسوم داخل قوس من الدائرة . وهو فى هذا الكتاب مخطوطتان الاولى موجودة فى مكتبة « خدا بخش بتنة » بحيدر اباد الدكن بالهند والثانية موجودة فى مكتبة « مرادملا » فى استنبول بتركيا . والنسختان مملوءتان بالاخطاء الناتجة من جامع هذه النسخ لانها غير مسلسلة .

وقد قامت دائرة المعارف العثمانية بطبع النسخة التى فى مكتبة خدا بخش بتنة والتى كتبت سنة 631 هـ وكان البيرونى قد انتهى منها سنة 418 هـ . ولكن الكتاب خرج مشوها فأحطت من قيمته العلمية ... وقد قام كذلك المستشرق سوتر Sauter بنشر الكتاب بالالمانية . وقد قام بتحقيق هذا المخطوط الاستاذ احمد سعيد الدمرداش استاذ الكيمياء الصناعية بكلية الفنون التطبيقية . تحقيقا علميا يستحق التقدير والاحترام .

الجماهر فى معرفة الجواهر :

يعد هذا الكتاب من المؤلفات المهمة فى علوم المعادن والبلورات والجيوكيمياء وقد ورد ضمن الكتاب شعر رصين قالته العرب فى وصف المعادن والجوهر والبلورات والاحجار الكريمة والفلزات .. كما ويحتوى على آراء السابقين فى الجواهر والمعادن الثمينة .. وبالاضافة الى هذا فالكتاب يعتبر من كتب الجيوكيمياء المهمة .. وقد نشر فيه ابحاث العلماء الذين سبقوه فى هذا الميدان وبين القوة الشرائية والاقتصادية والتجارية لتلك الاحجار الكريمة والجواهر والفلزات ..

وفى هذا الكتاب ثبت ولاول مرة الوزن النوعى لاكثر الجواهر والفلزات . ومن مزايا الكتاب كذلك انه ذكر اسماء لغوية كثيرة لا وجود لها فى المعاجم واسماء اجنبية فى لغات كثيرة تدل على تعمق البيرونى فى هذه اللغات . وقد اشتمل على نكت من هذا الفن وقيمة الجواهر فى وقته .. وهذه الجملة يصح ان تكون وثيقة تاريخية للرد على من يدعى انه لم يعهد العرب التدوين قبل القرن الثانى للهجرة .. ودل الكتاب كذلك على وجود الكثير من دواوين الشعر فى مدينة غزنة وشرقى خراسان .. (58)

وتوجد من هذا الكتاب ثلاثة نسخ وهى :

1 ــ نسخة موجودة فى خزانة السيد راشد افندى بالقيصرية . ونسخة فى مصر ، وبها اخطاء كثيرة .

2 ــ نسخة موجودة فى الاسكوريال بمدريد فى اسبانيا . وقد قامت بعثة معهد المخطوطات العربية بتصويرها حيث تحتفظ الآن بنسخة مصورة منها (59).

3 ــ نسخة محفوظة فى خزانة طوب خانة بالاستانة وتعتبر اصح النسخ .

وقد قامت جمعية دائرة المعارف العثمانية بنشر هذا الكتاب بحيدر اباد بالهند عام 1355 هـ كما وقام المستشرق الروسى-فريتز كرينكو Krenkow بتحقيق الكتاب تحقيقا علميا .

ومن الجدير بالذكر ان الدكتور المستشرق ادوارد سخاو قد حقق بعض فصوله ونشره فى لندن عام 1878 . كما ان الكتاب طبع طبعة اخرى سنة 1910.

---

(58) مجلة المجمع العلمى العربى . بدمشق . مجلد 17 ــ ص 161 من تعليق للكاتب محمد كرد على فى عرض الكتاب .

(59) نشرة اخبار التراث العربى : معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية . عدد 17 .

كتبـه الاخـرى :

من كتب البيرونى كذلك كتاب (التفهيم) وقد اصدره البيرونى فى نفس السنة التى الف فيها كتابه (القانون المسعودى) . والكتاب يبحث فى الحساب والهندسة والجبر والعدد ثم هيئة العالم واحكام النجوم وعلى راى البيرونى « ان الانسان لا يستحق سمة التنجيم الا باستيفاء هذه الفروع من المعرفة » (60) وقد وضعه على طريقة السؤال والجواب اما لغة الكتاب فسهلة وقد وضحه بالشكال والرسوم .

وقد نشره رمزى رايت Ramzy Wright فى لنـدن سنة 1934 عن مخطوط محفوظ فى المتحف البريطانى.

وطبع فى الهند كتاب رسائل البيرونى وهى اربع رسائل : الاولى (استخراج الاوتار فى الدائرة) وكان البيرونى قد فرغ من تاليفها سنة 418 . والثانية (افراد المقال فى امر الظلال) وفرغ من تعليقها سنة 631 هـ (فى شهر ذى الحجة بالموصل) والثالثة (تمهيد المستقر المعنى المر) وفرغ منها سنة 631 هـ كذلك والرابعة : (راشيكات الهند) وفرغ من كتابتهـا سنـة 631 هـ بالموصل كذلك (61) .

وهناك كتاب (ساقطات الآثار الباقية عن القرون الخالية) طبع فى ايران .. وفى الكتاب جداول فى تاريخ ملوك حمير والغساسنة ال حنيفةوالنبى (ص) والامويين والعباسيين وشهور الفرس واعيادهم (62) .

وطبعت رسالة البيرونى (الابعاد والاجرام) ضمن مجموعة رسائل قامت بطبعها دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد الدكن بالهند عام 1367 هـ — 1948 م .

ومن مخطوطات البيرونى (استيعاب الوجوه المكنة فى صنعة الاسطرلاب) توجد منه نسخـة فى مكتبـة المجلس النيابى فى طهران . وهى نسخة مكتوبة بقلم نسخى سنة 888 هـ (63) .

ومخطوطة (الاسطرلاب) وتوجد منه نسخـة فى خزانة شيخ الاسلام ميرزا فضل الله فى زنجان وقـد جرت بين البيرونى والرئيس ابن سينا مراسلاتمحفوظة فى المتحف البريطانى حتى الآن (64) وقد قال ابن ابى اصيبعة عن الرسائل التى اجاب عنها ابـن سينـا « .. وقد وجدت للشيخ الرئيس اجوبة مسائل سالـه عنها ابو الريحان البيرونى وهى تحتوى على امـور مفيدة فى الحكمة » (65) هذا بالاضافة الى الكثير من الكتب المخطوطة التى لا تـزال محفوظـة فى مختلف مكتبـات العـالم ..

واخيرا فنرجو ان نكون قد اسهمنا ولو بجزء بسيط فى هذه المناسبة .. مناسبة مرور الف عام على ميلاد البيـرونـى ..

---

(60) تراث العرب العلمى : طوقان ص 278 .
(61) راجع : رسائل البيرونى للعلامة ابى الريحان البيرونى . مطبعةحيدر ابادالدكن — 1367 هـ — 1948م
(62) راجع : ساقطات الآثار الباقية عن القرون الخالية : نشر مكتبة الجعفرى التبريزى — طهـران — 1969 م .
(63) مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق — مجلد 22 — (سنة 1947 م — 1366 هـ) ص 316 . مكتبة المجلس النيابى فى طهران — اسعد طلس
(64) العلم عند العرب — الدوميلى ص 189 .
(65) عيون الانباء : ابن ابى اصيبعة الجزء الثالث . ص 30 .

*

المصـــادر والمــراجــع :

1 ـــ الآثار الباقية عن القرون الخالية : ابو الريحان البيرونى . نشر الدكتور سخاو ليبزج 1973 .

2 ـــ الانساب : ابو سعيد السمعانى . الطبعة الاولى طبع مجلس دائرة المعارف العثمانية . حيدر اباد الدكن ـــ تصحيح وتعليق عبد الرحمن اليمانى ـــ الجزء الثانى ـــ 1963 م ـــ 1383 هـ .

3 ـــ استخراج الاوتار فى الدائرة بخواص المنحنى فيها : ابو الريحان البيرونى . تحقيق احمد سعيد الدمرداش ـــ المؤسسة المصرية للتأليف والطباعة

4 ـــ بواتق وانابيب (قصة الكيمياء) برنارد جاف . ترجمة الدكتور احمد زكى . طبع مكتبة النهضة المصريـــة .

5 ـــ البيرونى : على احمد الشحات : دار المعــارف بمصر ـــ 1968 م .

6 ـــ تاريخ الادب الجغراف العربى ـــ كراتشكوفسكى ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم . لجنة التأليف والترجمة والنشر . جامعة الـدول العربيـــة ـــ 1963 م .

7 ـــ تاريخ الحضارة الاسلامية . الدكتور ماجد عبـد المنعم ـــ القاهرة ـــ 1963 م .

8 ـــ تحقيق ما للهند من مقولة فى العقل او مرذولة : ابو الريحان البيرونى . طبع الدكتور ادوار سخاو ليبزج ـــ 1925 م .

9 ـــ تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافات الاماكن : ابو الريحان البيرونى ـــ وثقه وقدم له محمد بن تاويت الطنجى ـــ 1962 (انقرة) .

10 ـــ تراث العرب العلمى فى الرياضيـــات والفلك : قدرى حافظ طوقان : مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة ـــ القاهرة ـــ 1954 م ـــ 1374 هـ .

11 ـــ الحضارة العربيـــة : جـــاك . س . ريسلر ، ترجمة : غنيم عبدون . مراجعة احمـــد فـؤاد الاهوانى . الدار المصرية للتأليف والترجمة .

12 ـــ دائرة المعارف الاسلامية : ابراهيم الشنتناوى وعبد الحميد يونس وابراهيم زكى خورشيد الجزء الثانى والرابع . 1933 م ـــ 1352 هـ .

13 ـــ رسائل البيرونى : ابـــو الريحـــان البيرونى : الطبعة الاولى . مطبعة جمعية دائرة المعـــارف العثمانية ـــ حيدر اباد الدكن 1948 م ـــ 1367هـ

14 ـــ ساقطات الآثار الباقية عن القرون الخاليـــة : ابو الريحان البيرونى . نشر مكتبـــة الجعفـــرى التبريزى ـــ طهران ـــ 1969 م .

15 ـــ الصيدنة : ابو الريحان البيرونى . القاهرة .

16 ـــ عيون الانباء فى طبقات الاطباء : ابن ابى اصيبعة. الجزء الثالث ـــ دار الفكر ـــ بيروت ـــ 1957 م ـــ 1377 هـ .

17 ـــ العلم عند العرب : آلدو ميلى ـــ ترجمـــة عبد الحليم النجار ومحمد يوسف موسى . الطبعـــة الاولى ـــ دار القلم ـــ مصر . 1962 م ـــ 1381هـ

18 ـــ قصة الحضارة : ول ديورانت : ترجمة محمد بدران . الجزء الاول من المجلد الرابع . الطبعة الثانية ـــ لجنة التأليف والنشر والترجمة .

19 ـــ القانون المسعودى : ابو الريحان البيرونى : مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد الدكن ـــ الهند ـــ 1954 م ـــ 1373 هـ .

20 ـــ المقالة الثالثة من القانـــون المسعـــودى لابـــى الريحان البيرونى . تحقيق د . امام ابراهيم احمد ـــ القاهـــرة 1385 هـ ـــ 1960 م ـــ المجلس الاعلى للشـؤون الاسلاميـــة .

21 ـــ معجم الادباء : ياقوت الحموى : اعتناء د . س. مرجليوث . الطبعة الثانية ـــ 1930 ـــ .

22 ـــ مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى : د. فرانتز روزنتال . ترجمة انيس فريحة . مراجعة د . وليد عرفات . دار الثقافة ـــ بيروت 1961 (منتخبات من آثار الجغـــرافيـــين العـــرب فى القرون الوسطى) .

23 ـــ Extraits des Principaux Géographes du Moyen Age Régis Blanchère et Henri Darmann, Paris 1957.

24 ـــ مجلة المجمع العلمى العراقى المجلد الثامن عشر مع البيرونى فى كتاب الصيدنة : الدكتور فاضل الطائى ـــ 1389 هـ ـــ 1969 م .

25 ـــ مجلة المجمع العلمى العربى :

ـــ المجلد السابع عشر : باب الكتب : محمـــد كـــرد على .

ـــ المجلد الخامس عشر : نظريات الاقتصاد عند البيرونى . الدكتور محمد يحيى الهاشمى .

ـــ المجلد الثانى والعشريـــن : مكتبـــة المجلس النيابى فى طهران ـــ اسعد طلس .

26 ـــ مجلة سومر : المجلد الخامس عشر : المخطوطات العربية فى مكتبـــة المتحف العراقـــى ببغـــداد . كوركيس عواد . 1959 م ـــ بغداد .

27 ـــ نشرة ـــ اخبـــار التـــراث العربـــى ـــ معـــهد المخطوطات بجامعة الدول العربية العدد السابع عشر . 1972 م ـــ 1392 هـ .

حـــــول كتــــــاب :

الحجة في القراءات السبع للإمام ابن خلدون

تحقيق : عبد العال سالم مكرم أستاذ بجامعة الكويت
تعليق الدكتور عبد المعطي محمد بيومي

اهمية البحث فى القراءات فى هذا العصر :

قد يخيل الى بعض الناس ان البحث فى القراءات السبع شىء لا يلائم هذا العصر المزدحم بالافكار العصرية والصراع بينها ، ولكن هذا التخيل سرعان ما يتبدد اذا تذكرنا ان الصراع بين الاتطار والعقائد انما يذكر على ضرورة الحفاظ على مصادر الافكار وكتب العقائد .

فالشيوعية مثلا تعنى اشد العناية بكتب « كارل ماركس » و « فردريك انجلز » وتنزل كتابى « راس المال » و « المانيفستو الشيوعى » منزلة القداسة ، وهى فى الصين تفعل الشىء نفسه بالنسبة لتعاليم « ماو » حيث تعنى بها وتطبقها طبقات مختلفة وتضفى عليها الشروح والتفسيرات لتكون زادا لهم فى الثورة الثقافية وصراع الايديولوجيات .

واذا كان الامر كذلك فان اولى الناس بالعناية بكتابهم عناية شاملة لكل النواحى انما هم المسلمون الذين ورثوا الوحى من الله زادا لهم فى كل عصر .

هذه ناحية ، ومن ناحية اخرى فان اللقاء الاسلامى الذى بات ضرورة انما يدعو كل مسلم الى العناية بالقرآن الذى هو مجمع هذا اللقاء خاصة العناية بقراءاته المتعددة التى تقرا بها الشعوب الاسلامية .

فمعرفة القراءات والعناية بها اذن :

— لا تخرج عن طابع العصر .

— وهى فى الوقت نفسه وسيلة من وسائل المعرفة والتفاهم بين شعوب الامة الاسلامية الواحدة ولذلك لم يخل عصر من عصور الاسلام من دراسة القراءات والحفاظ عليها وعلى العلوم المتصلة بها .

ومن اهم جوانب البحث فى علم القراءات هو الاحتجاج للقراءة بموافقتها لقواعد النحو واللسان العربى لان اى قراءة لا تثبت موافقتها لهذا اللسان لا تكون قراءة يعتد بها فضلا عن ان تكون قراءة على الاطلاق .

ولذلك اهتم العلماء ببحث الحجج النحوية للقراءات توثيقا لها .

ومن ابرز الكتب التى عالجت هذا الجانب هو كتاب: « الحجة » لابى على الفارسى ، الذى وضعه شرحا لكتاب « القراءات السبع » لابن مجاهد الذى كان اول من سبع السبعة وكان اليه المرجع فى فن القراءات كما يقول ابن الجزرى .

لكن كتاب ابى على الفارسى جاء — كما قال النقاد — طويلا ومطنبا الى حد ينفر العلماء فضلا عن القراء المتوسطين وقد انتقده تلميذه ابن ضبى حيث قال فى كتابه : « المحتسب » : « فان ابا على رحمه الله عمل

كتاب الحجة فى القراءات فتجاوز فيه قدر حاجة القراء الى ما يجنو عنه كثير من العلماء » كما قال « وقد كان شيخنا ابو على عمل كتاب الحجة فاغمضه واطاله حتى منع كثيرا ممن يدعى العربية فضلا عن القراء واجفاهم عنه ومع هذا الاطناب الذى عابه العلماء فان ابا على كان يعتمد فى اللغة على القياس .

ورغم المختصرات التى وضعت لكتاب « الحجة لابى على الفارسى » فان الحاجة مع ذلك ظلت ماسة الى كتاب جديد للاحتجاج للقراءات احتجاجا يعتمد على :

ــ الاختصـــار

ــ الرواية والسماع فى اللغة .

ومن اجل هذا وضع الامام الحسين بن احمد بــن خالويه (المتوفى بحلب سنة 370 هجرية) كتابه « الحجة فى القراءات السبع » متحاشيا الانتقادات التى اخذت على كتاب الفارسى فاقامه على الايجاز وعلى اخــذ اللغــة مــن الســمــاع .

وقد ظل هذا الكتاب مخطوطا مجهولا حتى سنــة 1371 هـ حتى اخرجه وحققه الاستاذ المحقق الدكتور عبد العال سالم مكرم استاذ النحو العربى المساعــد بجامعة الكويت ثم نشرتـــه دار الشروق فى بيروت فى 388 صفحة من القطع الكبير .

والامام ابن خالوية له منزلته المرموقة فى علوم اللغة قالوا عنه «كان اماما واحد افراد الدهر فى كل قسم من اقسام العلم والادب ، وكان اليه الرحلة من الآفاق وكان آل حمدان يكرمونه » .

والدكتور عبد العال سالم من الرجال المثابرين فى جد على الدراسات القرآنية لا ينتهــى الى راى الا بعــد التري الطويل واستغراق الذهنية فى الاستنتاج كمــا تنبىء ابحاثه ومقالاته .

اما الكتاب فهو طلبة كل طالب فى القراءات وقــد استطاع مؤلفه ان يغنى به طالب الفائدة فى اسرع وقت.

لكن هنا قضية رئيسية وهى : هل هذا الكتاب ــ كتاب الحجة لابن خالويه ــ هو حقا لابن خالويه او ان نسبته الى ابن خالويه فيها مقال ؟

يقول الدكتور المحقق : « ان هناك سحبا من الشك فى نفوس بعض المعاصرين من حيث نسبة هذا الكتاب الى ابن خالويه ودليلهم انه لم يرد فى كتب الطبقات ان لابن خالويه كتابا يسمى كتاب الحجة وان ذكــرت ان له كتبا فى القراءات حملت اسماء مختلفة ولم يحمل واحد منها اسم الحجة ، وبعد جهد استغرق ما يقرب مــن عامين فى دراسة هذا الكتاب ودراسة مؤلفــات ابــن خالويه استطعت ان اصدر حكمى فى ثقة لا تعرف التردد وباعيان لا يعرف الشك ان هذا الكتاب نسبته الى ابن خالويه صحيحة » .

ويستدل الدكتور المحقق على ثقة فى صحة نسبة هذا الكتاب الى ابنخالوية بعدة ادلةيمكن تركيزهافيما يلى:

1 ــ تلمذة كل من ابى على الفارسى وابن خالويه لابن مجاهد ،واذاكاناحد التلميذينوهو ابو على الفارسى الف شرحا لكتاب استاذه ابن مجاهــد فليس بدعا ان يؤلف التلميذ الآخر ــ ابن خالويــه ــ شرحا لكتــاب استاذه .

وقد ذكر ابن خالويه نفسه ان له كتابا فى القراءات عند تعرضه لقوله تعالى « انعمت عليهم » ــ فى كتابه اعراب ثلاثين سورة ــ وفى كتاب الحجة هذا التعليل الذى اشار اليه ابن خالويه فى كتابه الآخر مما يثبت ان كتاب الحجة هو لابن خالويه وان عدم شهرة هــذا الكتاب يرجع الى ان شهرة الحجة للفارسى قد غطــى عليه او ان الكتاب فى القراءات فاستغنى بذكرها عن ذكر اسم الكتاب بالحجة :

2 ــ ان عدم ورود كتاب الحجة فى الطبقات لا يعنى ان هذا الكتاب ليس لابن خالويه لان لابن خالويه نفسه كتبا نص هو عليها بنفسه وهى موجودة ومع ذلك ليست فى الطبقات .

3 ــ ان كون الكتاب لم يشتهر باسم الحجة لا يقدح فى نسبته الى ابنخالويه لان التسمية من عمل المتأخرين وحتى كتاب الحجة للفارسى لم يقدمه ابو على لعضد الدولة تحت اسم الحجة .

4 ــ التنافس العلمى فى عصر ابن خالويه يفــرض عليه ان يؤلف كتابا فى الاحتجاج للقراءات لان ذلك كان طابع عصرى .

5 — من اوضح ادلة التوثيق ان اسلوب الكتاب ومنهجه يتوافق تماما مع اسلوب ابن خالويه ومنهجه فى كتبه الاخرى .

6 — ان الاعلام الذين سجلهم ابن خالويه فى كتابه كانوا اسبق منه زمنا .

7 — تقارب بعض النصوص فى مؤلفات ابن خالويه مع بعض نصوص الحجة ويقول المحقق « لا ابالغ اذا قلت ان هناك نصوصا بأسلوبها وكلماتها فى هذه المؤلفات هى بعينها فى كتاب الحجة » وفصلا اورد المحقق ادلة وفقرات من كتب مختلفة لابن خالويه مقارنا بينها وبين كتاب الحجة .

8 — ان كتاب الحجة اقدم من حيث النسخ من الكتب الاخرى التى وصلت الينا لابن خالويه اذ هو نسخ سنة 496 هـ بينما كتاب القراءات نسخ سنة 600هـ

الا ان الاستاذ « محمد العابد الفاسى » الاستاذ بجامعة القرويين فى مقال له بمجلة اللسان العربى مجلد 8 ص 1 سنة 1390 هـ يناير 1971 صحيفة 521 — يشكك فى نسبة الكتاب الى ابن خالويه كما يشكك فى ادلة المحقق على هذه النسبة على النحو التالى وحسب الترتيب الذى ذكرته :

1 — تلمذة ابن خالويه لابن مجاهد لا تكفى لاثبات النسبة .

2 — عدم ورود اسم كتاب اسم الحجة لابن خالويه فى الطبقات « فان كتاب الحجة جدير بأن يذكر فى اول قائمة كتب ابن خالويه لو صحت النسبة وحيث لم يذكر فى كتب الطبقات ولا ذكر فى باقى كتب ابن خالويه فهذا دليل على عدم صحة نسبته اليه » .

3 — يقول الاستاذ الفاسى ان النسخ العتيقة من الحجة لابى على الفارسى مكتوب بظهر اول ورقة من اجزائه بخط عريق فى القدم « الجزء السابع من كتاب الحجة لقراء الامصار . الخ » فمن اين الجزم بأن ابا على الفارسى لم يسم كتابه بالحجة » .

4 — ان التنافس العلمى فى عصر ابن خالويه لو بلغ ما بلغ لا ينتج حتمية ان يؤلف ابن خالويه فى القراءات وقد وقع التنافس فى كثير من الفنون فى عصره ولم يؤلف ابن خالويه فى جميع تلك العلوم .

5 — ان الاحتجاج بأن اسلوب ونهج كتاب الحجة لابن خالويه متقارب مع اسلوبه ونهجه فى كتبه الاخرى لا يصح لان اسلوب تلاميذ ابن مجاهد جميعا كان يتوخى الاختصار .

6 — ان الاستدلال بالزمن من الاستدلالات الواهية ومتى كان النقل عن اعلام سابقين فى الزمان دليلا على نسبة كتاب شخص معين ما لم تقم ادلة خارجة على تصحيح هذه النسبة .

7 — ان المشابهة بين النصوص وتقاربها فى المعنى لا تفيد شيئا فى الواقع لان نصوص ابى على الفارسى نفسها تتقارب مع ما قاله النحويون المعاصرون للفارسى

8 — تاريخ النسخ لا يمكن الاعتماد عليه حيث ان النسخة عارية عن اسم الناسخ ولو ذكر لامكن البحث عنه ومعرفة وزنه زيادة على ان الخط ليس من الخطوط المتداولة فى القرن الخامس الهجرى .

وينتهى الاستاذ الفاسى الى انه يميل الى ان هذا الكتاب احد المختصرات التى اختصر بها كتاب الحجة الاصلى قام به عالم مجهول .

وبعد تركيز ادلة المحقق وملاحظات الاستاذ الفاسى عليها على النحو الذى فعلت فلعل القارىء المتحقق يلقى معى نظرة فاحصة على الادلة والملاحظات معا ، ولا ادعى اننى حكم بين الاستاذين الفاضلين فهما معا اكثر منى فضلا ولكننى هنا متخذ صيغة القارىء الذى يقرأ بعقله ويزن الدليل بالدليل ويتحرى وجه الحق للحق وحده مع شكرى العميق للمحقق والناقد لاتاحتهما هذه الفرصة لى ولخدمتهما الفكر الاسلامى بمثل هذا الحوار الذى اصطنع اسلوب المناقشة الجادة الهادئة بعيدا عما يمكن ان يكون منافيا فى امثال هذه المناقشات .

ولى على ما يقول الاستاذ الناقد ملاحظات :

1 — صحيح ان تلمذة ابن خالويه لابن مجاهد لا تكفى وحدها فى اثبات نسبة الحجة الى ابن خالويه ولكنها يصح ان تكون عاملا مساعدا لا يمكن نفى اثره فى

مثل هذا الجو العلمى استاذ يضع كتابا فى فن واحد تلاميذه يضع شرحا على كتاب استاذه فمن الطبيعى المعتاد حينئذ ان يتجه تلميذ آخر للمناقشة وللادلاء بدلوه فى نفس الموضوع خاصة اذا عيب على كتاب الفارسى بأنه طويل معتمد على القياس وجاء كتاب ابن خالويه مختصرا معتمدا على السماع .

2 ـــ عدم ورود اسم الكتاب فى الطبقات او قائمة كتب ابن خالويه ليس دليلا قاطعا على نفى النسبة لان الطبقات والفهارس ليست هى المرجع الوحيد فى هذا الموضوع لان هذه الفهارس سقطت منها كتب كثيرة لمؤلفين كثيرين منهم ابن خالويه نفسه وغيره لان هذه الفهارس لا يمكن ان تحصى جميع ما كتب الكاتبون ولان ما يحصونه ليس معصوما من يد الحادثات وما اكثر ما ضاع من كتب ومخطوطات قد لا يعلم بها احد.

3 ـــ ان الكتابة على احدى النسخ العتيقة للحجة للفارسى لا ينهض دليلا على ان هذا الكتاب كان مسمى بهذا الاسم عند ما ظهر لاول مرة خاصة اذا راعينا قول المحقق ان مؤلفه الفارسى لم يقدمه لعضد الدولة تحت هذا الاسم فربما ظهرت التسمية بعد ظهور الكتاب بمدة.

4 ـــ التنافس العلمى وعدم تأليف ابن خالويه فى بعض الفنون التى راجت فى عصره لا ينفى نسبة الحجة اليه لانه ربما كانت هذه الفنون التى لم يؤلف فيها اقل اهمية من حيث التنافس اما فن القراءات فكان من الفنون المقدمة فى ذلك العصر والتى تقع حتما فى بؤرة التنافس .

5 ـــ قول الاستاذ الفاسى ان اسلوب تلاميذ ابن مجاهد ومنهجهم كان واحدا قول لا يستقيم مع ما ذكره النقاد من ان كتاب الحجة للفارسى مطول يعتمد فيه على اخذ اللغة بالقياس بينما الحجة لابن خالويه مختصر يعتمد على السماع فى اللغة فكيف يكون اسلوب هؤلاء التلاميذ ومنهجهم واحدا ؟

6 ـــ الاستدلال بالزمن من ناحية التحقيق ليس واهيا بل قد يكون قاطعا احيانا فكيف نعتمد نسبة كتاب الى مؤلف مع ان هذا المؤلف يذكر اسم مؤلف آخر لم يكن قد ولد بعد ان مراعاة الزمن فى التحقيق امر بالغ الخطورة بل قد تتوقف عليه صحة التحقيق وعدمها .

7 ـــ ان المشابهة بين النصوص بين مؤلفين لا تصل الى حد استعمال جمل بحذافيرها بنفس الحروف كما يحدث مع مؤلف واحد لكتابين .

8 ـــ كون النسخ عارية عن اسم الناسخ لا ينفى ثبوت النسبة اما كون الخط ليس من الخطوط المتداولة فى القرن الخامس فذلك محل اختلاف وجهات المحققين وعدم اتفاقهم والقطع بأن هذا الخط من خط القرن الخامس او ليس فيه مسألة لا يؤخذ فيها براى واحد ولو كان هذا الكتاب مختصرا لكتاب الفارسى لوردت فيه اشارة ما الى ذلك لكن ذلك لم يحدث .

وقد احس الاستاذ الفاسى ان هذه الملاحظات لا تنفى نسبة الكتاب الى ابن خالويه فقال : « كما لا يمكن ان ننفيه عنه نفيا قاطعا ».

من هنا فان العقل يرى ان هذه النسبة صحيحة لشبه الكتاب بكتب ابن خالويه واشتراكه فيها فى جمل بعينها ولتصور الجو العلمى فى القرن الخامس ووضع ابن خالويه العلمى فى هذا العصر .

على ان الذى يقطع هذا الجدل كله حول نسبة الكتاب لابن خالويه ان مقدمة « تاج العروس » تنص صراحة على ان من المراجع التى اعتمد عليها الزبيدى فى كتابه كتاب الحجة لابن خالويه واذا لم يكن كتابنا هذا موضع الحديث فأين كتاب الحجة لابن خالويه ؟ الا يكون ذلك النص قاطعا اقطع من ورود اسم الكتاب فى الطبقات .

ولا يقلل بعد ذلك من اهمية الكتاب العلمية فى حد ذاته وانه سد حاجة المكتبة الاسلامية فى المادة التى الف فيها وقد سبق لآرثر جيفرى ان حقق مقدمتين فى علوم القرآن هما مقدمة ابن عطية ومقدمة ذكر انها لعالم مجهول فجهل المؤلف لا يقلل من قيمة ما الف .

جزى الله ابن خالويه ، والمحقق ، والناقد ، خير الجزاء ، واعان الله كل العاملين فى حقل الفكر الاسلامى على امرهم وسدد خطاهم .

حصر الكتب المؤلفة أو المترجمة في الكيمياء

وردت علينا من الجمعية الكيماوية السورية بدمشق الرسالة التالية :

تحية طيبة وبعد :

بالاشارة الى كتابكم رقم 97 تاريخ 8 فبراير 1973 المتعلق بانشاء مؤسسة للترجمة والتعريب لعلوم طب الاسنان ، وبعد عرضه على ادارة الجمعية ومناقشة ما ورد فيه ، وبعد دراسة الموضوع فيما يتعلق بميدان اختصاص جمعيتنا ، رأينا ان الكتب المترجمة الى اللغة العربيــة تحمــل فى طياتهــا الاصطلاحــات الكيمياوية والهندسية الكيميائية المستعملة فعلا ، كما راينا ضرورة جمع هذه الكتب والتعرف عليها .

لذلك فاننا نقترح البدء باجراء حصر للكتب المؤلفة او المترجمة فى حقل الكيمياء وتطبيقاتها ، كما نقترح ايجاد سجل للاعمال المترجمة والمنوى ترجمتها بغية عدم التكرار واذا لم يجد مكتبكم امكان قيامه بهــذا الدور ، نرجو بيان رأيكم فى الاقتراح ، ودراسة امكان تكليف جمعيتنا او غيرها من الجمعيات بتنفيذ الاقتراح المطلوب ، ونرى فى حال مــوافقتكم ، ضرورة اعــلام الجهات العلمية فى الاقطار العربية بهذه المهمة بغية اطلاع الافراد العلميين على وجود هــذا التنسيــق المركزى ، للقيام بالكتابــة الينــا ، للاعــلام عــن التأليف او الترجمة او الاستعــلام ، وتقبلوا فائــق الاحتــرام »»»

ورد المكتب بالرسالة التالية :

تحية طيبة وبعد :

جوابا على خطابكم المؤرخ بــ 27 ــ 3 ــ 1973 ، والذى تقترحون فيه علينا ــ ان كان فى امكاننــا ــ القيام بحصر الكتب المؤلفة او المترجمة فى حقل الكيمياء مع ايجاد سجل للاعمال المترجمة والمنوى ترجمتها ، وبما ان مكتبنا لا يستطيع ــ فى الظروف الراهنة ــ الاضطلاع بهذه المهمة ، فانا نقترح تأييد رأيكم القائل بتكليف لجنة خاصة فى جمعيتكم الموقرة لانجاز هــذا المشروع المهم وتقديرا منا لكم على هذه البادرة الطيبة، ورغبة منا فى تعميم الفكرة فاننا سننشرها فى « اللسان العربى » ليطلع عليها العلماء والجمعيات العلمية فى جميع الاقطار العربية .

وتفضلوا بقبول اصدق عبارات التقدير والاحترام .

العربية في الكتب العبرية

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

نشر الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله في كتابه : « تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث » فصلا حول العامل الاجنبي في تطور الفكر واللغة جاء فيه :

نبغ كثير من اليهود بالاندلس والمغرب كان لهم الفضل في بعث اللسان العربي والدراسة التلمودية ودعم الحركة العلمية من خلال اللغة العربية فقد ظهر حوالي 960 م عالم يهودي اندلسي هو مناحم ين سروق حاول ، في معجم شهير معروف باسم «محبرت» الاعتناء بلغة العهد القديم فتصدى الحبر الفاسي دونش ابن لبرات للدعوة الى فكرة جريئة هي وجوب العناية بالعربية والاستعانة بها في فهم مصطلحات « العهد القديم » وضرب لذلك مثلا بنحو مائتي كلمة عبرية ما كان لاحبار التلمود ان يستكنهوا معانيها لولا رجوعهم الى اللغة العربية . وقد حدث منذ هذا العصر بفاس صراع بين انصار التعريب وخصومه (اى انصار تعريب العبرية) حيث نجد ابا زكرياء يحى بن داود حيوج الفاسي يرحل الى قرطبة اوائل القرن الحادي عشر الميلادي للاقتباس من آراء مناحم المذكور، وقد تزعم الحركة الهادفة الى احياء التراث العبري فكان بحق المؤسس الاول لعلم « فقه اللغة العبرية » وقد استطاع بفضل ضلاعته في اللغة العربية تركيز قواعد العبرية التي استكمل نقصها بالمصطلحات العربية ابو الوليد مروان بن جناح القرطبي المولود في النصف الاول من القرن الحادي عشر والذي الف كتاب « التقريب والتسهيل » كما عالج القواعد العبرية في كتابه « اللمح » واعتمد في « كتاب الاصول » مؤلفات عربية كخصائص ابن جنى في فلسفة اصول الكلمات وتخريجها التخريج اللغوي السليم .

وقد حث يهوذا بن قريش صاحب كتاب « فقه اللغة المقارن » يهود الشمال الافريقي على وجوب المزيد من العناية بالعربية تعزيزا لفهم اسرار العبرية والعهد القديم ووضع قاموسا عبريا لم يصلنا ، بينما وضع معاصره داود بن ابراهيم الفاسي قاموسا سماه « اجرون » يحمل نفس الاسم ويتسم بنفس القيمة

مع شرح بالعربية للالفاظ العبرية وكان يهوذا بن قريش يستشهد فى مؤلفاته بالشعر العربى (1) كما سار ابن جناح وخلفه فى تصانيفهم على منوال اللغويين والنحاة العرب وقلد الحريزى مقامات الحريرى فأدخل فى الادب العبرى فنا جديدا لم يكن لليهود به عهد ، وكذلك الامثال العربية ، وقد ترجمت اسرة تبون الى العبرى عديدا من الكتب العربية فى الفلسفة والطب والرياضيات والقصص الشعبى ، اما اسحاق بن يعقوب الكوهن الملقب بالفاسى ، (الذى ولد عام 404 هـ (1013 م) فى قلعة ابن احمد قرب فاس وتوفى بالوسينة بالاندلس عام 497 هـ (1103 م) فله شرح على التلمود فى عشرين مجلدا يعتبر لحد الآن من اهم كتب التشريع التلمودى وله ايضا ثلاثمائة وعشرون فتوى محرره كلها بالعربية وقد اسس بالوسينة قرب غرناطة عام 1089 م معهدا للدروس العليا التلمودية كان الطلاب يؤمونه من كل الجهات .

وقد توافد على المغرب من الاندلس يهود كثيرون فرارا من اضطهاد رجال التفتيش المسيحيين فعززوا الحركة الفكرية العبرية والتلمودية والتحق بهم يهود آخرون طردوا من ايطاليا عام 1242 ومن انجلترا عام 1290 م ومن هولندا عام 1350 م ومن جنوب فرنسا عام 1395 م بالاضافة الى من هاجر منهم بعد النفى العام حيث انتقلت الى المغرب فلول اخرى من فرنسا وانجلترا عام 1403 م ومن اسبانيا عام 1492 ومن البرتغال عام 1496 م فانتشرت جاليات يهودية فى السهول والجبال والصحراء المغربية واستقرت عائلات اندلسية بكاملها فى ناحية دبدو (جنوبى غرب وجدة) واتسع فى فاس نطاق البيع والمدارس التلمودية وقد ظل يهود المغرب يدرسون العربية ويكتبون بها على غرار يهود الاندلس حيث انتهى يهودا بن نيسيم ابن مالكا الفيلسوف المغربى بالعربية عام 1365 م من تاليف كتابه « انس الغريب » (2) وكذلك شيخ التعاليم بفاس خلوف المغيلى الذى نزل عنده ابو عبد الله الابلى العبدرى شيخ ابن خلدون قبل ان يرتحل الى ابن البناء بمراكش (3) .

---

(1) «محاضرات من الادب العبرى» للدكتور فؤاد حسين على ـ طبعة الجامعة العربية 1963 ص 147 .

(2) 458 — 402 — 1952 : (HESPERIS) وعام 1365 م (Pahas Fes

(4) طبقات الشعرانى ج 2 ص 215 .

فقيد اللغة العربية

طه حسين

في ذمة الله

الدكتور المرحوم طه حسين ظاهرة فكرية تميز بها عصره الادبى فهو اول من دعـا الى الشك البناء ليصل الى اليقين الوضاء ، ولقد بقى امينا للفكر الحر طوال عمره لم يحد عنه قيد شعره . بدأ حياته كسائر اقرانه من صبيان القرى المصابين بعاهة العمى ، فى حفظ القرآن الكريم ليكون — على حد ما رسم له اهله — فقيهـا يرتـل القرآن فى الجنائز ويكافح من اجل لقمة العيش فى هذا الطريق الضيق الذى حتمه عليه قدره ، غير ان حيوية طه حسين وطموحه رفعته من الغضارة الى الوزارة ومن فلاح فقير الى مفكر كبير . ومن انسان مجهول الى اديب تطنطن باسمه البلاد شرقا وغربا ، وتجاوز صيته جدار اللغة العربية فعرف فى كثير من اللغات التى ترجمت كتبه اليها كالفرنسية والانكليزية والروسيـة والاسبانيـة وسـواهـا .

درس فى الازهر ثم دخل الجامعة المصرية القديمة وتخرج منها وهو يحمل شهادة الدكتـوراه فى الادب (كان موضوعه فيها عن ابى العلاء) وابتعث الى فرنسا فحصل منها على دكتوراه اخرى (كان موضوعه فيها عن ابن خلدون) وعاد فمشى فى طريق الوظائف وارتقـى فى الجامعـة درجة درجة حتى نال منصب عميد فى كلية الآداب وتقدم به طموحه حتى تسلم منصب مستشار فى وزارة المعارف ثم اصبح وزيرا لها ، والـواقع ان المستشار هو الوزير الفعلى لانه المخطط الفنى للوزارة وللتعليم فى البلاد والوزير هو الآمر بالتنفيذ والموقع على الاوراق وحسب ، وقد استطاع طه حسين فى جميع مناصبه ان يثبت دعائم التفكير المتحرر من ضغط التقاليد الموروثة، وقداسة القدم التى تضفى عادة على المفكرين والمؤلفين السابقين .

ولقد آمن طه حسين بنظرية الشك فى الشعر الجاهلى وهى نظرية لم يبتدعها ولكنه تبناهـا وساعد على اخراجها واذاعتها فى الاوساط الفكرية بكتابه ((فى الشعر الجاهلى)) ولما ثـار بـه المجتمع وسحب كتابه من الاسواق وحول من منصبه — وكان استاذا فى كليـة الآداب — الى

موظف فى وزارة التربية وهاجمته الصحف واعضاء البرلمان وبعض الوزراء ...... نعم بعد هذه الضجة عدل كتابه بعض التعديل وسماه « فى الادب الجاهلى » لكنه لم يغير آراءه فيه جذريا .
وتوالت مؤلفات طه حسين بعد ذلك فى جميع فروع الثقافة الادبية فانشا الدراسات الادبية والقصة والبحث والمذكرات ، وكانت اعظم كتبه على ما يقول البعض « على هامش السيرة » « والايام ».
واطلق عليه لقب « عميد الادب العربى » وانتخب رئيسا لمجمع اللغة العربية فى القاهرة وطالت مدته فيه وبقى الرئيس الفخرى له حتى وافاه الاجل فى اواسط اكتوبر 1973 ، واثر طه حسين فى جيله بارز جدا يظهر فى هذه الكثرة الكاثرة من الادباء صغارا وكبارا ممن تاثر بآرائه وسار على طريقه فى الشك الديكارتى وفى منهج البحث الادبى ......

ثم فى هذه الكتب المتعددة التى كتبت عنه وضده ، وفى الكتب التى شارك فى وضعها وتنسيقها ، وفى مقدمات الكتب التى انشاها كبار المؤلفين ، وفى المقالات المتعددة التى كان ينشرها فى الصحف ، وفى المحاضرات التى القاها ، وفى الندوات المجمعية والمستشرقية التى شارك فيها ، ثم فى هذه الدفقات من خريجى الجامعات المصرية وكان له الفضل فى اشاعة التعليم المجانى بدءا من مدارس الحضانة حتى الجامعة ، واغلب الظن ان طه حسين سيخلد خلودا طويلا وسيبقى اسمه شائعا فى التاريخ الادبى والفكرى الى جانب الكبار امثال المتنبى والجاحظ وابى العلاء ، رحمه الله تعالى كفاء جهاده فى خدمة الفكر الادبى المتحرر واوسع له من مغفرته ما يشاء .

ممدوح حقى



نعي المغفور له كمال إبراهيم

تلقينا من المجمع العلمى العراقى الرسالة التالية ينعى فيها الاستاذ المرحوم كمال ابراهيم عضو المجمع ، وافاه الاجل وهو يقوم بواجبــه العلمى ، ونحن بدورنا نقدم احــر التعــازى للعلماء العرب وللمجمع العلمى ولاسرته بفقد الرجل العامل الذى كان مثالا للنشاط والاخلاص لواجبه العلمى ووطنه وللغته وقومه رحمه الله رحمة واسعة وعوضه الجنة وصبر نفــوس محبيه واخوانه والمعجبين بشخصيته وعلمه وادبه واخلاصه .

اسرة مجلة اللسان العربى

نعى المغفور له الاستاذ كمال ابراهيم
عضو المجمع العلمى العراقى

ينعى المجمع العلمى العراقى عضوه العــامل الاستاذ كمال ابراهيم . فقد وافاه الاجل اثر مناقشة احدى رسائل الماجستير فى كليــة الآداب جامعة بغداد فى الساعة الثانية عشرة مــن يوم الخميس 20 جمادى الاولى سنة 1393 الموافق للواحد والعشرين من حزيران 1973 .

كان رحمه الله فى طليعة اساتذة العربية بجامعة بغداد . وعلما من اعلام دراساتها فى العالم العربى . ربى اجيالا هم الآن عمد الجامعات العراقية . ونشر بحوثا فى اللغة والنحو ، كان لهــا الاثر البالغ . فى تقويم الدراسات المحدثة .

والمجمع اذ ينعاه الى المجامع العربية والى جامعاتها يساله تعالى ان يتغمد الفقيه برحمته . ويعوض الامة عن فقده .

الدكتور عبد الرزاق محى الدين
رئيس المجمع العلمى العراقى

الاستاذ كمال ابراهيم في سطور

للدكتور عبد الرزاق محي الدين
رئيس المجمع العلمي العراقي

نكتب هذه الكلمة ولنا من بواعث الكتابة عدة اسباب : الصحبة الوثيقة الممتدة من عهد الشباب الى يوم فارق الفقيد دنياه ، والمعرفة المستونية ــ والمعرفة ثمة ــ يمدها روافد من سماع وقراءة وحوار ومناقشة لجملة ما قرأنا وسمعنا وكان لنا راى فيه او تعقيب عليه ثم وحدة البدايات العلمية منهجا ومدرسة ، ووحدة العمل ومواطنه كلية فجامعة فمجمعا .

وهناك ما لعله اهم من تلكم الاسباب ، واحراها بالاعتبار هو ان قدرا ملحوظا من وحدة المزاج وتلاقى الخلائق ((فيما احسب)) كان يوصل بيننا ويقارب ، ويجعل من كل منا صديقا اثيرا بالحب وبالرعاية .

ولقد اصاب العلاقة بينى وبينه بعض الوهن وذلك حين ساد العلاقات الاجتماعية فى العراق بعض التشنج ــ خلال الستينات فالسبعينات ــ الا ان صادق ما بيننا من علاقة نفسية تدارك ما يمكن ان يقوم من قطيعة .

بعض الاسباب يفرض على ان اشجى لفقده ، وان استشعر الرزية بالغة ، والخسارة فادحة .

وبعضها يفرض على ان اقول كلمة فيما اقدر للنقيد من مقام علمى ومنزلة ثقافية . وهذه هى الكلمة :

لقد اخذ الطالب كمال ابراهيم من وسائل المعرفة باللغة وآدابها اوفر قدر اخذ طالب منها فى مثل اختصاصه ، واعطى الاستاذ كمال ابراهيم اوفر قدر اعطاه استاذ فى مثل اختصاصه .

نشأ فى الاعظمية من بغداد ، وهى فى اسلم تقدير من اكثر مواطن العراق احتواء للشخصيات المعناة

بشؤون العربية والدين الاسلامى ، ودرس بعض الكتب فى مدرسة الامام ابى حنيفة ، وهى مدرسة تؤهل تاهيلا حسنا لتلقى دروس عالية فى العربية وفى التشريع الاسلامى ، ثم التحق بجامعة آل البيت — وكانت كلية او معهدا نفر اليه الشبان المهيئون لتلقى دراسة عالية من مختلف جوامع العراق ومدارسه الدينية .

ومع ان مستويات طلابها واساتذتها متفاوتة تفاوتا كليا الا ان الممتازين من الطلاب والاساتذة كانوا لا يقلون فضلاً وتأهلا عن خيرة طلاب الكليات المماثلة واساتذتها .

وكان كمال ابراهيم من خيرة الطلاب الذين تخرجوا بها .

وحين رأت وزارة التربية — المعارف آنذاك — حسن تأهله حاولت ان يستكمل وسيلته الثقافية فانتدبته الى مصر ضمن بعثتها والتحق بكلية دار العلوم العليا .

وكلية دار العلوم كانت ولعلها حتى الآن — غاية الغايات فى تعلم العربية ، وكان تخرج كمال ابراهيم بدرجة مشرفة (جيد جدا) عام 1932 .

ذلك مورد ثقافته ، تعاونت على غزارته ونقائه ، بيئة خالصة للعربية والدين ومدارس متخصصة بالعربية وبالدين ، واستعداد شخصى اتجه من صباه الباكر الى التمرس بالعربية ، ودراسة اصولها .

اما عطاؤه فكان سخيا ، زكاه كثرة الانفاق ، وانماه موالاة البذل ، ومن خلال عملية تفاعل بين اخذه وعطائه عاد « كمال ابراهيم » طاقة تدير جملة اعمال فى الجامعة وفى المجتمع وفى الاوساط الثقافية على وجه العموم .

وحين احاول ان اضع الرجل فى مكانه من جيله وامته فانا اجده فى الصفوف المتقدمة من علماء العربية لهذا العصر ، وفى الرعيل الاول من اساتذة العربية ، وفى القلة النادرة المتميزة من ابنائها فى العراق .

لقد زان علمه وجلاه ما تحلى به من خلق رضى ، وطبع هادىء وزهد فى البروز الى المجتمعات . ولقد كان الى الصمت اميل منه الى الكلام وقلما سمعته

يجادل فى قضية ، فان كانت له وجهة نظر لا بد من عرضها اكتفى بطرح الحجة ، فان لم يبلغ اقتناعا اعرض ونأى بجانبه فى طمأنينة العالم .

وكان دءوبا على العمل تدريسا وبحثا وتاليفا ، بحيث لا نعرف له يوما يؤثر فيه الراحة او يخلد فيه الى سكون — حتى ادى به العمل الى رهق لازمه فى العشرة الاخيرة من عمره ، ومع ذلك ظل يواصل الجهد ولم يصغ لنصح طبيب او مجرب . وكانت السنة الاخيرة من احفل سنيه بالعمل ، شارك فى عدة لجان فى المجتمع ، واشرف على عدة رسائل فى الجامعة وشارك فى تحرير عدة موسوعات .

ولم يلق القلم من يده الا صريعا فى ساحة الجامعة، وفى حومة العلم . تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جناته .

الاستاذ كمال ابراهيم فى سطور

دراسته : — تخرج فى جامعة آل البيت سنة 1928 ثم فى كلية دار العلوم بالقاهرة عام 1932 .

التدريس : — زاول التدريس منذ عام 1932 فى دار المعلمين الابتدائية والثانوية المركزية وكلية الامام الاعظم (الشريعة) .. ثم عين مدرسا فى دار المعلمين العالية وكلية الملكة عالية سنة 1946 فأستاذا مساعدا فأستاذا عام 1952 . وقام بالتدريس فى قسم الماجستير للغة العربية منذ سنة 1962 وحاضر فى كليات التربية والبنات والآداب والشريعة واصول الدين .

المناصب الادارية : — عين نائبا لعميد كلية التربية فعميدا لكلية التربية وانتخب رئيسا لقسم اللغة العربية فى كلية التربية واختير رئيسا للدائرة العلمية للغة العربية بالجامعة ثم عين رئيسا لقسم الماجستير وعضوا فى اللجنة المشرفة عليه . انتخب رئيسا للتحرير وللجنة الاشراف على اصدار مجلة (الاستاذ) التى تصدرها كلية التربية لمدة (7) سنوات .

النشاط العلمى : — اختير عضوا فى اللجنة التحضيرية لمهرجان ابن سينا الذى اقامته الجامعة العربية فى بغداد عام 1952 وشارك فى المؤتمر بالقاء بحث فى (التربية عند ابن سينا ورسالة السياسة)

ونوقش من قبل المؤتمرين والمستشرقين . وعين عضوا فى المكتب الدائم لمؤتمر الادباء العرب .

عضويته فى المجمع العلمى العراقــى : ــ انتخب من قبل مجلس المجمــع العلمى العراقى عام 1971 لعضوية المجمــع وصدر المرسوم الجمهورى فى 10 ــ 10 ــ 1971 بتعيينه عضوا عاملا فيه . وفى المجمــع اختير لعضوية لجنة العلوم ولجنة الاصول ولجنــة احياء التراث ، فشهد منه المجمع وشهدت منه لجانه حرصا على الواجب وقياما مخلصا بأعباء العضويــة العــامــلة .

مؤلفاته وبحوثه المنشورة :

اولا ــ المؤلفات : ــ 1 ــ عمدة الصرف 2 ــ اغلاط الكتاب 3 ــ الاساس فى تاريخ الادب العربى (ج 2 بالمشاركة) 4 ــ ديوان الادب (ج 5 بالمشاركــة) 5 ــ تعقيب واستدراكات على ابن جنى والعسكرى والواحدى وعلى تحقيق الدكتور صفاء خلوصى لشرح ابــن جنــى .

ثانيا ــ البحوث : ــ 1 ــ انحطاط العربية فــى العراق اسبابه وعلاجه 2 ــ تحقيق اصول (كليلــة ودمنة) ومصادره 3 ــ سيبويه ومنهجــه النحــوى 4 ــ ابو العباس المبرد 5 ــ الكسائى رئيس مدرسة الكوفة النحوية 6 ــ واضع النحــو الاول واطــوار مناهجه فى المدرسة البصرية 7 ــ الثورة فى شعــر الرصافى 8 ــ ذكريات وجوانب من شاعرية الزهاوى 9 ــ التربية عند ابن سينا ورسالة السياسة (نشــر فى الكتــاب الذهبى للمهرجان الالفى لابــن سينــا) 10 ــ مقدمة واستدراكات على كتاب الادب الرفيع للرصافى 11 ــ قادة الاسلام . هذا الى بحوث اخرى كثيرة منشورة ، فى غير النحو والصرف والادب .

*

دراسات معجمية

نقد الكتب

المورد

قاموس عربي - إنجليزي

تأليف الأستاذ : منير البعلبكي
بقلم الدكتور علي القاسمي

لعل هناك من يقول ان الاوان قد فات على نقد « المورد » لانه مضى على ظهوره بضعة اعوام فقد خرجت طبعته الاولى سنة 1967 . بيد اننا نرى ان من الفروق بين مراجعة الكتب ومراجعة المعاجم هو ان الناقد يستطيع ان يقرأ الكتاب فى جلسة واحدة مثلا ثم يدون ملاحظاته وانطباعاته عنه ، اما ناقد المعجم فلا يستطيع ذلك ، وانما يتأتى حكمه على القاموس من جراء الاستعمال الطويل . على ان هذا لا ينفى ان علم اللغة الحديث قد توصل الى معالم وخصائص لا مندوحة من توفرها فى المعجم الجيد . اضف الى هذا ان للمعجم القيم طبعات تظهر دوريا تتلافى النقص وتستدرك الخطأ وتزيد ما استجد من المفردات والمعانى ؛ وهذا ما حصل فعلا للمورد اذ صدرت طبعتاه الثانية والثالثة المزيدتان والمنقحتان سنتى 1969 و 1971 على التوالى .

لقد جرت العادة على تعريف المعجم بأنه كتاب يحتوى على كلمات اللغة مرتبة ترتيبا الفبائيا مع معانيها فى تلك اللغة (المعجم الاحادى اللغة) او فى لغة اخرى (المعجم الثنائى اللغة) . ولكن هذا التعريف لم يعد يرضى علماء اللغة المعاصرين الذين صاروا يرون فى المعجم دليلا لنحو اللغة ينتظم مورفيماتها التى ترتب الفبائيا ، وتعرف لغويا ، وتصنف حسب الملامح النحوية والاجتماعية ذات العلاقة .

---

(1) اصل المقال باللغة الانكليزية ، وقد نشر فى كتاب Papers Presented to A.A. Hill ed. by : Ali Al-kasimi et al. (Austin, 1971) memographed

ولما كان المورد « معجما عصريا » فانى سأتناوله على ضوء ما يتطلبه علم اللغــة الحــديث فى المعاجم الثنائية اللغة . وستقع ملاحظتى فى ثلاث نواح هى : الغرض ، والمضمون ، والشكل .

الغـــــرض :

يتعين على القاموس الثنائى اللغة العام (ونعنــى بالعام القاموس الذى لم يقتصر على علم بعينه او فن بذاته كمعجم الطب ومعجم الموسيقى) ان يخدم جمهورا معينا اولا ، وان يخصص لغاية واحدة ثانيا فالقاموس الانكليزى العربى مثلا يجب ان يهدف اما الى خدمــة جمهور الناطقين بالعربية او الى افادة جمهور الناطقين بالانكليزية ، ولكن لا يمكن الايفاء باحتياجات الجمهورين على الوجه الامثل فى كتاب واحد. ومن ناحية اخرى فان القاموس الانكليزى العربى المخصص للناطقين بالعربية يجب ان يهدف اساسا اما الى فهم اللغة الانكليزية او الى ادائها ، ولكن يصعب جدا الجمع بين الغايتين فى معجم واحد ، اذ ان متطلبات فهم اللغــة الاجنبيـــة تختلف عن متطلبات التعبير بها . ولهذا فان علم اللغة الحديث يوصى بوجود اربعة انـــواع مـــن المعـــاجم الانكليزية العربيـــة :

المعجم الاول : للعرب لغرض فهم الانكليزية

المعجم الثانى : للعرب لغرض التعبير بالانكليزية

المعجم الثالث : للناطقين بالانكليزية لمساعدتهم على فهم العـــربيـــة .

المعجم الرابع : للناطقين بالانكليزية لمساعدتهم على التعبير بالعـــربيـــة .

ويعـــزى اخفـــاق الكثير من المعاجم المتداولـــة الى ازدواجية الغرض ، اذ يحاول مصنف المعجم الجمـــع بين اكثر من غرض واحد فى القاموس الواحد ، وقد وقع فى هذا الخطأ حتى مؤلفو معجم لاروس الفرنسى الانكليزى ؛ ولعل ذلك راجع لاسباب محض تجارية .

لقد اريد للمورد منذ البداية أن يقتصر على مساعدة « المثقف العربى » فى فهم الانكليزية كمـــا نص على ذلك فى مقدمته . ولهذا فقد جاءت المقدمة ، والارشادات الخاصة باستعمال القاموس ، والمختصرات المعتمدة فى توضيح المفردات باللغة العربية ، اى لغة الذيـــن قصد القاموس الى افادتهم . اما طريقة لفظ الكلمات فقد اقتصرت على المواد لانكليزية وهذا ما يحتاج اليه القارىء العربى ، ولو كان القاموس يعنى بالقارىء الانكليزى مثلا لزوده بطريقة لفظ المواد العربية .

ومن الواضح ايضا ان الغاية التى توخاها المورد هى مساعدة القارىء العـــربى على فهـــم النصوص الانكليزية لا صياغتها ، ولو قصد الغاية الثانية لكان قاموسا عربيا ــ انكليزيا ، بمعنى ان العربية تصبــح العربية تصبح لغة المتن والانكليزية لغـــة الشرح . وهكذا يكون المورد قد تخلص من ازدواجيـــة الغرض التى تعانى منها الاغلبية الساحقة من المعاجم الثنائية اللغـــة . وعندى ان صاحب المورد رمى الى غايـــة رئيسية اخرى لا تقل شأنا عن مساعدة المثقف العربى على فهـــم النصـــوص الانكليزية الا وهى تـــزويـــده « بالمقابل العربى لتلك المادة ، او المصطلح العربى لذلك المعنى » ، فى الحقول العلمية والفنية وبالتالى يوفر عليه « عناء الاجتهاد فى وضعه او صوغه على اى وجـــه تيسر لـــه » .

ب ــ المضمـــون

1 ــ مـــواد المـــورد :

ان محتويات المورد تتناسب واهدافـــه باعتبـــاره معجما عاما ، فقد اشتمل على ما يزيد على سبعين الف مادة وهذا يتفق وما توصل اليه مؤتمر المعجميين الذى انعقد فى جامعة انديانا فى نوفمبر 1960 والذى اوصى بعض اعضائه بما لا يقل عن خمسين الف مـــادة فى المعاجم الثنائية اللغة (2) ولقد اشتمل المـــورد على مواد من كافة فروع المعرفة الانسانية .

ان مواد المورد ليست استنساخا او نقلا لمواد معجم انكليزى ــ عربى سابق له . ففى عملية احصائيـــة بسيطة قام بها كاتب هذه السطور ، وجد ان المورد والقاموس العصرى لالياس انطون الياس (الذى كان

Fred w. Householder and Sol Saporta (eds) Problems in lixicography (Blooningto, Indiana (2 Univ 1967) p. 280

اكثر المعاجم الانكليزية ــ العربية انتشارا فى العالم العربى) يتفقان فى 87 و 48 % من موادهما الرئيسية ويختلفان فى 13 و 51 % منها (3) .

2 ــ اختيار مواد المعجم :

لم يستند اختيار مواد المورد ومعانيها الى جــرد شامل لمفردات اللغة او جمع لكافة الشواهــد كمــا جرى العمل به فى معجمى اوكسفورد وويبستر الدولى مثلا . ولم يستند الى استخدام العقل الالكترونى فى حصر المفردات ومعانيها المتباينة كما هو الحــال فى معجم التراث الامريكى ، لان هاتين الطريقتين همــا فوق طاقة المجهود الفردى ، ووراء الامكانات المادية المتوفرة للناشرين فى البلاد العربية . ان الطريقة التى اعتمدها صاحب المورد فى اختيار مواده تقوم على (أ) اعتماد المعاجم الانكليزية الاحادية اللغة البريطانيـــة منها والامريكية ، وكذلك الاستعانة بالمعاجم الثنائيـــة اللغة المتخصصة كمعجم الحيوان والمعجــم الفلكـــى واضرابهما، (ب) الاستفادة مما تجمع له من مستدركات وملاحظات على المعاجم الانكليزية ــ العربية التـــى كان يستخدمها ابان ممارسته الترجمة لفترة تنيف على الثلاثين عــــاما .

ولم يقتصر اختيار المواد الرئيسية على المفردات بل شمل كافة المورفيمات فى اللغة الانكليزية وهى على ثلاثـــة انـــواع :

(ا) المورفيمات المتصلة او ما يطلـــق عليه اسم « البوادىء » و « اللواحق » التى تطرأ على اوائل الكلمات واواخرهـــا مثل (ly, dis... الخ) .

(ب) الكلمات القائمة بذاتها مثل (boy, happiness الخ) .

(ج) الكلمات المركبة مثل adhesive tape, jack-in the-pulpit) الخ) .

وخطة العمل هذه تنسجم ونظره علم اللغة الحديث الى ما يجب ان تكون عليه مواد المعجم (4) .

3 ــ تـــرتيب المـــواد :

لقد جاء ترتيب المواد الرئيسية ترتيبا الفبائيا وهذا ما جرى به العمل فى معظم المعاجم الانكليزية الحديثة. ولكن المورد ورث عن هذه المعـــاجم ايضا طريقتهـــا المضطربة فى ترتيب التعابير الاصطلاحية وهكذا فانك عند ما تبحث عن تعبير At large فانك تجده تحت Large امـــا اذا كنت تبحـــث عـــن (At last) و (at most) فانك تجدهما تحت At ومثال آخر على هذا الاضطراب هو ادراج تعبيـــر On the contrary تحـــت On امـــا On the cheap فقد جاء تحت كلمـــــة Contrary ، وهكذا دواليك . وتكاد تكون طريقة الترتيب هذه اعتباطية اذ لا يستطيع المستفيث بالمورد ان يعرف مسبقا اين سيعثـــر على التعبيـــر الاصطلاحى الذى يطلبه . واذا كان هناك مـــن يزعم بأن التعبير الاصطلاحى يدرج تحت الجزء الاساسى منه ، فاننا نقول بأنه لا تتوفر الادلة اللغوية التاريخية الشاملة التى تشير الى الجـــزء الاساسى فى التعبير الاصطلاحى . وحتى اذا توفرت تلك الادلة فلا يشترط فى القارىء ان يكون على علم بها . ولهذا فان الطريقة التى نقترحها هنا هى ايراد التعبير الاصطلاحى تحت الاجزاء المكونة له جميعا ، وهكذا فانك ان طلبت تعبير At most تحـــت At وجدته وان طلبته تحـــت Most وجدته ايضا ، وهذا ما يقرنا عليـــه بقيـــة دارسى علم اللغة (5) ، لما فى ذلك من تيسير لجهـــد القارىء وتوفير لوقته رغم ما فيه من زيـــادة فى حجم المعجم يمكن التقليل منها باستخدام الاحالة ما امكن ذلك

4 ــ تهجئـــة المـــواد :

يحصل احيانا ان يكون للكلمة الانكليزية الواحدة اكثر من رسم واحد ، اما نتيجة دخولها الى الانكليزية مرتين من مصدرين مختلفين كاللاتينية والفرنسية مثلا، او ان الرسم الثانى جاء ضمن محاولات اصلاح الخط الانكليزى وتبسيطه . وقد عنى المورد بايراد الرسمين المختلفين للمادة فى سطر واحد اذا كان الفرق طفيفـــا بيـــن الـــرسميـــن مثـــل : (color or colour)

---

(3) شملت المقارنـــة الاحصائيـــة جميـــع المـــواد الواقعـــة بيـــن H و (Hair) وكذلك تلك المواد الواقعة بين (Ri) و (Ril) ، فوجد ان هناك 9191 مادة مشتركة بين المعجمين بينما اشتمل المورد على 58 مادة اغفلها العصرى كما اورد العصرى 38 مادة اهملها المـــورد .

(4) Swanson (1967 : 64-5

(5) Householder 1967 : 279

مبتدئا بالرسم الاقوى او الاكثر شيوعا . اما اذا كان البون شاسعا بين الرسمين فانه يدخلهما فى موضعيهما الطبيعيين فى الترتيب الالفبائى مردفا الرسم الاقل شيوعا باحالة عارضة مثل (Thru: through)

5 ــ الواصلة فى الخط الانكليزى (ــ) :

لا تسمح قواعد الخط العربى بتقطيع الكلمة فى نهاية السطر عند الضرورة خلافا لما هو عليه الامر بالنسبة للانكليزية ، اذ من الممكن تقسيم الكلمة فى نهاية السطر المكتوب او المطبوع وذلك باستعمال واصلة صغيرة (ــ) فى مواضع محددة من الكلمة لا يمكن لدارس الانكليزية الاجنبى ، وحتى الناطقين بالانكليزية احيانا ، التكهن بها لانها لا تتفق دواما مع مواضع تقطيع الكلمة طبقا للفظها . ولهذا فان جل المعاجم الانكليزية يشير الى مواضع تقسيم الكلمة طبقا لتقاليد الخط الانكليزى . الا ان المورد اغفل ذلك (6) ولا تثريب عليه اذ ان غرضه هو مساعدة القارىء العربى على فهم الانكليزية لا التعبير بها كما اسلفنا . اما اذا اريد للمورد ان يكون « معلما للغة الانكليزية يستعين به من شاء الكتابة بهذه اللغة » . فحرى به ان يعنى بهذا المطلب على ضآلته ، ولن يؤدى تحقيق ذلك الى تضخم المعجم . (قارن مثلا بين شكلى مادة color و co. lor حيث تشير النقطة فى الشكل الثانى الى الموضع الذى يمكن عنده تقطيع الكلمة فى نهاية السطر) .

6 ــ طريقة اللفظ :

يتعين على المعجم الثنائى اللغة الجيد ان يقدم وصفا حيا موضحا بالامثلة للنظام الصوتى الذى تتميز به اللغة الاجنبية ، منبها الى التباين بين فونيمات (7) اللغة القومية وفونيمات اللغة الاجنبية ، والى الفروق فى تنغيم جملها ، والى الاختلاف فى نبر كلماتها .

كما يجب على المعجم ان يتبنى رموزا فونيمية يعيد بها كتابة المواد الرئيسية والشواهد الموضحة لها ليبين طريقة لفظها . والمعاجم الانكليزية العربية التي سبقت المورد ، سواءكانت عربية ام اجنبية (8) ، لم تأخذ بشىء من هذا على الاطلاق ، وبعبارة اخرى انها احجمت عن مساعدة القارىء على نطق اللغة الاجنبية بصورة مقبولة . اما المورد فهو اول معجم انكليزى ــ عربى يشتمل على معلومات فونولوجية ، بيد انها ــ مع الأسف ــ قاصرة عن مساعدة القارىء بالشكل الا مثل . فالمورد يخلو من مقدمة تتناول النظام الصوتى للغة الانكليزية ، ولم تبين فيه طريقة لفظ الشواهد . كل ما تدمه القاموس هو لفظ المادة مع تبيان النبر ، واسبق ذلك بمفتاح اللفظ ، ولنا مآخذ عليهما . فلقد اقتبس المورد الرموز الصوتية المستعملة فى معجم وبستر الدولى التى وضعت للناطقين بالانكليزية ، ولكنها ولا ريب تشكل صعوبة للطالب العربى الذى يدرس الانكليزية كلغة اجنبية بسبب تشابه رموزها. فالحرف a مثلا يظهر فى رموز خمسة حروف صائتة أو مدغمة مختلفة هى : a, à, â, ä, α والحرف a يستخدم فى رموز ثمانية اصوات متباينة هى : c. o, ô, œ, oi oo, oo, ou وهكذا . وهذا فيه شىء من الارتباك ، واهمال للمبدأ اللغوى المعروف الذى ينص على ان يقتصر كل رمز على صوت واحد ، وان لا يمثل الصوت الواحد بأكثر من رمز واحد . وكان يمكن تفادى هذه الصعوبة لو تبنى المورد احد انظمة الرموز المعروفة كنظام جمعية علماء الصوت الدولية .

ومعروف ان المقصود من مفتاح اللفظ هو ان يقرن كل رمز بكلمة بسيطة شائعة يظهر فيها الصوت المقصود بكل وضوح ، وهكذا يستطيع القارىء ان يتخذها اساسا يقيس على نحوها بقية الكلمات التى يظهر فى طريقة لفظها الرمز نفسه . فلو قلنا مثلا :

/I:/ eat, read, see

---

(6) ومن الظريف ان المورد قد ترجم الاسم Hyphen بما يأتى :
« الواصلة : خط قصير (ــ) بين جزئى الكلمة المركبة ، او اجزاء كلمة مقسمة ، لتوضيح طريقة النطق بها » . ونقترح اضافة عبارة « او كتابتها » الى التعريف ، وهذا مدار بحثنا هنا .

(7) الفونيمة هى اصغر وحدات الكلام القادرة على تمييز نطق لفظة ما عن نطق لفظة اخرى لما تسببه من فرق فى المعنى .

(8) قارن مثلا قواميس سعادة « بيروت » ، اليـاس « القاهرة » ، باجر « لندن » ورتابت « نيويورك » .

عرف القارىء ان الرمز / I: / يلفظ كما يلفظ الحرف الصائت الذى تحته خط فى الكلمات الثلاث المعروف نطقها لديه لسهولتها وشيوعها .

اما مفتاح اللفظ فى المورد فقد اتسم ببعض الصعوبة ، ولم تستطع الكثير من كلماته القيام بدور المثل الموضح . فقد ورد فيه مثلا : â aware

à à bas, apéritif

فاى الحرفين الصائتين المختلفى النطق فى كلمة (aware) كان المقصود مثلا للرمز â ؟ وكيف يتسنى لمتعلم الانكليزية العراقى او السعودى حزر نطق الصوت المقصود فى التعبير الفرنسى . à bas

لقد اشتمل مفتاح اللفظ الذى ظهر فى المورد على عدد من الامثلة الرئيسية يتطلب من القارىء الماما بالفرنسية او الالمانية ، لعمرى انه ايسر على القارىء شراء اسطوانة تحتوى على الامثلة الموضحة وترفق مع المورد من ان يتعلم الفرنسية والالمانية قبل استعمال هذا القاموس !

لقد دلت التجارب فى حقل دراسة اللغات الاجنبية ان خير نظام يمكن استخدامه فى توضيح طريقة النطق هو نظام (فونيمى) من حيث الاساس مع قليل من التعديلات (الفونية) كلما دعت الضرورة الى ذلك او كلما خشى ان يقع القارىء فى خطأ جسيم .

نعود الى القول بأن المعلومات الخاصة بطريقة اللفظ الواردة فى هذ المعجم تعد كافية لان الغاية هى تيسير فهم النصوص الانكليزية لا اداء الجمل الانكليزية بكل ما تحتاجه من تنغيم ونبر واصوات . اما اذا توخينا فى المورد اداة معينة على التعبير الشفهى فان معلوماته (الفونولوجية) ستكون مقصره عن اداء مهمتها على الوجه الامثل .

7 — تاريخ تطور الكلمات :

ينفرد المورد بين القواميس الانكليزية — العربية التى سبقته فى تقديم شىء من المعلومات التاريخية المفيدة . فهو يشير الى اللغة التى دخلت منها او عن طريقها بعض المواد فيخبرنا مثلا بأن الكلمات الانكليزية « الادميرال ، الكيمياء ، الكحول ، الجبر ، السكر الصفر ، الخ » قد دخلت الانكليزية من اللغة العربية او عن طريقها ، وتكمن فائدة هذه المعلومات فى تيسيرها حفظ المفردات الانكليزية او معانيها للقارىء العربى الذى يقرنها بأصلها العربى . ويبدو ان الاستاذ البعلبكى ينوى ان يتوسع فى تقديم المعلومات التاريخية بحيث تشمل فى الطبعات المقبلة كافة مواد المعجم ، ولكننى هنا اتساءل عن اهمية ذلك للقارىء العام الذى لا يستطيع بطبيعة الحال التمييز بين المفردات ذات الاصول اللاتينية او الاسكندنانية او الانكلوسكسونية، فهذه التفاصيل ليست ذات قيمة تذكر بالنسبة له . ولقد دلت الاستفتاءات الاحصائية التى جرت بين طلبة الكليات فى الولايات المتحدة نفسها ان النزر القليل منهم يستخدم المعجم للاطلاع على اصل الكلمة او تاريخها (9)

اما اذا قيل لنا ان هذه المعلومات لا مندوحة عنها للمتخصصين فى الدراسات الايتيمولوجية فلا يسعنا الا ان نقول بأن هؤلاء المتخصصين لا يستخدمون قاموسا عاما كالمورد بل يلجأون عادة الى معجم متخصص يشتمل على معلومات اوفى واشمل . اننا نتمنى على الاستاذ البعلبكى ان يقتصر على المعلومات التاريخية ذات الصلة باللغة العربية لمنفعتها التى نوهنا بها ، ويدخر السطور التى تستغرقها المعلومات التاريخية الشاملة لتزويد القارىء بمعرفة اكثر نفعا وفائدة عملية كالمعلومات الصرفية مثلا .

8 — المعلومات الصرفية :

ان الترتيب الالفبائى المتبع فى المعاجم الانكليزية والاوربية بصورة عامة فى الوقت الحاضر لا يتيح للقارىء الاطلاع على العلاقة القائمة بين الكلمة موضوع البحث والمفردات المشتقة منها او المتصلة بها صرفيا . واخذ علماء اللغة المهتمون بالدراسات المعجمية يبحثون عن وسيلة تمكن القارىء من معرفة الروابط القائمة بين المفردات حتى أن البعض منهم اقترح جديا اعتماد الترتيب القائم على جذر الكلمات كما هو الحال فى اغلبية المعاجم العربية . وحتى الطبعة

(9) Barnhart «Problems in editing commercial monolingual dictionaries» in Householder & Saporta, pp. 162-163

الاولى لمعجم الاكاديمية الفرنسية الصادر عام 1694 كانت قد اتخذت جذر الكلمة اساسا لترتيب المواد. وتعود اهمية معرفة العلاقة بين الكلمات المشتقة عن اصل واحد الى ما يؤكده علماء النفس حول طبيعة عمل الدماغ وتيلمه بتصنيف المعلومات وضمها الى نظائرها بحيث يسهل على الفرد حفظ الكلمة مثلا اذا كان قد تعلم من قبل احد المشتقات المتصلة بها وكان المعرفة السابقة تسرى الى المواقف الجديدة . ومن الوسائل التى يوصى بها علماء النفس لتسهيل التعلم والاسراع به هو قيام الفرد بربط المادة الجديدة بمادة سبق ان تعلمها (10) .

وكان استاذنا البروفسور (ارجبولد ازهل) ، احد كبار علماء اللغة فى الولايات المتحدة ، قد نبه قبل ربع قرن تقريبا الى ضرورة اهتمام المعاجم بالمعلومات الصرفية واقترح ان تردف المادة بكتابة حرفية فكلمة Unlikely مثلا تردف بـ (un/like/ly) وبذلك يسهل على القارىء معرفة علاقة الكلمة بجذرها (like) وبضدها (unlike) فاذا كان قد مر بأحدهما سابقا فانه يسهل عليه تعلم الكلمة الجديدة (11) . ورغم ان ايا من المعاجم الانكليزية لم يأخذ بهذا الإقتراح (12) فان علماء اللغة عادوا مؤخرا اليه مطالبين المعجميين بتطبيقه (13) .

ولما كان المورد ادة لفهم اللغة الانكليزية فحرى به ان يوجه اهتماما خاصا الى الروابط الاشتقاقية بين المفردات ، ويكون رائدا فى تطبيق الوسيلة التى اقترحها البرفسور (هل) فى طبعاته المقبلة .

9 — المعاني والترجمة :

اشق المهام التى يضطلع بها المعجم الثنائى اللغة هى ايجاد المرادفات المضبوطة فى اللغة القومية لمعانى المادة الاجنبية . ولقد حقق المورد نجاحا ملحوظا فى هذا الباب يستحق عليه كل ثناء وتقدير . فقد امتازت بـ (أ) دقة الترجمة ، (ب) ارداف المقابل العربى بالشرح كلما دعت الحاجة الى ذلك ، (ج) تجنب كيل المرادفات العربية للمعنى الواحد من دون ضرورة وهذا عيب تعانى به كثير من القواميس الثنائية اللغة (14) (د) تقديم معانى المادة بشكل منسق ميسر ، (هـ) توجيه الاهتمام اللائق بالتعابير الاصطلاحية ، وغيرها من الانجازات الثمينة بالاعجاب ونود ان نتناول هنا بالمناقشة بعض جوانب هذا الموضوع :

١ — ترتيب المعاني :

من المعروف ان المعجم الاحادى اللغة يتبع احدى الطرق الثلاث التالية فى ترتيب معانى المادة : (1) الترتيب التاريخى ، وبمقتضاه ترتب المعانى طبقا لزمن ظهورها فى اللغة ، كما هو متبع مثلا فى معجم اوكسفورد ، (2) الترتيب الاحصائى وبموجبه ترتب معانى المادة وانواعها الصرفية (من اسم ونعل ونعت .. الخ) تبعا لشيوع استعمالها وتكررها فى اللغة كما تدل على ذلك الاحصائيات الخاصة بالمفردات ، وهذه هى الطريقة المتبعة فى معجم (راندم هاوس) الامريكى و (3) الترتيب التركيبى ويعتمد على العلاقة بين المعانى ، بحيث تلى المعانى بعضها بعضا طبقا للعلاقة التولدية منها ، وهذا هو الترتيب الذى حاول انجازه اصحاب معجم التراث الامريكى .

اما الاستاذ البعلبكى فقد اعتمد التسلسل التاريخى اساسا لترتيب المعانى وهو بذلك ينحو منحى معجم وبستر الدولى الثالث ومعجم اكسفورد . وهذا الترتيب ذو اهمية بالغة للمختص المهتم بتطور معانى المفردات وتغيرها بمرور الزمن . ولكننا نتساءل اذا كان هذا الترتيب يصلح لمعجم ثنائى اللغة صنف لعامة القراء.

---

(10) Georges A. Miller, Language and communication (New York: Me Graw Hill 1963), p. 212

(11) Archibad A. Hill «The Use of Dictionaries in Language Teaching» Language Learning, I (1948), p. 10

(12) يعزى ذلك على ما نظن الى عدم تكامل الدراسات المورفولوجية الانكليزية آنذاك .

(13) Householder 1967: 281

(14) انظر معانى كلمات Lick, Heart, Camel فى قاموسى باجر والياس وقارنها بالمورد .

فالمثقف العربى يقرأ عادة نصا انكليزيا معاصرا او حديثا تستخدم فيه المفردات بمعانيها المتداولة حاليا، وعند ما يصطدم بكلمة لا يستطيع ان يستخلص معناها من فحوى النص فانه سيلجأ الى معجم انكليزى — عربى ، وحين تتهلل اساريره عند عثوره على المادة التى ينشدها يكتشف فجأة ان المعنى الاول لا ينسجم وروح المعنى الذى يقرأ اذ انه معنى « ممات » فينتقل الى المعنى الثانى ولكنه يصاب بخيبة امل اخرى لان هذا المعنى « قديم » فيحول نظره الى المعنى الثالث واذا به معنى « نادر الاستعمال » ، وهكذا حتى يصل الى المعنى المنشود فى آخر القائمة . اليس من الافضل ان نقدم اولا المعنى الذى يحتمل ان يطلبه معظم القراء ؟ صحيح اننا سنضحى بالتسلسل التاريخى وهو بحد ذاته معرفة لغوية ، ولكننا من ناحية اخرى نعمل وفقا للضرورات العملية ونيسر مهمة الذين يستعملون المعجم ، اننا نعتقد بأن الترتيب الاحصائى هو الذى ينبغى ان يتبع فى المعاجم الثنائية اللغة ما دام هذا الترتيب لا يفصل بين المعانى المتصلة (15) .

ب — الشواهد الموضحة :

نعنى بالشاهد هنا اية جملة او عبارة توضح استعمال الكلمة او التعبير الاصطلاحى وترمى الشواهد الى عدة اهداف منها : اثبات ورود الكلمة فى اللغة ، وتبيان ابعاد المعنى وظلاله ، وتوضيح سلوك المفردات الصرفى والاعرابى ، وتبسيط قيمتها الاسلوبية وكان المعجميون العرب روادا فى استخدام الشواهد منذ ظهور « العين » للخليل بن احمد الفراهيدى بينما كان على التقليد المعجمى الانكليزى ان ينتظر فى هذا المضمار حتى عام 1755 حين نشر الدكتور (جنسن) معجمه الشهير . وتختلف الشواهد من معجم الى آخر فمنها ما هو اصيل منقول اقتبس من كتاب او خطاب ومنها ما هو موضوع الفه مصنف المعجم التماسا للايجاز وتوخيا للتبسيط . والشواهد الاصلية اما ان تكون مؤرخة ومسندة لقائلها والمصدر الذى نقلت عنه واما ان تكون مبهمة اى حذف اسم القائل والمصدر والتاريخ اقتصادا فى الحجم . ولكل صنف من اصناف الشواهد هذه حسناته وسيئاته ولكن معظم علماء اللغة يتفقون على ان استخدام الشواهد ايا كان نوعها لا غنى عنه فى المعجم الجيد ، ويوصون بأن تردف كل مادة وكل معنى من معانيها بشاهد واحد على الاقل .

ويعد المورد بحق رائدا بين المعاجم الانكليزية العربية فى استخدام الشواهد لتوضيح معنى المادة او سلوكها الاعرابى . ولكن عدد هذه الامثلة اقل مما كنا نأمل . ورغم ان مقدمة المورد ذكرت بأن المدلولات فى « اكثر مواد المورد » قد اردفت بأمثلة توضيحية فان دراسة احصائية قام بها كاتب هذه السطور دلت على ان نسبة ضئيلة من المعانى فقط (70 ر 14 %) نالت نصيبها من الشواهد (16) .

ان الاتجاه الذى تبناه المورد فى ضرب الشواهد يجب ان يعزز فى الطبعات المقبلة بحيث يكون الهدف تخصيص شاهد واحد على الاقل لكل معنى من معانى المادة (17) .

جـ — استعمال الصور :

نعنى بالصور ، هنا ، كافة التوضيحات البصرية التى يمكن ان تظهر على صفحات الكتاب ، مثل الرسوم

---

(15) Hill 1970 : 256-8

(16) لقد احصينا عدد المواد ومعانى كل مادة وشواهدها فى ثلاث صفحات اختيرت بصورة عشوائية ثم اعيدت العملية ذاتها على صفحات اخرى مرتين فكانت النتائج متقاربة والصفحات الثلاث الاولى هى:

رقم الصفحة	عدد المواد	عدد المعانى	عدد الشواهد
268	56	98	20
673	45	84	14
988	57	109	9
المجموع	158	291	43

(17) ان معجم كلاريتى للهجة العراقية مثلا على المعاجم الثنائية اللغة التى تخصص شاهدا واحدا على الاقل لكل معنى .

والصور الفوتغرافية والخرائط وما شاكلها . والمعجم الجيد يحاول الافادة من الصور قدر الامكان فى توضيح المعانى وهذا ما فعله المورد . ولكى تستخدم الصور بصورة فعالة وهادفة فى المعجم ينبغى مراعاة ما ياتى :

1 — يجب ان تكون الصورة واضحة مفهومة وان تكون الاجزاء المعنية بارزة ، ويتم عادة توجيه الاهتمام للجزء المعنى بوسائل كثيرة مثل تظليلـه او تعميـق حدوده ، او الاشارة اليه بسهم ، او وضعه فى قلب الصوره او فى الجهة اليمنى من الجزء الاعلى وهلم جرا.

2 — يجب ان تعنون كل صورة ، والا قد يخطىء القارىء فيعتبرها صورة لمادة مجاورة او معنى آخر. ويلاحظ ان كافة صور « المورد » معنونة .

3 — ينبغى الاشارة تحت الصورة الى حجم او ارتفاع الشىء المرسوم ، وهذا ما اغفله « المورد ».

4 — ينبغى ان يهدف اختيار الصور الى توضيح الحضارة المادية للناطقين باللغة الاجنبية بما فيها من ازياء ، وفن عمارة ، وآلات ، وحيوانات ، وغيرها . وعلى هذا فان وضع صورة كنيسة او كاتدرائية فى معجم ثنائى اللغة مخصص للعرب امر مفيد ، ولكن صورة لمسجد فى ذلك المعجم تعد زائدة بـل مضيعـة للفراغ ما دام المقابل العربى قادرا على ايصال المعنى المقصود للقارىء ، ولكن من الغريب ان يتصرف «المورد» فى هذا المجال وكأنه لم يحدد الهدف مسبقا ، فنجد فيه مثلا صورا لكلمتى مسجد ومنارة ، ولكنه يخلو مـن صورة لكنيسة ، كما نجد فيه صورا لغزال وقرد دون ان تكون هناك صورة لطويل القرن مثلا (وهو مـن الحيوانات المعروفة فى جنوب الولايات المتحدة) (19). على اننا يجب ان نلاحظ بأن اسما ما قد يكون مشتركا بين الحضارة القومية والحضارة الاجنبية ومـع ذلك فالحاجة تدعو الى صورة توضح استعمالا لم يالفه القارىء من قبل . فقلما يفكر العربى مثلا بوجود صنف آخر من الجمال له سنامان وهكذا تكون صورة للجمل ذى السنامين مفيدة فى معجم مخصص للعرب .

10 — المعلـومـات النحـويـة :

يمكن تقديم المعلومات النحوية بطريقتين متكاملتين، هما مقدمة نحوية تلقى الضوء على قواعـد اللغـة الاجنبية فى اول المعجم ، ثم تصنيف المواد طبقا للانواع الاعرابية التى تم وصفها فى المقدمة النحوية . ومـن المؤسف ان « المورد » يخلو من مقدمة فى نحو اللغة الانكليزية يصرح فيها بدقة عما يعنيه بالانواع الصرفية التى استخدمها فى تصنيف مواد المعجم . فمصطلحـا « الاسم » او « الحال » مثلا يختلف مدلولهمـا مـن مدرسة نحوية الى اخرى . واذا كانت المصطلحات فيه قد استعملت بمفهومها التقليدى فانها والحالة هـذه ليست قادرة على مساعدة القارىء على « الكتابـة باللغة الاجنبية » فهى ناقصة من عدة وجـوه واليك بعض الامثلة على ذلك :

أ — يشير المورد الى الاسماء ولكنه لا يميز بين الاسماء المعدودة والاسماء غير المعدوده . ويلاحظ هنا ان معجـم The Advanced Learners Dictionary الذى ورد اسمه فى عداد مصادر « المورد » يعمـد الى التفريق بين الاسماء المعـدودة والاسمـاء غير المعدودة . وهناك اصناف اخرى من الاسماء يتعين على المعجم الجيد الاشارة اليهـا مثـل اسم الجنـس ، والاسماء المنتهية بـ ies وغيرهـا ، اذ ان هـذه الاصناف لا تتفق فى سلوكها الاعرابى .

ب — يشير المورد الى الافعال ويفرق بين المتعدية منها واللازمة ولكنه اغفل صنفا ثالثا من الافعـال لم يتنبه له النحو الانكليزى التقليدى الا وهو الفعل المتعدى الذى يأخذ مفعولين ، وكذلك الفعل المتعدى الذى يأخذ مفعولا وتكملة ، مثلا قارن بين الفعلـين التـاليـيـن : Saddled the horse

Saddled him with responsibilities

فالتكملـة with responsibilities او مـا شابهها ضرورية مع الفعل الثانـى لا الاول . وطبعا يتعين على القاموس الجيد ان يفرق كذلك بين الافعال

(19) لعل نتيجة لتاثير معجم وبستر على المورد ، فقد اشتمل وبستر مثلا على صور المسجد والمنـارة لانها غريبة على حضارة القراء الامريكيين ولكنه خلا من صورة لطويل القرن المعروف لديهم .

التى يكون مفعولها انسانا او حيوانا وتلك التى يكون مفعولها جمادا .

جـ ــ يشير المورد الى النعت ، ولكنه يهمل ثلاثـــة قضايا هامة تتعلق به هى :

1 ــ صيغ المقارنة : ينبغى التمييز بين الصفــات التى تصاغ صيغ المقارنة منها باضافة est و er وتلك التى تحتاج الى more و Most والصنف الثالث الذى يشذ عنهما .

2 ــ موقع الصفة من الموصوف : فى اللغة الانجليزية صفات تسبق الموصوف دائما مثل late بمعنى المرحوم فـــى عبـــارة the late president وصنفا آخــر من الصفات يلى الموصوف فقط مثل late بمعنى متأخر the president is late والصنف الثـــالث يصــح ان يسبق الموصوف او يلحقه مثل happy فـــى the happy boy او the boy is happy

فالمعجم الذى يصنف كلمة happy بأنها «صفة» ويســم كلمـــة content التى تحمل المدلول نفسه تقريبا بعبارة « صفة » ايضا ، يكون قد اوهم القارىء بأن استعمالهما الاعرابى واحد ، وقد يقوده الى كتابة العبارة الخاطئـــة the content boy لان القـــارىء العربى لا يستطيع التكهن بطبيعة النعت هذه اذا اراد استعماله ، لذا فانه يتوجب على المعجم الجيـــد ان يشير اليهـــا .

3 ــ ترتيب الصفات : اذا وردت عدة صفات فى الجملة الانكليزية فانها تتبع ترتيبا لا تحيد عنه ، فلكل صفة موقعها الثابت فى الجملة الاسمية ، ويصنفهـــا البرفسور (هل) حسب قربها من الاسم ويعطى لكـــل صفة رقما كما فى مثله الآتى :

الاسم 1 ــ 2 ــ 3 ــ 4 ــ 5 ــ 6
all the ten fine old stonehouses

ولا يجوز تغير مواقع هذه الصفات فلا يمكنك ان تقـــول مثـــلا Stone old houses الا اذا غـــيرت تنغيم الجملة (20) . وهكذا يتعين على المعجم الجيد الا يكتفى بالقول ان هذه المادة او تلك صفة بل يجب ان يعطيها رقما شرح مدلوله فى مقدمته النحوية لمساعدة القارىء على معرفة موقع تلك الصفة .

4 ــ ينص « المورد » على الحال ولكنه لم يبين فيما اذا كان الحال هذا يقيد معنى الفعل well done, fast او معـــنى الصفـــات والظـــروف disappearine او معنى الجملة مثل very good, very slowly (usually it works)

لقد اوردنا هذه المعلومات النحوية التى اغفلهـــا « المورد » على سبيل المثـــال لا الحصر . ونـــرى ان «المورد» معذور فى ذلك لانه قاموس اريد به ــ من حيث الاساس ــ مساعدة القارىء على فهم النصوص الانجليزية وليس على كتابتها ، ومعجما هذا شأنه لا يتحتم عليه العناية بالتفاصيل النحوية التى ذكرنا .

11 ــ مستـــويـــات الاستعمـــال :

تدل ابحاث علم اللغة الاجتماعى الحديث على ان اللغة تؤدى وظيفتها الاجتماعية على مستويات متعددة، وان كلا من هذه المستويات يؤثر فى اختيار تراكيب اللغة المستعملة ومفرداتها . وقد اعتادت المعاجم الانكليزية الاحادية اللغة على الاشارة الى ان المـــادة او احـــد معانيها مماته او قديمة او نادرة الاستعمال او عامية، وهذا ما تبناه المورد . كما واخذت بعض المعاجم الثنائية اللغة تتوسع فى هذا الباب خاصة اذا كانت تهـــدف الى مساعدة القارىء على التعبير باللغـــة الاجنبيـــة فصارت تشير اذا كان استعمال المادة او احد معانيها ادبيا او رسميا او بين الاصدقاء او مؤدبا او سوقيا ، او لا يمكن التفوه بها امام النساء ، الى آخر ذلك من ضروب الاستعمال التى تساعد القارىء على اختيـــار اللفظة اللائقة بالظرف المناسب .

واذا كان المورد لم يتوسع فى هذا الباب فانه قد برز فى ميزة اخرى تعد فى منتهى الاهمية للمثقف العربـــى تلك هى استعماله للرموز التى تشير الى العلم او الفن الذى تندرج تحته المادة او احد معانيها ، وقد بـــذل الاستاذ البعلبكى فى تحقيق ذلك جهدا لا يتأتى للجنـــة مـــن العلمـــاء .

---

(20) Hill 1958 : 176

12 ـ المـواد المـوسوعيـة :

نعنى بالمواد الموسوعية اسماء الاعلام وما جرى على شاكلتها كأسماء الاماكن والمدن والمواقع المشهورة والاعمال الادبية الكبرى الخ . والخلاف فى الراى بين علماء اللغة من جهة والمعجميين والناشرين من جهة اخرى حول ادخال المواد الموسوعية ليس مقامهـا القاموس وانما الموسوعة او الاطلس او غير ذلك من المصادر . اما التقليد المعجمى فقد جرى على ادراجها فى القواميس ، ويرحب الناشرون فى ذلك لما يلمسونه من اقبال القراء على المعاجم التى تتوسع فى المـواد الموسوعية . وعند ما اضطر محرر معجم وبستر الدولى الثالث ، الدكتور كوف Philip Gove ان يتخذ قرارا باسقاط المواد الموسوعية من معجمه لافساح المجال للمصطلحات العلمية والتقنية الجديدة عـرض نفسه لحملة شديدة من الصحافة والنقاد والمدرسين والمكتبيين والمدافعين عن المستهلكين وغيرهم (21) . واذا كـان تضمين المواد الموسوعية فى المعجم الاحادى اللغـة مختلف فيه ، فاننا نرى انه لا مناص منـه فى المعجم الثنائى اللغة لان هذه المواد تشكل جزءا رئيسيـا فى حضارة الناطقين باللغة الاجنبية والتى يجهلها القارىء تماما ويحتاج الى مساعدة قاموسه الثنائى اللغة حتما والا فنحن نجشمه لمشقة مراجعة اكثر من مرجع واحد اثناء قراءته النص الاجنبى ، ولا تنحصر اهمية المواد الموسوعية فى قيمتها الحضارية فحسب ، وانما هى ضرورية فى المعجم الثنائى اللغة لاختلاف نطق كثير من الاسماء وكتابتها من لغة الى اخرى ، فاذا كان الطالب العربى الذى يقرأ نصا انكليزيا يستطيع ان يفهم بأن Rabat هى مدينة الرباط ، فانه قد لا يعـرف بأن the Hague تعنى مدينة لاهاى وانه سيلجأ حتما الى قاموسه الانكليزى العربى . وهكذا يكون ادراج هـذا الاسم فى المعجم الثنائى اللغة مسألة لغويـة وليست قضية جغرافية او موسوعية كما هو الحال بالنسبـة للمعجم الا حادى اللغـة .

لقد ابعد « المورد » كافة المواد الموسوعية ، امـا لتأثره البالغ بمعجم وبستر الدولى الثالث او اختصارا فى الحجم . ونحن نتمنى على الاستاذ البعلبكى ان يعيد النظر بموقفه هذا من المواد الموسوعية فى الطبعـات المقبلة من مورده .

13 ـ المقـدمـات والمـلاحـق :

اشتملت مقدمات المورد على (1) تصدير اوضـح كيف تم تأليف المورد والغاية التى يتوخاها والاسلوب الذى يسلكه فى تحقيق اغراضه و (2) ارشادات عامة تعين على كيفية استخدام المعجم و (3) مفتاح اللفظ و (4) المختصرات المعتمدة و (5) ثبت المراجع ، وكنا قد اشرنا الى انه يخلو من مقدمة فى نحو اللغة الانجليزية ونظامها الصوتى والمحنا الى اهمية مثل هذه المقدمة .

اما الملاحق فلا يوجد فى المورد منها شىء . وكنـا نتمنى لو انه اشتمل على بعض الملاحق المفيدة كملحق بالاسماء الشخصية الانكليزية مبينا لفظها وجنسها ، وملحق بصيغ مخاطبة المسؤولين على اختلاف رتبهم ، وملحق بالمختصرات المعتمدة فى اللغـة الانجليزيـة ، وملحق بالاوزان والمقاييس وما يقابلها فى العربية ، وغير ذلك مما قد يحتاجه القارىء العربى .

جـ ـ الشـكـل :

لا شك ان المورد هو من اجمل المعاجم العالميـة شكلا واكثرها جاذبية ومن اجودها ورقا فصفحاتـه كبيرة ومواده مرتبة بشكل مريح للنظر تمتاز طباعتها بالاتقان والعناية ، فقد نضدت المواد الانكليزية بحروف ثخينة تسهل على القارىء العثور عليها . وقد ظهر فى الطبعتين الاخيرتين منه مفتاح اللفظ فى اسفل كل صفحة مما ييسر على القارىء التوصل الى معرفة لفظ الكلمة.

الخـلاصـة :

وخلاصة القول ان المورد كان رائدا بـين المعـاجم الانكليزية العربية فى تطبيق بعض مبادىء علم اللغـة الحديث ، غير انه لم يستطع الخروج عـن التقليـد المعجمى الذى لا زال يعانى من بعض النقـص هنـا وهناك . ونقولها بكل فخر ان المورد هو احسن معجم ثنائى اللغة صنفه عربى لخدمة العرب فخصاله الحميدة كثيرة : مواد وفيرة تعنـى بصورة خاصـة بالتعابير

(21) وانك لواجد شيئا من المناقشات حول هذه النقطة فى كتاب استاذنا جيمس سلد .
James Sled, Dictionaries and That Dictionary

الاصطلاحية والمصطلحات العلمية الحديثة ، دقة فى اختيار المقابل العربى ، ادخال الرمـــوز الدالـــة على طريقة اللفظ وكذلك الشواهد التوضيحية لاول مرة فى عالم المعاجم الانكليزية العربية ، وتنقيـــح الطبعـــات الجديدة وتطويرها . ولكنه من ناحية اخرى يعانى من الرموز المعقدة التى اختارها لتبيان طريقـــة اللفظ ، وقلة الشواهد التوضيحيـــة نسبيا ، وعـــدم تقطيـــع الكلمات ، وغياب المواد الموسوعية ، ونقص الملاحق المفيدة . واذا تدارك المورد هذه القضايا فى طبعاتـــه المقبلة فلا تبقى هناك حاجة به للاستشهاد بقول المعجمى الانكليزى الشهير الدكتور جنسن : « يتوق كل من يؤلف كتابا الى المديح . اما مـــن يصنف قاموسا فحسبه ان ينجو من اللـــوم » .

(على القاسمى — الرباط)

المصادر التـــى ورد ذكـــرهـــا

1 - Hill, Archibald A. «The use of dictionnaries in Language teaching,» **Language Learning** 1 (Oct. 1948) 9-13.

2 - **Introduction to Linguistic Structures.** (New york : Harcourt, Brace & Wold Inc., 1958)

3 - «Laymen, Lexicographers and linguists,» **Language** 46 (1970) 245-58.

4 - Householder, Fred W. and Sol Sapor, eds. **Problems in Lexicography** (Bloomington. Indiana University, 196

5 - Sledd, James and Wilma R. Ebitt, eds. **Dictic- naries and That Dictionary** (Chicago : Scott, Foresman and Co., 1962).

6 - Yorkey, Richard. «Which desk dictionary is best for foreign stude nts of English ?» **Tesol** Quarterly 3 : 3 (Sept. 1969) 257-70.

— —

*

المنجد

« المنجد » معجم عربى حديث الفه الاب اليسوعى لويس معلوف وما زالت طبعاته تتوالى ، وما زال النقد يتهاوى عليه من كل جانب للاسباب الآتية :

1 — لاخذه بالاضعف من لغات العرب . وكثرة اخطائه وتوافر غلطاته .

2 — عدم تحريه العلمى بالشرح .

3 — عدم الدقة فى التعريف .

4 — نشر كل ما يسىء الى العرب فى تاريخهم وسمعتهم واخلاقهم ورجالهم .

5 — لسع كل ما له علاقة بالدين الاسلامى .

6 — اهمال كل امجاد المسلمين

7 — ابراز كل ما له علاقة بالنصرانية ولو على باطل احيانا .

8 — ابراز اليهودية دينا واثرا وكتابا وتاريخا .

9 — اهماله تصحيح ما اشير عليه به لصحته اللغوية او دقته العلمية والتاريخية والدينية .

10 — وكأنه بهذا يثير احقادا طائفية ويفسد على الناشئة لغتها وعقيدتها وتاريخها ويشككها بمقدساتها

ولقد تصدى له بعض العلماء بالرد المخلص . وباقصى ما يمكن من لطف وحياد علمى فلم يرتدع نعد منهم .

أ — الاستاذ منير العمادى فى دمشق

ب — العلامة عبد الله كنون فى المغرب .

ج — العالم الشيخ ابراهيم القطان سفير الاردن فى الرباط بكتابه (عثرات المنجد) ولم يتناول منه الا قسم الاعلام وحده فأبرز له (2500) غلطة .

د — وهذا المقال التالى لمديرية المناهج فى الاردن.. وما زال الحبل على الجرار فهلا يريد المشرفون على المطبعة الكاثوليكية فى بيروت وهم ناشرو هذا المعجم ان يدركوا مبلغ خطئهم ؟!

من خلال الدراسة التى قام بها رئيس شعبة التربية الاسلامية ورئيس شعبة اللغة العربية فى مديرية المناهج للمنجد تأليف (لويس معلوف) نشر المطبعة الكاثوليكية فى بيروت وردت الملاحظات التالية :

من الناحية الدينية :

1 . الكتاب ينطلق من عقيدة دينية ، الا انه لا يراعى الامانة والصدق . ففيه مغالطات دينية وتحريف وتشويه واضحين بالاسلام والمسلمين ، واهمال وغموض فى توضيح المصطلحات الاسلامية ، مع التفصيل والتوضيح لمصطلحات الكنيسة ، كما هو واضح فى بعض الامثلة التالية :

أ ــ يشرح كلمة قرآن (ص 411) فيقول انــه « كتاب المسلمين » بينما يقول عن الانجيل ص 54 انه « كتاب اتى للانام ببشرى الخلاص على يد المسيح الفادى » . كما يقول عن الاسلام فى الطبعة السابعة : « هذا الدين الذى جاء به محمد بن عبد الله النبــى العــربــى » .

ب ــ تعريفه للرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ص 476 من الاعلام (570 حزيــران 632) ونبــى المسلمين من بنى هاشم وولد فى مكة ...... »

جـ ــ بينما فى تعريفه للسيد المسيح ص 560 ورد ما يلى : « ولد فى مدينــة بيت لحــم اليهوديــة على ايام اغسطس قيصر 4 ق . م ...... ثم اخذ يبشر بملكوت الله صانعا المعجزات ......

د ــ فى الطبعة الاخيرة لم يتطرق لتعريف الاسلام بينما ابقى تعريف الانجيل كما هو ص 54 .

من الناحيــة التــاريخيــة :

1 . لم يورد المنجــد فى خريطــة المملكــة الاردنيــة الهاشمية من مدن فلسطين المحتلة سنــة 48 سوى مدينة الناصرة ، واهمل جميع المدن المحتلة الاخرى ، كيافا ، وحيفا ، واللد ، والرملة ، وعكا ، وغيرها .

2 . والانكى من ذلك انه لم يذكــر على الخريطــة مدينتى القدس والخليل ، وهما المدينتان اللتان احتلتا سنة 67 ، وكأنه يوحى بأن هاتين المدينتين ليستا من مدن المملكة الاردنية الهاشمية .

يقول فى ص 60 : اورشليم (هيكل بناه سليمان الحكيم بعد (975 ق . م) فى ساحة الحرم الشريف اليوم ......) الى ان يقول : « فلم يبق منه الا حائط المبكــى » .

وفى هذا خطورة ومبرر لهدم الحــرم الشريف ، والحفريات التى تقوم بها اسرائيل الآن لم تثبت ذلك والمنجد اعترف لهم قبل ذلك .

3 . « الف ليلة وليلة شهر زاد تحكيها لاختها على امير المؤمنين » وكما هو معلوم بأن القصة من اساطير الفرس قبل الاسلام ، فوضــع امير المؤمنين هنـــا تــزويــر تاريخــى .

4 . مكة المكرمة ص 500 « استولى عليها الامويون، خربها القرامطة ونهبوا الحجــر الاســود واحتلهــا العثمانيون ثم الوهابيون » .

5 . (الخضر) « احد اولياء المسلمين رفعه القرآن فوق الانبياء ، علما بأن الخضر لم يرد ذكره فى القرآن.

6 . عسقلان « اشكلون قديما » ص 351 .

7 . (ابو لؤلؤة المجوسى) : « شكا الى عمر فنقم عليه الخليفة » ، وقد جاء فى الطبرى ان ابا لؤلؤة كان نصرانيا لا مجوسيا ، ولم ينقم عليه الخليفة عمر وانما هو هدد الخليفة .

8 . الشيخ حسين ص 301 « محجة شهيرة للمسلمين فى افريقيا الشرقية » ، وليس فى الاسلام محجة سوى الكعبــة .

9 . شيخ او حرمون « يطلق على القسم الجنوبى من سلسلة جبال لبنان الشرقية على الحدود السوريــة اللبنــانيــة » .

الى غير ذلك من الاخطاء غير ان الطبعة الاخيرة الصادرة فى الخامس عشر من شهر آذار 1969 عدلت بعض هذه الاخطاء ولكنها وقعت فيما هو اشد وانكى، وهى التى اوردتها فى الصفحة السابقة .

●●●

كلمات عربية في اللسان الإسباني

الأستاذ إلياس قنصل – الأرجنتين

كثر الذين بحثوا فى اللغة وحددوا معناها ، فمنهم من قال انها مفردات تجلو شخصية الاشياء واداة ترسم الشعور وتعرضه على الاذهان . ومنهم من اعتبرها سلسلة من الاصول سداها التصريف ولحمتها الاشتقاق مهمتها التعريف بما يريد المرء . ومنهم من رآها وسيلة لاتصال الفرد بمجتمعه يتكشف فى مدلولها ما يهمهما .

ولا شك ان اللغة هى كل ذلك واكثر لانها المجموع مختصرا فى عدة آلاف من الالفاظ يسبح فى فلكها جميع ما يملكه الناطقون بها من متاع روحى ومادى يشتمل على ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم .

ومن اصدق الادلة على عظمة بلاد انتشار لغتها وراء حدودها لان الاقبال عليها وممارسة ما فيها من التعابير الخاصة هو الاعتراف بنصيبها من امتياز تنعكس على صفحته قسمة اصحابها من الاجتهاد والتفوق بشتى مناحى النشاط الثقافى والفكرى والعلمى .

ان الحضارات التى توالت على الدنيا هى السجلات التى تبسطها لنا اللغات فهى خزانة الحوادث التى تتألف من جزئياتها المجموعة التى تكون صورة عن حقيقتها ومن دراسة هذه اللغات والتغلغل فى اسرارها نضع كل حضارة فى مكانها من التأثير العالمى .

والبرهان يطل علينا من عصرنا الحالى :

ان المرحلة التى نجتازها الآن — ولا نسميها حضارة لان اسبابها لم تكتمل — ان هذه المرحلة يغلب عليها الطابع المادى وها هى اللغة — لغة هذ المرحلة — فى معظم انحاء العالم كلمات وتعابير مادية تكاد تخلو من ملامح العاطفة .

واذا رد معترض بأن هذا التمييز غير وارد فى صميم اللغة ، اجبنا ان كلمة « نسيم » مثلا لا يمكننا ان نسلكها مع كلمة « حجر » متى صنفنا الكلمات فى مراتب الحس وان كان لكل كلمة تكوينها الذى رضيت به الالسنة والاذواق واقره التداول فى اداء رسالتها التعبيرية .

ولا يعنى ما سبق ان الكلمات العاطفية الروحية قد اضمحلت : ان الكلمات لا تتلاشى وفقا لمرتبتها فى التصنيف ولكنها تزول من اى صنف كانت عند ما تقل الحاجة اليها فى التبادل اليومى الرتيب — ان الذى نعنيه هو ان التراكيب التى تشترك فيها الالفاظ الروحية التى تتجلى مفاتنها دون تبذل اصبحت نادرة ، اذا جرت فى خاطرة ، مخطوطة ، او مسموعة ، اثارت الاستغراب كأن قائلها او كاتبها يعيش بعقل كهفى .

ان اللغة التى تسعى اليها الحضارة المادية او الطور المادى فى عصرنا هذا هى التى تكتفى بأن تؤدى حاجتك الى التعبير عن مرادك اولا ، وحاجة من يسمعك الى ما تبغى ثانيا ، وما زاد عن ذلك فهو رجس من عمل الشيطان . المهم فى عرف هذه المرحلة ان يكون التعبير كافيا وليس المهم ان يكون جميلا او ان يهبك قسطا من الارتياح النفسى . وهذا هو السبب الرئيسى الذى ادى الى انهيار مقام الشعر وجعل الاسلوب الصحفى اسلوبا سائدا حتى فى تحليل الخوالج التى تختلف فى كل فرد عن فرد وتفتقر الى كمية من الاحساس ترتفع عن مستوى الواقع .

ان ادوات « الترفيه » التى نزهو بها الآن ضيقت علينا آفاق الخيال ووضعت فى افهامنا — نعم فى افهامنا — قيودا تمنعها من الحركة التلقائية التى تمنحها الحرية . نحن ندور فى مجال نشاهد شرقه وغربه ونعاين الخطوط التى لا قدرة لنا على ان نتعداها ، شأننا شأن السجين الذى له من الدنيا الواسعة التى يعرفها هذه الرقعة الصغيرة التى تضمه جدرانها لا يمكنه ان يتلذذ بأن يزاد له شبر واحد عليها ولا ان يتمتع بهبة جديدة من الهواء ولا ان ينتفع بدفقة اعم من النور .

وتسير اللغة كما نسير نحن — على خط مواز — لا يتسنى لها ان تخرج عن صراطها كما لا يتسنى لنا ان نخرج عن صراطنا ، فان ظهرت آلة مبتكرة ظهرت معها لفظتها ثم .. الى امر آخر فلا كلمة مرادفة للكلمة الاصيلة تختار احداها لتعلن عن ذوقك ولا انطباق على قواعد ترسم لك صيغا متباينة عنها ولا استناد الى تركيب تفضله على تركيب ثان ولا استعارة توسع المدى فى توضيح ما ترمى اليه .

وبعد ان كانت اللغة ما ذكرنا فى بدء هذه الكلمة امست شيئا واحدا . فقط : اداة جامدة مقتصرة على تأدية مهمتها اللفظية فكأنها المطرقة تدخل بها مسمارا فى خشبة ومتى فعلت ذلك انتهت وظيفتها فاذا اردت ان تقتلع المسمار جئت بملزمة مرصودة للاقتلاع لا تصنع غير ذلك ثم .. ثم الى امر آخر .

قد يكون هذا الاداء السريع الذى لا يرضى بالشعور حكما ولا بالقلب هاديا ويكتفى بالمدلول المحدد من مستلزمات العيش الحاضر الذى لا يضيع دقيقة من الوقت . ولكن أبالخبز وحده يحيا الانسان ؟ وهل راينا الوجود لنقطع دروبه مسوقين بأسواط الالتزام تدفعنا مناخس السرعة مراحا ومغدى ؟

لئن كانت هذه الغاية من الوجود فعلام خلق الله الازاهير التى تتوشى بالالوان الزاهية والعطور الفاتنة ولا تصلح — فى اهم شؤونها — الا للزينة ؟ اما كان الاولى ان يستغنى عنها بخلق « البصل » الذى ينفع ولا يزخرف ؟

نحن لا نرغب فى ان يكون التعبير مثلا بالكلمات التى لا تضيف شيئا الى المعنى المقصود ولا يروقنا ان يجر المرادفات التى لا توسع المدى التصويرى فى الاذهان . نحن لا يسرنا ان تكون الكلمات التى يمكن تصنيفها فى المرتبة الوجدانية كالرقع الجديدة المختلفة الاصباغ والاحجام فى الجدار القديم المتداعى ولا ان تتحول التفاسير الى دروب ملولبة يسهل الدخول اليها ويصعب الخروج منها ويستحيل الوصول بها الى المحجة المطلوبة .

نحن نطمع فى ان يكون التعبير اجمل قليلا مما هو ان لا يقتصر على النفع البحت ، ان يعرف القارىء ان الكاتب يحفل به ويوليه عناية تنبع من قلبه من عاطفته. نحن نطمح الى ان يجد القارىء فى العبارة التى يطالعها لنفسه انسا ولفؤاده متاعا فتجعل الحياه احب اليه مما قبل فى كثير من صورها .

نحن لسنا من مؤيدى الجمود او من دعاة الرجوع الى الوراء . اننا ندرك ان اللغة تتطور كسائر الاشياء التى فيها حياة . وانها اذا بقيت حيث هى لا تؤدى المهمة التى القيت على عهدتها ولا تقوم بالمسؤولية التى خلقت لها . ولكن الفرق بعيد بين تدرج يحمل فى

طياته الخير وبين طفرة فيها من الهـوج السيئـات والمبـاذل .

اما الذين يسمون هذه النشوفـة شـورة فهم على ضلال مبين . ان الثورات تهدم انظمة وتبدع انظمة . والثورات التى تجنى منها الانسانية الفوائد المادية والمعنوية هى التى تكون اعدت مخطط البناء وادواته ووسائله قبل ان تشرع فى التهديم بحيث لا تنقضى الا فترة قصيرة هى الفترة اللازمة للانتقـال فقط مـن المرحلة الاولى الى الثانية .

ان الهدم سهل . والذى يصنعـه الذيـن ينتقدون الجمال فى اللغة ويريدونها عضوا اشل يصنعه مـن ينقض بناية ولا يشيد مكانها بحجة ان الارض البـور خير من البناء القديم .

والثورات التى غيرت مجرى التاريخ والهبت بيـن الجوانح نزعة الرقى وبدلت اضطراب الدنيا سكينة ، تناولت الافكار ولم تتناول الالفاظ . كانت مبنيـة على اساس التمرد على الشرائع وكـانت وسيلتهـا الى الاصلاح — التعابير الجميلة التى تخاطب القلب قبل ان تخاطب العقل . ومن امعن النظر فى اسرار هـذه الثورات تبين له ان اسرعها الى الانتشار وابعدهـا اثرا فى المجتمع هى التى كان فى الدعوة اليها وفى شرح اهدافها اكبر نصيب ممكن من الجمال .

ان القطعة الفنية الجميلة التى تضم فكرة ثوريـة اصلاحية تعلق فى النفس اولا لانها قطعة فنية جميلة . وجمالها وفنها يمهدان الطريق للفكرة الثورية الجديدة ولا يلبث القارىء او السامع ان يعتنقها وقد اغراه اولا ما فيها من حسن ثم ما فيها من الدعوه الى التحـرر والمساواة والاخاء وما اليها .

ولو حاولنا ان نجارى الذين يدعون ان اللغة للاداء فحسب فماذا نفعل بالآثار الادبية العالمية التى تزخر بالجمال وهى التراث الخالد الذى يتحدر من جيل الى جيـل وفيه تجارب الانسان يلتمس منها علاج النفس ويمتلك به ناصية الهناء . انعرض عنها ام نلقى على عواتقهم تبعة تجريدها من كل رائع طـريف وجعلهـا مرجعا للجمـود والبـلادة ؟

ان الاساليب المجردة التى يطالب بها هؤلاء لا يمكن ان تميز كاتبا عن آخر فكأنها خارجة من قالب واحد فى معمل واحد فيها تتلاشى الشخصية الانسانية وتحل محلها الآلة التى لا تبدئ ولا تعيد وهكذا يمكن الاستغناء بكاتب عن بقية الكتاب . اما الاساليب التى تبهرنا ، واما اللغة التى تحرز اعجابنا فهى التى تجعل كـل كاتب شخصية مستقلة تتميز عن سواها بخصائصها الـواضحـة .

فى وسط هذا التيار الجارف من اليبوسة المؤلمـة تقف اللغة العربية — للاحتفـاظ بروحيتهـا — موقف المجابهة وهى تدرك اشمل ما يكـون الادراك انهـا مضطرة الى تذليل الصعاب الكأداء وتخطى العقبـات الخطيرة . ان اعداءها حاقدون والحجة التى يتكلون عليها تغرى وتغوى ما اسهل ان يعلق فى اشتراكهـا الذين لا يبالون بالبحث والتنقيب . او مـا تسمعهـم يصرحون بأنهم يريدون مجاراة روح العصر ومسايرة القافلة الانسانية السائرة الى الامام ويدعون ان التخلف الذى تعانى منه العروبة ما تعانى من دواعيه لغتها وما فى لغتها من تعقيد . ويجهلون او يتجاهلون ان هـذه اللغة التى يغيبونها كانت رسول حضارة نشرت اعلامها فى الشرق والغرب ورافقت الفتوحات — وكانت طليعة فيها — ووطدت فى الاصقاع التى دخلتها معالم العمران وظلت — بعد ان تقلصت البنود السياسية فى البلدان المذكورة — تزود الافكار بالروائع وتمـون القلـوب بالبدائع وتقع موقع الرضا والترحاب حيث حلت .

ويجهلون او يتجاهلون ان هذه اللغة هى من دقة التعبيـر وقـوة الاشتقـاق وجـلاء الصيـغ وغنى المفردات بحيث اختارها الكثيرون من العلمـاء غير العرب فى الدولتين الاموية والعباسيـة للدراسة والتأليف . فقد راوها من اصلح اللغات للتعبير عـن ادق الشؤون العلمية المختلفة .

ان العلة ليست فى اللغة العربية بل فى الذيـن لا يفهمونها ويهذرون وهم فى معزل عن الحق .

ان التعقيد ليس فى اللغة العربية — بل فى عقـد النقص التى تسيطر على الذين لا يعرفون منها الا ما تلقوه من الذين يخيفهم الدرس او من الذين لهم اغراض ما انزل الله بهـا مـن سلطـان .

ان هؤلاء الذين يحكمون على اللغة العربية بأنهـا عالة على التقدم — هم عالة عليها لانهم ينتفعون من

خيراتها الحاضرة الثرة ويعتزون بمكرماتها الماضية العزيزة الماضية التى غرفت منها الانسانية ما غرفت، ولا ينيدونها بشىء من مساعيهم وجهودهم .

ونحـــن نســـأل :

الم يؤلف العلماء العرب ما الفوه مـــن كتب الطب والفلسفة والكيمياء والجبر والفلك والرياضيات والعلوم الاجتماعية المختلفـــة باللغـــة العربيـــة ؟ الـــم تكـــن المصطلحات الخاصة بهذه الفروع الـــواردة فى هـــذه المؤلفات باللغة العربية ؟ الا يعد الرازى وابن سينـــا وابن زهر وابو القاسم وابن رشد وابن خلدون روادا فى عدد من مناحى الفكر ؟

ونســـأل مـــن جـــديـــد :

لقد ترجم العرب جميع ما وصل اليهم من العلـــوم اليونانية وزادوا عليها مما ابتكروه — افلم يترجموها الى اللغة لعربية ؟ او لم تتفرع من اللغـــة العربيـــة سائر المصطلحات الجديدة ؟

مرت هذه اللغة بتجارب لا يحصيها عـــدد وحـــاول الاماررن ارباب البطش الجائر ان ينالوا من حيويتهـــا تمهيدا للقضاء عليها فعـــادوا بالفشـــل وظلت تبعث باشعتها فتبدد عن النفوس ظلمات بعضها فوق بعض

فى وسط هذا التيار الذى يحاول ان يجرف ما ينتصب فى وجهه نطلع نحن بهـــذه النغمة « النشاز » فننشر هذا البحث « الكلمات العربية فى اللسان الاسبانى » نجمع فيه الكلمات العربية التى دخلت على اللســـان الاسبانى فاصبحت من صميمه . وكان من اللائق — فى راى اعداء العروبة — ان نكتب فى مواضيع اهم — ان نكتب مثلا فى « تفتيت الذرة » او فى تلويث الجـــو بالغازات » او فى « استخراج الاكل من البتـــرول »

اننا نترك هذه المواضيع الخطيرة لهؤلاء الجهـــابذة فليعالجوها بالاختشيشان الذى يطيب لهم وليتركوا لنا هذه الناحية العاطفية فلعلهم يدركون ان اللغة ليست ابرة تخيط لهم الثياب التى تمنع عريهم الروحى مـــن الصقيع فحسب ، ولكنها الابره التى تطرز لهم الثياب التى تخيطها ليشعروا وهم يرتدونها بأنها تقيهم مـــن البرد وتريح العيون التى تنظر الى ما فيها من التزويق

الذى يسبغ طمانينة الرضى على الارواح لانه مجلى للجمال والجمال مظهر للكمال الذى تتمثل فيه قـــدرة الخـــالـــق الرحمـــن .

اهمل الذين كتبوا عن الفتح العربى فى الاندلـــس الاشارة الى ظاهرة غريبة ليست على غرار سابق فى تاريخ الفتوحات :

ان المقاومة التى لقيها العرب كادت تكون موقوفة على الطبقة الحاكمـــة — نعـــم ان الشعب لم يرحب بالفاتحين ولم يحملهم على الراحات ، بيد انه لم ينظر اليهم نظرة اللدد والضغينـــة .

والفاتحون طارق ورفاقه ؟ لم يدخلـــوا اسبانيـــا ونيتهم — كل نيتها — ان ينقلوا اليها مكاسبهم الانسانية ليقدموها — هبة لوجه الله — على ان مقصدهم لم يكن استلاب خيرات البلاد والعودة من حيث اتوا .

لا نزعم ان العرب رفعوا غصن السلام وكانوا مثال الرفق والاحسان فى جميع المناطق التى احتلوها ، انما نقرر انهم لم يجعلوا من السيف الفيصل الاعلى فـــى مسيرتهم المظفره ولم يفرضوا بالشدة آراءهم وقوانينهم

ويدعم قولنا ان التفاهم — ولم ينقض على الفتـــح الا مدة قصيرة — استتب بـــين العـــرب والاسبـــان فجمعتهما آصرة من تعاطف ومشاركة فى جهد وكـــأن الغاية التى يهدف اليها الفريقان هى ان يتذوقوا مـــا فى الحياة من حسن موفور وان ينعموا بما تهديه الايام من سوانح الرغد والهناء .

وهكذا امتزج الشعبـــان — فى الكـــدح واللهـــو — امتزاجا تفتقت عنه البدائع التـــى لا تـــزال الى الآن وستظل الى ما شاء الله تحدث عما كان فى القلـــوب مـــن نيـــات طيبـــة .

صحيح ان الغارات الاسبانية لم تنقطع حلقاتهـــا انما كانت غارات ينظمها الذين فقـــدوا سيطرتهم ، وغايتهم استرداد ما فقدوه من سلطان وصولة .

ولا يستنتج من ذلك ان الشعب لم يكن يهمـــه ان يحكمه غريب عنه ولكنه عاين فى التساهل الذى ابداه هذا الغريب حياله مبررا للاستكانة والصبر . ومـــن عادة الشعوب . حين تحدث الانقلابـــات السياسيـــة

الخطيرة ان تلجأ الى الهدوء والانتظار لتدرس انفع السبل التى يجب ان تتبعها بعد ان يهدأ الغبار الذى تثيره المعارك التى لا منتدح عنها .

وطال الانتظار فى الاندلس — مئات الاعوام — لان المفاجئات الفكرية والادبية التى كانت تتدفق من الفاتحين — وفيها الخير والبركة — وتسابق ركب الزمن فى ابتكار الفنون وتركيز العلوم ما برحت تتجدد.
ان جعبة التبحر فى الفلك والهندسة والطب والكيمياء والجبر والجغرافية والشعر والغناء والتاريخ وغيرها التى كانت تراها البلاد من العرب لم تفرغ طوال تلك المدة .

وعرت الشعب الاسبانى دهشة من الطرائف التى طلع بها الفاتحون ولم يكن يقدر فيهم هذا النبوغ فانقلب اعجابه الى رضوان بالاوضاع السياسية والنظم الاجتماعية .

امعن الفكر قليلا يسفر لك البرهان :

ان الآثار العربية فى الاندلس لا تفتأ حتى اليوم مثار الاعجاب . وكلما تقدم الفن الهندسى زادت اختلابا للعواطف وسحرا للالباب . فما بالك بالاسبان وهم يتأملونها فى جدتها الساحرة تنفث فيما حولها الفتوة والنضارة ؟

فلا غرو اذا لم يضطر الحكام العرب الى ان يصرفوا شؤون البلاد بيد من حديد — كما يجرى للذين يستولون على بلدان غريبة — فاداروا مقدراتها بقفاز من مخمل . ويثبت اجتهادنا مقابلة سريعة بين حوادث القمع القليلة التى حدثت فى الاندلس وبين الحوادث المماثلة التى جرت فى اى بلاد اخرى تولى الغرباء عنها ادارة امورها .

وراح الاسبان — وقد شاهدوا كما اسلفنا معاملة العربى المنطوية على دماثة خلق ولين جانب يقتبسون من العرب الشمائل والعادات والتقاليد وينتفعون بأسباب العلوم والآداب والفنون ويتفننون فى تسويغ ما يأخذون .

ومن يتأمل الفضائل العربية الاصيلة كالكرم والاباء والحمية يجدها واضحة فى الامة الاسبانية قديما وحديثا ان الفتح العربى طبع المجتمع الاسبانى بالطابع العربى ولم يكن قصده الاول ذلك كما لم يكن قصد المجتمع الاسبانى الانصهار فى البوتقة العربية . ان الحضارة التى حملها الفاتحون الاوائل وركزها الذين تولوا المناصب العالية فيما بعد وجدت المضمار واسعا والارض خصيبة فوضعت بذورها وتعهدتها ونمت الاغراس واينعت وظهرت الاثمار وطابت وغدت الدنيا العربية فى تلك البقاع تروعك من مآتيها بالمعجزات .

ويدعونا الانصاف الى القول انه اذا كان المجتمع الاسبانى قد اقتبس من العرب ما اقتبس فان العرب اخذوا عنه الرقة والرشاقة وخفة الظل التى تبدت فى انتاجهم الادبى . ان « الموشحات » ليست نتيجة حنين خفى رائق العربى الذى غادر وطنه الى ارض بعيدة وتحدر هذا الحنين الى نفسية ابنائه واحفاده . ولكنه كذلك — فى اسلوبه وطريقة ادائه وتسلسله التوقيعى نتيجة للبيئة اللينة الناعمة التى تمرس بها واصبحت بعضا من وجوده .

ويزكى ما قدمنا انه بعد ان استرجع ملوك اسبانيا بلادهم لبث فيها نصف مليون عربى على وجه التقريب. آثروا البقاء ورجحت تقديرهم البيئة التى عاشوا فى ظلالها على الاخطار التى يمثلها بقاؤهم بعد ان غاب سلطانهم . والبيئة التى نذكرها ليست الظواهر التى تتحول وتتغير بل هى الوقائع المتواصلة التى تتأثل وتتأصل كلما مرت عليها الاعوام .

ومن البداهة انه اذا كان الاسبان قد اخذوا عن العرب كثيرا من العادات والخلال والعلوم والفنون والآداب ان يأخذوا شيئا من لغتهم وهى توازى فى اتساع تراكيبها وطلاقة صيغها وظرف مفرداتها ما فى اخلاقهم الاصيلة من قوة . اخذوها من تلقاء انفسهم — لم يجبرهم على ذلك امر ولا نظام ولم يرغمهم تهديد او وعيد . اخذوها لانهم رأوا فائدتها فاغنوا لغتهم بها ، وكانت الالفاظ من الكثرة والشمول بحيث تشكل ظاهرة اخرى فريدة من نوعها .

واذا قيل ان المألوف فى الشعوب المغلوبة على امرها ان تقتبس من غالبيتها تعابير عديدة اجبنا ان الفرق كبير بين ان تقتبس امة مقهورة عشرات الكلمات التى

لا بد منها لانها اشارات خاصة فى النظام الجديد وبين ان تقتبس الوفا من الكلمات التى ترتفع عن مستوى الاحتكاك اليومى .

حكم العثمانيون الاقطار العربية اربعمائة سنة او تزيد وجربوا بجميع ما لديهم من الوسائل ان يمحوا اللغة العربية ويستأصلوا شأفتها فخابوا ولم يدسوا فى اللسان العربى غير كلمات ضئيلة لا شأن لها اهمها ما تعلق بأمور عسكرية ادارية ارغموا الاهلين عليها ارغاما .

وعمدت فرنسا وبريطانيا وايطاليا الى التجربة ذاتها فى البلدان التى نشرت سيطرتها عليها قبل الحرب العالمية الاولى واثناءها وبعدها . وكان التعليم الغريب اجباريا او اشبه ما يكون بالاجبارى وكانت الانظمة والشرائع والقرارات والمراسيم تصدر كلها بلغة المحتلين والمنتدبين ولكن العرب لم يأخذوا من اللغات الفرنسية والانكليزية والايطالية — كما لم يأخذوا من اللغة التركية — الا كلمات قليلة زالت من التداول اليومى حالما جلا هؤلاء عن الاراضى العربية واستردت العروبة بهذا الزوال ما فقدته من خلوص جوهرها .

ان الحاكم الغريب يستطيع ان يفرض ارادته المادية على الشعب المحكوم . يستطيع — مثلا — ان يجبر الناس على البقاء فى بيوتهم عند ما تغيب الشمس . ولكنه لا يستطيع — مهما اوتى من القوة والبطش والظلم — ان يجبر الناس على ان يتذوقوا موسيقاه وان يتغنوا بها . وذا تظاهر فريق بتذوقها والتنعم بها — هربا من العقاب — فانه لا يلبث حين يأمن ، ان ينفر منها ويعرض عنها .

وما غرضنا من الامثلة التى سردناها النص على مناعة اللغة العربية وضعف اللسان الاسبانى كلا . ان اقتباس اللغات بعضها من بعض سنة من سنن الطبيعة لا يستغنى عنها الا اذا استغنت فئة من البشرية عن بقية الفئات . غرضنا التنويه بأن الاسبان اخذوا من اللغة العربية ما اخذوا بصورة عفوية ولو انهم اتصلوا بالعرب — من مدخل غير باب الفتح — لكان من الثابت ان يكون موقفهم من اللغة ما كان خلال العهد العربى .

ومما يسترعى الانتباه فى الاقتباس الاسبانى ان القسم الاوفى من الكلمات المنقولة كانت تتصل بعلوم النبات والكيمياء والحيوان والجبر والفلك وفنون التوشية والتخطيط والتنقيش وبقية الشؤون التقنية التى اشتهر بها العرب وكانوا اساتذتها .

وامر آخر لا غنى لنا عن ذكره لان الذين اشبعوا هذه المواضيع درسا لم يفطنوا له مع جدارته بالاهتمام: اذا احصينا الالفاظ المقتبسة وجدنا ان عدد الكلمات التى تدل على الفضائل يفوق اضعاف اصناف الكلمات التى تعنى الرذائل . وهذا الاستعداد — ومرجعه الى اصالة الاخلاق ولا شك — هو من الحسنات التى تسجل للاسبان لانهم هم الذين اخذوها كما تسجل للعرب لان الفضائل فيهم كانت اكثر انتشارا وابعد اثرا .

وحاولنا فى هذه الصفحات ان نقترب من الانصاف ما امكن فلم نغال ولم نبالغ وقد ذكر بعض من الموا بهذا الموضوع ان الكلمات المأخوذة تبلغ عدة آلاف .

وكانت طريقتنا فى التحقيق هكذا :

نتناول الكلمة التى تواترت الآراء او تواضعت الكتب على ان اصلها عربى فنبحث عنها فى المعاجم الاسبانية التى يصح الاعتماد عليها الى ان نحصى جميع معانيها ولنفرض انها ثلاثة . ثم نعمد الى المعاجم العربية التى يصح الاعتماد عليها فنبحث عن معانيها ولنفرض كذلك انها ثلاثة فنتحول الى المقابلة بين المعانى الستة ناظرين بعين الاعتبار الى التحوير الذى قد يكون طرأ على التلفظ بها فان وجدنا معنى اسبانيا ينطبق على المعنى العربى قررنا انها من اصل عربى. وان ناوبتناشبهة او ريبة او رأينا ان اللفظين متقاربان ولكن المعنين مختلفان اغفلناها . وهكذا فى مكنتنا التأكيد ان الكلمات التى نعرضها هى من اصل عربى — مائة بالمائة — واغفلنا اسماء الاماكن والاشخاص فهى وان تكن من ارومة عربية فقد تشترك فيها جميع اللغات لان وضعها الثابت يقتضى من كل لغة ان تأخذها كما هى الا فيما ندر . ونستدرك فنقول اننا وضعنا بضع كلمات لاسماء اعلام بمثابة لافتة ليس الا .

قد يبحث القارىء عن الفاظ وردت فلا يجدها فى المعاجم العربية العادية كما لا يجد اخواتها فى المعاجم

الاسبانية البسيطة ولا يعثر عليها فى الاحاديث التـى تدور بين الشعب . وما ذلك الا لان هـذه الكلمـات اصبحت مهجورة او من الاوابد وكل لغة فيها الفـاظ تحيا طويلا والفاظ لا تعمر الا مـدة قصيرة والفـاظ تستبدل بغيرها بعد حين ولا مرية فى ان بعض الكلمات اصابها شىء قليل او كثير من التحوير وذلك لاختلاف النظام الصوتى فى اللغتين من جهة ولتباين اللفظ العربى بين اللغة الفصحى التى تحدد الحركات تحديدا دقيقا واللفظ فى التداول اليومى الذى يصح فيه التسامح فى تحديد الحركات .

ولو اردنا الاستشهاد بما قاله علماء الاسبان فى هذا الصدد لاحتجنا الى صفحات عديدة بل الى مجلـدات . ونقتصر على ما قاله العالم الاستاذ Rafael Lapesa فى كتابه « تاريخ اللغة الاسبانية » وهذه هى عبارته :

« ان العامل العربى فى تكوين اللغة الاسبانية يأتى مباشرة بعد العامل اللاتينى » .

ولا يسعنا ـــ ونحن نكتب فى هذا الموضوع الا ان نثبت تقديرنا للاسبان واعجابنا بهم فانهم لـم يكتفـوا بان ينقلوا عنا ما نقلوا طيلة الحكم العربى من سنة 711 الى سنة 1492 بل نقلوا هم ـــ علوم العرب وآدابهم الى اوروبا فتأثرت بالكلمات العربية كثير من اللغـات كالانكليزية والفرنسية والايطالية فكانوا خير تراجمـة لها فى القرون الوسطى ولا يزالون من اشد النـاس غيرة على التراث العربى الذى حافظوا عليه ويحافظون بغيرة واخلاص وحماسة .

اننا نضع هذا الكتاب فى ايدى القراء على امل ان نكون ادينا جانبا من واجبنا الادبى وبينا الروابط الوثيقة التى تجمع الامتين العربية والاسبانية من خلال اللغة التى هى من اهم الذرائع للتفاهم الذى لا بد منـه ـــ توطيدا للسلام ـــ فى هذه الآونة الخطيرة التى تمـر بها انسانية ظامئة الى الحق والمحبة .

A

Ababol — حبيــور
Abalorio — البلــور
Abarraz — حب الرس
Abelmosco — حب المسك
Abenuz — ابنـوس
Acafelar — تفـل
Acebibe — الزبيب
Aceche — الـزاج
Acederaque — ازدرخت
Aceifa — الصيفـة
Aceite — الـزيت
Aceituna — الزيتــون
Acelga — السلقـة
Acémila — الـزاملـة
Acemite — السميـد
Acenefa — الصنفـة
Acena — السانيـة
Acequia — الساقيـة
Acerola — الزعـرورة
Acetre — السطـل
Acial — الـزيـار
Acibar — الصبـر
Acicalar — صقـل
Acicate — الشوكـة
Acidaque — الصـداق
Cimut — السمـت
Acirate — الصـراط
Acitara — الستـارة
Achaque — الشكـاء
Adafina — الدفينـة
Adalid — الـدليـل
Adaraja — الدرجـة
Adarga — الـدرقـة
Adargama — الدرمك
Adarme — الـدرهم
Adarvar — اضطـرب
Adarve — الـدرب
Adaza — العدسـة
Adehala — الدخالـة
Adelfa — الدلفـى
Adema — الدعمـة
Ademe — الـدعـم
Aderra — الضـرع

Adiafa	الضيافة
Adivas	الذئبة
Adive	الذئب
Adobe	الطوب
Adoquin	الدكة
Ador	الدور
Adra	الدارة
Aduana	الديوان
Aduar	الدور
Aducar	الدكار
Adufa	الدفة
Adufe	الدف
Adul	العدل
Adula	الدولة
Adunia	الدنيا
Adutaque	الدقاق
Afice	حفيظ
Aforra	الحر
Agraz	ارغيس
Aguajaque	الوشق
Aguanafa	النفحة
Ajabebra	الشبابة
Ajaraca	الشركة
Ajarafe	الشرف
Ajebe	الشب
Ajedrea	الشطرية
Ajedrez	الشطرنج
Ajenuz	السنوز
Ajimez	الشماسة
Ajomate	الجمات
Ajonjoli	الجلجلان
Ajorca	الشركة
Ajuagas	الشقاق
Ajuar	الشعراء
Ala	يا الله
Ala	الله
Alābega	الحبق
Alacena	الخزانة
Alacrān	العقربان
Alafia	العافية
Alahilca	العلاقة
Alajor	العشور
Alajū	الفحوة

Alamar	الحمير
Alambique	الانبيق
Alambor	العبر
Alamin	الامين
Alamud	العمود
Alaqueca	العقيقة
Alara	الهلهل
Alarābe	العرب
Alarade	العرض
Alarguez	الارغيس
Alarife	العريف
Alaroz	العروس
Alatar	العطار
Alatrōn	الاطرون
Alazān	الحصان
Alazor	العصفر
Albacara	البكرة
Albacea	الوصية
Albacora	الباكورة
Albahaca	الحبقة
Albaida	البيضا
Albaire	البيض
Albala	البراءة
Albanar	البناء
Albanega	البنيقة
Albanil	البناء
Albaquia	البقية
Albarān	البراءة
Albarazado	لبرش
Albarazo	البرص
Albardān	البردان
Albardin	البردى
Albaricoque	البرقوق
Albarrada	البرادة
Albarran	البراني
Llbatosa	البطاش
Albayalde	البياض
Albéitar	البيطر
Albenda	البند
Alberca	البركة
Albetrchigo	الفرسق
Albihar	البهار
Albitana	البطانة

Alboaire	البحيـر
Albogue	البـوق
Albohera	البحيـرة
Alboheza	الخبـازه
Albohol	البخـور
Albōndiga	البندقيـة
Alborbola	الولولـة
Alborga	البرغـة
Albornia	البرنيـة
Albornoz	البـرنس
Alboronia	البورانية
Alborogue	البركـة
Alboroto	البـروز
Alborozo	البـروز
Albotin	النطيـم
Albricias	البشارة
Albudeca	البطيخـة
Alcabala	القبالـة
Alcabela	القبيلـة
Alcabor	الخرشوف
Alcacel	القصيـل
Alcachofa	الخرشوف
Alcaduz	القادوس
Alcafar	الكفـل
Alcahaz	القنص
Alcahuete	القواد
Alcaiceria	القيساريـة
Alcaide	القائـد
Alcalde	القاضى
Alcali	القلـى
Alcaller	القـلال
Alcamiz	الخميس
Alarde	العـرض
Alcamonias	الكمـون
Alcana	الحنـا
Alcanā	الخانات
Alcancia	الكنـز
Alcāndara	الكندرة
Alcanfor	الكافـور
Alcantara	القنطـرة
Alcaparra	الكبارة
Alcaravān	الكروان
Alcaravea	الكرويـا
Alcarcenā	الكرسنة
Alcaria	القريـة
Alcarraza	صح
Alcartaz	القرطاس
Alcatara	القطارة
Alcatifa	القطيفة
Alcavera	القبيلـة
Alcayata	الخيطـة
Alcazaba	القصبـة
Alcāzar	القصر
Alcazuz	عرق السوس
Alcoba	القبـة
Alcohela	الكحيلـة
Alcohol	الكحـل
Alcoholar	قفـول
Alcolla	القلـة
Alcor	القـور
Alcorān	القرآن
Alcorci	القـرص
Alcorque	القـرق
Alcorza	القرصة
Alcotān	القطـام
Alcotana	القطاعة
Alcrebite	الكبريت
Alcroco	الكروكو
Alcuna	الكنيـة
Alcuza	الكوزه
Alcuzcuz	الكسكس
Alchub	الجب
Aldaba	الضبـة
Aldea	الضيعة
Aldebaran	الدبران
Aldiz	الديسة
Alefriz	الفراض
Aleja	اللويح
Alejija	الدشيشة
Alema	المـاء
Alepin	الحلبى
Alerce	الارز
Aletria	الاطريـة
Aleve	العيب
Aleya	الآيـة
Alfabega	الحبقـة

الف باء	Alfabeto
الهدية	Alfadiā
الحب	Alfafa
الفوارة	Alfaguara
الفخار	Alfahar
الحجام	Alfajeme
الفصفصة	Alfalfa
البنيقة	Alfanigue
الخنجر	Alfanje
الفك	Alfaque
الفكاك	Alfaqueque
الفقيه	Alfaqui
الحكيم	Alfaquin
الفرس	Alfaraz
الفردة	Alfarda
الفرضى	Alfardōn
الحرام	Alfareme
الفخار	Alfarero
الفرش	Alfarje
الخرص	Alfarrazar
الحاجة	Alfaya
الخياط	Alfayate
ابو فساس	Alfazaque
الفانيد	Alfeñique
الفارس	Alferez
الفراس	Alferraz
الفقوس	Alficoz
الفيل	Alfil
الخلال	Alfiler
الهند	Alfinde
الفتات	Alfitete
الخمرة	Alfombra
الفستق	Alfoncigo
الخرج	Alforja
الخرزة	Alforza
الحوز	Alfoz
الغابة	Algaba
الغيضة	Algaida
الغالية	Algalia
الغار	Algar
الغارة	Algara
العربية	Algarabia
الغربى	Algarabio

الغريب	Algarivo
العرادة	Algarrada
الخروبة	Algarroba
الغوار	Algavaro
الغزارة	Algazara
الغاسول	Algazul
الجبر	Algebra
القطن	Algodōn
الغرفة	Algorfa
الخوارزمى	Algoritmo
الوزير	Alguacil
الوقيدة	Alguāquida
الرزة	Alguaza
الحديدة	Alhadida
الخيط	Alhaite
الحاجة	Alhaja
الحمر	Alhamar
الحمال	Alhamel
الحنظل	Alhandal
الحنية	Alhania
الحايك	Alhaquin
الحركة	Alharaca
الحرمل	Alharma
الحوارى	Alhavara
الحلقة	Alhelga
الخيرى	Alheli
الحنا	Alheña
الحاج	Alhoja
الحلبة	Alholva
الفندق	Alhondiga
الهرى	Alhori
الحرمة	Alhorma
الخرى	Alhorre
الخزامة (1)	Alhucema
الخشيناء	Alhucena
الحراق	Alhureca
اليرقان	Aliacān
العيار	Aliara
اللكاث	Alicatar
اللقاط	Alicates

1 — ومنها اشتق اسم مدينة «الحسيمة» وهى ثغر فى المغرب الشمالى على البحر المتوسط

العضادة	Alidada
الحلقة	Alifa
الخفـــاف	Alifafe
الفرح	Alifara
الصحارى	Alijar
الامارة	Alimara
الهنـــد	Alinde
اليشـــق	Alioj
الجونى	Alionin
الاســاس	Alizace
الازار	Alizar
الجعبة	Aljaba
الجباب	Aljabibe
الجماعة	Aljama
العجمية	Aljamia
الجرس	Aljaraz
الجرفة	Aljorfa
الجارف	Aljerife
الجفنـــة	Aljévena
الجبس	Aljez
الجباب	Aljibe
الجفنية	Aljofaina
الجوهر	Aljofar
الجفافة	Aljofifa
الجـــر	Aljor
الجبـــة	Aljuba
المزرعة	Almaceria
المخزن	Almacen
المعدن	Almadena
المعدية	Almadia
المزربـــة	Almadraba
المطرح	Almadraque
المخزن	Almagacen
المجستى	Almagesto
المغرة	Almagra
المحلة	Almahala
المئزر	Almaizar
المجبى	Almaja
المنجنيق	Almajanique
المعجر	Almajar
المشجرة	Almajara
الملحفة	Almalafa
المخنقة	Almanaca

المنـــاخ	Almanaque
المنصب	Almanceb
المخرزة	Almarada
المربط	Almarbate
المرجة	Almarcha
المـــرج	Almarjo
المـــرو	Almaro
المحلاج	Almarra
المرشـــة	Almarraja
المرتـــع	Almartaga
المستكى	Almastiga
المطريج	Almatriche
المعصرة	Almazara
المعران	Almazarron
الميعـــة	Almea
المحشية	Almejia
المنـــار	Almenar
المنارة	Almenara
الميـــس	Almez
المبـــرد	Almibar
المقنطرة	Almicantarat
الميدان	Almidana
المفـــر	Almifor
المنشـــر	Almijar
الماجل	Almijara
المنبـــر	Almimbar
المنـــار	Alminar
[illegible]	Almiral
المهـــراس	Almirez
الاميرون	Almiron
المسك	Almizque
المقدم	Almocaden
المحفـــر	Almocafre
المقـــربص	Almocarbe
المخـــات	Almocat
المسدى	Almoceda
المكارى	Almocrebe
المقرى	Almocri
المدهون	Almodon
المصلى	Almofalla
المغفر	Almofar
المخفية	Almofia
المفرش	Almofrej

Almogama	الجامع
Almogavar	المغـــاور
Almohada	المخدة
Almohade	الموحد
Almohatre	النشـادر
Almohaza	المحســة
Almojabana	المجبنة
Almojama	المشمــع
Almojaref	المشرف
Almojaya	المجايزة
Almona	المونــة
Almoneda	المناداة
Almoradux	المدردش
Almoravid	المرابط
Almori	المــرى
Almorrefa	المنجرفة
Almotacén	المحتسب
Almotalafe	المستحلف
Almotazaf	المعتسف
Almozala	المصلى
Almud	المــد
Almudi	المدى
Almuédano	المؤذن
Almunia	المنيــة
Aloque	الخلوقى
Aloquin	الــوقــى
Alosna	الاشنــة
Alpargata	البرغات
Alquequenje	الكاكنج
Alqueria	القرية
Alquermes	القرمز
Alquerque	القــرق
Alquéz	القياس
Alquezar	القصارة
Alquibla	القبلــة
Alquicel	الكســاء
Alquiler	الكــراء
Alquimla	الكيمياء
Alquinal	القناع
Alquitira	الكثيراء
Alquitran	القطران
Alrota	الروث
Altamia	الطعمة
Altramuz	التــرمس
Alubia	اللوبيا
Aludel	الاثال
Aluneb	العناب
Aluquete	الوقيــد
Alloza	اللــوزه
Amago	الصمــغ
Aman	امـــان
Amapola	جبــورة
Ambar	عنبـــر
Āmel	عامــل
Amin	اميــن
Amir	اميـــر
Amusgar	مصطفى
Anacalo	نقـــال
Anafaga	النفقـــة
Anafalla	النفايـــة
Anaquel	النقـــال
Andorga	عندقة
Andrajo	انخراج
Anea	النـــاى
Anejir	النشيد
Anfiõn	افيــون
Ànoria	الناعورة
Anorza	المرشان
Anũteba	الندبة
Añacal	النقال
Añacea	النزاهة
Añafea	النفابة
Añafil	النفيـــر
Añagaza	النقازة
Añasco	النشق
Añazme	النظـــم
Añicos	النقض
Añil	النيـــل
Arabe	عربى
Arancel	علم الاسعار
Arar	عرعر
Argamandel	منديل
Argãn	ارجان
Arganas	عرقان
Argaya	الغاية
Argel	ارجل

Argolla	الغل
Arije	عريش
Arijo	رهيش
Arimez	العمـاد
Arjorān	ارجوان
Arrabā	الرباع
Arrabal	ارباض
Arracada	اقراط
Arraez	الـريس
Arrate	الرطل
Arrayān	الريحان
Arrecife	الرصيف
Arrejaque	الرشاقة
Arrelde	الرطل
Arrequife	الركاب
Arrequive	الركيب
Arrezafe	الحرشف
Arriate	الرياض
Arriaz	الرياس
Arriacés	الرزاز
Arrizafa	الرصافـة
Arroba	الربع
Arrocabe	الركاب
Arrope	الـرب
Arroz	الـرز
Arsenal	دار صناعة (ترسانة)
Ascari	عسكرى
Asequi	الزكاة
Asesino	حشاشون
Atabaca	الطباق
Atabal	الطبل
Atabe	الثقبة
Atacir	التسيير
Atafarra	الثفـر
Atafea	الطفاحة
Atahona	الطاحونة
Atahorma	التغرمة
Ataifor	الطيفور
Ataire	الدائرة
Atalaya	الطلائع
Atalvina	التلبينة
Atambor	الطنبور
Atanor	التنـور
Atanquīa	التنقيـة
Ataquizar	تكاثـر
Ataracea	الترصيع
Atarazana	دار الصناعة (الترسانة)
Atarfe	الطرفاء
Atarjea	الشركة (الترعة)
Atarraga	الطراقة
Atarragar	طرق
Atarraya	الطراحة
Ataud	التابـوت
Ataujia	التوشيـة
Ataurique	التوريق
Atavio	التعبيـة
Atifle	اثافـى
Atijara	التجارة
Atincar	التنكار
Atoba	الطوبة
Atriaca	التريـاق
Atutia	التوتيا
Auge	اوج
Averia	عوارية
Azabache	السبـج
Azabara	الصبارة
Azacan	السقاء
Azacaya	السقاية
Azache	السـاج
Azafate	السفط
Azafran	الزعفـران
Azagador	السكـة
Azahar	الزهـر
Azala	الصـلاة
Azamboa	الزنبوعة
Azandar	الصندل
Azanoria	اسفنارية
Azaque	الزكاة
Azaquefa	السقيفة
Azar	الزهـر
Azarbe	السرب
Azarcōn	الزرقون
Azarja	السارجة
Azarnefe	الزرنيخ
Azarote	الصفـر
Azofar	الصفار

السخرة	Azofra
سقى	Azogar
السوق	Azogue
السور	Azor
الزرافة	Azorafa
السوط	Azote
السطحية	Azotea
السكر	Azugar
السوسن	Azucena
السد	Azud
الزفيزف	Azufaifa
لازورد	Azul
السلاقة	Azulaque
الزليج	Azulejo
السنبل	Azūmbar
الثمن	Azumbe

B

بابوج	Babucha
بادل	Badal
بدن	Badān
بطانة	Badāna
بطيخة	Badea
باطن	Badén
بقجة	Bagaje
بحرى	Bagarino
بحرى	Bahari
باطل	Baladi
بلخش	Balaj
بلاط	Balate
باطلة	Baldar
بطل	Balda
وقع	Baque
بقير	Baquero
بركة	Baraca
برش	Barcino
بردج	Bardaje
بارع	Barī
بركان	Barragan
برى	Barrio
بت	Bata
بعل	Bayal
بز	Baza
بدوى	Beduino
بلوطة	Bellota
بان	Ben
بنى سالم	Benisalem
لبان جوى	Benjui
بربرى	Berberi
بربر	Bereber
بذنجان	Berenjena
برنية	Bernegal
بزار	Bezaar
بشناقة	Biznaga
بغازى	Bocaci
بندق	Bodoque
بائتة	Bōfeta
بورق	Borax
برنى	Borni
بثور	Botor
بجاية	Bujīa
برج	Burche
برد	Burdo

C

تبيلة	Cabila
قاضى	Cadi
قدره	Cadira
قفل	Cafela
كنز	Caferīa
قافلة	Cāfila
قفيز	Cafiz
كافر	Cafre
قفطان	Caftān
قائد	Caid
قائمقام	Caimacān
كلا	Cala
قلف	Calafetear
قلعة النور	Calatañazor
قلعة الاعرج	Calataraje
قالب	Calibo
خليفة	Califa

Coba	قبــة
Coime	قائم
Colcōtar	تلقطار
Copa	كوب
Cora	كورة
Cotōn	قطن
Cotoniā	قطنية
Cozcucho	كسكس
Cubeba	كبابة
Cufico	كوفة
Cūrcuma	كركم
Curdo	كردى
Chafarote	شفرة
Chaira	شفرة
Chalān	جلاب
Chamariz	ساماريز
Charca	طرقة
Charrān	شرانى
Cherva	خروع
Chifla	شفرة
Chilaba	جلابة
Chivo	جب
Choza	خص
Chuca	شقة
Chuche	جوه
Chupa	جبة

D

Daga	طاقة
Dahir	ظهــر
Daifa	ضيفة
Damajuan	دامجان
Dante	لـمط
Dārseña	دار صناعة (ترسانة)
Daza	دقسة
Dibujo	ديباجة
Dinar	دينار
Divan	ديوان
Dula	دولة

Cambuj	كنبوش
Camocān	كمخا
Camuñas	كمون
Canana	كنانة
Cāncano	قمقام
Candil	قنديل
Cārabe	كهرباء
Carabo	قــراب
Caramida	قرنيط
Cāramo	خمــر
Carava	قرابة
Carcajada	قهقهة
Carcax	خلخال
Carme	كرمة
Carmesī	قرمزى
Cārtamo	قرظم
Catalayub	قلعة ايوب
Cazo	كاس
Cazuz	قسوس
Cazzurro	قزور
Cebti	سبتى
Ceca	سكة
Cedoaria	زدوار
Cegatero	سقــاط
Cegri	ثغــرى
Celemi	ثمانى
Cenefa	صنفــة
Ceni	صينى
Cenit	سمت الراس
Cequi	سكــى
Cerbatana	زبطانة
Cero	صفر
Ceuti	سبتى
Ciani	زيان
Cibica	سبيكة
Cica	زق
Cifac	صفاق
Cifra	صفر
Cimbara	زبارة
Citara	ستارة
Civeto	زبد
Cofa	قفة
Coima	قويمة

Gandul	غندور
Gañguil	قنجة
Gañan	غنام
Garbino	غربى
Garduña	قرقدون
Gargara	غرغرة
Gargol	غرقل
Garrafa	غراف
Garrama	غرامة
Garrido	غرى
Gibraltar	جبل طارق
Goja	قفة
Gomer	غمارة
Granadi	غرناطى
Grisgris	حــرز
Guācharo	وجر
Guadafiones	وظاف
Guadqlen	وادى العين
Guadalkibir	وادى الكبير
Guadameci	وادى المسى
Guadarrama	وادى الرملة
Guajete	واحد
Gualā	واللــه
Guarismo	خوارزمى
Guilla	غلة
Guitarra	قيثار
Gumīa	كمى
Guarapas	غراب
Gurbīon	فربيون

H

Habiz	حبيس
Hacino	حزيــن
Hafiz	حفيظ
Hala	هلا
Haragān	فراغة
Harambel	الحنبل
Harca	حركة
Harēm	حــرم
Harōn	حرون
Harre	هر

E

Elche	علج
Elixir	اكسير
Engarzar	خــرز
Enjeco	الشك
Escabeche	سكباج
Estragōn	طرخون

F

Faca	فرخــة
Faluca	فلوكة
Falleba	خلابة
Fanal	فنــار
Fanega	فنيقة
Faquir	فقير
Farda	فرضة
Fardacho	فرضخ
Farfān	فرخان
Farfara	هلهل
Farota	خروطة
Fata	حتــى
Fetua	فتوى
Fileli	فيلالى
Foceifiza	فسيفساء
Fodoli	فضولى
Foluz	فلوس
Frez	فــرث
Fulano	فلان
Fundago	فندق
Fustan	فسطان

G

Gacela	غزالة
Gafeti	غافتى
Galanga	خلنجان
Galayo	تلاعة
Galbana	جلبــان
Galima	غنيمة

Hasani	حسانى
Haxix	حشيش
Hegira	هجره
Hoque	حق
Horro	حر
Hurī	حورى

I

Islam	اسلام

J

Jabali	جبلى
Jabalōn	جبلون
Jabeca	سبيكة
Jābeca	شبكة
Jabeque	شباك
Jabī	شبى
Jácena	جيزان
Jaco	شك
Jaez	جهاز
Jaguarzo	شقواص
Jaharrar	حوارى
Jaique	حايك
Jaloque	شروق
[illegible]	حماد
Jāmila	جميلة
Japuta	شبوط
Jaque	شق
Jaqueca	شقيقة
Jāquima	شكيمة
Jara	شعره
Jarabe	شراب
Jaraiz	صهريج
Jaramago	سرمق
Jareta	شريط
Jarifo	شرين
Jarope	شروب
Jarra	جرة
Jarro	غراف
Jatib	خطيب
Jazarino	جزائرى
Jazmin	ياسمين
Jea	جزية
Jebe	شبة
Jeliz	جلاس
Jeque	شيخ
Jerbo	جربوع
Jerif	شريف
Jeta	خطم
Jifa	جيفة
Jifero	شفرة
Jineta	جرنيط
Jirafa	زرافة
Jirel	جلال
Jofaina	جفينة
Jofor	جفر
Jorfe	جرف
Jorro	جر
Josa	حش
Jota	فتة
Jubōn	جبة
Julepe	جلاب
Jurdia	زردية

K

Kermes	قرمز

L

Lailan	دلال
Laūd	العود
Laudano	الاودن
Leila	ليلة
Lelili	لااله الا الله
Lerda	جرذ
Lilac	ليلاك
Limon	ليمون

M

Macabro	مقبرة

Macsura	مقصورة
Magacen	مخزن
Maglaca	مغلقة
Maharon	محروم
Maharrama	محرمة
Majzen	مخزن
Mameluco	مملوك
Marabu	مربوط
Maravedi	مرابطي
Marchamo	مرشم
Marfega	مرفقة
Marfil	عظم الفيل
Marfuz	مرفوض
Margomar	مرقوم
Marjal	مرج
Marlota	ملبوطة
Marmita	مرمة
Maroma	مبرومة
Marras	مرة
Masamuda	مصموده
Mascara	مسخرة
Matachin	متوجهين
Matalahuva	حبة حلوة
Matraca	مطرقة
Mazari	مصري
Mazmodina	مصمودي
Mazmorra	مطمورة
Meca	مكة
Mehala	محلة
Meiunje	معجون
Mengano	من كان
Mequetrefe	مغطرف
Merode	مراد
Metical	مثقال
Mezquino	مسكين
Mezquita	مسجد
Mia	مائة
Mikrab	محراب
Miramamolin	امير المومنين
Mistico	مسطح
Mogal	مغل
Mogataz	مغطس
Mogate	مغطى
Moharra	مجرب
Moharracho	مهرج
Mohatra	مخاطرة
Moheda	مغيضة
Moji	محشى
Momia	مومياء
Monfi	منفي
Monzon	موسم
Moraga	محرقة
Mozarabe	مستعرب
Mazcorra	مشغوره
Mudéjar	مدجن
Mufti	مفتي
Mujalata	مخالطة
Muladi	مولدي
Mulquia	ملكية
Muna	مونة
Muselina	موصلي
Muslime	مسلم
Musulman	مسلم

N

Nabab	نائب
Nabi	نبي
Nadir	نظير
Nafa	نفحة
Naife	نيف
Naipe	نايب
Najarse	نجاة
Naranja	نارنج
Natrun	نطرون
Nebli	نبلي
Nenufar	نيلوفر
Nesga	نسجة
Noque	نقعة
Noria	ناعورة
Nuca	نخاع

O

Ojala	ان شاء الله

Ojaranza	حرنج
Oruzuz	عرق سوس
Otomano	عثمانى

P

Papagayo	ببغاء

Q

Quermes	قرمز
Quilate	قيراط
Quina	كينا
Quintal	قنطار

R

Rabadan	رب الضان
Rabazuz	لب السوس
Rabel	رباب
Rabida	رابطة
Rafe	رف
Rahali	رحلى
Rahez	رخيص
Ramadan	رمضان
Rambla	رملة
Rauda	روضة
Recamar	رقم
Recua	ركوة
Redoma	رضومة
Regaifa	رغيفة
Rehala	رحلة
Rehen	رهين
Rejalgar	رهج الغار
Requive	ركيب
Res	رأس
Resma	رزمة
Retama	رتمة
Rifarrafa	رفرافة
Rima	رزمة
Robo	ربع
Romana	رمانة
Ronsal	رسن
Rubia	ربيع
Ruc	رخ
Rumi	رومى
Ruzafa	رصافة

S

Sabalo	شابل
Saboga	صبوغة
Sacre	صقر
Saleb	سحلب
Samarugo	سموك
Sampaguita	زنبق
Sāsdalo	صندل
Sandía	سندية
Sarilla	شطرية
Sarraceno	شرقى
Sebestēn	سبستان
Sena	سنا
Serafín	شريفى
Serasquier	عسكر (سر عسكر = رئيس العسكر)
Servato	حريث
Simùn	سموم
Siroco	شروق
Sofa	صفة
Sofi o sufi	صوفى
Sofora	صفيراء
Soldan o sultan	سلطان
Sorbete	شربة
Sorgo	شرقى

T

Taba	كعبة
Tabaque	طبق
Tabi	عنابى
Tabica	بطبيقة
Tabor	طابور
Tabuco	طبق

Turqui	تركـــى
Tutia	توتيـــا

U

Ulema	علمـــاء

V

Vacari	بقـــرى
Velmez	ملبـــس

X

Xara	شبرع

Z

Zabacequia	صاحب الساقية
Zabila	صبرة
Zabra	زورق
Zacatin	سقاطين
Zafa	صحفة
Zafar	زاح
Zafari	سفرى
Zafariche	صهريج
Zafio	سفـــع
Zafon	سفـــان
Zafra	صفرية
Zaga	ساقـــة
Zagal	زغـــل
Zagüia	زاويـــة
Zaguān	سطـــوان
Zahreño	صحراء
Zahén	زيـــان
Zahinas	سخينة
Zahora	سحـــور
Zahori	زهرى
Zaida	صايدة
Zaino	خائـــن
Zalā	صـــلاة

Taca	طاقـــة
Tafurea	طيفورية
Tagarino	ثغـــرى
Taha	طاعـــة
Tahali	تهليـــل
Taheño	طحنـــة
Tahona	طاحونة
Tahur	دخول
Taibeque	تشبيكة
Taifa	طائفـــة
Talco o Talque	طلـــق
Talega	تعليقة
Talismān	طلســـم
Talvina	تلبينة
Tāmaras	تمـــر
Tamarindo	تمر هندى
Tambor	طنبـــور
Tamīz	تمييز
Tara	طرحـــة
Taracea	ترصيع
Taraje	طرفـــاء
Tarbea	تربيـــع
Tarea	طراحة
Tarida	طريده
Tarifa	تعريفة
Tarima	طريمـــة
Tarquin	تركيـــم
Tasquil	تشكيـــل
Taujia	توشيـــة
Taza	طـــاسة
Tegual	ثقـــل
Tellis	تليـــس
Tereniabīn	ترنجبين
Tertil	ترطيـــل
Tibar	تبـــر
Tomin	ثمين
Toronja	ترنجـــة
Toronjina	ترنجان
Trona	نطـــرون
Truchiman	ترجمان
Tuera	طـــوارة
Turbit	تربـــد

سلام	Zalama
سلام عليك	Zalamelé
سلاخة	Zalea
صاحب المدينة	Zalmedina
زلونة	Zalona
صمكوك	Zamacuco
سمور	Zamarra
زمرة	Zambra
زنقة	Zanja
زق	Zaque
سقف سما	Zaquizami
ذرة	Zara
سراويل	Zaragüelles
سرطان	Zaratān
زرقاء	Zarco
بزركتان	Zargatona
سرتي	Zarretin
شرس	Zarza
زردخان	Zarzahān
شختورة	Zatara
سوق	Zoco
سفرة	Zofra
سقاط	Zoquete
زرزال	Zorzal
شعبة	Zubia
سلاقة	Zulaque
سلج	Zulla
سنة	Zuna
طوري	Zurito
سراب	Zurrapa
شريكة	Zurriaga
صرة	Zurrōn



مصطلحات الشرطة

وردت علينا رسالة من المنظمة العربيــة للدفــاع الاجتماعى بدمشق ترجو فيها تعريب بعض المصطلحات الشائعة فى مجال الشرطــة وننشر فيمــا يلى هــذه المصطلحات معربة بعد ان وضعنا الى جانبها ما يقابلها باللغتين الانكليزية والفرنسية — تعميما للفائدة وليطلع عليها القراء والمهتمون ويوافونا بآرائهم القيمة :

	المصطلح المطلوب تعريبــه	المصطلح المقترح	الفرنسى	الانكليزى
1	قومنــدال	رائد (قائد)	Commandant	Major
2	حكمـــدار	نقيــب	Capitaine	Captan
3	صـــول	مساعــد	Adjudant	Company sergeant
4	بتجاويش	رقيب اول	Sergent-chef	Sergeant-major
5	جــاويش	رقيــب	Sergent	Sergeant
6	او مباشى	عــريف	Caporal	Corporal
7	طابور تدريب	تــدريــب	Exercice, Entraine-ment	(Police sergeant) Drill training)
8	سنكــى	حــربــة	Baionnette	Bayonet
9	بيلــوت	بدلة العمل	Tenue, uniforme	Dress, Uniform

	المصطلح المطلوب تعريبه	المصطلح المقترح	الفرنسي	الانكليزي
10	بـــراسو	مزيل الصدأ	Brasso	Brasso
11	ارشيـــف	مصنفات ــ سجلات محفوظـــات	Archives	Files
12	شـــورت	بنطال قصير = تبان تصيف	Short	Short
13	فيـــزا	(تأشيرة)	Visa	Visa
14	بدلـــة	سترة ــ بذلة المراسم ، لباس الميدان ، لباس العمـــل لباس التمويه ، لبـــاس الثلج ، لبـــاس الطيران الخ . . .) بذلة تبعـــة	Tenue	Dress
15	بيـــريـــه		Beret	Beret
16	بنطلـــون	سراويل	Pantalon	Trousers
17	كـــاب	عمـــرة	Casquette, Kepi	Cap
18	حذاء بوت	حذاء عال	Bottillon	Boot
19	بسطـــار	حذاء قصير	Soulier	Shoe
20	حذاء ربل	حذاء مطـاطـي ــ حـذاء مطـري ــ حـذاء البحـر ــ	Botte de caoutchouc de mer	Gum-boot
21	فانيـــلا	مجسد . شعار	Sous-vêtement (gilet)	Flannel-vest
22	قيطان	خيط ــ	Fil	String
23	قايـــش	حزام ــ نطاق	Ceinture	Belt
24	دوجـــج (دوشـــج)	سرير	Lit	Bed
25	ابـــزيـــم	مشبك (اذا كان للبارودة مسند الاسلحة (اذا كان المقصود به ربط الاسلحة لحفظهـــا فـــي المستودع) ...	Chevetre	Peg
26	بطانيـــة	بطانية ــ لحاف ــ غطاء صوف .	Couverture	Blanket
27	شنطـــة	حقيبـــة	Sac, Valise	Bag
28	كيت (كاب ــ بورد)	خزانـــة	Armoire	Cupboard

الانكليزى	الفرنسى	المصطلح المقترح	المصطلح المطلوب تعريبــه	
Cartridge	Cartouche	خرطوش ــ نشك	نشــك	29
(Wax) Polish	Vernis (isolant)	ورنيش (ويتال : ورنيش عازل) ...	ورنيــش	30
Policeman	Policier	شرطــى	بوليــس	31
Diploma	Diplôme	دبيلــوم (لان الشهــادة تعنــى الــ Certificat والاجازة تعنى الليسانس)	دبلــوم	32
File	Dossier	اضبارة ــ ملف	دوسيــه	33
Photo-copy	Photocopie	نسخة تصويرية	فوتوكوبى	34
Teleprinter	Telétype	مبرق كاتب ــ طابعة عن بعد ــ كاتبة عن بعد .	تلبرانتــر	35
Computer	Ordinateur	كومبيوتر ــ دماغ الكترونــى ــ نظامــة ــ رتابة (1)	كومبيوتــر	36
Microscope	Microscope	مجهــر	ميكروسكــوب	37
Card, Index, Card	Fiche	بطاقة (بطاقة معلومات) جزازة (جزازة السجل)	فيــش	38
Stencil	Stencil	ورق مهرق	ستــانسل	56
Store of materials	Dépôt de matérials	مستودع المعدات	شرشــور	39
Arms specialists	Spécialistes d'armes	اخصائيو الاسلحة ..	تونكجيــه	40
Pistol	Pistolet	مسدس = فرد	طبنجــة	41
Hand-cuff	Menotte	قيــد	كلبشــة	42
Detention barrach	Caserne de détention	ثكنة التوقيف	تشــلاق	43
Map	Carte	خريطة	خارطــة	44
Roneo-machine	Ronéo	ساحبة او مكررة	آلة رونيو	45
Slide	Diapositive	شرحة فيلم = شفافة	سلايــد	46

(1) وتوجد اصناف اخرى تندرج تحت اسم كومبيتر منها :

1 ــ صنافة Classificateur
2 ــ حاسبة Calculatrice
3 ــ مجدولة Tabulatrice
4 ــ حافظة Classeur

	المصطلح المطلوب تعريبه	المصطلح المقترح	الفرنسى	الانكليزى
47	جهاز مايكروفلم (ميكروفيلم)	جهاز تصوير دقيق جهاز ميكروفلم	Appareil microfilm	Microfilm camera
48	فلاش (فيلم)	فلاش (اطلق عليه لفظ سنا)	Flash	Flash
49	فيلـــم	فلم ـــ شريط	Film	Film
50	جـــودود	جودو ـــ مصارعة يابانيـــة ـــ	Judo.	Judo
51	قـــاردون	بنـــد ـــ جديلة	Cordon	String, Rope
52	كاسكيـــت	عمـــرة	Casquette	Cap
53	كيتـــر	ران (ران كشـــاق او جلذي) ـ لفافـــة ـــ واقية الساق .	Guêtre	Garter
54	جزمـــة	جزمة	Brodequin	Laced boot, Ankie boot
55	لـــوري	شاحنـــة ،	Camion	Lorry
57	بيكـــب	عربة شحـــن صغيرة او شويحنـــة	Camionnette	Pick-up
58	بـــاص	حافلـــة ،	Autobus	Bus
59	بلـــدوزر	جرارة تسوية ـــ بلدوزر	Bulldozer	Bulldozer
60	تراكتـــور	جـــرارة (جرارة زراعية) ...	Tracteur	Troctor
61	بـــاج	شعار	Signe	Badge
62	ترنك لايت	اشارة ضوئية	Signal lumineux	Traffic light
63	بـــروجكتـــور	منـــوار	Projecteur	Projector
64	المـــاهيـــة	الـــراتـــب	Salaire, Solde	Salary, pay
65	كـــركـــون	مخفر ـــ مركز مراقبة	Poste Police	Police, station
66	نوبتجـــي	مناوب = مداوم	Permanence	Shift (officer etc.)
67	بـــروتوكـــول	مراسم ـــ تشريفات	Protocole	Protocol
68	كابـــلات	كبل ، قلس ج قلوس	Cables	Cables
69	ترانشكوت	ممطر كتيم	Imperméable	Trench-coat

ملحوظات بشأن معجم المصطلحات المالية

معجم المصطلحات المالية وضعته لنفسها « شركة النفط العربية الامريكية » . يتألف من نحو 4500 مصطلح انكليزى مع المقابل العربى لكل منها .

وهو مطبوع طبعا حسنا على ورق من القطع الكبير بحروف دقيقة رغبة فى الاقتصاد كما يظهر على سنة الطريقة المألوفة فى المعاجم . لكن المصطلح الانكليزى يرد فى يسار الصفحة ومقابله العربى يرد مقابله فعلا على يمين الصفحة طبعا لكن بينهما فراغا كبيرا وفسحة متسعة فى الغالب بحيث يصعب على النظر التأكد من معرفة اى مصطلح عربى يقابل هذا المصطلح الانكليزى او ذاك ، الا باستعمال المسطرة ، وهو ما لجأنا اليه فعلا اثناء تصفحنا المعجم ، تفاديا من الوقوع فى الخطأ او اللبس . فكان ينبغى بناءا على هذا اما تقسيم الصفحة طولا الى عمودين على عادة المعاجم واما طبع المعجم على ورق من قطع اصغر .

ومهما يكن فمن الواضح ان عناية كبيرة قد بذلت فى وضع المعجم وتبويبه وطبعه ، ونرى انه يصلح أن يكون قدوة لمعاجم مماثلة تنشئها الاقطار العربية يصار بها الى مكتبنا مع هذا المعجم ايضا — لتكوين معجم موحد منها يكون مرجعا معتمدا فى هذا الباب .

ولسنا نطالب الدول العربية بأن تشرع كل منها بوضع معجم مالى فان ذلك قد يطول الى امد تذهب معه الفائدة التى نرمى اليها ، وأنما رجاء المكتب هو ان تبادر الدولة العربية الموقرة بجمع مصطلحاتها المالية الجارية لديها فى دواوينها ومعاهدها حاليا وترسل بها الى هذا المكتب لتتسنى له مباشرة وظيفته من تنقيح واستكمال وتنسيق ، على وتيرة المعاجم الاخرى التى انجزها . ونحن نكتفى باستعراض الحرف الاول من المعجم اى حرف a كالنموذج لنبدى بشأنه الملاحظات التالية :

التحمل	Absorbing (...an expense)

+ المفهوم من هذه الكلمة الانكليزية هو « استنفاد » النفقة او المصروفات ، لذلك نقترح : « الاستنفاد » الى جانب (التحمل)

الشركة الدامجة	Absorbing company

+ الدامجة تعنى الداخلة . والصواب هنا : « الشركة المدمجة » ، بصيغة المجهول ، من ادمج الشىء فى الشىء ادخله فيه .

(Acceptance)

القبول المتيد	- Qualified acceptance

+ للتوضيح يضاف : او المشروط

مقبول	- Accepted
+ للتفريق بين هذا المصطلح و	Acceptable

الذى يعنى المقبول اى الممكن قبوله ، نقتــرح هنــا اضافة الشرح (اى تم قبوله) .

(Account)
- Balancing of accounts ترصيد الحسابات

+ يضاف للتوضيح : (موازنة الحسابات) .

- Uncollectable accounts . ديــون معــدومــة

+ المقصود بالمصطلح الانكليزى : ديون غير قابلة التحصيل . وتعبير (ديون معدومة) لا يؤدى هذا المعنى، الاصح (ديون ميتة) وهو اصطلاح مستعمل فى العربية فعلا بهذا المعنــى .

- Accounts review clerk
مأمور لمراجعة الحسابات

+ الاصح مراجعة (بدل لمراجعة)

- Account title اسم الحســاب

+ الاصح : عنوان الحساب .

(Accountant)

كبير المحاسبين فى المنطقة
- Discrit chief accountant

+ الاصح : كبير محاسبى المنطقة . كبير محاسبى منطقــة .

محاسب للعوائد والضرائب
Accountant, benefits and taxes

+ الافضل والاوضح اثبات المصطلح الانكليــزى هكــذا :

Benefits and taxes accountant

وفقا للطريقة التى انتهجها المعجم فى المصطلحــات السبعة السابقة وغيرها . ومثل هذا التصحيح ينبغى ادخاله على المصطلحات الثلاثة عشر التالية ، والكثير من امثالها فى المعجم .

(Accounting)

- Cost accounting . محاسبــة التكــاليف

+ الكلفة بضم الكاف وجمعها الكلف ــ زنة الدرر ــ اكثر شيوعا من التكلفة والتكاليف ، واصــح لمعنــى النفقــات المتكبــدة .

قسم محاسبة التكاليف
- Cost accounting division
+ يقال فى التكاليف هنا ما قيل فى المصطلح السابق، وفى اماكن كثيرة من المعجم .

- Sales accounting clerk مقيد فى حسابات المبيعات

+ Clerk تعنى الكاتب او المأمور كما استعملها المعجم نفسه فى اماكن اخرى . لهذا يكون تعريب هــذا المصطلح الانكليزى : محاسب المبيعات ، كاتب او مأمور حسابات المبيعات .

- Shops accounting حسابــات الــورش

+ Shop تعنى الحانوت او الدكان او المتجر . فالاصوب تعريب المصطلــح : محاسبــة او حسابات الحوانيت . اما اذا اريد استعمال Shop بمعنــى Coorkshops اى المشغل فيكون التعريب : محاسبة او حسابات المشــاغــل .

(Accounting clerk)
مقيد حسابات انتاج الخام
- Accounting clerk, crude production

بغية الوضوح واتساق النهج فى المعجم كله

+ نقترح كما فعلنا آنفاً كتابــة هــذا المصطلــح الانكليزى هكــذا :

Crude production accounuting clerk
لان هذا هو المقصود . اما التعريب فيكون : كاتب او مأمور حسابات انتاج الخام . ويلاحظ استعمال المقيد بدل الكاتب او المأمور او المحاسب فى اماكن كثيرة اخرى من المعجم على حين ان مهمته ليست مجرد التقييد اى التسجيل بل اجراء الحسابات من تقييــد وموازنــة وغير ذلك .

Accrual التجمــع . الاستحقــاق

+ نقترح اضافة التراكم الى التجمع لان هذا الاخير قد يعنى احتشاد الناس وتجمعهم اذا اطلقت الكلمة دون وجود قرينة معها تحدد معناها التقنى المقصود .

Accumulated متجمــع

+ يضــاف متــراكم .

Act of administration . عمل من اعمال الادارة

+ نقترح اضافة : عمل ادارى

عمل من الاعمال التحفظية Act of conservation

+ نقترح اضافة : عمل تحفظي او احترازى

تصــرف Act of disposition

+ نقترح اضافة : عمل تصرفى

دعــوى الشركــة Company's right of action

+ نقترح اضافة : حق الشركة فى الدعوى

Action for fraudulent convengance

الدعوى البولصية (دعوى ابطال التصرفات)

+ المقصود بكلمة (البولصية) هو « بوليصية »

اعمــال Activities

+ نقترح اضافة : فعاليات

سعر حقيقى . التكلفة الفعلية

Actual cost

+ الصواب : الكلفة (بدل التكلفة)

(Advance)

ايرادات محصلة مقدما

- Income collected in advance

+ ايراد ، بدل ايرادات

فوائد محصلة مقدما

Interest collected in advance

+ فائدة ، او ربا (بدل فوائد)

دفعــة مقــدمــة Advance payment

+ (مقدمة) غير واضحة لانها تعنى (معطاة) ايضا

نقترح ان يضاف اليها : معجلة

مسمــوح بــه Allowable

+ يضاف : مباح (وهى الافضل لانها كلمة واحدة وبنفس المعنــى) .

علاوة ، خصم ، حسم ، بدل (مقررات) Allowance

+ الصواب حذف : خصم ويضاف : حطيطة . وان يكون ما بعد حسم هكذا : (بدل « مقررات ») .

خضميات التســويــق - Marketing allowance

+ الصواب : تخفيضات او حطيطة التسويق

حسميــات على المبيعــات - Sales allowance

+ الصواب : سماح او حطيطــة او تخفيضــات ، بدل حسميات .

Allowance for bad depts احتياطى الديون المعدومة

+ الميتــة ، بدل المعــدومــة

مسمــوح بــه Allowed

+ يضــاف : مبــاح

استهلاك الخصوم الثابتــة Amortization

+ الصواب : الحسوم او الاستقطاعــات ، بــدل الخصوم (لان هذه الاخيرة تعنى الغرماء) .

(Analysis)

- Amounts analysis clerk معاون تحليل الحسابات

+ كاتب او مأمور ، بدل معاون

الحسم مــن Applying against

+ يبدو كأن المعنى المقصود هو : «التطبيق ضد» .

وهو اصل المعنى . يضاف للايضاح .

عيــن Appoint

+ الكلمة عامة غير محددة . يضاف للايضاح : وظف، عين فى وظيفــة .

قيــم - Court appointed gardian

+ الكلمة صائبة ، لكن عدم تحريكها يوهم بأنها جمع قيمة بينما هى بكسر الياء مشددة . يضاف للايضاح : وصى

تقــديــر . Appraising

+ يضاف للايضاح : تقييم

Arithmetical average — متوسط حسابى .

+ بعضهم يستعمل المعدل بـدل المتوسـط ، لذلك نقتـرح اضـافـة : معـدل حسابـى .

Article of association — الشركـة

+ خطأ مطبعى صوابه : صك الشركة

Asessment of taxes

تحقيق الضرائب (ض) تقدير الضرائب

+ توضع شولة (،) بين « تقدير » وما قبلها .

(Assets)

- Bases of evaluation of asets

اسس تقديم الاصول .

+ زيادة فى الايضاح يضاف : اسس تقويم الموجودات

- Easily realisable assets

اصول سهلة التصريف .

+ يضاف : موجودات سهلة التصريف

- Evaluation of assets

تقويم الاصول

+ يضاف : تقويم الموجودات

- Fictitious assets — اصـــول وهميـــة

+ يضاف موجودات وهمية

- Fixed assets cirtificate

شهادة الاصول الثابتـــة

+ الصواب : شهادة الاصول (او الموجـــودات) الثـابتـــة

Floating assets — اصـــول متداولـــة

+ الصواب : اصول (او موجودات) متداولة

- Gain on fixed assets

ارباح بيع الاصول الثابتة

+ الصواب : ارباح بيع الاصول (او الموجودات) الثـــابتـــة

- Intangible assets — اصـــول معنـــويـــة

+ يضاف : موجودات معنوية

- Minus assets accounts

حسابات تخفيض قيمة الاصول

+ يضاف : (او الموجودات)

- Quasi-fixed assets

اصـــول شبـــه ثـــابتـــة

+ يضاف بعد اصول : (او موجودات)

- Quick assets (easily relizable assets)

اصول سهلـــة التصريف

+ يضاف بعد اصول : (او موجودات)

- Semi-fixed assets

اصـــول شبـــه ثـــابتـــة

+ يضاف بعد اصول : (او موجودات)

- Surrender of assets

التنازل عن الاصول للدائنين

+ يضاف بعد اصول (او الموجودات) ، وتوضع للدائنينبين قوسين ، فيكون تعريب المصطلح هكذا : التنازل عن الاصول او الموجودات (للدائنين)

- Tangible assets — اصول متناقصة

+ يضاف : الاصول او الموجودات الحقيقية

- Wasting assets — اصـــول متناقضـــة

+ يضاف : موجودات تالفة .

- Working assets (working capital)

اصول متداولة (راس المال العامل)

+ يضاف بعد اصول : (او موجودات)

Assets section — جانب الاصـــول

+ يضاف : شعبة الموجودات

Assigning — التنـــازل . التعيين

+ يضاف بعد التعيين : (التوظيف)

(Assurance)

- Double endowment assurance

تأمين مختلط مضاف

+ مضاف خطأ مطبعي ، صوابه : مضاعف

At sight — عند الاطـــلاع

+ يضاف : عنـــد الرؤيـــة

Attributing to — الارجـــاع الى .

+ يضاف : العزو الى

Audit fees — مصروفات تدقيق الحسابات

+ اجـــور (او جعل) التدقيق

(Auditor)

- Cerified auditor — مراقب حسابات قانوني

+ يضاف : (او مجـــاز)

Authorized — مصرح بـــه

+ الصواب : مجاز . مخول . مأذون به . مرخص

Authorized capital — رأس المـــال المصرح به

+ الصواب : المرخص (بدل المصرح به).

Authorized capital stock — رأس المال المصرح به

+ الصواب : المرخص (بدل المصرح به)

Authorized shares — الاسهم المصرح بها

+ الصواب : المرخصة (بدل المصرح بها)

Authorized share capital — رأس المال المصرح به

+ الصواب : المرخص ، المجاز (بدل المصرح به)

Average — متـــوسط

+ يضـــاف : معـــدل

- Arithmetical average — متوسط حسابي

+ يضاف بعد متوسط : (او معدل)

متوسط حسابي بسيط

- Simple arithmetical average

+ يضاف بعد متوسط : (او معدل)

Average cost — متوسط ثمن الكلفـــة

+ يضاف بعد متوسط (او معدل)

متوسط المشتريات اليومية

Average daily purchases

+ يضاف بعد متوسط : (او معدل)

Average daily sales — متوسط المبيعات اليومية

+ يضاف بعد متوسط : (او معدل)

Average unit cost — متوسط ثمن تكلفة الوحدة

+ الصواب : معدل كلفة الوحدة

القاموس العربي الأذربيجاني

الاستاذ حسن زوينة زاده

تلقينا من الاستاذ حسن زوينة زاده المقال التالي حول معجم وضعه معهد شعوب الشرقين الادنى والاوسط لاكاديمية العلوم في جمهورية اذربيجان ننشره مصورا كما تلقيناه لما فيه من كلمات ومصطلحات مكتوبة بحروف روسية لا وجود لها في مطابعنا ولن نعلق عليه الآن باسهاب بل نترك ذلك للعلماء من القراء ونفسح لهم المجال في العدد الآتي ، لكن لا بد من عرض بعض الملاحظات البسيطة بين يدى المعجم تمهيدا لمن سيطلع عليه .

1 — تسمية المعجم بالقاموس تسمية خاطئة لان كلمة (قاموس) تعنى : البحر الخضم العميق الواسع كالمحيط مثلا ، وقد تم شبه اعتراف بين الجغرافيين على تسمية المحيطات بالقواميس . ودخل الغلط على كثير من الناس عن طريق قاموس المحيط للفيروز آبادى ولم يدركوا انه انما اسمى معجمه بالقاموس مجازا وتشبيها له بالبحر لاتساعه وعمقه ووفرة ما فيه من مواد حتى كأنه بحر اللغة ومحيطها وقاموسها . على ان كلمة « قاموس » بمعنى « معجم » قد انتشرت الآن واصبحت على لسان كلمتعلم كأنها مرادفة لها او كأنها هى الاصل ، كما انتشرت كلمة (المنجد) كذلك. وهى تشبه ما يعرض الآن فى الشعوب التى تتكلم الفرنسية عن معجم لاروس Larousse وما هو الا معجم من جملة معاجم كثيرة فى اللغة الفرنسية لكنه لشهرته قد تغلب عليها . وما كان فى الاصل خطأ فلا يجوز القياس عليه وكان ينبغى ان يسمى معجما لا قاموسا .

2 — وضع هذا المعجم لمن يعرف اللغة العربية ويريد البحث عن مقابل المصطلح العربى باللغة الاذربيجانية بدليل انه (عربى — اذربيجانى) ويفترض فى من يستخدم هذا المعجم ان يكون على مستوى حسن من فهم اللغة العربية ويستطيع تجريد الكلمة من الزوائد والبحث عنها فى موضعها لكن واضع هذا المعجم سلك فيه الطريقة المستحدثة اقتداء باللغات الاوروبية ، اى جمعه على اساس نطق الكلمة بكل ما فيها من زوائد ، وهى طريقة اقل ما يقال فيها انها تبدد اسرة الكلمة وتبعثرها فى اماكن متعددة متباعدة لن يستطيع الباحث ضم اشتاتها الا بصعوبة وبمدة طويلة قد تبلغ اضعاف الزمن الذى يأخذه البحث عنها على اساس الجذر .

3 — قول الكاتب : « ان بناء المعاجم العربية الموضوعة وفق نظام الجذر يستند الى ترتيب للكلمات

فى غاية التعقيد واحيانا الى تحليل عامى غير علمى من حيث تأصيلها والى الآجرومية العربية التقليدية التـى تم تعقدها والى تصانيفها الخاطئة من حيث اقســام الكــلام ... » .

هذا الكلام يتضمن اتهاما لجميع معــاجم اللغــة العربية لن نعلق عليه الآن ولكنا نقول لــه : رويدك ياصاحبنا فللغة العربية خصائصها كما ان لكل لغــة خصائصها كذلك وليست « الآجرومية التقليدية » بسيئة الى هذا الحد الذى تتهم فيه بأنها عامية وليس كـل قديم عرضة للهدم نعم ان فى القديم عيــوبا كوضــع المعاجم التقليدية على اساس « الفصل والباب » لكن المعــاجم الحديثــة وضعت على اساس « الابجديــة والجذر » كالمنجــد القديــم ولسان العــرب والمحيط والمصباح المنير ومختار الصحاح وكلها بين ايدى طلاب المدارس الابتدائية يعرفون كيف يستخدمونها ، والنادر القليل جدا مما لا يعرفه طلاب المدارس الثانويــة فى جميع البلاد العربية وحتى الغرباء عنها من مستعربين ومستشرقين .

4 ــ لوحظ فى المعجم استخدامه ألفــاظاً غريبــة عن اللغة العربية مثل يوزباشى او كلمات عامية مثل كمترابة او كلمات املاؤها خطأ كوضع همزة القطع فى محل همزة الوصل ... الخ

5 ــ يستخــدم فى المقال امثلــة يكتبهــا باللغــة الاذربيجانية ،وبالحروف الروسية ولا يشرح معناها ، فما هى الفائدة منها والمقال ــ فى الاصل ــ ما وضع الا لينشر فى مجلة عربية وليقرأه من يفهم هذه اللغة ؟!

هذه بعض ملاحظات سريعة على المقال ونرجو ان نجد فرصة اوسع للتعمق فى دراسته ونتــرك بعــد ذلك للقراء رأيهم .

ممدوح حقى

بناء القاموس العربي الأذربيجاني وطريقة إستعماله

الأستاذ حسن زوينه زاده[1]

I

إنّ هذا القاموس، كما يفهم من اسمه، مزدوج اللغة. وتعتبر القواميس المزدوجة عادةً قواميس ترجمة. بيد أنّ هذا القاموس ليس مجرّد قاموس ترجمة، فهو أصيل من حيث بناؤه. ولذا ينبغي توضيح ميزاته.

إنّ المصادر المتعلّقة بتأريخ علم اصول وضع المعاجم العربيّ تشير الى تطبيق نظام الجذر عامّةً، ونظام الأبجديّة في موارد استثنائيّة، وخاصّةً في القواميس المزدوجة الموضوعة حتّى الآن والّتي عولجت فيها العربيّة مع الفارسيّة والتركيّة والانجليزيّة والفرنسيّة والروسيّة .. الخ. ولكلّ من هذين النظامين أنواع مختلفة، يمتاز كلّ نوع منها بخصائص ينفرد بها، لا يتّسع المجال هنا لشرحها. غير أنّه يمكن الأستدلال من التحليل النظري الزمني لكلا النظامين والمقارنة التأريخية بينهما، على أنّ وضع قواميس مزدوجة تعالج فيها العربيّة مع لغات أخرى، وحتّى معاجم عربيّة مفسّرة ذات بناء بسيط ويسير الأستعمال نسبيّاً[2]، في الوقت الراهن، قد يكون أمراً

1. سيجري هنا للمسائل المتعلّقة ببناء القاموس وأسس تنظيمه، لا على أساس تحليل علمّي بحت مفصّل، وانّما على شكل تلخيص تصويري الطابع لغرض تطبيقي. أمّا تفاصيل المسائل المذكورة وتحليلاتها النظريّة والعلميّة العميقة، فهي مجال دراسة موسّعة نسبيّاً، ستقدّم على صورة كتاب مستقلّ.
وهذا القاموس يحتوي على أربعة وأربعين ألف مادّة وعبارة لغويّة في أربعة مجلدات. طبع مجلده الاوّل في باكو عام ١٩٧٢، أشرف على تأليفه وراجعه مؤلّف جزئه الأكبر حسن زوينه زاده.
2. قاموس "الرائد" تأليف جبران مسعود، بيروت، ١٩٦٤ وقاموس "المنجد الأبجدي"، بيروت، ١٩٦٧

ممكنًا ومفيدًا وضروريًّا . ويتعيّن لهذا الغرض ، أن يطبّق في وضعها نظام الأبجديّة القائم على الأصول العلميّة ومنجزات علم اللغة المعاصر .

لقد تعرّض نظام الجذر المطبّق في علم أصول وضع المعاجم العربيّ التقليدي ، في عصرنا هذا ، الى نقد لا غير العرب وحسب ، بل العرب ، وحتّى المستعربين اللغويين أيضا . انّ بناء المعاجم العربيّة الموضوعة وفق نظام الجذر ، يستند الى ترتيب للكلمات في غاية التعقيد و أحيانا الى تحليل عامّي غير علمي من حيث تأصيلها والى الأجروميّة العربيّة التقليديّة الّتي تمّ تعقيدها والى تصانيفها الخاطئة من حيث أقسام الكلام وغيرها في بعض الأحيان [3] وفي مقدور اللغويين المتمكّنين من قواعد اللغة العربيّة التقليديّة ، والملمّين بالتحليل العميق المستند الى

---

٣ . للحصول على معلومات تفصيلية عن المعاجم المؤلّفة وفق النظام المذكور ، وعن خصائصها يمكن الرجوع الى المؤلّفات المدرجة أدناه ، والعائدة لتأريخ علم أصول وضع المعاجم العربيّ :

أحمد فارس الشدياق " الجاسوس على القاموس " القسطنطنية ١٢٩٩

A.Kremer "Beitrage zur arabischen Lexikographie" I-II,Wien I883-I884(SBWA,B.CIII,Heft,I8i-270;CV, 2.Heft,429-504)

И.Ю.Крачковский "Предисловие" к 1-му изданию القاموس العربي الروسي Х.К.Баранова,М.1940 - 1946 гг.

عبد الله العلايلي " مقدمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد " القاهرة - ١٩٥

عبد الله العلايلي " المعجم " المجلّد الأوّل (مقدمة) بيروت ١٣٧٤

حسين نصّار " المعجم العربي نشأته وتطوّره " الجزء ١ - ٢ ، القاهرة ١٩٥٦

عبد الله درويش " المعاجم العربيّة مع اعتناء خاصّ بمعجم " العين " للخليل بن أحمد ، القاهرة ، ١٩٥٦

عليتقي منزوي " فرهنگنامه هاى عربى بفارسى " (در مقدمه " لغت نامه " دهخدا) تهران ١٣٣٧ ص ٢٦٥ - ٢٧٢

John A.Haywoud "Arabic Lexicography,its history,and its place in the general history of Lexicography,Leiden,E.I.Brill,I960

علمي الأشتقاق والصوتيّات لمفردات اللغة المذكورة، الأستفادة من تلك القواميس كما ينبغي . وطبيعيّ أنّ أكثريّة المستفيدين من المعاجم الخاصّة بهذه اللغة أو تلك ليسوا لغويّين .

لقد سعى بعض اللغويّين من منتسبي مختلف الشعوب، في حالات استثنائيّة للغاية، إلى الأخذ بنظام الأبجديّة في وضع المعاجم المزدوجة تعالج فيها العربيّة مع لغات أخرى . ويمكن لنا أن نذكر من بين هؤلاء، مؤلّف القاموس العربيّ – التركيّ المعنون "أختري كبير" المصطفى بن شمس الدين القره حصاري (القرن السادس عشر) وواضع القاموس العربي – التتري المسمى "المفيد" طاهر أحمد الاليا سيّ (القرن التاسع عشر – القرن العشرون) . غير أنّ نظام الأبجديّة المطبّق في هذه القواميس بدائيّ وسطحيّ للغاية .

ونرى لزاماً علينا، لتوضيح فارق رئيسيّ بين نظام الجذر ونظام الأبجديّة المطبّقين في المعاجم العربيّة، أن نتناول المسألة التالية :

من المعروف، أنّ احدى المسائل الرئيسيّة لعلم أصول وضع المعاجم، هي الأختيار القائم على معيار علميّ للجانب اللازم إدراجه في القاموس من بين الكلمات المستعملة في اللغة . ويديهيّ أنّ جانبا قليلا من الكلمات المستعملة في أيّة لغة من اللغات فقط (وليس كلّ الكلمات) يكون موادّ القاموس . ونحن ندعو (شرطيّاً) جميع ما يستعمل في اللغة من كلمات بـ "مفردات اللسان اللغويّة" . أمّا الكلمات التي تدرج في القاموس فنسمّيها هي الأخرى (أيضا شرطيّاً) "مفردات اللسان المعجميّة" . فمثلاً، من جذر (كتب) في اللغة العربيّة يدرج في القاموس إمّا مصدره (كِتابة أو كَتْب) أو ما نسمّيه (شرطيّاً) "مصدره الشرطيّ"

٤ . مصطفى بن شمس الدين القره حصاري "أختري كبير"، استامبول ١٣١٠هـ .
٥ . طاهر أحمد الأليا سيّ "المفيد" عربچه – تاتارچه لغت كتابي، غازان ١٩١٣ م .

(كَتَبَ – صيغة الغائب المفرد المذكّر لما ضيه) فقط من بين مئات الكلمات المشتقّة من ذلك الجذر المتعلّقة بمقولات تختصّ بالفعل (Les diffé- rentes catégories du verbe) عامّةً بأعتبار تصاريفه (نعني وجوهه وصيغه حسب الزمان والشخص والجنس والكمّيّة ... الخ) .

وأمّا المعلومات عن تلك الوجوه والصيغ وتحوّلاتها من حيث الشكل والمعنى، ومشتقّات ذلك الجذر الأخرى الّتي ندعوها بـ " مفردات اللسان اللغويّة " للكلمة المذكورة فتورد موضّحة لا في القاموس، وإنّما في الأجروميّة (في علمي الصرف والنحو) وغيرها . ويستدلّ من هنا أنّ علم أصول وضع المعاجم مدعوّ، قبل كلّ شيء، لطرح معيار يقوم على أسس علميّة لاختيار " مفردات اللسان المعجميّة " من بين " مفردات اللسان اللغويّة " وإدراجها في القاموس. فبدون مثل هذا المعيار، يتعذّر تحديد نطاق شمول القاموس من حيث ما سيتضمّنه من مفردات، وطريقة ترتيب تلك المفردات بين دفّتيه وأصول الأستفادة منه.

وليس ثمّة فارق كبير بين نظام الجذر ونظام الأبجديّة من حيث عدد " مفردات اللسان المعجميّة " . وكلّ ما هنالك من فارق رئيسيّ في هذا المجال، يبرز في طريقة إدراج وترتيب تلك المفردات.

إنّ نظام الأبجديّة الّذي اتبعناه في القاموس العربي – الأذربيجاني، شبيه بالنظام الأبجدي المتعارف، مثلاً، في جميع القواميس العائدة لمختلف اللغات الأوروبيّة، تقريبًا .

ولقد اجتهدنا للأستفادة من النواحي القيّمة والعامّة لنظام الأبجديّة وكذلك نظام الجذر المطبّقين في المعاجم العائدة لمختلف اللغات، وللتطبيق العلمي لنظام الأبجديّة في ترتيب القاموس العربي – الأذربيجاني آخذين الميزات الصرفيّة والنحويّة والصوتيّة واللغويّة لكلتي اللغتين (العربيّة والأذربيجانيّة) بنظر الأعتبار، بحيث أصبح هذا القاموس الّذي قدّمناه، يحمل الخصائص الايجابيّة للمعاجم الموضوعة وفق نظام الجذر التقليدي مع خلوّه من نواقصها . ويمتاز هذا المعجم

على القواميس الموضوعة وفق نظام الجذر، ببساطته ويسر استعماله.
والقاموس في بنائه المستند الى النظام الأبجدي يتضمّن جوانب جديدة ودقيقة يمكن لها أن تثير اهتمام المستمر بين اللغويّين. وقد أوردنا أدناه معلومات ملخّصة عن ذلك.

II

ملاحظات عامّة حول أصول إدراج الكلمات في هذا القاموس

١. تُدرج المفردات العربيّة في القاموس وفق الترتيب الهجائي للأبجديّة العربيّة.

٢. تُعتبر الهمزة حرفا (كالحرف الثاني للأبجديّة) وبذلك يكون الترتيب الهجائي للابجديّة العربيّة في القاموس، شرطيًّا، على النحو التالي:

ا ء ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و ى

٣. بناء على تعذّر صدارة حرف الألف في أيّة كلمة كانت، في اللغة العربيّة، فانّ الهمزة مع كرسيّها، نعني الألف (أَ، أُ، إِ) تقدّم أوّلاً في القاموس.

٤. نظرًا لصعوبات في الطبع، ولأسباب نظريّة وتكتيكيّة، فُضّل تحريك (تشكيل) الكلمات العربيّة على تهجيتها (transcription)، مع حذف بعض الحركات بقدر الأمكان.

٥. في حالات استثنائيّة تقدّم تهجية الكلمة لتجنّب الألتباس. مثال: يَس (jāсӣн).

٦. يُستند عند إدراج الكلمات في القاموس الى ترتيب أحرفها، كما هي، أمّا بالنسبة الى حركاتها فيستند الى القانون الصوتيّ للغة العربيّة، والمدوّن أدناه: ◌ِ > ◌ُ > ◌َ > ◌ْ. أي بتفضيل الكسرة على الضمّة، والضمّة على الفتحة، والفتحة على السكون (بجعلها في موضع

التقديم). وهذا ما ندعوه، شرطيّاً، بـ" المعيار الصوتيّ ".

٧. يفترض في حرف مشدّد لدى ترتيب الكلمات أنّه مؤلّف من حرفين مثال: تعتبر (شَدَّة) بمثابة (شَدْدَة).

٨. يؤخذ في ترتيب الكلمات الّتي تتضمّن همزة مع الكرسيّ، لا بالهمزة، بل بكرسيّها (ا، و، ى). مثال: تعتبر كلمات (رأس، بؤس، ذئب) بمثابة (راس، بوس، ذيب).

٩. أمّا الهمزة الطليقة من الكرسيّ فتتقدّم وفق مقامها، أى كحرف الأبجديّة الثاني. مثال: تأتي كلمة (بَدء) بعد كلمة (بَداهة).

١٠. لتعيين ترتيب الكلمات الّتي تتضمّن الهمزة مع الكرسيّ، يؤخذ إمّا الكرسيّ (ا، و، ى) أو الحرف التالي للهمزة بنظر الأعتبار. مثال: تقدّم كلمة (شأمي) أوّلاً، ثمّ كلمة (شأن) وتأتي بعدها كلمة (شانطة).

١١. فى حالة مماثلة الحروف التالية للهمزة مع الكرسيّ فى تركيب الكلمات، فيؤخذ أوّلاً بالألف، ثمّ بالهمزة، ومن ثمّ بالواو وبعدها بالياء (كما هو فى الترتيب الهجائي). مثال: تتقدّم كلمة (شئمة) على كلمة (شيمة).

١٢. تعتبر التاء المربوطة (ة) بمثابة التاء الممدودة (ت).

١٣، ا) تدرج الصيغ المتّفقة معنىً والمختلفة صوتيًا للكلمة فى القاموس ككلمات على حدة مع مراعاة الترتيب الهجائى، أمّا المعنى فيعطى فى مادّة صيغة تقتضي التقدّم الترتيبي، مع إرجاع القارئ الى تلك الصيغة.

مثال: كمّثراة : армуд کمّثــراة
бах : کمّثرايــة

ب) اذا كان الأختلاف فى الصيغ المتّفقة معنىً للكلمة مقتصراً على الحركات وحدها، فانّ الصيغ المذكورة توحّد فى مادّة واحدة بقدر الأمكان. مثال: تقدّم "إبابَة" و "أَبابَة" على صورة "إِ، أَبابَـة".

ج) يؤخذ الجذر بنظر الأعتبار عند ترتيب الكلمات المشتقّة من جذور مختلفة والمتّخذة نتيجة أحداث صوتيّة نفس الصيغة. مثال: لنأخذ

كلمتي " تغرية " و " تغرية " ؛ أنّ جذر الأولى (غرو) ، وأمّا جذر الثانية فهو (غري) . ولذا تقدّم في القاموس كلمة " تغرية " الّتي جذرها (غرو) على كلمة " تغرية " الّتي جذرها (غري) .

د) يراعى الترتيب الهجائي بقدر الإمكان في الكلمات المرجع اليها أيضا ، أي أنّ المعنى (الترجمة) يعطى في مادّة الكلمة الّتي تستلزم التقدّم الترتيبي . مثال : تتبع كلمة (تحارب) كلمة (أحتراب) ، أمّا المعنى فيعطى في كلمة (إحتراب) .

١٤ . انّ الألف الممدودة (آ) في تركيب الكلمات العربيّة الأصيلة أو المقتبسة من لغات أخرى ، سواءً أكانت مؤلّفة من همزة مع الألف ، أم من همزتين ، تعتبر بمثابة الهمزة مع الألف (ءا) لتسهيل الاستفادة من القاموس . مثال : (قرآن ، آجل ، آجندة) تعتبر (قرءان ، ءاجل ، ءاجندة) .

١٥ . بالنسبة للكلمات المشتقّة من جذر واحد ، والّتي تكتب أحداها بالأدغام والأخرى بالعكس ، فأنّ المدغمة تتقدّم الثانية . مثال : تأتي (مَدَد) بعد (مَدّ) .

١٦ . الألف المقصورة الّتي تكتب بصورة الياء ، وتقرأ كالألف في أواخر كلمات كـ (حتّى ، فتًى ، على ، إلتوى) تعتبر ياء (ى) في ترتيب الكلمات .

١٧ . في ترتيب الكلمات ذات التركيب الصوتيّ الواحد ، والمتباينة من حيث انتسابها لأقسام الكلام في علم الصرف العربيّ وفي معانيها ، يسترشد بترتّب أقسام الكلام المتّبع في أجروميّة اللغة الأذربيجانيّة . مثال : كلمة (أثر) إسم ومصدر في نفس الوقت . ولذا تقدّم كلمة (أثر) الاسم على كلمة (أثر) المصدر . وهذا ما ندعوه ، شرطيًّا ، بـ " المعيار الصرفيّ " .

١٨ . اذا كان " المعيار الصرفي " و " المعيار الصوتي " يقتضيان

ترتيب الكلمات على نحوين مغايرين، تعطى الأولويّة للمعيار الصرفي.
مثال : تقدّم (قِطّ) الأسم أوّلاً، ثمّ " (لا قطّ) قطّ " الفعل، و
من ثمّ (قَطُّ) الظرف.

١٩. يؤخذ بالشكل المتّصل للكلمة عند ما تكتب أجزاؤه متّصلة
حينًا و منفصلة حينًا آخر، أمّا شكلها الّذى يكتب منفصلاً فيورد الى جانب
الشكل المتّصل بين هلالين. و يعمل بنفس الطريقة لتبيان أجزاء الكلمات
المركّبة. مثال : ... (كلّ + ما) كلّما

٢٠. الكلمات المركّبة نحويًّا المشتركة من حيث أجزاؤها الأولى،
تورد تحت مادّة الجزء المشترك. مثال : تقدّم كلمتا (أهل الكتاب) و
(أهل الوبر) فى مادّة كلمة "أهل".

٢١. تورد الكلمات الرئيسيّة للقاموس (موادّ القاموس) ابتداءً
بفقرات جديدة.

III

ملاحظات عن مفردات اللغة

(Des remarques lexicologiques)

١. تقدّم الكلمات المتشابهة لفظًا (Des homonymes) في
القاموس كموادّ، كلًّا على حدة، دون أن توضع الى جانبها أيّة اشارة
(نحو الأرقام وغيرها لبيان ترتيبها). مثال :

حُبّ мәһәббәт, севки ...

حَبّ дәсти, сәһәнк

٢. و يستفاد من المترادفات بصورة رئيسية، و من الأضداد (أى
المفردات المتناقضة) أحيانا، لغرض توضيح المعانى للكلمات.

IV

ملاحظات املائيّة

١. اذا كانت أحرف "ا، و، ى" الموجودة فى تركيب
الكلمات تستعمل كحروف المدّ (المصوّتة)، فانّ الحروف السابقة لها
لا تُحرّك فى القاموس. مثال : ذهاب، قبول، مبيع.

٢٠ توضع الفتحة على الحرف السابق للألف المقصورة التي تكتب بصورة الياء في أواخر الكلمات وتقرأ ألف. مثال : حتّى ، إلى ، أَتَى .

٣٠ لا توضع على الحروف المؤخرة للكلمات ضمّتا التنوين (ٌ) ، للإشارة إلى حالة الرفع والتنكير. فالكلمات الرئيسيّة في القاموس ، مجرّدة من هذه الإشارة تعتبر في حالة الرفع والتنكير. ويقتصر استخدام الإشارة المذكورة على موارد استثنائيّة ولأجل تجنّب الالتباس.

٤٠ اذا كانت الكلمة النكرة المرفوعة محلّاً تقتضي نتيجة حدث صوتيّ لا ضمّتي، وانّما فتحتي أو كسرتي التنوين، فيعمل بمقتضاها في القاموس. فمثلا يكتب فتًى ، قاضٍ، ثانٍ ، عصًا .

٥٠ تورد الكلمات في القاموس مجرّدة من " أل التعريف" . ولكن اذا عُرض الشكل المعرّف للكلمة في حالات استثنائيّة، فلا تُحرّك " أل التعريف" ولا الحرف الاخير للكلمة. مثال : القاهرة. وفي مثل هذه الأحوال لا تؤخذ " أل التعريف " بنظر الاعتبار في ترتيب الكلمات الرئيسيّة (موادّ القاموس) غير المركّبة. أمّا "أل التعريف" في الجزء الثاني من الكلمات المركّبة، لغويًّا كان أو نحويًّا ، فتراعى في الترتيب. مثال : تقدّم كلمة (ذو الحجّة) على كلمة (ذو فنون) .

٦٠ يُحصر المعرّف من الثلاثية المعتلة (التي لام الفعل المحذوفة فيها واو أو ياء) بين هلالين بعد الشكل النكرة لها مباشرة. مثال : (كافي) كافٍ، ثمّ يدرج الشكل المعرّف المذكور في القاموس ككلمة رئيسيّة وفق الترتيب الهجائي ويُرجع اليها. مثال :

كافي   бах.   كافٍ (راجع)

٧٠ توضع في القاموس المدّة (~) والشدّة (ّ) فوق الحروف ونقطتا التاء المربوطة (ة).

٨٠ تشكّل أحرف الكلمات الدخيلة تماماً (عدا ما قبل أحرف المدّ المصوّتة ، أي ا ، و ، ى والسكون أيضا) . مثال : يَنايِر، يوزباشِيّ .

٩ • توضع الضمّة على الحرف الأخير من الكلمات الرئيسيّة الّتي لا تقبل التنوين • مثال : أكبرُ •

١٠ • لا توضع أشارة السكون على الأحرف الساكنة الّا في حالات استثنائيّة لتجنّب الألتباس•

١١ • يوضع التنوين عند اللزوم على الحروف الأخيرة من صيغ الأفعال الّتى حلّت محلّ الأسم• مثال : قالٌ وقيلٌ •

١٢ • لا يحرّك الحرف الاوّل ولا الثالث من " المصادر الشرطيّة" (نعني صيغة الغائب المفرد المذكّر من ماض الأفعال الثلاثيّة المجرّدة) • مثال : ذهَب •

١٣ • اذا اقتضى ، في موارد استثنائيّة ، عرض صيغة المجهول من الفعل في القاموس ، فتدرج في مادّة الصيغة المعلومة لها ، بعد اشارة " мәчһ. " (مجهـ •) المختصرة •

١٤ • توضع الفتحة والضمّة على الهمزة • مثال : أَب ، أُمّ • أمّا الكسرة فلا توضع تحت الهمزة الّا عند نشوء الألتباس• مثال : الأِسكندريّة • ويستغنى عن الكسرة عند ما لا يكون هناك أيّ التباس• مثال : إنسان •

V

ملاحظات حول معاني الكلمات

١ • تعطى في القاموس تراجم الكلمات ، بصورة رئيسيّة (أي ما يقابل الكلمات العربيّة من معانٍ بالأذربيجانيّة) •

٢ • لغرض توضيح معاني الكلمات بالأذربيجانيّة ، يستفاد من مختلف الوسائل • بالأضافة الى المترادفات والأضداد • مثال : الى جانب كلمة ǰапышмаг يذكر بين هلالين تبعًا لمعناها " нәдән " و " нәјә " أو يستفاد من الكلمات والعبارات المفسّرة • مثال : يتمّ توضيح الكلمات المتعدّدة المعاني битмәк و саз و газ على النحو التالي :

... битмәк (битки һаг.)
... саз (чалғы аләти)
... газ (гуш)

٠٣ الى جانب الكلمة التى تستخدم بمثابة مصطلح ، يشار باختصار الى الأختصاص الذى تتعلّق به. مثال : тиб.;һүг.;дилч.

٠٤ تقدّم الترجمة الحرفيّة للتعابير (اللغويّة) ، عند اللزوم، بعدها مباشرةً وتحصر بين هلالين والى جانبها ما يقابلها من تعابير فى الأذربيجانيّة، بقدر الأمكان. مثال :

ما شاء الله ... (һәрф.нә ки аллаһ истәди) машаллаһ!,нә көзәлдир!,көз дәјмәсин!

٠٥ لا يذكر المعنى مقابل الكلمة التي يُرجع اليها. مثال : يكتب:

كلتا ,كـلا.бах.

٠٦ لتجنّب الألتباس تُميّز الكلمات الرئيسيّة الّتي تختلف معنىً و تتطابق من حيث تركيبها الصوتيّ ، فى القاموس، باشارة نُجيمة (*) أو نجيمتين (* *).

٠٧ لا تكـرّر المعانى الواردة فى مادّة الفعل، فى موادّ الأسماء أو الصفات المشتقّة من الفعل المذكور (كأسماء الفاعل وأسماء المفعول و أسماء الزمان والمكان وأسماء المصادر الّتى تحتفظ بمعانى الأفعال المشتقّة منها). وتعطى بالدرجة الرئيسيّة، المعانى الأضافيّة والمكتسبة من جرّاء تطوّر وحلول هذه المشتقّات محلّ الأسم. مثال : ... كاتب ، jазычы

... مَكتوب - мәктуб ... مَكتَب ، бүро ... كِتابَة ، jазы.

٠٨ اذا كان معنى الكلمة بالأذربيجانيّة يقدّم على شكل تركيبين أو أكثر من التراكيب النحويّة الّتي تتضمّن كلمةً وعبارة مشتركة، فيحصر العنصر المشترك بين هلالين، ويستفاد من العلامة الفاصلة، وذلك لغرض الأيجاز فى القاموس. مثال : النصّ التالي :

" إستِقراء (إستَقرأ) охумағы хаһиш етмәк,охумағы тәләб етмәк,гираәт етмәји хаһиш етмәк,гираәт етмәји тәләб етмәк ".

يكتب فى القاموس، بالأختصار ، كما يلي :

إستِقراء (إستَقرأ) охумағы (гираәт етмәји)хаһиш(тә-

ләб)етмәк

٠٩ فى حالة كون الترجمة الأذربيجانيّة للفعل العربى مؤلفاً من عدة مترادفات، تقوم مقام العوامل الّتى تقتضي حالات صرفيّة مختلفة للمعمول، يقتصر على الأشارة، لغرض الايجاز، الى وسيلة العمل النحوى للمترادف الأخير فقط. مثال: النصّ التالى:

تَحَـدَّ (تحدّى)... тәрәфдар оямаг (нәјә)(ب), мәһкәм јапышмаг(нәдән-ب)

جاء في القاموس، بالأختصار، كما يلي:

تَحَـدَّ (تحدّى)... тәрәфдар олмаг, мәһкәм јапышмаг (нәдән ب)

٠١٠ يشار الى الكلمة الرئيسيّة الموجودة في التراكيب النحويّة أو فى قوام التعابير اللغويّة بخطّ مموّج (~)، أي أنّ المادّة فى القاموس لا تكتب مكرّرة. مثال

إستكثر (إستكثر)... ~ثمنه ... баһа һесаб етмәк...

٠١١ تورد الأقوال المأثورة والأمثال والتراكيب الثابتة مسبوقة باشارة المعيّن (◇). مثال:

إستكثر (إستكثر)... ◇ ~ بخيره...

٠١٢ لأجل تدقيق المعاني، فأنّ بعض الكلمات المستعملة بصورة إتباع أو سجع أو تكرار (бир-бирини, бир-биринә; доғрам-доғрам; дилим-дилим وغير ذلك) تقدّم على المعاني ولغرض الأيجاز تحصر بين هلالين. تعود الكلمات المذكورة لا لمعنى واحد لمادّة القاموس، وانّما لجميع معانيها المترادفة الّتى يُفصل ما بينها عادةً، بالفاصلة أو الفاصلة المنقوطة. مثال:

مُهادة (هادى) (бир-биринә) бағышламаг, һәдијјә етмәк; пешкәш вермәк

٠١٣ يُحصر " المصدر الشرطيّ " للفعل بين هلالين ويأتي بعد الفعل مباشرةً. مثال: يكتب: ترنيح (رنّح) ...

٠١٤ اذا كانت الكلمة تنطوي على معانٍ لاثنين من أقسام الكلام

وأكثر ، فتدرج المعاني وفق " المعيار الصرفيّ " .

١٥ . يورد المعنى الحقيقي للكلمات (أو معانيها) ، بقدر الأمكان ، في المقام الأوّل ، أمّا معناها (أو معانيها) المجازي فيأتي بعد ذلك .

١٦ . توضع الفاصلة بين المعاني المترادفة ، والفاصلة المنقوطة بين المعاني المتقاربة ، والأرقام الهندية بين المعاني المتباعدة كثيرا .

١٧ . يورد المعنى الخاصّ بالمصطلحات العلميّة والفنّيّة بعد المعنى المجازيّ .

١٨ . في بعض الأحيان لا يتوضّح معنى المفردات إلّا في داخل التراكيب والتعابير . وفي هذه الحالات توضع نقطتان بعد تلك المفردات الواردة في القاموس بمثابة كلمات رئيسيّة ، ثمّ تكتب الاجزاء الأخرى للتراكيب الى جانب الخطّ المموّج الّذي يقوم مقام الكلمة الرئيسيّة . مثال :

إيّاك و : ~ бу ишдэн чэкин ! هذا الامر

VI

ملاحظات صرفيّـــــة

الأســـم

ا) ملاحظات عامّـة

١ . يعتبر كلّ قسم من أقسام الكلام حلّ محلّ الأسم بمثابة إسم .

٢ . لا يشار في القاموس الى انتساب المادّة لقسم من أقسام الكلام .

ب) أنواع الأسم حسب التركيب والأشتقاق

١ . تدرج الأسماء البسيطة والجامدة في القاموس ككلمات مستقلّة .

٢ . تعتبر الأسماء المشتقّة الّتي تتكوّن سواءً بالزيادة اللاحقة أو بالتصريف (التكسير flexion) بمثابة كلمات رئيسيّـة .

٣ . اذا كانت صيغ الأسماء المشتقّة من الفعل (اسم الفاعل ، اسم المفعول ، اسم الزمان ، اسم المكان واسم المصدر) تحمل معاني الفعل فقط ، فأنّها لا تدرج في القاموس ككلمات رئيسيّة . أمّا اذا كانت قد حلّت محلّ الأسم ، واكتسبت معانٍ جديدة ، أو اذا كانت قد تغيّرت من حيث

تركيبها الصوتيّ (أحرفها)، فتورد كموادّ على حدة. مثال :

ظاهر ...заhири,харичи...
كاهل ...чиҗин...
مُمَرِّض ...фелдшер...
مَبِيع ...эмтәә...
مَكتوب ...мәктуб...
مُستَشفَى ...хәстәхана...

وتُعرض الصيغ الأخرى للأسماء المشتقّة من الفعل (مثل : وزن الفعلة، وزن الفعالة، بناء النوع، بناء المرّة ... الخ)، في القاموس، ككلمات مستقلّة. مثال : جِلسَة، لُقمَة، مِلعَقَة، قُراضَة، جَلسَة ... الخ.

٠٤ تورد الأسماء (الكلمات) المركّبة الدخيلة، كموادّ على حدة، دون تفكيكها الى أجزائها. مثال : يوزباشيّ، أجزاخانَة، دارصينيّ.

٠٥ في الأسماء المركّبة وغير المركّبة يؤخذ بالجزء العامل (مثلاً، بالمضاف في التركيب الاضافيّ، والأسم المنعوت في التركيب الوصفيّ، والفعل في التركيب الأسناديّ وقس عليه). مثال : تدرج تراكيب "غير قابل، علم الآداب، وقس على هذا، مشارٌ اليه، ذو مال، أبد الدهر، الحروف الأبجديّة" في القاموس تحت الموادّ المتعلّقة بكلمات "قبل س، مشار، ذو، أبد، غير، حرف، علم".

٠٦ تدرج التركيب المجرّد جزؤه الأوّل (أو كلا جزئيه) من معناه (أو معنييهما) اللغويّ الأصليّ، كمادّة مستقلّة في القاموس. مثال :

إبن آوَى...чаггал
أبو فَرْوَة...шабалыд
ذو القَعدَة...зилгә дә
يوسُف أفنديّ...мандарин

٠٧ تصادف تراكيب أو أشباهها تكون أجزاؤها الأولى "لا، ف ... الخ" بحيث اذا جرّدت من تلك الأجزاء غدت عناصر (ألفاظ) بدون معنى لا تستعمل في اللغة العربيّة، أو كلمات ذات معانٍ مغايرة تماماً لمعانيها الاصليّة. ومثل هذه الأسماء (الكلمات) تورد كموادّ مستقلّة في القاموس

دون تفكيكها الى الأجزاء التي تتركّب عنها . مثال : فقط، لا بدّ، لا سيّما، لا حزبيّة، لا أباليّة، لا مبالية... الخ .

٨٠ يؤخذ بنظر الأعتبار الجزء الاوّل في التركيب الثابت ذي الأجزاء المتجانسة (أو الجزءين المتجانسين) ، من حيث انتسابها لأقسام الكلام . ويدرج التركيب تحت مادّة الجزء المذكور . مثال : تعرض تراكيب " على الرأس والعين، سمعًا وطاعةً، هنيئًا مريئًا، أبًا عن جدٍّ " في القاموس تحت موادّ " أب، رأس، سمعًا، هنيء " .

٩٠ لا تؤخذ حروف الجرّ الجامدة (الكلمات المستعملة كأدوات الجرّ فقط) في تركيب الأسماء بنظر الأعتبار . مثال : تدرج " الى الأبد، بلا مقابل، على الرأس والعين " تحت موادّ كلمات " أبد، مقابل، رأس " .

١٠٠ يدرج التركيب الذي يشترك في قوامه كلمات تستعمل كحروف الجرّ حينًا، وكأسم (أو كغيره من أقسام الكلام) حينًا آخر، تحت موادّ الكلمات المذكورة . مثال : تعرض تراكيب (فوق العادة، عند الظهر، تحت الأرض، فوق الصفر، حتّى الآن، كما ينبغي ... الخ) تحت موادّ كلمات (فوق، عند، تحت، حتّى، كما) .

ج) أنواع الأسم حسب المعنى

١ . تورد في القاموس، بالدرجة الرئيسيّة، الأسماء العامّة .

٢ . تورد الأسماء الخاصّة (أسماء الأعلام) المستعملة بالمعنى العامّ كموادّ مستقلّة في القاموس . مثال : يوسف أفندي، مصر .

٣ . تورد أهمّ الأسماء الجغرافيّة في فصل خاصّ يلحق بالقاموس . أمّا في أسماء الأعلام (الأشخاص) فيقتصر على أن يدرج، في القسم الملحق المذكور، ما تتكوّن منه بواسطة زيادة لاحقة كلمة عامّة، مثال : (إفلاطون < إفلاطوني) ، أو يكتسب المعنى العامّ ضمن النصّ، مثال : حاتم (بمعنى السخيّ، الكريم) .

٤ . ستوضح مسألة إدراج أسماء الجمع، في الملاحظات المتعلّقة بمقولة الكمّيّة في الأسماء .

د) حالات الأسم

١ • يعوّل فى القاموس على حالة الرفع للأسما • •

٢ • اذا كان تصريف الأسم يقوم على أساس الأعراب بالحروف ، وليس بالحركات ، يشار الى تصريف الأسم المغاير للقاعدة العامّة ، بين هلالين •

مثال : изафэтин 1-чи тэрэфиндэ ад.һ.) ... أب

أبو ,j.һ. أبى ,т.һ. أبا) 1.ата...

٣ • تدوّن الأسماء الممنوعة من التصريف ، مفردةً كانت أو مجموعةً ، تصريفًا تامًّا (ثلاث حالات) ، بموجب بعض القواعد الصرفيّة ، لا بالتنوين ، وانّما بالضمّة وحدها • مثال : صَناديقُ ، مَخازِنُ ، يَنايِرُ •

هـ) جنس الأسم

١ • يورد الجنس المذكّر من الأسماء (الكلمات) فى القاموس دون أن يشار الى تذكيرها ، وبعبارة أخرى ، يعتبر خلوّ الأشارة علامة تذكير الأسم •

٢ • يدرج مؤنّث الأسماء المتكوّن سواءً من جذر جنس الأسم المذكّر باضافة زيادة لاحقة ، أو من التكسير ، أو من جذر مغاير تماما ، ككلمة رئيسيّة فى القاموس • مثال :

كلب ... ит

كلبة ... г.ганчыг ит

دجاجة ... г.тојуг

ديك ... хоруз

٣ • يتكوّن المؤنّث لبعض أسماء الأنسان من المذكّر بواسطة زيادة لاحقة • واذا تمّ تبيان كلا جنسى مثل هذه الأسماء بالأذربيجانيّة على صورة كلمتين ، فانّهما يدرجان فى مادّتين على حدة • مثال : والد ، والدة ، إبن ، إبنة ، مرء ، مرأة ، معلّم ، معلّمة ، ••• الخ • وفى حالة التعبير عن كليهما فى الأذربيجانيّة بكلمة واحدة ، لا يدوّن الّا المذكّر منهما ككلمة رئيسيّة •

مثال : خيّاط г. خيّاطة дэрзи

٠٤ توضع اشارة (г.) للدلالة على التأنيث الى جانب الأسماء المؤنثة المجازية (التي لا تتميز بجنسها الطبيعي أو علامة التأنيث في اللغة العربية) . مثال : شمس، ريح ... الخ .

٠٥ يشار الى انتساب الأسماء التي تستعمل كمذكر ومؤنث في آن واحد لكلا الجنسين . مثال : к.ја г.... عجوز к.ја г.... ، هِرّ

٠٦ تدرج صيغة الاسم المؤنث المكتسب معنى لغويًا آخر ، مغايرًا لمعنا ، الأصلي ، أيضا ككلمة رئيسية في القاموس . مثال : г.чәтир شمسيّة г.көшк قمريّة

٠٧ تورد الأسماء والكلمات المنتسب لجنس النسوة (الجنس الطبيعي) في موادّ على حدة . مثال : حُبلى .

و) مقولة (catégorie) الكمّ في الأسماء

٠١ يورد المفرد من الأسماء ، بالدرجة الرئيسية ، كمادّة على حدة دون أن يشار الى افراده .

٠٢ اذا كانت صيغة الجمع من الاسم متكونة بواسطة زيادة لاحقة (أي : الجمع السالم منه) ، لا توضع الصيغة المذكورة كما هي ، وانّما الزيادة اللاحقة ، بين هلالين . مثال :

دَجاجَة г. (ـات)
والِد (ـون)

٠٣ اذا كانت صيغة الجمع من الاسم مكسّرة (flexionnel) ، تبيّن الصيغة المذكورة كما هي بعد الاشارة (للجمع) . مثال : عالِم ч. عُلَماء ... خَليفَة ч. خُلَفاء ... مَرأة г.; ч. نِساء ، نِسوان ، نِسوَة ...

٠٤ اذا كانت للاسم عدّة صيغ للجمع ، سواء بواسطة زيادة لاحقة او التكسير ، تورد أوّلاً صيغة الجمع السالم كما هي ، أو الزيادة اللاحقة له ، ثمّ صيغة المكسّرة . مثال : أرض г.; ч. أرَضونَ ، أراضٍ ...

٠٥ أمّا فيما يتعلّق بإدراج الاشارات (الشرطيّة) ، فتسجّل أوّلاً ،

كما يظهر من الأمثلة الواردة أعلاه، الأشارات الدالّة على الجنس، ثمّ العائدة للكمّ.

٠٦. اذا كان الأستعمال (في اللغة) يقتصر على صيغة الجمع من الأسم فقط (دون المفرد)، واذا اختلف معنى لغويّ لصيغة الجمع عن معنى صيغة المفرد منه، تورد صيغة الجمع كمادّة على حدة، مع وضع اشارة الجمع الى جانبها. مثال: أقارب ч. гоһум-әграба. ويورد هذا النوع من صيغة الجمع، ضمن التركيب النحويّ، أيضاً، بمثابة مادّة على حدة في القاموس. مثال:

أقاصي ч. الارض: ~ Јер күрәсинин учгарлары..

٠٧. تعتبر الأسماء المتشابهة لفظاً في صيغ المفرد، والمختلفة في صيغ الجمع، والمعنى أيضاً، كموادّ على حدة. مثال:

غُرفة г.;ч. غُرَف... палата;отаг...

غرفة г.;ч. غِراف... бир овуч...

٠٨. اذا كان الأسم (الكلمة) المستعمل في صيغة الجمع، جزءاً من تركيب الكلمات الثابت، فيدرج في القاموس على النحو الّذي تقتضيه صيغة الجمع المذكورة، كمادّة مستقلّة. مثال: آذان الفأر.

٠٩. اذا كانت لصيغة المفرد من الأسم، علاوة على صيغة الجمع، صيغة اسم الجمع أيضاً، فتدرج الأخيرة وكذلك معناها تحت مادّة صيغته المفردة مع وضع اشارة топ بينهما، وتورد صيغة اسم الجمع في نفس الوقت كمادّة مستقلّة في القاموس، مع الأرجاع الى صيغته المفردة. مثال:

شجر бах شجرة

شَجَرَة г. (ـات)، أشجار، شَجَر топ. 1.ағач..

٠١٠. لا يشار في القاموس الى صيغ التثنية للأسماء (الكلمات)، على أنّ صيغة التثنية المتباينة معنىً عن صيغة المفرد، تورد في مادّة على حدة. مثال: أبوان ик.валидејн,ата-ана...

٠١١. لا توضع أيّة اشارة الى جانب الأسماء (الكلمات) الّتي لا

تستعمل الّا فى صيغة المفرد (أ ى لا جمع لها) ٠ وتورد صيغة الجمع من الأسم المتكوّنة من جذر مختلف كلّ الاختلاف، الى جانب مفرده ، وكذلك فى مادّة على حدة ، مع الأرجاع ٠ مثال : ٠٠٠ مُنا جِذ ٠ .ч خُلد
خُلد бах مُنا جِذ

١٢٠ فى حالة تغيّر جذري لصيغة الجمع للأسم (الكلمة) من حيث التركيب الصوتيّ (بترخيم أحرف جذر الكلمة أو بأبدالها) تذكر صيغة الجمع فى مادّة على حدة ، مع الأرجاع ٠ مثال :

٠٠٠ أَللَوا تي ‎.ч.; г.‎ أَلّتي ٠٠٠ أَبا طِرَة ‎.ч‎ إمبرا طور
أَلّتي бах اللَوا تي إمبرا طور бах أَبا طِرَة

ز) مقولتا التعريف والتنكير

١٠ تدرج فى القاموس ، بالدرجة الرئيسيّة ، صيغة النكرة من الأسماء (المجرّد من "أل" التعريف) ٠

٢٠ اذا كانت "أل" تضيف الى الأسم ، علاوة على التعريف ، معنىً لغويًّا أو صرفيًّا آخر (مثلا ، التخصيص) ، تدرج فى القاموس صيغة الأسم المعرّفة ب "أل" ككلمة رئيسيّة ، دون مراعاة "أل" فى الترتيب الهجائي ٠ مثال : Дунай ٠٠٠ الدانوب ٠ ولدى إدراج الصيغة المجرّدة من "أل" للأسم فى مثل هذه الموارد ، فى القاموس تورد الصيغة المعرّفة منه أيضا فى مادّته ٠ مثال :

مُلعون ٠٠٠ мэл'ун ٠٠٠ ‎‎ال шейтан ...

٣٠ تؤخذ "أل" التعريف بعين الأعتبار فى إدراج الكلمات الّتى لا تستعمل مجرّدة منها (على غرار : ألله ، أَلّذي ، أَلّتي) ٠

ح) التصغير

لا تورد صيغة التصغير من الأسم (الكلمة) بصورة عامّة فى القاموس ٠ غير أنّ الصيغ المصغّرة الّتي تتميّز عن الصيغ العادية من حيث معناها اللغويّ تدرج فى القاموس كموادّ على حدة ٠ مثال :

كُوَيّس : كَيّس кич.; 1.фэндкир...

الصفــة
(النعت)

ا) أنواعها من حيث التركيب

١ • تدرج الصفات المشتقّة الّتي تتكـوّن بواسطة زيادة لاحقة أو بالتكسير، كالصفات البسيطة، في القاموس على حدة • مثال : مكّيّ ، قانونيّ، إكتسابيّ ، لا مُبالي ، لُغَويّ، أَبجَديّ، رَحيم، أَبيَض، أَعوَج ... الخ •

٢ • تثبّت الصفات المركّبة و شبه المركّبة ، في القاموس وفق ملاحظاتنا المتعلّقة بمبحث الأسم أعلاه • مثال : تتبع كلمات " أقنى الأنف ، قليل العقل " الكلمتين المضافتين " أقنى ، قليل " وتدرج في مادّتيهما •

ب) مقولة الحال فيهــا

تدرج الصفات ، أيضا كالأسم ، في القاموس في حالة الرفع فقط •

جـ) مقولة الجنس فيها

١ • تدرج صيغة المذكّر من الصفة ، بالدرجة الرئيسيّة ، في القاموس ككلمة مستقلّة •

٢ • تورد صيغة المؤنّث من الصفة المتكوّنة بالتكسير الى جانب صيغة المذكّر منها ، وبعد الأشارة • مثال : ...кор. .. عمياء г. أعمى

٣ • لا تعتبر مادّة على حدة ، في القاموس ، صيغة المؤنّث من الصفة المتكوّنة بواسطة زيادة لاحقة ، الّا في حالة حلولها محلّ الأسم • مثال :
كبيرة г....1.чидди хәта,тәгсир...

٤ • توضع الى جانب صيغتي المؤنّث والمذكّر من الصفة ، اشارة دالّة على الجنسين • مثال : عجـوز к.ја г. ...

د) مقولة الكـمّ فيهـا

١ • يشار الى صيغة الجمع من الصفة المتكوّنة بواسطة زيادة لاحقة ، في مادّة صيغتها المفردة (ويذكر داخل قوسين الزيادة اللاحقة للجمع فقط •

٢ • تورد صيغ جمع التكسير للصفة (في المذكّر والمؤنّث) في مادّة

صيغة المفرد ،بعد الأشارة. مثال : ... ركبار .ﻫ كَبير

٠٣ اذا كان جنسا الصفة المذكّر والمؤنّث يشتركان في صيغة الجمع فيورد المذكّر أوّلاً ، ويليه المؤنّث،وبعد ذلك صيغة الجمع المشتركة لكليهما . مثال : ... بيض .ﻫ بَيضاءُ .٢ أَبيَضُ

٠٤ لا تورد في القاموس صيغة المثنّى من الصفة، على وجه العموم.

هـ) مقولتا التعريف والتنكير فيها

تورد الصفة فى القاموس مجرّدة من "ال" التعريف. والصفة الّتى تقبل "ال" وتستعمل بدون الأسم، لا تكون، لحلولها محلّ الاسم، نعتًا ، وانّما إسمًا .

و) مقولة صيغ لمقارنة النعت

(Degré de comparaison des adjectifs)

٠١ تورد الصيغة الأصليّة من النعت، عمومًا ، كمادّة على حدة فى القاموس.

٠٢ تدرج صيغة أفعل التفضيل من النعت، سواءً كانت للمقارنة أو التفضيل ، نمادّة على حدة في القاموس، وتذكر الى جانبها صيغة المؤنّث مع صيغتى الجمع لكلتيهما . مثال :

... ٢.MY كبير .I كُبَـر .٢ أَكابِرُ .ﻫ كُبرَى .٢ أَكـبَرُ

٠٣ الصفات الّتى تكون على صيغة "أفعل" وتدلّ لا على المقارنة أو التفضيل ،وانّما تستعمل كصيغة أصليّة (في معاني اللون والعيب والنقص الجسماني والحلية) تورد كموادّ على حدة . مثال :

... سود .ﻫ سَوداءُ .٢ أَسوَدُ

٠٤ لا تورد في القاموس مقولتا المقارنة والتفضيل للنعت، المعبّر عنهما بواسطة التراكيب النحويّة.

٠٥ تدرج صيغ المبالغة للصفات في القاموس كموادّ رئيسيّة .

مثال : صِدِّيق، كَذوب، عَلّامة ... الخ .

العـــــدد

١) أنواعه من حيث المعنى والتركيب

١. تورد الأعداد الأصليّة / الحسابيّة) البسيطة (أحد — عشر، مائة، ألف، مليون، مليار) كموادّ على حدة في القاموس .

٢. تدرج الصيغ من الأعداد المشتقّة الّتي تدعى في كتب قواعد اللغة العربيّة بالـ " عقود " (عشرون — تسعون) في القاموس ككلمات على حدة .

٣. لا يدرج من الأعداد المركّبة إلّا " أحد عشر " في مادّة عشر " ، أمّا " اثنا عشر " فيورد على حدة في القاموس .

٤. لا تدرج في القاموس الأعداد المسمّاة ، في كتب قواعد اللغة العربيّة ، بالـ " معطوفة " .

٥. لا تعتبر الأعداد الترتيبيّة المشتقّة ، كلمات رئيسيّة ، إلّا ما يدعى بـ " المفردات " منها (حادي — عاشر) .

٦. تورد " ضِعف ، مثنّى — معشّر " من الأعداد (أعداد المرّة) المشتقّة ككلمات رئيسيّة .

٧ . تعتبر " نِصف ، ثلث — عشر " من أعداد الكسر المشتقّة موادّ مستقلّة .

٨. تدرج صيغتا " فُعالَ " و " مَفعَلَ " من الأعداد التوزيعيّة المشتـقّة (أُحادَ — عُشارَ ، مَوحَدَ — مَعشَرَ) في القاموس ككلمات مستقلّة .

٩. المبهمات من الأعداد (بضع ، نيِّف ، بعض ، كُـلّ ... الخ) تعتبر كلمات رئيسيّة .

١٠. الأعداد الحالّة ، أحيانا ، محلّ الأسماء أو الصفات (مثال : مربّع ، مخمس ... الخ) تورد في القاموس كموادّ على حدة .

ب) مقولة الحال فيـــه

١٠ تدرج الأعداد في القاموس، في حالة الرفع، على وجه العموم.

٢٠ الكلمات المشتقّة من الأعداد، والمستعملة كظروف (أوّلاً، ثانيًا، ثالثًا... الخ) تورد في القاموس كموادّ على حدة، في حالة النصب.

جـ) مقولة الجنس فيـــه

١٠ يُكتفى بإدراج صيغة المؤنّث من الأعداد الأصليّة فقط تحت مادّة مذكّرها. مثال : ...ثِنتانِ، إثنَتانِ. r إثنانِ
... ثلاثَةٌ. r ثَلاثٌ

تورد في مادّة على حدة أيضا، في نفس الوقت، كلمة "ثِنتانِ" الّتي تبتعد ظاهريًا عن صيغتها المذكّرة من حيث تركيبها الصوتي.

٢٠ لا يورد الّا صيغة المؤنّث من كلمة "مثّنى" — مثنّاة — من أعداد المرّة، على حدة، وكذلك في مادّة "مثنّى".

٣٠ تورد كلمة "بِضعَة"، وهي مؤنّث كلمة "بِضع" من الأعداد المبهمة، في المادّة الملائمة لها.

٤٠ تدرج "كِلتا"، وهي مؤنّث "كِلا"، على غرار "مثنّاة".

د) مقولة الكمّ فيه

١٠ صيغ الجمع من الأعداد الأوّليّة (الأصليّة) تورد في موادّ مفرداتها. مثال : ...وُحدان. ч واحِد
... أُلوف، آلاف. ч أَلف

٢٠ صيغ الجمع المتكوّنة بالتكسير من أعداد الكسر المدرجة في القاموس، تورد هي الأخرى في موادّها. مثال : ...أخماس. ч خُمس

٣٠ تورد كلمة "أضعاف" أيضا، وهي جمع كلمة "ضِعف" على غرار أعداد الكسر.

٤ • يشار الى الزائدة اللاحقة الّتي تكوّن صيغة الجمع للأعداد ،أو الى نفس الصيغة • مثال : ••• (ـات) مربّع
••• مئون ، (ـات) مـئة

هـ) مقولتا التعريف والتنكير فيه

١ • تُدرج الأعداد ، ما خلا الترتيبيّة منها ، في القاموس مجرّدة من " أل " التعريف •

٢ • تتضمّن موادّ الأعداد الأصليّة (الاوّليّة) المدرجة في القاموس الأعداد الترتيبيّة ، المشتقّة منها ،أيضًا • مثال :

... иjирминчи 2.~ال иjирми;1. عشرون

٣ • الأعداد الّتي تحلّ محلّ الأسم بقبولها " أل " التعريف ، تقدّم كموادّ على حدة • مثال : базар куну الأَحَـد

الضميــر

١ • جميع أنواع الضمائر المنفصلة (الشخصيّة ، الأشارة ، العائدة ، المطاوعة ، الأستفهام ، المبهمة ، الموصولة وغيرها) تورد كموادّ على حدة في القاموس • مثال : ألّذي ، أنت ، أنتنّ ، أَنتُما ، أَنتُم ، هَذا ، ذاكَ ، مَن ، ما ، أَلّتي ، كَـم ، كُلّ ، أيّ ، كِلا ، أَحد ،أَنا ، هُوَ ... الخ •

٢ • تورد جميع الضمائر المتّصلة بمثابة كلمات رئيسية وتوضح معانيها على ضوء الأمثلة • مثال :

كتـاب ~ ـي биринчи шәхс битишән әвәзлиjи; китабым;~ يتـ ;мәни кәрдүн; ~ عطا ت мәнә верди; ~ منّ мәндән

٣ • تكون جميع الضمائر ، ما عدا الضمائر الموصولة ، مجرّدة من " أل " التعريف ، وتدرج ،طبعًا ، بدونها •

٤ • تدرج صيغة المؤنّث للضمير بقدر الأمكان (ويقصد هنا وجود صيغة المؤنّث ، وتباينها عن صيغة المذكّر من حيث الحركات فقط) في مادّة

صيغته المذكّر. مثال : сэн... أَنتِ г. أَنتَ

٥. تذكر صيغة الجمع للضمير فى مادّة صيغته المفردة، بقدر الأُمكان (وهذه حالة استثنائيّة) ، وعند تعذّر ذلك، تدرج في القاموس ككلمة على حدة.

٦. تذكر صيغة المثنّى للضمائر بصورة رئيسيّة، كمادّة على حدة.

الفعــــل

١) أنواعه من حيث التركيب

(١ أ) يعتبر مصدر الفعل الثلاثيّ المجرّد مادّة على حدة للقاموس، ثمّ يذكر بين هلالين ما نسمّيه " المصدر الشرطيّ " لذلك الفعل (نعني المفرد المذكّر الغائب لماضيه) ، والى جانبه اشارة الى حركة عين الفعل من مضارعه (بواسطة أحرف ə,и,y حسب أقتضائه) . واذا كانت عين الفعل للمضارع تقبل مختلف الحركات، يفصل ما بين اشارات الحركات (ə,и,y) بالفاصلة، واذا كان للفعل عدّة مصادر شرطيّة تتميّز من حيث حركاتها ، تذكر بالتتالي ويفصل ما بينها بالفاصلة. واذا كان للفعل مصدران (أو أكثر) متباينان من حيث الحروف ، تدرج تلك المصادر ككلمات رئيسيّة حسب الترتيب الهجائي . وكلّ هذا يتبيّن من الأَمثلة الواردة أدناه :

ذَهاب (ə ذهَب) ... جَـرَع (ə جرع) ...

شَـلّ (ə,y شلّ) ... بُغـا ء (и بغَى) ...

بَغي (и بغَى) = بغاء بُغيَـة (и بغَى) = بغاء

بُخـل (ə بخِل ja y بخُل) بَخَـل ja بُخـل ...

ب) تورد الأَفعال الثلاثيّة المجرّدة المتّفقة من حيث أحرفها الأَصليّة والمختلفة فى حركاتها ومعانيها كموادّ على حدة في القاموس.

نحو :

بَهَـج (ə بهـج) шад олмаг, сэвинмэк...

بَهـج (ə بهَـج) шад етмэк, сэвиндирмэк...

جـ) يذكر مصدر الفعل الرباعيّ المجرّد ككلمة رئيسيّة ويثبت " مصدره

الشرطيّ " الى جانبه بين هلالين . نحو : ... (دحرج) دَحرَجَة

٢. تثبت مصادر جميع الأفعال المزيدة كمواد على حدة ، وأمّا "مصادرها الشرطيّة" فتدوّن الى جانبها بين هلالين. نحو :

... (إقترب) إقترا ب

٣. لا تثبت في القاموس صيغ (أو وجوه) الفعل "المركّب" ، المستندة على اتّصالها مع الأفعال المساعدة اتّصالاً تحليليّاً (analytique)

٤. اذا أُخذت العلاقة من حيث المعنى بعين الأعتبار ، بين صيغ الأسماء المشتقّة من الفعل (كاسم الفاعل ، نحو : ناظر ، واسم المفعول ، نحو : مقتول ، واسم الزمان ، نحو : مسكن ، واسم الزمان ، نحو : ميلاد ، واسم المصدر ، نحو : مذهب وقراءة) ، وبين الفعل المشتقّ منه ، تظهر الأوجه الثلاثة التالية :

أ) تكون قد فقدت المشتقّات علاقتها من حيث المعنى بالأفعال المشتقّة منها ، واكتسبت معنىً جديداً .

ب) تحتفظ بعلاقتها من حيث المعنى مع الأفعال المشتقّة منها ، مع عدم اكتساب معنى جديد .

جـ) تحتفظ بعلاقتها من حيث المعنى مع الأفعال المشتقّة منها ، مع اكتساب معنى جديد .

ففي الوجه الأوّل تقدّم الكلمة كمادّة على حدة في القاموس . ولا يثبت إلّا المعنى الحديث نسبيّاً الّذي اكتسبته . نحو : عاتِق чиjин .

وفي الوجه الثاني تعتبر الكلمة في موارد استثنائيّة جدّاً كمادّة على حدة .

وفي الوجه الثالث تدرج الكلمة في القاموس كمادّة مستقلّة حسب المنحى التالي : يشار أوّلاً الى علاقتها مع الفعل الّذي اشتقّت منه ، من حيث المعنى ، ثمّ يذكر المعنى المستحدث المكتسب . نحو :

كاتب ... 1. كتابَة* фа...;2.jaзычы...

مَكتوب ... 1. كتابة* мәф. ...;2.мәктуб...

مَجلِس ... 1. جُلوس мәк. вә зам.;2.мәчлис...

ضَرب ... 1. ضَرب* мәсд. ...;4.риҹаз.вурма

ب) مقولة الزمانيـــة

١٠ تثبت في القاموس، على نحو ما ذكرناه، صيغة الماضي من الفعل، في "المصدر الشرطيّ" المدرج بين هلالين الى جانب المصدر، ثمّ بجانبها الأشارة على حركة عين الفعل للمضارع من الفعل الثلاثي المجرّد. نحو : ...(y قتَل) قَتل ، ... (ə عِلم) عِلم ، ... (иضَرَب) ضَرب*.

و هذا يعني، مثلاً ، انّ الكلمة " ضَرَب" تستعمل في صيغة الغائب المفرد المذكّر للماضي من مصدر " ضرب*" ، و حركة عين الفعل من مضارعها " يضرِب" هي الكسرة.

و لا تثبت في القاموس أزمنة الفعل الأخرى، وكذلك الصيغ و الوجوه المتعلّقة بها.

٢٠ لا يشار في القاموس الى مضارع جميع الأفعال المزيدة ،وكذلك الأفعال الرباعيّة المجرّدة.

٣٠ لا تثبت في القاموس صيغ مختلف الأزمنة للفعل، المستندة على الأصول التحليليّة (méthodes analitiques) النحويّة، أو المزجيّة (التركيبيّة synthétiques) الصرفيّة، أو المختلط منهما. غير أنّه يشار، أحيانا، الى عدد من هذه الصيغ في قوام أمثلة، لغرض توضيح معاني الأدوات الصرفيّة و الحروف الناصبة و الجازمة (حروف المعاني) وكذلك الأفعال المساعدة. نحو :

لَمْ -ма(-мә) шүһуди кечмиш заманын инкар әдаты ; يذهب ~ кетмәди...

كَون (y كان) 1.олмаг;... 5.көмәкчи фе'л ролунда : كان يكتب ҹазырды;ҹазарды...

قد ~ قام 1. нәгли кечмиш заманын өн гошмасы дурмушдур

ج) مقولة الجنس فيـــه

١ . ينعكس جنس المذكّر فقط من الفعل في الكلمة الوار دة في المعجم كـ" مصدر شرطيّ " .

٢ . يورد " المصدر الشرطيّ " من الأفعال الّتي تختصّ بجنس المؤنّث (الجنس الطبيعيّ) فقط ، في صيغة التأنيث . مثل :

حيض (حاضت) и) аj башы олмаг

غير أنّ الأفعال الّتي تختصّ بالمذكّر والمؤنّث معًا ، تورد في الموادّ المتعلّقة بالمذكّر . نحو :

حبل 1. (حبلت) ... һамилә олмаг; (حبلة) долу олмаг (нә илә من)

د) مقولة الكمّ فيــــه

١ . ينعكس في " المصدر الشرطيّ " صيغة المفرد فقط من الفعل ، في القاموس .

٢ . في موارد استثنائيّة تذكر صيغتا المثنّى والجمع للفعل ، لا على حدة ، بل في مادّة الفعل . مثل :

قول (قالَ у) 1. демәк; ... يقولون деjилдиjинә көрә ...

هـ) مقولتا الأثبات والنفي (النهي ، الجحد) فيــه

١ . ينعكس في " المصدر الشرطيّ " صيغة الأثبات فقط من الفعل . أمّا " المصدر الشرطيّ " فلا يثبت في القاموس ، كما هو معلوم ممّا ذكرناه ، ككلمة على حدة .

٢ . يشار الى صيغة النفي للفعل عند توضيح معاني الأدوات الّتي تستعمل في تكوين صيغة النفي (النهي ، الجحد) العائدة لمختلف أزمنة الفعل . نحو : ... jазмады ~ يكتبْ : (-мә) -ма لَمْ

~ يكتبْ ; билмирәм ~ أدري : (-мә) -ма ... لا jазмасын ...

و) مقولة الشرط فيه

لا تورد الصيغة الشرطيّة من الفعل في القاموس كمادّة على حدة ولا تذكر إلّا كمثال لإيضاح معاني أدوات الشرط في مادّة تلك الأدوات .

مثال : ǰазсан ~ تكتبْ ; إنْ әкәр;-са(-сә)

ћараǰа(ки) ~ تذهبْ أذهبْ : ћараǰа(ки) أيّانَ

кетсән,кедәрәм ...

ز) مقولة الشخص فيه

لا يتضمّن القاموس في " المصدر الشرطيّ " إلّا صيغة الغائب المفرد للفعل .

ح) مقولتا التعدية واللزوم فيه

ينعكس في القاموس لزوم الفعل أو تعديته في معناه . ولا تستعمل أيّة إشارة في القاموس لتمييز الأفعال من هذه الناحية .

ط) مقولة النوع فيه

١ . يبرز النوع المعلوم من الفعل ، أساسا ، في المصدر المدرج في القاموس ككلمة رئيسيّة .

٢ . في موارد استثنائيّة ، تورد صيغة المجهول للفعل تحت مادّة صيغته المعلومة ، بعد إشارة мәчһ. (المجهول منه) . مثل :

يُقال ; ...деǰилмишдир. قيل мәчһ. ...(у قال) قَول

деǰилир ...

٣ . تتجلّى أنواع الفعل الأخرى (المطاوعة ، المشاركة ، الألزام) ، كما هو معلوم ، أساسًا ، في أبوابه المزيدة الّتي تثبت في موادّ على حدة في القاموس .

٤ . لا يورد في القاموس نوع (صيغة) التأكيد للفعل على حدة .

الظرف

١ . تعتبر الظروف البسيطة (الجامدة) موادّ مستقلّة في القاموس .

نحو : كَمْ ، مَتَى ، أَينَ ، هَهُنا ، هُنا كَ ، حينَ ، حَيثُ ، أَمسِ ، ثَمَّ ... الخ .

٢ . تورد الظروف المشتقّة المتكوّنة من أقسام الكلام الأصليّة مع حروف الجرّ أو "أل" التعريف ، في موادّ أقسام الكلام المذكورة . نحو: تورد ظروف "من قبلُ ، اليومَ ، عن قريبٍ" في موادّ كلمات "قَبل ، يوم ، قَريب" .

٣ . تورد الظروف المشتقّة المتكوّنة من أقسام الكلام الأصليّة مع الزوائد اللاحقة ، كموادّ على حدة في القاموس . نحو : حينئذٍ ، صَباحًا ، عاجِلاً ، مَجّانًا ، وقتئذٍ ، تقريبًا ... الخ .

٤ . تورد الظروف المشتقّة المتكوّنة بالتكسير من أقسام الكلام الأصليّة ككلمات مستقلّة في القاموس . مثل : شُرطانَ ، نِعمّا .

٥ . تعتبر كلمات رئيسيّة الظروف المركّبة المتكوّنة من تركيب حروف الجرّ والأدوات وغيرها مع أقسام الكلام الاصليّة كموادّ على حدة . مثل : كيفَما ، طالَما ، قلّما .

٦ . الظروف المركّبة الّتي تكتب أجزاؤها بصورة منفصلة ، نحو : مَتَى ما ، عِندَ ما ، كثيرًا ما ... الخ تدرج في موادّ أجزائها الأولى (مَتَى ، عِندَ ، كثيرًا) .

٧ . تدرج الظروف المركّبة الّتي تكتب أجزاؤها بصورة متّصلة ، في القاموس ، كموادّ مستقلّة . نحو : حَيثُما ، قلّما ، أَينَما ، سِيَّما ، رُبَّما ، حينَذاكَ ... الخ .

حروف المعاني

(des prépositions)

١ . تدرج حروف المعاني البسيطة الجامدة (المختصّة بالأسم والفعل والمشتركة بينهما ، كذا أحرف العطف) في القاموس كموادّ على حدة . نحو : في ، على ، مِنْ ، إنّ ... الخ .

٢ . تعتبر الكلمات الجارّة العائدة من حيث اشتقاقها الى أقسام

الكلام الأخرى (وبالدرجة الرئيسيّة الى قسم الظروف) أيضا موادّ مستقلّة. مثل: алтында; ... الأرض ~ јерин алтында تحتَ

٠٣ حروف المعاني المركّبة تورد في مادّة الجزء الأوّل منها . مثل :

... үзәриндән ~ على ... .1 مِنْ

٠٤ الكلمات الجارّة المركّبة المؤلّف أحد أجزائها من حروف المعاني والثاني من أقسام الكلام الأصليّة، نحو "مِنْ غَيرِ، مِنْ فَوقِ" تورد في مادّة أقسام الكلام المذكورة (غير ، فوق) .

حروف العطف

٠١ حروف العطف الجامدة ، وكذلك المركّبة الّتى تكتب بصورة متّصلة ، تدرج في القاموس ككلمات رئيسيّة. مثل : وَ، فَ، مَعَ، أَمّا ، لَكِنَّ ، لِذا ... الخ .

٠٢ اذا كان أحد أجزاء أداة العطف المركّب، المكتوب منفصلا ، قسمًا من أقسام الكلام الأصليّة، تورد أداة العطف في مادّة ذلك القسم من أقسام الكلام . مثلًا : "مَعَ ذَلِكَ، مَعَ هَذا" توردان في مادّة " هذا " و " ذلك" .

٠٣ اذا كانت أجزاء أدوات العطف المركّبة، المتكوّنة منفصلًا ، من أقسام الكلام المساعدة (من حروف المعاني) ، تورد الأدوات المذكورة في مادّة أحد أجزائها . مثل : عَلَى أَن ، وَإِلَّا ... الخ .

النداء

٠١ أحرف النداء (وهي من حروف المعاني المختصّة بالأسم) الجامدة ، وكذلك المركّبة الّتي تكتب بصورة متّصلة ، تدرج في القاموس ككلمات رئيسيّة. نحو : آهٍ ، أُفٍّ ، حَبَّذا ، هَيهاتَ، أَيُّها ، هَيا ، يا ، مَهْ ، صَهْ ، آهًا ... الخ .

٠٢ اذا كان ثمّة قسم من أقسام الكلام الأصليّة في بنية النداء المركّب، المكتوب منفصلًا ، يورد النداء في مادّة ذلك القسم ، والّا يتبع

الندا ء الجزء الأوّل للتركيب. مثال : نداءا " ما شاء الله ، سبحان الله"
يوردان في مادّتي (ه شاء) مَشيئَة ، سُبحانَ.

٣. تورد صيغة المؤنّث من حروف الندا ء في مادّة صيغة المذكّر منه،
ثمّ تدرج في القاموس على حدة ويرجع اليها . مثل :

أيّها r. أيّتها ej !,aj!...

أيّها бах أيّتها

٤. عند ما تكون بعض الكلمات مسبوقة بحرف الندا ء (يا) ، يطرأ
تغيير على قوامها (تضاف زائدة لاحقة اليها ، أو تزاد فيها عناصر أخرى).
تدرج مثل هذه الكلمات في القاموس ، متغيّرة الشكل ، كموادّ على حدة.
مثلاً : تذكر كلمات " أَبَتِ ، أَبَتاهُ ، أُمّاهُ " على النحو التالي :

أَبَتِ : يا ~ aj ата чан !

أَبَتاهُ : يا ~ aj ата чан !

أُمّاهُ : يا ~ aj ана чан !

VII

ملاحظات نحويّة

١) عمل الفعل كعامل نحويّ

١. يبرز عمل الفعل في القاموس الى جانب كلّ من معانيها
(المترجمة الى الأذربيجانيّة) بحروف الجرّ العربيّة ، وأدوات الاستفهام
الأذربيجانيّة والاشارات الشرطيّة بين هلالين. وتعتبر حالة الرفع
بمثابة حالة خلوّ الاسم من الأعراب التي لا يشار اليها في القاموس. مثال :
حُصول (حَصَل у).. əлдə етмəк (нəјə على ;...

قَول (قال у) 1. демəк...;3. бөһтан атмаг(кимə على ،
(ضدّ ...

٢. اذا كان الفعل يعمل بحر ني جرّ عربيّين (وأكثر) ، في افادة
نفس المعنى ، توضع الفاصلة بين تلك الأحرف. مثل :

(ل ، الى кинә) вермәк ... (ә دفَع) دَفع

٣٠ اذا كان الفعل يقتضي حالة النصب وغيرها للمعمول في آن واحد ، تثبت بين هلالين أوّلاً إشارة حالة النصب (T.h.) ثمّ تسجّل أحرف الجرّ الّتي تقتضيها الحالة الأُخرى.

٤٠ يظهر لزوم الأشارة الى وسائل عمل الأفعال الأذربيجانيّة في القاموس بوجه خاصّ عند ما يحتمل الألتباس في معنى الأفعال. مثل :

... (ب нәдән и,у)тутмаг,јапышмаг مَسك) مَسك

... (ب нәјә 1.јапышмаг (إلتَصق) إلتِصاق

ب) العبارات الثابتة

١٠ تدرج العبارات الثابتة في القاموس ، بصورة رئيسيّة ، وفق ما تقتضيه الكلمة المعتبرة كأهمّ العوامل ، أو " المعيار الصوتيّ " ، وتثبت في المادّة الملائمة لذلك القسم من أقسام الكلام الأصليّة الذي من شأنه التقدّم في الترتيب الهجائي بموجب حرفه الأوّل. وهكذا ، يحال بقدر الأمكان دون تكرار العبارات الثابتة في القاموس. فمثلاً ، الأحرف الأولى من أقسام الكلام الأصليّة في عبارة " يعرفه القاصي والداني " ، اذا أخذ تسلسل الكلمات في الجملة بنظر الأعتبار ، عبارة عن أحرف " ي ، ق ، د " . غير أنّ لكلمة " الداني " حقّ التقدّم من بين الكلمات المذكورة ، وتبعاً لهذا ، تورد هذه العبارة الثابتة تحت مادّة كلمة (داني) دان " في القاموس.

٢٠ تورد العبارة الثابتة في القاموس ، أساساً ، تحت مادّة الكلمة الملائمة ، كما قلنا ، وبعد معنى الكلمة المناسب ، وإشارة المعيّن (◊) مباشرةً.

٣٠ في حالة تماثل الأحرف الأولى من الكلمات الّتي تتألّف العبارة الثابتة منها ، تورد العبارة في مادّة الكلمة الأولى حسب توالیها. مثال : تدرج عبارة " من الأب الى الأبن " تحت مادّة كلمة " أب " في القاموس.

توثيق صلات المكتب بمراسليه

وجه مكتب تنسيق التعريب رسالة الى مراسليه العلميين فى الوطن العربى وخارجه ليكونوا صلة وصل بينه وبين مواطنهم فى كل ما يستجد بمجالات التعريب والعلم واللغة وهذا نص الرسالة

تحية عربية وبعد :

لقد اختارتكم دولتكم بالاتفاق مع مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى لتكونوا معتمدا له ومراسلا علميا يصل ما بين وطنه والمكتب فيرصد حركة التعريب والترجمة ويوافينا بها شهريا كى نضم حصيلة عمله الى مثيلاتها من البلاد الاخرى وننسقها لنستطيع بعد ذلك عرضها فى مؤتمرات التعريب على العلماء المختصين بشكل مشروعات معاجم او موضوعات تنشر فى مجلة « اللسان العربى » وتناقش وتدرس .

وسيوافيكم المكتب بمطبوعاته ومشروعاته لتكونوا على اطلاع مستمر بما يجرى فى داخله من اعمال علمية او لغوية وكانكم تعملون مع خبرائه يوميا .

وعملكم فى هذا المعنى عظيم الاهمية ، وتعاوننا المتقابل كبير الجدوى فى خدمة لغتنا الكريمة . والخطة التى نسير عليها واضحة جدا يمكن تلخيصها فيما يلى :

1 — ترتبط صلتكم العلمية مبدئيا بأساتيذ الجامعة ليوافيكم كل منهم بما يترجم او يعرب فى حدود اختصاصه سواء اكان عمله كتابا مؤلفا او مترجما ، او مقالا لغويا ، او مشروع معجم ، او قائمة مصطلحات ، او كان له اقتراح يجب ان يعرضه على المكتب او على العلماء المختصين لينشر فى المجلة ويناقش .

2 — وفى تتبع ما ينشر فى المجلات العلمية من مصطلحات وابحاث لغوية ، وفى ربط الصلة بالاساتذة المتقاعدين عن العمل الرسمى ، ولكنهم غير منقطعين عن البحث العلمى واللغوى ، وفى ملاقاة الادباء والكتاب ومن فى طبقتهم ممن يترجم مقالا تقنيا او كتابا علميا او يتابع بحثا معينا او نظرية فلسفية او اجتماعية ويضع لها مصطلحات لم يجد لها مقابلا فى المعاجم المعروفة.. فى كل ذلك خير كثير وعمل كبير يساعد المكتب على التنسيق فيما بين البلاد العربية لكى لا نقع فى لهجات علمية تباعد ما بين المفكرين كما باعدت اللهجات العامية بينهم زمنا غير قصير .

3 — ان فى كل امة جنودا مجهولين يقدمون تضحياتهم الكبيرة ويعتزلون الشهرة ترفعا وايمانا منهم بأنهم انما يؤدون خدمة جليلة هى من واجب كل مواطن ونحن نعتقد ان خبراء المكتب من هذا الطراز النبيل الذى يؤدى للغته ولتاريخ امته الفكرى وتقدمها العلمى خدمة خالصة لا يرجو من ورائها ربحا ولا يطمع بشهرة ، وانتم فى صلتكم بنا وعملكم معنا كالجندى المجهول نعمل كلنا معا فى ساحة النضال الفكرى غير مستهدفين امرا الا اداء الخدمة . ولكنا مع هذا لن نغمط عملكم بل سنعطى كل ذى حق حقه من الشكر والاعلان عن عمله فى المجلة ليعرف ويؤرخ .

4 — وكما وضعت دولتكم ثقتها بكم لتكونوا صلة الوصل فيما بيننا وبين وطنكم فانا نؤيد هذه الثقة ونرجو لكم التوفيق وننتظر نتائج جهودكم المشكورة سلفا ودمتم ..

نشاط مكتب الدائم للتعريب

استقبال الرئيس الجزائري لرؤساء وفود المؤتمر الثاني للتعريب

استقبل فخامة الرئيس الجزائرى هوارى بومدين رؤساء وفود المؤتمر الثانى للتعريب المنعقد فى الجزائر (ديسمبر 1973) واعضاء مكتب تنسيق التعريب وناقشهم مناقشة طويلة حول مسار الاعمال فى المؤتمر واستفسر عن نتائجه خاصة فيما يتعلق بانشاء المعاجم وتوحيد المصطلحات العلمية وتنسيق العمل بين المجامع اللغويـة .

وقد قال سيادة الرئيس بأن اللغة كائن حى يتغذى من المحيط الذى يعيش فيه وتزدهر بازدهار الحضارة التى يمثلها المجتمع . فلا بد من ارتباط اللغة بالعمل وبالحياة اليومية ولا تبقى بمعزل عن التطبيق .

لكن المشكل ليس مشكلا سياسيا بقدر ما هو ارادة سياسية وكثيرا ما توجد العقبات فى مستوى اجهزة التنفيذ لظروف تاريخية وهى ظاهرة لعلها موجودة فى اكثر من مكان فى عالمنا العربى .

واضاف الرئيس قائلا : « وهنا يأتى دور المثقف العربى الذى يجب الا يكون محصورا فى الاطار التقنى بل يجب ان يتعدى ذلك الى مستوى الالتزام النضالى.

وفيما يتعلق بالتعريب فى الجزائر قال سيادته : بأن المسؤولية الملقاة على عاتق جامعات المشرق العربى كبيرة لان طاقة جامعات المغرب محدودة فى هذا الصدد وخاصة فى مجال العلوم .

ثم اشار الرئيس بومدين الى الاهمية التى توليها القيادة فى الجزائر لقضية التعريب التى هى هدف استراتيجى من اهداف الثورة وجزء من الثورة الثقافية التى تهدف مع الثورة الزراعية والصناعية الى ترقية الفرد والنهوض بالانسان .

وتفضل سيادته فتعهد بحمل امانة التعريب ورسالته الى مؤتمر القمة لكى يصدر به قرار يؤيد تعريب التعليم والادارات فى جميع الدول العربية . وقد اثلج هذا التعهد النبيل قلوب المؤتمرين رؤساء واعضاء وبخاصة مكتب تنسيق التعريب .

ومن هنا فان ارادة التعريب يجب ان تتجسم لا على مستوى القيادة فحسب وانما على مستوى كل الهيئات والمؤسسات بل والافراد .

وقد ابدى الرئيس اهتماما خاصا بمشاريع المؤتمر حول توحيد المصطلحات العلمية فى كل البلدان العربية مذكرا بأن الخطوات الرئيسية فى مجال تنسيق التعريب هى تكوين الاستاذ واعداد المنهج الدراسى والكتاب المدرسى ثم وضع الخطة التى تكفل بعث اللغة العربية ومسايرتها لكل اللغات الحية .

وقد طلب الرئيس الى المؤتمرين اعداد التوصيات اللازمة التى قد تناقش على اعلى المستويات العربية لضمان نهضة عربية علمية شاملة .

وركز سيادته على ضرورة الاهتمام باللغات الاجنبية وعدم اهمالها لانها نافذة على الحضارة العالمية .



بعض الموضوعات المقدمة إلى مؤتمر التعريب الثاني

المؤتمر الثاني للتعريب أول انطلاقة لتوحيد المصطلح العلمي العربي

انعقد المؤتمر الثانى للتعريب فى قصر الامم بالجزائر من 12 الى 20 دجنبر 1973 ، لدراسة المشروعات المعجمية التى اعدها مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى بالرباط التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وهذه المشروعات هى كما يلى :

- مشروع معجم الكيمياء .
- مشروع معجم الفيزياء .
- مشروع معجم الرياضيات .
- مشروع معجم الحيوان .
- مشروع معجم النبات .
- مشروع معجم الجيولوجيا .

ومن المعلوم ان المؤتمر الاول انعقد بالرباط من 3 الى 17 ابريل 1961 وانبثق عنه مكتب دائم الغاية من وجوده تنسيق جهود الدول العربيــة فى ميــدان التعريب على اساس استفادة المغرب العربــى مــن تجربة الشرق العربى فى حقل التعريب .

وبعد مصادقة مجلس جامعة الدول العربية ، بناء على قراره رقم 2541 / د ج 4 — 16 / 3 / 1969 فى دور انعقاده العادى الحادى والخمسين على النظام الاساسى للمكتب واقرار ميزانيته اصبــح مؤسســـة ملحقة بجامعة الدول العربية ، مهمتها الاساسية تلقى وتتبع ما تنتهى اليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتاب والادباء والمترجمين وقيامه بتنسيق ذلك كله وتصنيفه ومقارنته ليستخرج منه ما يتصل بأغراض مؤتمر التعريب لعرضه على دورات المؤتمرات .

وفى سنة 1972 اصدر الامين العام للجامعة قرارا تحت رقم 70 لسنة 1972 ، بشأن نقل بعض الاجهزة الثقافية لجامعة الدول العربية الى المنظمة العربيـــة للتربية والثقافة والعلوم ، ومن ضمنها المكتب .

ومنذ ذلك الحين اصبح المكتب جهازا تابعا لهـــذه المنظمة ويعمل تحت اشرافها .

وحضر المؤتمر الثانى بالجزائر هذا مندوبون عن الدول العربية وبعض الهيئات الثقافية والعلمية والمنظمات والمجامع والجامعات العربية ، وهى كما يلى :

- المملكة الاردنية الهاشمية .
- الجمهورية التونسية .
- الجمهورية الجزائرية الديمقراطية والشعبية .
- المملكة العربية السعودية .
- جمهورية السودان الديمقراطية .
- الجمهورية العربية السورية .
- الجمهورية العراقية .
- دولة الكويت .
- الجمهورية العربية الليبية .
- جمهورية مصر العربية .
- المملكة المغربية .
- الجمهوية العربية اليمنية .
- الجمهورية الاسلامية الموريطانية .
- منظمة التحرير الفلسطينية .
- المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس .

وقد افتتح المؤتمر السيد وزير التعليم الابتدائى والثانوى بالجزائر نيابة عن فخامة الرئيس هوارى بومدين رئيس مجلس الثورة والحكومة الجزائرية ، مرحبا بالمؤتمرين ومتمنيا لهم التوفيق والنجاح فيما هم مقدمون عليه ، مشيرا الى ان هذا المؤتمر الثانى للتعريب ينعقد فى ظروف غير الظروف التى انعقد فيها المؤتمر الاول بعاصمة المملكة المغربية سنة 1961 م **ذلك المؤتمر** — يقول السيد الوزير — **الذى كان له فضل البدء فى السير على الطريق ، ويرجع الفضل ايضا فى وضع اللبنة الاولى لجهاز جديد وهو مكتب تنسيق التعريب فى العالم العربى** . راجيا يقول سيادته **ان تتضافر الجهود لدعمه واعلاء مكانته وجعله اداة فعالة لبلورة العمل العربى المشترك لتطوير اللغة العربية وانمائها** ، كما تحدث سيادته عن **سياسة التعريب فى الجزائر وما لقيته من نجاح فى جميع الميادين والمرافق** ، وطالب **ببذل المزيد من الجهود لخدمة اللغة العربية ضمن خطة عربية موحدة تتبناها الحكومات العربية** ، واضاف بان **مسؤولية الامة العربية نحو لغتها مسؤولية تاريخية كبرى** ، وتمنى سيادته فى الاخير ان **تضطلع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب فى العالم العربى بالتعاون مع المجامع والجامعات العربية بهذه المهمة العظيمة** .

وكان الدكتور عبد العزيز السيد مدير المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قد القى قبل ذلك خطابا استهله بتقديم اعظم الشكر واصدق التحية الى سيادة الرئيس هوارى بومدين رئيس مجلس الثورة والحكومة الجزائرية لتفضله برعاية المؤتمر مشيرا الى ان هذا المؤتمر سيتناول **مشكلة من اهم المشكلات التى تواجهها الثقافة العربية فى الوقت الحاضر وهى مشكلة التعريب** ، لان العرب فى العصور الحديثة — يقول سيادته — قد انقسموا ازاء لغتهم الى فريقين : فريق يحبها ولكنه يخطىء سبيل الحب ، وفريق يتجاوز فى ذلك حدود الحق والانصاف . مضيفا ان **العيب ليس فى اللغة العربية وانما العيب فى العرب انفسهم** ، وطالب سيادته بالمزيد من **الجهد للنهوض باللغة العربية وتطويعها واغنائها** ، وواعد بان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ستعمل كل ما فى وسعها لتأدية رسالتها فى تحقيق هذه الغاية متعاونة فى ذلك مع كل من يعينهم الامر من حكومات وهيئات وافراد كما وجه السيد المدير العام للمنظمة الشكر الى اللجنة التحضيرية الجزائرية لما قامت به من جهد لانجاح هذا المؤتمر . وقال بان المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم قررت بعد انشائها مباشرة ان يكون **اول مؤتمر للتعريب تدعو اليه مخصصا لبحث موضوع توحيد المصطلحات العلمية فى مراحل التعليم العام** ؛ حتى نهاية المرحلة الثانوية . كما اشار الى انه بالاضافة الى ذلك فان المؤتمر سيستمع الى عدد من البحوث عن اربعة موضوعات اساسية اعدتها المجامع الثلاثة والمنظمة ؛ وتمنى فى الاخير **ان يكون هذا المؤتمر معلما من معالم الطريق وخطوة كبيرة الى الامام** .

ثم انتقل الجميع بعد ذلك الى انتخاب رئيس المؤتمر وقد اختير الاستاذ عبد الحميد مهرى الكاتب العام لوزارة التعليم الابتدائى والثانوى بالجزائر ، كما اختير نوابه ايضا ثم تلت ذلك مرحلة انتخاب اعضاء اللجان ورؤساء هذه اللجان ومقرريها .

وفى اليوم الثانى باشر المؤتمرين اعمالهم طوال اليومين الاولين بتخصيص فترة الصباح للاستماع الى البحوث ، وفترة بعد الزوال لاعمال اللجان وعددها ست ، وهى : لجنة الرياضيات — لجنة الفيزياء — لجنة الكيمياء — لجنة النبات — لجنة الجيولوجيا — لجنة الحيوان — وتنهج كل من هذه اللجان اسلوبا خاصا فى اعمالها للنظر فى مشروعات المعاجم المعروضة على المؤتمر التى اعدها مكتب تنسيق التعريب ويتلخص هذا الاسلوب فيما يلى :

1 — تنظر اللجنة جميع مصطلحات المادة التى تدخل فى اختصاصها .

2 — تحذف من المعاجم ما ترى مناسبا حذفه او تزيد ما تراه ضروريا لذلك .

3 — يفضل اللفظ العربى الاصيل على المعرب .

4 — يراعى تفضيل المقابل للتصريف على اللفظ الجامد .

5 — يراعى انتقاء اللفظ العربى الدال بدقة على المفهوم الاجنبى .

6 — يوضع لفظ واحد للمفهوم الواحد .

7 — يراعى اختيار المقابل العربى الذى لا تعدد لمفاهيمه .

8 — يراعى تجنب المقابل العربى الذى تتنافر فيه الحروف .

9 — يراعى اختيار اللفظ ذى المخارج اللينية .

10 — يراعى تفضيل الكلمة الثلاثية على الرباعية..

11 — يراعى تفضيل الصيغة القليلة الحركات .

12 — يراعى تفضيل اللفظ الذى لا يحمل علامة زائدة على المزيد .

13 — يراعى تفضيل المصطلح البسيط على المركب .

14 — يراعى بقدر الامكان تجنب استعمال اللواحق والزوائد المتعارف عليها فى اللغات الاجنبية.

15 — تفضل كتابة اسماء الاعلام كما تلفظ فى بلادها الاصلية .

اما التقارير والبحوث التى قدمت الى المؤتمر فمنها ما قرىء ونوقش فى اجتماعات عقدت لهذا الغرض ، ومنها ما وزع فقط على الاعضاء بقصد الاطلاع . وهى كما يلى :

— تقرير مكتب تنسيق التعريب ، وقد تحدث فيه مديره الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله عن تأسيس هذا المكتب واهدافه ومنجزاته ، وقال سيادته بأن **الخطوات المباركة نحو التخلص من الاستعمار الفكرى بعد الخلاص من الاستعمارين السياسى والعسكرى ، تعثرت بفوضى التعريب** لبعض الاسباب :

كالتفاوت فى المقدرة اللغوية لدى المعربين تفاوتا بعيدا جدا ، واختلاف المؤثر اللغوى الاجنبى فى البلاد العربية ، والمناهج فى التعريب ما بين الجامعات العربية والمجامع اللغوية والاتحادات العلمية والمنظمات لمستحدثة، ارتجلها الصحفيون بعامل السرعة ارتجالا ، وفوضى التأليف المدرسى حين يصوغ كل مدرس او استاذ للمصطلح مرادفا عربيا يتساوق وقدرته اللغوية او معرفته العلمية ، فتظهر فى البلد الواحد كتب متخالفة المصطلحات فى مؤلفات من موضوع واحد ، ولم تستطع الحكومات العربية السيطرة على هذه الفوضى الا فى وقت متأخر جدا وضمن حد معين. ثم انتقل سيادته للحديث عن المنهجية التى يتبعها المكتب فى اعداد معاجمه فقال :

دعت هذه الحال مفكرى العرب الى مدارسة الموضوع لايجاد حل سريع له ، وانعقد فى الرباط المؤتمر الاول للتعريب (ابريل 1961) انتهى بعد المناقشات والبحث الى تأسيس (المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوط نالعربى) ،

وتحدث عن **مفهوم التنسيق والمنهج** الذى اتبعه المكتب فى وضع المعاجم (تجـــدون نص البحث عن المنهجية فى قسم نشاط المكتب) .
ثم انتقل سيادتــــه فى الاخير للحديث عن بعض المنجزات التى حققها المكتب منذ تأسيسه . اما بقية الابحاث فهى كما يلى : (وقد نشرنا بعضها فى هذا العدد والباقى فى العدد المقبل بحول الله.

— بحث وسائل تطوير اللغة العربية العلمية للدكتور عبد الكريم خليفة — جامعة الاردن .

— بحث جوانب الدقة والغموض فى المصطلح العلمى العربى الحديث للمهندس وجيه السمـــان مـــن سوريا .

— بحث جوانب الدقة والغموض فى المصطلح العلمى العربى الجديد للاستاذ خير الدين حقى مـــن سوريـــا ايضا .

— ملاحظات حول تطوير اللغة العربيـــة لمسايـــرة التطور العلمى والتقنى للدكتور محمـــد الجليلى عضو المجمع العراقى .

— خصائص اللغة العربية فى التعبير العلمى .

— كلمتان للوفد التونسى عن الصدور واللواحـــق وموضوعات اخرى للاستاذ السويسى والدكتور الحمـــزاوى .

— التقرير العام للجنة دراسة مشروعات معـــاجم الكيمياء والحيوان والنبات والجيولوجيـــا مـــن طرف جامعة بغداد .

— دور الالسنة فى المساهمة فى التعـــريب للاستاذ صالح القرمادى .

— تقرير اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر.

— تقرير وزارة الاعلام فى دولة الكويت .

— تقرير المنظمة العربية للمواصفـــات والمقاييس بشأن الحروف والارقام والرموز .

— التعريب واهميته كأحد مقومات الحضارة العربية المعـــاصـــرة .

— عصر النهضة عند العرب للاستاذ محمد ناصر استاذ الفيزياء الذرية بجامعة الكويت .

— بحث نحو تنسيق افضل للجهود الراميـــة الى تطوير اللغة العربية للدكتور تمام حسان .

— التعريب فى الجزائر .

وهكذا فقد تابع المؤتمرون اشغالهم فى الايام الاربعة الباقية لدراسة المعاجـــم المعروضـــة عليهم ، حيث استطاعت جميع اللجان ان تنهى اعمالهـــا فى الوقت المحدد ، وقدمت كل لجنة تقريرا مفصلا عن مهامهـــا والتوصيات التى تقترح اضافتها الى التوصيات العامة للمـــؤتمـــر .

وفى يوم الخميس 20 / 12 / 1973 ، اختتم السيد وزير التعليم الابتدائى والثانوى اشغال المؤتمر بكلمـــة القاها سيادته بهذه المناسبة ، استهلها بالاشارة الى **ان المؤتمر قد انهى اعماله فى الوقت الذى تتناقل فيـــه الصحف نبأ دخول العربية الى حضيرة منظمة الامـــم المتحدة كلغة رسمية لها** ، كمـــا ابدى سروره **للجـــو الاخوى والعملى الذى ساد ايام المؤتمر** ، مشيرا الى **ان العمل سيكون اعظم اذا وجد طريقـــه فعـــلا الى المؤلفات المدرسية خاصة ، والكتابات العلمية فى الوطن العربى بشكـــل عـــام .**

واختتم سيادة الوزير كلمته بأن تعهد ان **الجزائـــر فى وزارة التعليم الابتدائى والثانوى خاصة ستلتـــزم بكل ما اتفق عليه اعضاء المؤتمر ، وسيطبق فعلا فى كل المؤلفات المدرسية بالجزائر** ، وتمنى ان يقوم كل واحد من المؤتمرين فى وطنه الصغير **بالدفاع عن هـــذا الجهد العربى المشترك والعمل من اجل تطبيقه الفعلى،** وشكر بعد ذلك جميع الوفود المشاركة والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى على جهودهم الموفقة ، وتمنى للجميـــع مزيدا من الانجازات فى ميادين العمل العربى المشترك.

وقد القى فى هذه الجلسة الختاميـــة ايضا حضرة السيد الدكتور ناصر الدين الاسد المدير العام المساعد للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كلمة قيمـــة شكر فيها سيادته المؤتمرين والحكومـــة الجزائريـــة واللجنة التحضيرية وعلى رأسها الاستاذ عبد الحميـــد مهرى رئيس المؤتمر ، لما بذلوه من جهد موفق لانجاح المـــؤتمـــر .

كما القى كل من الدكتور عبد الحليم منتصر ومندوب جمهورية اليمن الديمقراطيــة ومنــدوب الجمهوريــة الاسلامية الموريطانية كلمات هامة بهذه المناسبة .

وقد صدرت عن المؤتمر وثيقة تتضمــن المبــادىء والاتجاهات والتوصيات (تجدون نصها فى مكان آخــر من هــذا العــدد) !

وفى الختام قدم المؤتمر للسيد رئيس مجلس الثورة والحكومة الجزائرية ولاعضاء الحكومة ولرجال وزارة التربية والتعليم وللجنة الوطنية لتحضير المؤتمر اصدق الشكر واعمق التقدير لما كان من اهتمام الجزائــر بالمؤتمر ، بداية واعدادا واستضافة ، ويرى فى ذلك مظهرا من مظاهــر استمرار الحكومــة الجزائريــة فى متابعة ثورتها الثقافية الاصيلة .

كما يعبر المؤتمر عن صادق الشكر للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتبها لتنسيق التعريب على الجهد المبذول فى الدعوة لهذا المؤتمر وتنظيمه واعداد وثائقه ومشروعات معاجمه . ويرى فى هذا العمل تمهيدا نيرا للآفاق الواسعة التى ترودها حركة تعريب التعليم.

كما اصدر المؤتمر ايضا توصية خاصة ، طالب فيها الحكومات العربية جميعها بمباشرة تطبيــق برنامــج مرحلى مرسوم لتعميم التدريس باللغة العربيــة فى مراحل التعليم كلها للمواد العلمية والادبية بدا مــن العام الدراسى المقبل 74 — 5 19 ، كما يهيب بالملوك والرؤساء العرب ، ان يسلكوا الى ذلك اقرب الطرق، ويضعوا ثقتهم كلها فى المنظمة وفى المجامع والجامعات لاستكمال اسباب النجاح لتحقيق هذه الامنية القومية.



قائمة بأسماء ممثلي الدّول والهيئات العلمية المشاركة في المؤتمر الثاني للتعريب

1) المملكــة الاردنيــة الهاشميــة :

ا ــ الجــامعــة الاردنيــة :

1 ــ الدكتور عبد الكريم خليفة ــ رئيس قسم اللغة العربية وآدابها .

2 ــ الدكتور عدنان افرام ــ رئيس قسم الرياضيات .

ب ــ اللجنة الاردنية للتعريب والترجمة والنشر :

1 ــ الدكتور عبد الكريم خليفة ــ (سبق ذكره في وفد الجامعة) .

2 ــ الدكتور عدنان بدران ــ

3 ــ الدكتور احمد سعيدان ــ

2) الجمهــوريــة التــونسيــة :

1 ــ الدكتور محمد السويسي ــ الاستاذ المحاضر بكلية الآداب بالجامعة التونسية والاختصاصي بالرياضيات .

2 ــ الدكتور رشاد الحمزاوي ــ مدير معهد بورقيبة للغات الحية والاستاذ المحاضر بكليــة الآداب .

3 ــ السيد احمد الفــاني ــ مفتش التعليم الثانوي والمختص بالمواد العلمية .

4 ــ السيــد الحبيب زغنــدة ــ مفتش التعليم الثانوي والمختص بالمواد العلمية .

3) الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية :

أ — الوفد الحكومي :

1 — السيد عبد الحميد مهرى — الامين العام لوزارة التعليم الابتدائى والثانوى .
2 — السيد على بن محمد — مستشار فنى بوزارة التعليم الابتدائى والثانوى .
3 — السيد رزقى صالحى — نائب مدير بوزارة التعليم الابتدائى والثانوى .
4 — السيد مولود طيباب — رئيس مصلحة بوزارة التعليم الابتدائى والثانوى .
5 — السيد احمد درار — مدير بوزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية .
6 — السيد عبد الحميد بن شنهو — مدير الجريدة الرسمية .
7 — السيدعبد الرحمنالحاجصالح — مدير معهد الدراسات اللغوية والصوتية .
8 — السيد صالح نور — مستشار بوزارة العدل .
9 — السيد زهير ايحدادن — مستشار بوزارة التعليم العالى .
10 — السيد عبد القادر بورزاق — نائب مدير بوزارة الثقافة والاعلام .
11 — السيد محمد طالب — سكرتير اول بوزارة الخارجية .
12 — السيد فضيل حسن امين — عضو لجنة التنسيق بوزارة الفلاحة .

ب — وفد وزارة التعليم الابتدائى والثانوى :

السادة :

1 — محمد بن قادة — مفتش عام للرياضيات .
2 — احمد شومان — استاذ بمعهد مصطفى خالف .
3 — م . الطاهر طالبى — استاذ بمعهد بوزريعة .
4 — مصطفى حركات — مفتش عام للرياضيات .
5 — عبد القادر يحياوى — استاذ بثانوية عائشة .
6 — زبدى التهامى — استاذ بثانوية الادريسى .
7 — مجيد جعفر — استاذ بمعهد بوزريعة .

وفد وزارة التعليم العالى والبحث العلمى :

السادة :

1 — سعيد شيبان — استاذ مبرز فى الطب .
2 — محفوظ بن حبيلس — استاذ مبرز فى الطب .
3 — اوشريف — استاذ مبرز فى الطب .
4 — رابح علواش — استاذ مبرز فى الطب .
5 — حاج سليمان — دكتور فى العلوم .

6 — بـن جيكـو — دكتور فى العلوم .
7 — بـوجلخـة — دكتور فى الرياضيات .
8 — شنينـى — استـاذ فيـزيـا .
9 — طـلاعـى — استـاذ علـوم احيـاء .
10 — بـونـاقـة — استـاذ علـوم احيـاء .
11 — صالـح خرقى — دكتور فى الآداب .
12 — حنفى بن عيسى — استـاذ مساعـد .
13 — محمد سعيدى — استـاذ مساعـد .
14 — محمـد الشينـى — مدير المدرسة العليا للتجارة .

ج — وفـد مراكـز البحـث التـابعـة لمختلف الهيئـات الـوطنيـة :

السـادة :

1 — مبـارك العيفـة — الشركة الوطنية للمناجم .
2 — حسيـن السنـوسى — الشركة الوطنية للمحروقات .
3 — السيد مجدان بوعلام — الشركة الوطنية للمحروقات .
4 — السيد على قعموش — صيدلـى .
5 — السيد عبد الرحمن مهرى — الشركة الوطنية للكهرباء والغاز .
6 — السيد صالح باوية — طبيب . م . دويرة
7 — السيد احمد بوخميس — الشركة الوطنية للمناجم .
8 — السيد تالا عمـر — مركز البحوث الحيوانية .
9 — السيد بلمـوفـق — وزارة الفـلاحـة .

4) المملكة العربية السعوديـة :

1 — الدكتور احمد الضبيب — الاستاذ المساعد بكلية الآداب ورئيس قسم اللغـة العربية بجامعـة الرياض .
2 — السيد عبد الملك عبد الله الخيال — من جامعة الريـاض .
3 — السيد عبدالعزيز حامدابو زنادة — من جامعة الريـاض .
4 — السيد عبد الله عمر نصيف — من جامعة الملك عبد العزيز .
5 — السيد يوسف عبد المنان — من جامعة الملك عبد العزيز .
6 — الاستاذ يوسف فرسخ — من كلية البترول والمعادن .
7 — الاستاذعبد العزيزمحمدالمنوحى — من وزارة المعارف — شعبة الابحاث .
8 — الاستاذ محمد صالح العميل — من وزارة المعارف — التعليم الثانوى .
9 — الاستاذعبد الرحمنعقيلصالح — من وزارة المعارف — التعليم الثانوى .

5) جمهورية السودان الديمقراطية :

1 ـ السيد سر الختم خليفة ـ وزير التربية رئيسا .
2 ـ السيد السر العمرابى ـ
اعضـــاء
3 ـ السيد الطاهر احمد العاقب ـ

جامعـــة الخـــرطـــوم :

1 ـ الدكتورفيصلتاجالدينابوشامة ـ عميد كلية العلوم ـ رئيسا للوفد .
2 ـ الدكتور محمد عبيد مبارك ـ رئيس قسم النبات ـ عضوا .
3 ـ الدكتور عبد المنعم اسماعيل ـ رئيس قسم الرياضيـــات .

6) الجمهوريـــة العربية السورية :

1 ـ الدكتور وجيه السمان ـ عضو مجمع اللغة العربية .
2 ـ الدكتور شكرى فيصل ـ امين مجمع اللغة العربية .
3 ـ الدكتور عبد الحليم منصور ـ استاذ كرسى بجامعة دمشق .
4 ـ الدكتور فـــؤاد المجل ـ استاذ مساعد فى جامعة دمشق .

7) الجمهوريـــة العـــراقيـــة :

ا ـ وزارة التعليم العالى والبحث العلمى :

1 ـ الدكتور عبدالرسولكمال الدين ـ استاذ قسم الكيمياء بكلية العلوم بجامعة بغداد .
2 ـ الدكتور قيس الوهابى ـ رئيس قسم الرياضيات بكلية العلوم بجامعة بغداد .
3 ـ الدكتور عباس البغدادى ـ استاذ مشارك فى قسم الجيولوجيا بكلية العلوم . بجامعـــة بغـــداد .
4 ـ الدكتور محمود سليم صالح ـ استاذ مساعد فى قسم علوم الحياة ـ الحيوان بكلية العلـــوم بجامعـــة بغـــداد .
5 ـ السيد عباس احمد صالح ـ مدرس فى قسم علوم الحيـــاة ـ النبـــات بكليـــة العلوم بجامعة بغداد .
6 ـ السيد ناجى عبد الصاحب ـ مدرس فى قسم الفيزياء بكلية العلوم بجامعد بغداد.
7 ـ الدكتور جميل الملائكة ـ استاذ فى كلية الهندسة بجامعة بغداد .
8 ـ الدكتورعبد الستاريونسالدباغ ـ مدرس فى كلية الهندسة بجامعة بغداد .

ب ـ المجمع العلمى العراقى :

1 ـ الدكتور ابراهيم شوكه
2 ـ الدكتور محمود الجليلى

3 ــ الدكتور جميل الملائكة ــ (سبق ذكـره فى وفـد وزارة التعليـم العـالى والبحث العلمـى) .

جـ ــ جامعـة المـوصـل :

1 ــ الدكتورعبدالستاريونسىالدباع ــ ممثلا لجامعة الموصل وعضو وفد العراق الرسمى (سبق ذكره فى الوفد الرسمى) .

8) دولـة الكـويـت :

1 ــ الدكتور محمد ابراهيم ناصر ــ استاذ بجامعة الكويت .

2 ــ الدكتور فؤاد شاكر السلا ــ استاذ مساعد بجامعة الكويت .

3 ــ الدكتور على الشملان ــ مدرس بجامعة الكويت .

4 ــ الدكتور حسين عليوه ــ رئيس قسم التوثيق بجامعة الكويت .

9) الجمهورية العربية الليبيـة :

1 ــ الدكتور امين طاهر شقليلة ــ وكيل جامعة طرابلس ــ رئيسا .

2 ــ الدكتور على بن الاشهر ــ عميد كليـة العلـوم ــ عضوا .

3 ــ السيد على عمار عبد الكريم ــ موجه العلوم بوزارة التعليم والتربية .

10) جمهورية مصر العربيـة :

ا ــ وزارة التعليـم العـالى :

1 ــ الدكتور محمود عبد المقصود منصـور ــ الاستاذ المساعد بالمعهد الفنى بشبرا فى مجال الكيمياء

2 ــ الدكتوركامل احمد حسن الدهيمى ــ الاستاذ المساعد بتكنولوجيا حلوان فى مجال الفيزياء

3 ــ الدكتور منير جرجس غبريال ــ بمعهد الترول والتعدين فى مجال الجيولوجيا .

4 ــ الدكتور عبد الله عويس ــ الاستاذ المساعد بالمعهد العالى للسكرتارية فى مجال السكرتـاريـة .

5 ــ الدكتور على حسن شاهين ــ الاستاذ المساعد بالمعهد العالى الفنى بشبرا فى مجـال النبـات .

6 ــ الدكتور محمد احمد عاصم ــ الاستذ المساعد بالمعهد الفنى بشبرا فى مجال الحيوان

ب ــ مجمع اللغة العربية بالقاهرة :

1 ــ الدكتور محمد احمد سليمان ــ الاستاذ بكلية الطب بجامعة القاهرة . (سبق ذكره فى وفد مجمع اللغة العربية) .

جـ ــ كليـة العلـوم :

1 ــ الدكتور على المرسى ــ الاستـاذ بقسم الحشرات .

2 ــ الدكتور امين رشيد حصدى ــ الاستاذ بقسم علم الحيوان .

3 ــ الدكتور حامد عبدالفتاحجوهرــ استاذ غير متفرغ بقسم علم الحيوان .

4 ــ الدكتورمحمد جمالالدينالفندى ــ استاذ ورئيس مجلس قسم الفلك والارصاد .

5 ــ الدكتور محمد لطفى عبد الخالق جمعة ــ استاذ بقسم الجيولوجيا .

6 ــ الدكتور عطية عبد السلام عاشور ــ استاذ ورئيس قسم الرياضيات .

د ــ جامعة شرق دلتا :

1 ــ الدكتور محمد لبيب النجيحى

هـ ــ جامعة الاسكندرية :

1 ــ الدكتور حسين صادق ــ نائب رئيس الجامعة للدراسات العليا والبحوث .

2 ــ الدكتور محمد صالح احمد ــ عميد كلية العلوم .

و ــ اكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا :

1 ــ الدكتور سيد رمضان هدارة ــ امين عام الاكاديمية .

11) المملكة المغربية :

1 ــ السيد احمد الاخضر غزال ــ مدير المعهد الوطنى للتعريب .

2 ــ السيد عبد الله الغول ــ مدير التعليم الابتدائى .

12) الجمهورية العربية اليمنية :

1 ــ السيد محمد البريمى ــ مستشار بوزارة التربية .

2 ــ السيد محمد الشرقى ــ سكرتير اول بالسفارة اليمنية فى الجزائر .

13) منظمة التحرير الفلسطينية :

1 ــ الدكتور احسان عباس ــ استاذ اللغة العربية فى الجامعة الامريكية فى بيروت.

2 ــ الدكتور حسن الشريف ــ مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية فى بيروت .

14) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم :

1 ــ الدكتور ناصر الدين الاسد ــ المدير العام المساعد ــ رئيسا .

2 ــ السيد عبد العزيز بنعبد الله ــ مدير مكتب تنسيق التعريب .

3 ــ الدكتور ممدوح حقى ــ كبير الخبراء بالمكتب .

4 ــ السيد محمد بن زيان ــ نائب مدير المكتب .

5 ــ الدكتور تمام حسان ــ خبير المنظمة .

6 ـ السيد عبد الكريم القباج

7 ـ السيد خالد عيـد

8 ـ السيد فؤاد حمودة ـ من اعضاء المكتب .

9 ـ السيد محمد افسحى

10 ـ السيد احمد جمعه ـ الاداري الثالث بالمنظمـة .

15) المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس :

1 ـ السيد المهندس كمال اسماعيل ابو اليسر ـ الاخصائي الاول بالمنظمـة .

قائمة بأسماء رؤساء الوفود المشاركة في مؤتمر التعريب الثاني مع أعضاء مكتب المؤتمر ومدير مكتب تنسيق التعريب

الدكتور ناصر الدين الاسد	: المدير العام المساعد للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .
الدكتور عبد الكريم خليفة	: رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الاردنية.
الدكتور محمد السويسى	: الاستاذ المحاضر بكلية الآداب بالجامعة التونسية والاختصاصى بالرياضيات .
السيد عبد الحميد مهرى	: الامين العام لوزارة التعليم الابتدائى والثانوى الجزائرية .
الدكتور عبد المالك عبد الله الخيال	: استاذ مساعد (جيولوجيا) جامعة الرياض بالملكة العربية السعودية .
الاستاذ الطاهر احمد العاقب	: رئيس قسم الرياضيات بجامعة الخرطوم .
الدكتور وجيه السمان	: عضو مجمع اللغة العربية بدمشق .
الدكتور موسى الخورى	: رئيس قسم اللغة الانجليزية بجامعة دمشق ممثل فلسطين .
الدكتور محمود الجليلى	: عضو المجمع العلمى العراقى .
الدكتور محمد ابراهيم ناصر	: استاذ بجامعة الكويت .
الدكتور امين الطاهر شتلية	: وكيل جامعة طرابلس ليبيا .
الدكتور حسين صادق	: نائب رئيس جامعة الاسكندرية .
الاستاذ احمد الاخضر غزال	: مدير المعهد الوطنى للتعريب (المغرب) .
الاستاذ محمد سالم عدود	: نائب رئيس المحكمة العليا بموريطانيا .
الاستاذ محمد البريمى	: مستشار فى وزارة التربية بجمهورية اليمن العربية .

اعضاء مكتب المؤتمر

الدكتور جميل الملائكة	: (العراق) نائب رئيس المؤتمر .
الدكتور شكرى فيصل	: (سوريا) مقرر .

عن مكتب تنسيق التعريب

الاستاذ عبد العزيز بنعبد الله	: مدير مكتب تنسيق التعريب بالرباط .

منهجية مكتب تنسيق التعريب في وضع مشروعاته المعجمية

الموضوع الـذى تلى فى مؤتمـر التعـريب الثـانى باسم المكتب

فتح العالم العربى جفنيه للنور الجديد بعد الحرب العالمية الاولى فاذا الدنيا غير الدنيا التى عاشها طوال القرون الوسطى ، واذا الغرب يحلق على جناحين من علم مخبرى وتجاريب مادية منحته قوى هائلة فى كـل ميدان من ميادين الحياة ، واتاحت له فرص الانقضاض على الشعوب الضعيفة ، وكان العرب واحدا منهـا اعيد الى قفص الاستعمار من جديد وسيطرت عليـه اكبر القوى العسكرية المعروفة وارغمته على قبـول حضارتها ولغتها وثقافتها ارغاما .

لكن العرب لم يتخاذلوا امام قوى الشر ووجد قادتهم وعقلاؤهم ان طريق الخلاص لا يكون الا بسلوك السبل نفسها التى سلكها الغرب الى القـوة فانكبـوا على العلم الحديث انكبابا ، وزادهم ايمانهم بالله وبحقهم فى الحياة قوة على قوة وما انحسرت الحرب العالمية الثانية حتى كان خريجو الجامعات العربية آلافا مؤلفة يعملون بجد واخلاص فى نقل العلوم العصرية الى لغة القرآن نقلا متتابعا يسجلونه فى الكتب المدرسية والمؤلفـات العلمية والصحف والمجلات والمحاضرات متأثرين بمـا تعلموه فى جامعات الغرب وما تابعوه بعد ذلك مـن تطور حتى اصبح الاتجاه العلمى من ابرز خصائص هذا العصر فى جميع البلاد العربية .

فوضى التعـريب :

لكن هذه الخطوات المباركة نحـو التخلص مـن الاستعمار الفكرى بعد الخلاص من الاستعمار السياسى والعسكرى تعثرت بفوضى التعريب للاسباب التالية :

أ ــ تفاوت المقدرة اللغوية لدى المعربين تفاوتا بعيدا جدا بحيث ترى الاستاذ القادم من الغرب ممتلئا علما ومعرفة وهو يجهل اللغة العربية احيانا لانه صرف كل وقته للعلم لا للغة ، وترى الى جانبه الاستاذ القدير باللغة العربية وهـو يجهـل العلم الحـديث بينمـا المصطلحات تتوالى على ساحة الفكر العلمى بواقـع نحو خمسين مصطلحا جديدا فى كل يوم ، وكلا هذين الطرفين كان يعمل وحده ، ونادرا جدا منهم من جمع بين المعرفتين العلمية واللغوية .

ب ــ اختلاف المؤثر اللغوى الاجنبى فى البلاد العربية انتج اختلافا فى المفاهيم والنقل والترجمة والتعبير وقد

كان الاختلاف محصورا فيما يترجم عن اللغتين الفرنسية والانجليزية لوقوع اكثر البلاد العربية تحت استعمار هاتين الدولتين اذ سيطرت اللغة الانكليزية على المشرق ما عدا سوريا ولبنان وسيطرت اللغة الفرنسية على الشمال الافريقى ما عدا ليبيا ، وزاد هذا التفاوت تباعدا بعد الحرب العالمية الثانية بمن تأثر باللغة الروسية وسواها .

ج — اختلاف المناهج فى التعريب ما بين الجامعات العربية والمجامع اللغوية والاتحادات العلمية والمنظمات ، فبعضها يترجم معنى المصطلح ترجمة يرجع فى اختيارها الى المعاجم اللغوية العربية او الى الوضع والتوليد وبعضها يعرب المصطلح الاجنبى تعريبا اى يبقيه على ما نطق به فى أصل لغته مع بعض التحوير ليصاغ على وزن صرفى مقبول فى حدود الامكان .

د — تدفق المقالات الصحفية العلمية والشبيهة بالعلمية وفيها كثير من المصطلحات المستحدثة ارتجلها الصحفيون بعامل السرعة ارتجالا فوفق بعضهم واخفق بعضهم الآخر وقد يظهر للمصطلح الواحد اكثر من ترجمة فى بلدين مختلفين بل فى صحيفتين من البلد نفسه والجماهير تقرأ لهذا وتقرا لذاك فتتأثر فئة بهذا وفئة بذاك وتزداد الشقة اتساعا مع الايام وتنمو الاجيال متصاعدة فى هذا الجو الفوضوى ولا تعرف كيف تتفق.

هـ — وآخر ما يضاف الى ذلك فوضى التأليف المدرسى ، حين يصوغ كل مدرس او استاذ للمصطلح مرادفا عربيا يتساوق وقدرته اللغوية او معرفته العلمية فتظهر فى البلد الواحد كتب متخالفة المصطلحات فى مؤلفات من موضوع واحد ولم تستطع الحكومات العربية السيطرة على هذه الفوضى الا فى وقت متأخر جدا وضمن حد معين .

منهجية مكتب التعريب :

دعت هذه الحال مفكرى العرب الى مدارسة الموضوع لايجاد حل سريع له وانعقد فى الرباط مؤتمر للتعريب الاول (ابريل 1961) انتهى بعد المناقشات والبحث الى تأسيس « المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى » فما هو مفهوم التنسيق وما المنهج الذى اتبعه المكتب فى هذا التنسيق ؟

جاء فى المادة التاسعة من القانون الاساسى للمكتب ما يلى :

(— تلقى ما تنتهى اليه بحوث العلماء والمجامع اللغوية ونشاط الكتاب والادباء والعلماء والمترجمين ، ومتابعة ذلك كله وتنسيقه وتصنيفه ومقارنته ، لاستخراج ما يتصل منه بأغراض التعريب ، وعرضه على مؤتمرات التعريب) .

وجاء فى النظام الداخلى الذى صدر عن المجلس التنفيذى فى جلسته الثامنة (يناير 1972) المادة الرابعة ما يلى :

(يقوم المكتب بتنسيق الجهود التى تبذل للتوسع فى استعمال اللغة العربية فى التدريس بجميع مراحل التعليم وانواعه ومواده ، وفى الاجهزة الثقافية ووسائل الاعلام المختلفة ، وتنسيق الجهود التى تبذل لاغناء اللغة العربية بالمصطلحات الحديثة ولتوحيد المصطلح العلمى والحضارى فى الوطن العربى بكل الوسائل الممكنة ، والاعداد للمؤتمرات الدورية للتعريب) .

فتطبيقا لهاتين المادتين يسلك المكتب المنهج التالى :

أ — يجمع المتداول للمصطلح الواحد فى البلاد العربية عن طريق شتى ، منها :

1 — جرد ما يرد عليه من المجامع اللغوية والهيئات المختصة كلجان التعريب والمنظمات العربية كمنظمة المقاييس والموازين والاتحادات العلمية كالاتحاد البريدى ، وتسجيل ذلك فى جزازات مرتبة ترتيبا هجائيا.

2 — جرد الكتب العلمية مدرسية وغير مدرسية مما يؤلفه الاختصاصيون ، ويعتمد فى غالب ذلك على الكشوف المعجمية الواردة فى آخر كل كتاب .

3 — جرد الكتب العلمية القديمة ككتاب القانون لابن سينا .

4 — جرد المعاجم اللغوية القديمة كلسان العرب لابن منظور والقاموس للفيروز آبذى ، وقد تجمع لدينا مئات الالوف من جزازات مرتبة على الحروف الهجائية وكلها ثلاثية اللغات (عربى — فرنسى — انكليزى) .

ب — استقراء المفاهيم العلمية ومتابعة المستحدث المستجد منها بواسطة خبرائنا فى المكتب وفى خارجه من عرب ومستشرقين ومن علماء متخصصين ، وبمتابعة المعاجم الاجنبيـــة المعتمـــدة والموسوعـــات المختصرة والمفصلة والنشرات العلمية عن هيات معترف بقيمتها ووزنهـــا .

كيف نضع مشروعات المعاجم :

ونحب ان نسجل هنا قبل البدء بالحديث ان معاجمنا ليست سوى مشروعات معاجم لن تصبح نهائية الا اذا اعتمدتها مؤتمرات التعريب ، التى سنتحدث عنها بعد ذلك ، وتتجمع هذه المشروعات من طرق شتى اهمها مـــا يلى :

1 — قد نتلقى مشروعات معاجم وضعتها هيئـــات علمية او دول عربية تصل الينا بطريق الجامعة العربية اذ كنا مرتبطين بها ، او بطريق المنظمة اذ الحقنا بها بعد ذلك ويطلب منا درسها وبيان الرأى فيها كمشروعات المعاجم الستة التى يبحثها مؤتمر التعريب الثانى .

2 — نتلقى مشروعات معاجم وضعتها هيئات او منظمات او اتحادات عن غير طريق الجامعة او المنظمة.

3 — نتلقى مشروعات معاجم وضعها افراد علميون: اساتذة فى الجامعات او متخصصـــون فى هيئـــات او اتحادات او شركات كبرى .

4 — نتلقى طلبا من دولة عربية او منظمة او هيئة علمية او اتحاد بضرورة وضع معجـــم فى مـــادة مـــا لوحظت الحاجة الماسة اليه .

ولكل طريق من هذه الطرق اسلوب خاص فى خدمة المعجم المطلوب ولكن يمكن تلخيصها فيما يلى :

1 — غالبا ما نتلقى مشروع المعجم بلغة اجنبيـــة واحدة مع العربية كالانكليزية او الفرنسية فنضيف اليه اللغة الثانية الناقصة ليصبح ثلاثى اللغات والهـــدف من هذا تقريب صورة المفهوم العلمى لدى من يجهـــل احدى اللغتين الاجنبيتين وذلك بالمقارنة بينهما ثم بترجمة المصطلح او تعريبه او توليد مقابل له اقتباسا مما هو شائع فى البلاد العربية . وقد يكون اجتماع المصطلحين الاجنبيين عاملا للزيادة فى الدقة عند اقتراح المصطلح العربى الموضوع او المعرب .

2 — نعرض المعجم بعد ذلك على شبيهه باللغـــات الاجنبية ونملأ ما فيه من فراغات وفجوات مما تجمع لدينا من جزازات او مستعينين بخبراء جامعيين عرب او مستشرقين ونلحقه بها ، وقد يبلغ الملحق احيـــانا ضعف الاصل او اكثر ونظل ملاحقين لعملية الاستقراء حتى بعد انعقاد المؤتمرات .

3 — وقد نكلف خبراءنا بتجميع مشروع معجم رأت الدول العربية او الهيئات العلمية او الاتحادات ضرورة وضعه بسرعة .

4 — واذا اتخذنا المعاجم الستة المعروضة على مؤتمر التعريب الثانى كمثال فاننا نكون قد عزونا المصطلـــح العربى الى مصدره كالمجمع اللغوى او الجامعة او استاذ متخصص مشهور او كتاب مدرسى مقرر لنسهل على المؤتمر تقييم المصطلح مع الاحتفاظ فى الطليعة بالمصطلح المتفق عليه فيما بين الدول العربية ، ونشير عند الحاجة الى مصدر المصطلح بوضع رمز اصطلاحى بين قوسين، وعدم وجود هذه الاشارة يدل على شيوع المصطلح فى الوطن العربى .

وقد يظهر ان كثرة المواد فى المشروعات المعجميـــة المدرسية تفوق المستوى بالنسبة للبرامج العربيـــة وسبب ذلك هو اننا لم نكتف بجرد الكتب العربية بل عدنا الى الكتب المقررة فى اوربا لجردها حرصا منا على رفع مستوانا التعليمى .

وبهذا يلاحظ ان المكتب لا يضع المقابلات العربية للمصطلح العلمى الاجنبى من تلقاء نفسه فلا يترجـــم ولا يعرب ولا يولد نحتا او اشتقاقا بل يقوم بعمليـــة ترصيص المصطلحات المتداولة فى العالم العربى بعضها الى جانب بعض مع مراقبة المفهوم العلمى او الحضارى وتساوقه فيما بين اللغات الثلاث ، ويترك للمؤتمر حق الانتقاء او الحذف او الوضـــع وبذلك يسهـــل مكتب التعريب على المؤتمر عمله ويضع امامه المائدة جاهزة من غير متاعب .

وحين يتم مشروع اى معجم من المعاجم التى يعدها المكتب يبعث بـــه الى المجامـــع والهيئـــات العلميـــة

والجامعات والاساتذة المتخصصين لاخذ رايهم فيه ويتقبل النقد والتصويب والترجيح ويعده من جديد اعدادا خاصا لمؤتمر التعريب المقبل .

ما هي مؤتمرات التعريب :

اتفقت الدول العربية على عقد المؤتمر الاول فى الرباط عام 1961 وحضره مندوبون عنها وعن جامعة الدول العربية لدارسة مشاكل التعريب ، وانتهى الى قرارات بتأسيس المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي وباقامة مؤتمرات دورية واناط بمكتب التعريب مهمة اعداد مشروعات المعاجم وتنسيقها لعرضها على هذه المؤتمرات . لكن هذا القرار لم ينفذ تنفيذا كاملا لاسباب كثيرة اهمها تأخر الحاق المكتب بالجامعة العربية حتى عام 1968 ثم بانتقاله ليلحق بالمنظمة عام 1970 ولم يوضع له نظامه الداخلى الا اوائل عام 1973 ، وكان مكتب التعريب قد استغرق هذه المدة لوضع نحو اربعين مشروع معجم ضمن تصميم واضح .

وقد اتخذت المنظمة المبادرة ودعت الدول العربية الى عقد هذا المؤتمر الثانى الذى تفضلت الجمهورية الجزائرية باستضافته ، وقام وفد عن المكتب بجولة فى الدول العربية لشرح فكرة المؤتمر والاعداد له ودعوة الحكومات والهيئات الى ايفاد علماء متخصصين بالعلوم الستة التى ستعرض فى المؤتمر لتكون مدارسة المعاجم اكثر جدوى واوجز للوقت واتم للبحث لان انتداب غير المتخصصين مضيعة للوقت وتوهين للبحث العلمى المعجمى واستجابت الدول العربية لهذه الرغبة الوجيهة ، فبعثنا اليها بمشروعات المعاجم مع ملاحقها ثم بطبعة جديدة موحدة تركنا فيها الى جانب المصطلح المعروض جداول فارغة لتملأ بمقترحات العلماء والمختصين تصويبا او نقدا او توجيها وحين يتجمع لدى المكتب ما تبعثه هذه الدول يعده اعدادا جديدا لعرضه على المؤتمر فيه المتفق عليه والمختلف فيه . اما ما اتفق عليه فلا يعرض للمناقشة واما ما اختلف فيه فهو موضوع النقاش والدرس .

وقد وضعنا جداول لهذا الاخير هى التى توزع على اللجان المختصة لدارستها والامل كبير فى ان تعقب هذا المؤتمر مؤتمرات اخرى دورية تخدم توحيد المصطلح العلمى وتخلص البلاد العربية من اللهجات العلمية ، المتولدة مع العصر توحيدا للفكر العربى فى مسيرته العلمية . وقد وضع المكتب تخطيطا عشريا لمشروعات معاجم جديدة اعدادا لمؤتمرات عروبية قادمة سنعرضه على الدول العربية بعد موافقة اللجنة الاستشارية والمجلس التنفيذى عليه قريبا ان شاء الله .

تلك هى منهجية المكتب فى وضع مشروعاته، وهو يرجو ان يكون قد وفق فى خطته ، وهو على استعداد لتقبل النقد والمطارحة فيه ما دام رائدنا جميعا الخير العام ولنا الامل فى ان يتخذ المؤتمر بعد ذلك قرارا او توصية باستخدام هذه المصطلحات التى نسقها المكتب ووافق عليها المؤتمرون فى جميع المنجزات العلمية بهدف توحيد العمل العلمى فى كل البلاد العربية .

❋

وثيقة المؤتمر الثاني للتعريب

المبادىء والاتجاهات والتوصيات

أولا : المبادىء

إن المؤتمر الثاني للتعريب الذي عقد في الجزائر من الثاني عشر حتى العشرين من شهر ديسمبر (كانون الأول) 1973 ، قد صدر في عمله الذي نهض به خلال أيام انعقاده عن المبادىء التالية التي تؤلف حصيلة التجربة اللغوية العربية المعاصرة والتي تؤكدها التجارب اللغوية المختلفة في العالم :

1) اللغة مقوم رئيسي من مقومات وجود الأمة واستمرارها . وكل خطر يهدد اللغة هو خطر يتهدد شخصية الأمة واستمراريتها وارتباط ما بين أجيالها .

2) ان تأصيل العلوم وانتشار المعارف في أمة من الأمم لا يكون إلا بلغتها . ولذلك فإن لحاق البلاد العربية بالحضارة العلمية المعاصرة ومواكبتها لها ، ثم مشاركتها فيها ، يجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية لغة للتدريس ، وإعداد المصطلحات العلمية الموحدة لـذلك .

3) إن تأصيل اللغة لا يقتصر على الأخذ بها في مرحلة دون مرحلة ، وإنما يجب أن يمازج مراحل التعليم كلها منذ بدايتها ، حتى يتيسر لأبناء هذه اللغة أن يعايشوها معايشة كاملة تساعد بعد ذلك على التصرف بها وتطـويـرهـا .

4) إن ما لحق اللغة العربية من قصور في العصور المتأخرة لا يعود إلى العربية نفسها وإنما يرتد إلى ما فرضه الغزو اللغوي — على درجات متفاوتة — من مباعدة بينها وبين أصحابها ، ومن تشكيك فيها ، وعزل لها عن الحياة والمجتمع . والتجارب اللغوية المعاصرة في العالم تثبت ، على نحو لا يقبل الشك ، ان دؤوب أصحاب اللغة على الأخذ بها وإشاعة استعمالها في كل الميادين النظرية والعملية . والدراسات العلمية والإنسانية — كفيل بتمكينها من الوفاء بحاجات العصر المتطـــورة .

5) ان اللغة العربية قادرة — بحكم طبيعتها وخصائصها وتراثها الذي أسهمت به في الحضارة الإنسانية — على أن تكون لغة العلم الحديث : تدريسا وتأليفا وبحثا .

6) إن الدعوة إلى تدريس العلوم باللغة العربية والعناية بهذه اللغة لا تعني إهمال الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية ولا تقصد إليه .

من هذه المبادىء التي انطلق منها المؤتمر انتهى إلى تقرير الاتجاهات التالية :

ثانيا : الاتجاهات

إن المؤتمر ينعقد في ظل غاية رئيسية هي : توحيد المصطلح العلمي .

1) والأعضاء الذين يشاركون فيه من البلاد العربية يصدرون عن ايمانهم بملاحقة التطور العلمي ومصاحبته. ولكنهم يلاحظون أن نقل المصطلح العلمي أو وضعه أوالأخذ به تفاوت بين قطر وآخر تفاوتا أضحى يحتم عليهم توحيد هذا المصطلح تمهيدا للغة علمية مشتركة .

وهم يدركون أن أسباب هذا التفاوت تعود إلى فقدان العمل المنظم في هذه السبيل فقد أسهمت فيه مجامع وجامعات ، وهيئات وأفراد ، وكان أكثر النقل فيه عن اللغتين الفرنسية والانجليزية ، واتخذت في اصطناعه أساليب مختلفة من الوضع والترجمة والنحت والتعريب . ولذلك فإن توحيد هذا المصطلح يرتبط بسلسلتين من العوامل : عوامل تتصل باللغة العربية والتعليم العربي والطباعة العربية ، وعوامل أخرى تتصل بالظروف الاجتماعية والسياسية . ولا بد لذلك من أن يتخذ العمل في المصطلحات وجهة تتخلص في دراسة هاتين السلسلتين بدراسة عملية ، واصطفاء ما يؤدي إلى الالتقاء والتوحيد ، والابتعاد عما يقود إلى التفرق والتشتيت .

2) إن اختيار المصطلحات العلمية في هذا المؤتمر لمقابلة المصطلحات العلمية الأجنبية لا يؤلف غاية في ذاته بقدر ما يكون سبيلا إلى غايات أخرى هي تطبيق هذه المصطلحات واستعمالها في كل مجالات الأداء والابلاغ : في المدارس والأندية ، وفي وسائل الإعلام وفي الدوائر والمكاتب ، وذلك في عمل مشترك عام يعايش المجتمع في كل طبقاته وفئاته وفي كل مراحله التعليمية ، حتى يتم التفاعل بين اللغة والمجتمع على نحو يقود التطور الفكري والتطور اللغوي في خطين متكاملين ، يقطع الطريق على التفاوت أو التناقض الذي نشهده أحيانا بين الحياة واللغة وتطبيقا تهماالمختلفة .

3) ان اختيار المصطلح العلمي في نطاق التعليم العام في المؤتمر الثاني للتعريب لا يعني أن المؤتمر يريد أن يقف باللغة العلمية عند حدود التعليم الثانوي . ولكنه يعتبر أن عمله هذا تمهيد للخطوة التي يجب أن تلي بعد ذلك ، أي نحو المصطلح العلمي في التعليم الجامعي . ذلك لأن تدريس العلوم بالعربية في المرحلة الثانوية وحدها نوع من العمل الناقص لا يضمن تحقيق الغاية المرجوة... ولهذا فإن المؤتمر يأخذ بالاتجاه إلى تدريس العلوم باللغة العربية في التعليم العالي كله في الجامعات والمعاهد ، ويؤكد أن هذه البيئات العالية تشكل ميدانا بالغ الأهمية يجب أن تتجلى فيه إرادة الأمة العربية في صيانة لغتها وإعطائها الفرص الحقيقية والمتجة للتعبير عن المفاهيم الفكرية للعصر ومنجزاته التطبيقية والتقنية ، ويرى المؤتمر في التجربة التي قدمتها بعض الاقطار العربية والتي أعطت أطيب ثمارها تأكيدا لسلامة هذا الاتجاه ولضرورة الأخذ به .

4) إن النتائج التي انتهى إليها المؤتمر في هذه المصطلحات التي تداولها . مقدمة لاستخدامها في التعليم والتأليف ووضعها موضع التجربة والممارسة . غير أن اختيار المصطلح لا يعني تجميده . فالمصطلحات العلمية بطبيعتها عمل مستمر متصل .

التوصيات

وتطبيقا لهذه الاتجاهات انتهى المؤتمر إلى جملة التوصيات التالية :

في المنهج

يوصي المؤتمر باتباع منهجية للعمل في مشروعات المصطلحات في المستقبل على أن تتناول هذه المنهجية مراحل العمل كلها **في الاعداد والدراسة والاقرار**

1) **في الاعداد** : لا بد من عمل أولي منظم يتناول استقصاء المصطلحات القديمة وجمع المصطلحات الجديدة.

أ) في استقصاء المصطلحات والتعابير القديمة :

مظان هذه المصطلحات : الكتب المتخصصة والمعاجم ، ولكن لا بد من تجاوزها بعد ذلك إلى الكتب الأخرى التي قد تستعمل هذه المصطلحات ، من مثل : كتب الأدب العامة والمحاضرات والمجاميع ، وكتب الفقه والفتاوى والنوازل . ولا بد كذلك من ترتيب هذه المظان ترتيبا تاريخيا ، ومسحها ، وجرد ما فيها ، وتقديمه على أنه جزء من الإرث العربي في الأقطار العربية كلها ، الحاضرة والبادية .

ومثل هذا العمل يعين على احياء المصطلحات العلمية المبثوثة في كتب التراث العلمي العربي وتدقيق مدلولاتها وربطها بالتعبير العلمي العربي والعالمي المعاصر . وكذلك يمكن أن يكون تمهيدا للمعجم التاريخي اللغوي الذي نتطلع إليه ونأمل تحقيقه .

ب) في جمع المصطلحات الحديثة :

وهي المصطلحات التي أقرتها المجامع أو استعملتها الجامعات ، أو تواضعت عليها الهيئات أو أخذت بها المعاجم الجديدة أو نشرها بعض العلماء .

جـ) استخدام وسائل التقنية وعلوم اللسانيات الحديثة للمساعدة على إنجاز هذا العمل ، والاسراع في تحقيقه .

2) وفي الدراسة :

أ) لا بد من اللجوء إلى نظام المراحل المتدرجة فتتقدم مرحلة الجمع والاستقراء والاستقصاء على أية مرحلة . ثم تأتي مرحلة اللجان المتخصصة والندوات للتمحيص والتصفية قبل مرحلة المؤتمر العام ولجانه للمصادقة . وتأتي مرحلة العمل في المستوى المحلي القطري قبل مرحلة العمل في المستوى العربي القومي .

ب) وفي الدراسة كذلك وفي الاتجاه نحو الاقرار لا بد من التواضع على طائفة من مباديء التعريب وطرقه والأخذ بالأساليب المعتمدة فيه ، ضمانا لمحصول مشترك يحفظ الجهد من التبدد ويقطع الطريق على الاختلاف .

وفي ذلك يوصي المؤتمر اتحاد المجامع أن يقوم بجمع قرارات لجنة الأصول في مجمع اللغة العربية بدمشق وما أقره المجمع العلمي العراقي ببغداد وغير ذلك من جهود الهيئات والعلماء ، ويتولى دراسة ذلك كله والتنسيق بينه وتوحيده وإصداره ليكون دليل عمل بين أيدي العاملين في التعريب والمهتمين به من العلماء والباحثين وأعضاء اللجان المحلية والقومية التي تدرس مشروعات المصطلحات .

3) وفي إقرار المصطلحات لا بد من استلهام هذه الأصول والقواعد والتقيد بها لتتوافر للمصطلحات : السلامة في اللغة ، والسهولة في الأداء ، والوضوح في الفكر ، والدقة في التعبير .

في الالتزام

يرى المؤتمر أن قضية المصطلح العلمي لم تنل من العناية في التنفيذ قدرما نالت من عناية في الاعداد والدراسة والاقرار ، وإنه إذا كانت قضية المصطلح عملية مستمرة فإن ذلك يقتضي ألا يستمر الجدل النظري حولها إلى ما لا نهاية له ، وانه لا بد من أن يخرج هذا النقاش النظري إلى مرحلة التطبيق والتجربة العملية حتى يكون استخدام المصطلح هو الذي يحقق امتحانه والحكم عليه .

ولذلك فإن أعضاء المؤتمر يذهبون إلى وجوب الأخذ بمبدأ الالتزام بهذه المصطلحات يلتزمونها هم في مدارسهم وجامعاتهم وبحوثهم ومعاجمهم ويدعون إليها حتى حين يكون تدريسهم باللغة الأجنبية ، ثم يهيبون بالسلطات المختصة أن تلتزم بها ، ما كان ذلك ممكنا ، في المدارس والإدارات والمؤسسات ووسائل الإعلام والشركات حتى تكون جزءا حيا في الحياة العلمية والعملية والإدارية ؛ وحتى يتحقق لها أكبر قدر من الشيوع والاستقرار .

والمؤتمر حين يؤكد هذا المبدأ يؤمن بأنه لا بد من إتاحة الفرصة أمام الأقطار العربية — حسب قدرة كل قطر وظروفه — للأخذ بذلك ، آملا أن يكون الجهد في الأخذ بهذا المبدأ أقوى من الصعوبة وأن يكون

التعارض بين الرغبة والامكان أدنى إلى غلبة الرغبة على عوائق الإمكان .

وهذا الالتزام يقود إلى الأخذ بالتوصية التالية :

طبع هذه المصطلحات في معجم ، ونشر هذا المعجم وتزويد الجهات المختصة في البلاد العربية بنسخ منه لوضعه موضع التجربة في مدارسها ومؤسساتها . ثم تجميع الملاحظات حوله تمهيدا لمعاودة طبعه معدلا منقحا .

في التأليف والبحث والترجمة

1) يوصي المؤتمر وزارات التربية في البلاد العربية أن تستعمل المصطلحات العلمية المقرورة وذلك في كتبها الدراسية في مختلف مراحل التعليم العام .

2) يوصي المؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن تقدم الخبراء والمعونات الفنية اللازمة لتأليف كتب مدرسية للمواد العلمية في مراحل التعليم العام تستعمل فيها هذه المصطلحات العلمية المقرورة وذلك للدول العربية التي تطلب ذلك .

3) يوصي المؤتمر بأن تخصص المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ووزارات التربية في البلاد العربية جوائز تشجيعية لمؤلف أحسن الكتب في مختلف العلوم وفي مختلف سنوات التعليم العام .

4) يوصي المؤتمر أن تدرس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع اتحاد الجامعات العربية تأليف كتب في المواد العلمية المختلفة تستخدم فيها المصطلحات المقرورة وذلك للسنتين الأوليين من الدراسة الجامعية تيسيرا على الدول العربية التي لا تستطيع في هذه المرحلة النهوض بهذا العمل .

5) يوصي المؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالعمل على إصدار نشرات ومجلات باللغة العربية في مختلف العلوم تستعمل فيها المصطلحات المقرورة وتحتوي على البحوث الأصلية والتطبيقية والمترجمات ، إضافة إلى بحوث مراجعة المصادر ، والمستخلصات والخلاصات المهمة .

في المجامع والجامعات

1) يوصي المؤتمر بأن تقدم الحكومات العربية للمجامع واتحادها ، وكذلك للجان التعريب كل عون لتتابع عملها المهم حرصا على المشاركة الكاملة بين الأقطار العربية في موضوع المصطلحات : دراسة وإقرارا واستعمالا .

2) يوصي المؤتمر اتحاد الجامعات العربية باستكمال كل وسائل التعاون بين الكليات العلمية بالطرق المناسبة ، مثل تناوب الاجتماعات الدورية وإصدار النشرات والمجلات العلمية باللغة العربية .

3) يوصي المؤتمر اتحاد الجامعات العربية ، والجامعات العربية التي لم تبدأ تدريس العلوم باللغة العربية ، بالمبادرة إلى استعمال العربية في إلقاء الدروس والمحاضرات .

كما يوصي أن يكون التدريس في الكليات النظرية باللغة العربية . ويؤكد أن تكون العربية السليمة — بعيدا عن اللهجات العامية — هي الأصل في ذلك .

4) يوصي المؤتمر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واتحاد الجامعات العربية بالعمل على إعداد معلمين لتدريس المواد العلمية باللغة العربية في مراحل التعليم العام وعقد دورات تدريبية لهم ، تحقيقا لأفضل المستويات في تعريب التعليم العلمي .

في الأرقام والرموز والسوابق واللواحق

يوصي المؤتمر بمتابعة دراسة الموضوعات التالية :

1) استعمال الأرقام العربية (1 — 2 — 3 — ...) .

2) استعمال الرموز المتفق عليها عالميا في مراحل التعليم العالي وكتابة المعادلات العلمية والرياضية بهذه الرموز ، مع الابقاء على الرموز المستعملة مبدئيا .

3) كتابة صور بعض الأصوات الأجنبية غير الواردة في اللغة العربية .

4) ظاهرة السوابق واللواحق في المصطلح العلمي في اللغة العربية واللغات الأجنبية .

قـــرار الشكـــر

يقدم المؤتمر للسيد رئيس مجلس الثورة والحكومة الجزائرية ولأعضاء الحكومة ولرجال وزارة التربية والتعليم وللجنة الوطنية لتحضير المؤتمر أصدق الشكر وأعمق التقدير لما كان من اهتمام الجزائر بالمؤتمر ، بداية واعدادا واستضافة ، ويرى في ذلك مظهرا من مظاهر استمرار الحكومة الجزائرية في متابعة ثورتها الثقافيـة الأصليـة .

كما يعبر المؤتمر عن صادق الشكر للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتبها لتنسيق التعريب على الجهد المبذول في الدعوة لهذا المؤتمر وتنظيمه وإعداد وثائقه ومشروعات معاجمه . ويرى في هذا العمل تمهيدا نيّرا للافاق الواسعة التي ترودها حركة تعريب التعليـــم .

توصية خاصة

ان المؤتمر الثانى للتعريب الذى ينعقد فى الجزائر بين 12 — 20 من ديسمبر « كانون الاول » سنة 1973 .

اذ ينطلق من الايمان بأن اللغة مقوم رئيسى من مقومات وجود الامة واستمرارها ، وان تأصيل اللغة لا يقتصر على الاخذ بها فى مرحلة دون مرحلة او فى نوع من انواع العلوم دون نوع .

وان اللغة العربية قادرة على ان تكون لغة العلم الحديث كما كانت من قبل ، وحرصا منه على نجاح مهمته التى ترى ان المصطلح العلمى العربى الموحد اول الطريق الى اشاعة المعرفة العلمية فى المجتمع العربى .

وان المعرفة العلمية هى الطريق الى مواكبة العصر.

وان مواكبة العصر هى طريق الحياة الفعالةوالمنتجة

فانه يرجو الحكومات العربية جميعا ان تباشر بتطبيق برنامج مرحلى مرسوم لتعميم التدريس باللغة العربية فى مراحل التعليم كلها للمواد العلمية والادبية بدا من العام الدارسى المقبل 74 — 1975 .

ويرى فى ذلك خطوة اساسية لا بد منها لتحقيق الوجود العربى المشترك الذى يسعى لكسب المعركة فى ساحاتها كلها فى المرحلة الحاضرة والمراحل المقبلة.

وهو يهيب بالملوك والرؤساء ان يسلكوا الى ذلك اقرب الطرق ، ويضع امكاناته كلها فى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وفى المجامع والجامعات وفى اتحاديهما رهن المعاونة على استكمال اسباب النجاح لتحقيق هذه الامنية القومية .

ان المؤتمر — اذ يناشد الملوك والرؤساء العمل على ذلك تحقيقا لتساوق خطى الشعب العربى فى مختلف اقطاره . وتأكيدا لاستثمار التاريخ وتوجيها نحو المستقبل وانسجاما مع اعتبار اللغة العربية فى المؤسسات الدولية احدى اللغات الست الرسمية — يثق انه يضع هذه الامانة الغالية فى موضعها الامين .

قرارات وتوصيات

للمؤتمر العلمي العربي السابع

اعلن الاستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر رئيس الاتحاد العلمى العربى ورئيس المؤتمر فى الجلســـة الختاميــة المنعقدة بالمركز القومى للبحوث ظهر الاربعاء 26 سبتمبر سنة 1973 القرارات والتوصيات الآتية :

1 — يوصى المؤتمر الحكومات العربية باستثمـــار جانب من ارصدتها المودعة فى المصارف الاجنبية لنشر العلم والتعليم وتمويل البحث العلمى فى ارجاء الوطن العربى ، فهو استثمار اكيد النفع والعائد ، قوة ومنفعة للبلاد العربية جميعا ، وانه لوسيلة اكيدة لاسترداد الحقوق المغتصبة .

2 — يوصى المؤتمر الحكومات العربية بتخصيص نسبة لا تقل عن 5 % من دخلها القومى لاغراض البحث العلمـــى .

3 — يوصى المؤتمر الحكومات العربية بتهيئة اسباب استقرار العلماء العرب فى الوطن العربى ، وقفا لتيار هجرتهم الى الخارج .

4 — يوصى المؤتمر جامعة الدول العربية والهيئات العلمية بالعمل على دعم الاتحاد العلمى حتى يستطيع ان يؤدى رسالته على اكمل وجه . واصدار دوريـــة علميـــة عربيـــة .

5 — يوصى المؤتمر الهيئات العلمية فى الدول العربية، التى ليس بها شعب قطرية للاتحاد العلمى العربى ، المبادرة بتكوين هذه الشعب .

6 — يوصى المؤتمر الاتحاد العلمى العربى بالعمل على تشكيل لجان دائمة لدراسة موارد الثروة الطبيعية فى العالم العربى ووسائل استغلالها واستنباطها ، وكذلك لحماية البيئـــة من التلوث .

7 — يوصى المؤتمر الهيئات العلمية المعنية بالعمل على اصدار المعجم العلمى العربى الموحد تمهيدا لتعميم تعريب العلم واتخاذ العربية لغة للعلم .

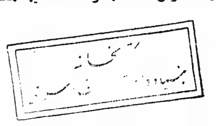
8 — يقرر المؤتمر العلمى العربى فى بغــداد سنـــة 1975 وذلك بناء على اقتراح الوفد العراقى فى هـــذا المـــؤتمـــر .

إستخدام اللغة العربية في التعليم العالي

الدكتور جميل الملائكة
- بغداد -

انها لحالة غريبة وشاذة حقا ان لا يتسنى لابناء بلاد ذات حضارة وعزة وسيادة التعلم وطلب العلم الا بلسان اجنبى لا يمت الى لغة اهل البلاد وتراثهم بصلة من قريب او بعيد . والحقيقة انه لم يكن بيد الاستعمار اداة اطوع فى تفتيت وحدة الثقافة العربية وتفريق كلمة العرب من العمل على طمس لغتهم القومية باتباع الوسائل المختلفة من ابراز العاميات المحلية ، ومن القول بفضل الحروف اللاتينية على الحروف العربية ، الى المناداة بعدم صلاح العربية للعلم والتعليم وبذل الجهود المتصلة لاتخاذ اللغات الاجنبية عوضا عنها ، بل حتى احلال تلك اللغات محل العربية فى الحديث والتسامر فى بعض الاوساط. وليس خافيا ان العربية كانت وما زالت وستبقى من اقوى الروابط التى تجمع بين افراد وشعوب امتنا العظيمة ، وان اضعافها والقضاء عليها معناه القضاء على اقوى مقومات وحدتنا القومية ومستلزماتها ، ومن هنا فان الدول الطامعة بخيرات بلادنا لا تريد للغتنا اى تقدم او ازدهار .

لقد مر على هذه البلاد زمن كانت تعانى فيه من قيود الاستعمار والتبعية ، فكان من مظاهر تلك العهود ان جعلوا اللغة التركية لغة البلاد الرسمية فى ظل الحكم العثمانى فاستعملت فى التعليم والقضاء بل فرضت حتى فى تدريس قواعد اللغة العربية ، وان فرضوا لغة التعليم الفرنسية فى ظل الاستعمار الفرنسى ، وان علموا باللغة الانجليزية تحت نير التسلط الانجليزى ، وهكذا فرضت لغة المستعمر فى البلاد الواقعة تحت سيطرته ، اليوم، وقد ذهبت عهود السيطرة الاجنبية ، فلم يعد ثمة موجب لان نبقى عبيدا للغات الغرب . فان الالمانى مثلا



الجبر والمخزن ودار الصناعة فقالوا و Algebra و Magazine و Arsenal ولم يجد اسلافنا ضيرا فى تعريب Music و Geography بموسيقى وجغرافية . فان استعصى كل ذلك فيمكن استعمال المصطلح الاجنبى بلفظه ، ويبقى تقديم المتون والشروح بالعربية ، ولا يكلف الله نفسا الا وسعها . هذا علما بأن الكثير من اسماء الجواهر ، كلفظة الاوكسجين، اصبحت عالمية ، ويمكن استعمالها كما هى ، ولا لزوم لوضع مصطلحات تقابلها . ومثل ذلك يقال فى بعض اسماء الوحدات القياسية ، كالطن والمتر ، وبعض الاسماء المتعارف عليها عالميا كالرادار والالكترون . وفى جميع الاحوال يمكن ادراج المصطلح الاجنبى بازاء العربى اذا اقتضت الضرورة ذلك .

المعجم الفنى

ولا بد فى هذا المجال من الاشارة الى ان المتوفر الآن من المصطلحات العربية فى العلوم الحديثة يزيد على المائة الف مصطلح ، موزعة فى القواميس والمعجمات الفنية العامة ، والمعجمات والنشرات والمجلات والكتب الاختصاصية ، مما اسهمت فيه المجامع اللغوية ، والاتحادات والجمعيات العلمية ، واللجان الفنية مدنية وعسكرية ، والجهود الفردية من العلماء والمتخصصين . وتؤلف هذه الحصيلة الضخمة من المصطلحات صقل مفرداته ، وتنقيحها ، وانتقاء خيارها ، والزيادة عليها .

الرموز والارقام والمعادلات

وثمة الرموز والارقام والمعادلات فلا لزوم للاغلاء والتزمت بترجمتها الى العربية هى ايضا ، فكل هذه اصبحت صورها شبه عالمية ومن المستحسن الإبقاء عليها كما هى . فان الكثرة الكاثرة من الرموز فى اى علم من العلوم لا تكاد تختلف فى الانجليزية عنها فى الالمانية والفرنسية مثلا . ولعدم كفاية الحروف فى هذه اللغات فقد اصبح للحروف اليونانية ايضا ، بصورتيها الصغيرة والكبيرة ، دلائل معروفة ، فيرمز كل منها الى شىء معين فى فروع العلوم ، كل على حدته . وهى متفق عليها فى الاوساط العلمية العالمية ، فلا يحسن ايضا احلال حروف عربية محلها ، وفى ذلك ضرر ومدعاة للالتباس . ومثل ذلك يقال فى الارقام المدعوة بالارقام العربية Arabic Numerals والمستعملة فى كل اوربا وفى اقطار المغرب العربى ، وهى اصل صور الارقام العربية ، فهذه من السهل جدا اشاعة استعمالها ، وهى لا تتعدى تسع صور للارقام من 1 الى 9 ، وبذلك نوفر على المشتغلين بالعلوم اعادة تحضير الكثير من الجداول مما لا لزوم له ، ونيسر المتابعة العلمية . وبالابقاء على الرموز والارقام نستغنى عن ترجمة المعادلات التى كثيرا ما ادت ترجمتها الى البلبلة الذهنية لدى المشتغلين بالعلوم .

التأليف والترجمة

ويستلزم التعريب اتخاذ الخطوات المناسبة لتأليف المقررات الدراسية وكتب المراجع ، وترجمة الروائع العالمية . وهنا لا بد من التأكيد على وجوب اختيار المؤلفين والمترجمين من بين صفوة العلماء ، لان التأليف الركيك والترجمة الضعيفة غير الواضحة قد يؤديان الى الكثير من الضرر . ويقتضى الامر تقديم التعويضات والمكافآت المجزية للعاملين فى هذين الحقلين وتفريغ الاساتذة المختصين لهما ، واحتساب جهودهم لاغراض الارتقاء فى سلم المراتب الجامعية . ويلزم فى جميع الاحوال ان يوضع فى آخر الكتاب قوائم بالرموز والمصطلحات المستعملة فيه ، سواء اكان مؤلفا أم مترجما ، وكذلك قائمة بالمراجع والمصادر الاجنبية والعربية ، ليتمكن القارىء من الرجوع اليها للمتابعة العلمية فى موضوعه .

ومن الضرورى تنسيق عمل الترجمة فى الاقطار الشقيقة ، فتسمى سنويا فى كل بلد عربى الكتب المراد ترجمتها ، والعلماء المكلفون بذلك ، وتجهز البلاد الاخرى بهذه الاسماء . وينظم العمل تجنبا للتكرار .

تهذيب مناهج العربية

وكذلك يلزم الارتفاع بمستوى تدريس العربية فى المراحل الباكرة من الدراسة بحيث يكمل الطالب الثانوية وهو على الاقل يحسن تحرير عريضة او رسالة ، او تلاوة بضعة اسطر فى صحيفة او كتاب. ويستلزم هذا تهذيب مناهج اللغة بتجاوز الاستظهار الاعمى للقواعد النحوية ، وبعضها مغرق فى المنطق

هذا فضلا عن ان بعضا منهم ابتعدوا زمنا غير يسير عن مواطنهم ، ومنهم من انقطع تماما عن استعمال العربية ، وكم فى هؤلاء من هجر اهله ووطنه الى غير الخارج وهم ناسون للعربية ، فيتهيبون استعمالها . وقد يصيبهم العى والحصر عند النطق بها . وكثيرون منهم الذين لم يتح لهم الوقت الكافى لاتقان اللغة الاجنبية ذاتها ، فضلا عن العربية ، فهم لا يجيدون التدريس بها حق الاجادة . هؤلاء يختلقون صعوبات وهمية فى العربية سببها تصورهم وعدم احاطتهم بها، وهم يظلمون لغتهم القومية عند ما يبثون فى روع الناس انها عاجزة قاصرة ، فيعزون اليها الضعف الذى هو فيهم وليس فيها .

واخطر من ذلك حال بعض الذين يغادرون هذه البلاد لتحصيل العلم فى الخارج وهم فى طراوة الشباب وغضاضة المعرفة والثقافة — فيذهبون الى انجلترا وامريكا ، وفرنسا ، والمانيا ، وروسيا ، فلا يلبث الواحد منهم ان يعجب بلغة البلاد التى درس فيها ، وقد تبهر بعضهم حضارة الشعب الذى اخذوا من ثقافته ، فاذا هم لا يعتصمون الا بحبلها ، واذا هم ينقضون ايمانهم بقوميتهم وتاريخهم ، فضلا عن لغتهم العربية ، وكم فى اولاء من هجر اهله ووطنه الى غير عوده . هذا النوع من الاستعمار الثقافى الوبيل العواقب يستلزم اقصى الحذر من ايفاد الطلبة الى الخارج وهم بعد فى سن باكرة لم تكتمل معها شخصيتهم وعقيدتهم وثقافتهم ، لئلا نفرط ببعض النخبة الصالحة من ابناء البلاد ، ولا نستعيد البعض الآخر تلقى العقيدة خلوا من المشاعر القومية .

قضيــة المصطلحــات

وكثيرا ما يثير المشككون ضجة مفتعلة فينصبون من قضية المصطلحات الفنية سدا منيعا فى وجه التعريب ويرسمون هالات قدسية حوله . فهل توقفت روسيا واليابان والصين وبلغاريا ، وحتى اسرائيل وغيرها يوما عن التعليم والعمل العلمى فى انتظار صياغة مصطلحات ؟ ام هل يريدنا هؤلاء ان ننتظر وننتظر الى الابد ؟ هذه الحجة واهية اساسا ، فالمصطلحات واللغة كلتاهما وسيلة لا غاية ، والمهم هو الاستعمال ، والعلماء والمتخصصون والمؤلفون والمترجمون هم الذين يصوغون المصطلحات بحسب الحاجة العلمية اليها . والعمل العلمى ومصطلحه يسيران جنبا الى جنب ، ولا يسبق احدهما الآخر ، واهل اللغة يستشارون عند الحاجة اليهم . هذا هو الذى يجرى فى جميع البلاد المتقدمة ، والاستعمال والزمن هما الكفيلان ببقاء المصطلح الافضل ، والمشتغلون بالعلم يعرفون ان ثمة الكثير من مصطلحات العلوم التى تختلف فى امريكا عنها فى انجلترا وكلتاهما لغتها الانجليزية . فهل كان هذا فى يوم من الايام سببا لتوقف الحركة العلمية فى اية منهما ؟ وما الفائدة من تكديس مجاميع المصطلحات والمعجمات الفنية الضخمة لتبقى حبيسة الرفوف دون استعمال ؛ ونظل نجادل فى اى الاصلح والافصح — الزيت ام البترول ام النفط ام النفط ؟ لا ادرى هل سيؤدى هذا النقاش الى اية نتيجة ، بينما نستمر فى التعليم بالانجليزية والفرنسية . لقد بات تطور التكنولوجيا والطب والعلوم من السرعة بحيث اصبحت الوسائل الاعتيادية فى صياغة المصطلحات تنوء بأعبائه . فما يمر يوم لا تظهر فيه آلات واختراعات واكتشافات جديدة حتى صار بعض الشركات العلمية يستخدم الاجهزة الالكترونية فى صياغة الاسماء لالآف المركبات الكيميائية الجديده ، وذلك بخزن العديد من التصادير والجذور والكواسع اللغوية ذات المعانى المعينة فى هذه الاجهزة ، وتزويدها بالتركيب الكيميائى لكل من هذه المركبات ، مع المعلومات الاخرى المناسبة ، وتقوم هى بوضع التسميات ، والسرعة اصبحت سمة العصر ، ولقد بات لزاما علينا ان نتخذ من لغتنا وعاء للعلوم لنتمكن من اللحاق بركب الحضارات العالمية .

وفى لغتنا مرونة وموسعة ، فنعمد اولا الى ترجمة المصطلح ان صحت الترجمة ، وهو الاهم والايسر ، فان امتنع ذلك فنستعين بالاشتقاق والقياس ، كما فعلنا فى مصطلحات المذياع Radio ، والرسابة Sediment والتأميم Nationalization فان تعذر ذلك فنفيد من المجاز حيث يكفى وجود علاقة مجازية بين المعنى والمصطلح المختار كما فى قولنا رياضيات Mathematics ، وعزم Moment وهيئة Staff ، فاذا لم يتيسر فنلجأ الى التعريب ، وهو آخر ما نركن اليه ، كما فعلنا فى ماكنة Machine ، وبطارية Battery ، وقديما فرنجوا

يأبى له اعتزازه بقوميته ولغته ان يتخذ من الانجليزية لغة علم وعمل ، ومن غير الطبيعى ان لا تأخذنا نحن الغيرة على لغتنا العربية التى هى عنـوان قوميتنـا وتـراثنـا وتاريخنـا .

اصـالـة العـربيـة

والعربية اليوم لغة مائة مليون عربى ، وهى الاداة الدينية لخمسة اضعاف هذا العدد ، ولقـد اقـرت اليونيسكو اتخاذها لغة عمل بين اللغـات العالميـة الخمس الاخرى ، ومن غير المعقول ان نتهمها بالقصور فى الوقت الذى اصر اعداؤنا فى الجزء المغتصب مـن ارضنا العربية على استعمال اللغة العبرية ، وهـى لغة ميتة ، فلم تعجز عن استيعاب العلم والتعليم . ام هل ان اللغات الروسية ، والصينية ، واليابانيـة ، والهنغارية ، والتركية ، واليونانية ، والبرتغاليـة ، والفنلندية، والبلجيكية، كلها اغنى من العربية واطوع للصياغة العلمية ؟ لا شك فى ان كل هـؤلاء الاقـوام وجدوا فى التمسك بلغتهم القوميـة واتقانهـا سببا للكرامة ، والثقة بالنفس ، واجتماع الكلمة ، والاعتزاز بالتراث القومى ، فلم يرضوا بالتفريط بها او تفضيل غيرهـا عليهـا .

والعربية سبق لها ان وسعت العلوم والشرائـع والفنون ، ولم تعجز عن نقل علوم اليونـان والهنـد وفارس ايام ازدهار حضارات الامويين والعبـاسيين فى الشام ، وبغداد ، والاندلس . ولقد كتب بها اعاظم العلماء من العرب والاعاجم من امثال البيرونى ، وابن سينا ، وابن الهيثم ، والجـاحظ ، والخوارزمـى ، والكرجى ، والفارابى ، والرازى ، وابـن حيـان ، والكندى ، وابن رشد ، وابن طفيل ، وابن خلدون ، والزهراوى ، والادريسى ، وكثيرين سواهم ، والفوا الكتب الجليلة فى الطب ، والهندسة ، والرياضيات ، والمساحة والفلك ، والطبيعة ، والكيمياء ، والاحياء ، والفلسفـة ، والاداب ، والتاريـخ ، والقانـون ، والشريعة ، مما بقى حتى امد قريب يعد بين امهات المراجع العلمية والفلسفيـة والتشريعيـة فى الشرق والغرب . ولقد نقل الكثير مـن هـذه المؤلفـات الى اللغات الاوربية فكان يؤلف حلقات متينة فى سلسلـة تطور العلوم الحديثـة .

ومن السمات المشهودة للعربية ايجاز عبارتها مع حسن الاداء ، وتميز كتابتها بأنها اختزالية بطبيعتها ، وكونها غنية اصلا فى موادها ومفرداتهـا حتـى ان المعجمات لتزخر بقدر هائل من الالفاظ التى يمكن العود اليها لاختيارها لمختلف المصطلحات الحديثة . وهـذه تركيا لم تجد غنى عن استعمال الاصول العربيـة فى وضع مصطلحاتها الحديثة بالحرف اللاتينى .

والعربية فضلا عن تلك لغة مرنة خصبـة كبيرة العطاء ومن ميزاتها الفذه اتساعها فى الاشتقاق حتى إن المادة الواحدة الثلاثية الحروف كثيرا ما تتجـاوز الاوزان الاشتقاقية منها العشرات الى المئات ، والكثير منها قياسى ، هذا اضافة الى امكانية التوسع فيها بدرجة كبيرة . هذه الميزة العظيمة للعربية بين سائر اللغات الحية او القديمة هى سر كونها ادنى لمسايرة سنة التطور واطوع من كثير من سواها من اللغـات فى وضع المصطلحات العلمية .

الاستعمـار الثقـافى

لقد بدأ التدريس فى هذه البلاد بلغات اجنبية فى ظروف معروفة كما اسلفنا ، غير ن ممـا يؤسف له انه استمر كذلك حتى بات بعضنا يفتقر الى الحماسة للتعريب وما عدنا نجد الجراة لاصلاح هذه الحال .

لقد كان من اسباب تـدريس العلـوم باللغـة الانجليزية او الفرنسية فى هذه البلاد ان التدريس على مختلف المستويات بدأ فى زمن كان الكثير من الاساتذة فيه هم من الاجانب ، وكان هؤلاء هم اول مـن بدأ حملات التشكيك فى صلاح العربية للتدريس ، فاتهموها بالصعوبة والتعقيد ، على الـرغم مـن ان النحـو الانجليزى والفرنسى مثلا ، او قواعد الاملاء فيهمـا ليست بأيسر منها فى العربية . وغير خـاف ان جـل هؤلاء لا يعرفون العربية ولا يتقنونها وليس فى وسعهم التدريس بها حق الاجادة . هؤلاء يختلقون صعوبات مناصبهم التدريسية ومراكزهم الحساسة فى هذه البلاد

واسوأ من هذا ان كثيرين من علمائنا تعلموا بلغات اجنبية فى الخارج او فى الداخل ، فكان من نتيجة ذلك ان المتابعة والتخصص اضطرت بعضهم الى التعمق فى دقائق اللغات التى درسوا فيها ، بينما لم يتهيأ لهم اطلاقا ممارسة العربية فى العمل العلمى المتخصص .

والفلسفة ، الى الاكثار من التطبيق بالاعراب ، والتمرين على القراءة والكتابة ، وحفظ النصوص الرفيعة وعيون الشعر . ويجمل الاكثار من النصوص العلمية فى كتب المطالعة لتقوية الطالب فى لغة العلوم وتعريفه على المصطلحات ليدخرها للمستقبل .

الفصحى والعامية

والعامية فى اكثر البلاد العربية اقتربت من الفصحى نتيجة للنهضة الثقافية المعاصرة ، فيلزم العمل على بلورة ذلك باشاعة الفصحى وفرض استعمالها فى المدارس تمهيدا لمحو الشقة بين لغة الحديث ولغة الكتابة وجعل الفصحى لغة التعامل بين مجموع الطبقات . ولوسائل الاعلام اكبر الاهمية فى نشر اللغة السليمة على الجمهور فيجب الحرص على اختيار المذيعين من بين المتمكنين من الالقاء الصحيح ليكونوا قدوة حسنة لعامة الناس .

الاعتبار بتجارب التعريب

ويقتضى برنامج التعريب الافادة والاعتبار من المحاولات والتجارب السابقة لتجنب الاخطاء ، فلا يدرس الطالب بعض الموضوعات بالعربية والبعض الآخر باللغة الاجنبية فى الوقت ذاته فتتضاعف عليه الصعوبات ، ولا يكون منهجه مجزأ فتكون دراسته فى بعض السنوات بالعربية وبعضها بالاجنبية فتتعقد عليه الامور ويفقد التسلسل الذهنى فى المتابعةوالتعبير العلمى ، ولا ينقطع منهجه الى العربية ويغفل اللغة الاجنبية اطلاقا فينعزل عن العالم وتكون ثقافته ضيقة محدودة .

لغة اجنبية للمتابعة

وهنا لا بد من التأكيد على ضرورة الاهتمام الشديد باتقان لغة اجنبية عالية واحدة على الاقل ، اضافة الى العربية ، لاتخاذها اداة لازمة للتوسع فى المتابعة العلمية ، واستمرار الاتصال بالتطور العلمى العالمى ، والتمكين من اكمال الدراسة والتخصص ، ونشر الابحاث العلمية فى المجلات العالمية . ويعد هذا الامر من المتطلبات الطبيعية المفروضة حتى فى ارقى البلاد ، فيلزم الحذر كل الحذر من مغبة التساهل والاهمال فيه ، لئلا نبقى فى معزل عن الحضارة العالمية ، ونضيع الغرض الذى نهدف اليه من التعريب . ولن تكفى لهذا الغرض دراسة اللغة الاجنبية فى الابتدائية والثانوية ، ولو انه من الضرورى الارتفاع بمستواها المنهجى ، وانما يجب الحرص على تطبيق برنامج دقيق لتدريس اللغة الاجنبية الفنية فى الكليات مع التدريب المستمر على استعمالها فى المحادثة والكتابة والمطالعات فى الكتب العلمية .

نشر العلم وتاصيله

هكذا يمكن بتعريب التعليم ان نرتفع بمستوى العلم والمعرفة فى اتجاه ، ونبسط رقعتهما فى الاتجاه الآخر . فمن المعروف ، وخاصة عند العاملين فى التعليم الجامعى ، انه ايسر للطالب المتوسط قراءة ثلاث صفحات الى خمس فى كتاب علمى مكتوب بالعربية ، لغة اهله وقومه ، من قراءة صفحة واحدة بلغة اجنبية غريبة عنه ، وهو بالتالى يتمكن من استيعاب مادة علمية اوفر ، ويتيسر له الوقت لاستقصاء المراجع العلمية فيما عدا المقررات الدراسية ، مما نعانى من انعدامه فى الوقت الحاضر. ومن الجهة الاخرى يشجع التعريب اكبر عدد من خريجى الثانويات على الاقبال على الفروع العلمية ، بينما نجد الكثيرين منهم فى هذا الوقت يعدلون عن العلوم الى الآداب بسبب تخوفهم من اللغة الاجنبية . وعلاوة على ذلك فان تعريب العلم يمكن من توفير المادة العلمية المطبوعة لاكبر عدد من ابناء الشعب ، بلغتهم التى يفهمونها ، فيساعد على تأصيل العلم فى هذه البلاد ، ويؤدى الى خروجه من دائرته الضيقة، ونشر الثقافة العامة بين الجماهير ، كما هى الحال فى البلاد الراقية .

اهم التوصيات

من كل هذا نخلص الى ان انجاح مشروع التعريب فى جامعاتنا يتطلب تنفيذ خطة محكمة متكاملة لا يمكن ان ينفذ اليها الاخفاق . ويمكننا ايجاز الخطوط العريضة لهذه الخطة بما يأتى :

1 — السير فى برنامج متصل لتعريب التدريس الجامعى ينفذ من العام القابل او الذى يليه ، فيشرع بتطبيقه اولا على طلبة السنة الجامعية الاولى ، وبعد نهاية العام يطبق على طلبة السنة الثانية ،

وهكذا يستمر دون توقف حتى يشمل جميـع سنى الدراسة الجامعية .

2 ــ المباشرة حالا بتنفيذ برنامـج محكم لتـأليف وترجمة المقررات الدراسية لتكون مهيأه فى اى وقت لسنتين جامعيتين مقبلتين على الاقل .

3 ــ تطبيق برنامج قويم لتدريس الطالب الجامعى اللغة الاجنبية العلمية بصورة مستمرة لتمكينه مـن المتابعة العلمية ، ومواكبة التطور العلى ، واكمال التخصص .

4 ــ انشاء شعب وطنيـة للتعـريب فى وزارات التعليم العالى تضم اختصاصيين وموظفين لمتابعـة برامج التعريب ونشاطاته وتجميع المصطلحات التى يقوم بها الافراد والهيئات العلمية وتنسيقها لتوفيرها للعاملين فى الحقول العلمية ، وتزويد المكتب الدائم للتعـريب بهـا .

5 ــ عقد ندوات قطرية سنوية للتعريب يحضرها مندوبون عن الهيئات العلمية والمعنيـون بشـؤون التعريب لدراسة مشاكلـه ومناقشـة المصطلحـات العلميـة واقـرارهـا .

6 ــ العمل على انشاء اتحاد عربى للتعريب على غرار الاتحاد العلمى العربى يضم ممثلين عن الشعب الوطنية ومندوبا عن المكتب الدائم للتعـريب لعقـد اجتماعات ومؤتمرات دورية فى العـواصم العربيـة المختلفة يدعى اليها ممثلو الاتحادات والهيئات العلمية والعلماء المعنيون بشؤون التعـريب لبحث قضايـاه ومناقشة المصطلحات لتنسيقها وتوحيدها فى العـالم العـربـى .

7 ــ اصدار تشريعات فى اقطار المشرق العربـى لاحلال الارقام الغربية المستعملة فى اوربـا واقطـار المغرب العربى محل صور الارقام المستعملة فى الوقت الحـاضر .

8 ــ رفع مستوى العربية فى مرحلتى الدراسـة الابتدائية والثانوية ، بفرض استعمال الفصحى فـى التدريس ، وتجاوز بعض قواعد النحو المعقدة الى التأكيد فى المناهج على الجوانب التطبيقية من اكثار التمرين على المحادثة والقـراءة والكتابـة ، وحفظ النصوص الرفيعة وزيادة المطالعات فى الكتب العلمية لاغناء الطالب بمصطلحاتها .

9 ــ العمل على تحقيـق فكره المعجم العربـى الموحد ، بصيغتين : انجليزى ــ عربى ، وفرنسى ــ عربى ، ليضم مصطلحات الفروع العلمية المختلفة ، على غرار المعجمات العلمية العالمية ، وتفريغ هيئـة من العلمـاء لـه .

*

نحو تنسيق أفضل للجهود الرامية إلى تطوير اللغة العربية

الدكتور تمام حسان
عميد كلية دار العلوم بجامعة القاهرة

لم يكن للعرب من قبل ولن يكون لهم من بعد ما هو اثمن ولا اولى ولا ادعى للعناية من لغتهم . لان اللغة العربية وعاء التجارب العربية ومظهر الشخصية العربية ورابطة الاجيال العربية والحبل الذى يعتصم به ابناء الامة العربية فى حاضرهم ومستقبلهم . فاذا فرقت السياسة والمصالح الاقليمية بين العرب وحدت اللغة بينهم فى الفكر وربطت بينهم فى الامل ومثلت فى اعينهم قضية مريدة يتفقون فى الحفاظ عليها وارادة التنمية لها ومحاولة تطويرها وتيسير فهمها وجعلها اداة دولية تنبىء عن اهمية امة كثر اعداؤها والطامعون فيها واستأسدت من حولها القوى التى تريد الحط من قيمتها اذا لم تتمكن من القضاء عليها . واللغة العربية سلاح العرب فى معركة البقاء : بها غلبوا فى الماضى ولن يغلبوا الا بها فى المستقبل . وحين بعث الله رسوله

بدين الحق اعطاه من اللغة معجزة خالدة كانت سببا فى اقبال الامم على العرب ، ويوم تكلمت الامم لغة العرب اصبح سجين الصحراء فى الجاهلية داعية الحرية فى الاسلام واحست الامم المغلوبة ذوات الثقافة ان البدوى الذىكان دونها حضارة اصبح ندا لها ان لم يكن شعاعا يهديها ، واتخذت من العربية لغة لها لا تفهم ثقافة الاسلام الا بها ، ثم تساءلت هذه الامم بروح الغيرة عن سر هذا التفوق فلم تجد له جوابا الا فى اللغة . وحين اطلت الشعوبية براسها كانت اللغة العربية لغة العرب والشعوبيين على السواء . ولعل هذا هو السبب الذى لم يجعل للشعوبية ذات خطر عظيم فى بدايتها ولكن نتائجها كانت اخطر حين عنى ابناء الامم بلغاتهم ثم امسكوا عن استعمال اللغة العربية فى النهاية . فكانت هذه خسارة تاريخية للعرب : حدث ذلك فى ايران وما وراء النهر وفى اسبانيا وكاد يحدث فى الشمال الافريقى ويحدث اليوم فى فلسطين . وان مؤتمركم هذا ليلتقى فى ارض تعرف قيمة اللغة العربية بما سلط الله عليها من غزو لغوى دام اكثر من مائة عام فكاد يقضى على عروبة هذا الشعب الباسل بالقضاء على لغته ، ولكن الله الذى قضى بالبلاء هو الذى منح الصبر والمصابرة وقضى بالنصر اخيرا للشعب الجزائرى ولغة العرب فاللهم حمدا على ما ابتليت وشكرا على ما حميت انك على ما تشاء قدير .

اذن كان هذا خطر اللغة فى حياة الامة افلا يكون من واجبنا المقدس تقديسا يفوق كل المعايير ان نبحث ونتباحث فى وسائل الحفاظ عليها ثم تنميتها وتطويرها

ثم العمل على تيسيرها ونشرها فى الداخل والخارج ؟ نعم هذا واجبنا فرادى وجماعات . وهذا المؤتمر الموقر خطوة مباركة فى سبيل هذا العمل القومى العظيم ، وان كل بحث يلقى فى هذا المؤتمر ليعد فى نظرى وقفة فى ساحة الجهاد فى سبيل الله والعروبة والاسلام يقفها جندى مدرب شاكى السلاح لا يضيره الا بريق الدم بسيفه اذا اراق الحبر بقلمه .

وسيتجه هذا البحث منذ البداية الى التفكير فى ايسر السبل « نحو تنسيق افضل للجهود الرامية الى تطوير اللغة العربية » حتى تأخذ هذه اللغة مكانتها الطبيعى الذى يؤهلها له تاريخها وثقافاتها وغناها وطواعيتها وصلاحيتها لان تكون اداة علم وفن كما ثبت لها ذلك فى عصور هامة من تاريخ البشرية . ولعل اول خطوة لتحديد الدواء ان نعرف موطن الداء ومن ثم يجدر بنا ان نلقى نظرة فاحصة فى تراكيب العربية من جهة وفى ظروفها الاجتماعية من جهة اخرى فلعلنا ان فعلنا ان نصل الى تشخيص مقبول لاوجه النقص العقبات التى تقف حائلا دون تطوير لغتنا الفصحى . الذى يبدو لى ان هذه الاوجه يمكن ان ترتب على لنحو التالى :

ا — صعوبة القواعد وتطويرها :

شاع بين الناس (عربا وغير عرب) ان اللغة العربية من اللغات التى يصعب تعلمها ، ويرجع الناس ذلك الى ما ينسبونه الى هذه اللغة من نظم معقدة بما فيها من اعراب واعلال وابدال وقلب وحذف وتقدير واستتار وهلم جرا . ولا شك ان اللغة العربية تشتمل على هذه الظواهر ولكن بعض هذه الظواهر نفسها توجد فى لغات اخرى غير العربية ولا يرميها الناس بالصعوبة ، فالظواهر الاعرابية موجودة فى اللغات اللاتينية واليونانية والالمانية والابدال موجود فى معظم اللغات الحديثة واشهر صوره ما يسمونه Liaison فى اللغات الاوربية الحديثة ولن يعز علينا ان نجد بقية هذه الظواهر فى اللغات الاخرى . ومع ذلك لا ترتفع الاصوات بالشكوى ضد هذه اللغات . فلماذا ؟

الواقع ان الطريقة التى تمت بها دراسة النحو العربى لم تكن احسن الطرق الممكنة . فلقد خلط النحاة فى عملهم بين منهج العالم ومنهج المعلم فكان على العالم ان يصطنع المعيارية فى بحثه وهى اسوأ ما يبتلى به منهج البحث وكان على المعلم ان يتعدى عموميات القواعد الى الملاحظات الدقيقة التى ادت فى نهاية الامر الى نشأة المدارس والمذاهب . اضف الى ذلك ان النحاة تجاهلوا فى رصدهم لظواهر العربية امرين على جانب كبير جدا من الاهمية ، اولهما تاريخى وهو تطور اللغة من جيل الى جيل وثانيهما اجتماعى وهو اختلاف اللهجات من قبيلة الى قبيلة . فأما بالنسبة للاول فلم يفرقوا بين لغة امرىء القيس ولغة ابن هرمة او بشار بن برد . وبين هذا وذاك حوالى ثلاثة قرون تطورت فيها اللغة فى بنيتها وفى اسلوبها تطورا يستحق التسجيل . واما بالنسبة للثانى فقد طفق النحاة يختارون القبائل ليأخذوا اللغة عنها فكان اختيارهم بلا منهج سليم . ذلك بأنهم عددوا القبائل وكان الاولى بهم ان يدرسوا النحو فى كل لهجة على حدة بما للهجات من اختلاف الانظمة . وحين عددوا افردوا ما سموه قبائل وسط الجزيرة ونفوا ما عداها واقاموا نحوهم على هذا الاساس ولكن شواهدهم لم تلتزم بذلك فاستشهدوا بكل شعر حتى شعر العباديين . وفوق ذلك كان اعتمادهم عند الاستشهاد على الشعر فى الاساس عملا ليس له ما يبرره ، فلقد ادى ذلك الى ان يصبح النحو العربى مزجا غريبا من القواعد والرخص والضرائر والشواذ الخ . لان لغة الشعر بطبيعتها لا تستقيم الا مع هذه الرخص والضرائر ، ولان لغة النثر نفسها تستعمل هذه الرخص فى غير القليل من الحالات . وفوق كل ذلك ان النحاة بنوا نحوهم على نظرية العامل فعلقوا جمهور المعانى على العلامات الاعرابية مع ان هذه العلامات لا تعين على كشف المعنى فى المقصور والمنقوص والمبنى والجملة ذات المحل ، كما ان العلامات الاعرابية اقل من الابواب النحوية فلا بد ان يستدل بالعلامة الواحدة على اكثر من باب واحد ولو تعلق المعنى بمفرد العلامة فى هذه الحالة ما استطاع الناس ان يامنوا اللبس . من هنا انفسحت المشاكل الطريق للخلافات وادت الخلافات الى المذاهب وتكلمت المذاهب فى الشاذ والقليل والنادر والمسموع والمقيس والمطرد الى غير ذلك . وطالت كتب النحو بهذه الخلافات حتى اصبح الباحث عن القاعدة المجردة كالباحث عن الابرة فى كومة القش . وهكذا رميت اللغة العربية بتهمة الصعوبة وكان ذلك بسبب منهج النحاة .

ذكرنا من قبل ان اللغة العربية ليست ببنائها وتركيبها صعبة وان الصعوبة التى يصادفها المتعلمون لها انما

تعود الى عيوب فى منهج النحاة العرب من جهة والى الطرق المستخدمة فى التعليم من جهة اخرى ، وهذان امران يرجع اولهما الى علم اللغة النظرى :

Theoritical Linguistics ويرجع ثانيهما الى علم اللغة التطبيقى Applied Linguistics من جهة والى فنون التربية والتعليم من جهة اخرى . ولقد اشرت من قبل الى بعض العيوب فى منهج النحاة العرب وقلت انها ترجع فى عمومها الى اصطناع افكار من خارج حقل اللغة والى الاعتماد فى فهم النص على التعليل والتاويل دون مجرد الوصف والتبويب . واوضح ما يرد لى فى هذا الصدد ان النحاة اقاموا نحوهم على نظرية العامل وانهم ارتضوا نوعا من التحليل اللغوى للقواعد سموه الاعراب التقديرى وآخر سموه الاعراب المحلى . ومن الواضح ان التحليل الاعرابى لاى نص لغوى انما هو تحديد وظائف الكلمات وعناصر التركيب الاخرى فى السياق واذا وصل المعرب الى تحديد هذه الوظائف فعرف ان هذه الكلمة فاعل وتلك مضاف اليه او تمييز وان هذه النون للوقاية وليست للرفع او التوكيد فقد وصل من عمله الى غايته ولم يدع بعد ذلك من وجهة نظر الاعراب زيادة لمستزيد . فهل يمكن من خلال القول بالعامل فقط ان يصل المعرب الى تحديد هذه الوظائف الاعرابية ؟ الجواب لا بكل تأكيد . لان نظرية العامل تعلق المعنى النحوى على العلامة الاعرابية وهى الحركة او ما ينوب عنها ولكن هذه العلامة الاعرابية غير كافية فى التحليل الاعرابى للاسباب الآتية :

أ ـ ان عدد ابواب النحو اكثر من عدد العلامات الاعرابية فلا مناص من اشتراك عدد من الابواب فى علامة واحدة كالفاعل ونائبه والمبتدأ والخبر واسم كان وخبر ان والتابع المرفوع كل ذلك يشترك فى الضمة وكالمفعولين والحال والتمييز والمستثنى والمختص والمصدر النائب عن فعله الخ .. اذ يشترك كل ذلك فى الفتحة وكالمجرور بالاضافة والمجرور بالحرف الخ.. اذ يشترك فى الكسرة . فلو علقنا المعنى الاعرابى على العلامة الاعرابية والالة هذه لادى بنا ذلك الى اللبس لا محالة .

ب ـ واذا علقنا المعنى الاعرابى على العلامة الاعرابية فكيف نصل الى اعراب المبنيات التى لا يتغير آخرها والى اعراب المقصور والمنقوص المرفوع والمجرور والى اعراب الجمل المعبرة عن معنى المفرد ؟

جـ ـ واذا علقنا هذا المعنى الاعرابى على العلامة الاعرابية بمفردها فكيف يمكن لنا اعراب الشواذ الاعرابية وما اكثرها وكذلك القلائل والنوادر والمسموع دون المقيس .

ليست العلامة الاعرابية اذن قرينة مفردة على المعنى ولكن هناك عددا من القرائن الاخرى كان على النحاة ان يسلكوها فى نظام واحد بدلا من الاشارات العارضة الى بعضها دون السياق واهمال بعضها الآخر اهمالا تاما . وخطة القرائن النحوية تبدو على الصورة الآتية :

هناك قرائن معنوية يفهمها المعرب من سياق الكلام وهى كما يلى :

اولا : قرينة الاسناد : وهى العلاقة التى تربط بين طرفى الجملة المفيدة كربط الفعل بالفاعل او نائبه وكربط المبتدأ بالخبر ثم هى المعنى الذى يسمح للفظ المفرد ان يفيد افادة كاملة كما فى نعم ولا وما سماه النحاة الجملة التى حذف احد طرفيها ، فلولا قرينة الاسناد المفهومة من السياق ما فهم المعنى التام من هذه المفردات

ثانيا : قرينة التخصص : وهى تضم تحت جناحيها عددا من القرائن التى تعتبر فروعا عليها كالتعدية والغائية والظرفية والمعية والتاكيد او التحديد والاخراج والملابسة والتفسير وكل واحدة من هذه القرائن الفرعية تفهم معنى نحويا خاصا ، فالمعانى التى تفهم منها على الترتيب هى المفعول به والمفعول لاجله (ومثله المضارع المنصوب باللام وكى وحتى والفاء ولن واذا) والمفعول فيه والمفعول معه (ومثله المضارع المنصوب بعد الواو) والمفعول المطلق والمستثنى والحال والتمييز وكل واحد من هذه المنصوبات يعتبر مخصصا لعموم دلالة الاسناد فى جملته .

ثالثا : قرينة النسبة : ويقع تحتها المجرور على الاضافة والمجرور على معنى الحرف ، فالمعانى الفرعية التى تقع تحت عنوان النسبة تبلغ حوالى ثلاثين معنى هى حاصل جمع الاضافة ومعانى حروف الجر .

رابعا : قرينة التبعية : وهى التى يفهم بها النعت والعطف والتوكيد والبيان والبدل .

خامسا : المخالفة : وهى قرينة طائفة من المنصوبات لا يمكن ان تفسرها فكرة العامل وانما يكون النصب فيها للمخالفة بين المنصوب فى التركيب وبين مرفوع او مخفوض يشبهه تماما فى تركيب آخر على النحو التالى :

نحن العرب نكرم الضيف
احببت ان يقوم زيد
كم عمة
ما احسن زيدا
سقيا لك ورعيا
اضحكا فى الصلاة

المخالفة	نحن العرب — مبتدأ وخبر
المخالفة	علمت ان يقوم زيد — ان مخففة
المخالفة	كم عمة — مضاف اليه
المخالفة	ما احسن زيدا — نفى
المخالفة	سقى لك ورعى — مبتدأ وخبر
المخالفة	اضحك فى الصلاة — مبتدأ وخبر

وهلم جرا . وهذه القرائن المعنوية كما سبق هى العلاقات السياقية فيما عدا المخالفة فهى علاقة فى نطاق النظام النحوى فى عمومه . والقرينة المعنوية غير يسيرة الادراك بمفردها ولذلك كان على اللغة ان تعززها بعدد من القرائن اللفظية التى تعتبر معالم للطريق يهتدى بها المعرب وهذه القرائن اللفظية كما يأتى :

البنية — العلامة الاعرابية — المطابقة — الربط — التضام — الرتبة — الاداة — النغمة فى الكلام المنطوق. ولا بد من ان يتضافر عدد من هذه القرائن اللفظية مع القرينة المعنوية المعينة المخصصة لمعنى نحوى بعينه، وهذا المبدأ مبدأ تضافر القرائن هو البديل المنهجى للقول بالعامل النحوى . وقبل ان اشرح هذه العبارة دعنا نعرب تام محمد ليصلى لنرى كيف تتضافر القرائن على المعنى التحليلى الذى يسمى الاعراب .

تام : فعل ماض بقرينة الاسناد لانه متبوع باسم مرفوع صالح لان يسند اليه الفعل وبقرينة البنية لان هذه الصيغة من صيغ الماضى .
وبقرينة الرتبة لانه سابق على الفاعل .

محمد : فاعل بقرينة الاسناد لانه كما يقول النحاة هو المسند اليه فى الجملة .
وبقرينة البنية لانه اسم وليس فعلا ولا حرفا
وبقرينة العلامة الاعرابية لانه مرفوع .
وبقرينة المطابقة لان الفعل معه مسند الى المفرد الغائب .
وبقرينة التضام لان كل فعل فلا بد له من فاعل (هكذا زعم النحاة) .
وبقرينة الرتبة لانه متأخر عن الفعل ولو تقدم لم يكن فاعلا .

اللام : حرف بقرينة البنية .
وبقرينة معنى الغائية الذى تفيده .
وبقرينة الرتبة المتقدمة على ضميمتها وهذا من شأن الحروف .

يصلى : فعل مضارع بقرينة البنية .
منصوب بدليل العلامة الاعرابية .
وكان نصبه على معنى الغائية بدليل معنى اللام وذلك هو نفس المعنى الذى ينصب معه المفعول لاجله وقرينة ارتباطه بمعنى اللام هو التضام لان اللام مفتقرة الى مدخل هو الفعل هنا .
وقرينة اخرى على ارتباطه باللام هى الرتبة بينهما .

ذلك مما اسميه مبدأ تضافر القرائن . وفائدته انه يرصد لامن اللبس فى المعنى النحوى حراسا متعددين لا حارسا واحدا ما دام قد ثبت لنا ان هذا الحارس الواحد (العلامة الاعرابية) قد يخفى احيانا ولولا الحراس الآخرون لاصبح المعنى مباحا لشياطين اللبس. هذا تأصيل جديد للنحو العربى او فلنقل هذا ترتيب جديد لأصول النحو يذهب بالتعليل والتأويل الى غير رجعة ولا سيما اذا اضفنا الى « تضافر القرائن » مبدأ آخر اهم واخطر هو مبدأ « الترخص فى القرائن عند امن اللبس » ، وسنرى ان هذا المبدأ الاخير يذهب الخلافات النحوية ويجعل القول بالندرة والشذوذ والقلة والمسموع الذى لا يقاس عليه قولا لا معنى له ولا جدوى منه الا اطالة النحو وتعقيده وجعله اشبه ما يكون بنظام فلسفى تأملى اظهر العلم التجريبى بطلانه على نحو ما بطلت الطبائع الاربع .

وينبغى لنا الآن ان نضرب الامثلة على الترخص فى القرائن عند امن اللبس ونعرض فى تمثيلها لهذا المبدأ القرائن اللفظية الواحدة بعد الاخرى . ومن الضرورى ان نقول منذ البداية ان القرينة المعنوية لا يترخص فيها ابدا لانها علاقة ولانها معنى وظيفى ولا يعقل ان نترخص فى العلاقات والوظائف . وهناك امثلة فى القرائن اللفظية واحدة بعد الاخرى .

١ — الترخص فى البنية :

● تحافظ اللغة على ان تجعل من صفة « ال » صفحة

صريحة . ولكن اذ امــن اللبس جــاءت غير ذلك ومثــالــه :

ما انت بالحكم الترضى حكومته
من القــول رسول الله منهــم
صــوت الحمــار اليجــدع

- تحافظ اللغة على ان تجعل خبر كان واخواتها فعلا مضارعا فاذا امن اللبس جاء الخبر غير ذلك . ومثاله:

فطفــق مسحا بالسوق والاعنــاق
فأبت الى فهم وما كدت آيبا .. الخ

- تحافظ اللغة على ان يكون المبتدا معرفة فاذا امــن اللبس (ما لم تفد) جاء نكرة . ومثاله :

امــر بمعــروف صدقــة
قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى .
ســلام عليكــم .

ويضيق المقام عن ذكر آلاف الشواهد على الترخص فى البنية عند امن اللبس وقد فصلت القول فى الترخص فى القرائن فى كتابى « اللغة العربية مبناها ومعناها » وفى بحث تقدمت به لمسابقة مكتب تنسيق التعريب فى العام الماضى فحصل على الجائزة الاولى .

ب — الترخص فى العلامة الاعرابية :

وامثلة ذلك اكثر من ان تحصى ومنها :

خرق الثوب المسمار — جحــر ضب خــرب — ان هذان لساحران (بتشديد نون ان) — ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى .. — ان اباها وابا اباها قد بلغا فى المجد غايتاها — كأن لم تــرى قبلى اسيرا يمانيا — وحلت سواء القلب لا انا باغيا سواها ولا عن حبها متراخيا — كأن اذنيه اذا تشوفا قادمة او قلما محرفا — ان تقرآن على اسماء — الم يأتيك — ما للجمال مشيها وئيدا — وكل نعت مقطوع فهو من هــذا القبيــل .

ج — الترخص فى المطابقــة :

وهو ايضا مشروط بأمن اللبس وامثلته :

والملائكة بعد ذلك ظهير — وما حب الديار شغفــن قلبى — ولا ارض ابقل ابقالها — فانى وقياربها لغريب — هذان خصمان اختصموا — وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا — حين قال الوشاة هند غضوب — انــا الذى نظر الاعمى الى ادبى — وكل ما سماه النحاة التغليب يحمل فى طيه ترخصا فى مطابقة المغلب عليه — وقــد كان يمكن ان يحمل على هذا الترخص اعــادة ضمير المؤنث المفرد الى جمع التكسير ولكن اطراد الظاهرة يحول دون هذا القول — وكل ما سماه النحاة التفاتا فهو من هذا القبيل قطعا .

د — التــرخص فى الــربط :

- يحذف الضمير الرابط عند امن اللبس نحو : « اهذا الذى بعث الله رسولا » — كان ثدياه حقــان (اى كأنه) — ما اعف واكرما (اى ما اعفها) .
- تحذف الفاء الرابطة فى جواب الشرط عند امن اللبس نحو : من يفعل الحسنات الله يشكرها — ومن لا يزل ينقاد للغى والصبا سيلقى على طول السلامة نــادمــا —
- تحذف الفاء الرابطة فى جواب اما نحو : فاما القتال لا قتال لديكــو .
- وتحذف اللام الرابطة من جواب لولا المثبت نحــو : لولا زهير جفانى كنت منتصرا — وكم موطن لولاى طحت كمــا هــوى .

هـ — التــرخص فى التضــام :

وهو كغيره مشروط بأمن اللبس ويتمثل فى الحــذف والزيادة والفصل بالاجنبى نحو :

- قد يحذف ما يعتمد عليه الوصف المغنى فاعله عــن الخبر نحو خبير بنو لهب .
- وقد يحذف المبتدا او الخبر اذا امن اللبس وتقــول عبارة النحاة اذا دل عليه دليل والمعروف ان الجملة الاسمية تقوم على تضامهما فكل منهما لازم للآخر .
- وقد تحذف صلة الموصول على رغم افتقاره اليهــا وذلك اذا امن اللبس نحو :

« نحن الاولى فاجمع جموعك ثم وجههم الينا » .

- قد تحدث زيادة بين المتضامين كما فى نحو :

فى غرف الجنة العليا التى وجبت
لهم هناك بسعى كان مشكور
فى لجنة غمرت اباك بحارهــا
فى الجاهلية كــان والاســلام
وليست سربال الشباب ازورها
ولنعم كان شبيبــة المحتــال

سراة بنى ابى بكر تسامى
على كل المسومة العراب

- قد يسقط احد مفعولى ظن وهما متضامان وذلك عند امن اللبس — والامثلة على هذا الترخص اكثر من ان تحصى :

و — الترخص فى الرتبة : وذلك عند امن اللبس فاذا لم يؤمن اللبس التزمت الرتبة التزاما لا مناص منه.

- فيجوز تقديم الخبر على المبتدأ الا عند اللبس كما فى اخى صديقى فيكون الاول هو المبتدأ .
- ويجوز تقديم المفعول على الفاعل الا عند اللبس كما فى ضرب موسى عيسى فيكون الفاعل اولا .
- ويقال مثل ذلك فى اسم كان وخبرها وفى مفعولى ظن وفى مفعولى اعطى .
- واذا امن اللبس تقدم المعطوف نحو : « عليك ورحمة الله السلام » .
- واذا امن اللبس ايضا عاد الضمير على متأخر لفظا ورتبة نحو : « قل هو الله احد » .
- واذا امن اللبس تقدم المستثنى نحو : « ومالى الا آل احمد شيعة » وهلم جرا .

ز — الترخص فى الاداة :

- قد تحذف همزة الاستفهام عند امن اللبس نحو : « ثم قالوا تحبها قلت بهرا » وتقول الكميت : « وذو الشيب يلعب » وتوله تعالى : « وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل » ؟
- قد تحذف واو العطف عند امن اللبس وهذا ما يسميه النحاة تعدد الخبر نحو زيد كاتب شاعر وتعدد النعت نحو : جاء زيد الكاتب الشاعر وتعدد الحال نحو : جاء زيد كاتبا شاعرا وشواهد ذلك كثيرة جدا .

ح — الترخص فى النغمة :

والنغمة قرينة فى الكلام المنطوق ويبدو ذلك واضحا فى نطق الشواهد التى سقناها على حذف اداة الاستفهام وفى غير ذلك مما نسمعه فى كلامنا العادى فانت تستطيع ان تعطى لفظا مثل لفظ الجلالة منطوقا بمفرده ما تشاء من معانى الجمل النحوية كالاستفهام والتعجب الخ . ومثل ذلك ممكن مع عبارة مثل « ياسلام » حيث تكون النغمة قرينة هامة على المعنى المراد . ومع ذلك يمكن ان نترخص فى النغمة بواسطة القراءة الصامتة ونحوها وعند الكتابة الى صديق وهكذا .

ان تطوير اللغة العربية فى هذا المجال يمكن ان يتم بواسطة كتاب فى النحو طبقا لهذا المنهج وسنرى بعد ذلك نتائج هامة فى حقل القواعد منها :

أ — اعادة اعتبار القراءات الشاذة والاحاديث المتأولة .

ب — تخليص النحو من الخلافات .

ج — تيسير فهم النص العربى بتأكيد النظرة الى جميع قرائنه .

د — تخليص النحو من الافكار الغريبة الوافدة من الفلسفة وغيرها .

هـ — الوصول الى نظام مطرد للنحو قواعده محدودة العدد سهلة الفهم ونفى ما عدا هذه القواعد بواسطة مبدأ الترخص الذى سبقت الاشارة اليه .

ز — الغاء نظرية العامل والغاء الاعرابين التقديرى والمحلى اللذين يفهمان بقرائن معنوية او لفظية ليس من بينها العلامة الاعرابية التى هى مناط التقدير والمحل الاعرابى .

2 — بناء المعجم وتطويره :

من المسلم به ان المعجم لا يستغنى فى بياناته عن الاعتبارات الصرفية التى توضح بنية الكلمة ولا عن الاعتبارات الصوتية التى تبين ضبط نطقها ، ولقد رأى المعجميون قديما وحديثا ان هذا الاساس (الصوتى — الصرفى) جزء لا يتجزأ من معنى الكلمة المراد شرحها وحفلت المعاجم العربية بذكر ابواب الثلاثى وبناء حركة المضارع بقول المعجم « كضرب » او كسمع او كنصر الخ . كما حافظت هذه المعاجم على ضبط نطق الكلمات بايراد كلمات اخرى على وزنها فيقال ان هذه الكلمة ككتاب او كغلام او كسحاب او كجعفر الخ . ولكن المعاجم العربية كانت شديدة المبالغة فى الاعتداد بالاعتبارات الصرفية حين جعلت مداخلها حروف المادة الثلاثة اذ كان من نتائج ذلك ان يضطر الناظر فى المعجم الى معرفة الصلات الاشتقاقية بين مشتقات المادة الواحدة ، كما يتحتم عليه ان يعرف الالف الواوية والالف اليائية وان يعرف الاصلى والزائد وهلم جرا .

والمعروف ان المعنى المعجمى هو معنى الكلمة المفردة وليس معنى الكلمة فى السياق واذا كان معنى الكلمة فى السياق مما يؤمن فيه اللبس فان المعنى المعجمى لا بد ان يكون متعددا ومحتملا . خذ معنى ضرب مثلا وهى حالة افرادها وحاول ان تزعم لها معنى محددا فلن تستطيع ذلك دون ان تضعها فى سياق .

ويتضح ذلك مما يلى : ضرب زيد عمرا — ضرب الله مثلا — ضرب له موعدا — ضربت له قبة — ضرب النقود — ضرب فى الارض — ضرب رقما قياسيا وهلم جرا ، فالضرب فى المثال الاول ايجاع وفى الثانى ذكر وفى الثالث تعيين وفى الرابع اقامة وفى الخامس صياغة وفى السادس سعى وفى السابع تفوق . فكل من هذه المعانى صالح للكلمة ما دامت مفردة ، فاذا وضعت فى سياق تعين لها واحد من هذه المعانى دون سواه . ومن واجب المعجم ان يسوق بعدد هذه المعانى من النصوص ما يحددها تحديدا تاما ولكن المعاجم العربية اتكلت على الالف فى الكثير من الاحيان فقالت فى شرح الكلمة عبارات لا تغنى طالب المعنى فتيلا . وذلك ان تقول مثلا : موضع (دون ان تحدده جغرافيا او تاريخيا) او نبات معروف (وقد زعمت ان هذا النبات سيكون معروفا لقراء المعاجم حتى المناطق النباتية التى لا تعرفه) او ماء لبنى فلان (وقد يجهل طالب المعنى بنى فلان ولين كانوا يقيمون) وقد يشكك المعجم نفسه فى المعنى فيقول : كذا وقيل كذا . وقد يورد المعجم اسما لآلة كالمنجنيق او الدبابة او غير ذلك ثم يكتفى بعبارة قصيرة لشرح هذا اللفظ دون ان يصف المسمى وصفا يمثله فى ذهن القارئ . وقد ينسب المعجم موضوعا الى لون من الالوان يحتاج الى تحديد دقيق فيصف هذا اللون وصفا غامضا بقوله : (وهو اقرب الى الحمرة او الخضرة او الصفرة) مع ما يشمل عليه هذا القرب من ظلال الالوان التى يبعد بعضها عند الوصف الدقيق عن بعض . وقد يحدد الموقع معجميا بقوله : مسيرة ليلة من مكان كذا ولا يعلم القارئ ان كان السائر هنا راجلا او راكبا جملا او حمارا او حصانا وقد يتورط المعجم فى معلومات اسطورية كأن يقول فى لقمان مثلا انه ابن عاد وقد يتورط فى طابع مذهبى او دينى كالذى نلاحظه فى المنجد اذ يبسط القول فى شرح ما يتعلق بالمسيحية ويبتره فى شرح ما يتعلق بالاسلام .

ذلك هو بعض الصعوبات المعجمية التى يلاحظها الناس عند استعمالهم اللغة العربية وهى صعوبات تسلم فى مجموعها الى اللبس وهو اعدى اعداء اللغات.

قلنا ان المعنى المعجمى متعدد ومحتمل وعرفنا كذلك ان المعنى المعجمى هو معنى الكلمة المفردة فلا هو وظيفى تحليلى كالمعنى النحوى ولا هو سياقى يعتمد على المقام كالمعنى الدلالى ، وهذا الطابع الافرادى للمعنى المعجمى يذكرنا بفرع من فروع الدراسات البلاغية يتناول المفردات وذلك هو علم البيان . فعلم البيان يتناول معانى الكلمة المفردة من حيث المطابقة والتضمين واللزوم ومن حيث الاطلاق الحقيقى والاطلاق المجازى ومن حيث المجاز يتكلم فى المعنى من حيث المجاز المرسل والتشبيه والاستعارة والكناية وفى كل يحتفظ علم البيان ، بطابع العناية بمعنى الكلمة المفردة . فاذا نظرنا الى تعدد المعنى المعجمى واحتماله وجدنا هذا التعدد راجعا فى معظم صوره الى اسباب يمكن البحث عنها فى علم البيان ومن هنا يمكن القول بأن بعض عناصر التطوير للمعجم العربى ربما تمت بانشاء علم جديد يسمى علم المعجم يجعل البيان مقدمة نظرية له ويضيف الى ذلك شيئا عن مطالب المعجم وشروط احسانه وتاريخ المعاجم عالميا وعربيا وغير ذلك من الموضوعات مما يتعلق بهذا الفرع من فروع النشاط اللغوى . وانا شخصيا اعتقد ان نشأة هذا العلم ونحوه يمكن ان تكون مساهمة عربية اصيلة فى حقل الثقافة العالمية وقاعدة تصلح لتطوير فكرة المعاجم على اساس من نظرية مقبولة .

وقلنا ان من عيوب المعاجم العربية انها تجعل حروف المادة الثلاثة (او قل الاصل الاشتقاقى الصرفى) مدخلا لشرح المفردات . ولا يخفى ان كل اصل من هذه الاصول يضم تحته عددا من المفردات المراد شرحها يكثر او يقل . ومن هنا يجعل شرط الوصول الى الكلمة المفردة معرفة سابقة باشتقاق الكلمة وبأصولها وزوائدها وذلك امر يتردد فيه احيانا بعض المتخصصين. ومن ثم يصبح الكشف عن معنى الكلمة فى المعجم امرا على قدر من الصعوبة يذكرنا بما تتسم به القواعد العربية ايضا من صعوبة . ونقطة البداية فى التيسير المعجمى هى تحرير المفردات من ربقة الاعتبارات الاشتقاقية بالنسبة للمدخل . فعلينا ان ننظم معاجمنا على الترتيب الهجائى للكلمات لا على الترتيب الهجائى لاصول المادة . لقد باهى الاوربيون كثيرا بغنى لغاتهم بالالفاظ وعابوا على العربية فقرها فى هذه الناحية . قالوا انك اذا احصيت مداخل المعجم هنا

وهناك نستجد الغنى ملحوظا فى اللغـات الاوربيـة وستجد الفقر ملحوظا فى العربية وفاتهم انك حين تحصى تعد الكلمات المفردة فى لغاتهم وتعد اصول المـواد فى لغتنا وكان عليهم ان يدركوا ان كل اصل من هـذه الاصول يضم تحته العدد العظيم من المفردات . وفائدة تخصيص مدخل لكل كلمة مفردة انك تعطى تاكيدا لكل لفظ مفيد على حدة لان اللفظ المفرد قد لا يرد ذكره ابدا بين مشتقات المادة ويستغنى عن نصه بايراد وزنـه فيقال مثلا : وكسحاب كذا وهكذا تصبح بنية الكلمـة سهلة النسيان واذا غابت عنك البنية غاب عنك المعنى واصبح المعجم قليل الفائدة فى تعليم اللغة . اضف الى ذلك ان تخصيص كل كلمة بمدخل خاص يمكن واضع المعجم من ان يحصى معانيها اللغوية والاصطلاحية على صورة منظمة على نحو ما نراه فى المعاجم الاوربية ، كما يمكنه من ان يشير الى المهجور والمستعمل والى الغريب والمشهور والى المعاصر والقديم ومـا بطـل استعماله منه وما لم يبطل وكل ذلك يصعب تحقيقه مع الترتيب الحاضر للمعاجم العربية . ومن ضرورات التطوير فى معاجمنا الا نجعل الفصاحة مقياسا لصلاحية الكلمة للتسجيل فاللغة العربية الفصحى الحديثة لغة متطورة دائبة التطور مع التغيرات المعاصرة ، وعلى المعجـم العربـى ان يرتفـع الى مستـوى هـذا التطور فيسمح للكثير جدا مـن الالفـاظ الحضاريـة والاصطلاحية ان تلج ساحته من مداخلها الواسعة . والا كان المعجم سببا من اسباب الجمود فى هذه اللغة التى نسعى الى تطويرها .

3 ــ الاسلـوب وتطـويـره :

ان اهم ما تحرص عليه اللغة امن اللبس ويلى ذلك فى الاهمية ان يصل اصحاب اللغة باسلوبها الى درجة من الضبط تجعل اللغة مثـلا فى الوضـوح . وبذلك اشتهرت اللغات الحديثة الانجليزية والالمانية والفرنسية ثم يصلوا بهذا الاسلوب الى درجة من الجمال تجذب الناس الى ادبها وتراثها . ولقد كان للغـة العربيـة الشرف ان تكون لغة القرآن وهو المثل الاعلى للوضوح والجمال فى وقت معا . ولكن هذه اللغة نفسها منيت بعد ذلك بالصنعة والتكلف والاطناب الممل والمحسنات والعناية باللفظ على حساب المعنى . وتوارى الاسلوب الصحراوى الصادق المباشر المساوى لتحـل محلـه زخارف الترف العباسى وسفاسف الضعف التركى ، وورثت العربية من هذه الزخارف وتلك السفاسف تركة مثقلة تدعو الى الجهد المضاعف فى سبيل الاصلاح .

واذا نسبنا لغة العلم الى الوضوح وجعلنا لغـة الادب للجمال امكننا ان نقول ان كلتا اللغتين تدعو الى مزيد عناية . فأما لغة العلم فقد صحا العرب صحوتهم الاخيرة بعد ان ادلج الناس فى محجـة العلم وهيـأوا لغاتهم لمطالبه وكان اول ما فعلوا فى هذا المجال ان راجعوا اساليبهم العلمية فضبطوها ووصلوا فى ذلك الى ما يسميه الكتاب الانجليز Mathematical precision فاصبحت كلمات الجملة وصياغتها محسوبـة حسابا دقيقا لتؤدى المعنى المراد على صورة تبعد بالقارئ عن اللبس واحتمال الوجهين . وانعكس ذلك على طريقـة عرض المادة العلميـة فاصبحت العنـاصر الواجبـة التقديم هى العناصر التى تقف مما بعدها موقف التمهيد من النتيجة وبذلك تسهل الاشارة فى الفترة اللاحقة الى الفترة السابقة . ومن قبيل ذلك ايضا انهم لا يستعملون المجاز ولا العبارة الذاتية كالتعجب والمـدح والـذم واسماء الافعال والاصوات ونحوهـا ولا يستعملـون المصطلحات الا أن يكون معناها ذا شيوع عرفى والا قدموا ايضاح هذا المعنـى قبـل الدخـول فى البحث نفسـه بمـا يسمـى Glossary وبذلك تسهل قراءة العلم وتتصف اللغة بصفة الاداة العلمية . واذا لاحظنا ما يفعله الكتاب فى ايامنا هذه وجدناهم فى مجموعهم لا يقدمون للبحث بايضاح المصطلحات وانما يلجأون الى بيان معنى كل مصطلح عند ايراده فى النص ــ والبعض لا يفعـل ذلك .

وعيب هذه الطريقة ان القارئ اذا صادف المصطلح فيما بعد اثناء قراءة البحث نفسه كان عليه ان يفتش على معناه تفتيشا مضنيا حتى يجده ولو ذكر معناه فى اول البحث لكان ذلك عليه اسهل . ومنهم من يقف جهله بالعربية دون احكام العبارة ، فتؤدى عبارته احيانا الى اللبس التام واحيانا الى الركة فى الاسلوب ممـا يذهب باحترام بحثه ويقلل من قيمتـه والقـدرة على الانتفـاع بـه .

واما لغة الادب فان قلة العارفين بالقواعـد بـين ادبائنا جعلت ادبنا المعاصر ادبا ملحونا . وزاد الامر سوءا ان عزف ادباؤنا عن العبارة البليغة تحت دعوى العناية بالمضمون ، وما كان للمضمون الجيد ان يتطلب لغة رديئة حتـى ولو كـان للادب ميـول واقعيـة . ولقد مال النقد الادبى فى ايامنا هـذه الى ان يستعير

لغته ومعاييره من بيئات اجنبية فأصبح موقف النقـــاد من اصالة الادب موقف دعاة الحضارة الحديثة مـــن تعنف المرأة العربية كلاهما يرى فيمـــا ينقـــذه صورة للرجعية لا تتناسب مع مطـــالب العصر ولـــو انصفوا لاستنبطوا من الادب الاصيل ومن تعفف المراة العربية المسلمة عناصر للتطور ولـــم يفـــرضوا على اجيالنـــا مقاييسهم الفنية والخلقية المستوردة من بيئات غريبة على فكرنا ولغتنا وتقاليدنا . ولقد كان من حسن الطالع فى وطننا العربى ان النقاد لم يكن لهم من الاثر ما يعفى على اصالة الادب ، ولو استطاعوا لجعلوا من الادب العربى ادبا رمزيا يخاصم المعجم سرياليا يخـــاصم الوعى او لا معقولا يخاصم المنطق ، فلقد فتن الكثيرون من نقادنا بهذه الاتجاهات الادبية ودافعوا عنها ولكنهم جروا فى الحلبة ساقة ولم يجروا روادا وسلمت للادب اصالته بسبب ضعف هذه المؤثرات النقدية . ولكن الاثر الوحيد الذى تركته هذه المؤثرات هو حرية الشعـــر واستغلاق العبارة فى النقد ، واذا كانت حرية الشعر تجربة فان استغلاق العبارة مرض ينبغى لنا ان ننهض لعلاجه والقضاء عليه .

هذه مشكلة من اعقد المشاكل التى تواجـــه دعـــاة التطوير . فما كدنا ننفض عن انفسنا غبار العصر التركى حتى وجدنا تقاليد اسلوبية عقيمة راسخة الجـــذور منذ عصور التخلف بل منذ عصور الزخرف العباسى نعم لقد كانت التجربة اللغوية العباسية مصدر نعمـــة ومصدر بلاء فى وقت واحد . فلقد شهد هذا العصر نموا علميا اعطى اللغة طواعية هائلة فى مجال التعبير عن حقائق العلم ولكنه فى مقابل ذلك شهد نشأة البلاغـــة باعتبارها منهجا شكليا خالصا للنقد الادبى ، وكـــان للنقاد البلاغيين اثرهم فى ارساء تقاليد للتعبير الجميل المبنى على الزخرف اللفظى فكان لها صداها حتـــى فى بعض المتون العلمية ، والذى كان زخرفا جميلا فى عصر العباسيين اصبح حملا ثقيلا على العبارة فى العصور اللاحقة . ونما هذا الاتجاه ، بل استشرى هذا المرض حتى افرغت العبارة العربية من مضمونهـــا الصادق فعمدت الى المبالغة الكاذبة حتى اصبح الاسلوب العربى يحمل فى طياته اشارات خلقية ونفسية واجتماعيـــة تدعو الى الحسرة . وعم ذلك وطم حتى تسلمنا نحـــن التركة فلم نجد امامنا الا ان نبنى على ركام الماضى وبه. واستمع الآن الى النقد الموجه الى الاسلوب العربى من غير العرب وستسمع منهم كلمات الغموض والاطناب والمبالغة والصنعة الى غير ذلك من العبارات التـــى يضيق بها الصدر . فما العمل ؟ وكيف نستطيع الوصول الى اصلاح اساليبنا ؟ يقولون ان اسلوب المرء جـــزء لا يتجزأ من شخصيته . فهل نصلح امر الشخصيـــة العربية اولا قبل ان نتصدى لاصلاح الاسلوب ؟ وكـــم من الوقت يقتضينا ذلك ؟ ويقولون ان اللغة العلمية لا تحتمل الغموض والاطناب والمبالغة والصنعة . فكيف نصل بأسلوبنا العلمى الى مستوى يتخلص فيه مـــن كل ذلك فنرسى تقاليد للعبارة العلمية الدقيقة باللغـــة العربية ؟ الق نظرة على الرسائل العلميـــة التـــى يكتبها طلاب الدراسات العليا فى الجامعات وستدرك المسافة التى علينا ان نحبوها فى هذا الاتجاه . ويقولون ان الادب ليس مضمونا فقط وانما هـــو مضمـــون قيم وعبارة ناصعة صحيحة جميلة — وان على الادب ان اراد ان يصل الى المستوى العالمى ان يجرد المضمون والعبارة على السواء . وقلت منذ قليـــل ان جهـــل الكثيرين من ادبائنا بالقواعد العربية جعل الادب العربى ادبا ملحونا فى مجموعه — ولست اتجنى على ادبنـــا المعاصر . فكيف نقوم المعوج فى هذا الادب ؟

هذه هى المشكلات التى تصادفنا فى سبيل تطويـــر الاسلوب ولست احمل عصا سحرية استطيع بها ان احصل على الطريقة المثلى لهذا التطوير ولكن الامل الذى يحدونى فى هذا الاتجاه ان يكون هـــذا الموضوع مشكلة مطروحة فى عدد من المؤتمرات على مستـــوى الامة العربية كلها — وعسى الله ان يأتى بالفتح او امر من عنده . ولكن الى ان يصل هذا الفتح او ذلك الامر لا بد ان ادق اجراس الخطر فى آذان كتابنا من العلماء والادباء على السواء .

4 — المصطلـــح وتطـــويـــره :

ومن اوجه التصور فى استعمالنا للفصحى ما سبقت الاشارة اليه اشارة عند الكلام عن لغة العلم منذ قليل: وهو فوضى المصطلحات الفنية فى الوطن العربى . وتبدو هذه الفوضى فى مظاهر مختلفة احدها ان العائدين من طلاب البعثات فى جامعات الغرب يعودون الى بلادهم بمادة علمية جديدة ليست ذات اصـــول راسخـــة فى البيئة العربية وهم يستعملون فى الكلام فى حقائق هذه المادة مصطلحات اجنبية لا مقابل لها بالعربية فيلجـــأ كل واحد منهم على حدة الى ايجاد-مقابلات عربية لهذه المصطلحات بواسطة الارتجال او التعريب او الترجمة،

ويلجأ غيره الى غير ذلك ، فتتعدد المصطلحات الدالة على فكرة واحدة ، وقد يحدث ذلك فى معهد واحد يضم اثنين من هؤلاء العائدين او اكثر . والصورة الثانية لهذه الفوضى ان نشاط كل مجمع من المجامع اللغوية وكل جامعة من الجامعات العربية وكل هيئة من الهيئات العاملة على تنمية اللغة وتطويرها يتم بمعزل عن نشاط الهيئات الاخرى . ولا بد مع هذه الحال ان تتشعب النتائج وتحدث الفوضى . والصورة الثالثة لهذه الفوضى فى المصطلح ان النشاط المعيارى الذى تقوم به المجامع اللغوية حين تصوغ المصطلحات للافكار الوافدة يتم بمعزل عن تراثنا الثقافى الحافل بالمصطلحات الصالحة للاحياء والاستعمال .

ان كل امة من الامم تفتقر الى الاستمرار التاريخى ليحفظ عليها طابعها واصالتها وان هذا الاستمرار التاريخى لا يتحقق الا باحياء التراث ، واذا لم نحرص على احياء تراثنا العربى الآن فان اجيالنا القادمة ستفقد رابطتها التاريخية بأجيالنا السابقة ، وان الامة العربية اذا لم تحافظ على مقوماتها الفكرية وتمنحها الاستمرار اصبح مجرد الدعوى بوجود امة عربية موضع شك . ولكن كيف نستطيع ان نمنح هذه المقومات الفكرية عنصر الاستمرار ؟ الجواب على ذلك يسير : بالمحافظة عليها وتطويرها . ويتبع ذلك بالطبع انه ليس من المحافظة ولا من التطوير ان نترك مصطلحا استعمله السلف يستخفى استخفاء ثم يموت فى بطون الكتب ونعمد الى التفيهق بصياغة مصطلحات جديدة تحتاج الى سند من العرف العام وتفتقر الى حسن نية الكتاب للوصول الى مجال هذا العرف او نعمد الى الاستخذاء بتعريب مصطلح اجنبى ولدينا بديله العربى فى كتب التراث .

وعند الكلام فى تطوير لغة العلم فى اتجاه اللغة المساوية المضبوطة يستحق المصطلح العلمى نظرة خاصة . ان مكان المصطلح من الفكرة يشبه مكان اسم العلم من المسمى . واذا صح فى المسمى احيانا ان ينادى بكنيته او لقبه فلا يصح للفكرة العلمية ان يشار اليها بغير المصطلح العلمى . فهم ذلك القدماء كما فهمه المحدثون . وتعارف الناس قديما وحديثا على التفريق بين الدلالتين اللغوية (وهى عرفية عامة) والاصطلاحية (وهى عرفية خاصة) حتى انهم اذا تعدد الاطلاق الاصطلاحى لكلمة ما حاول الناس ان يفرقوا بين اطلاقاتها المختلفة فيقولون مثلا فى معانى كلمة الفاعل ان معناه فى اللغة الذى فعل وفى النحو الاسم المرفوع الذى تقدمه فعل مبنى للمعلوم الخ .. وفى الفلسفة ضد القابل (والقابلية والفاعلية من المقولات العشر) وفى علم الجريمة مقترفها وهلم جرا . ومن هنا اجد مشكلات التطوير للمصطلح لا تتناول هذا الجانب الاستعمالى الا فى اضيق الحدود كأن نهيب بكتابنا مثلا ان يحددوا مصطلحاتهم التى لم تكتسب الطابع العرفى قبل استعمالها لتكون دلالتها على المراد واضحة .

ولكن هناك جوانب اخرى يحسن لنا ان نفكر فيها عند ما نتناول تطوير المصطلح . من ذلك مثلا الا يشير الكاتب الواحد الى الفكرة الواحدة بأكثر من مصطلح واحد فيسميها هنا باسم وهناك باسم آخر لان ذلك لا بد ان يؤدى الى الغموض وتعطيل الفهم . والكثيرون من كتابنا يقعون فى هذا المحظور ولا سيما من يتصدى منهم للكتابة فيما لا يحسن واكثر هؤلاء فى مجال الصحافة والاعلام . ومن ذلك ايضا يتشعب المصطلح بين العلماء للدلالة على فكرة بعينها واقرب مثال اسوقه لهذا ما الاحظه من المشتغلين بالدراسات اللغوية فالفكرة التى تسمى لدى الغربيين Phoneme تسمى عند البعض الفونيم وعند الآخر بالحرف وعند الثالث بالوحدة الصوتية ، والذى يسميه الغربيون Morpheme يسميه بعضنا بالمورفيم والبعض بالمبنى الآخر بالوحدة الصرفية . وما يسميه الغربيون Consonant يتردد بين الصامت والصحيح ، وما يسمونه Vowel يتردد بين الصامت والمعتل . والامر يدعو دون شك الى الالتقاء عند مصطلح واحد للفكرة الواحدة اذا اردنا حقيقة ان تكون لدينا حركة علمية مزدهرة .

واولى من ذلك بالتوجس امر صياغة المصطلح العلمى توليدا او تعريبا او ترجمة . نحن نعرف اننا فى ايامنا هذه تلاميذ للغربيين نتلقى عنهم الحضارة والعلم والتكنولوجيا ونتخذهم قدوة لنا على محجة التقدم . والافكار تنشأ عندهم فيسمونها بأسماء مشتقة من اللاتينية واليونانية القديمتين وحين تصل الفكرة الينا تحمل معها اسمها التى اطلقه عليها اصحابها . ونحن نريد ان نعرف هذه الفكرة وان نعلمها لابنائنا من الطلاب العرب فبم نسميها ؟ انحتفظ باسمها الاصلى ام نحوره ليناسب طرق الصياغة العربية دون ان يفقد ما يدل على منبعه ام نستلهم لغتنا ان تمدنا بكلمة تحل محل الكلمة نصوغها توليدا ام نترجم هذه الكلمة ترجمة ام نبحث — وهذا اولى ما تقدم من الحلول بالاعتبار —

فى كتب التراث عن مصطلح يدل على فكرة ذات صلة بالفكرة الحاضرة بحيث تعتبر الحاضرة تطويرا لها وتقدما بها فنستخدم مصطلح التراث للفكرة الحديثة ؟

ان الذى اراه ذا جدوى ان الجهات المعنية بالاصطلاح فى الوطن العربى كالمجامع والجامعات والجمعيات اللغوية ينبغى لها عند التفكير فى صياغة مصطلح جديد ان تعود اولا الى تراثنا العربى العظيم تحاول ان تكشف فيه عن مصطلحات بطلب بالتقدم العلمى ولكنها صالحة بحكم تعبيرها عن حقيقة علمية ذات صلة بالحقيقة الجديدة التى يراد ايجاد مصطلح لها ان تعبر عن هذه الحقيقة فمندئذ يكون المصطلح العلمى القديم اولى بالاستعمال من المولد او المعرب او المترجم ، فاذا لم يكن فى التراث ما يصلح ذلك فان التوليد هو الخطوة المنطقية التالية على ان يكون المصطلح المولد مما يسهل ارتباطه بالتعبير عن هذه الفكرة ويلى ذلك تعريب المصطلح الاجنبى وذلك بتقريب بنيته من الطابع العربى من حيث الاصوات والصيغة وقابلية التركيب العربى له ، فلا ينبغى ان يكون متنافر الحروف ولا مما يجتمع فيه ساكنان الخ . واضعف الامور فى هذا النشاط ان نعمد الى المصطلح الاجنبى فنترجمه ترجمة لفظية وعيب هذه الطريقة ان الاطلاق الاصطلاحى غالبا ما ينبغى على تجاهل الاطلاق اللغوى العام . ومن هنا تبدو الترجمة غير مفهمة اضف الى ذلك ان طرق التركيب المزجى فى اللغات الاجنبية قد لا تناسب اللغة العربية فلا يمكن للعربى ان يقدم فى مقابل المركب المزجى مركبا آخر ومن هنا يضطر المترجم الى كلمتين او اكثر فى مقابل الكلمة الواحدة كالذى يحدث عند ارادة ترجمة Transcendental او Pseudo-philosophical او Anglo-Arabian الخ .

هـ — التعليم وتطويره :

على الرغم من ان الدراسات العربية كانت فى منشئها نابعة عن ارادة الضبط والتعليم ومواجهة موجة اللحن التى طمت فى البيئة العربية فى العصر الاموى جاء اول كتاب فى قواعد اللغة موسوعة غير صالحة لان تتخذ متنا لتعليم اللغة . ولقد سمعنا ان علماء اللغة انفسهم كانوا يستعظمون هذا الكتاب ويقول احدهم للآخر عند ذكر كتاب سيبويه : « هل ركبت البحر » من هنا احس المؤدبون والمعلمون حاجة ملحة الى الكتب المختصرة لتعليم اللغة حتى كاد اول مختصر يكون معاصرا لكتاب سيبويه نفسه وكان من عمل الكسائى . ويروى ابن النديم فى الفهرست عددا من العلماء الذين عنوا بوضع المختصرات للمتعلمين فيبدى مقدرا عناية السلف بهذه الناحية من نواحى النشاط اللغوى واستمرت عناية العرب بتعليم لغتهم على مر العصور حتى جاء الاحتلال التركى فانحسر المد واستعصمت اللغة العربية بقلاعها من الجوامع التى كان اشهرها الجامع الازهر فى مصر . فلما عنى العرب بتعليم اللغة فى العصر الحديث لم تعد الكتب القديمة ملائمة لنتائج التربية الحديثة ولم يكن للعرب من القدرة على تطبيق هذه النتائج ما يسمح لهم ان يرتفعوا بتعليم لغتهم الى مستوى تعليم اللغات الغربية . ومن هنا اتسع البون فى ميدان التعليم بين لغتنا ولغات الغرب ورسفت اللغة فى قيود ما ذكرنا من عيوب قواعدها واشتهرت بالصعوبة بين الناس وعزف ابناؤها عن تعلمها ووسموها بالتخلف حتى راينا المثقفين المحدثين يتندرون بأصحاب الثقافة العربية الاصيلة ويرون فيهم مثلا من امثلة الرجعية . العيب الاساسى اذا فى تعليم اللغة العربية هو تخلف هذا التعليم من جهتين اولاهما اختلاط منهج القواعد العربية بأفكار غير نحوية جاء بعضها من الفلسفة والمنطق وعلم الكلام وجاء بعضها الآخر من خطأ النظرة فى اصول النحو نفسه باصطناع العلل الغائبة والتأويل ، وثانيتهما تخلف طريقة التدريس ومنهجه عن النتائج الباهرة التى وصل اليها علم التربية وعلم اللغة التطبيقى Applied linguistics واصبح السائد عندنا اننا لا نفرق كثيرا فى المنهج بين تعليم الصغار وتعليم الكبار وتعليم الاجانب ، ولكل تعلم من هذه طرقه ومناهجه عند الدول المتقدمة . ولقد كان من نتيجة ذلك كله ضعف المستوى العام لمعرفة المتعلمين باللغة القومية حتى ان المرء ليلاحظ هذا الضعف فى البلاد العربية جميعها لا فرق بين واحد منها والآخر فأصبح الامر يدعو الى حملة قومية عربية تتضافر فيها الجهود لتأمين الخبرات والموارد ابتغاء الوصول الى وضع اللغة العربية وضعها الصحيح فى العالم المعاصر .

وهناك امر لا يقل خطورة عما سبق يتطلب عناية العرب وتضحياتهم وهو ما نلاحظه من عجمة التعليم الجامعى فى بعض تخصصاته فلا تزال جامعاتنا تتردى فى منزلق العزوف عن لغتها فى الطب والهندسة وبعض التخصصات الاخرى على الرغم مما لدى العرب من تاريخ ناصع فى هذه الدراسات . ولست ارى السبب فى ذلك راجعا كما يقول المتخصصون فى هذه المواد الى

خوف من الانقطاع عن مجرى البحث العلمى فى العالم وانما يعود هذا التخلف الى جهل المتخصصين فى هذه الفروع بلغتهم القومية وعدم قدرتهم على تأصيل هذه الدراسات بلغتهم العربية ولقد اطمأنوا لهذا السبب الى ان يجعلوا عالمنا العربى تلميذا للغرب .

بنيت التربية اللغوية فى التاريخ العربى على استظهار القواعد من المتون سواء فى ذلك المتون المنثورة او النظرية ، واتخذ المؤدبون فى مختلف العصور موقف الملقن والمصحح فقامت عملية التعليم فى احد جوانبها على التدريب والتصحيح . واللغة تكتسب كما تكتسب العادات والمهارات ولا يكون اكتسابها ولا اكتساب العادات والمهارات الا بمداومة التدريب المبنى على اسس فنية ومنهجية . ولقد حفلت وصايا المؤدبين منذ القديم — واشهرها صحيفة بشر بن المعتمر — على اذكى اللفتات والتوجيهات المترتبة على الخبرة . ولكن الذى لا شك فيه ان تطوير تعليم الصغار وهناك تعليم الكبار (او ما يسمونه محو الامية) ، ويأتى بعدهما تعليم اللغة للاجانب ، ولكل من هذه الانواع منهجه الذى ينبغى ان يكون فيه اختلاف عن منهج الآخر بحكم اختلاف السن او بحكم اختلاف العادات اللغوية بين الوطنى والاجنبى فهذه العادات اللغوية بحكم رسوخها وتأصلها فى النفس لا بد عند التخطيط لتعليم الاجانب من اخذها فى الاعتبار . وبالنظرة العجلى الى تعليم اللغة العربية فى وقتنا هذا يمكن للمرء ان يرى ان كل دولة عربية تضع مناهجها وبرامجها الخاصة وان عنصر التنسيق لا وجود له تقريبا بين هذه المناهج والبرامج. وقد يقال ان البرامج المختلفة اجتهادات مختلفة للوصول الى كفاءة مرجوة للمتعلم ، ولكن الواقع يكذبهذا الزعم لان حذف اللغة واكتساب القدرة فيها اصبح املا لكل من يلاحظ الضعف العام لمستوى طلاب اللغة وخريجى الجامعات فى الوطن العربى كله وهو امر ينعكس على الحياة العامة التى تتخذ من هؤلاء الخريجين الضعفاء علماء اليوم وكتابه وادباءه اللحانين ذوى الاسلوب الفضفاض .

والذى اقترحه لتعليم اللغة العربية للصغار ان يقوم هذا التعليم لا على اساس المناهج التقليدية السائدة فى الوقت الحاضر وانما ينبغى اولا ان تجرى البحوث الجادة للوصول الى الحصيلة اللغوية لهؤلاء الصغار بتحديد المفردات العربية الفصيحة التى يشيع استعمالها فى كلامهم والمفردات العلمية التى تعتبر قريبة الشبه من مفردات عربية فصيحة ، ثم نجعل من هذه المفردات جميعها نقطة بداية لتعليم الطفل فلا يصطدم الطفل منذ اللحظة الاولى بالغريب من المفردات فيخطر فى باله ان الفصحى لغة غريبة عنه وان تعليمها حمل عليه وهو ما زال غض العود هش البنية . ثم علينا ايضا ان ننظر الى كسب اللغة لدى الطفل نظرتنا الى كسب العادات والمهارات فنعنى بالجانب العملى التدريبى اكثر مما نعنى بالقواعد المعقدة التى قد يحتاج فهمها الى مستوى اعلى من مستوى الطفولة . وليكن هذا التدريب موجها الى اللسان والقلم وليكن مرماه الصحة والطلاقة وبحسبنا ان نسعى الى هاتين الغايتين فى تلك المرحلة المبكرة تاركين الدقة والجمال لمرحلة الفتوة والشباب بعد ذلك .

واجدر شىء بالاعتبار فى تعليم الكبار الاميين ان يرتبط هذا التعليم منذ البداية بالصالح العملى للمتعلم وان تكون امثلة التعليم مأخوذة من التراكيب التى يستعملها المتعلم فى حياته اليومية والا يصر المعلم على الفصيح وانما يصر على المشهور وان كان هذا المشهور موغلا فى العامية . فاذا كان المتعلمون هنا من بيئة متدينة فلا بأس من اختيار قصار الآيات والاحاديث المستعملة كثيرا فى هذه البيئة اذ تجرى الآياتالقصيرة او العبارات المأخوذة من الآيات او قصار الاحاديث على السنة العوام يتمثلون او يستشهدون بها احيانا فهذه جزء من لغتهم القومية يسرهم ان يتعلموا كتابتها كما سرهم ان يحفظوها عن ظهر قلب .

والخطب فى تعليم الاجانب افدح لان العادة اللغوية ككل عادة اخرى يصعب اكتسابها جنبا الى جنب مع عادة اخرى متأصلة . وقديما التفت الشاعر الى هذا المعنى بقوله : « فصادف قلبا خاليا فتمكنا » وقلب الاجنبى مشغول بلغته الاصلية وكل انسان فى العالم يرى لغته هى الوحيدة بين اللغات مطابقة للمنطق وانسجاما مع طبيعة التعبير وآية ذلك ان كل عربى فى هذا المؤتمر يرى لهجته العامية الخاصة خيرا من العاميات الاخرى فى الوطن العربى ، بل قد يسخر بينه وبين نفسه من بعض هذه العاميات ومن هنا يحسن ان تكون نقطة البداية فى تعليم اللغة للاجانب ان يعمد المعلم الى المقارنة بين تراكيب العربية وتراكيب لغة هذا الاجنبى ومن هنا يصبح تعليم العربية للاجانب عملا تخصصيا لا يقوم بالتعليم فيه الا من يحسن لغة المتعلم فاذا لم تكن لغة الاجنبى مشهورة او لم يوجد من يعرفها

فليقع الاختيار للمقارنة على لغة عالميـــة مشهـــورة يحسنها المعلم والمتعلم جميعا .

6 ــ جهــود التطويــر وتنسيقهــا :

لا شك ان الرغبة فى تطوير اللغة العربية رغبــة حقيقية لدى العرب ، ولكن هذه الرغبة كالكثير غيرها من الآمال القومية يقوم دون تحقيقها توزيع الجهود العربية بسبب المبالغة فى الولاء الاقليمى . ففى الوطن العربى دول مستقلة ذات سيادة ولا جدال فى ان من حق كل دولة ان تحرص على هذه السيادة وان يكون لها حدود وعلم ونشيد وطنــى وحكومــة تسهر على مصالحها ولكن ارتباط المصير العربى يؤكــد وجــود مجالات قومية لا تهم دولة عربية بمفردها وانمـــا تهم العرب جميعا ويتوقف عليها وجودهم ـ والحفاظ على اللغة العربية فى مقدمة هذه المجالات القومية لان اللغة العربية هى المبرر الوحيد للقول ان هناك امة عربية مستمرة فى التاريخ وقائمة فى الحاضر . والعجيب ان مناط الوحدة فى هذه الامة يتعرض اليوم برغبة التطوير الى ان يصبح سبب الفرقة والتمزق . فلقد دعت الغيرة على هيبة الدولة فى طائفة من البلاد العربية ان تستقل كل دولة بانشاء مجمع يسمى اللغوى تارة والعلمــى تارة اخرى ويسعى الى تطوير اللغة على طريقته التى يختطها فى حقل لغة الحضارة او لغة العلم وكأن لكل دولة عربية لغتها العربية الخاصة . ولا بد فى هذه الحال ان يصل كل مجمع الى طائفة من الالفاظ مختلفة عمـــا وصل اليه المجمع الآخر ويكون اتجاه تطوير اللغة الى التفريق والتمزيق لا الى الضم والتوحيد .

ومثل ذلك يقال عن الجامعات فى الوطن العربى . ولقد سبق ان ذكرنا كيف يخترع الاساتذة مصطلحاتهم الخاصة فى المواد الحديثة حتى يحدث انفصام فكــرى فى الكلية الواحدة حين يكون استاذان مكلفين بالتدريس لفرقة واحدة ولمادة واحدة فيتوزعان طلبة هذه الفرقة ويستعمل كل منهما مصطلحه الذى ارتضاه فيتحدث طلبة احدهما لغة غير التى يتحدث بها طلبة الآخر . فاذا حدث هذا فى كلية واحدة فكيف تكون الحال على رقعة الوطن العربى كله ؟ اننا اذا سمحنا للامور ان تجرى هذا المجرى قدمنا الحجة الدامغة التى يواجهنا بهـــا دعاة العجمة فى التعليم الجامعى . سيقول هؤلاء ان المصطلح فى اللغات الاجنبية التى نستعملها فى الجامعات واحد وهو بهذا صالح لانشاء وحدة فكرية فى العلم هى اولى بالاعتبار عندنا من استعمال اللغة العربية . فهل تريدون للعلم فى الجامعات تعريبا فوضويا يقضى على هذه الوحدة الفكرية فى العلم ؟ لقد كــان السلف مــن علمائنا حريصين على توحيد لغتهم العلمية واستطاعوا بهذا ان يحافظوا على وحدة الفكر حتى كان من اليسير ان يتعلم احدهم فى اقليم عربى ويتولى التدريس فى اقليم آخر ويلى القضاء فى اقليم ثالث ، يفعل ذلك لا عــن طريق الاعارة او الندب او التعاقد وانما يفعله فى حدود وطنه الكبير شرق برحلته او غرب . وكان من اليسير على الطالب فى الاندلس ان يفهم لغة البيرونى التــى كتبها فى الهند ولغة ابن سينا التى كتبها فيمـــا وراء النهر . فكيف يستقيم لنا مع هذا التاريخ ان نضرب مثل الطالبين فى الكلية الواحدة وقد ذكرنا ذلك منذ قليل .

ومثل ذلك يقال عن الجمعيات اللغوية المبعثــرة فى بلادنا العربية ؛ ان لنا جمعية لغوية فى مصر شرفتنى بأن اكون اول رئيس لها واعلم ان بالجزائر جمعيــة اخرى وهناك جمعيات فى اماكن اخرى فى بلاد العرب. ومع ذلك لم تلتق واحدة من هذه الجمعيات بالاخــرى فتوحد معها لغتها . ان هناك اختلافا بيننا وبين زملائنا الجزائريين فى العنوان العام للعلوم التى نشتغل بهـــا وهى ما يسمونه فى الغرب Linguistics فنحن نسميهـــا علم اللغة ويسميها اخوتنا الجزائريون اللسانيات . فاذا لم نتفق على العنوان فكيف بالتفاصيل .

7 ــ تنسيــق جهــود التطــويــر :

لقد اشرنا من قبل الى حق كل دولة عربية فى ان تستقل سياسيا وان يكون لها علــم ونشيــد ورقعــة جغرافية واذاعة الخ . (ولست ادافع هنا عن ايـــة صورة من صور الوحدة السياسية بين الدول العربية، ولكن الوحدة العربية وحد الثقافة واللغة) . ووحـــدة اللغة قائمة فعلا بين العرب حتى يرث الله الارض ومن عليها ووحدة الثقافة امل ارى العرب يحرصون عليه جميعا وهذا المؤتمر واحدة من الادلة على صدق هذه الدعوى ولا تستطيع الامة العربية ان تفرط او تفكــر فى التفريط فى هذه الوحدة الثقافية الا ان تكون ساعية الى حتفها وفنائها كأمة لان البديل عن الوحدة الثقافية الحاضرة ان تتعدد الثقافات بتعدد الدول العربيـــة . وهذه النهاية المشئومة يمكن التردى اليها عن غير عمد اذا سمحنا لجهود التطوير ان تتشعب لان التطويــر تغيير والتغيير اذا لم تتحد فلسفته كان تشعبا وتمزقا.

ومعنى ذلك ان كل تطوير فى حقل اللغة العربية لا بد للعرب من ان يجتمعوا له على فلسفة واحدة لان ذلك شرط من شروط ترابط هذه الامة ترابطا ثقافيا ، بل انه شرط من شروط وجود هذه الامة وجودا ماديا .

ولكننا نلاحظ ان كل دولة تخطط لنفسها فى حقل اللغة والثقافة وهذا هو النذير للعرب بين يدى عذاب شديد . فما طريق الخلاص ؟ طريق الخلاص فى رايى ان توضع جميع الجهود المتجهة الى تطوير اللغة فى يد الجامعة العربية لان هذه الجامعة تستطيع ان تؤدى اجل الخدمات للامة العربية فى هذا المجال ويسجل لها التاريخ ان الجامعة العربية وجدت رسالتها الحقيقية فى حقل الثقافة فوحدت العرب عن هذا الطريق .

فليكن هناك اتحاد للمجامع العربية يلتقى فى مؤتمر سنوى لتنسيق جهود المجامع والعمل على توقى التشعب فى هذه الجهود وليكن اتحاد الجامعات العربية مؤسسة ثقافية لا ادارية لان انشاء اتحاد لادارات الجامعات لا يقدم للعرب شيئا عظيم الخطر ولان سياسات الجامعات كسياسات الدول العربية نفسها يصعب ان تلتقى . وليكن هناك اتحاد للجمعيات اللغوية فى البلاد العربية يعمل على ربط هذه الجمعيات وتنسيق جهودها . ويمكن لهذه الجمعيات تحت راية الاتحاد ان تؤدى اجل الخدمات فى تأصيل الدراسات اللغوية الحديثة فى الوطن العربى بمصطلحات موحدة . وتشرف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم على كل هذه الاتحادات وتعقد لها المؤتمرات وتهيىء لها فرص الاتصال بالهيئات الدولية المختلفة . هذا هو الحل الوحيد الممكن فى ظل الفوضى الثقافية الضاربة الاطناب فى البلاد العربية . وعلينا ان نضع الخطط اللازمة لوضع هذا الحل موضع التنفيذ . وكل نواحى التصور التى ذكرتها فى هذه المقالة منسوبة الى جهود تطوير اللغة يمكن ان تعالج تحت راية الجامعة العربية وفى نطاق هذا التنسيق المقترح ، يصدق ذلك على القواعد كما يصدق على المعجم والاسلوب والمصطلح والتعليم والكتابة ووسائل النشر .

8 — نظام الكتابة وتطويرها :

من القواعد المقررة فى علم اللغة الحديث ان افضل النظم الكتابية ما توافرت له الشروط الآتية :

ا — ان يمثل النظام الكتابى النظام الصوتى للغة بمعنى ان الوحدات الصوتية (الحروف Phonemes هى التى يرمز لها فى النظام الكتابى ولا يرمز للاصوات Sounds التى تندرج تحت كل حرف لان الرمز الى الاصوات الجزئية انما يكون فى الكتابة الصوتية التحليلية لا فى النظام الكتابى لاستعمال اللغة .

ب — ان تقوم العلاقات بين الرموز والوحدات الصوتية بواقع رمز واحد لكل وحدة صوتية فلا يستعمل رمز مركب Diagraph للوحدة الصوتية الواحدة ولا يستعمل رمز كتابى مفرد لصوت مركب Diaphone ولا يستعمل رمز معين للدلالة على وحدة صوتية مرة ووحدة ثانية مرة اخرى .

جـ — ان تكون الرموز الكتابية بسيطة الصورة قدر الامكان بحيث لا يصعب كتابتها ويتصل بذلك ضرورة الاقلال من العلامات الاضافية فى الرمز Diacritical marks بل يحسن اسقاط هذه العلامات تماما .

د — ان تتساوى الوحدات الصوتية فى ضرورة تمثيلها برموز كتابية فلا يعنى النظام الكتابى ببعضها اكثر مما يعنى بالبعض الآخر .

وسنرى فيما يلى مدى تحقق هذه الشروط فى الكتابة العربية :

ا — الشرط الاول :

لا شك ان الكتابة العربية مستوفاة من وجهة نظر هذا الشرط فان رموز هذه الكتابة تعنى بالحروف وتقف عن الاصوات المفردة ودليل ذلك ان تعداد اصوات النون فى اللغة العربية لم يغر النظام الكتابى بتعديد رموز النون فنحن نعلم ان من اصوات النون ما ينطق بالشفة السفلى مع الاسنان العليا فى « ينفع » ومنها ما يخرج فيه اللسان كما فى « ينظر » ومنها ما ينطق فى مغارز الاسنان كما فى ينطق ومنها ما ينطق فى اللثة كما فى انا او فى نطع الغار كما فى ينشأ او فى مؤخر سقف الفم (الطبق) كما فى « ينكر » او فى اللهاة كما فى « ينقل » . ومع ذلك عنى النظام الكتابى بالحرف وعمومه دون الاصوات فى خصوصها ويقال مثل ذلك عن الصحاح الثمانية والعشرين والحركات الثلاث والمدود الثلاثة . وقصارى ما نلاحظه هنا ان السكون وهو سلب الحركة كان يكفى فى تمثيله الا تكتب الحركة ولكن عدم اطراد كتابة الحركات فى الاستعمال على ظاهرة الوقف بكتابة السكون وهذا عذر نحوى عن مخالفة تتعلق بالصلة بين النظام الحرفى Phonological

والكتـــابـى Alphabetical ان اللغات الغربية الحديثة لتحسد اللغة العربية على هذه الدقة فى الكتابــة ولا يخفى علماء اللغة فى الغرب اعجابهم بالكتابة العربية حين يوازنون بينها وبين الكتابة الانجليزية او الفرنسية فى مجال هذا الشرط الاول .

ب ـ الشرط الثــانــى :

ليس فى الرموز الكتابية رمز مركب للدلالة على حرف مفرد كالذى نراه فى الانجليزية مثل ch او gh او gh او ough او فى الفرنسية مثل eau او غير ذلك وليس فى اللغة العربية رمز واحد يدل على حرفين الا ما تشير اليه علامة التشديد من تطويل الاعتماد فى نطق الحرف فهى بهذه المثابة اشبه بأن تكون علامة مد ، ولكنه مد من نوع خاص لا يقود الى اعتبارهــا رمــزا لحرفين مختلفين . ولكن رموز الالف والواو والياء تستعمـل لاداء وظائف مختلفة فى الكتابة العربية :

فتكون الالف ركيزة لهمزة القطع وتكــون للوصــل وتكون زائدة بعد واو الجماعة وتكون للمد العادى .

اما الواو فتكون ركيزة للهمزة وتكون للمد وللزيادة كما فى عمرو وتكون صحيحة كما فى وجد .

واما الياء فتكون صحيحة كما فى يضرب ومدا كما فى كريم ورمزا للالف اليائية كما فى رمى وركيزة للهمــزة كبئر ، اضف الى ذلك ان ما لاحظناه من زيــادة الالف والواو يقابله الحذف ايضا فتحذف الالف من لفظــة الجلالة وبعض الاسماء الحسنى كالرحمن والاعجمية كاسمعيل وابرهيم والعربية كالحرث وتحذف الواو من اسماء معينة مثل داود . وامــا ما يسمونــه الــلام الشمسية فان اللام تكون فيه رمزا لحــروف غيرهــا فتكتب وينطق غيرها ولكن الاعتبارات الصرفية هنــا تحتم هذا الاستعمال لان هذا موضع اللام فى نظام اللغة.

جـ ـ الشرط الثــالث :

يظهر عيب الكتابة العربية بالنسبة لهذه الناحيــة واضحا جليا وذلك للشبــه القــائم فى الصـــورة بين البــاء والتــاء والثــاء والنـــون واليـــاء فى الاول والوسط كما تتشابه صور الجيــم والحــاء والخــاء وكذلك الدال والذال ثم الــراء والــزاى ثم السين والشين ثم الصد والضــاد ثم الطــاء والظــاء ثــم الفــاء والقـــاف فى الاول والوسط . ولقد كان الشبه بين هذه المجموعات سببا فى الكثير من التصحيف فى الماضى حتى تصدى لحل هذه المشكلة ابو الاسود ثـم الخليل . ولقد كان الحل الذى تقدم به هذان العالمان الفاضلان عيبا جديدا من العيوب الكتابية وهو الاستعانة بالعلامات الاضافية للتفريق بين الصور بواسطة النقط والخطوط تضاف الى صور الحروف ولا تكتب معهــا على السطر نفسه . اما النقط فقد تحولت من علامات للحركات الى علامات اضافية للتفريق بين الحروف فى الصورة وبذلك بقيت فى الكتابة واصبح لا غنى عنهــا باعتبارها قرائن على المعنى . واما الخطوط المستعملة للدلالة على الحركات فقد اثقلت الكاتبين قديما وحديثا فاطرحوها ولم يكلفوا انفسهم عناء تسجيلهــا الا حين يكون امامهم نص واجب الضبط كنص القرآن الكريم وكتب مطالعة الاطفال ، واتكلوا فيما عــدا ذلك على قرائن السياق نفسه فى تحديد المبنى والمعنى وكــان السياق فى الاغلب الاعم من الحالات وافر العطــاء فى مجال القرائن المعينة على الوصول الى امن اللبس. ولكن انعدام الرمز للحركات ادى الى كثير من الاخطاء الصرفية والنحوية التــى شاعت بين النــاس وغطت على الصور الصحيحة لنطق الكلمــة ، نلمــح ذلك فى كلمات مثل منطقة ـ ثيمه ـ اكفاء ـ دلالة ـ حرفى ـ حصرى ـ المبرد ـ عامر الشعبى ـ ابراهيم النخعى ـ كوكب ـ المشترى ـ الرقة ـ دمشق ـ الخ ، وقديما شاع مثل هذه الاخطاء فصار مقبولا لانه مسموع ومن ذلك البصرى ـ والتغلبى الخ ، اما الاخطاء النحوية فالمشهور منها عدم مراعاة الحركات فى اواخر الكلمات اما بابدالها بحركات اخرى وامــا بالاعتصام باسكان اواخــر الكلمــات .

د ـ الشرط الرابــع :

اشرنا عند الكلام عن الشرط الثالث الى ان الحركات كانت تمثل فى الكتابة بعلامــات اضافيــة تضاف الى الحروف ولا تكتب فى السياق على السطر كما تكتب الحروف الصحيحة . ولست أدرى كيف ساغ للخليـل رحمه الله ان يعنى فى مجالى المعجم والصرف بالحروف الصحيحة ثم يعكس نظره فى العروض فيعنى فى قياس البحور بالحركات والمدود اكثر مما يعنــى بالحــروف الصحيحة لقد بنى الخليل نظره فى المعجم على الثلاثة الاصول ورأى ان الاشتقاق ينبنى عليها وان وسيلــة بنائه الصيغ هى الحركات والمدود فالحرف الصحيح

فى نظره لبنة والحركات والمدود ملاط تلتحم به اللبنة مع اختها وسادت هذه النظرة نفسها فى التصريف ايضا ثم فى النظام الكتابى للغة العربية وهو نظام حافل بالاعتبارات الصرفة . وفى كل ذلك جعلت الحركة ملك يمين للحرف الصحيح ومن هنا صح للناس ان يملوها ويطرحوها فى الكتابة ويعتمدوا بدونها على قرائن السياق كما ذكرنا ، اما فى العروض فان الاعتبارات الايقاعية والموسيقية للشعر حكمت ان تكون الحركات والمدود هى المنوال الذى ينسج به الشعر واصبحت قيمة الحرف الصحيح قيمة الفترة التى يتم فيها انقطاع الحركة الايقاعية وذلك يشبه الفترات الواقعة بين المقاطع الموسيقية . وبذلك اصبحت الحركة فى الشعر وجودا واصبح الحرف الصحيح عدما ، وذلك عكس ما راى الخليل فى الانظمة الثلاثة الاخرى : المعجم والصرف والكتابة . وكان رحمه الله طليعة الطلائع فى علاج النظم الاربعة .

9 ــ تطوير الكتابة :

ان تطوير الكتابة فى الامم يحمل فى طيه من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية مالا قبل به لاية امة . والذى يبدو من الناحية النظرية ان الكتابة العربية بحاجة الى اصلاح نواحى عيوبها التى استعرضناها من قبل ولكن اصلاح اى جانب واحد من هذه الجوانب يسبب من الصعوبات ما يسببه اصلاح الكتابة كلها . فمن الناحية الاقتصادية يجبرنا اصلاح الكتابة على اعادة طبع التراث طبقا للنظام الكتابى الجديد . وفى ذلك من التكاليف الاقتصادية ما فيه ومن الناحيتين الاجتماعية والنفسية سيكون الجيل الحاضر من العرب على الاقل جيلا موزعا بين نظامين من انظمة الكتابة نشأ على احدهما والفه واخترع الثانى ولم يألفه . وفى ذلك من المصاعب النفسية والاجتماعية بالنسبة للجيل الحاضر ما يضيف الى تصوره تصورا والى تخلفه تخلفا والى متاعبه النفسية متاعب نفسية اخرى ، لان ترك المألوف من عادات الحياة اصعب ما يكون على النفس . وحسب الجيل الحاضر من المتاعب ان توزعته السياسات والمذاهب الاجتماعية .

واما ما يتعلق بتطوير الكتابة من المصاعب القومية فقد ذكرنا ان الامم كما تربط الثقافة الواحدة بين ابناء الجيل الحاضر من اجيالها يتوقف استمرارها القومى فى التاريخ على مدى ارتباط هذا الجيل الحاضر بالاجيال السالفة . وفى تعديل نظام الكتابة الحاضر ما يقطع بيننا وبين السلف ويمس الشخصية التاريخية للامة العربية فى الصميم . وفى العالم شعوب ارتضت ان تكتب لغاتها برموز لغتنا وارتبطت فى تاريخها الثقافى بتاريخنا وكان هذا الارتباط كسبا للعرب وشارة من شارات الدلالة على ماضيهم العريق ولو غيرنا من نظامنا الكتابى الحاضر فلربما اشرنا بذلك الى هذه الامم ان تتحلل من نظم كتابتها المعتمدة على الرموز العربية . وفى العالم امم تحللت من الرموز العربية فكان ذلك خسارة ثقافية للعرب . وفى العالم الاسلامى امم لم تكتب لغاتها بعد ، وتعمل الكنيسة الغربية والدول الاجنبية الغربية على ان تغريها باصطناع الرموز اللاتينية فى كتابة لغاتها ، وتعتبر ذلك فى اساسه حربا على النفوذ الثقافى العربى .. وقد نجحت هذه المحاولة فى اندونيسيا اولا ثم فى الصومال ثانيا وخسرنا نحن المعركة فى الحالتين ولكن بصيصا باقيا من الامل فى المستقبل لا يزال يخفق فى مهب رياح اليأس فى النفس العربية ولو اجرينا اى تعديل او تطوير جذرى فى نظام الكتابة العربية لانطفأ هذا البصيص الى الابد .

انا اذا اعترف ان للكتابة العربية نواحى قصور واعترف ايضا ان هذه النواحى بحاجة الى تطوير . ولكن الصعوبات تقوم امام هذا التطوير فتردنا الى نظام الكتابة العربية الحاضر وتجعلنا بالحرص على التاريخ والاقتصاد والقومية والتأثير الثقافى حريصين على هذا النظام نفسه مهما كان بحاجة الى الاصلاح . ولكن التطوير يمكن ان يحسن جانب الطباعة فى هذا النظام فكثرة اشكال الحروف الواحد واختلاف احد اشكاله الذى فى البداية عن شكله الذى فى الوسط والشكل الذى فى الآخر واختلاف المفرد عن المركب ومشاكل الحروف المتصلة والمنفصلة وطباعة رموز الحركات الاعرابية وعند ذلك جعلت المطبعة العربية مثقلة بالتعقيدات وجعلت عدد خانات الحروف فى المطبعة كثيرة الى درجة غير معقولة . كما ان الآلات الناسخة العربية Typewriters لا تفى فى الكثير من الاحيان بمطالب ضبط النص وتضيف الى عمل الناسخ مالا يضطر اليه من ينسخ على آلة حروفها الاتينية . فهناك مشكلات الحروف الميتة والحروف المطولة والحروف العالية والسائلة واختلاف اشكال الحرف الواحد على نحو ما اختلفت فى المطبعة العادية . ولا شك ان اصلاح النسخ

والطباعة ممكن ومطلوب لذاته ولا سيما لان اعداء الثقافة العربية فى الامم المتحدة ودوائر المؤسسات فى الغرب توجه هذا النقد الى نظام الطباعة العربية . وكان هذا النقد بالذات هو بعض ما سمعه الصوماليون واستجابوا له فابتعدوا عازفين عن استعمال الكتابة العربية للغتهم بعد ان قامت لجان متخصصة من العرب باختراع نظام كتابى للصومالية مشتق من الرموز العربية وكان معظم الدول العربية بمعزل عن هذه المشكلة التى لم تكن تعنى هذه الدول من قرب او من بعد.

10 — تخلف وسائل النشر وتطويرها :

حين ينظر المرء الى المعاهد والمراكز الثقافية الاوربية والامريكية فى الوطن العربى والى ما تقوم به من نشاط فى سبيل نشر لغاتها وجذب الناس الى قراءتها تأخذه الحيرة والحسرة للاوضاع التى تسود سياسة العرب نحو لغتهم . ومن المسلم به ان كل اجنبى يتعلم العربية لا بد ان يكون اكثر قابلية للتعاطف مع العرب من الاجنبى الآخر الذى لم يتعلم العربية . ومن هنا يصبح من الامور التى ينبغى للعرب ان يسعوا الى تحقيقها وان يبذلوا فى سبيلها الغالى والنفيس ان ينشروا لغتهم ليزداد عدد اصدقائهم فى العالم . فما جهود العرب فى هذا المجال ؟

للعرب فيما اعلم معهد عربى واحد فى اسبانيا وبعثة تعليمية فى الصومال ومراكز اسلامية فى لندن وواشنطون فأما المعهد العربى فى اسبانيا والبعثة التعليمية فى الصومال فهما مصريان واما المراكز الاسلامية فهى مشتركة بين طائفة من البلاد الاسلامية عربية وغير عربية . وللعرب سفارات متعددة فى الخارج بتعدد الدول العربية وقد يشتمل بعض هذه السفارات على تمثيل ثقافى وهو قليل ويغلب ان يوجد هذا التمثيل الثقافى فى البلاد التى يدرس فيها الطلاب العرب . وقد يوجد فى بعض السفارات مكاتب اعلامية او صحفية ولكن الاغلب الاعم من السفارات العربية فى الخارج يخلو حتى من هذا المظهر المتواضع من الوجود الثقافى للعرب خارج بلادهم . هذه الصورة القاتمة للنشاط العربى فى سبيل نشر لغة العرب وثقافتهم تبدى الى اى حد تخلف العرب عن ركب الحضارة فى وقت صحت فيه امم وشعوب لم تعرف الحضارة من قبل . واذا صح ان نوصف الحضارة الحديثة بأنها عالمية بعد ان شاركت فيها شعوب غير اوربية وامريكية فانه لا مناص للعرب اذا ارادوا لانفسهم البقاء من ان يشاركوا فى هذه الحضارة فيأخذوا منها ويضيفوا اليها . ولن تكون مشاركة العرب فى الحضارة بشراء احدث ما تنتجه الصناعة العالمية من السيارات الفارهة ولا الاسلحة التقليدية ولا ببناء القصور ولا ارسال الشعور ولا لبس الملابس الضيقة ولا بالكشف عن مفاتن النساء او التألق الابله فى السلوك واصطناع الغريب من العادات . انما تصل الامم الى المستوى الحضارى المطلوب بالمشاركة فى العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة واعطائهما طابعا قوميا خاصا تضم فيه رائحة التراث العربى المجيد . اكرر مرة اخرى انه لا بد من المشاركة فى العلم الحديث والتكنولوجيا الحديثة وتأصيل مصطلحاتهما فى لغة العرب وامدادهما بتيارات فتية من الفكر العربى المعاصر . لم يفعل العرب ذلك حتى الآن . وليست لهم وكالات ثقافية فى العالم الخارجى تعينهم على الوصول الى هذه الغاية .

وليس للعرب تبادل ثقافى يعتمد به سواء فى حقل الاساتذة او حقل الطلاب او حقل المطبوعات او الافلام او الصحف او الاغانى او الفنون بصفة عامة . فأما فى حقل الاساتذة فاننا نستقبل الكثيرين من الاساتذة الاجانب فى جامعاتنا ونفسح لهم مجال المحاضرة فيها حتى اذا جاء الدور علينا اجفل اساتذتنا من رد الزيارة لاسباب كثيرة بعضها فنى وبعضها مادى لا داعى فى الخوض فيها الآن . والذى يحدث ان الاساتذة العرب ربما ذهب احدهم الى بلد غربى فاستهواه الجو العلمى النشيط فى هذا البلد او استهوته الحياة فى مجتمع متقدم فقرر ان يبقى فى ذلك البلد فردا آبقا لا يستطيع بمفرده ان يدعو لاى شئ عربى . فما استفاد بلده العربى من جهوده حاضرا وما استفاد منه نازحا . اما فى مجال الطلاب فاننى الاحظ مع الاسف قلة الطلاب الاجانب فى الجامعات العربية كما الاحظ مع الفرحة كثرة الطلاب العرب فى الجامعات الاجنبية وانما يقل عدد الطلاب الاجانب فى بلادنا بسبب ضعف التبادل الثقافى بيننا وبين الامم الاخرى . فنحن نأخذ من الامم ولا نعطى مع كثرة ما يمكننا ان نعطيه ونفخر بعطائه ، واما كثرة الطلاب العرب فى الخارج فظاهرة صحة وليست ظاهرة مرض على شرط ان نفيد من هؤلاء المبعوثين دعاية للعرب وثقافتهم فى الخارج واستيرادا للعلم والتكنولوجيا الى الداخل . ولكن بعض نواحى التصور توجد فى هذا المجال ايضا . فهل نختار التخصصات لدراسة طلابنا فى الخارج حسب خطة ؟ وهل يجد

طلابنا ابواب العلم مفتوحة امامهم على مصراعيها فى الخارج ، او تقسم الجامعات فى الخارج دراساتها الى مباح للاجنبى وغير مباح ؟ او هل يحمى كل طلابنا فى الخارج بالضمير العربى او حتى الوطن المحلى ، او تراهم ينساقون مع مفاتن الحضارة فينسون الاوضاع الجزئية التى تركوها وراءهم ؟ افنعد نحن لكل طالب بعثة عائد عملا يقع فى نطاق تخصصه يخدم فيه مجتمعه خدمة الخبير ويستمر فى نموه التخصصى بعد عودته ؟ ان الاجابة عن هذه الاسئلة تروع ضمير كل مخلص لتنمية البيئة العربية وتطوير الثقافة العربية واللغة العربية . ثم مذا عن الكتاب العربى ؟ ما قيمته كمضمون وما جاذبيته كشكل مطبوع مجلد ؟ وما وسائل تسويقه وما فرص انتشاره مع قلة عدد قراء العربية فى الداخل والخارج على السواء (هم يقلون فى الداخل بغلبة الامية ويقلون فى الخارج لعدم انتشار اللغة) ؟ وماذا عن الفيلم العربى تسجيليا كان أم ترفيهيا ؟ ما مستواه الفنى وما الجهود المبذولة لنشره وما مدى الاقتناع بجدواه فى نشر الثقافة واللغة ؟ وما مدى الاستعداد للبذل فى سبيل ترقيته وتحسنه ؟ ومثل ذلك يقال عن الصحف العربية والاغانى العربية والفنون العربية التشكيلية والتعبيرية على حد سواء .

11 ـ تطوير النشر :

هذا مجال آخر ادعو فيه الى ان تكون الجامعة العربية ومنظمتها العربية للتربية والثقافة والعلوم منبرا للعرب فى مشارقهم ومغاربهم ــ ان على العرب ان يعززوا منظمتهم بالخبرات والمال لتقوم عن دولهم فى مجال نشر اللغة العربية والثقافة العربية . فاذا عززنا المنظمة على هذا النحو امكن لها ان تنشئ المعاهد العربية فى البلاد الاجنبية وان تنشئ المراكز الثقافية وان يكون لها نوع من الاشراف على التبادل الثقافى بين بعض العرب وبعض وبين العرب فى عمومهم والدول الاجنبية سواء فى مجال الخبرات الثقافية والاساتذة والطلاب والمطبوعات . ولكل دولة الى جانب هذا النشاط العربى العام ان تبذل جهودها الخاصة فى هذا المجال ، وفى حقل استيفاد الطلبة الاجانب اليها . وترصد المنظمة العربية فى هذه الحالة المنح والجوائز لبحوث مختارة يكتبها كتاب اجانب عن نواح مختارة من الثقافة العربية كما تغرى هؤلاء بترجمة مختارات من التراث الى اللغات الاجنبية .

اما الكتاب العربى ونشره فان المنظمة تستطيع ايضا ان تقوم بدورها فى سبيله بواسطة انشاء صندوق عربى مشترك يسمى صندوق الكتاب يتولى النشر والتوزيع والدعوة والاهداء والمبادلة . كما ينشأ الى جانب ذلك نظام آخر للارتفاع بالقلم العربى وطابعه الفنى والعناية بالافلام التسجيلية التى تدعو للثقافة العربية كالموسيقى والاغنية وتعمل على تطوير الموسيقى العربية والاغنية العربية باعتبارهما مظهرين من مظاهر الثقافة العربية . واذا كان لى ان اقترح فى هذا الحقل الذى لست خبيرا به ، فاننى ادعو الى ان يكون تطوير الموسيقى العربية فى اتجاه الغاء ربع النغمة والابقاء على نصفها تمشيا مع الذوق العالمى فى الموسيقى وهو ذوق يرى فى الموسيقى المشتملة على الارباع نوعا من الانين لا يرقى الى مستوى الاعمال الفنية فى العالم . ولهذا الربع ان يبقى فى الاغانى الشعبية باعتباره تراثا ينبغى ان تحافظ على ذكراه .

وينبغى ان تكون للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم صحيفة قوية الدعم من الناحية المالية تتكلم بلسان العرب جميعا وتشتمل على مقالات وبحوث واخبار . وهذه الصحيفة تتناول وجهة النظر العربية فى المشكلات المطروحة دون ان تنحاز الى جانب دولة عربية بعينها ويكون لهذه الصحيفة نسخ مترجمة الى اللغات الحديثة توزع من مكاتب الجامعة وتقرأ فى المعاهد والمراكز الثقافية العربية فى الخارج .

وجملة ما احب ان اؤكده فى مجال تنسيق التطوير ان يتفق العرب على ان يجعلوا من الجامعة العربية ووكالتها المتخصصة : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم منبرا مشتركا لهم فى حقل الثقافة وان يكلوا الى الجامعة العربية بعد تدعيمها كل جهد فى مجال نشر اللغة العربية والثقافة العربية .

جوانب الدقة والغموض في المصطلح العلمي العربي الحديث

المهندس وجيه السمان
- دمشق -

ليست التجربة التى تمر بها الامة العربية اليوم ، من اقدامها على وضع مصطلحات لعدد ضخم جدا من الالفاظ الحضارية الحديثة من علمية وتقنية واجتماعية وفلسفية وادبية ، اول تجربة لها من هذا النوع . فقد مرت بتجربة مماثلة لها فى بدء تحضرها وانتقالها من عيشة البادية التى كانت فيها منغلقة على نفسها تعيش فى جزيرتها ، وليس لها بما جاورها من الامم المتحضرة الا صلات ضعيفة جدا ، الى حياة جديدة تنشر فيها الدعوة الاسلامية وتفتح البلاد المتحضرة ذوات المدنيات القديمة وتستوطن فيها وتحكمها ، وتجعل اللغة العربية قادرة على اداء هذا الدور الجديد للامة العربية

لقد نجحت الدولة الاسلامية اذ ذاك فى مهمتها كما نعتقد ان البلاد العربية ستنجح فى مهمتها الجديدة الآن لما للغة العربية من امكانيات واسعة تفوق امكانيات اكثر اللغات الاخرى .

وقد ذكر المرحوم الاستاذ احمد امين ذلك فى كتاب ضحى الاسلام فقال : (1) .

« اللغة العربية ارقى اللغات السامية ، كما يقرر دارسو تلك اللغات ، ولا تعادلها الآرامية ولا العبرية ولا غيرهما من هذا الفرع السامى . وهى كذلك من ارقى لغات العالم فهى — تمتاز حتى عن اللغات الآرية — بكثرة مرونتها ، وسعة اشتقاقها . فاذا قيس ما يشتق من كلمة عربية من صيغ متعددة ، لكل صيغة دلالة على معنى خاص ، ما يقابلها من كلمة افرنجية وما يشتق منها كانت اللغة العربية فى ذلك — غالبا — اوفر واغنى . فمثلا اشتقوا من الضرب : ضرب يضرب — اضرب ، وضارب ومضروب . وسموا آلة الضرب مضربا وقالوا ضاربه اى جالده ، وتضرب الشىء واضطرب : تحرك وماج ، وحديث مضطرب وامر مضطرب . والضريبة ما ضربته بالسيف . وضاربه فى المال من المضاربة « وهى ان تعطى انسانا من مالك

(1) ضحى الاسلام الجزء الاول ص 289 — 290.

ما يتجر فيه على ان يكون له سهم معلوم من الربح)
واشتقوا منه مضاربا ومضاربا الخ » .

هذا الى المعانى المجازية التى يستعملون فيها الكلمة فيقولون : ضرب الدراهم والدنانير (اى صكها) وضرب فى الارض اذا سار فيها مسافرا ، وضربت الطير ذهبت . وضرب فى سبيل الله : نهض ، وضرب على يده : كفه عن الشىء ومنعه ، واضرب عن العمل : كف واضرب البرد النبات وضربه اذا اشتد عليه البرد حتى ييبس .

والضريبة الصوف او القطن يضرب بالمطرقة . والضريب من اللبن : الذى يحلب من عدة لقاح فى اناء واحد فيضرب بعضه ببعض . ثم اخذوا منه : فلان ضرب فلان اى نظيره (والضرباء : الامثال والنظراء) والضرائب الاشكال ، وضرب المثل ذكره وقوله الخ .

هذا قليل من كثير مما يدل على غنى اللغة العربية غنى تاما فى الاشتقاق والمجاز ، قل ان تجاريها فيهما لغة اخرى ، وكذلك ما لها من طرق متعددة فى القلب والابدال » .

نجمت ازمة المصطلحات الحديثة عن ان العرب كانوا نائمين ايام النهضة الاوربية وتوسع العلوم فلم يساهموا فى تقدم العلم المطرد ولم يطلعوا حتى ولا على تقدمه . ولما بدات يقظتهم فى اواخر القرن الماضى واوائل هذا القرن الفوا انفسهم امام علوم كثيرة واسعة لها من المصطلحات عدد كبير وراوا انه لا بد لهم من ان يضعوا لهذه المصطلحات ما يقابلها بالعربية .

المصطلح العلمى العربى الحديث :

شرع العرب فى وضع المصطلحات العلمية الحديثة فى اواخر القرن الماضى وقد تجمعت الى الآن حصيلة كبيرة من هذه المصطلحات ولكنها لا تزال غير وافية بالحاجة وتقل كثيرا عن متطلبات تقدم العلوم والتقنيات.

ومن اهم اسباب شيوع المصطلح العلمى سهولته واصابته للمعنى الذى وضع له وقدمه واستعماله فى كتب التعليم المدرسية ولا سيما الابتدائية والثانوية منها ، فهو يصل عندئذ الى اسماع والى افهام الملايين من الاحداث فيتلقونه وكانه شئ نهائى قد بت فى امره وقبلته الامة وتبنته ، فليس عند الاحداث عندئذ اى اعتراض عليه او انتقاد له .

فعند ما يسمع الاحداث اسماء الدبابة والطيارة والغواصة والمدفع والسيارة والقطار والتيار الكهربائى والاذاعة ، الى . يفهمون لها مدلولات ثابتة معينة لا اعتراض عليها ولا مراء فيها . وهذه هى الصورة المثالية لما ينبغى ان تكون عليه جميع المصطلحات العلمية حتى ولو كانت تعنى مدلولات عويصة او تتعلق بنواح صعبة من نواحى العلم والتقنية ليست فى مستوى الاحداث ولا عامة الشعب . مثل : الذرة والنواة والاشعة الكونية وما الى ذلك من مصطلحات هندسية او طبية او زراعية او حقوقية او ادارية الخ .

مضى على وضعها واستعمالها زمن طويل واثبتها الاستعمال وصقلتها الالسن على امتداد السنين ، ولا سيما فى قطر كالقطر السورى درج منذ امد مديد على الاعتماد على اللغة العربية فى التدريس الجامعى باكمله.

يعتمد فى وضع المصطلحات العلمية العربية على جميع الوسائل التى نمت بها اللغة العربية نفسها ، وهى : الاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب .

1 ــ **الاشتقاق** : لقد اشتقت اسماء الفاعل والمفعول به والزمان والمكان والآلة والادوات والاعضاء والامراض والآفات والادواء والصفة المشبهة واسم التفضيل ، كلها من المصدر ويدل الحساب على انه يمكن اشتقاق اكثر من مائتى لفظ من كل مصدر .

فمن امثلة الاشتقاق ما يلى :

للامراض : ما كان على وزن فعل مثل : ارق ، وجع، الم ، بخر ، بكم ، صلع ، حصر ، الخ .

وما كان على وزن فعال مثل : صداع ، اكال ، بوال، جذام ، حكاك ، دوار ، زكام ، رعاف .

واما اسماء الآلات فكثيرة منها :

فاعل وفاعلة مثل : فاصل ، حاجز ، لاصق ، كاسحة ، قاطعة ، فارزة .

فعال وفعالة مثل : سحاب ، وطراد ، وزلاق ، وكسارة ، وقلابة ، وحمالة .

مفعال ومفعل ومفعلة مثل : مفتاح ومنشار ومحراث ومزراب ومحراك ومعلاق ومجذاف ومصفاة، ومبرد ومغزل ومنجل ومقود ومكنسة ومطرقة وملعقة ومدخنة ومحبرة .

وهنالك اوزان اخرى لاسم الآلة قليلة الاستعمال مثل فعول : قدوم وفاعول : ناقور وساطور ، الخ .
وفعال : لجام ، حزام ، سوار ، ستار ، سنان .

واما اسماء الزمان والمكان فقد اشتقت على وزنى مفعل ومفعــل مثــل : مكتب ، ملعب ، مخبــز ، ملهى ، مثوى ، ومطلع ، مشرق ، مغرب ، مسجــد ، منبت ، مفرق ، مجلس ، محبس ، مضرب ، مورد ، مــوضــع .

وكذلك على وزن مفعلة ومفعلة مثــل : معبــرة ، مدرجة ، مقبرة ، ويقال مشرقة ومشربة .. الى آخــر مــا هنالك من الاوزان .

ولست ارمى الى الاستقصاء وانما اكتفــى بهــذه الامثلة للاشارة الى مدى خصب الاشتقاق فى توليــد المصطلحات العلميــة .

وقد استفيد من الاشتقاق فى وضع عدد كبير مــن المصطلحات العلمية والتقنية الحديثة ، فجاء فى فرع الكهــربــاء مثــلا :

محولة	Transformateur	مقومة	Redresseur
منوبة	Alternateur	مبدلة	Commutateur
مركمة	Accumulateur	مقطعة	Interrupteur
مولدة	Générateur	مجمعه	Collecteur
مكثفــة	Condensateur	مجمعة	Collimateur

وجاء فى فرع الضوء على وزن مفعل :

محلل	Analyseur	مظهر	Révélateur
مشتت او ناثر	Diffuseur	مكثف	Condenseur
محــرك	Moteur	مكافئ	Compensateur

وهنالك اوزان كثيرة يمكن الاستعانة بها لتسميــة الآلات والادوات والاجهزة على انه ينبغى الا نقيــد انفسنا بقواعد نلتزم بها ونحن غير واثقين بأنها قواعد عامة مثال ذلك ما وضعه المجمع اللغوى فى القاهــرة لاجهزة الكشف والتسجيل والقياس فقال : « نستعمل صيغة مفاعل للكلمات المنتهية بالكاسعــة Scope ومفعلة للمنتهية بـ Mètre ومفعل للمنتهية بـ Graphe وتغنى المجمع بان تلتزم هذه الصيغ فلا توضع الواحدة مكان الثانيــة . فالاولى للكشف والثانيــة للقيــاس والثــالثــة للرسم .

ولكننا مع ذلك نقول : ميزان ومكيال ومثقال ومعيار لاجهزة قياس الوزن والكيل والثقل الخ .. وهى ليست اجهزة كشف فوجب اذن اذا اتبعنا هذه القواعد ان نسميها ميزن ومكيل ومثقل ومعير ، وهى تدعى بأسمائها الاولى منذ قديم الزمان .

ثم ان علينا عند وضع مصطلحاتنا العلمية الا نبتعد بلغتنا عن اساليب اللغات الاخرى ما دام ثمة امكان للتقارب لا يخل بأصول اللغة ، وهذا يسهل على المتعلم العربى ان يربط بين المصطلحات العلمية العربية وبين المصطلحات الاجنبيــة .

فاجهزة القياس العلمية قد جعلت اسماؤها مركبة من قسمين : القسم الاول هو اسم الظاهرة التى يراد تقديرها كدرجة الحرارة او الضغط او القوة الخ .. وفى الجملة المترتبة خاصة ، حيث سميت الوحدات القياسية بأسماء العلماء تخليدا لذكراهم يكون القسم الاول من اسم الجهاز هو اسم الوحدة : امبير ، فولت ، واط الخ.. واما الكاسعة فهى كلمة متر ، وقد اطلــق على علم القياسات اسم Métrologie

مثال ذلك اسماء الاجهزة الآتية :

مقياس غلفانى	Galvanomètre	مقياس الطور	Phasemètre
مقياس الامبير	Ampèremètre	مقياس الضغط	Manomètre
مقياس الفولت	Voltmètre	مقياس التدفق	Fluxmètre
مقياس الواط	Wattmètre	مقياس التسارع	Accéléromètre

فالحكمة تقضى بأن تراعى هذه القاعدة فى التسمية المركبة لانها قابلة للتطبيق على جميع اجهــزة القياس الموجودة الآن وعلى ما سيخترع منها فى المستقبل .

وكذلك الامر فيما يتعلق باجهزة الكشف واجهــزة الرسم والتسجيل ، فنقــول : كاشف وراسم او مسجل فتصبح اسماء هذه الاجهزة كما يلى :

كاشف الطيف	Spectroscope	كاشف الاشعاع	Radioscope
كاشف الاهتزاز	Oscilloscope	كاشف الكهربية	Electroscope

ونقــول :

مسجل الطيف او مصور الطيف	Spectrographe
مسجــل الاشعــاع	Radiographe
مسجل الاهتزاز او راسم الاشعاع	Oscillographe

ونقــول :

مقياس الطيف Spectromètre مقياس الاشعاع Radiomètre

مقياس الاهتزاز Oscillomètre مقياس الكهربية Electromètre

فنكون بذلك قد ضمنا الدقة فى الدلالة والتمييز بين مختلف الاجهزة ، كما نكون قد جعلنا اسماء الاجهــزة مفصحة عن مدلولاتها كل الافصاح وراعينا وضع قواعد عامة يمكن تطبيقها على كل ما سيظهر فى المستقبل من اجهــزة .

ولو اننا التزمنا صيغة مفعال او مفعل لاضطررنا ان نقول : متيار ومفلاط ومواط ولا ادرى ما نسمى بــه مقياس غلفانى او مقياس الامبير . ثم ان اوزان مفعال ومفعل ومفعلة ليس فيها ما يدل على التخصص بالكشف والقياس والرسم او انها تدل على هذه المعانى ؛ وانما هى قد انتقيت اعتباطا . لذلك فمــن العسير ان يحفظ الانسان مدلولاتها وان لا يخطئ فيها .

فنرى اذن ان باب الاشتقاق واسع جدا وفيه مجال لعدد كبير جدا من المصطلحات الموجودة الآن والتــى ستوضع فى المستقبل .

2 ـ **الاستعانة بالمجاز** لوضع المصطلحات العلمية ، او تحوير المعنى اللغوى القديم للكلمة العربية وتضمينها المعنى العلمى الجديد :

يرد بحث المجاز فى علم البيان . وتقول كتب البيان ان المجاز هو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من ارادة المعنى السابق . مثل كلمــة **الدرر** المستعملة بمعنى الكلمات الفصيحة فى قولك : **فلان يتكلم بالدرر** ، فانها مستعملة فى غير ما وضعت له؛ اذ قد وضعت فى الاصل للآلئ الحقيقية ثـم نقلت الى الكلمات الفصيحة لعلاقة المشابهة بينهما فى الحسن . والذى يمنع من ارادة المعنى الحقيقى قرينة **يتكلم** .

وهذا النقل فى الالفاظ من معانيها الاصلية الى معان علمية ، وسيلة ناجحة خصبة من وسائل تنمية اللغــة وفى جعلها صالحة لاستيعاب العلوم الحديثة .

وقد اعتمد العرب منذ العصر الاسلامى الاول على المجاز ، فتوسعوا فى معانى الالفاظ التى كانت معروفة فى الجاهلية ونقلوا كثيرا منها من معنــاه الاصلى الى معنى علمى جديد اقتضاه التغير الجذرى الذى طرا على حياتهم . لذلك فان كثيرا من الالفاظ تغيرت معانيها فى الاسلام : كأن يكون المعنى عاما فى الجاهلية وخصص فى الاسلام : كالصلاة والزكاة والحج والبيع .. ثم ظهرت الالفاظ العلمية كالنحو والصرف والعروض والاعراب والادغام واسماء بحــور الشعــر ، بمعــان لغويــة واصطلاحية استعملت مجازا عند ما وضعت فى ايــام الخلفاء الراشدين والامويين .

قال ابن خالويه : ان لفظ **الجاهليــة** اسم حــدث فى الاسلام للزمن الذى كان قبل البعثة **والمنــافق** اســم اسلامى لم يعرف فى الجاهلية .

وقال ابن الاعرابى : لم يسمع قط فى كلام الجاهلية ولا فى شعرهم بكلمة فاسق .. الخ (فجر الاسلام ص 53)

ويقــول الامير مصطفــى الشهابــى فى كتابــه : « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية » صفحة 25 .

جاءت مرحلة ثانية من مراحــل اغنــاء العربيــة بالمصطلحات فى زمن العباسيين عند ما نقلت العلــوم اليونانية والفارسية والهندية الى العربية واتسع نطاق الترجمة ثم التأليف العلمى . فوضعت اسماء لكثير من الامراض والنباتات والحيــوان ووضعت مصطلحــات الفلسفة والمنطق التى ورثناها نحن كلما كانت معروفة منذ ان كان العرب ، وامثالها : الفلسفة والازل والابد والقديم والحديث والعلة والمعلول والوجــود والعــدم والصورة والجوهر والعرض والموضوع والكلى والجزئى والقياس والاستنتاج والمقولات واشباهها مــن الالفاظ العديدة اصبح لها كلها فى الفلسفة والمنطــق معــان اصطلاحية محدودة .

وقد استعان العرب حديثا ومنذ بداية هذا القــرن بالمجاز فوضعوا كثيرا من المصطلحات للمدلولات الحديثة وهى فى الاصل كلمات ذات مدلول قديم مختلف . مثل : البرق للتلغراف والهاتف للتلفــون والقطــار للتريــن والقاطرة والسيارة والدراجة والدبابة والمدفع والمدرعة والباخرة والطرادة والنسافــة .. الــخ . وكــل هذه المصطلحات قد عمت واكتسبت معانيها المفهوم الجديد الذى اريــد لهــا .

وتطلع علينا الصحف والمجلات والاذاعات العربيــة كل يوم بمصطلحات جديدة توضع لحاجات الساعــة ولمقتضيات الظروف . وفيها الكثير من التوفيق كمــا ان فيها كثيرا من الخطأ .

3 — النحت :

ومعناه فى اللغة النشر والقشر والبرى : يقال نحت الخشب والحجارة اذا براها . وورد فى القرآن الكريم : وتنحتون الجبال بيوتا .

والمعنى الاصطلاحى للنحت هو انتزاع كلمة من كلمتين او اكثر على ان يكون ثمة تناسب فى اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه . وقد كان استعمال النحت فى القديم قليلا فلا يعرف من الالفاظ المنحوتة الا عدد صغير محدود مثل : البسملة والحوقلة والحمدلة والعنعنة والعبشمى والعبقسى وكان بعض علماء اللغة يعدون النحت ضربا من ضروب الاشتقاق . وقد اقر مجمع اللغة العربية فى القاهرة جواز النحت عند ما تلجئ الضرورة العلمية اليه (الامير مصطفى الشهابى) صفحة 17 .

وقد درج فى الاستعمال الحديث عدد من الكلمات المنحوتة مثل : برمائى وآفرو آسيوى .. على انها محدودة جدا .

وليس ثمة قواعد واضحة للحروف التى تنتزع من كل كلمة لتاليف الكلمة المنحوتة فقد ينحتون من كلمتين كلمة على وزن فعلل ويأخذون من كل كلمة فاءها وعينها ثم ينسبون الى المنحوتة مثل عبشمى اى من عبد شمس ، وقد استعمل النحت فى المصطلحات الجديدة وخاصة فى العلوم الطبيعية كالحيوان والنبات وفى الكيمياء وغالى بعضهم فى استعماله .

ومن اهم الذين اعتمدوا على النحت فى وضع المصطلحات الكيمائية المرحوم الدكتور صلاح الدين الكواكبى عضو مجمع اللغة العربية فى دمشق فله بحوث مستفيضة جدا فى هذا المضمار : فقال فى مقال متسلسل نشره فى مجلة المجمع (المجلد 39 الجزء 3) « لقد دفعتنى الحاجة الملحة الى النحت مثلما فعل الغربيون فى مصطلحاتهم العلمية لانى وجدت فيه حلا للمعضلة وتيسيرا لاجتياز العقبات التى تعترض المؤلف والمترجم فى علم من العلوم ذلك لمرونته وسهولة الاشتقاق والوصف من الكلمة المنحوتة المصتولة ، ولانه يجعل المجال واسعا فى ايجاد كلمات لما يقابلها بالافرنجية . (وهنا ابدت لجنة المجلة ملاحظة جاء فيها ان مجمع القاهرة ومجمع بغداد وجميع اساتذة الجامعة فيها لا يلجاون الى النحت الا عند الحاجة القصوى . والمنحوتات عندهم نادرة ، وهم يشترطون فى النحت بمجه الذوق ولا يستغلق فيه المعنى ، ففى هذه الحال يرجحون الكلمتين على الكلمة الواحدة ولا سيما عند ما يكون المصطلح الاعجمى مؤلفا من كلمتين) » .

ثم تابع الدكتور الكواكبى حديثه فيقول : « اليكم البرهان فى المصطلحات العلمية التى وضعتها نحتا ، لما يقابلها من الكلمات الافرنجية ، واكثرها الفته الاسماع وشاع استعماله فى البيئات العلمية .

وانا اسرد فيما يلى بعض الامثلة لان الشواهد التى ساقها الدكتور الكواكبى كثيرة جدا .

الخلمهة (تحليل خلى) Acétolyse

من (خل — اماهة) لذلك العمل الذى يتم فيه تحليل مادة فى حمض الخل . مثال : (خلمهة السلولوز بمزيج حمض الكبريت المركز وبلا ماء حمض الخل) .

الحمضليد (حامض الدهيد). Acide aldéhyle

من (حمض — غوليد) للجسم العضوى الذى يحتوى على وظيفة حمض ووظيفة غوليد (حمض الغليوكسيل مثلا) .

شمنزير Axonge من (شحم — خنزير) للمادة الشحمية التى تستخلص بصهر (النسج الدسمة والمتراكمة حول كليتى الخنزير ومن شحمه) .

فحمائيل Carboxyle من (فحم — مائيل) للجذر العضوى الحمضى .

خسفلة Décarboxylation من (خسف او طرح — فحمله) طرح الفحمائيل من جسم عضوى (يفضل مجمع القاهرة كلمة نزع عوضا عن خسف) .

للمرحوم الدكتور الكواكبى دراسات مستفيضة فى هذا الباب شملت الكيمياء بأكملها ولا سيما العضوية منها وكذلك الكيمياء الفيزيائية والطب والبيولوجيا وكلها منشورة فى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق .

وفى اعتقادى ان النحت مستثقل على الاغلب وينبغى الا يستعمل الا عند ما تدعو اليه الضرورة ولا سيما عند ترجمة المصطلحات التى هى مركبة فى اللغات الاجنبية مثل Electromagnétique

فقالوا : كهرطيسى بدلا من كهربائى مغناطيسى و Thermoélectrique كهر حرارى و Photoélectrique كهر ضوئى . وقد وضعت مع زملاء لى بعض الكلمات

المنحوتة مثل الكهر اكده بدلا من الكهرباء الراكدة Electricité statique وكهرحل بدلا من المتحلل بالكهرباء .

واطلقت شخصيا اسم الكهر نافذ على المواد العازلة المنسماة Diélectrique .

واعتقد ان من الانسب استعمال التركيب المزجى عند استنتاق الكلمة المنحوتة منقول الكهربائى — المغناطيسى ، مثلا ، بدلا من الكهرطيسى .

وعلى كل حال فاننا نرى ان فى النحت والتركيب المزجى مجالا واسعا جدا لوضع المصطلحات العلمية ولكن ينبغى الا نغالى فى استعمالها لكيلا نقع فى التعقيد والاثقال فنجعل مصطلحاتنا عويصة على الفهم او ثقيلة على السمع او النطق كما قالت العرب قديما تكأكأ وافرنقع وخمخع والدردبيس والعتنتل والطلطبيس ،الخ..

4 — التعريب :

تعريب الاسم الاعجمى هو ان تتفوه به العرب على منهاجها : تقول عربته العرب واعربته . وكذلك المعرب هو ما استعملته العرب من الالفاظ الموضوعة لمعان فى غير لغتها والمعرب يسمى الدخيل .

واستعمال العرب للالفاظ الاعجمية ودمجها فى لسانهم شئ قديم سببه اتصالهم بامم الاخرى ، وحاجتهم الى اسماء تدل على مسميات لا وجود لها فى الجزيرة العربية . ولا ضير فى التعريب كلما مست الحاجة اليه وكلما تعذر العثور على كلمة قديمة عربية تقابل الكلمة الاعجمية او تعذر ايجاد كلمة عربية تفيد معناها بالوسائل الاخرى المتقدمة . وجميع اللغات تقتبس من بعضها (المصطلحات العلمية للامير مصطفى الشهابى ص 19) .

عمد العرب الى التعريب منذ الجاهلية فعربوا عن الفارسية : لابريق والسندس والدولاب والدسكرة والكعك والسكباج والسميد والجلاب والجلنار والديباج والنرجس الخ .. وعربوا عن الهندية الزنجبيل والفلفل والشطرنج والصندل والكافور والمسك والقرنفل .. وعن اليونانية القسطاس والفردوس والترياق ((الشهابى ص 21) .

وفى صدر الاسلام اضطر العرب الى تعريب عدد كبير من الالفاظ . دفعهم الى ذلك احتياجهم اليها فى حياتهم المتحضرة فأخذوا من الفارسية الكوز والجرة والابريق والطست والخوان والطبق والقصعة والخز والياقوت والفيروز والبلور والقرفة والنسرين والسوس والعنبر والبستان والارجوان والترمز والسراويل والتنور والجوز والميزان والزئبق والباشق والطيلسان والمغنطيس والمارستان والصك والصولجان والفرسخ والبند والزمرد والآجر والجوهر الخ ..

هذا فى بداية عهدهم بالحضارة ، ثم انهم شرعوا بنقل علوم اليونان والفرس والهند عربوا عددا كبيرا من المصطلحات بقيت الى ايامنا هذه مثل : دغماطيقيين Dogmatiques وفسيولوغيا وبطلوغيا Pathologie وكانوا فى بداية الامر يتبعون هذه المصطلحات بشرح معناها الى ان تؤلف الكلمة فى العربية ويتحدد مدلولها .

من هنا اتتنا هذه المصطلحات العلمية الكثيرة التى نستعملها اليوم وكأنها خلقت مع العربية مثل الفلسفة والفيلسوف والسفسطة والجغرافية والكيمياء .. وعرب العرب كلمات حضارية كثيرة يقول عنها المرحوم احمد امين (ضحى الاسلام 1 — 293) خرجت اللغة العربية من هذا المازق سليمة قوية واسعة ، هى لغة الدين ولغة العلم والفلسفة ولغة الادب . واضمحلت بجانبها كل لغات البلاد المفتوحة .

فاللغة السريانية التى ترجمت اليها الكتب اليونانية، اخذت تتدهور بعد ان نقل ما فيها الى اللغة العربية . والفرس فى ذلك العصر اصبحت لغتهم العلمية والادبية هى اللغة العربية : ان الفوا او شعروا او كتبوا فبا العربية . وحياة اللغة الفارسية انما كانت عند التكلم العادى او فى اوساط الديانة المجوسية .

وكذلك اللغات الاخرى من رومانية وقبطية فى الشام ومصر . وكسبت العربية من ذلك انها اصبحت فى تآليفها وعلومها نتاج كل هذه الامم ، تلبس كل افكارهم وتعبر عن قرائحهم . وكسبوا منها ما لها من ثقافة اسلامية وادبية » .

فى التعريب اذن مجال واسع جدا لوضع المصطلحات على ان لا يجرى التعريب كيفما اتفق وانما باتباع قواعد كالتى اتبعها العرب الاوائل عند التعريب ومن جملة هذه القواعد : الا يلجأ الى التعريب الا عند ما لا تفلح الطرائق الاخرى فى وضع المصطلحات ، وان

يعطى للكلمة المعربة صيغة عربية تمكنها من الانضمام الى اخواتها الكلمات العربية الاخرى حتى تنطبق عليها قواعد النحو والصرف .

وقد وضع مجمع اللغة العربية فى القاهرة قواعد لضبط التعريب ينبغى اتباعها ضمانا للتوحيد فى جميع البلاد العربية وحفاظا على الاصول التى اتبعها العرب عند ما بدأوا بالتعريب .

وباب التعريب بفضل اتساعه يسهل لنا وضع المصطلحات فى الحالات التى تخفق فيها الطرق الاخرى كما انه يمكننا من كتابة اسماء الاعلام الاعجمية التى ترد فى العلوم واسماء الوحدات القياسية التى هى اسماء علماء واسماء الاجزاء العنصرية التى ترد فى بحوث الذرة وما أشبه ذلك مما اتفقت على تسميته جميع اللغات العالمية .

وان العمل بهذه القواعد يصرفنا عن ان نسمى الوحدات القياسية باسماء عربية كما جرى العمل فى السابق فسميت الكالورى بالحريرة والحرة فى سورية وبالسعر فى مصر او ان نسمى واحدة العمل :Erg عميلا او الألكترون بالكهرب او الكهيرب والفوتون بالضوئ .. على ان لا نغالى فى ذلك فنعمد الى تسمية الـ Pendule ببندول بينما يوجد له فى العربية عدة مصطلحات مثل : الرقاص والنواس والخطار .

فلننظر الآن فى هذه الالوف المؤلفة من المصطلحات التى توالى وضعها بالعربية خلال مدة قرن كامل يمتد الى يومنا هذا . ان القسم الاعظم منها جاء مطابقا للمعنى الذى وضع له . وعلى هذه المصطلحات اعتمدت اللغة العربية الحديثة فى بيانها سواء اكان ذلك فى الاعلام او الادارة او فى النواحى الاخرى من الحياة او فى التعليم الابتدائى او الثانوى . ولكن لا تزال امامنا مرحلة كبيرة صعبة جدا هى مرحلة التعليم العالى والبحوث المتقدمة فيها بعض الضعف او الغموض . وساضرب لذلك بعض الامثلة .

ان المصطلح الاجنبى قد جرت عادته على الاتكال على لغات عديدة غير لغته الوطنية التى وضع بها . وخاصة على اليونانية واللاتينية . فنجد المصطلح الفرنسى مثلا يعتمد على هاتين اللغتين كما يعتمد احيانا عند الاقتضاء على الانكليزية والجرمنية ولا يحجم احيانا عن الاستعانة حتى باللهجات العامة الاجنبية .

فبالاضافة الى ما فى العربية من اشتقاق صغير وكبير وابدال ، تستعين اللغات الاجنبية بزيادات فى اول الكلمة او فى آخرها ، وذلك ما نسميه بالصدر او السابقة Préfixe والكاسعة او اللاحقة Suffixe وبالحشو Infixe وشتان ما بين استعمالنا القليل لهذه الوسائل الثلاث وبين استعمال اللغات الاجنبية لها مضافا اليه الاعتماد على اليونانية واللاتينية فى ذلك فقد انفتحت لهم آفاق واسعة منظمة واضحة تضمن وضع المصطلحات للحاضر وللمستقبل . اذكروا السابقات :

Macro, Micro, Télé, Extra, Exter, Intra واللاحقات Métrie, Graphie, Scopie, Gie, Ique, Turc, Isme, Tien الخ ..

فروم نهتدى الى الاستفادة من الاشتقاق الى اقصى حدوده ، مستعينين بالتصدير وبالتذييل وبالحشو ، ومستعينين عند الاقتضاء باللغات الاجنبية ايضا بعد تعريبها ، نكون قد ضمنا للغة العربية نصرا كبيرا فى نطاق ترجمة المصطلحات العلمية .

احب الآن ان اسوق بعض الامثلة عن المصطلحات الغامضة التى لم تحظ ترجمتها بالتوفيق :

1 — كلمتا Empirique, Expérimental

فالاولى قد ترجمت بتجريبى وانتهى امرها بلا اشكال ، اما الثانية فدونها كل المصاعب . يسميها الفلاسفة تجريبا بدون ياء ليفرقوا بينها وبين الاولى ، وهذا الفرق واه كخيط العنكبوت يوقع فى الخطأ . واذا راجعنا المعاجم الفرنسية العربية التى بين ايدينا نجد :

ا — المنهل : تجريبى (مبنى على الملاحظة والاختبار) وفى الطب : مشعوذ .

ب — بلو : اختبارى . مؤسس على الاختبار . بطريقة الاختبار فقط . وفى الطب طب تجريبى او استقرائى .

ويقول المعجم الانكليزى العربى (المورد) : دجال ، ابن التجربة ، عديم الثقافة ، يعتمد كل الاعتماد على الخبرة العلمية . مبنى على الملاحظة والاختبار .

ويقول لاروس الكبير ان Expérimental مشتقة من اللاتينية ومعناها المعرفة المكتسبة من الممارسة الطويلة المدعومة بالمشاهدة وان Empirique مأخوذة عن اللاتينية Empiricies وان هذه مأخوذة عن اليونانية

Empirikos وهى تعنى من يعلم ان يظـن انـه يعلم بالتجربة . او من يسعى فى الاستفادة من التجربة ولكن بدون اهتمام كبير بالدقة إلعلمية .

ووردت ترجمة هـذا المصطلـح فى مشروع معجم الفيزياء الذى بين ايدينا : اولى ـ تجريبـى (مبنـى على التجـربـة) .

وجـاء فـى مـوسـوعـة Universalis ان كلمـة Empirique غالبا ما تستعمـل فى الفرنسيـة بقصـد الانقاص والحط من قدر الموصوف بخلاف كلمة تجربة. فعند ما يقال رجل ذو تجربة يقصد بذلك الخبرة التى اكتسبها من تجربته . لذلك فان عبارة
Homme d'expérience
هى عبارة مديح فى حين ان Empirique هى صفة ذم .

فنرى ان المصطلحات العربيـة المقترحـة لكلمـة Empirique كلها على حد سواء فى عـدم اداء المعنـى المقصود وانها تسبب الخلط بينها وبين Expérimental

2 ـ كلمتـا Interpolation, Extrapolation

ترجم هذان المصطلحان بأشكال عديـدة اوردهـا فيمـا يلـى :

المعجم العسكرى الموحد (انكليزى عربى) : استكمال . استكمـال من الداخـل .

المعجم العسكرى الموحد (افرنسى عربى) : استكمال واستخراج . ادراج استيفاء ؛ تحشية المنهل (افرنسى عربى) : استكمال من الخارج ، تقدير استقرائى ؛ تعميم المد خارجا . استكمال توليد ، تحشية .

بلو (للثانية فقط) : حشى ؛ ولد .

المورد (انكليزى ـ عربى) : تقدير استقرائى . التوليـد والاستيفـاء .

وردت فى معجم الرياضيات الذى بين ايدينا ترجمة المصطلح الاول بـ : المد خارجيا ، او الاستكمال من الخارج . واما المصطلح الثانى فترجم بـ : استكمال داخلى واستيفاء او توليد داخلى .

وفى رايىان ترجمة هذيـن المصطلحين بالاستكمال الخارجى والاستكمال الداخلى هى اقرب ما تكون الى وتادية معنييهما وان كانت لا تفى بالمعنى تماما . وبالرغم من كثرة الكلمات التى اوردت فى المعاجم مقابل هذين المصطلحين فانى اعتقد انهما لم يوفيا حقيهما وان لفظة الاستكمال ليست الترجمة المثالية لهما .

ويأتـى الغموض احيانا من الاقتصار فى ترجمـة المصطلحات على لغـة اجنبيـة واحدة . مثال ذلك ان الفرنسيين يسمون الفراغ الواقع بين القسم الثابت وبيـن القسم الـدوار فى المحركـات وفى المولـدات الكهربـائيـة بـ Entrefer ولدى الترجمة الحرفية لهذا المصطلح بالعربية لا نجد سوى قولنا : ما بين الحديد . وليس هذا مصطلحا ناجحا ولدى مراجعة المصطلـح الانكليزى نجد انه Air Gap وهذا اسهل على الترجمة من المصطلح الفرنسى فيترجم بـ الفاصل الهوائى او الفرجة الهوائية وهو بلا ريب اكثر توفيقا من المصطلح الفـرنسى .

كذلك يطلق الفرنسيون كلمة Amorçage على العملية التى تبدأ فيها المولدات الكهربائية بتوليد التيار الكهربائى وان ترجمتها الى العربية صعبة جدا . واما المصطلح الانكليزى لها فهو To bluid up فنترجمه بان الآلة تبنى تيارها . وبذلك تزول تلك العقبة .

وكثيرا ما ينجم غموض المصطلح العربى عن غموض المصطلح الاجنبى الذى ترجم عنه او من انه لا يؤدى المعنىالذى وضع له تأدية تامة. وامثلة ذلك كثيرفترد فى جميع العلوم . ونرى ان العلماء الاجانب يستبدلون فى هذه الاحوال بالمصطلح القديم مصطلحا جديـدا انسب منه واقرب الى الواقع فينبغى ان نبادر نحن ايضا الى اطراح التعبير القديم . مثال ذلك عبارة Force vive اى القوة الحية وهى خطا . وقد استبدلت بها الان عبارة Energie cinétique اى الطاقة الحركية وكذلك Moment cinétique اى العزم الحركى ؛ ويسمى الآن Impulsion angulaire او بالانكليزية Angular momentum اى الاندفاع الزاوى . الخ ..

وبعد ، فان حركة التعريب فى العالم العربى تسير الآن بخطى حثيثة بعد ان تسلمتها الايـدى العلميـة المتخصصة بها . فاهتمت بها الجامعة العربية عن طريق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بواسطة المكتب الدائم لتنسيق التعريب ؛ الذى اعد لنا مشاريع المعاجم التى بين ايدينا واشهد بأنه عمل قيم جدا . وبفضـل المعاجم اللغوية والجامعات ومختلف الوزارات العلمية. ولا بد من ان تؤتى هذه الجهود المتكاتفة ثمارها الطيبة فى مستقبل قريب . .

ولا يفت فى عضدنا تأخرنا فى مضمار التعريب فان حركة وضع المصطلحات قائمة على قدم وساق حتى فى الدول العريقة فى العلم . وهى حركة دائمة لا تقف ابدا ما دام العلم يتقدم وينفتح كل يوم مجالات جديدة ويضع مصطلحات جديدة . وقد غزت المصطلحات الاجنبية كل لغة تأخرت ولو قليلا فى تدارك شأنها . وها هـى ذى فرنسا على علو باعها فى العلوم تشكو من غـــزو المصطلحات الانكليزية لها . فيقوم الاستاذ Etiemble اتيمبل الاستاذ بجامعة باريس بمهاجمة هذا الغـــزو فى كتابه Parlez-vous Franglais ? كما تقوم نشرة La Banque des Mots التى يصدرها المجلس الدولى للغة الفرنسية بعرض المناهج التى يمكن بها معالجـــة السيل المتدفق من المصطلحات الانجليزية لوضـــع ما يقابلها باللغة الفرنسية . فاذا كان ابناء اللغة الفرنسية يشكون مما بالنـــا نحـــن اذن ؟

المهندس وجيه السمـــان

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

خصائص اللغة العربية في التعبير العلمي

الدكتور عبد الحليم منتصر

منذ اكثر من احد عشر قرنا من الزمان وفى عهد الخليفة المامون على التحديد تقاطر المترجمون على بيت الحكومة فى بغداد ، ينقلون الذخائر العلمية التى تركها الاغريق والفرس والهنود والسريان والقبط وغيرهم الى اللغة العربية وشجع الخليفة العالم هذه الحركة العلمية العارمة فكان يولى العلماء عطفه ورعايته كما فتح لهم خزائن المال ، يغدق عليهم منها ، استحثاثا منه لهم على نقل هذا التراث الى اللغة العربية وكذلك تم نقل هذا التراث الضخم فى الطب والفلسفة والمنطق والاخلاق والسياسة والفلك والرياضيات والتشريح والنبات والحيوان وما اليها من علوم لم يكن للعرب بها عهد .

وليس من شك فى ان تلك كانت نقطة بدء رائعة للانطلاق وغدت بغداد مركز اشعاع علمى حضارى تاهت به على حواضر ذلك العصر ودانت الحضارة الانسانية لبغداد المامون وغدا الخليفة المامون رمزاً للملك العالم ، وجمع حوله جمهرة من العلماء بهم بلاطه وزين ملكه نقلوا له روائع ابقراط وفيثاغورس وافلاطون وارسطو وبطليموس وجالينوس وديسقوريدوس واقليدس وارشميدس وغيرهم من علماء اثينا والاسكندرية .

وعرفت الامة العربية طب ابقراط وفلك بطليموس وهندسة اقليدس وقراوا مجسطى بطليموس ، واصول اقليدس وجامع اوريباسوس ، ومئات بل الوفا من كتب ارسطو وجالينوس وثاون وهيرون وغيرهم من رواد العلم فى العصرين الاغريقى والاسكندرى ووسعت العربية الجومطريا والاسطرونوميا والميتافيزيقا والاريثماطيقا والمانيماطيقا ومصطلحات التشريح والهندسة والفلك والطب والرياضيات وما اليها ، واستمرت الحركة العلمية فى النمو والازدهار وشملت الحواضر العربية كلها من بغداد الى دمشق الى القاهرة الى مراكش الى الاندلس فى الجامع المنصور والجامع الاموى والجامع الازهر وجامع القيروان وجامع قرطبة وفى بيت الحكمة ودار الحكمة ودار العلم . فكانت هذه وتلك تؤدى ما تؤديه الجامعات ومعاهد العلم فى الوقت الحاضر ، وكانت منازل العلماء وقصور الخلفاء والامراء والمساجد ودور الكتب تزدان بمجالس العلم والادب وامتدت الامبراطورية العربية والاسلامية من حدود الصين شرقا الى حدود

غرنسا غربا واكب علماء المسلمين على التأليف بلغة عربية سليمة حتى كانت اعمال العالم منهم تعد لا بالآحاد ولا بالعشرات ولكن بالمئات ، وتاه هذا العصر بعشرات ومئات من العلماء العرب يقرنون الى اعاظم العلماء فى كل عصر وآن وها هى ذى تآليفهم ومخطوطاتهم تزدان بها دور الكتب والمتاحف ، تعد بمئات الالوف مما يحتاج تحقيقه وعرضه الى جهود عصبة من اولى العزم من العلماء ليمكنون على دراستها وتحقيقها وعرضها ملخصة ومخلصة . وقد انصفنا بعض مؤرخى العلم حين قالوا ان الحضارة الانسانية مدينة للعلماء العرب فى كل فروع المعرفة وانه كان لا بد من ظهور ابن الهيثم والصوفى والبيرونى والكندى لكى يتسنى ظهور جاليلو وكيلر وكوبرنيق ، وانه لولا اعمال العلماء العرب لاضطر علماء النهضة الاوربية ان يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سير المدنية عدة قرون وانه لو لم يعوقنا المغول والتتار والترك والاستعمار لكانت هذه النهضة التى تفاخر بها اوربا تكون من نصيب الامة العربية وتكون لغتها هى العربية وتتقدم عليها فى التاريخ عدة قرون .

ولا شك ان القارئ لمؤلفات ابن سينا وابن الهيثم والبيرونى وجابر والخوارزمى والرازى وابن النفيس والزهراوى والصوفى وابن يونس وابن العوام وغيرهم ليتملكه الاعجاب والاكبار بأسلوبهم العلمى الاخاذ ولغتهم العربية السليمة التى كتبوا بها فى الفلك والرياضيات والضوء والهندسة والجبر والطب والكيمياء . لقد طوعوا العربية لمصطلحات هذه العلوم الطبيعية المختلفة حتى قال المنصفون ان الينبوع الاول للعلوم الطبيعية انما تفجر فى العصر العربى الاسلامى الذى ازدان بأمثال من ذكرنا .

ولكن الايام دول كما يقولون فضعف امر الامة العربية بعد ان تقدمت لاوروبا زاد نهضتها العلمية عن طريق الاندلس التى سطعت فيها الحضارة العربية الاسلامية عدة قرون وعن طريق صقلية التى دانت لحكم العرب بضعة قرون ، وعن طريق الحروب الصليبية ثم عن طريق الامبراطورية العثمانية فى شرق اوروبا وظلت كتب من ذكرنا من العلماء العرب هى المراجع المعتمدة فى جامعات اوروبا طوال قرون وانشئت الجامعات الاوروبية على غرار جامعة الازهر العتيدة وترجمت الكتب العربية الى اللغة اللاتينية واللغات الاجنبية الاخرى وسطعت شمس الحضارة العلمية على اوروبا فى حين انحسرت عن الامة العربية .

* *

وفى اوائل القرن الماضى بدأت الاتصالات بين بعض الدول الاوربية وبعض البلدان العربية كان هدفها الاول حربيا استعماريا ، لم يكتب لها فيها نصر ولم تتحقق اغراضها منه ولكنما تحققت اتصالات علمية كان من نتاجها نقل العلوم الحديثة الى البلدان العربية وانشاء بعض المدارس الحديثة وارسال البعثات العلمية الى اوربا ، وعاد هؤلاء المبعوثون ليقودوا نهضة علمية حديثة . ومنذ اوائل القرن الثامن عشر انشئت فى مصر مدارس الطب والهندسة والمعلمين وغيرها من مدارس العالم وشارك علماء من اساتذة هذه المدارس من الاجانب والمصريين فى ترجمة امهات الكتب العلمية الى اللغة العربية ان فى الطب او الهندسة او الزراعة أو الصيدلة او الكيمياء وما اليها من علوم وفنون . وكان الحكام يلومون طلاب البعثات بنقل هذه العلوم الى اللغة العربية وان تكن اللغة العربية لغة التدريس وهذه المعاهد .

وفى اخريات القرن الماضى عاد الاحتلال ينشر ظله الثقيل مرة اخرى ، وشيئا فشيئا جعل لغة التدريس هى الاجنبية ، ولم يكتف بان يكون ذلك فى المعاهد العليا وحدها ولكن عم ذلك فى المدارس الابتدائية والثانوية فاستقر فى اذهان الكثيرين ان هذه العلوم مستوردة هى الاخرى من الخارج وانه لم يكن لنا بها عهد ، وتناسى الكثيرون انها بضاعتنا ترد الينا وان العلماء العرب هم واضعو اسس هذه العلوم وهم مبتكرو كثير من اجهزتها وادواتها بل ومصطلحاتها ايضا .

* *

ومنذ اوائل القرن العشرين عادت للغة العربية مكانتها فى التدريس فى المدارس الابتدائية والثانوية ، كما انشئت فى مصر الجامعة الاهلية وكانت مقصورة على كلية الآداب كما انشئت معاهد عليا كثيرة وفى اواسط عشرينيات هذا القرن ، انشئت الجامعة المصرية الاميرية وكانت تتكون آنئذ من اربع كليات هى الآداب والحقوق والطب والعلوم وكانت العلوم هى وحدها التى انشئت انشاء فى ذلك التاريخ لم تكون متحولة عن معهد او مدرسة اخرى ، وضمت اليها

بعد ذلك كليات اخرى ، ثم انشئت فى اوائل الاربعينات جامعة الاسكندرية ثم جامعة عين شمس فى سنة 1950. وتتابعت الجامعات فى مصر بعد ذلك فى اسيوط وطنطا والمنصورة والزقازيق كما تتابع انشاء الجامعات فى كثير من البلدان العربية فى العراق : فى بغداد والموصل ، وفى سوريا : فى دمشق وحلب وفى الاردن فى عمان ، وليبيا ، وتونس ، والجزائر ، والمغرب ، والكويت ، والسعودية وغيرها . كما انشئت المجامع اللغوية فى القاهرة وبغداد ودمشق للمحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها مسايرة للنهضة العلمية .

ومن اسف ان اللغة العربية لا تزال وئيدة الخطو لتكوين لغة التدريس فى الكليات العملية خاصة باستثناء جامعة دمشق .

وقد آمن الكثيرون ان التدريس انما كان بلغة اجنبية ضرورة مؤقتة لم يكن معدى عنها وانهم ليرقبون اليوم الذى يعم فيه اتخاذ العربية لغة العلم . فالعربية لم تقتصر عن اللحاق بركب العلم انما قصر ابناؤها .

وفى اوائل الثلاثينيات صدرت فى مصر مجلة علمية باللغة العربية وفيها دعوة صريحة لتحقيق هذا الهدف ، وكان العدد الاول يحمل استفتاء بين كبار اعضاء هيئة التدريس وكلهم يجمع على تحقيق ذلك الهدف . وتكونت جماعة اطلقت على نفسها اسم جماعة انصار اللغة العربية كان هدفها تحقيق هذا العلم وتدريب اعضاء هيئة التدريس والطلاب على معالجة الموضوعات العلمية بلغة عربية سليمة ، يتناولون فى محاضراتهم ومقالاتهم احدث الموضوعات العلمية من كيميائية وجيولوجية وطبية وصيدلية ونباتية وحيوانية ورياضية وهندسية وطبيعية بلغة عربية لا عجمة فيها . لقد حدث كل ذلك آنئذ فى كلية العلوم بالجامعة المصرية وكان للانجليز فى ذلك الوقت سلطان ودولة ، لا فى السياسة فحسب بل فى العلم والتعليم كذلك . ومع ذلك فقد توافر لدى الكثيرين من ابناء العربية من القوة والشجاعة ما جعلهم ينادون بتعريب العلم . وانى لاسجد لله شكرا ان عشت حتى ارى فجر هذا اليوم يبزغ وما اشك فى ان ضحاه قريب ما دمنا نحمل هذه القلوب القوية والعزمات الفتية ، وما دام ابناء العربية ، فى ارجاء الوطن العربى يستهدفون وحدته ورقيه وقوته ومنعته، ليكون وطنا كريما يسعد ابناءه وتشرف ابناؤه بالانتساب اليه .

وهاهم العلماء العرب يتزايد عددهم يوما بعد يوم يحاولون ان يعيدوا مجد اسلافهم من امثال من ذكرنا وها هم اولا يعقدون المؤتمرات الطبية والصيدلية والهندسية والعلمية العربية فى كل رجا من ارجاء الوطن العربى من اقصى شرقيه الى اقصى غربيه تحت راية لغة الضاد — ليعلن عن حيويته الكامنة وليقود الانسانية مرة اخرى الى رحاب العلم والرفاهية والسلام وانه على ذلك لقدير ما اتخذ من العلم هاديا واماما وما رفع راية لغة الضاد يجعلها من مقومات ثقافته وحضارته ، بل وكيانه ، ولا مراء فى ان اولى مراتب الثقافة الرفيعة علم المرء بلغته ، وقدرته على التعبير والابداع العلمى فيها فى كل مرفق من مرافق الحياة .

* *

ولا مراء فى ان مجمع اللغة العربية بالقاهرة — وقد عاصرته زهاء ثلاثين عاما — قدم اعظم خدمة لتعريب العلم اذ خصص جانبا غير يسير من وقته وجهده لترجمة المصطلحات العلمية الى اللغة العربية بعد ان جند لها الخبراء من الاساتذة المتخصصين . كان يجتمع بهم اعضاء المجمع فى لجان واجتماعات تعقد بصفة منتظمة لهذا الغرض ثم يعرض ما تقرره اللجان على اعضاء المجمع مجتمعين فى صورة مجلس ثم تعرض مرة اخرى على هيئة المجمع فى صورة مؤتمر حين يعقد المجمع مؤتمره السنوى ليناقش ويقر ما انجزه المجلس من اعمال طيلة العام ، فكان مرور المصطلح والتعبير العلمى بهذه الخطوات جميعا كفيلا بصقله وحسن صوغه .

وقد اقر مجمع اللغة العربية الوف المصطلحات والتعبيرات العلمية فى مختلف فروع العلم ، نشر منها حتى الآن نحو خمس عشرة مجموعة تضم بضع عشرات من الوف المصطلحات ، فضلا عن عدد غير قليل منها يتضمنه المعجمان اللذان يصدرهما المجمع ، وهما الوسيط والكبير .

وقد ذهب فريق من المشتغلين بهذه المسالة الى انه لا بد من ايجاد جذور عربية للكلمات والمصطلحات المراد ترجمتها والتعبير عنها ، وانه لا ينبغى ان تدنس العربية بعجمة او لكنة وانما تبقى مصفاة مطهرة . وقد يبدو هذا الراى وجيها لولا ان هناك استحالة فى تنفيذه او الاخذ به على اية صورة . فالمصطلحات العلمية فى

تزايد مستمر بل انها لتتكاثر كما يتكاثر الانسان والنبات والحيوان ، فيزيد عددها يوما بعد يوم وسنة بعد اخرى حتى اضحى مجرد حصرها مشكلة تعترض الفنيين والمتخصصين واضحت دور النشر تخرج علينا بين حين وآخر بمعاجم تتفاوت حجوما واشكالا ، وتختلف فى لغاتها وطرائقها ، فمنها ما يصور بلغة واحدة ، ومنها ما يصور بلغتين ، ومنها ما يجمع بين ست لغات او اكثر . فملاحقة هذا التكاثر بلغة عربية اصيلة يبدو امرا مستحيلا لاسباب، ليس اقلها شأنا ان العرب لم تكن تعرف هذه الموضوعات وان هذه العلوم جديدة حتى على الغربيين وان الكثير منها انما راى النور وعرفته الانسانية فى مطلع هذا القرن ، بل وبعد ان تنصف فمن اين تأتى الجذور العربية لهذه المستحدثات والمستعدثات والنظريات التى لم يكن للعرب بها علم .

اننا نكلف العربية شططا ، ونكلف انفسنا جهدا لا طائل تحته ان نحن صممنا على التنقيب فى بطون المعاجم عن اصول عربية للميكروسكوب والترمومتر والالكترون والنيترون والميزون وما اليها مما يعد بعشرات الالوف ، فما علينا الا ان نبحث وندقق فان اسعفتنا المراجع ببغيتنا ، فبها ونعمت ، والا ففى التعريب متسع لهذه الالوف المؤلفة من المصطلحات والتعبيرات العلمية فى كل علم وفن ويسعنا ما وسع الاقدمون من استعمال اريثماطيقا وميتافيزيقا وجومطريا واسطرونوميا وغيرها .

واذا نحن اتفقنا على الترجمة العربية لكلمة فلعله من الواجب توحيدها وتعليم استعمالها فى الاقطار العربية ، بل التزام هذا الاستعمال واذا ترجمنا ميكروسكوب فهل نستعمل مجهر بصيغة اسم الفاعل او مجهر بصيغة اسم الآلة او نقول مجهار على وزن مفعال .

واذا نحن ترجمنا كلمة ترمومتر فهل نقول ميزان الحرارة او نستعمل اسم الآلة فنقول « محرار » على وزن مفعال او نبقى على ترمومتر تقريبا فهذا كما نرى امرا محيرا ، تختلف فيه الآراء وتتباين فيه الاذواق .

« توحيد الترجمة العربية للمصطلحات »

وهناك اوجه خلاف بين الدول العربية والمثقفين العرب بشأن هذه المصطلحات فالعراق والاردن ومصر لوثتهم الثقافة الانجليزية حينا فتأثروا بها . وسوريا ولبنان وتونس والجزائر ثقافتها فرنسية فتأثرت مصطلحاتهم العلمية بالاصول الفرنسية للكلمات ، فلا بد لنا اذن من الترجمة ثم توحيد هذه الترجمة . ولنضرب بعض الامثلة لهذا التباين فى التعبير العلمى فى بعض البلاد فعلم الطبيعة كما نعرفه فى مصر يسمى فى سوريا والعراق والاردن ولبنان « فيزياء » والاولى ترجمة والثانية تعريب على ان التعريب ليس كاملا او صحيحا فالتعريب الصحيح هو « فيزيقا » كذلك استعمله العلماء الاقدمون كما استعملوا ارثماطيقا للحساب ، وماثيماطيقا للرياضيات وجومطريا للهندسة وهكذا فكلمة فيزياء لم تلتزم فيها العربية الفصحى ولا التعريب السليم ولا عيب فى كلمة طبيعة الا احتمال الشبهة مع (Nature) التى تترجم بنفس الكلمة « طبيعة » .

ونحن نقول فى مصر كما يقول اهل العراق بؤرة العدسة ولكن الاقطار الاخرى تقول « المحرقة » ونحن فى مصر نقول بندول الساعة تقريبا لكلمة Pendulum وفى العراق يقولون « رقاص » وفى سوريا « نواس » وفى الاردن « خطار » فينبغى ان تختار الدول العربية ترجمة واحدة للمصطلح الواحد .

وفى مصر والعراق تطلق كلمة « طحلب » لتدل على Alga ؛ على حين انهم فى سوريا ولبنان يقولون «اشنة» اما اشنة فنستعملها فى مصر لكلمة Lichen على حين تقول الاقطار الاخرى طحلب .

وكلمة Endosperm عربت فى مصر الى اندوسبرم وترجمت فى بعض البلاد العربية الاخرى الى سويداء .

وكلمة Ecology ترجمت فى مصر الى علم البيئة وفى اقطار اخرى الى علم المحيط » ونصيلة « Rutaceae ترجمت فى مصر الى سذبية نسبة الى اسم النبات الذى اشتق منه اسم الفصيلة واستعملت الاقطار الاخرى ليمونية نسبة الى اشهر نباتاتها .

وكلمة Nucellus ترجمت الى « جويزة » فى البلاد العربية وعربت فى مصر الى « نويسلة » .

وكلمة Micropyle ترجمت الى نقير فى مصر وفى البلاد العربية الى « بويب » .

ونحن فى مصر نقول « جرام » تعريبا لكلمة Gram الافرنجية وغيرنا يقول غرام .

ونقول مغنطيسية تعريبا لكلمة Magnetism فعربنا الجاف بالجيم حينا وبالغين حينا آخر . ونحن

نقول ايجروسكوبى وآخرون يقول ايغيرو سكوبى - وهكذا .

وليست الترجمة العربية للمصطلح جامدة ابدا فما ايسر ان نتبين ان هناك ترجمة او تعبيرا افضل حتى نعدل عن الاول اليه ، فلم تكن الترجمة جامدة ابدا ، فقد كانت الترجمة تعرض فى المقالات والبحوث والدراسات فيصقلها ويصححها الذوق العام والاستعمال . ومن امثلة ذلك ترجمة المصطلح الذى يدل على درجة تركيز ايون الايدروجين ويرمز له بالافرنجية بالرمز PH ، فقد سمى اولا - الجهد الايدروجينى ثم الاس الايدروجينى ثم عدل اخيرا الى « الرقم الايدروجينى » .

وكذلك تلك الظاهرة التى سميت حينا « ادمصاص » ثم عدل الى التجمع السطحى وها هى ذى يقرها المجمع اللغوى والذوق العام بين المشتغلين بالعلم الى « امتزاز » ترجمة لكلمة Absorption

ومصطلح غروى اتخذ ترجمة لكلمة Colloid ثم عدل عنها الى شبه غروى ثم الى غراوانى .

وكذلك كلمة Alkaloid عربت حينا الى قلويد ثم ترجمت الى شبه قلوى ثم الى « قلوانى » وهكذا .

« مصطلحات فى علم الطبيعة »

وهناك مصطلحات متقاربة المعنى متفاوتة المدلول لا بد من تعريفها تعريفا دقيقا ، ولا بد من وضع الترجمة الصحيحة لكل مصطلح يتميز بها عن المصطلح الآخر فالمانعة والمعاوقة ، والمقاومة ، قريبة من معناها ولكن مدلولاتها متفاوتة فوضعت :

الممانعة ترجمة	الـ	Reluctance
والمقاومة ترجمة	الـ	Resistance
والمعاوقة ترجمة	الـ	Impedance

ثم المجاوزة والمهاودة والمسايرة قريبة فى معناها ، ولكن مدلولاتها متفاوتة فوضعت :

المجاوزة ترجمة	الـ	Permittance
والمهاودة ترجمة	الـ	Susceptance
والمسايرة ترجمة	الـ	Admittance

ثم المفاعلة ، والمنافذة ، والمواصلة ، والمحاثة قريبة فى معناها ، ولكن مدلولاتها متباينة فوضعت :

المفاعلة ترجمة	الـ	Reactance
والمنافذة ترجمة	الـ	Permeance
والمواصلة ترجمة	الـ	Conductance
والمحاثة ترجمة	الـ	Inductance

ثم ابتكرت صيغ جديدة لم تكن تستعمل كثيرا كالمصدر الصناعى فنقول :

الممانعية ترجمة	الـ	Reluctivity

وهى مقدار قابلية المادة المغنطيسية لتوصيل الفيض المغنطيسى وهى مقلوب المنفذية .

والمنفذية ترجمة	الـ	Permeability

وهى النسبة بين كثافة الفيض المغنطيسى المنتج فى وسط ما الى القوة الممغنطة المنتجة له .

والمجاوزية ترجمة	لـ	Permittivity

وهى النسبة بين الازاحة الكهربية لوسط ما الى القوة الكهربية المنتجة له .

والمقاومية ترجمة	لـ	Resistivity

وتعنى المقاومة الحجمية للمادة ، ويقصد بذلك مقاومة جرام من تلك المادة طوله الوحدة ومساحة مقطعه الوحدة تسمى ايضا المقاومة النوعية .

والمتأثرية ترجمة	لـ	Suscetibility

وهى النسبة بين شدة التمغنط الى شدة المجال المغنطيسى فى الدائرة المغنطيسية .

والمفاعلية ترجمة	لـ	Reactivity
والمعاوقية ترجمة	لـ	Impedivity
والموصلية ترجمة	لـ	Conductivity

وهى خاصية للمادة بفضلها تسمح للتيار الكهربائى بالمرور خلالها . اذا كان هناك فرق جهد وهى مقلوب المقاومية .

وكذلك تتقارب معانى الانحلال والتدهور والفساد والتفتت والتحلل وقد ترجمت على هذا النحو :

انحلال	Degeneration
تدهور	Deterioration
هدم	Destruction
تفتت	Disintegration
تحلل	Analysis
فساد	Decay

« مصطلحـــات طبيـــة »

وابتكرت صيغ قياسية كثيرة فى المصطلحات الطبية ، كأن نقول عصاب ترجمة للمصطلح Neurosis

وهو مرض عصبى وظيفى لا تصحبه علامات عضوية، ومـــن انـــواعـــه :

أ) عصاب القلق .... Anxiety neurosis
ب) عصاب اصابى .... « Teaumatic
جا) عصاب قلبى .... « Cardiac
د) عصاب كلالى .... « Fatigue
ها) عصاب متأخر .... Neurosis tarda
و) عصاب انحصارى قسرى Obsessive Compulsive
ز) عصاب مهنـــى .... Occupational neurosis

وكذلك نقول عن المرض الجلدى ــ جلاد Dermatosis

وعن مرض الصدفية ، صداف Psoriasis

ونقول بواغ الشعـــر Sporotrichosis

والورام الزهمى Stratomatosis

وفطار الشعـــر Trichomycosis

وعقاد الشعـــر Trichonodosis

والعراق المصـــن Asmidrosis

والعراق الفسفورى Phosphoridosis

الصحــــــام Ochronosis

وترجم الى العمه الحسى مصطلح Agnosis

وهو القصور عن تمييز الاشياء وانواعه :

ا) عمه سمعـــى Auditory agnosis
ب) عمه بصـــرى Optic Agnosis
جا) عمـــه لمسى Tactile agnosis

وترجم الى العمه الحركى المصطلح Apraxia Agnosis

وهو عدم القدرة على الاتيان بحركة ذات قصد .

وهناك عشرات من الامثلة لهذه المجاميع من الكلمات او المصطلحات التى تتقارب فى معانيها وتتفـــاوت فى دلالتها ومن اسف ان المراجع الاجنبية كثيرا ما تستعمل الكلمة الواحدة لاكثر من معنى ومدلـــول . فكان على المترجم ان يحتاط كذلك . ومن حسن حظ العربية انهـــا غنية جدا بالمترادفات وان فقهها من اغنى لغات الارض بالمدلولات والالفاظ والاقيســة ، وكانت الطريقة الوحيدة هى جمع هذه الاشياء وتسليط الاضواء عليها واستنباط المدلولات الحقيقية لها والغوص فى المعاجم لاستخـــراج الكلمة الملائمة وتعميم الاستعمال والتزامه .

« الوحـــدات والرمـــوز والثوابت »

وهناك صعوبة الوحدات والمواصفـــات والمقاييس واستعمال الرموز المناسبة لكل وحدة ، وتميزت اللغات الاجنبية بالخطوط المتغايرة ، فالرومانى والاغريقـــى والايطالى والخفيف والثقيل والكبيـــر والصغير لكـــل صورة مما جعلنا نحصل على مئات الصور للحـــروف الابجدية ، ومن حسن الحظ ان الخط العربى هو ايضا متعدد الصور فهناك النسخ والرقعة والثلث وما الى ذلك فنجد مثلا هذه اصور :

الكاف	ـ كـ	ـكـ	ك	ك
الميم	ـ مـ	ـمـ	م	ـم
النون	ـ نـ	ـنـ	ن	ـن
الجيم	ـ جـ	ـجـ	ج	ـج
السين	ـ سـ	ـسـ	س	ـس
القاف	ـ قـ	ـقـ	ق	ـق
الياء	ـ يـ	ى	ى	ى
الراء	ـ ر	ـر	ر	ـر

فكان علينا ان نؤلف بين هذه الحروف لنجد الرموز الكافية لمئات الوحدات والمقاييس والعناصر ، فهناك رموز للثوابت مثل ثابت سرعـــة الضـــوء ، ثابت ، فوجادرو ، ثابت فراداى ، ثابت شحنة الالكترونات ، ثابت الجاذبية ، وثابت لكتلة الالكترون .

وهناك وحدات المقاييس من طول وعرض وارتفاع ونصف القطر والقطر والزاوية والمساحة والحجم .

ووحدات الوقت والزمن والتردد والسرعة وطـــول الموجة والاتساع والكثافة والعزم والشغـــل والقـــوة والوزن والضغط والطاقة والقـــدرة والكفـــاءة والشد والثنى والانحراف والالتواء والاحتكاك واللزوجة والولاء والتوتر والتيار والمقاومة والحـــد والسعـــة والفيض والجهد والمقاومة والمانعـــة والمجـــاوزة والمواصلـــة والاضـــاءة .

ثم معاملات الانكسار والانحراف ودرجات الحرارة والتمدد والموصلية والعدد الـــذرى والـــوزن الـــذرى والتكافؤ والتحلل والتأين .

ثم المتر والمليمتر والسنتيمتر والميكرون والميليلتـــر والثانية والدقيقة والساعة والسيكـــل والكيلوسيكـــل والجرام والميلجرام والكيلوجرام .

والسعر والكيلو سعر والواط والفولط والامبير والجول والتنديلة والكولومب والفولط كولومب والفولط امبير والهنرى والفاراد والكورى والميكروكورى ، والبوصة والقدم والياردة والجالون والحبة والاوقية والباوند والباوندال والحصان ، الخ .

هذه امثلة لوحدات لا تجاوز المئة وهناك غيرها لا يتسع المقام لذكرها عدا اكثر من مائة من العناصر الكيميائية ينبغى ان يتفق على رموز من حروف عربية لها . وقد قال قوم بالابقاء على الوحدات والرموز الاجنبية الا ان هذا الراى قد رفض ورؤى التزام بالعربية والمعادلات الكيميائية رؤى تعريبها هى الاخرى ما دامت الرموز قد عربت جميعها .

وتتبين الصعوبة اذا عرفنا ان القدرة والقوة والقطر، وقوة المجال لمغنطيسى والقوة الدافعة الكهربائية والطاقة والدقيقة كل هذا وغيره كثير يرمز اليه بالحرف « ق » ولا بد من التمييز بينها فقد يقع اثنان او اكثر فى معادلة واحدة كذلك المساحة والسعة وستوكس وغيرها يرمز لها بالحرف « س » . والشدة والشغل والشحنة ومعامل الانتشار وغيرها يرمز لها بالحرف « ش » والتردد والتيار والتورك (عزم الدوران) والوقت ومعامل الانتقال وثابت سرعة لتفاعل يرمز لها بالحرف « ت » .

وعدد افوجا درو والزمن وثابت الدوران وعدد اللفات وعدد الجزئيات والسعة الحرارية للجزء وعدد الانتقال ووحدة نيوتن كل ذلك يرمز له بالحرف « ن » .

وهكذا من عشرات الامثلة التى يرمز فيها بالحرف الواحد لعدد كبير من الاحداث والثوابت والمعاملات وما اليها من وحدات ومقاييس عالمية معيرة ينبغى ان توجد لها مقابلات بالاحرف العربية فضلا عن ان الحرف الواحد قد يرمز الى اكثر من عنصر كيميائى واحد فالزئبق والازوت والزرنيخ قد يكون رمزها جميعا «ز» فضلا عن ان حرف «ز» نفسه يرمز به لعدد آخر من الوحدات مثل وحدة ازاحة التيار ومعامل الاسموز وما اشبه .

لذلك كان لا بد من اختيار صور مختلفة للحرف الواحد فضلا عن ضرورة الجمع بين حرفين او اكثر منعا للبس وكذلك الابقاء فى بعض الحالات على الحروف الاغريقية كرموز بعض الوحدات العالمية المعيرة او الرموز الرياضية حيث بدا صعبا احيانا ايجاد رموز من حروف عربية موحدة . ولا بد ان يمضى بعض الوقت حتى تتكامل طريقة سوية مبرأة من المآخذ بعد ان يصقلها ويصححها ويسبغها الراى العلمى العام والذوق العام وبعد ان تعيننا المطابع والمسابك على ايجاد الصور المطلوبة للحروف وقد جربت صور مختلفة لخطوط النسخ والرقعة والثلث والفارسى والكوفى بل وحروف التاج التى ابتدعت حينا ثم عدل عنها .

وعلى الذين يقولون بالابقاء على الرموز والمعادلات الحروف الافرنجية ويضربون أمثلة على ذلك باللغات الاوروبية المختلفة التى اتفقت على الرموز نفسها فى هذه اللغات فاتهم ان الحروف فى هذه اللغات جميعا متشابهة الى حد كبير فضلا عن انها تكتب جميعا من اليسار الى اليمين فماذا فرضناها فى كتاباتنا وبين سطورنا العربية جاءت نشازا .

وفى علوم الحياة اقر مجمع اللغة العربية قاعدة موحدة للتصنيف كما وضع قواعد لترجمة وتعريب اسماء المواليد والاعيان ومن نبات وحيوان فاقر حلقات التصنيف الآتية :

عالم	Kingdom
عويلم	Sub Kingdom
شعبة	Phylum
شعيبة	Sub Phylum
طائفة	Class
طويئفة	Sub Class
رتبة	Order
رتيبة	Sub order
فصيلة	Family
فصيلتة	Sub Family
قبيلة	Tribe
قبيلة	Sub Tribe
جنس	Genus
جنيس	Sub Genus
نوع	Species
نويع	Sub Species
ضرب	Variety
سلالة	Race
عنزة	Strain
فرد	Individual

وقد ازالت هذه الاسماء التى اتفق عليها واقرهـا مجمعنا الموقر ازالت حيرة كانت شائعة لدى مؤلفـى كتب المواليد ، واصبح اليوم كل اسم عربـى يـدل اصطلاحيا على حلقة واحدة من حلقات التصنيف على غرار الاسماء الاعجمية المقابلة لها وواضح ان اسماء حلقات التصنيف هذه تعد من اسماء المعانى ، وانهـا ترجمت الى العربية ولم تكن الصعوبة فى الترجمة ولكن فى تخصيص كل حلقة باسم عربى واحد راجع وهذا ما اقره المجمع . وهو قرار خليق بأن يتبع مهما يكـن للبعض من آراء اخرى فى هذه المسميات وذلك لان فيه خلاصا من فوضى تعدد الاسماء لكل حلقة واحدة مـن حلقات تصنيف المواليد .

وقد اقر المجمع القواعد الآتية فى ترجمة وتعـريب اسماء المواليد والاعيان :

الاولى : ترجمة الالفاظ العلمية بمعانيها هـو المجـال الاوسع فى حلقات التصنيف العليا وهى الشعب والطوائف والـرتب .

الثانية : اسماء القبائل والفصائل النباتية او الحيوانية تكون عربية او معربة على حسب اسم النبـات او الحيوان الذى تنسب اليه .

الثالثة : اجناس المواليد التى ليس لها اسماء عربيـة تعرب اسماؤها العلمية اذا كانت منسوبـة الى الاعلام وتترجم بمعانيها اذا امكـن ترجمتهـا فى كلمة عربية واحدة سائغة وان لم يكن ذلك ممكنا رجـح تعـريبهـا .

الرابعة : لا مجال للتعريب فى الالفاظ العلمية الدالـة على انواع النبات لان جميع الفاظها او معظمها نعوت او صفات تترجم ترجمة فى جميع اللغـات الحيـة .

الخامسة : يوجد مجال للترجمة او التعريب جميعا فى الالفاظ الدالة على السـلالات والاصنـاف او الضـروب .

السادسة : لا مجال للبحث ولا للتركيب المزجى فى تصنيف المواليد ولا حاجة اليهما وفى اللجوء اليهما تشويه للغـة العـربيـة .

ومع ذلك فقد راى المجمع ضرورة الازدواج اى ذكر الاسماء العلمية اللاتينية فى الـدراسات العليـا وفى حالة احتمال اى لبس .

فمثلا لا مجال للتعريب فى الفقاريـات والاسمـاك والبرمائيات والزواحف والطيـور والثدييـات فى رتب الحيوان . كذلك لا مجال للتعريب فى غشائية الاجنحة وحرشفيات الاجنحـة وذوات الجنـاحين ونصفيـات الاجنحة وما اليها من رتب الحشرات وكذلك للنباتات الزهرية واللازهرية وذوات الفلقتين وذوات الفلقـة الواحدة وكاسيات البذور وعاريات البذور وما اليها.

فهذه جميعا ترجمات معقولة مقبولة مستساغة فلا معنى للتعريب هنا مطلقا وكذلك نقـول فى الفصائـل النباتية النخيلية والنجيليـة والزنبقيـة والنرجسيـة والسحلبية والخبازية وكذلك اسماء الاجناس كالقمح والشعير والخردل والقطن والورد وما اليها .

اما النوع ، فينبغى ان دل على صفة بعينها ان نردف الاسم المتفق عليه باللغة العربية بالاسم العلمى كاملا ويتعين ذلك خاصة فى الحالات التى تختلف فيها المسميات فالبطاطس فى مصر هى البطاطا فى سوريا ، والخوخ هو الدراق والكمثرى هى الاجـاص . بـل ان الديس والبوط والبردى اسماء مختلفة لنبات واحـد ولكنـه يعرف بأسماء مختلفة فى الجهات المختلفة ففى كل هذه الحـالات وفى مجـال البحث العلمـى والكتابـات العلمية يتعين الازدواج وذكر الاسم العلمى باللغـة اللاتينيـة .

**

« فى الجيـولـوجيـا »

وفى المصطلحات الجيولوجية تسعفنا العربية بالفاظ تحدد الفروق الدقيقة بين درجات متفاوتة من النـور والظلمة والعمق والضحالة والملوحة والعزوبة والبرى والتفتت والتشقق والانفصال والانفصام وما الى ذلك فاذا بها معطاء كأجزل ما يكون العطاء .

فنجد النور والغسق والدغش والغبق والاظلام .

كما نجد الضحل والغائر والعميق والسحيق .

وفى مدى استجابة الصخور ورد الفعل فيها بالنسبة للحركات الارضية .

فاصـل وتفصل .... Joint, Jointing

صدع وتصدع .... Fault, Faulting

شق ، تشقق .... Facture, Facturing

دسرة ، ودسر .... Thrust, Thrusting

تفلـــــق	Cleavage
انـــــزلاق	Slipping
تـــزحلـــق	Sliding
زحـــــف	Creeping

وفى بــــاب الطــــى :

طيـــة وطـــى	Fold, Folding
ثنيـــة وثنـــى	Plicate, Plicating
تـــمـــعـــرج	Corrugation
قبـــة ، تقبب	Deme, Deming

وفى درجات ملوحية الماء نقول :

مـــاء عـــذب	Fresh water
مـــاء مسوس	Brackish water
مـــاء ملـــح	Saline «
مـــاء زعـــاق	Hypersaline water
مـــاء اجـــاج	Brine water

وفى بـــاب مـــا يشبـــه :

غـــراوانـــى	Colloid
بلـــورانـــى	Crystalloid
فلـــزانـــى	Metalloid
سكـــرانـــى	Saccharoid
كـــروانـــى	Spheroid
دلتـــانـــى	Deltoid

وفى موضوع البرى والسحج والتحات والتآكل ونقـــول :

البـــرى او السحج	Abrasion
التحـــات	Erosion
التـــآكـــل	Corrosion

نقـــول :

صـــواعـــد	Stalactites

وهى اعمدة من كربونات الكلسيوم ترسبت فى ارضية الكهف بسبب بخر الماء متجهة الى اعلى :

وهـــوابـــط	Stalactites

وهى اعمدة من كربونات مدلاة من سقف الكهف بسبب بخر الماء متجهة الى اسفل . وهى صيغ عربية سليمة ما اظن ان الاقدمين قد استعملوها .

وفى مراتب ومراحل الزمن الجيولوجى نقول : الدهر والحين والحقب والعصر والبرهة واللحظة .

1) الـــدهـــر : Eon

اطول مرحلة من مراحل الزمن الجيولوجى لا يقل مداها عن عدة مئات قد تصل الى الف او اكثر مـــن ملايين السنين . مثل دهر الحياة الظاهرة .

2) الحيـــن : Era

اطول مراحل العصر فى الزمن الجيولوجى ويقاس مداها ببضعة ملايين من السنين (لا يتجاوز العشرة عادة) ويتميز كل حين من الاحيان الجيولوجية بفصائل اجناس حيوانية ونباتية يبيد معظمها مع نهايته . مثل حين الحياة القديمة .

3) الحـــقـــب : Period

المدة من الزمن ترسبت اثناءها صخور المجموعة وتقدر بمئات الملايين من السنين مثل الحقب الكربونى

4) العـــصـــر : Age

اطول مرحلة من مراحل الحقب ويقاس مداها بعدد قليل من عشرات الملايين من السنين . ويتميز كل حقب برتب وفصائل حيوانية ونباتية تنقـــرض اغلبهـــا او تقل اهميتها الجيولوجية مع نهاية الحقب .

ولم تسمح وسائل تقسيم الاحقاب الى عصور الا فى الاحقاب الثلاثة الاخيرة فقط التى تتبع دهر الحياة الظـــاهـــرة .

5) البـــرهـــة : Hemero

مرحلة من الزمن الجيولوجى يقاس مداها بمئات الآلاف من السنين ويندر ان يبلغ مداها اكثر من مليون سنة . وهى اطول مرحلة ينقسم اليها حين من الاحيان الجيولوجية ويتميز بازدهار نوع معين او عدة انواع معينة من الحيوانات او النباتات تنقرض او تقـــل فى الاهمية الجيولوجية كثيرا مع نهايتها .

6) اللحـــظـــة : Moment

اقصر مراحل الزمن الجيولوجية واصغر وحداته ولا يتجاوز مداهـــا بضع عشرات مـــن آلاف السنين ويتميز بسيادة نوع معين من الكائنات خلالها او بمرحلة معينة من تاريخ هذا النوع .

« جهــود مجمـــع اللغـــة العربيـــة »

وإذا نحن عرضنا للهيئات التى كان لها الفضل فى هذه الحركة المباركة من تطويع اللغة العربية للاستعمال فى التعبيرات والمصطلحات العلمية فاننا لنضع على راسها مجمع اللغة العربية . فهو الذى يسر الامر بجهود اعضائه وخبراته من اساتذة الجامعات المتخصصين فهم جميعا قوم عاكفون على صون اللغة وسلامتها وهى الضمان الوحيد للتفاهم الصحيح بين قطان الوطن العربى اذ ان العامية واللهجات المختلفة لا يستقيم بها تخاطب ولا تفاهم وانما يكون ذلك باللغة العربية السليمة التى يحافظ عليها وينميها مجمع اللغة العربية باعضائه ولجانه وخبرائه وكانت حصيلة جهوده فى هذا المجال خمس عشرة مجموعة تضم عشرات الالوف من المصطلحات فى العلوم المختلفة .

« المجمــع المصرى للثقافــة العلمية »

واذكر بالتقدير المجمع المصرى للثقافة العلمية وقد عاصرته منذ انشائه منذ نيف واربعين عاما لا انكر انى تخلفت عن محاضرة من محاضراته او مؤتمر من مؤتمراته الا لعذر قاهر طارئ لقد جعل من اهم اغراضه تعريب العلم ونشر الثقافة العلمية باللغة العربية . وقد حقق هذا الغرض كاملا بما نشر واذاع من كتب ومحاضرات وبما ترجم وعرب وناقش من موضوعات هى من صميم الموضوعات العلمية نشرها على الناس بلغة عربية سليمة لقد استحق اعضاؤه ومؤسسوه كل تقدير ان اسهموا باوفى نصيب فى خدمة اللغة العربية وتطويعها للتعبير العلمى .

ولا ننسى المؤتمرات العلمية العربية التى نظمها الاتحاد العلمى العربى والمؤتمرات العلمية العربية والمؤتمرات الطبية العربية التى عقدت فى العواصم العربية منذ عشرين عاما . فقد عقد المؤتمر الاول فى الاسكندرية سنة 1953 ، وكان الثانى فى القاهرة سنة 1955 . والثالث فى بيروت سنة 1957 ، والرابع فى القاهرة سنة 1961 ، والخامس فى بغداد سنة 1966 ، والسادس فى دمشق سنة 1969 ، والسابع فى القاهرة سنة 1973 . لقد عرضت من بين ما عرضت لموضوعات المصطلحات واوصت من بين ما اوصت بضرورة الاسراع فى وضع معجم علمى عربى موحد اعد له نحو مائة الف مصطلح روجعت حيزا ذات نحو ثلثها ومن اسف ان توقف العمل فيه وكان ذلك فى كنف وزارة البحث العلمى ثم اكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا .

وكذلك عقدت مؤتمرات طبية عربية كثيرة كونت هيئة لترجمة المصطلحات كانت نواة لتاليف لجنة المصطلحات الطبية بمجمع اللغة العربية .

وينبغى ان نذكر بالشكر جهودا اخرى بذلتها جامعة الدول العربية حين جمعت الادارة الثقافية بها ـــ المصطلحات العلمية التى تستعمل فى المدارس الثانوية وعملت على توحيد ترجمتها فى الاقطار العربية فجمعت مئات المصطلحات مما يستعمل فى الرياضيات والكيمياء والطبيعة والنبات والحيوان وعرضتها على المتخصصين فى البلاد العربية وقد اقرت الترجمة العربية الموحدة فى المؤتمرات العلمية .

« خبيــر اجنبــى »

ولعلنا ان نذكر فى هذا الصدد جهود خبير اجنبى هو السيد « جمبلت » الذى استقدم بمعرفة اليونسكو ابان انعقاد المؤتمر العلمى العربى الثانى سنة 1955 ، وامضى بمصر ستة اشهر عكف فيها على جمع نحو الف واربعمائة مصطلح فى علم الطبيعة جميعها وتعريفها من المعاجم المعيرة وفرقها فى جذاذات وزعت على المتخصصين لترجمتها ، ثم جمعت فى كتاب يقع فى جزأين عرضت بعد ذلك فى المؤتمر العلمى الثالث فى بيروت . وقد اشار الخبير بمعالجة المصطلحات جملة حسب الموضوعات لا فرادى حسب الترتيب الابجدى كما اشار بانشاء مكتب خاص للمصطلحات وباستعمال النظام العشرى العالمى فى تنسيقها وتبويبها .

« مكتــب التعــريب »

وها هو ذا مكتب التعريب يقوم بدوره فى هذا المجال وقد اخرج حتى الآن عددا من المجموعات التى تضم الوف المصطلحات .

« معــاجم مختلفــة »

ولعلنا نذكر كذلك عددا من المعاجم كان لها اثرها

فى تذليل الصعاب مثل معجم شرف للمصطلحات الطبية والعلمية ومعجم المعلوف للحيوان ومعجم عيسى للنبات ومعجم الالفاظ الزراعية للامير مصطفى الشهابى ثم معجم المصطلحات العلمية والفنية الذى يضم نحوا من خمسةوثلاثين الف مصطلح فى العلوم الميكانيكية والهندسية والرياضية والطيران والبحرية وما اليها .

وهناك المعجم العسكرى الموحد الذى اشرفت على اصداره جامعة الدول العربية ويضم نحو ثمانين الف مصطلح .

لعله قد آن الاوان لتنسيق هذه الجهود جميعا والعمل على اصدار معجم علمى عربى موحد وهو ما اوصت به المؤتمرات العلمية العربية المختلفة وكذلك العمل على اصدار دورية علمية عربية تكون مدرسة لكبار المتخصصين لنشر الثقافة العلمية الرفيعة والموضوعات العلمية المتخصصة الدقيقة .

« خـاتمـة »

وخلاصة القول ان اللغة العربية قد اثبتت قدرتها على التعبير العلمى وعلى نقل المصطلحات العلمية الدقيقة اليها وانها قادرة على ملاحقة التقدم العلمى فى مختلف مجالاته لولا هذا التعويق الذى يأتى عن طريق نفر من ابنائها ولا يصبرون على ادائها يستسهلون استعمال اللغات الاجنبية فيظن شبابنا ان هذه العلوم مستوردة من الخارج مع انها بضاعتنا ترد الينا ومع اننا نحن العرب اهل اصالة واثالة فيها .

ومن الحق ان نقول ان التعليم فى كل بلاد العالم العربى اصبح بالعربية ، فيما عدا قلة ضئيلة تلك التى تعددت فيها اللغات الاقليمية او التى خضعت للاستعمار الاجنبى ردحا طويلا ، فاضطرت لاتخاذ لغة المستعمر لغة رسمية وتعليمية لها .

ونحن فى وطننا العربى لا نستطيع ان نحقق ديمقراطية التعليم ما لم يكن باللغة القومية ولست ادرى لماذا لم تكن العربية هى لغة التدريس فى الجامعات العربية ؟ فلماذا يتعين ان تكون الانجليزية او الفرنسية ؟ ان استعمال اللغة العربية فى التعليم الجامعى انما هو وسيلة اكيدة للابداع العلمى وربط الجامعة بالمجتمع ورفع المستوى الثقافى والعلمى للامة العربية ومنع الانفصال بين التفكير والتعمير ولامراء فى ان الدعوة الى بناء المجتمع العربى تبقى ناقصة اذا اغفلت التركيز على اللغة العربية باعتبارها المقوم الرئيسى للوجود العربى وليس معنى اتخاذ العربية لغة للتدريس فى الجامعات والمعاهد عدم العناية باللغات الاجنبية بل على النقيض ان ذلك ادعى بمضاعفة الجهد فى سبيل تقوية الطلاب فى اللغات الاجنبية وذلك لمتابعة الاطلاع على المنجزات العلمية بلغاتها الاصلية .

واذا كان قد غدا من العسير ملاحقة التقدم العلمى الهائل حيث ينشر اكثر من مليونين من البحوث العلمية المبتكرة سنويا فى اربعين لغة فلا اقل من ملاحقة ما ينشر باللغات الاجنبية الاكثر شيوعا كالانجليزية والفرنسية والروسية والالمانية الى جانب الوف الكتب العلمية التى تنشر بهذه اللغات ، وانما يكون ذلك بتقليد ما فعله الرشيد والمأمون من انشاء ديوان للترجمة فى بيت الحكمة فى العصر الذهبى للحركة العلمية فى العصر الاسلامى .

والآن وقد ثبتت قدرة اللغة العربية على التعبير العلمى فحبذا ان يوصى مؤتمرنا بالآتى :

1 — لان تكون العربية لغة التدريس فى جميع الجامعات والمعاهد العربية .

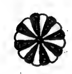
2 — الاسراع فى اصدار معجم علمى عربى موحد .

3 — انشاء ديوان للترجمة تحشد له ارقى الكفايات العلمية لنقل البحوث والكتب العلمية الى اللغة العربية .

4 — تأكيد العناية بتدريس اللغة العربية واللغات الاجنبية فى المدارس والجامعات والمعاهد .

وبعد ، فانه مما يشرف جيلنا ان تنفى عن العربية تهمة الجمود والقصور وان نجعلها لغة العلم كما فعل اسلافنا فى الزمن الماضى ، حين جعلوا منها لغة للنشر العلمى العالمى وعنها نقل اهل اوروبا علوم العرب وفنونهم ـ ولولا هذه الاغفاءة التى طالت بضعة قرون لكان الحال غير الحال ، ولاستمر قصب السبق فى ايدينا ، تدل به على من نشاء ، وها نحن ننضو ثوب الخمول ونركض نحو المجد وثبا نريد ان نستعيد

مجد السلف وان نلحق بالركب ونشارك فى بناء صرح المدنية والحضارة ونحن الذين اسسنا بنـــاءه واقمنــا دعائمه فى سالف الازمان ، ونمد نهر المعرفة برافــد من اعذب روافده واغزرها مادة واسلسهـــا اسلوبا وافصحها بيانا ، انها معرفة علميـــة صيغت بلغــة الضاد يقرؤها مائة مليون من الانفس هم قطـــان الوطن العربى نريد لهم وحدة قوية عزيزة ، ومحاطة بسياج من العلم ، سداها العلم ولحمتها العلـــم ولغتهـــا العربيـــة الفصحـــى .



ملاحظات حول تطوير اللغة العربية لمسايرة التطور العلمي التقني .

د. محمود الجليلي
عضو المجمع العلمي العراقي

تضمن جدول اعمال مؤتمر التعريب الثانى المقرر عقده فى الجزائر فى شهر كانون الاول (ديسمبر) 1973 بحوثا للمناقشة فى الاجتماع العام للمؤتمر منها (الطرق المتبعة لتطوير اللغة العربية العلمية) ، واقترحت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم اعداد بحث عن الموضوع . فقمنا باعداد الملاحظات التالية الغرض منها اثارة النقاش وتوجيهه وجهة عملية.

1 ـ ان اتساع اللغة العربية يجعلها قابلة للتطور لتستوعب النمو السريع فى مختلف العلوم والفنون ، وقد سبق لها ان استوعبت العلوم والفلسفة قبل مئات السنين ، وهى الآن ماضية فى نفس السبيل .

2 ـ ومن اهم العناصر اللازمة لتطوير العربية وجود مصطلحات تفى بالاغراض العلمية التى اصبحت سرعة نموها فى سنوات اكثر مما كانت عليه فى قرون . وقد اولت المجامع فى البلاد العربية المصطلحات العلمية والحضارية عناية متزايدة، كما اخذ الباحثون يعملون بجد فى هذا المضمار ، ولكن لا بد من ان نؤكد نقطة مهمة وهى ضرورة العمل على توحيد هذه المصطلحات قبل ان تتعدد وتتنوع فى الاقطار العربية ، فيصعب بعد ذلك توحيدها بعد ان تكون قد رسخت فى القطر الذى وجدت فيه . ان وجود مصطلحات موحدة متفق عليها او مقبولة فى الاقطار العربية اصبح حاجة ملحة .

ومما يجب التنويه به ان انشاء اتحاد المجامع العربية والاتحادات العلمية والمهنية الاخرى خطوة مهمة فى تسهيل وتوحيد المصطلحات . وقد تم انجاز المعجم العسكرى الموحد بسعى جامعة الدول العربية ، وتم انجاز معجم المصطلحات الطبية بسعى اتحاد الاطباء العرب ، كما اقرت مصطلحات كثيرة فى مختلف العلوم فى اجتماعات للمتخصصين او المعنيين بها فى الاقطار العربية.

3 — وقد كان تيسير اللغة العربية موضع اهتمام منذ عشرات السنين . ويجب ان نفرق بين مجموعتين من طلاب الدراسات العربية : اولئك الذين يختصون بها وعليهم اتقانها على اوسع مدى واولئك الذين يختصون بفروع اخرى من المعرفة كالطب والهندسة والعلوم الصرفة (البحتة) او التطبيقية ، والذين عليهم اتقان مقدار كاف يسهل لهم حسن الاداء من دون خطأ ، اذ لا يمكن الفصل بين الفكرة العلمية والتعبير عنها ، واللغة اداة عرض الفكرة وواسطة التفاهم بين المشتغلين بالعلوم .

ان الحاجة الى لغة عربية للمشتغلين بالعلوم واضحة ، وتزداد مع تقدم العلوم السريع ، ويوجد فى لغات كثيرة كتب لغوية للمشتغلين بالعلوم عامة والعاملين بفروع علمية او فنية خاصة . وقد حان الوقت لاعداد شيء من ذلك باللغة العربية . خاصة ونحن نجد كثيرا من المشتغلين بالعلوم ليس بامكانهم الكلام او الكتابة بلغة صحيحة خالصة من الخطأ .

ولا بد ان نذكر ان طلبة المدارس بعد انهائهم احدى عشرة او اثنتى عشرة سنة من الدراسة ليس بامكانهم — الا من ندر — التكلم او الكتابة دون لحن او خطأ كبير ، كما ان كثيرا من طلبة الجامعات فى الدراسات العلمية وربما الادبية هم كذلك . فلا بد من بحث وتقييم الطرق التى يدرس بها الطلاب اللغة العربية ، فهل الخطأ فى اعداد الطالب ، ام فى اعداد المدرس ، ام الخطأ فى مادة وطريقة التدريس ، ام فى الكتاب المدرسى ، ام الخطأ فى اكثر من جهة واحدة .

4 — ولقد عملت لجان الاصول خاصة فى مجمع اللغة العربية فى القاهرة ثم فى المجمع العلمى العراقى على تذليل بعض الصعوبات ، كما قام بعض الباحثين بشئ من ذلك وقد حظى القياس والاشتقاق واستعمال صيغ للدلالة على الاعراض او الحرف او الآلات ، ولكن العربية ما زالت تحتاج الى كتاب فى النحو والصرف يحتوى القواعد العامة ويتجنب الشواذ . ويوجد باللغات الاجنبية كتب من هذا النوع تتدرج مع الطالب ، او تكتب لمعلمى اللغة من الاجانب .

لقد جرت محاولات لتسهيل النحو وتيسيره ولكن الذى نحتاجه هو كتاب لطلبة العلوم لا لطلبة قواعد اللغة .

5 — يضاف الى ما تقدم توضيح الاملاء بحيث لا يترك مجالا للخطأ مثال ذلك تنقيط الياء لتفريقها عن الالف اليائية مثل المصفى والمصفى ، اذا لم يكن ثمة مجال لكتابة الالف المقصورة الفا قائمة .

غير ان الدعوة الى اجراء تبديل فى الحروف العربية لا مبرر لها وقد تؤدى الى قطع صلة الامة بماضيها وتراثها . اما مشاكل الطباعة فلم تمنع النشر باللغة العربية منذ ان عرفت الطباعة ، وحلها يكون عن طريق التطور التقنى فى هذا الشأن .

6 — الاسلوب العلمى — ان عرض الفكرة العلمية يحتاج الى اختيار دقيق للكلمات واستعمال موفق للجمل ، وذلك يستوجب تحديد المعانى واستعمال الكلمات بوضوح بحيث يقل المجاز المرسل وغيره مما ينافى دقة التعبير العلمية ، وتقل الصيغ والتعابير التى فيها مجال كبير للتأويل والتفسير ، ومن المستحسن ان يصار الى الاسلوب الموضوعى المجرد بدل الاسلوب الشخصى .

ومن الضرورى ان تحتوى كتب الادب واللغة نماذج من الكتابات العلمية الى جانب الشعر والنصوص الادبية الاخرى . وهناك مسألة النسبة فى اللغة وضرورة الاستعانة بها للتميز الدقيق كأن ينسب بطرق مختلفة للتدليل على معان مختلفة كأن يقال فى النسبة الى كلمة بيضة بيضى عند ما تقصد البيضة ومشتقاتها ، ويقال بيضوى عند ما يقصد شكلها ، وكذلك النسبة الى الجمع او المفرد للتفريق فيقال جرثومى عند ما تقصد الجرثومة ويقال جراثيمى عند ما يقصد المختص بعلم الجراثيم .

7 — ان الاستعمال الدقيق للمفردات يوجب بحث الترادف فهل هو ترادف صحيح ام ان لكل كلمة مدلولها المميز ، ام ان كل قبيلة كانت تستعمل

كلمة دون اخرى . وما يضيرنا فى اللغة العلمية اذا حددنا لكل من هذه المترادفات مدلولا خاصا. اما الاضداد فلا بد من اهمالها .
ان تحديد المعنى الدقيق للكلمة يستوجب معرفة تطور استعمالها .

ولنضرب لذلك مثلا كلمة التعريب . فللتعريب معان متعددة اقربها الى ما نحن بصدده قول مجد الدين الشيرازى (الفيروزابادى) فى القاموس المحيط (والتعريب تهذيب المنطق من اللحن) ، وفى لسان العرب لابن منظور قوله (وتعريب الاسم الاعجمى ان تتفوه على منهاجها، تقول عربته العرب واعربته ايضا) .

وفى المعجم الوسيط الذى اخرجه مجمع اللغة العربية التعريف الآتى (اعرب الاسم الاعجمى نطق به على منهاج العرب .. وعرب الاسم الاعجمى عربه ..)

وعند بدء المصطلحات العلمية بحث « التعريب » بحثا واسعا وتقرر استعماله فقط عند الضرورة القصوى .

ولكنا نجد انه اصبح للكلمة مدلول آخر ، فاصبح الكلام عن (تعريب التعليم) مألوفا ويقصد به التدريس باللغة العربية ، وكذلك اسم مؤتمرنا هذا (مؤتمر التعريب الثانى) وكما سبق ان انشىء (المكتب الدائم لتنسيق التعريب) واصدر دراسات وابحاث عديدة .

8 — على ان تسهيل اللغة العربية للعلوم يجب ان لا يدع مجالا لتسلل العامية او الركة الى اللغة الصحيحة ، فهناك درجات من البلاغة فيجوز استعمال البليغ مع وجود الابلغ وكذلك هناك درجات كافية من المرفة بقواعد اللغة واصولها لتؤدى الى اداء صحيح بها كتابة او تكلما .

9 — ان استمرار البحث العلمى فى اللغة واستنباط القواعد الشاملة من الامور الضرورية ، وقد يكون فى استعمال الحسابة فى ذلك ما يسهل هذه البحوث .

10 — ولاجل ان تتمكن اللغة العربية مسايرة التطور العلمى والتقنى فلا بد من اتباع السبل التالية :

1 — ايجاد مصطلحات موحدة تستعمل فى البلاد العربية ، بامكانها مسايرة التطور السريع فى العلوم .

2 — استعمال الاسلوب الواضح الدقيق واللغة الصحيحة فى التخاطب ولكتابة والتدريس ، وابتعاد وسائل الاعلام كالاذاعة من غير ذلك .

3 — تأليف المعاجم المتخصصة وقد الف بعضها ، ومن المفيد تأليف معجم للتطور الحضارى لاستعمال الكلمات .

4 — اصدار نشرات او مجلات دورية باللغة العربية فى مختلف العلوم تحتوى على البحوث الاصيلة والتطبيقية اضافة الى بحوث مراجعة المصادر والمستخلصات والخلاصات .

*

حول مشروع دليل المصطلحات العربية الموحدة في العلوم الإدارية

الدكتور مصطفى الباروودي

شرفنى « المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى » بالرباط بمهمة علمية سامية حيث عرض على المشروع الذى اعدته « المنظمة العربية للعلوم الادارية التابعة لجامعة الدول العربية » كدليل للمصطلحات العربية فى العلوم الادارية ، لعلى بعد الاطلاع عليه استطيع أن اضع المقابل الفرنسى لكل مصطلح ورد فى هذا المشروع الذى حرص واضعوه على ان ينطلقوا من التعابير الانكليزيــة وحدهـــا فيضعـــوا مقابلهـــا باللغـــة العـــربيـــة .

وما ان تصفحت مشروع الدليل هذا حتـــى تأكدت ان مثل هذه المهمة لا تتحقق الا على يد عدد من الاعلام المتخصصين يجتمعون لهذه الغاية - ويكون جلهم مـــن الذين جمعوا فى تكوينهم العلمى بين الثقافتين الفرنسية والانكليزية - فضلا عن تضلعهم باللغـــة العربيـــة ، ويحسن أن يكون فيهم اكبر عدد ممكن مـــن اساتذة الحقوق الادارية فى مختلف كليات الحقوق فى العـــالم العربى ! وفى سبيل دعم الدعوة الصادقة اقدم هنـــا هذه الدراســة السريعة للمشروع الذى اثار عنـــدى كوامن الذكريات وجدد الآمال بتوحيـــد سليم ، على الصعيد العلمى والادارى للتعابير المتداولة ، على اقل تقدير ! ..

والحقيقة ان مشروع الدليل هذا قد ايد انطباعى الاول عن « المنظمة العربية للعلوم الادارية » التـــى اشرفت على اخراجه ، فلقد كان وافانى — فى النصف الاول من عام 1971 — الصديق المرحوم الاستاذ عبد الرحمن بن عبد النبى بكثير من منشورات المنظمة لما كان مديرا للمدرسة الادارية المغربية فزار القاهرة فى مؤتمر للعلوم الادارية وعاد يحمل تلك الدراسات التى صدرت عن المنظمة ، وقد قلت له — رحمه الله — لما تذاكرت معه فى وضع « المنظمـــة العربيـــة للعلـــوم الادارية » فى ضوء القائمة الكاملة لما صدر عنهـــا : « كانى بهذه المنظمة تنسى ان اكثر العـــالم العربـــى

يستقى الحقوق والعلوم الادارية عن اصل فرنسى ، فلماذا تطبع المنظمة نفسها بطابع موسوم بالاخذ عن الاصل الانكليزى وحده ؟ » .

ولو رجعنا الى اصل انشاء هذه المنظمة ، لوجدنا ان من بين الحوافز الى انشائها ما كان اقترحه الاساتذة العرب فى الحقوق الادارية المشاركون فى اعمال المؤتمر الدولى العاشر للعلوم الادارية المنعقد فى مدريد فى ايلول — سبتمبر 196 ، وهم الاستاذ الكبير الدكتور محمد فؤاد مهنا ، والاستاذ المرحوم الدكتور توفيق شحاتة ، وكاتب هذه السطور ، حيث اقترحنا فى رسالة خطية الى جامعة الدول العربية تأسيس منظمة عربية للعلوم الادارية ! ..

وقد لقى الاقتراح قبولا حسنا ، ودعيت من قبل جامعة الدول العربية بالتوافق مع الحكومة السورية للحضور الى القاهرة فى شهر ايار — مايو 1957 للمذاكرة فى عقد اول مؤتمر عربى للعلوم الادارية فى دمشق للنظر فى شؤون كثيرة من بينها تأسيس المنظمة .

وانعقد المؤتمر فعلا فى دمشق فى تشرين الثانى — نوفمبر 1957 ، وتلاه مؤتمر ثان فى الرباط فى كانون الثانى — يناير 1960 ، وتم فى المؤتمرين وضع اسس احداث المنظمة ، وكان بين الذين قرروا ذلك كبار المتخصصين فى العالم العربى فى الحقوق والعلوم الادارية ، ممن يغلب على تكوينهم العلمى الاخذ عن المدرسة الفرنسية فى الحقوق الادارية ، مع معرفة بمعالم العلوم الادارية فى العالم الانكلوساكسونى ، ويقينى انه لم يخطر على بال احد منهم وقتئذ ان المنظمة ، اما رات النور ، ستولى وجهها شطر العالم الانكلوساكسونى وحده ، فتقتصر على مسائل ادارية مستقاة عن ذلك الاصل الذى لا يأخذ عنه الا عدد قليل من دول العالم العربى سواء من حيث الرقعة ام من حيث السكان ! .

فلقد اخذت عن الاصل الفرنسى دول المغرب العربى الكبير (باستثناء ليبيا) واعنى المغرب والجزائر وتونس ، وكانت الدولة الوحيدة العربية من دول افريقيا التى قد يصدق فيها انها استقت عن الاصل الانكليزى وحده دولة السودان ، فى حين جمعت مصر بين المصدرين الفرنسى والبريطانى ، حتى غلبت على حقوتها الادارية القواعد ذات الورد الفرنسى بعد احداث مجلس الدولة كقضاء ادارى مستقل فيها ، واعتقد ان ليبيا تأخذ عن المصدرين معا ايضا بحكم صلاتها الوثيقة لدى استقلالها عام 1951 ، وهنالك فى آسيا : سورية ولبنان الغنيتان جد الغنى بتجارب التعريب اخذا عن المصدر الفرنسى وحده تقريبا ، بسبب الانتداب الفرنسى عليهما ، وحتى العراق والاردن اخذنا بشىء من قواعد الحقوق الادارية على الطريقة الفرنسية مع اتصالهما الوثيق بالانتداب البريطانى فى الاصل ، فى حين غلب الاصل البريطانى وحده كمنهل للعلوم الادارية فى فلسطين وفى دول الخليج العربى ..

ان دولا عربية تبلغ من الشأن ما يبلغه هذا العدد الذى سقناه منها ، وهى تأخذ عن اصل فرنسى ، جديرة بأن تلقى اكبر العناية فى مهمة تنسيق التعريب وتوحيد المصطلحات فيما بينها ولكم كانت « المنظمة العربية للعلوم الادارية » تكون اكثر توفيقا فى عملها ، وهى قائمة فى مصر نفسها لو انها استفادت من كفاءة امثال الدكتور محمد فؤاد مهنا ، والدكتور عثمان خليل عثمان ، والدكتور سليمان الطماوى ، ومن كثيرين غيرهم سواء فى كليات الحقوق ومعاهد العلوم الادارية ، ام بقية المتخصصين من كبار رجال الدولة فى الاجهزة الادارية فى مصر نفسها وفى غيرها ، ممن يحيطون احاطة علمية واسعة عربية فرنسية انكليزية ، بالحقوق والعلوم الادارية ، ولو شارك بعض هؤلاء فى وضع الدليل لكان خرج على غير الصورة التى نشرته عليها « المنظمة العربية للعلوم الادارية » .

ولعل حجتنا الكبرى هنا ، وجوهر بحثنا فى صدد الدليل للمصطلحات العربية الموحدة ، ان احدا من المتخصصين بعمق فى الحقوق والعلوم الادارية لا يخفى عليه التباين الكبير بين الاصل الفرنسى والاصل الانكلوساكسونى ، فالحقوق الادارية الفرنسية ولدت بالاجتهاد للتبرؤ من قواعد الحقوق الخاصة على صعيد عمل الادارة العامة ، فى حين بقيت اكثر قواعد الحقوق الادارية الانكلوساكسونية تتسم بطابع الحقوق الخاصة .

ليس صحيحا اذن ، ان ينطلق « مشروع دليل المصطلحات العربية الموحدة فى العلوم الادارية » من

نقطة انطلاق انكليزية محضة ، وكاننا نقدم التعـريب ومصطلحاته الى العـالم الانكلوساكسونـي نفسه ، وليس الى دولنا العربية ، وبخاصة اذا ما وجدنـا فى الدليل تعابير لا نحتاجها اصلا فى الحياة الادارية للدول العربية ، ونحن احوج ما نكون فى العالم العربى الى توحيد التعابير على اقل تقدير ، على الصعيد العلمى الجامعى والصعيد الادارى لاجهزة الدول العربيـة ، حيث نجد تعابير متباينة او متعددة ، لا بد من توحيدها ولو بالالـزام ..

وهنا اعرض على سبيل المثال بعض تعابير عجيبة فى مشروع الدليل لا احسب اننا نتعرض لها فى الواقع العملى او فى التدريس العلمى كمثـل التعبير رقم 1 « الملكية الغيابية » Apsent ownership

او تعابير غريبة نصها العربى المقترح كمثـل التعبير رقم 1340 « مصرفة الانفاق » Expensing او تعابير خاطئة فى صيغتها العربية المقترحة للتوحيد بالنسبـة للمقصود الانكليزى كمثل التعبير الذى تكرر فى الارقام 1429 — 1430 — 1432 ومثالـه فى التعبيـر رقم 1432 « انحراف قيمة المبيعات »
Sales value variance

وانى لاكتفى بهذه الامثلة على قلتها ، كى اقف عند كلمة « انحراف » التى نستعملها فى الفقه الادارى العربى وفى القضاء الادارى استعمالا يتباين تماما مع الموضوع الذى وضعها فيه مشروع الدليل الموحد ! ..

فقد استقر هذا التعبير على انه مقابـل للكلمـة الفـرنسيـة Détournement وتتضمن فى معناهـا اساءة الاستعمال كمثل الانحراف فى استعمال السلطة الادارية ، فى حين ساق الدليل هذا التعبير فى مجـال آخر بعيد كل البعد عن القصد ، فاظـن ان المقصود بكلمـة Variance التى وردت بالدليل — وهى كلمة انكليزية هو « الابتعاد » او هو « الميل » اى ما يقابل بالفـرنسيـة L'écart

وفى ختام كلمتى هذه السريعة حول « مشروع دليل المصطلحات العربية للعلوم الاداريـة » احـرص على القول اننى لست اطعن فى عمل جليل كهذا العمل الذى ينم عن جهود كبيرة ، ولكننى حيث اتذكر قول الشاعر العـربـى .

ولـم ار فى عيـوب النـاس عيبا
كنقص القـادريـن علـى التمـام

اقول ما قلت فى الدليل ، واقترح لتلافى نقصه ان تنعقد لجنة من اعلام الحقوق والعلوم الادارية لدى « مكتب تنسيق التعريب » فتتولى اولا اعداد مشروع يستقى — فى ضوء واقعنا العلمى والعملى — عـن الاصل الفرنسى ، فيوحد تعريب المصطلحات الآخـذة عنه لدى شتى الدول العربية ثم تنسق هذه اللجنـة بين مشروع الدليل الجديـد المقتـرح ، وبين مشروع الدليل الذى قدمته المنظمة العربية للعلوم الاداريـة على ان يعرض نتاج عمل هذه اللجنـة على جميـع المتخصصين فى العالم العربى ليقدموا ملاحظاتهم قبل ان ينعقد منهم مؤتمر يقرر بصورة نهائيـة التعـابير والمصطلحات الملزمة لجميع الدول العربية ! ..

والله هو الموفق الى مثل هذا الصراط المستقيم !

الرباط فى 26 شباط — فبرير 1973 .

الرباط — مصطفى البارودى

*

الإعلام ولغة الحضارة

الأستاذ عبد العزيز شرف
القاهرة

المقدمة

قدم كتاب « الاعلام » الى اللجنة التى شكلتها حكومة الكويت لمدارسة الكتب والموضوعات بصدد المسابقة التى اعلن عنها مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى ، وقد فاز بالدرجة الثانية وحصل على مكافأة مالية قدرها خمس مائة دولار . وفيما يلى تقرير اللجنة حول هذا الكتاب .

يقع الكتاب فى 247 صفحة من القطع الكبير ، ويتكون من ثلاثة ابواب ، اشتملت على تسعة فصول ، وخاتمة ، هى « الاعلام ومستقبل الفصحى » .

اما فصوله فهى تلقى الضوء على محتوياته ومنهجه، وبياناتها :

اللغة وتكوين الرأى العام ــ اللغة والاتصال بالجماهير ــ اللغة فى ضوء البحث الاعلامى ــ اللغة الاعلامية ــ الاعلام واللغة المشتركة ــ لغة التعبير الاعلامى ــ الاعلام والتنمية اللغوية ــ لغة الصحافة ــ لغة الاذاعة المسموعة والمرئية .

ثم انتهى بمعجم ذى شطرين : 1 ــ مصطلحات مولدة شائعة فى الاوساط الكتابية من صحف وسواها .

ب ــ مصطلحات مولدة فى المعاجم الحديثة .

ويقع هذا المعجم فى ثلاث وعشرين صفحة ، تضم الصفحة الواحدة اربعين مصطلحا ، وبذلك تبلغ المصطلحات 900 مصطلح تقريبا .

وهو بهذا يريد بثها واذاعتها ، حتى تؤدى رسالتها الاعلامية .

هدف الكتاب : يهدف الى تكوين وعى لغوى صحيح يساير الوعى السياسى والفكرى للامة العربية ، وتضييق المسافة بين لغة الخطاب ولغة الكتابة واذاعة الكتاب لتكون ذات سلطان فى التعبير الجماهيرى ، كما يحاول ان يكشف عن مزايا التعبير فى لغة الضاد ، مدللا على انها اهل لان تكون فى الصف الاول للغة الاعلام . وهو فى ثنايا بحثه يقوم بدراسة مقارنة ، عميقة ، نفسية ، اجتماعية ، لغوية ، كما يعقد موازنة بين اللغة العربية واللغات الاوربية موضحا خصائصها بالتحليل الدقيق والاستقصاء ، والاستناد الى آراء شرقية وغربية ، ثم ينتهى من كل اولئك الى انها « تتميز بالايجاز ، والموضوع ، والنفاذ المباشر ، والتأكيد ، والاصالة ، والجلاء ، والاختصار والصحة » .

بعض المآخذ :

من المآخذ الفنية :

1 — فى صفحة 83 . كتبت الآيات الكريمة محرفة .
— فتولى فرعون .. كيده ثم اتى .. والصحة :
« فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى » .
ب — انما نعوا كيدا ساهرا ولا يفلح الساحر حيث اتى . والصحة : «انما صنعوا كيد ساحر ..»

2 — فى صفحة 99 ورد هذا البيت منسوبا الى زهير ابن ابى سلمى :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم

ويرى اكثر الرواة على انه ليس له .

3 — التناقض : بينما يقول فى صفحة 219 فى حديثه عن سمات اللغة الاعلامية ...

(ثانيا — تجنب التكرار والاطناب والتكرار من عناصر التشويش فى استقبال الرسالة الاذاعية ..)
بينما يقول هذا اذا هو يقول فى ص 221 :
سابعا — ان التكرار من سمات اللغة الاعلامية، وهو من الزم الخصائص فى لغة الاذاعة ذلك انه ليس فى وسع المستمع ان يعود الى مراجعة الكلام ، كما يستطيع ذلك فى الجريدة ...
اما المآخذ الاملائية ، فكثيرة ، والذى يبدو لنا ان هذا البحث لم يراجع بعد طبعه « وقد تركنا فى كثير من الصفحات ما ينبه على ذلك » .

4 — من المآخذ الفنية : فى صفحة 135 حين الحديث عن اهم سمات اللغة العربية الاعلامية يقول :
« ان اللغة الاعلامية تؤثر استخدام الكلمة البسيطة الصحيحة المألوفة ، على كل ما عداها.. فسافر بدلا من ظعن ، وحريق بدلا من اتون ... »
وفى هذا اماتة لكلمات ليست من الصعوبة كما يرى ، فضلا عن ان كثيرا مما يقاس عليه على حسب نظرته وارد بالقرآن الكريم ، سهل التناول، ولا ينقصه الا كثرة الدوران فى الكلام الاعلامى ، فمثلا كلمة .. شجب وقد كثر دورانها فى الحديث الاعلامى ولا سند لها مع ان كلمة « دحض » اسهل منها ، وكلمة « ركض » تتخذ فى الكويت هنا مكان اسرع ، فالعبرة بتداول الكلمة .
والكتاب بصفة عامة صالح فى مجاله كل الصلاحية كما انه جدير بالنشر وصاحبه يستحق الجائزة الثانية .

*

الإعلام ولغة الحضارة

يشهد عالم اليوم اهتماما متزايدا بالاعلام ووسائله، وايمانا صادقا برسالته واهدافه ، وعمــلا جــادا فى سبيل تقدمه وتطوره ، وبحثا دائبا عن تنظيمات يعود اليها وقواعد تحكمه .

ان ما حدث من تطور مذهل فى ميدان الاعلام ما هو الا امتداد للانتصارات التى حققتها اللغة فى سبيــل تحقيق اتصال جماهيرى على امتداد واسـع . اصبحت اللغة فى ظل الاعلام ذات قوة وسلطان ، لما لها مـن تأثير هائل على تفكير الافراد والجماعــات او على شعورهم وسلوكهم وآراءاتهم .

فأثر اللغة فى عصرنا الحاضر قد ازداد قوة ، واخذ الناس يعنون بوسائل الاتصال فيمــا بينهم . وازداد خطر اللغة المنطوقة والمكتوبــة بانتشار الصحافــة والاذاعة والسينمــا والتلفــزة والاساليب العصريــة لفنـــون الاعــلام .

ولقد ذهب اصحاب النظرية اللغوية فى معظم الاحوال الى ان البناء اللغوى لاحدى اللغات التى ينشأ عليها الناس ويلقنونها من امهاتهم وآبائهم ويخلق لديهم كذلك بناء فكريا سلوكيا بذاته وكان من رأيهم ان اللغة انما هى « عالم لغوى وسط » يقوم بين الواقع الموضوعى وبين الناس ، ويتربى عليه الفرد اثناء تعلمه لغة الام اى ان اللغة هى التى تحدد للافراد رؤيتهم للعــالم وتجربتهم له ، كما تحــدد موقفهــم منــه واسلوب تعــاملهم معــه .

وايا ما كان امر هذه النظرية ، فان اللغة مكتوبــة ومنطوقة ، قد اصبحت فى عصر الثــورة التعليميــة والتقنية ، ابرز ملامح العصر الــذى نسميــه عصر الوسائط الجماهيرية الحديثة . لقد بلغ التواصل بين الناس اقصى مداه واضخم ابعاده .

ولذلك فقد كان من الطبيعى ان ينشأ فى السنــوات الاخيرة علم متخصص فى تأثير اللغــة على الجماهير وهو « علم المنفعة العملية للغة » او ما نحاول تحديد ملامحه فى هذا البحث « بعلم الاعلام اللغوى » الذى يرتكز على كل ما كانت تقول به علوم النفس والاجتماع ونظرية المعرفة عن قوة تأثير الكلمة ، ويتوفر مــن الناحية اللغوية على البحث فى قوة الكلمة وسلطانها .

وعلم الاعلام اللغوى يعد احد الفروع التطبيقية لعلم اللغويات الحديث ،وهو علم ما زال يتحسس طريقه الى النور ، ذلك ان دراسة « المنفعة العملية » للغة ما بطريقة علمية منهجية تحتاج بالضرورة الى وجــود مناهج لغوية متكاملة ، واطار نظرى تستند اليــه ،

واسلوب محدد تتوخاه فى الوصف والتحليل ، وهى امور لم تستوف دراستها بعد .

على ان فصول هذا البحث ليست الا اضافة يسيرة الى جهود سابقة لاساتذة جيلنا ، ممن اشتغلوا بالدراسات اللغوية ، وتركوا لنا ثمار جهودهم العظيمة منارا على الطريق . ولكن الموضوع الذى عنيت به فصول هذا البحث انما هو من حيث صلة اللغة العربية بالعصر والحضارة ، والتعرض للقضايا اللغوية التى تواجه الاعلام العربى المعاصر . وهى بذلك تسير نحو منحى جديد من انحاء الدراسة اللغوية يريد بها الباحث ان يشق له طريقه اولا ، ثم يوصل هذا الطريق بعد ، فى سبيل استكمال دراسة لغة الاعلام المعاصر ، والاحاطة بها ، والوقوف عند كل جزئياتها وكلياتها .

وعلى ذلك فان مهمة هذا البحث لم تكن فى متابعة طرق الدراسة اللغوية ، بقدر ما كانت فى شتى هذه الارض ، فى سبيل التعرف اليها — طريقا آخر ، يحاول هو ايضا ان يصل الى هذا الهدف البعيد فى تمثل اللغة العربية ومزاياها فى الفن والتعبير . او على الاصح يعين على الوصول الى هذه المزايا ، اننا نحاول ان نرسم خطا جديدا لا يتوازى مع هذه الخطوط السابقة وانما يقطعها مخالفا لاتجاهها ، ليظفر بما لم تظفر به من جزئيات ، او من احداث او من تفاصيل ، وقد يوضح ما كانت وقعت عليه او يغنيه ، وهو — هذا الخط الجديد — سينتهى على كل حال الى الغاية الاولى ، وسيكون رفدا غنيا للدراسة اللغوية .

وقد حاولت هذه الدراسة اذن ، ان تكشف عن مزايا الفن والتعبير الاعلامى ومزايا التعبير على العموم فى لغة الضاد لانها فى مبدأ الامر بحوث دعت اليها المناقشة فى موضوع الاعلام وتطوره او تطور قواعده ، ومستقبله فى العالم العربى ، وناسبتها بحوث اخرى عن المزايا الاعلامية فى لغتنا ترتبط بها وتصلح ان تكون مثالا للمزايا التى تثبت للغة .

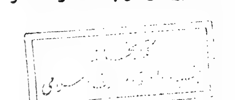
ولعل فيما تقدم ما يبرز لماذا اخترنا موضوع « الاعلام ولغة الحضارة » او مزايا التعبير الاعلامى فى اللغة العربية » موضوعا للبحث ، ويمكننا ان نوجز الاسباب التى دفعتنا فى ان اللغة العربية اليوم احوج ما تكون الى كل عمل علمى : لابراز مزاياها الفنية والتعبيرية فى مواجهة حضارة العصر ، ومن جهة اخرى فان الدراسة الاعلامية للغة تسعى الى حل المشكلات الكبيرة والصغيرة فى اللغة ، لتكوين وعى لغوى صحيح يساير الوعى السياسى والفكرى للامة العربية ، سعيا الى الوحدة اللغوية والتحرر اللغوى والقضاء على التجزئة والشعوبية او النفوذ الاجنبى فى ميدان اللغة والفكر ، وفى هذا ما يجعلنا ننظر باحترام واجلال عظيمين لجهود « المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربى » واقدامه على اجراء مسابقة هذا العام عن مخطوط نادر او دراسة نفسية حول اللغة العربية لم تنشر من قبل ، لما لهذا الموضوع من علاقة وطيدة بالتعريب واللغة العربية.

فاللغة العربية لغة حضارة ، ويعنى ذلك انها قاسم مشترك اعظم فى كل فروع المعرفة والثقافة والصناعة والتجارة والعلوم البحتة والعلوم الاجتماعية والانسانية والفنون والآداب ، وقد كان طبيعيا ان يسعى الاعلام للافادة من مزايا اللغة الحضارية ، ويتحقق التحول العظيم بتضييق المسافة بين لغة الخطاب ولغة الكتابة ويفتح الطريق امام لغة الكتابة لتتسرب فى كل مكان ، وليكون لها فى التعبير الجماهيرى سلطان .

وان هذا التحول لفرصة امام حراس اللغة والمحافظين على سلامتها ، لكى يبذلوا جهودهم للاستبدال بالعامى والدخيل من الفاظ الحضارة بوجه خاص ، فانهم اذا تظاهرت جهودهم فى تلك السبيل — كما يقول الاستاذ محمود تيمور رحمه الله — امكن لهم ان يحيلوا اللفظ الحضارى كلمة مكتوبة ، والكلمة تصافح العيون فى الصحف والمجلات ، ثم هى تقرأ فتقرع الاسماع فى الاذاعة والتلفزة والسينما ، ونتيجة ذلك ان يصبح اللفظ الحضارى طعاما جماهيريا يسوغ فى الافواه كما يجرى على الاقلام .

وفى الصفحات التالية تفصيل واسع لهذا المعنى ، ننتقل بعده من مزايا اللغة فى التعبير الاعلامى الى مزاياها فى التعبير على اطلاقه ، نتحرى بها ابراز المزايا العلمية لهذه اللغة الفصحى لان الحاجة الى ابراز هذه المزايا تمسه تمام المساس فى زمن « اوسائط الجماهيرية الحديثة » . التى تلعب دورا هاما فى تقريب المعلومات المعقدة من افهام اوساط الناس ، وحيث تصبح اللغة والكلمة الملفوظة والمسموعة او الكلمة المكتوبة ناقلة الحضارة الحديثة .

وبعد ، نرجو ان نكون قد وفقنا فى شق هذا الطريق فجل من لا يخطئ تحيزا او تصورا فى عالم البشر .



الفصـــل الاول

اللغـــة وتكويـــن الـــراى العـــام

يبذل العلماء جهودا متواصلة لدراسة اثر اللغة فى تكوين الراى العام ، واعتبارها اهم عناصر القوميات، دراسة علمية حتى يمكن التنبؤ بنتائج آثار الاعـــلام والتحكم فيهـــا .

على ان فهم طبيعة الراى العام ركن اساسى يساعد على كشف العلاقات التى تقوم بين عناصره المختلفة ، فاذا كان الراى العام ظاهرة تلقائية اطلقوا عليها «عقل الجماعة» او الضمير الجمعى ، على نحو ما ذهب اليه العالم الفرنسى « اميل دركيم » . فان « اللغة » ليست من صنع الافراد ، وانما تخلقها طبيعة الاجتماع ، وتنبعث من تلقاء نفسها عن حياة الجماعات ومقتضيات العمران . وهذا ما يعنيه علماء الاجتماع اذ يقررون انها من « نتاج العقل الجماعى » .

وقد عرف البعض مضمون عقل الجماعة بانه نظام خلقى ينشا نتيجة تفاعل نشاط الافـــراد ، وتبـــادل العلاقات الاجتماعية فيما بينهم . وفى النهاية يصبح هذا العقل الجماعى هو القوة المسيطرة لاعماله الجماعية وتصرفاتها ، بحيث انه عند ما يقوم الافراد بأى نشاط اجتماعى ، فانهم يدخلون فى اعتبارهم ، ويضعون فى صلب ضمائرهم ، اهداف المجتمع واغراضه ، وبذلك تندمج ذواتهم الفردية فى الجماعة التى ينتمون اليها ، ويتحـــدد سلـــوكهم وتضبـــط علاقـــاتهم وفقا للعقل الجمعـــى (1) .

فاللغة فى كل مجتمع نظام عام يشترك الافراد فى اتباعـــه ، ويتخذونـــه اساسا للتعبير عمـــا يجـــول بخواطرهم ، وفى تفاهمهم بعضهم مع بعض وعلى ذلك فاننا لا يمكن ان ندرس تأثيراللغة الاعلاميةفى الراىالعام دراسة موضوعية ، عن طريق دراسة سلوك الافراد، باعتبارهم ذرات منفصلة، او كما يقول الدكتور ابراهيم امام (2) كما لو حاولنا دراسة صفات الماء بالرجوع الى صفات كل من الهيدروجين والاوكسيجين اللذيـــن يتالف منهمـــا .

فاللغة ليست من الامور التى يصنعها فرد معين او افراد معينون ، وانما تخلقها طبيعة الاجتماع وتنبعث عن الحياة الجمعية — على حد تعبير الدكتور على عبد الواحد وافى (3) — وما تقتضيه هذه الحياة من تعبير عن الخواطر وتبادل للافكار . وكل فرد منا ينشأ فيجد بين يديه نظاما لغويا يسير عليه مجتمعه ، فيتلقاه عنه تلقيا بطريق التعلم والتقليد ، كما يتلقى عنه سائـــر النظم الاجتماعية الاخرى ، ويصب اصواته فى قوالبه، ويحتذيه فى تفاهمه وتعبيره .

والراى العام — كما يقول الدكتور امام (4) — هو المنبع الذى تصدر منه احكام الجماهير ، كما انه القوة التى يسعى الاعلام — عن طريق اللغة — الى التاثير فيها . ومع ان الراى العام وجود معنوى لا نـــراه ، فان ذلك لا ينتقص شيئا من قوته ، شانه شان الضغط الجوى الذى لا نراه ولكنه موجود بمعدل عشرين رطلا على البوصة المربعة كما يقول جيمس رسل الاول .

واللغة من الامور التى يرى كل فرد نفسه مضطرا الى الخضوع لما ترسمه (5) وكل خروج على نظامها ولو كان عن خطأ او جهل ، يلقى من الراى العـــام مقاومة تكفل رد الامور الى نصابها الصحيح ، وتأخذ المخالف ببعض انواع الجزاء .

فاللغة اذن ظاهرة اجتماعية . وهى بوصفها هذا تؤلف اهم عناصر تكوين الراى العام ، الذى يسعى الاعلام بوسائله المختلفة الى التاثير فيه .

وهذا يعنى افتراض وجود علاقة قوية بين اللغة والراى العام .. ولقد درج العلماء على الكلام عـــن « الراى العام » وكيف انه : الفكـــرة السائـــدة بين جمهور من الناس تربطهم مصلحة مشتركة ازاء موقف من المواقف او تصرف من التصرفات ، او مسالة من المسائل العامة التى تثير اهتمامهم او تتعلق بمصالحهم المشتركة . فالراى العام يمثل محصلة الآراء والاحكام السائدة فى المجتمع . وهذه الظاهرة تكتسب صفـــة الاستقرار وتختلف فى وضوحها ودلالاتهـــا فى عقـــول الافراد ولكنها تصدر عن اتفاق متبادل بين غالبيتهم — رغم اختلافهم فى مدى ادراكهم لمفهومها — ومبلـــغ

---

(1) الدكتور عبد العزيز عزت : العقل الجمعى وراى فى طبيعة المجتمع البشرى .
(2) الاعلام والاتصال بالجماهير ص : 204 .
(3) اللغـــة والمجتمـــع .
(4) العلاقات العامة والمجتمع ص : 137 .
(5) د . وافى : المرجع نفسه ص : 4 .

تحقيقها لنفعهم العام ومصلحتهم المشتركة (6) .

على ان العلماء من امثال : بارك وبيرجيس وروس وغيرهم يؤكدون ان الاجتماع العام او الراى السائد يكون فى اغلب الاحوال مبنيا على العرف والتقاليد والعادات . اما الراى العام فأساسه الحوار والنقاش واحتكاك الافكار وتفاعل الآراء . والراى السائد او الراى الاجتماعى قد يكون مبنيا على تقاليد موروثة او على عادات كانت آراء فى الماضى ، ولكنها اصبحت كالبديهيات المسلم بهـا .

اللغـة والاتصـال الانسانى :

ومع ان الراى العام من المصطلحات الحديثة التى لم تعرف الا فى اواخر القرن الثامن عشر ، ابان حرب الاستقلال الامريكية والثورة الفرنسيـة ، فلا يمكـن القول بأن الحضارات القديمة كانت خالية من المفاهيم المشابهة للراى العـام .

فلو اخذنا الحضارة — او الثقافة كمـا يفضـل الانثروبولوجيون تسميتها . على انها هـى حصيلـة النشاط البشرى خلال تاريخه الطويل ، والتى تتمثل فيما انتجه عقل الانسان الخالق المبدع من فنون وآداب وآلات وادوات وصناعات ، واخلاق وعادات وقيم ، وفيما حققه من مهارات فى كل هذه الميادين لظهر لنا ان الخاصية الرئيسية التى تميز الحضارة هى خاصية الاستمرار . والقدرة على الانتقال من جيل لآخـر ، بحيث يأخذ كل جيل عمن سبقوه ويضيف الى ما اخذه منهم ثم ينقلها بعد ذلك للاجيال التى تأتـى بعـده . فخصاصية التراكم — كما يقول الدكتور احمد ابو زيد(7) — اذن هى التى تجعل هنـاك فـارقا اساسيا بين الحضارة الانسانية ومختلف انـواع النشاط التـى نصادفها عند الجماعات الحيوانية الاخـرى ، واداة هذا التراكم هى اللغة . والـذى يمنـع الحيوانـات والقردة العليا من ان تكون لها حضارة هو فى المحل الاول افتقارها الى اللغة وبالتالى عدم وجـود قدرة كلامية وفكرية على مواصلة تجاربها وخبراتها . فمـا يكتسبه القرد مثلا من « معرفة » فى حل مشكلة مـا يظل خبرة استترارية راكدة مقصورة عليه هو وحده. وقد يتذكرها حين يصادف نفسه ازاء مشكلة مشابهة او موقف مماثل ، ولكنه فى الفترات التى تتخلل ذلك لا يعكف على التفكير فى تلك الخبرة او التجربة بقصد تحسينها او استخلاص اية نتائج منها للاستفادة منها فى حل المشاكل الاخرى مثلما يفعل الانسان الـذى يناقش فى العادة المشكلة عن طريق اللغة ويفكر فيهـا بعد انتهائها ليرى ما اذا كانت هناك تطبيقات اخرى لتلك المعرفة . فمن طريق اللغة والتفكير تكون خبرات الانسان وتجاربه مستمرة ومتصلة وهذا يساعد بالتالى على تطويرها وتنميتها . ومن هنا كانت الميزة الكبرى التى يتميز بها الانسان وهى القـدرة على نقـل تلك الخبرات التى تؤلف فى آخر الامر التراث الحضارى او الثقافى من جيل لآخر عبر الزمن (8) .

فاللغة كغيرها من مظاهر الثقافة تتميز بخاصيـة التراكم والاستمرار والنمو والقدرة على الانتقـال . والاكثر من هذا كله فانها هى ذلك الجزء من الثقافة او الحضارة الذى يساعد اكثر مـن غيره على التعلم وزيادة الخبرة والمشاركة فى خبرات الآخرين ، سواء الخبرات الماضية او الحالية . اى انها العامل الاساسى فى عملية التراكم التى هـى اهـم عنصر فى الحضارة الانسانيـة (9) .

تكويـن الـراى العـام :

على ان العوامل التى تؤدى الى تكويـن الـراى العام ، كثيرة ومتشابكة ، كما انها تتفاعل مع بعضها

---

(6) د . وافى : المرجع السابق ص : 147 .

(7،8) مجلة « عالم الفكر » — المجلد الثانى — العدد الاول — 1971 — الكويت .

Hoijer, "Language and writing" pp. 197.

(9) د . احمد ابو زيد : المرجع السابق .

البعض ، وفى راى ماكدوجال (10) ان اهم هذه العوامل هى : الثقافة والاحـداث ، والزعامـة ، والاتصال الجماهيرى ، والاتصال الشخصى والشائعات .

ومن ذلك يبين ان اللغة هى معامل الارتباط بين هذه العوامل جميعا .

ولقد درج العلماء على اعتبار الثقافة ذات اثر كبير فى تكوين الراى العام ، وذهب بعضهم فى دراستهم للعلاقة بين اللغة والثقافة على الاكتفاء بتبين العلاقة الخارجية الواضحة بين مفردات اللغـة ومحتـوى الثقافة ، كما كانوا يحرصون على ان يبينوا ان هـذه المفردات تعكس الى حد كبير اهتمـامـات المجتمـع والجوانب التى يرتكز عليها والتى تشغل بال اعضائه مثل التقنية او التنظيم الاجتماعى او الدين او الروابط القرابية وما الى ذلك من المسائل التى تحتل مكـانا مركزيا فى بناء المجتمع وتدور حوله بالتالى اوجه النشاط الاجتماعى المختلفة .

وكل هذا يوضح ان ثمة صلة قوية بين مفـردات اللغة وكثير من جوانب الثقافة غير اللغوية (11) ولكن الشئ الذى لم يهتم به معظم هؤلاء العلماء اهتمـاما كبيرا على الاقل هو ان اللغة قد تتدخـل فى تحديـد وتركيب انماط الفكر فى المجتمع الذى تسود فيه سواء ادرك الناس ذلك ام لم يدركوه . فكمـا ان الفنـان وعالم النبات قد ينظران الى الاشجـار والنباتـات والزهور من ناحيتين مختلفتين ، كذلك الحال بالنسبة للجماعات التى تتكلـم لغـات مختلفـة تنظـر الى العالم نظرات مختلفة وتدركه بطرق مختلفة (12) وهذا معناه ان الاكتفاء بدراسة العلاقة الواضحة بين اللغة والمحتوى الثقافى لا تعنى شيئا اكثر من ان اللغة لها اساس ثقافى او حضارى وانه لن يمكن بالتالى تحديد مفردات اللغة تحديدا دقيقا الا بمعرفة بقية مظاهـر الثقـافـة .

ولذلك يؤكد اوديجارد انه من المستحيل ان نفهم الراى العام فى امة من الامم ما لم تدخل فى اعتبارنـا تلك القوى المادية والادبية التى تشكل شخصية هذه الامة . ولكى نتعرف على اتجاهاتها وآرائها ، يجب علينا ان نهتم بدراسة المنظمات الاجتماعية التى تعطى للفرد معتقداته وتشكل اتجاهاته . فالانسان فى المجتمع يتاثر بالاسرة والدين والتقاليد ونظام الدولة والاصدقاء والاقران والصحف واجهزة الاعلام ، والجماعات ذات النفوذ كالنقابات والاحزاب والهيئات . ففى خلال هذه القنوات المتشعبة تمر التاثيرات المختلفة كل يـوم ، لكى تكون اتجاهات الراى .

ويرى ليمان ان المسائل العامة هى التى تهمنا من سلوك الناس ، وهذه المسائل العامة تتاثر بما يتصوره الناس او بتلك الصور التى يكونونها فى رؤوسهم عن انفسهم وعن حـاجـاتهم واهـدافهم وعـلاقـاتهم ببعضهم البعض . ويقول ليمان ان هذه الصور التـى توجد فى رؤوس الناس عن انفسهم وعن الآخرين هى آراؤهم العامة ومجموعة هذه الآراء تكون بدورها ما يسمى بالراى العـام .

فالناس لا يعيشـون فى العالم الموضوعى الخارجى وحده كما انهم لا يعيشـون فى عالم النشاط الاجتماعى فقط كما يظن الكثير من العلماء وانما هم خاضعون الى حد كبير لرحمة اللغة التى يتخذونها اداة ووسيلة للتعبير . « فعالم الواقع » او الحقيقة يرتكز الى حد كبير بطريقة لا شعورية على العادات اللغوية للجماعة ولا توجد لغتان متشابهتان تشابها كافيا بحيث تعتبران ممثلتين لنفس الحقيقة او الواقع الاجتماعى . فالعوالم التى تعيش فيها المجتمعات المختلفة عوالم متميزة اذن وليست عالما واحدا التصقت عليه اسماء وعنـاوين مختلفـة (13) .

ويذهب بنيامين فورف (14) الى اننا نقوم بتقسيم الطبيعة حسب خطوط معينة رسمتها لنا لغاتنا . وهذه الفئات والانماط التى نفصلها من عالم الظواهر لا يتم العثور عليها لانها تواجهنا او لا لانها امور واضحة امام اعيننا وانما الامر على العكس من ذلك تماما ،

(10، 11) د . احمد ابو زيد : نفس المرجع .
Peacock, J.L. Ikirsh, A.T. "The Human Direction" p. 16
C. Macdougall, Curtis D. "Undertanding Public Opinion" (1955) New York

(12) مجلة « عالم الفكر » ــ المجلد الثانى ــ العدد الاول ــ 1971 ــ الكويت .

(13) Sapir "Language" p. 162

(14) Wharf, B.L., "Science and Linguistics" the Technology Review Vol. 42, 1940, p. 231.

بمعنى ان العالم الخارجى او الواقعى هو مزيج من العناصر والعلاقات والظواهر المختلفة المتباينة الى ابعد حدود التباين وان العقول الانسانية هى التى تتدخل لتكشف عما فيه من تنظيم ، ووسيلتها الى ذلك هى الانساق اللغوية التى توجد فى تلك العقول الانسانية ذاتها . فنحن الذين نقوم بتقسيم الطبيعة وتجزئتهـا وتنظيمها فى شكل مفهومات وتصورات ونعطيها بذلك او اثناء ذلك معانى محددة تحديدا دقيقا .

الانمـاط والـراى العـام :

وتتضافر قوى التأثير الاعلامية والثقافية بما فى ذلك العلوم ذاتها والموسيقى والنقد الادبـى وغيرهـا ، لتشكيل الانسان الجديد الذى يجـد نفسه فى وسط شبكة من التأثيرات المتقاطعـة . فالخطب والافـلام والاغانى ، وصحف الحـائط ، والرسوم البيانيـة ، وغيرها ، تكون فى مجموعها خطة محكمة لجذب اهتمام الناس والتأثير فيهم ذلك ان الانسان ليس فردا منعزلا عن المجتمع . ولكنه يخضع فى نفس الوقت — الى حد كبير — لرحمة اللغة التى يتخذها وسيلـة للتعبير والاتصـال .

فالشخص فى المجتمع الحديث ، لا يستطيع ان يتقبل المدركات دون ان يسبغ عليها من المعانى ما يتفق مع خبراته السابقة ، وقيمه ومبادئه .

والثقافة هى التى تحدد لنا مقدما هذه المعانى ، فنحن لا ندرك ما نراه ، وانما ندرك ما حددته لنـا ثقافتنا — من قبل — فى شكل انماط جامدة . فالناس لا يشاهدون ويلاحظون ثم يحددون ، ولكنهم يـرون الاشياء كما حددتها لهم بيئتهم وثقافتهم (15) .

ولا يعنى ذلك ان الانماط اللغوية تعمل على تحديد المدركات الحسية والتفكير ولكن عملها هو توجيـه الادراك والتفكير فى اتجاهات معينة مألوفة مستعينة فى ذلك بالاغلاط الثقافية الاخرى .

وتختلف طرائق واساليب التفكـير فى المجتمعـات المختلفة بالنسبة للمذاهب وليست المذاهب نفسهـا ، فليست الماركسية هى المؤثرة ، ولكن النمط السائـد منها ، والذى يقدمـه المفسرون لهـا هـو المؤثـر الحقيقى (16) ـ الخ

الاتصـال والـراى العـام :

وتأسيسـا على هذا الفهم نحاول ان نلتمس اثـر الاعلام فى تكوين الراى العـام ، فنجـد ان الاتصال الاعلامى يقوم بوظيفتين هامتين هما : استخـلاص الراى ، وحمايتـه .

ووسيلة الاتصال الاعلامى فى تحقيق هاتين الوظيفتين هى : اللغة ، التى لا تصبح مجرد وسيلة للتعبيـر عن الافكار او مجرد رموز لما يدور فى الاذهان ، وانما تصبح تلك الوسيلة التى امتـزجت بهـا عقولنـا ونفوسنا ، وندين لها بتلك القوة التى ساعدتنا على التعاون مع رفاقنا ، ومنحتنا السيطرة على مخلوقات اقـوى منـا جسما .

فاذا كان للراى العام وجود حقيقى ، او مفهـوم محدود ، وجب ان نلتمسه فى تلك الرابطة الوثقـى التى تؤلف بين افراد المجتمع وتوحد بين افكـارهم واحاسيسهم وعواطفهم ، والتى تسمى باللغـة او اللسان .

فأقوى رباط يجمع اواصر الاسرة هو اللغة التى يشعر معها افراد الاسرة انهم يفكرون بطريقة موحدة، ويحسـون باحساس واحد ، وينطقون نطقا متماثلا . فالاسرة صفات خاصة فى النطق والآراء ، واختيـار الالفاظ وايثار بعضها على بعض . وهكذا تكون القومية بمعنى الرباط الوثيق بين افراد المجتمع ذات مستويات، وذات احكام ، واصغرها حجما ما نسميه بالاسرة ، ثم ما نسميه بالقرية ، ثم ما نسميه بالمدينة ، ثم ما نسميه بالدولة التى لها لغة مشتركة تنتظم كل المناطق، ويعمد اليها كل افراد المجتمع (17) .

وقبل ان نحاول دراسة علاقة اللغة بالقوميـة ، سنحاول علاج كيفية تأثير الاتصال فى الراى العام .

سبق ان ذهبنا الى ان الاتصال يقوم بوظيفتين : استخلاص الراى وحمايته . فالراى الفردى الكامـن لا بد وان يتحول الى راى علنى ظاهر ، وليس معنى

---

(15) امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » ص 252

(16) د . ابراهيم انيس : اللغة بين القومية والعالميـة — ص : 102 .

(17) د . امام : الاعلام والاتصال بالجماهير ص 218.

ذلك ان الاتصال لا بد ان يسرى فى اتجاه واحد من القيادة الى الجماهير ، اذ ان الاتصال يتخذ ثلاثة مسارات (18) .

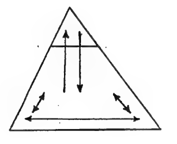
اولا : الاتصال الهابط من القيادات الى القواعد ، وهو يشتمل على التوجيهات والتعليمات والبيانات والتفسيرات وغيرها .

ثانيا : الاتصال الصاعد من الجماهير الى القيادات وهو يشتمل على الملاحظات والشكاوى والخطابات التى تمثل اتجاهات الجماهير .

ثالثا : التيار الافقى الذى يسرى بين فئات الجماهير فى مستوياتها المختلفة .

وقد صور « هانزسباير » هذه التيارات الاتصالية على النحو التالى :

القيادات



الجماهير

ولكن هذه التيارات جميعا ، لا بد وان تتفاعل وتتسق اتساقا متكاملا ، مما يساعد على تكوين الراى العام .

وفى راى ماكدوجال (19) كما سبق ان اهم عوامل تكوين الراى العام هى : الثقافة ، والاحداث، والزعامة والاتصال الجماهيرى ، والاتصال الشخصى ، والشائعات .

على ان الاتصال بالجماهير من اقوى هذه العوامل فى تكوين الراى العام ، سواء عن طريق اجهزة الاعلام ، او عن طريق حملات الهمس او الشائعات. وقد فطن خبراء الدعاية والاعلام ، من خلال تجارب الحربين العالميتين ان تأثير الاتصال فى الرأى العام يزداد قوة باستخدام الاخبار بدلا من المقالات الجدلية والكتابات الانشائية . فقد اكتشفت قيمة الخبر فى التوجيه والتأثير ، واصبح الخبر هو العامل الذى يحدد صورة الاحداث فى اذهان الجماهير وكفت الدعاية عن انتهاج الاساليب البلاغية والجدلية ، ليحل محلها الاسلوب الاخبارى الاعلامى .

وحتى عند ما تقل الاخبار ، او ينضب معينها ، لا يجد الاعلاميون بأسا من خلقها او اختلاقها (20).

ويستغل خبراء الدعاية طبيعة الانسان ، بادراكه المحدود للعالم ، ومعرفته للاشياء بطريقة غير مباشرة اى عن طريق المعلومات والصور التى تنقل اليه بدلا من الخبرة الموضوعية والادراك المباشر فيعملون على خلق الصور الذهنية التى تحقق اغراضهم . ويسعى الداعية دائما عن طريق التحكم فى المعلومات التى يعرفها الناس الى خلق الاتجاهات العامة التى يريدها ان تنتشر بين الجماهير .

ومع ذلك فان هناك حدودا لا يستطيع الداعية ان يتجاوزها مهما كانت قدرته ، ومهما كانت سلطته فى الرقابة على الاخبار والمعلومات . لان الفرد يتمتع بقدرة على انتقاء ما يتعرض له من مواد اعلامية ، كما ان هذا الانتقاء يمتد الى قوى الادراك والتذكر ، يضاف الى ذلك مجموعة القيم والمبادئ التى يعتنقها الفرد ، ويتأثر بها من خلال الجماعات الاولية التى يعيش فيها .

فالانسان العادى بمعتقداته الراسخة — دينيا او سياسيا او اقتصاديا — لا يمكن ان يتقبل اى مناشدة دعائية تتعارض مع معتقداته . وقد اوضح « الدوس هكسلى » (21) انه ليس من الصعب اغراء الناس على فعل ما يتوقون اليه . كما انهم لا يسلكون كما يسلكون نتيجة لصفحات قرأوها او خطب سمعوها ،

---

(18) الدكتور امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير »

(19) المرجع السابق — ص : 239 .

C. Macdoogall, curtis D., "Understanding Public Opinion"

(20) « الاعلام والاتصال بالجماهير » ص : 251 .

(21) نفس المرجع السابق ص : 145 .

وانما تكون تصرفاتهم نتيجة لتعرضهم منذ الطفولة الى تربية معينة ، وتوجيه سلوكى متراكم .

على ان ذلك لا ينفى ان اساس الرأى العام ، هو الاتصال الفكرى ، وحرية المناقشة ، فعند ما يقارن الناس خبراتهم ، ويعبرون عن وجهات نظرهم فى مسألة من المسائل الجدلية ، ويعلنون ذلك بوسائل الاعلام المختلفة ، وعن طريق المنظمات الاجتماعية ، فان هذه المسألة او المشكلة تصبح موضوعا للوعى العام او الادراك الاجتماعى . فاذا تيسر الاتصال بين الناس ، تيسر صدور الرأى العام ، اما اذا تعذر الاتصال ، فان الراى العام يصبح متعذرا .

ذلك ان الاتصال يتيح للمناقشات والجدل بين الافراد ان تتبلور فى راى عام . ولا بد فى الاتصال الاعلامى من وجود طرفين او عنصرين هما عنصر المرسل (بكسر السين) وعنصر المستقبل (بكسر الباء) . الاول هو الوسيلة الاعلامية التى تنقل المعلومات او الاخبار الى القارئ او السامع سواء كان فردا او جماعة . ويختلف الافراد بعضهم عن بعض فى استقبال المعلومات . لانهم يختلفون من حيث امزجتهم وقواهم العقلية وطريقة فهمهم للاشياء ومن التأثير المتبادل بين المرسل والمستقبل يتكون الراى العام فى العادة ذلك ان الفرد فى المجتمع الحديث لا يملك من الوقت او الجهد او المال او العلم ما يمنعه من الوصول الى مدلولات دقيقة لجميع المعارف او تكوين صور حقيقية للعالم الذى حوله . وفى معظم الاحيان يكون المحصول اللغوى للقارئ او المستمع او المشاهد محدودا ، فلا يفهم ما يقال له .

ومن ناحية اخرى تلجأ اجهزة الاتصال بالجماهير الى التبسيط نتيجة لظروف الجماهير ، ولضغوط الحيز الضيق فى المطبوعات ، والزمن المحدود فى الاذاعة والتلفزة . كما يلعب عامل الوقت دورا رئيسيا فى تغطية الانباء وتحريرها واخراجها .

والجماهير — كما يقول الدكتور امام — لا تتخذ التحليل الموضوعى ، والدراسة العلمية سبيلا للوصول الى الحقائق . فالاشياء لا ترى من خلال المصالح والثقافة السائدة بتاريخها وتجاربها وقيمها. ومع أن الشخص فى المجتمع الحديث لا يحصل على الحقائق مجردة عن الهوى ، كما ان فرصه الشخصية والاجتماعية للمراجعة والنقد قليلة ومحدودة ، فانه لا يستطيع ان يتقبل المدركات دون ان يسبغ عليها من المعانى ما يتفق مع خبراته السابقة ، وقيمه ومبادئه. والثقافة هى التى تحدد لنا مقدما هذه المعانى ، فنحن لا ندرك ما نراه وانما ندرك ما حددته لنا ثقافتنا — من قبل — فى شكل انماط جامدة . فالناس لا يشاهدون ويلاحظون ثم يحددون ، ولكنهم يرون الاشياء كما حددتها لهم بئيتهم وثقافتهم . معتمدين فى ذلك على ما تمدهم الثقافة واجهزة الاعلام من رؤى واخيلة وانماط ، وما يسرى بين الناس من شائعات .

ومن ذلك يبين ان الاعلام ، كما يقول «اوتوجروتز»، هو التعبير الموضوعى لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها فى نفس الوقت .

وتتكون عناصر الاعلام من عناصر ثلاثة :

اولا : عنصر المرسل .

ثانيا : عنصر المستقبل .

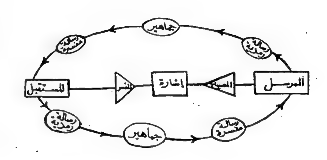
ثالثا : عنصر الاداة او الوسيلة .

وقد اوضح كلابار الادوار الوسيطة النفسية والاجتماعية والثقافية ، التى تقف بين المرسل والمستقبل . فليست هناك علاقة بسيطة ومباشرة بين الاتصال والتأثير ، وانما هناك تفاعل نفسى واجتماعى فى مجال ثقافى بين المرسل والمستقبل ، كما تلعب الدوافع والمدركات والحاجات دورا رئيسيا فى الاتصال الجماهيرى . فالمستقبل لا يتلقى الرسائل الاعلامية تلقيا عشوائيا بانصياع ورضوخ — كما يظن المفكرون النظريون — ولكنه ينتقى منها ما يفيده على ضوء بنائه النفسى الواقعى ، والمحيط الاجتماعى والثقافى الذى يعيش فيه . ومن الثابت ان احكام الآخرين فى الجماعة الاولية التى يتخذها الفرد مرجعا له تقرر الى حد بعيد مدى تأثر الفكر بما يسمع او يشاهد .

ويقدم « ويلبور شرام » نموذجا لعملية الاتصال يصور فيه — اولا — المصدر او صاحب الفكرة ، وقد تكون هذه الفكرة واضحة بصورة كافية بحيث تعتبر صالحة للتوصيل الى المستقبل ، وقد لا تكون . والعنصر الثانى هو التعبير عن الفكرة وصياغتها فى رموز لتكوين الرسالة ، او الاشارة . والعنصر الثالث هو المستقبل الذى يفك رموز الرسالة ، كما تتلقاها الجماهير المختلفة بصورة غير مباشرة ، والعنصر الرابع هو الاستجابة ، ورجع الصدى الذى قد يصل ، وقد لا يصل الى انتباه مرسل الرسالة الاصلية .

واذا وصلت هذه الارجاع ، وفسرها المرسل تفسيرا صحيحا ، فان الدورة الاتصالية تكتمل وتتكرر هذه الدورة بطبيعة الحال — الى ما لا نهاية ، وهذه التفاعلات الاجتماعية . هى التى تتيح البناء الاجتماعى والثقافى نفسه .

ويمكن تصوير هذه الدورة الاتصالية على النحو التالى :

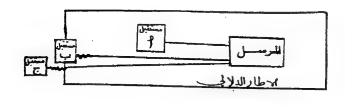


لا بد للمرسل ان يضع رسالته فى شكل معين او صيغة محدودة من الرموز او الكلمات ، ومن الطبيعى ان تحتاج هذه الكلمات الى اجهزة نقل ، او وسائل اعلام — كالصحف والاذاعة والتلفزة وغيرها — لكى تنتشر بسرعة فى اماكن عديدة . ومع ان الكلمات المسجلة ، والرموز المعروفة ، تكون ايضا من الرموز السمعية ، فانها اطول عمرا وابقى على الزمن كالآثار والاهرام والوثائق والكتب .

ويتوقف ذلك — كما يقول الدكتور امام — على مدى التناغم والتوافق بين المرسل والمستقبل فاذا كان المرسل ضعيفا فى كتابته ، او غير واثق من نفسه ، او ليست لديه المعلومات الكافية عن موضوعه ، فان ذلك يؤثر على الاتصال . واذا كانت الرسالة غير مصاغة بالطريقة الفعالة ، فانها تقف فى سبيل نجاح الاتصال . كما ان الوسيلة نفسها ، لا بد وان تكون من القوة والمرونة ، بحيث تصل الاشارات الى المستقبل فى الوقت المناسب ، والمكان المناسب ، مهما حدث من تداخل او تنافس مع الوسائل الاخرى . كما ان المستقبل نفسه ، وقدرته على حل الرموز بالطريقة المطلوبة ، من اهم العناصر لاتمام الدورة الاتصالية. فكفاءة المرسل وقدرته على معرفة الهدف ، والوصول الى النتائج المطلوبة ، واتقان الصياغة ، وفعالية وسيلة الاتصال ، وقدرة المستقبل على حل الرموز ، لا بد وان ينظر اليها على انها عناصر متعددة لعملية واحدة. ولا يكفى للتناغم بين المرسل والمستقبل ان تكون الرسالة فى لغة يضمنها الطرفان ، بل ينبغى ان تكون الخبرات مشتركة ايضا ، فالمستمع الى محاضرة باللغة العربية عن نظرية النسبية لاينشتين ، لن تعوضه معرفته للغة العربية فى فهم المضمون ، ما لم يكن قد درس شيئا من علم الطبيعه والرياضيات ، حتى يتمكن من متابعة المحاضرة .

وهذا ما يعبر عنه بالاطار الدلالى . فكلما كان المرسل والمستقبل يتفاهمان فى اطار دلالى واحد ، كان ذلك اقرب ما يكون الى الفهم .

ويعبر عن ذلك على النحو التالى :



فالمستقبل (أ) يقع داخل الاطار الدلالى للمرسل ، فهو يفهم كل شئ والمستقبل (ب) كاد ان يقع داخل الاطار الدلالى ، فهو يفهم اشياء ولكنه لا يفهم اشياء اخرى ، اما المستقبل (ج) ، فانه لا يفهم شيئا مما يقوله المرسل لانه يقع خارج اطاره الدلالى تماما .

اللغة والاتصال :

قال بعض العلماء : ان اللغة افراز مركب ضرورى للفرد . وصالح لان يكيف بالكيفيات الاجتماعية ، وبهذا

يمكننا ان نفسر كلام الفرد الى نفسه ، وكلامــه الى صاحبــه .

وقال هنرى دولاكروا : ان اللغة هى دالة الفكــر.

والحقيقة ان اللغة ، فى عمومها ، ذات وظيفة هامة جدا يمكن ان تلخص فى امرين :

الاول : امر فردي : هو قضاء حاجــة الفــرد فى المجتمــع .

الثانى : امر اجتماعى خالص : هو تهيئة الوضــع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية . فلما بالنسبة للشق الاول من وظيفة اللغـــة فواضــح ان طبيعـــة التخفيض تبدو فى وظيفة كل فرد ، بحيث لا يمكن ان يكون خبازا او نساجا وحدادا ونجارا وصيادا فى وقت واحــد .

ومن هنا كان على الفرد ان يعتمد فى امــوره على غيره من اصحاب هذه المهن ، وان يتصل بهم لقضاء حاجاته ، ولا سبيل الى هذا الاتصال ، ولا الى قضاء الحاجات الا بواسطة التفاهم . ولا بد للتفاهم من لغة، ولو راقب المرء نفسه واحدا من حقل الاستعمــال اللغوى ، لراى كيف يعتمد وجوده الى حد كبير على وجود اللغة ، بل ان مصالح الانسان قد تتوقف على حسن استخدامه للغة ، لا على مجرد الاستخدام .

واما الشق الثانى : من وظيفة اللغة هو تهيئـــة الوضع المناسب لتكوين مجتمع وحياة اجتماعية . فان اللغة اصل وجذر لكل ما يمكن ان نتصوره من عوامل تكوين المجتمع ، كالتاريخ المشترك ، والدين المشترك، والادب المشتــرك ، والفكــر والاحساس ، والارادة والعمل المشترك ، اذ لا يقوم شئ مــن ذلك بــدون اللغة ، وكيف يمكن تصور تاريخ بلا لغة ، او ديــن بلا لغة ، او فكرة بدونها ، او احساس لا يترجم عنه بها ، بعد ان يتم تكوينه بواسطتها ، او ارادة تقــوم بغيرها ، او عمل يتحقق بعيدا عنها .

ان الشركة فى كل اولئك ، هى الحياة الاجتماعية ، ولا تتم هذه الشركة بدون اللغة (22) .

ويعتبر بزوغ اللغة وبروزها الى الوجود اثناء عملية تطور البشر وارتقائه من المظاهر التى تمتاز بما لها من اهمية وخطورة بالغتين .

وذلك ان الوسيلة الوحيدة الفعالة فى الاتصــال الجماهيرى التى نتمكن بها من ادراك معنى الحياة، وتوضيح معالمها ، ونعت مظاهرها هى اللغة .

فوظيفة اللغة فى الاتصال الاعلامى ، هى تمثيــل الراى العام على مرآة تعكسه ، وفلسفة اللغة تنطوى على انعاشها ، وتنسيقها بحيث تصبح مطية للراى العام ووسيلة للاتصال والتفاهم ، ورمزا للحقيقــة وشارة للواقــع .

اللغــة والقــوميــة :

وقد دلت الملاحظة الحديثة على انه حين تقــوى الصلة بين مناطق مجتمع من المجتمعات ، وتسهــل بينها وسائل الاتصال ، تتكون لها مع الزمن « لغــة مشتركة » تقرب بينهم ، وتعين اهلها على تفاهم اسرع وايسر ، وتقضى لهم مصالحهم الدنيوية . ولدينــا فى العصر الحديث امثلة كثيرة للغات المشتركة كالانجليزية المشتركة التى تسود فى مناطق انجلترا ، وكالفرنسية المشتركة التى تسود فى مناطق فرنسا .. الخ (23)

وتتخذ اللغة المشتركة فى بدء نشاتها مركزا معينا يتاح له من الظروف والفرص مالا يتاح لغيره ، فتتطلع اليه المناطق الاخرى ، وتسلم له الزمام فى النواحى السياسية ، والاقتصادية والثقافية ، وينزح اليه الناس من كل صوب ، ثم تتبلور عملية الاتصال الى مزيــج لغوى منسجم يتقبله الجميع ، وهو ما يسمى باللغــة المشتركة . ومراكز اللغات المشتركة فى العالم هــى عادة العواصم التى يتهيأ لها من الظروف الاجتماعية والاقتصاديـــة والثقافيـــة مـــالا يتـــاح لغيرهـــا من المنـــاطـــق (24) .

ولذلك نرى فريقا من العلماء يذهب الى تفسير اللغة على اساس عقلى او نفسى ، ويرى ان اللغة استعمال رموز صوتية منظمة للتعبير عن الافكار ونقلها مــن شخص الى آخر ، ومن مؤيدى هذه المدرسة «سابير».

---

(22) مجلة المجلة العدد ـــ العدد 113 ـــ مقال الدكتور تمام حسان ـــ القاهرة .
(23) د . ابراهيم انيس : اللغة بين القومية العالمية ـــ ص : 103 .
(24) مجلة « اللسان العربى » ـــ العدد 6 ـــ 1388 هـ ـــ الرباط ـــ ص : 19 .

ونجد علماء الفلسفة والمنطق ينظـرون الى اللغـة باعتبارها الوسيلة للتعبير عن الافكار ، فيقول الاستاذ جفونز فى كتابه « مبادئ دروس المنطق » : ان اللغة ثـلاث وظـائف :

اولا : كونها وسيلة للتوصيل .

ثانيا : كونها مساعدا آليا للتفكير .

ثالثا : كونها اداة للتسجيل والرجوع .

وينظر علماء المجتمع اليها باعتبـار وظيفتهـا فى المجتمع ، فيعرفها العالم الامريكـى « دجـار ستير تفنت » بأنها : نظام من رموز ملفوظـة بواسطتهـا يتعاون ويتعامل اعضاء المجموعة الاجتماعية المعنية .

ومن ذلك يبين ان تعريف علماء النفس والمنطق يهدف الى ناحية واحدة ، لا يتفق والمطلوب من اللغة فى المجتمع الانسانى لانها لا تقف عند حد التعبير عن الافكار ، وتوصيلها للاذهان كما يقول علماء المنطق لان ذلك يقصر وظيفة اللغة على طبقة من الناس هم اهل الفكر حال اشتغالهم بأمور فكرية .

ولا يمكن ان يقال ان اللغة اداة لنقل الافكـار ، وانما هى وسيلة للتعاون والترابط بين افراد المجتمع، فاننا نتبين كثيرا من الناس يتكلمون فى موضوعات ، ليس يعنيهم منها نقل افكارهم الى غيرهم ، وانما يكون القصد من حديثهم الترفيه والتسلية ، او النظر فى امور تخصهم فى ادارة شؤونهم (25) .

وبذلك يبدو ان رأى علماء المجتمع بتعريف اللغـة تعريفا يتناسب مع وظيفتها فى المجتمع هو خير مـا تعرف به اللغة بوجه عام ، واللغة الاعلامية او لغة الاتصال بالجماهير بوجه اخص .

واذا كان ذلك صحيحا فينبغى ان نشير الى تعريف الاقدمين للغة : وهو انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم (26) . وهذا التعريف للجرجانى وابن جنى ومن الملاحظ ان هذا التعريف قد تمشى مع وجهة نظر علماء الاتصال بالجماهير والباحثين فى الراى العام تمشيا دقيقا لان الاصوات ما هى الا الرموز الصوتية التى تنبئ عن مدلولات خاصة للتعبير عما يحتاج اليه الانسان فى حياته ، سواء كان احتياجا عاديا كشؤون الناس فى حيتهم المتمشية مع احتيـاجـاتهم فى كـل اوقاتهم ، والتى يسعى الاعلام الى تحقيقها عن طريق وظائفه الاساسية : الاخبار او الاعـلام ، والتفسير او الشرح ، والتوجيه او الارشـاد ، والتسليـة او الامتاع ، والتسويق او الاعلان ، والتعليم او التنشئة الاجتماعية .. ام كان احتياج الانسان ضروريا كاحتياج الاعلامى او رجل الاتصال بالجماهير للتعبير عن الافكار القائمة بنفسه لتوصيلها الى اذهان الجمهور .

وعلى ذلك فان اللغة المشتركة ذات اثر قـوى فى حياة الراى العام ، لانها السبيل لفهم الاشياء المحيطة بالناس ، والطريق لارتباط الافراد بعضهم ببعض ، والموصل للافكار القائمة بالاذهان والمهيئة لرقى الامم فى شتى نواحيها .

واهم صفات اللغة المشتركة انها على حد تعبيـر « هنرى سويت » ـ تلك اللغة التى لا يستطيع السامع ان يحكم على المنطقة المحلية التى ينتمى اليها المتكلم.

واللغة المشتركة هى فى الحقيقة تعبير آخـر لمـا يسميه السياسيون بالقومية . ولذلك لم يكـن مـن المصادفة ان القومية حين بدات تتخذ شكلها فى القرن الثامن عشر لم يكن روادهـا مـن العسكريـين او السياسيين ، وانما كانوا من العلمـاء والشعـراء والكتاب الذين حاولـوا جهـدهم ان يتلمسوا ارواح الشعب فى الاساطير القديمة ، والاغانى المجهولة الاصل وكانت اللغة فى اعمال هـؤلاء المفكريـن اداة هـذه الذكـريات والتجارب المشتركة ، والسجل التاريخى. فليست القومية الا تلك الصلة الروحية التي اساسها الافكار والرغبات والشعور ، وكلها تنتقل من عقل الى عقل ، ومن نفس الى نفس فى كلمات شائعة وثيقـة الاتصال بتلك العقول والنفوس . فالكلام المشتـرك والتعابير العامة والنغم الكلامى بل المجازات ، كـل هذا يتغلغل فى نفوس ابناء البيئة الواحدة ، ويصبح المهاد النفسى للشعب ، ثم قد ينفجر فى لحظة من لحظات التاريخ ، وينشأ عنه ما يسمى بالقومية (27)—

ولعل « هردر » ، العالم اللغوى ، فى اواخر القرن الثامن عشر ، كان اول من نبه الاذهان فى كتبه الى علاقة اللغة بنفسية الامة وشخصيتها اذ يقول : « ان

(25) » الخصائص » لابن جنى ـ 1 ص : 21 ـ ط الهلال ـ 1331 هـ .
(26) ابراهيم انيس : « اللغة بين القومية والعالمية » ـ ص : 104 .
(27) ساطع الحصرى : « ما هى القومية » ـ ص : 56

اللغة القومية بمنزلة الوعاء الذى تتشكل به ، وتحفظ فيه ، وتنتقل بوساطته افكار الشعب . واللغة سواء قلنا انها خلقت دفعة واحدة من قبل الله ام ذهبنا الى انها تكونت تدريجيا بعمل العقل ، لا يمكن ان نشك فى انها الآن تخلق العقل او على الاقل تؤثر فى التفكير تأثيرا عميقا ، وتسدده وتوجهه توجيها خاصا . والادب الذى يسود بين الطبقات العليا من الامة يعكس تأثيرات خارجية او اجنبية ، ولكن لغة الشعب تمثل فى كل روح الشعب نفسه .

ان لغة الاباء والاجداد بمثابة مستودع لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين . ان قلب الشعب ينبض فى لغته . ان روح الشعب يكمن فى لغة الآباء والاجداد (28) .

ويؤكد الفيلسوف الالمانى «فيخته» من بعد «هردر» فى اوائل القرن التاسع عشر ، ان اللغة والقومية امران متلازمان ومتعادلان . ان اللغة ترافق المرء ، وتحركه حتى اعمق ادوار تفكيره وارادته هى التى تجعل منا نحن الالمان مجتمعا متماسكا يديره عقل واحد . ان الذين يتكلمون لغة واحدة يؤلفون من انفسهم كتلة موحدة ، ربطت الطبيعة بين اجزائها بروابط متينة ، وان لم نرها . ان الحدود التى تستحق ان تسمى حدودا طبيعية بين الشعوب هى التى ترسمها اللغات.

نجد بعد ذلك جماعة من المفكرين يتبنون فكرة ان اللغة اساس القومية ، منهم « ماكس نورداو » الذى كان يقول : « ان الفرد يندمج فى المجتمع باللغة ، وبها وحدها . باللغة يصبح عضوا فى الشعب الذى يتكلمها وباللغة وحدها يتلقى كل التراث الفكرى والشعورى والاخلاقى والاجتماعى للامة ، سواء منه ما انحدر عن قرائح الكتاب والشعراء والمفكرين ، السالفين ، او المعاصرين » .

ويتضح صدق الراى الذى نادت به النظرية الالمانية من ان القومية مرادفة للغة حين نتذكر تلك القوميات التى نشأت فى اوروبا خلال القرن التاسع عشر .

فقد وحدت المانيا على اساس اللغة وحدتها بعد ان كانت مجزاة الى دويلات كثيرة ، وكذلك وحدت ايطاليا على اساس اللغة ايضا . وان استقلال بولندا واتحادها قد تم ايضا على اساس ان الناطقين بالبولندية اصحاب قومية واحدة ، وكذلك استقلال اليونان وبلغاريا ورومانيا والبانيا ويوغسلافيا والمجر وتشيكوسلوفاكيا ، فكل هذه الدول قامت على اساس ان لكل منها لغة قومية متميزة عن غيرها . اى ان تفكك كل من السلطنة العثمانية والامبراطورية النمساوية انما كان بسبب اختلاف اللغات فيهما ، فانفصلت عن السلطنة العثمانية الشعوب التى تتكلم بغير التركية ، وانفصلت عن الامبراطورية النمساوية الشعوب التى تتكلم بغير الالمانية (29) .

وشواهد الماضى وتجارب الحاضر فى الشرق والغرب تثبت فى وضوح ان اللغة على الاطلاق هى اقوى عوامل الوحدة والتضامن بين اهلها ، حتى لقد ذهب العالم اللغوى سابير الى ان اللغة هى على الارجح اعظم قوة من القوى التى تجعل الفرد كائنا اجتماعيا ، ومضمون هذا الراى امران :

الاول : ان اتصال الناس بعضهم ببعض فى المجتمع البشرى لا يتيسر حصوله بدون اللغة .

والثانى : ان وجود لغة مشتركة بين افراد قوم او امة من شأنه ان يكون هو نفسه رمزا ثابتا وفريدا للتضامن بين الافراد المتكلمين بها (30) .

فاللغة عنصر ضرورى لبقاء وتماسك وحدات المجتمع فوحدة الغايات والمبادئ تدعو الى البحث عن دلالة شاملة للاشياء والانفعال ، وعناصر الوجود المختلفة تتجسد فى صورة لفظ واحد مشترك ، يدل على هذا الشئ او الفعل ، وبذلك يلعب اللفظ اللغوى دوره كرمز مشترك متفق عليه من كافة افراد مجتمع اللغة الواحدة .

اللغة والاتصال الاعلامى :

الوجود البشرى ملتحم باللغة ، فاللغة ظاهرة انسانية اجتماعية تصاحب سلوك الناس فى كل لحظة، وترافق المجتمعات فى اطوارها التاريخية المتلاحقة ، فيصيبها ناموس التغير الحتمى الذى يجعلها اداة

---

(28) د . ابراهيم انيس : « اللغة بين القومية والعالمية » ــ ص : 108 .
(29) د. عثمان امين : « فلسفة اللغة العربية » ــ ص : 16 .
(30) مجلة « اللسان العربى » ــ العدد السادس ــ ص : 19 .

صادقة للتعبير ، باللفظ والرمز والايحاء ، عن حياة المجتمعات العقلية والحسية ، ومعيارا دقيقا لرقيهـا او انحطاطها فى ميدان الثقافة والعلم والحضارة .

وحاول الكاتب الانجليزى هـ . ج . ويلز ، ان يكشف العامل الذى يفضل غيره فى حركة التاريخ الانسانى.

وبدأ بمزية الانسان الاولى ، وهى الكلام او اللغـة اللسانية وجعلها المحور الرئيسى لحركـة التاريـخ الانسانى بأسره . وقسم هذا التاريخ اقساما رئيسية : الاول : عصر الكلام ، والثانى : عصر الكتابة ، والثالث عصر الطباعة ، والرابع : عصر الاذاعة . وادخـل فى اعتباره العوامل المساعدة لهذ المحـور الـرئيسى ، كاختراع البخار والكهرباء ، واقتران الطباعة بالانتاج الآلى الكبيـر .

وليس من شك فى ان ويلز كان من المبشرين بلغـة جديدة ، وفن اعلامى جديد ، كان من القلائل الذيـن ادركوا ان التقدم الانسانى يسير بخطـى سريعـة ، وبخاصة فى التحكم فى الطاقات الهائلة .

على ان ذلك يؤكد ان اللغة لا تعرف التحجر ، وهى قادرة على العمل ، قدرة كامنة ، وهى لا تفتأ تتغيـر شكلا ومبنى ، تتغير حروفها واصواتها او صيغتهـا وبناؤها او من ناحية معناها ، فقد تنتقل الكلمة مـن معنى الى آخر ، او تضيف الى معناها معنى آخـر جديدا دون ان تترك الاول .

وان تطور لغة ما مرتبط بتطور الاقوام التى تنطق بها ، واللغة والتطور عنصران متلازمان وهما بسمـة المجتمعات منذ اقدم العصور ، ولا سبيل لتفضيل لغة على اخرى ، وانما يكون التفاضل بين الوسائل المتبعة لتنمية اللغات واثراء تراثها التعبيرى .

الامة البدائية حتما لغتها بدائيـة وغير مصقولـة ومفتقرة الى عديد من العبارات والالفاظ التى تؤدى المعانى الحسية والمجردة ، فهى المحدودة وكلما ازداد تفكير المجتمع اتساعا ، وثقافته نموا ، تطورت لغته وازدادت قدرتها على التعبير واعطـاء كـل سمـة لفظا مناسبا (31) .

ان اللغة تمنـح الانسان بالاضافـة الى وراثتـه البيولوجية خطا آخر للاستمرار ، يجعل الثقافـة ، وتراكم المعرفة ، امرا ممكنا .

وقد اتاح العلم الحديث للغة ممكنـات ووسائـل متعددة للتعبير عن دقائق الاحكام العقلية فى صورها النظرية والتطبيقية ،كما اتاح للالفاظ المعنوية المجردة طاقات جديدة مالت بها نحو وضوح اكثر ، وتخصيص ادق ، واصبحت الكلمات بفضل تقدم الآداب وفنون الاعلام والاتصال بالجماهير غنية بالمدلـولات التـى تعمقت فى اغوار النفس البشرية وحاجات الانسانحتى صار عدد من الفاظ اللغة عالما من الاشارات والرموز المعبرة عن ادق المعانى المجردة واعمقها (32) .

وكان طبيعيا ان يشتد الاحساس بالحاجة الى لغة اعلامية ، بعد ظهور وسائل الاعلام وتنوعها الى : وسائل مكانية ، ووسائل زمانية ، ووسائل مكانيـة زمـانيـة .

ويقصد بالوسائل المكانية تلك التى تشغل حيزا فى مكان كالصحف والمطبوعـات والصـور ، والفنـون الشكلية ، وهى جميعا وسائل بصرية او منظورة . اما الوسائل الزمانية فهى التى تتسلسل فى وقت زمنى كالاذاعة والتلفزة والاحاديث المسموعة ، وهى وسائل شفوية او سمعية . وتعتبر الافلام الناطقة ، والتلفزة والمحادثات الشخصية المباشرة ، وسائل مكانية زمانية لانها تشغل حيزا مكانيا ووقتا زمانيا فى نفس الوقت ، وهى وسائل سمعية وبصرية .

وادى هذا التطور الى ظهور لغة من نوع جديد ، غير اللغة الادبية بمستواها التذوقى الجمالى ، وغير لغة العلم ، فاللغة الاعلامية الجديدة التى تسعى الى جميع فئات القراء ، الى تحقيق المستوى على الصعيد الاجتمـاعـى للغـة .

وبلغ البعض فى تأثير الصورة والصوت على الكتابة والطباعة ، وتخيلوا ان عصر التدوين على المنهج القديم قد انتهى ، وان اللغة اللسانية تستعيد مكانتها ، وتعود الى طبيعتها المجهورة ، وبكل ما فى الصوت من نبـر وايقاع ، وان الصورة تتخذ بدورها مكانها الى جانب اللسان . ويذكر الدكتور عبد الحميد يونس ان هـذه

---

(31) مجلة « اللسان العربى » ــ العدد الاول ــ ص : 28 ــ المغرب ــ 1381 هـ .
(32) د . ابراهيم امام : المرجع السابق ــ ص : 199 .

الجارحة كانت اكثر وسائل الاتصال مرونة ، لانهـا تستطيع ان تسجل الصور الحسية على اختلافها ان تحكى او ترمز او تشير الى الصور البصرية والسمعية والذوقية ، الى جانب الصور الصوتية بطبيعة الحال. والصحيفة والمجلة واللافتات لها مميزات هامة تجعلها تتفوق على بعض الوسائل الاخرى .

واهم هذه المميزات ان القارئ او المشاهد يستطيع السيطرة على الوسيلة بطريقة تلائمه ، فالقارئ مثلا : فى حالة الصحيفة او الكتاب يستطيع ان يقرأ بالسرعة التى تناسبه ، كما يتمكن من اعادة ومراجعة ما قراه فى اى وقت يشاء . لذلك كانت هذه الوسائل البصرية المكانية صالحة لنشر الموضوعات المعقدة ، والدراسات الصعبة ذات التفاصيل المتشعبة . وغنى عن البيان ان هذه المطبوعات وغيرها من الوسائل البصرية تمكن الناس من النقد المدروس ، والعناية بالتفاصل الدقيقة. فلا غرابة اذن ، ان تتفوق هذه الوسائل فى التعبيـر عن الدراسات الدقيقة والموضوعات الطويلة ، ذات التفاصيـل الكثيـرة .

ومن اهم مميزات الوسائل المكانية البصرية ايضا ، انها تخدم الاذواق المختلفة ، وتعبر عن الاتجاهـات المتعددة . فمن الممكن مثلا ان تصدر الاقليات صحفا لها ، كما يمكن للجمعيات المختلفة ان تسجل نشاطها فى صحف ومجلات خاصة بها . ومن الثابت ايضا ان الاتجاهات المتطرفة ، والحركات الثورية ، والمذاهب الجديدة لا تجد خيرا من النشرات والمطبوعات الخاصة للتعبير عن مبادئها وآرائها .

ويندر ان تستعمل الوسائل الاخرى كالاذاعة فى مثل هذه الاحوال وتتمتع وسائل الاعلام المكانية البصرية باحترام عظيم وثقة كبيرة فى معظم دول العالم ، بحيث تتفوق بذلك على الوسائل الاخرى . ومع ان التجارب التى اجريت فى مصر وسوريا والاردن ولبنان مجتمعة، فقد اثبتت ان 63 % من الجماهير العربية تفضـل الاذاعة على الصحافة ، فقد كانت النتيجة عكس ذلك بالنسبة لمصر وحدها . ولا شك ان مرد ذلك الى تاريخ الصحافة المصرية الحافل بمواقف الجهـاد الوطنـى المشـرف .

والدليـل على ذلك ان كثيرا مـن الاميين فى مصر يشترون الصحف ليقرأها لهم بعض المتعلمين ، او يجتمعون فى القاهرة او الدور الريفية للاستماع الى تلاوة الصحف .

اما الوسائل الزمانية السمعية كالاذاعة ، فتتناسب مع التنظيمات اللغوية السهلة والعبارات البسيطـة القصيرة ، واذا كانت المطبوعات والصحافة تناسب ذوى الثقافة ، فان الاذاعة تناسب قليلى الحظ منها ، بل والاميين انفسهم . ولما كـان عنصر التعبير عـن الشخصية متوافرا فى الصوت الاذاعى النابض بالحياة، فانه من الطبيعى ان تتفوق الاذاعة على الصحافة فى هذه الناحية . ومن نتائج ذلك ايضا ان الاذاعة مـن اصلح الوسائل للاستهواء والايحاء (33) .

ويعلل « دوب » سر القوة الايحائية بأنها وسيلة سريعة للنشر ، بحيث تتفوق على الصحافـة ومعظم وسائل النشر الاخرى ، وبذلك تنفرد الاذاعة بالسبق واولوية النشر . والاثر الاول للخبر او الراى لا يحمى بسهولة ، كما تصعب معارضته . والواقع ان الاحساس الجماعى من اهم مميزات الاذاعة . فقـد يستطيـع المستمع ان يشترك فعلا فى البرنامج ، او انـه على الاقل يحس وهو فى بيته انه عضو فى جمهور كبير من المستمعين ، وهذا الاحساس الجماعى يعمق من قوة الاستهواء . ولما كانت الغالبية العظمى من مستمعى الاذاعة من الاميين ومتوسطى الثقافة ، فان الاستهواء يكون اسرع واقوى اثرا . ولا غرابة ، اذن ، ان تلعب الاذاعة دورا خطيرا فى الدعاية السياسية الموجهة الى الشعوب المتخلفة ثقافيا ، كما يقـوم بدور رئيسى فى الترويج التجارى ، وخاصـة فى الولايـات المتحـدة الامريكية . غير ان الاذاعة — والوسائـل الزمانيـة السمعية عموما — لا تمنح المستمـع تلك السيطرة القوية على الوسيلة ، التى يتمتع بها قارئ الصحيفة او الكتاب . فالمستمع مقيد دائما بموعد الاذاعة المحددة الذى لا يمكن تغيره . وهو لا يستطيع ان يطلب مـن المذيع او المتحدث ان يعيد ما يقول ، او ان يقرأ بسرعة معينـة تنـاسبـه .

ويتضح لنا من التجارب التى اجراها « بلـومر » و « دوب » ان الوسائل السمعية البصرية كالافـلام

---

(33) د . ابراهيم امام : المرجع السابق — ص : 199 .

الناطقة والتلفزة ، تمتاز بتأثيرها القوى ، بحكم واقعية الصورة وحيويتها مقترنة بالصوت المعبر الذى يزيد الصورة قوة وحيوية . ومع ان نتائج ابحاث هذين العالمين تشير الى ان الوسائل السمعية البصرية تتفوق على الوسائل الاخرى فى درجة تذكر الافراد المعرضين لها ، فان هذه النتائج لم تثبت بعد بصفة مؤكدة .

اما التجارب التى اجراها « ستودارد » و « هول وداى » فقد اثبتت ان الوسائل البصرية تمتاز بقدرتها الفائقة على الاستهواء . ويؤكد معظم العلماء هذه النتائج بالنسبة للاطفال ، فهم يصدقون كل ما يرونه فى الافلام ، حتى انه ليصعب جدا تعديل التأثيرات الناتجة عن المشاهدات عند بعضهم . وغنى عن البيان ان عادات الممثلين على الشاشة — كالتدخين او اختيار ازياء معينة — سرعان ما تنتشر بين المراهقين وغيرهم من شديدى الحساسية للاستهواء .

والافلام من الوسائل القوية التى تتناسب مع المثقفين وغير المثقفين . كما انها تنجح بالنسبة للاجانب ، الذين لا يجيدون لغة الفيلم اذ يمكنهم متابعة تسلسل الموضوع من خلال الصور وحدها ، ومن الثابت ان واقعية الفيلم تزداد كثيرا باستعمال الالوان . اما التذكر عن طريق الوسائل السمعية البصرية فهو اقوى بكثير من التذكر عن طريق الوسائل الاخرى . ولكن هذه النتيجة الاخيرة لا زالت موضع المزيد من التجارب العلمية وغيرها (34) .

وليس الامر مقصورا على المميزات الطبيعية وحدها بل ان العادات والتقاليد والاساليب الحضارية ، لها تأثيرها القوى على تكوين الجماعات السمعية او البصرية . فقبل ظهور الطباعة كان الرواة والمنشدون وغيرهم يقومون بعمل الصحافة ودور النشر الحديثة ، وكانت الجماعات سمعية بحكم الحضارة والتقاليد .

فعند العرب كانت القصيدة الشعرية الاداة الوحيدة للتعبير عن راى القبيلة فى العصر الجاهلى . فلما جاء الاسلام لعبت قصائد حسان بن ثابت دورها فى مناصرة صاحب الدعوة . ثم فى عصر بنى امية وجد ما يسمى « بالشعر السياسى » . وعلى الشعراء السياسيين من امثال جرير والفرزدق والاخطل والراعى وذى الرمة اعتمد خلفاء بنى امية فى كثير من قضاياهم السياسية .

ثم فى العصر العباسى ظهرت عصبية من نوع آخر اسمها « الشعوبية » وحلت محل العصبية القبلية. وتحمس الشعراء الشعوبيون للامم او الاجناس التى ينتمون اليها . كما ظهرت فى العصر العباسى عصبيات وخطباء يذودون عنها ضد الفرق الاخرى .

اما فى المدنيات الحديثة ، فنجد جماعات بصرية كبيرة ، نتيجة للاعتماد على الصحف والمطبوعات والافلام وغيرها . ويبدو ان التقدم الحديث فى فنون الاذاعة سيعيد التوازن مرة اخرى بين الاتجاهات السمعية والبصرية .

والبقاء او الدوام مقياس آخر لتقويم وسائل الاعلام المختلفة . فالكتب اطول وسائل الاعلام بقاء ، وتشهد بذلك تلك الدور الخالدة فى الآداب والفنون والعلوم المختلفة . واذا اعتبرنا فن العمارة وسيلة من وسائل الاعلام — وانه كذلك — لكانت الاهرام والآثار المصرية والمساجد الاسلامية العريقة من اخلد هذه الوسائل جميعا . وتحتل الافلام المرتبة الثانية بعد الكتاب من حيث البقاء ، ثم تأتى المجلات التى تتمتع بحياة اطول من الصحف قصيرة العمر ، واقل وسائل الاعلام بقاء هى الاذاعة والتلفاز ، فلا تكاد تترك اثرا باقيا بعد النشر . ومع ذلك فينبغى الا يقلل من قيمة الاذاعة والتلفاز لانهما يؤديان واجب الاعلام السريع ، والاستهواء العاجل بالنسبة للاطفال ، وقليلى الحظ من الثقافة ، اما الكتاب والمجلة والصحيفة فهى من اصلح الوسائل لمعالجة المعانى الصعبة ، والمبادئ الفلسفية ، والافكار المعقدة بوجه عام .

وسواء كان النمط الاتصالى شخصيا او جماعيا او جماهيريا ، فثمة حقيقة واقعة ، وهى ان عملية الاتصال الاعلامى فى جميع انماطها ، تتوقف على انتقال الرموز ذات المعنى ، وتبادلها بين الافراد ، كما ان اوجه النشاط الجماعية ، ومعانيها الثقافية ، تتوقف الى حد كبير على الخبرات المشتركة من المعانى فالاتصال ، فى جوهره ، هو نقل المعانى عن طريق الرموز المتعارف عليها ، والتى يستخدمها الانسان من اجل التوافق النفسى مع العالم الخارجى . فالرموز هى جوهر وسائل الاعلام وعمودها الفقرى وبدونها لا يمكن ان تعمل .

---

(34) د . ابراهيم امام : نفس المرجع — ص : 205 .
J.T. Klapper, "The Effects of mass media".

الفصـــل الثـــانـــى

اللغـــة والاتصال بالجمـــاهير

تعتبر مشكلات اللغة من المسائل الرئيسية الهامة فى الدراسات الانسانية ، ان لم تتجاوزها بالتخطى الى الاهميـــة المطلقـــة .

والتعريف الشائع للغة هو انها مرآة تعكس الفكر ان وسيلة للتعبير عن الافكار وتوصيلها او تبادلها ، اذ يعرف « هنرى سويت » اللغة فى كتاب « مدخل تاريخ اللغة » بأنها « التعبير عن الفكر عن طريق الاصوات اللغوية » كما يعرفها العالم الامريكـى « سابير » فى كتابه « اللغة » بأنها « وسيلـــة لتوصيـــل الافكـــار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام رموز يستخدمها الفرد باختيـــاره » .

على ان احدث تعريف للغة هو ذلك الــذى وضعه العلامة « جبرش » فى كتاب « فلسفة النحو » : «تكمن روح اللغة فى نوع من النشاط الانسانى ، نشاط من جانب فرد يجد فى افهام نفسه لشخص آخر ، ونشاط من جانب هذا الشخص الآخر بغرض فهم ما كـــان يجرى فى ذهن الشخص الاول » .

ولكن علم الاتصال بالجمـــاهير بوصفـــه عمليـــة اجتماعية هامة ، هو العلم الذى يدرس هذه الظاهرة دراسة منظمة تعتمد على المنهج التجريبى ، وتقـــوم على تكوين الفروض العاملة والملاحظة واجراء التجارب والقياس . وقد هيأت ظروف الحربين العالميتين فرصة سانحة لدراسة اساليب الاتصال ، وفنون التأثير التى ما كان يمكن ان تتاح على نطاق واسع لولا هـــذه الظروف ، ففيها استطاع العلماء اجراء تجارب علمية على الجنود والمدنيين لمعرفة مدى تأثرهم بالاتصال . وقد خرجوا من دراسة الحـــالات واجـــراء التجـــارب ، بمجموعة من النظريات التى تربط بين عدد من الوقائع حتى بلغ هذا العلم مستوى رفيعا (35) .

ويعتمد علم الاتصال بالجماهير على عدد كبير من البحوث التى اجريت فى العلوم الاجتماعية الاخـــرى واهمها علم النفس ، وخاصة علم النفس الاجتماعى، وعلم الاجتماع ، وعلم الانسان (الانثروبولوجيا) ، وعلم السياسة . فضلا عن علوم الاقتصاد والتاريخ واللغات . ولا شك ان دراسة علم الدلالة قـــد اثـــر اثرا كبيرا ، بفهم حقيقة الرموز ودلالتها الصيـــاغية الاتصالية . ونظرا لاعتماد علم الاتصال بالجماهير على سائر هذه العلوم الاجتماعية ، فقد راى البعض ان هذا العلم ليس علما مستقلا او قائما بذاته ولكنـــه عبارة عن مجموعة من الدراسات المتعددة . وممـــا لا شك فيه ان ظاهرة الاتصال بالجماهير هى الموضوع الرئيسى للمستقبل الذى يدرسه هذا العلم دراســـة منهجية ، ولا ينقص من شأنه واستقلاله استعانته بالعلوم الاخرى التى تتصل بجوانب متعددة من هـــذه الظاهرة الهامـــة .

اللغـــة عنـــد افلاطـــون وارسطـــو :

ومع ان علم الاتصال بالجماهير من احدث الدراسات التى ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية ، فان عمليـــة التأثير والاقتناع ، كانت دائما موضع دراسة عميقـــة وجادة منذ اقدم العصور ، حتى لنجد الكتب المقدسة تتحدث عن الكلمة فيقول الانجيل بأنـــه فى الاصـــل « كانت الكلمة وكانت الكلمة هى الله » ، كذلك يقول القرآن : « وعلم آدم الاسماء كلها ثـم عرضهم على الملائكة فقال انبؤونى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين. قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيـــم » .

وقد تطور افلاطون وارسطو بهذه النزعة الروحية فى تفسير نشأة اللغة فعنيا عناية فائقة بدراستها ، وهى من الموضوعات الهامة فى علم الاتصال . فيذهب افلاطون الى ان اللغة الهام ومقدرة فطرية يكتسبهـــا الانسان منذ الخلق . وقـــد نهـــج بادئ ذى بدء نهجا خاصا عبر به فراى ان لا سبيل الى فهم الحقيقة اللغوية الا بالنظر فى الالفـــاظ الاولى فى لغات عدة ، ولـــذا فقد راى ان النظر فى اللغات الاخرى للشعوب المختلفة امر ضرورى للوصول الى الهدف المنشـــود . ويدرك

---

(35) د . ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » ـــ ص : 35 .
Sapir, "Language", Harcourt Brace, N.Y. 1921, p. 23

افلاطون صعوبة المحاولة ويقرر ان السبيل اليها هو معرفة اللغات الاخرى .

على ان افلاطون يرى ان الالفاظ تساعد على التوضيح وان الفكر لا يتولد من اللغة ، ولكن اللغة هى التى تتولد من الفكر . فلكى نسمى الاشياء باسمائها لا بد لنا من ان نعرفها اولا .

اما ارسطو فقد مثل النزعة الاخرى حين يتناول موضوع الاتصال بطريقة مباشرة فى كتابه « الخطابة » فاتجه بالدراسة اللغوية اتجاها مختلفا عن اتجاه افلاطون ، فاكد ان اللغة لا يمكن ان تكون الهاما وموهبة انسانية . وان اللغة نظام لفظى محدد نشأ نتيجة اتفاق بين افراد المجموعة البشرية فى مكان ما.

وقد كان ارسطو اقرب من افلاطون فى الاخذ بالنظر العلمى ، فقسم الالفاظ الى اسماء ، وافعال ، وحروف ، وتحدث عن موضوعات لغوية منها التذكير والتأنيث والبسيط والمركب .

ولآراء ارسطو فى اللغة مكانتها التاريخية فى علم الاتصال بالجماهير ، حين يؤكد ان « الخطابة هى القدرة عن النظر فى كل ما يوصل الى الاقتناع فى اية مسألة من المسائل » . ذلك ان الخطابة او البلاغة باعتبارها قوة مؤثرة فى الجماهير هى محور ودراسة علم الاتصال الجماهيرى الحديثة ، فارسطو يقسم الموقف الاتصالى الى ثلاثة عناصر .

هى الخطيب او المرسل ، والجمهور او المستقبل ، والخطبة او الرسالة ، مع ضرورة فهم الخطيب لرسالته وجمهوره على السواء . وهذا هو ما ظهر تماما فى الدراسات الحديثة .

الدراسات الاسلامية :

وقد تأثر العرب بهذا العلم الاغريقى وتراوه مترجما على يد الآراميين والسريان . ومن العجيب انهم لم يتأثروا بالتفكير الهندوكى اللغوى بالرغم من اتصالهم بهم (36) . ومن هنا انطبعتْ الدراسات اللغوية العربية بطابع من افكار الاغريق ودراساتهم التى يغلب عليها طابع الفلسفة (37) .

وقد كان المسلمون يطلقون على الدعاية والاتصال بالجماهير تسمية « السياسة » (38) كما ورد فى « مروج الذهب » للمسعودى عند ما يقول :

« وقد بلغ من احكام معاوية السياسية واتقانه لها واجتذاب قلوب خواصه واعوانه .. الخ » ويقصد بذلك تأثير معاوية فى الجماهير عن طريق الرواية والدعاية . وقد بلغ به الامر الى حد تزييف الاحاديث، واختلاق الروايات ، وتلفيق المواقف التاريخية من اجل التحكم فى نفوس الجماهير .

ومن يتتبع تاريخ الطبرى وابن الاثير يستطيع ان يقف على تفاصيل الدعاية الاسلامية فى العصرين الاموى والعباسى . كما يتضح دور الفرق الاسلامية المختلفة من اهل السنة والمعتزلة والشيعةفى الدعاية السياسية والدينية معا (39) .

ويتناول الجاحظ موضوع التأثير فى الجماهير فى كتابه « البيان والتبيين » : ومتى شاكل ابقاك الله — ذلك اللفظ معناه ، واعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وفقا ، ولذلك اقدر لفقا وخرج من سماحة الاستكراه ، وسلم من فساد الكلف كان قمينا بحسن الموقع ، وانتفاع المستمع ، واجدر ان يمنع جانبه من تناول الطاعنين ، ويحمى عرضه من اعتراض العيابين، ولا تزال القلوب به معمورة ، والصدور ماهولة ، ومتى كان اللفظ ايضا كريما فى نفسه ، متخيرا فى جنسه ، وكان سليما من الفضول ، بريئا من التعقيد ، حبب الى النفوس ، واتصل بالاذهان ، والتحم بالعقول ، وهشت اليه الاسماع ، وارتاحت له القلوب، وخف على السن الرواة ، وشاع فى الآفاق ذكره ، وعظم فى الناس خطره ، وصار ذلك مادة للعالم الرئيس ، ورياضة للمتعلم المريض .

---

(36) ابراهيم السامرائى : « التطور اللغوى التاريخى » — ص : 11 .
(37) د . عبد الرحمن ايوب : « اللغة والتطور » — ص : 16 .
(38) د . ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » — ص : 39 .
(39) د . ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » — ص : 29 .

فماذا اراد صاحب الكلام صلاحشأن العامة ومصلحة حال الخاصة ، وكان ممن يعم ولا يحصى ، وينصح ولا يغش ، وكان مشغوفا باهل الجماعة ، شغفا لاهل الاختلاف والفرقة ، رجعت له الحظوظ من اقطارها ، وسيقت اليه القلوب بأزمتها ، وجمعت النفوس المختلفة الاهواء على محبته ، وجبلت على تصويب ارادته ، ومن اعاده الله من معرفته مضيئا وافرغ عليه من محبته ذنوبا حنت اليه المعانى وسلس له نظام اللفظ ، وكان قد اغنى المستمع من كد الكلف ، واراح تارئ الكتاب من علاج التفهم (40) .

وعنى الباحثون العرب بدراسة لغتهم ، بعد نزول القرآن ، واتساع الفتوحات ، وخاصة بعد قيام الدولة العباسية ، فجندوا انفسهم للعناية بأمور اللغة حرصا على كتـاب الله ، فاتجهـت الدراسات اللغويـة فى اتجاهات عدة ، واهتدى الباحثون لمسائل دقيقة فيها قـال الفـراء :

وجدنا للغة العرب فضلا على لغات جميع الامـم اختصاصا من الله تعالى وكرامة اكرمهم بها ، ومـن خصائصها انه يوجد فيها من الايجاز ما لا يوجـد فى غيرها من اللغـات (41) .

ويبرز الاتجاه الاول فى عناية الباحثين العرب بمـا يسميه علماء الغرب « بالسنتكس التعليمى » اى « علم التنظيم التعليمى » (42) او « علم النحو » الذى بـدأ يظهر على يد الباحث اللغوى ابى الاسود الدؤلى ، وظلت العناية موجهة فى هذا الاتجاه الى نهاية القرن الاول الهجرى ، ثم اخذ نطاق البحث يتسع ، فدرست موضوعات كثيرة متصلة بأجزاء الكلام ، وتبيان صلة اجزاء الجملة بعضها ببعض ، وطريقة ربطها بعضها ببعض ، واقسام الكلمة ووظيفتها فى الدلالة . كمـا اخذ العلماء العرب فى هذا الاتجاه يدرسون المسائـل المتعلقة بضبط القواعد المتصلة باشتقـاق الكلمـات العربية وتصريفها وتغيير ابنيتها بتغير المعنى وما يتصل بذلك من البحـوث التـى يطلـق عليهـا الغـرب « المورفولوجيـا التعليميـة » اى « علـم البنيـة التعليمـى » (43) .

وبذلك وجد السبيل لدراسة الفرع الجديد الـذى عرفناه « بعلم الصرف » .

واتجهت الدراسات العربيـة كذلك الى موضوع يتصل بعلم الاتصال عن قرب ، على النحو الذى وجدناه لدى ارسطو ، وهذا الاتجاه هو المعروف « بعلـوم البلاغة » التى تضم المعانى ، والبيان ، والبديع . وعلم المعانى يبحث فى بيـان مـا ينبغـى ان يكون عليـه الاسلوب العربى ليطابق مقتضى الحال وليعبـر عـن المراد ابلغ تعبير ، اما البيان فهو العلم الذى يشرح المناهج التى يسلكها الاسلوب العربى فى استخـدام التشبيهات والمجازات والكنايـات ، والبديـع يدرس المحسنات المعنوية واللفظية التى يحتملها الاسلـوب العربى وموضوعات البحوث الثلاثة ، كما نرى تبحث فى اللغة الاتصالية ، على النحو الذى تتجه اليـه علوم الاتصال بالجماهير ، وهى من جهة اخرى «ترجـع الى ما يسميه المحدثون من علماء الفرنجة «الستيلستيك التعليمى» اى « علم الاسلوب التعليمى » .

وقد عنى المتقدمون بالكتابة فى بعض هذه المباحث « كمجاز القرآن » لابى عبيدة ، و « اعجاز القرآن » للجاحظ ، ثم برزت الكتابة فى هذه العلوم فى مؤلفات تضمها جميعا « كالصناعتين » لابى هـلال العسكرى و « اسرار البلاغة » و « دلائل الاعجاز » لعبد القاهر الجـرجـانـى .

وفى الاتجاه الثالث نجد العلماء العرب يبحثون فى الكلمة العربية من حيث نطقها واداؤها ، لبيان الوجوه التى قرئ بها القرآن الكريم . وقد اشتملت مؤلفات الباحثين فى القراءات على بحوث دقيقة قيمة فى اصوات اللغة العربية وطبيعتها وصفاتها وانواعها ومخارجها ، والفن وضروبه ، وتأثر اصوات الكلمة المتجاورة بعضها ببعض .. ومـا الى ذلك من مسائـل « الفـونيتيك » الخاصة باللغة العربية (44) .

---

(40) « البيان والتبيين » — ج 3 — ص : 20 .
(41) القلقشندى : « صبح الأعشى » ج 1 — ص 149
(42) د . واق : « علم اللغة » — ص : 53 .
(43) المرجع السابق — ص : 53 .
(44) المرجع السابق — ص : 56 .

واتجهت جهود الباحثين العرب فى الاتجاه الرابع الى البحث فى اشعار العرب فجمعتها ونقبت عن معانى الغريب فى مفرداتها هادفة من وراء ذلك الى فهم كتاب الله .

ويدلنا على ذلك ما روى (45) عن ابن عباس رضى الله عنه بهذا الصدد :

الشعر ديوان العرب ، فاذا خفى علينا الحرف من القرآن الذى انزله الله رجعنا الى الشعر فالتمسنا معرفة ذلك منه . وقال ايضا : « اذا تعاجم شئ من القرآن ، فانظروا فى الشعر ، فان الشعر عربى » .

وعنى الاتجاه الخماسى « بمتن اللغة » والذى تفرعت منه ثلاثة اقسام ، عنى الاول منها بوضع معجمات تهدف الى شرح المفردات ، واول من عمل على تدوين معجم شامل من هذا القبيل هو الخليل بن احمد صاحب كتاب « العين » .

وعنى القسم الثانى بوضع معجمات ترمى الى بيان المفردات الموضوعة المختلفة المعانى ، وترتيب المعانى بطريقة خاصة ، وذكر الالفاظ التى تقال للتعبير عن كل معنى منها ككتاب « الالفاظ » لابن السكيت ، و « الالفاظ الكتابية » للهمدانى ، « وفقه اللغة » للثعالبى .

اما القسم الثالث فقد عنى بتأليف رسائل خاصة فى الالفاظ او المعانى ، ككتاب ابى حنيفة فى الانواء والنبات ، وكتاب يعقوب فى النبات والاصوات والفرق، وكتاب الاضداد فى اللغة للانبارى .. الخ

واتجه البحث اللغوى عند العرب — فى الاتجاه الاخير — الى « فقه اللغة العربية » وبعض مسائل من علم اللغة العام (46) .

فمن ذلك دراسة الاصمعى للاشتقاق فى اللغة العربية ، ومعظم البحوث التى ضمنها ابن فارس فى كتابه « الصاحبى » فى فقه اللغة وسوق العرب فى كلامها كبحثه فى خصائص اللسان العربى ، والقياس والاشتقاق .. الخ ، والبحوث التى ضمنها ابن جنى فى كتابه « الخصائص » كبحثه فى اصل اللغة وهل هى الهام ام اصطلاح .. وهلم جرا ،

ومن ذلك يبين ان الدراسات اللغوية عند علماء العرب باتجاهاتها المختلفة ، افادت فى دراسة اهم عناصر العملية الاتصالية ، ونعنى اللغة ، حيث نتعرف على تطور اللفظ ، والاساليب والعوامل التى اثرت فى تطور الاساليب اجتماعيا ونفسيا وجغرافيا .

وقد وجدنا ان الفارابى (47) المعروف فى التاريخ بالمعلم الثانى بعد ارسطو وعبد الرحمن بن خلدون قد اسهما فى دراسة دور الاتصال فى المجتمع . كما قام الجاحظ بدراسة شيقة للخطابة والتاثير فى الناس . ويتحدث الفارابى فى « آراء اهل المدينة الفاضلة » عن عوامل تمسك الجماعة ودور القيادة فى ذلك ، وهو يقسم الجماعات الى قسمين : جماعات صغيرة تتماسك بطول التلاقى والاشتراك فى الطعام والشراب، والاشتراك فى شر يداهمهم وخاصة اذا كان نوع الشر واحدا وتلاقوا ، فان بعضهم يكون سلوة بعض ، والاشتراك فى لذة ما . اما القسم الآخر فهو الجماعات الكبيرة التى تتماسك بالاشتراك فى اللغة واللسان وبتشابه الشيم والخلق .

ويذهب ابن خلدون فى مقدمته الى تعليل التماسك والاختلاف بين الشعوب والمجتمعات على اسس اجتماعية ، ويرفض ما ذهب اليه المسعودى من اسباب تتصل بتركيب الانسجة . ولعل هذا الاتجاه الذى يربط بين العوامل النفسية والاجتماعية فى تعليل السلوك هو نفس الاتجاه الحديث الذى يرفض التعليلات الغيبية والافتراضات المتصلة بالغرائز ، والعوامل البيولوجية العتيقة . وحين يتحدث ابن خلدون عن التعلم يقترب كثيرا من المحدثين وخاصة السلوكيين اذ يقول :

« لان الافعال لا بد من عود آثارها على النفس ، فافعال الخير تعود بآثار الخير والذكاء ، وافعال الشر والسفسفة تعود بغير ذلك فتتمسك وترسخ ان سبقت وتكررت ، وتنقص خلال الخير ان تاخرت عنها بما ينطبع من آثارهم المذمومة فى النفس ، شأن الملكات الناشئة عن افعال » .

---

(45) « تفسير القرطبى » — ج 10 — ص : 129 .
(46) د . وافى : « علم اللغة » — ص : 59 .
(47) الفارابى — ابو النصر : « آراء اهل المدينة الفاضلة » — القاهرة 1948 .

اللغـــة فى ضوء البحث الحديـــث :

ظلت البحوث اللغوية فى اوربا حتى اواخر القرن الثامن عشر الميلادى محصورة فى دائرة ضيقة وتعدو كثيرا مسائل علـــوم البنيـــة والتنظيـــم والاسلـــوب (المورفولوجيا والسنتكس والستيلستيك) فى اشكالها التعليميـــة (48) .

ولما بدأت النهضة الاوربية فى اواخر ذلك القرن ، واطلع العلماء على العلـــوم العربيـــة مترجمـــة الى لغاتهم بدأ الاهتمام بالدراسات اللغوية ، حين بدأ علم اللغة المقارن على يد السير وليام جونز احد قضـــاة الانجليز فى الهند والذى لاحظ الشبه القوى بين اللغة السنسكريتية واللغة الاغريقية واللاتينية ، هذه اللغات جميعها صدرت عن اصل واحد .

وكان من اشهر من افتتح هذه السبيل فون شليجل الذى قرر ان الوسيلة الوحيدة لاثبات العلاقة بين افراد مجموعة لغوية هى مقارنة قواعدها وتراتيبها لا مجرد جمع المفردات المشتركة بينها .

وقد توالت الدراسات اللغوية فتمكن العالمان بوب وجريم من التوصل الى قوانين فى تلك اللغات مثـــل القوانين فى اللغات الهنديـــة والتـــى جعلت اساسا للدراسة اللغوية الى هذا الوقت . وكان ذلك ايذانا بالتوصل الى دراسة القواعد دراسة مقارنـــة مهدت بدورها الى بحوث علم القواعد التاريخى التى قام بها جريم ودييز وبراشيه وماكس مولر وغيرهم . وقـــد اسدى هذا المنهج المقارن فى دراسة اللغة خدمة جليلة فى بيان طبيعتها ، وخرج بعلم اللغة الى مرحلة البحث الدقيق ، وكشف لاول مرة عن وجود ما اطلقوا عليه اسم « القوانين الصوتية » وظهور علـــم الاصـــوات التشريحى على يد مولر ، وقد تهيأ لهؤلاء العلمـــاء ان ينتهوا الى طريقة فى الاصوات تغير الحروف اللاتينية.

كما اثمر هذا المنهج المقارن النهوض بمختلف الفروع اللغوية لقيام طائفة متخصصة بكل ناحية دراسية ، وظهور علم اللغة العام وقد كتب فيه ماكس مولـــر محاضرات فى علم اللغة وقد نشر سنة 1861 . كمـــا جاء فى كتاب الامريكى Whitney فى كتـــابين فى نفس الموضوع هما :

« اللغة ودراستها » و « حياة اللغة وتطورهـــا ». وقد جنح هذا الاخير باتباع مذهب دارون فى التطور فكانت اللغة عنده من الكائنات الطبيعية التى يعرض لها التطور ، فبدأ بدراسة لغة الحيوانات على انهـــا تؤلف مرحلة مبكرة من مراحل تطور اللغة الانسانية ، ذلك ان اولى محاولات التحليـــل اللغـــوى فى العصر الحديث ارتبطت بتيارات الفكر العلمى التـــى سادت القرن التاسع عشر . ومن ثم فقد ظهرت تلك المحاولات فى اطار علم اللغة المقارن .

ومن جهة اخرى فقد عالج توماس هوبز الذى عاش فى انجلترا فى القـــرن التـــاسع عشر مسائـــل التفاعل الاجتماعى عن طريق الاتصال واستخدام اللغة وذلك فى كتابه « التنين » ويقـــول هوبز ان التجمـــع ليس صفة مقصورة على البشر ، فهناك تجمعـــات النمـــل وخلايا النحل التى تتصف بالتماسك ودقـــة العمـــل.

ثم يقول ان اهم ما يميز التجمعات البشريـــة عـــن التجمعات الحشرية هو وجود لغة ذات الفاظ تمكـــن الفرد من ان ينقل الى الآخرين افكـــاره وآراءه بمـــا يرى انه الصالح العام لهذا التجمع فاذا كان الاتصال بين الحشرات قائما على مقتضيات المواقف الجزئية المباشرة ، فان الاتصال الانسانى على العكس من ذلك قائم على استخدام الرموز والالفاظ للتعبير عن الافكار والآراء . فليس غريبا ان الانسان وهو الحيوان الناطق، وهو ايضا الحيوان الذى يحارب بالفكـــر والعقيـــدة والدعاية والسلاح . ولذلك يتطلب الامر وجود قـــوة تتمثل فى الدولة او الحكومة التى تنظم الاطماع ، وتنسق الافكار ، حتى لا تعم الفـــوضى ويـــذهب النـــاس فى سبلهم شتـــى .

وفى سنة 1860 ، بدأ اثنان من البـــاحثين همـــا لازاروس ، وستينتال نشر بحوث متصلة بعلم النفس لا شعوب ،وفيها دراسات عن اسباب الشعور المتماثل لدى الافراد ، وهى الروح العامة التى تظهر فى اللغة والاساطير والدين والتراث الشعبى ، والفن والادب ، وقواعد الاخلاق السائدة ، والعرف والقانون . ويبـــدو ان ستينتال قد وقع تحت تأثير الدارونية ، وقولها بوجود قوانين عامة تحكم التطور ، ولعل ذلك ما دفعه الى تجاهل الفرد وميوله النفسية وقوله بوجود سيكولوجية

---

(48) د . وافى : « علم اللغة » ــ ص: 40 .

جماعية — او عقل جمعي — هي التي تتمثل فيهما النزاعات والميول النفسية الاجتماعية .

ويرى هيرمان باول ان علم النفس الاجتماعي بالمعنى الذى ذكره ستينتال لا يشمل هذه العناصر كلها بل يقتصر على العنصر الاول . كما يقرر ان اللغة هي اهم الادوات التعبيرية التى تستعمل فى المراحل الثلاثة التالية : لادراك الفرد فكرة من الافكار نشأت لديه بفضل كونه عضوا فى جماعة ، وهى :

1 — يقوم الفرد بنشاط عضو يؤثر فيما حوله من اشياء او ادوات تعبيرية .

2 — تنتقل هذه الاشياء والادوات الى فرد او افراد سواه .

3 — يقوم الآخرون بنشاط مادى يؤثر على بعضهم البعض تاثيرا قد يفيدهم ، ولكنه ينسجم مع مقتضيات ثقافتهم .

وقد استطاع « فونت » ان يفسر مدى تدخل التركيبات الذهنية الناشئة عن الانطباعات الماضية فى تشكيل عملية الادراك .

ومن المعروف ان دراسات الاتصال الحديثة تعنى عناية فائقة باثر هذه الانطباعات المترسبة التى تكون الانماط والتصورات الذهنية على ادراك المفاهيم الجديدة . لان الافكار لا تنشأ فى ذهن الفرد مستقلة عن تراث جماعته ، وذلك لانه بالرغم من ان تجارب كل فرد هى التى تخلق فى ذهنه افكاره الا ان للقيم الاجتماعية دخلا كبيرا فى الحكم على امر ما بالخير او بالشر وبالجمال او القبح كما ان ثقافة المجتمع هى التى تحدد للفرد معالم افكاره .

وبعد ذلك اصبح موضوع الايحاء والقابلية للتأثر او الاستهواء من اهم الموضوعات التى عالجها كبار المفكرين من امثال جوستاف لوبون (49) وجبريل تارد. وقد اهتم لوبون بدراسة سيكولوجية الجماعات فى كتاب روح الاجتماع وكان متاثرا بالدراسات السابقة فى الايحاء . والجديد فى كتاب لوبون انه شرح التفاعل بين الفرد والجماعة وتبادل التأثير بينهما . ويقرر لوبون ان تكون الجماعة لا يتطلب وحدة المكان ، وكثرة العدد ولكن المهم هو اتجاه المشاعر والعواطف والافكار نحو هدف واحد ، ذلك ما يقوم به الاتصال الجماهيرى .

وبينما يؤكد لوبون اهمية الايحاء فى التأثير الاجتماعى، نجد ان تارد يذهب الى ان المحاكاة هى اساس التفاعل الذى يتم فى الجماعة . والوسيلة الرئيسية للمحاكاة هى اللغة ، فهى الاداة الاولى لنقل كثير من العادات والتقاليد ، ولنقل الخبرات على اختلاف مستويات تنظيمها عبر الأجيال وعبر الجماعات والافراد . فكان المحاكاة هى القوة الكامنة وراء الاتصال بالجماهير.

اللغة نظام من الرموز :

كان الباحث السويسرى فردينانددى سوسير (1857 — 1913) نقطة تحول حاسمة فى تاريخ البحث اللغوى الحديث . فقد كانت رؤيته الواضحة لجوانب كثيرة من بنية اللغة منارا امام تلاميذه واجيال الباحثين من بعده .

فقد ذهب دى سوسير الى ان اللغة نظام من الرموز ، تتكون من الوحدات المترابطة المتكاملة فى نظام رمزى ، ولذلك حاول ان يخلق نوعا من التوازن بين الاتجاه التاريخى والاتجاه الوصفى الواقعى ، واخذ على اصحاب الاتجاه التاريخى انهم قد اهملوا — الى حد كبير — دراسة اللغة من واقع نشاط متكلميها الذين يعيشون بين ظهرانهم . ومن ثم فقد حرموا انفسهم من دراسة هذا الجانب الحى . كما انهم كثيرا ما يدخلون العوامل التاريخية فى احكامهم على اللغة الواقعية . وهذا لا يتيح ادراك طبيعة اللغة ، فالتسلسل التاريخى للحقائق اللغوية لا وجود له من وجهة نظر المتكلم الذى يواجه وضعا لغويا ثابتا . ويستطيع الباحث ولا شك ان يصل الى اعماق ذهن المتكلم مع تجاهل ماضيه اللغوى تجاهلا تاما (50) .

كذلك قسم دى سوسير ظواهر اللغة فى وقت ما الى عناصر موروثة وعناصر مبتكرة . والعناصر الموروثة هى التى يسميها Langue اولسان ويعنى بذلك لغة

(49) « روح الاجتماع » — ترجمة احمد فتحى زغلول — القاهرة 1909 .

(50) ص : 76 وما بعدها من الترجمة الانجليزية لكتابه .
Course in general linguitics

جماعة بعينها . اما العناصر المبتكرة فتتمثل فى الكلام واللغة بمعناها الانسانى Langage ظاهرة عامة تظهر فى هذين العنصرين مجتمعين . واللسان — او لغة جماعة معينة — مجموعة من الرموز يتلقاها الفرد من الجماعة التى يعيش فيها عن طريق السماع . اما الكلام فانه مجموعة من الاصوات التى تمثل نشاط الفرد باعتباره متكلما . ووحدة الكلام الجملة اما وحدة اللسان فهى النمط . ومن ثم فان اللسان ليس مجرد مجموعة من المفردات ولكنه بصفة اساسية نظام يشمل الرموز والانماط وعلى الباحث ان يحاول بلورة هذا النظام بوجدانه وبعلاقاته المتكاملة .

وقد حاول دى سوسير ايضاح الطبيعة الرمزية للغة ، فالرمز اللغوى دال Signifiant يشير الى مضمون يدل عليه Signifié وهدف الباحث ان يتبين عناصر الدلالة المختلفة مكتشفا قدرتها الرمزية . فاللغة عند دى سوسير هى ذلك النظام المستتر عند الجماعة ككل الذى يمكن تبين عناصره من الظواهر اللغوية المتاحة .

نظرية الانماط الجامدة :

ومن جهة اخرى ، فقد كان والترليبمان من الرواد الاوائل فى دراسة الاتصال الجماهيرى ، الذين افادوا من الدراسات اللغوية ،فذهب الى ان الانسان مخلوق محدود الادراك ، فهو لا يستطيع ان يفهم العالم او يتصوره بمجرد ملاحظته ، وانما يتأتى فهم الانسان للعالم الذى يعيش فيه على مراحل من النضج والتطور والحصول على المعلومات .

فالعالم الموضوعى الذى نتعامل معه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا يقع خارج نطاق احساسنا ، وخارج حدود بصرنا وعقلنا .

ويرى ليمان ان المسائل العامة كالسياسة والحكم والتربية والانتخابات والاصلاحات وغيرها ، تتأثر بما يصدره الناس من احكام نابعة من الصور الذهنية التى يكونونها عن انفسهم وعن الآخرين وهذه هى آراؤهم. اما الراى العام فيتكون من حصيلة هذه الصور المنتشرة فى رؤوس الجماهير ، وهو القوة التى تسعى اجهزة الاتصال وجماعات الراى كالاحزاب السياسية والجمعيات الدينية وغيرها الى التأثير فيها .

ويؤكد ليمان ان تصرفات الناس لا تكون نتيجة لملاحظات موضوعية عن العالم الخارجى ، بل تكون فى حقيقة الامر مبنية على التصرفات الذاتية او الصور الذهنية الكامنة فى نفوس الناس . وهذه لا تتكون بطريقة الملاحظة الموضوعية ، ولكنها تتكون نتيجة الاتصال الشخصى بالناس والاصدقاء ، والاتصال الجماهيرى بالصحف والاذاعة المرئية والمسموعة ، وفى اغلب الأحيان تتكون من تفاعل هذين النوعين من الاتصال .

فالمؤثرات التى تحيط بالانسان لا تكون السبب المباشر فى الاستجابة للبيئة ولكن معنى هذه المؤثرات او صورتها فى ذهن الانسان ، هى التى تحدث الاستجابة. ولما كانت البيئة الموضوعية اعظم واعمق من ان تفهم فهما مباشرا ، فلا بد للانسان ان يبسطها ويختصرها فى شكل صور او رموز يستجيب لها فى بساطة وامان. وهكذا يكون الفرد عالما خاصا له ، كما تكون الجماعة عالما خصا لها . ولا شك ان الاتصال هو الذى يلعب اهم الادوار فى تكوين هذه البيئة الثقافية التى تتكون من مجموع المفاهيم والصور والاخيلة .

ويقول ليمان ان الصور التى تتكون فى اذهان الجماهير تكون بعيدة عن الحقيقة الموضوعية ، ويرجع ذلك فى نظره الى عدة عوامل اهمها الرقابة على الموارد الاعلامية والسرية التى تضرب حولها والعقبات المادية والاجتماعية التى تحول دون وصول المعلومات الى الجمهور ، وضعف القدرة على الانتباه والتركيز ، والفقر فى اللغة ، وضغط المكونات النفسية اللاشعورية ، وتأثير المتاعب ، والتكرار والعنف والرقابة . وهناك ايضا غموض الحقائق وتعقيدها مما يؤثر فى الوضوح، فينشأ سوء الفهم وصعوبة الادراك . وعلى هذا الاساس لا تتكون فى عقول الناس افكار وانما تنشأ اخيلة واوهام ، وهذه هى التى تسيطر على سلوك الناس.

والبيئة الثقافية التى نعيش فيها هى التى تحدد لنا ما ندركه . فنحن لا نرى ثم نحدد ولكن التحديد يكون سابقا على الرؤية والادراك . وملاحظتنا للاشياء والاحداث تتمشى دائما مع الانماط المحددة التى

تصبها البيئة الثقافية فى نفوس الجماهير ، ولا يلبث الانسان ان يرى كل الاشياء من خلال هذه الانماط التى تصبح بمثابة المرشحات التى تصبغ لون المرئيات والانماط ضرورة هامة للادراك والمعرفة ، ولا يمكن الاستغناء عنها .

وتساعد هذه الانماط على تأكيد احترامنا لذاتنا وتمسكنا بحقوقنا ، وتعصبنا لمركزنا الاجتماعى والادبى ، ونقول دائما هذه الانماط شئ طبيعى .

اللغة ونظريات الاتصال الحديثة :

وقد فتحت دراسات والتر ليمان المجال امام دراسة الاتصال الاعلامى دراسة علمية منظمة ، وخاصة من ناحية تأثيرها فى اتجاهات الناس ومعتقداتهم وسلوكهم. فتوفر فريق من العلماء ذوى الاختصاصات المتعددة على هذه الدراسات ، وكان من بينهم متخصصون فى علوم الحيوان والاقتصاد والرياضة واللغويات ، والتاريخ والهندسة والتشريح .

وتمخضت هذه البحوث جميعا عن كتاب صدر سنة 1957 بعنوان « الاتصال الانسانى » يتجه الى دراسة المخ البشرى ، على اعتبار انه مركز الاتصال والمسيطر عليه ، ونتيجة لذلك ظهرت تفسيرات للعمليات النفسية كالتذكر والانتباه والادراك وغيرها ، كما درست اللغة من ناحية التعبير عن المعلومات ونقلها . وتفرعت دراسات فى الموسيقى والفنون ، ودراسات فى الكلام ومشكلات النطق ، وبحوث مستفيضة حول الشائعات وعلم الدلالة .

وارتكزت هذه البحوث على تقدم علم اللغة وظهور علم الصوتيات ، الذى وجه الباحثين الى دراسة اللغة كنظام رمزى . وكان للباحث الروسى تروبتسكوى فضل بلورة المنهج « الفونولوجى » وتطبيقه تطبيقات ناجحة ، فقد اتجه البحث الصوتى قبل تروبتسكوى الى دراسة اللغة كظاهرة تشريحية — فيزيائية ، فانصرف جهدهم الى الصوت نفسه دون النظر فى طبيعته كجزء من نظام رمزى متكامل . وعند ما بلور تروبتسكوى نظريته فى الوحدة الصوتية فرق بينهما من جانب وصورها الصوتية المختلفة من الجانب الآخر. وعلى ذلك يكون المعنى وتغيره او عدم تغيره فيصلا فى التمييز بين الوحدة الصوتية والصورة الصوتية ، وهذا مرتبط بالنظام اللغوى قيد الدراسة ، فلكل لغة نظامها الفونولوجى الصوتى .

وقد اوضحت لنا الدراسات الصوتية ان مصطلحات اى علم من العلوم هى رموز لا قيمة لها الا فى اطار نظام نظرى متكامل وان المصطلحات والمفهومات لا تتحدد قيمتها الرمزية داخل النظام الا بعلاقات التضاد والتكامل .

اللغة والانماط الصرفية :

ولا يقتصر النظام اللغوى فى مكاناته على بعض الوحدات الصوتية ، ذلك ان ثمة انماط صرفية محددة تنتظم هذه الوحدات ، ولكل لغة نظامها الصرفى الخاص بها ، على ان البحث الصرفى الاعلامى يهدف الى تحديد الوحدات الصرفية المختلفة ودراسة انواعها وانماطها المختلفة ، وعلاقاتها فى النظام اللغوى ، من حيث اتصال هذه الانماط الصرفية بالادراك والمعرفة ، ومن حيث اسهام هذه الانماط فى اللغة الاعلامية التى ترمى الى النموذجية والتبسيط . لان العقلية الجماهيرية تركن الى الاستعانة بالرموز والانماط والنماذج والتجسيد ، فاللغة الاعلامية لا تتالف من كلماتها الا منتظمة فى انماط تتخذها الجملة ، وهنا تظهر دراسات اللغوى الامريكى شومسكى فى بناء الجملة والتى تذهب الى ان النظام اللغوى ليس المجموع الحسابى لما سجل من عبارات ، بل هو شئ مجرد له وجوده الفعال وغير الواعى لدى افراد المجتمع اللغوى وهدف النظام اللغوى هنا ليس مجرد الاستقراء الوصفى بل عليه ان ينطلق من المادة المتاحة ، لوضع فروض حول انماط الجمل الممكنة ، ثم نختبر هذه الفروض فى ضوء الواقع اللغوى .

اللغة الاعلامية وعلم الدلالة :

وقد هيأ النهوض الدراسى بالاصوات ، واللهجات الشعبية ، وعلم النفس اللغوى الطريق للوصول بالدراسة الدلالية الى اوجها ، فقد بذل الباحثون فى علم الدلالة جهدهم للوصول به الى مناهج البحث العلمى . فاهملوا الابحاث الفلسفية التى لا تؤدى الى نتائج متيقنة . وعملوا على استخدام التجارب الفعالة كطريقة التجارب وقياس الغابر على الحاضر والموازنة والاستنباط المبنى على اسس سليمة . وقد اثمرت هذه

الدراسة واتجهت فى اتجاهات عدة لبحث الدلالة الصلاتية والدلالة الصرفية والدلالة النحوية والدلالة القاموسية . ولعل علم الدلالة هو اقرب الفروع اللغوية اتصالا بمناهج البحث الاعلامى ، حيث يفيد فى كيفية ارسال الرسائل الى الجمهور بوسائل الاعلام المختلفة، بحيث تنتقل المعانى كاملة ودقيقة ، كما يفيد هذا العلم فى دراسة اللغة الاعلامية كقوة فاعلة تستعمل للتنوير ، ويساعد الاعلاميين كذلك على فهم قدرة اللغة على الخداع والتضليل ، وليأمنوا شرها ، ويجنبوا الناس خطر الزلل والانزلاق .

اللغـة والبحث الاعـلامـى :

قد اثبت علماء الدلالة ان الالفاظ تؤثر على الجهاز العصبى للانسان ، كما ان اختيار الالفاظ هو الذى يساعد على التحكم فى اتجاهات الناس وتصرفاتهم ، ولما كان خبراء الاعلام يهدفون الى تعديل الاتجاهات ، وتكوين الآراء لكسب التأييد ، وتعبئة الشعور عن طريق الوعى والتنوير ، مما يؤدى الى تصرفات اجتماعية سليمة ، فان نتائج علم الدلالة من اهم البحوث التى يفيد منها هؤلاء الخبراء .

اللغـة والبحث الاعـلامـى :

وعلى ذلك يمكن القول ان علم اللغة قد حقق بمنهجه فى تحليل البنية والدلالة درجة عالية من الدقة ، بحيث اصبح كثيرون من المشتغلين بعلوم الاتصال بالجماهير يطبقون الاسس المنهجية للتحليل اللغوى او تحليل البنية اللغوية فى بحث عمليات الاتصال بالجماهير المختلفة ، مبدأ التمييز بين الدراسة الوصفية للبنية وبين الدراسة التطورية لها ، وتوسلوا بالتمييز بين العناصر الرمزية الدالة وما تدل عليه فى اطار المجتمع.

واخذ الباحثون فى الاتصال بالجماهير يبحثون فى اللغة باعتبارها عنصرا اساسيا فى عملية الاتصال الاعـلامـى .

فاللغة اذن هى العروة الوثقى التى جعلت الاتصال عملية اجتماعية ، وهى التى تحدد الكيان الاجتماعى للاتصال الاعلامى ، او اضطرابه فى مواجهة المعايير التى يفرضها المجتمع فى المظهر والسلوك وعلى ذلك فان منهج البحث الاعلامى فى اللغة ، انما يهدف الى البحث فى ماهية اللغة ، من حيث كونها اداة اتصال يستعملها المشتغلون فى الاجهزة الاعلامية ، بحيث ينصب المنهج على البحث بشكل خاص فى اللغة الاعلامية بمستواها العلمى الاجتماعى ، باعتبارها كيانا خاصا متميز الملامح والسمات ، مستقلا عن اللغة بمستوييها التذوقى الفنى الجمالى ، والعلمى النظرى التجريدى

ذلك ان اللغة الاعلامية ، لا تهدف الى مناشدة حاسة الجمال لدى القراء ، بل على العكس من ذلك ، تتضمن اتصالا ناجحا اساسه الوضوح والسهولة .

وقد قال هربرت سبنسر ذات مرة : « ان لدى القارئ او المستمع فى اى لحظة من اللحظات طاقة ذهنية محدودة يمكن استغلالها لتعرف وتغير الرموز المعروضة عليه والتى تتطلب جزءا من طاقته الذهنية، اما ترتيب وتنسيق الصور المعروضة عليه فانها تتطلب جزءا اكبر من المقدرة ، والجزء الباقى يمكن تخصيصه للفكرة ذاتها ، اما الطاقة الذهنية الاقل حيوية فهى لفهم هذه الفكرة » .

ويمكننا بالاستعارة تشبيه اللغة بأنها سيارة او حافلة الافكار التى يكون من الطبيعى ان الاحتكاك والقصور الذاتى فى كل احوالها يحدان من كفاءتها ، والهدف الاساسى فى الموضوع . وهو ليس الهدف الوحيد ان نقلل من هذا الاحتكاك والقصور الى اقل درجة ممكنة » .

على ان المنهج الاعلامى فى اللغة ، يستخدم طرقا عامة يشترك فيها مع غيره من البحوث اللغوية

ويستخدم كذلك طرقا خاصة به تقتضيها طبيعة الظواهر التى يعرض بدراستها — كما سترى — وهذه الطرق جميعا انما هى من ثمرات البحث الحديث . لان اللغة الاعلامية ليست بعثا لنظريات قديمة ، او عرضا لنتائج العلوم التطبيقية على المجال الانسانى ، ولكنها افادت من ذلك جميعا طاقات جديدة ، ولعل برنارد شو من الرواد الذين فطنوا الى وجوب البحث فى التراكيب اللغوية الاعلامية ، لكى يساير الهجاء مقتضيات الحياة ، ولكى يصور فى الوقت نفسه الموقع اللغوى ، والذى لا تحكيه الحروف الهجائية حكاية تامة ، فالاختلاف بين الجماعات والطبقات على المخارج والاصوات شائع وبديهى ، ولا بد من الوصول الى رموز ، فى حروف الطباعة والآلات الكاتبة تصور ذلك الواقع اللغوى ، ولا بد فى الوقت نفسه من الاتكاء على الاختزال ، افادة من الوقت الضائع سدى فى الاملاء والتدوين والطباعة .

الفصل الثالث

اللغة فى ضوء البحث الاعلامى

تحتل اللغة موضعا رئيسيا فى عملية الاتصال الاعلامى ، التى تسرى فى كيان المجتمع على مستويات مختلفة من حيث استخدام اللغة والرموز ، على اعتبار ان الرسالة الاعلامية من اهم عناصر عملية الاتصال الاعلامى بأبعادها النفسية والاجتماعية والثقافية .

واذا كانت العبارة التقليدية تحدد عملية الاتصال فى : (من ، يقول ماذا ، لمن ، وكيف ، وبأى تأثير)

فان اهم عناصر الاتصال يتمثل فى « اللغة » او « الرسالة الاعلامية » ولما كانت « الرسالة » تمثل الوسائل التى يتصل من خلالها فرد بآخر او جهة بأخرى ، فان بحوث الاتصال تعنى بوصف هذه الرسالة بدقة وان تفسر ببصيرة نافذة .

ولقد انفق العلماء جهودا مضنية ووقتا طويلا ، فى بحوث الرسالة الاعلامية من حيث كتابتها وتحريرها ، وفنون صياغتها حتى انه يخيل للمرء ان زاوية الرسالة هى الزاوية الوحيدة التى شغلت الباحثين دون الزوايا الاخرى . غير ان المواقف الاتصالية اشمل من ذلك واعم ، فهى مواقف سلوكية تقدم فرصا مضطردة ومتزايدة للمشاركة فى الخبرة ، وتحقيق الاهداف وكسب المعرفة والفهم وافتراض الفروض بشكل عام ، للسيطرة على البيئة من خلال استخدام الرموز (51) .

والمنهج الاعلامى فى اللغة انما هو اسلوب علمى يستخدم لوصف عملية الاتصال الاعلامى ، وصفا موضوعيا منظما على اساس كمى للمضمون الظاهر للاتصال اى لمجموعة المعانى التى تظهر من خلال الرموز المستخدمة فى عملية الاتصال . فهو اذن منهج لوصف المضمون الظاهر للرموز المستخدمة فى عملية الاتصال الاعلامى بطريقة موضوعية تضمن وجود تعريف دقيق لفئات التحليل بحيث يمكن لمحللين مختلفين ان يطبقوها على نفس المضمون ويحصلوا على نفس النتائج .

اما التنظيم الذى يتضيه المنهج الاعلامى ، فيعنى تحليل الرسالة الاعلامية على ضوء حصر كل الفئات المناسبة لموضوع التحليل ، كما يعنى ان يهدف التحليل الى التحقق من مشكلة لغوية ، او فرض لغوى يمكن من خلال التحقق منه ان يكون لنتائج تحليل اللغة الاعلامية قدر من الفائدة التطبيقية فيما بعد .

ويعنى الاساس الكمى للمنهج الاعلامى انه من اكثر الخصائص تميزا للمنهج الاعلامى فى اللغة ، مما يميزه عن المناهج اللغوية الاخرى . ولا يتطلب ذلك ضرورة تحديد قيم عددية لفئات التحليل ، اذ يتخذ التقرير احيانا شكل كلمات كمية .

ذلك ان اللغة باعتبارها شرطا ضروريا لتماسك المجتمع ، انما تقع فى كونها من جهة ضربا من السلوك البيولوجى الخصيص بأدق المعانى ، ناشئا تلقائيا من المناشئ العضوية الاولى ، وفى كونها فى الوقت نفسه — من جهة اخرى — تضطر الفرد الواحد من افراد الناس ان يلتزم بوجهة نظر سائر الافراد الآخرين وان ينظر الى الامور ، وان يجرى عليها البحث من زاوية لا تقتصر على فرديته الذاتية وحدها ، بل تكون مشتركة بينه وبينهم ، باعتبارهم شركاء او اطرافا متعاقدة ، ان شئت فهى مشروع مشترك ، لا شك قد يكون عنصرا من عناصر الوجود الفعلى الذاتى هو الموجه والهدف لنشر اللغة . ولكن الذى لا شك فيه ايضا ، انها تهم اول ما تهم شخصا آخر — المستمع « المستقبل » — او اشخاصا آخرين ، يوجه اليهم المتكلم « المرسل » الحديث ، فوسيلة التفاهم بين المرسل والمستقبل تقيم شيئا مشتركا ، ومن ثم بمقدار ما يكون للغة من هذا الاشتراك تصبح عامة وموضوعية (52).

وعلى ذلك ، فان لغة الانسان المكتوبة والمنطوقة ، بل وكل وسائل التفاهم بالحركة والاشارة ولغة الفنون كالموسيقى والرقص هى وسائل للتفاهم .

اى وسائل اعلامية :

اللغة ونظرية الاعلام :

ولكن هل من سبيل لقياس حجم ما فى اللغة من معلومات وتقويم دقتها على اساس كمى بالارقام ؟

---

(51) د . ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » — ص : 135 .

(52) مجلة « اللسان العربى » — العدد : 3 — ص : 55 — الرباط — 1375 هـ .

وكيف نفرق بين اصوات او حروف تعطى قدرا كبيرا من المعلومات واخرى تعطى نزرا يسيرا ؟

ذلك المنهج الاعلامى فى اللغة هو موضوع نظرية الاعلام . وهى نظرية حديثة ترتكز على اسس رياضية راسخة . وقد وضع اساس هذه النظرية العالم الامريكى « كلود شانون » عام 1949 ثم ما لبث ان تناولها بالدراسة والبحث عديد من العلماء والباحثين فى مختلف ميادين الفكر والبحث العلمى : علماء الحياة واللغة والوراثة والرياضيون والفلاسفة وعلماء النفس. وتقوم هذه النظرية على اساس ان اللغة هى «شفرة»، اى نسق اصطلاحى من الاشارات متفق عليه بين المرسل والمستقبل بهدف اعلامى .

وحجرا الزاوية الاعلامى الرياضية هو مفهوم عدم التحدد اى الغموض . فان اى مجموعة من الحروف نسطرها او اى مجموعة من الوحدات الصوتية « الفونيمات » نطلقها تحت احتمالات متعددة لتحديدها. فقد تكون ذات معنى ، وهنا يزول عنها عدم التحدد ، وقد تظل بلا معنى فيكتنفها الغموض او عدم التحدد. ومعنى ذلك انه للكشف عما يكون هناك من معنى او لقياس حجم المعلومات فى جملة من العبارات المكتوبة على اساس نظرية الاحتمالات يلزم دراسة اللغة المكتوبة باعتبارها شفرة عناصرها الاولية الحروف الابجدية ، ثم دراسة احتمالات تكرار الحرف الواحد فى اللغة ، والحرفين والثلاث .. الخ ، واحتمال تجاور حرفين معا والثلاثة حروف الخ . ودراسة الفواصل بين كلمة واخرى . فحروف الابجدية هى الذرات او اللبنات الاولية التى يتألف منها بناء اللغة فى شكل مقاطع وكلمات بينها فواصل . ولكن الملاحظ — كما يقول كوندراتوف — ان معظم الحروف المفردة فى اللغة ليست ذات معنى وكذلك ليس كل تركيب لغوى من الحروف يحمل معنى ، وهذا هو ما يسمى بخاصية الفضل فى اللغة اى الافراد او الزيادة فى الاقتصاد.

فاللغة العادية ليست كلغة العلوم مثلا حيث كل حرف له معنى ، فحرف (ا) فى الكيمياء يعنى الاكسجين بينما لا يعنى شيئا خارج هذا الاطار الاصطلاحى ، فيبدو كأنه فضلة او زيادة لا يبرزها الاقتصاد . وكذلك الحرفين (أب) قد تعنى (اب) ، و (أم) تعنى (أم) ولكن ليس كل حرفين متجاورين لهما معنى بالضرورة على ان هذه الزيادة فى اللغة والتى لا يبررها الاقتصاد تقتضيها الضرورة ، فهى « حد الامان » . وتفيد كل الدراسات اللغوية الحديثة ان نسبة الفضل فى كل لغات الانسان العادية تتراوح ما بين 70 و 80 % وتزيد هذه النسبة فى لغة الفنون المتخصصة ، وذلك لان حصيلة كل فن من الفنون اقل من جملة حصيلة اللغة ، ولهذا كانت القراءة المتخصصة ايسر من القراءة الشاملة ، او انها افقر منها لغة وتقل هذه النسبة فى لغة الادب ، ذلك لان الادب فيه تلوين وتصوير وثراء وخيال .

ومن ذلك يبين ان احتمالات تكرار كل حرف من حروف اللغة فى الكتابة او الكلام ليست احتمالات متساوية ، كما ان هذه الاحتمالات تختلف من فن لآخر من فنون المعرفة . ومن ثم يلزم دراسة هذه الاحتمالات لكل حرف من حروف الابجدية على حدة ، ثم دراسة احتمالات تجاور كل حرفين على حدة وكذا كل ثلاثة حروف واربع ... الخ .

واحتمالات الفواصل بين الكلمات والجمل ، واحتمالات تجاور الحروف المتحركة والساكنة وقواعد النحو والبناء اللغوى .

ولكن اللغة ليست فقط حروفا متجاورة وكلمات بينها فواصل ، بل هى اشارات لها ما وراءها ، اى لها مدلول او معنى ، فاى بناء لغوى فارغ من المعنى لا قيمة له اذا فقد الوظيفة الاصلية للغة وهى التفاهم او نقل المعلومات اى واقعيتها . ويختلف معيار التحقق من اللغة هل هى ذات معنى ام لا باختلاف ميدان استخدامها ، فالتجربة هى معيار الحكم فى العلوم الطبيعية ، والفهم المشترك معيار الحكم فى اللغة العامة بين الناس كما انه معيار الحكم فى لغة الاعلام .

وتأسيسا على هذا الفهم تعنى نظرية الاعلام بدراسة حجم المعلومات التى يمكن لمخ الانسان ان يستقبلها ، ويقتضى ذلك دراسة معدل الوارد من المعلومات الى المخ فى وحدة زمنية معينة وهو ما يسمى بسعة الجهاز العصبى او طاقته . ويستلزم ذلك دراسة كفاءة العمل لكل من اعضاء الاستقبال الحسى وكفاءتها فى الاستجابة واوجه الاختلاف والتمايز بين كل منهما ومن ثم يمكن تحديد كفاءة الجهاز العصبى فى الاستقبال والاختزان للمعلومات ذات المعنى سواء فى مجال الحديث الشفاهى او القراءة او السرعة اللازمة.

وتختلف هـذه النسب ايضا على اساس الخصائص الفردية للانسان وحالته العضوية والنفسية ودرجة التدريب ،،، الخ . (53) .

وترتكز نظرية الاعلام عند « شانون » على ان عقل المصور هو المنبع ، وان المرسل يستخدم اللغة والاشارة لنقل الرسالة ، فيتلقاها المستقبل ، ويديرها بعقله وهو المصب او الهدف . يضاف الى ذلك تفسير صاحب هذه النظرية لعنصر التداخل والتشويش ، الذى يعوق عملية الاتصال الاعلامى وقد ينشأ التداخل من المرسل او الرسالة ا والوسيلة او المستقبل ، فتفقد عملية الاتصال شيئا من المعلومات المتدفقة من المصدر الى الهدف . ويمكن ايضاح ذلك بقولنا ان حروف الطباعة الصغيرة الى حد كبير ، تعتبر تداخلا فى الاتصال الصحفى كما أن سوء الاضاءة ، وعدم ارتياح القارئ لاسباب صحية او نفسية ، قد تعوق الفهم ايضا وتعتبر تداخلا . ومن الامثلة على ذلك ايضا ، دق جرس الهاتف اثناء الاستماع الاذاعى او حدوث ضجة مفاجئة ، وكلها تمثل فكرة التشويش او التداخل. ولا بد للاعلامى الناجح ان يدخل هذه الامور جميعا فى اعتباره . وقد يكون العيب فى ارسال التلفاز او الاذاعة نفسه ، او عيب او مرض يعترى المستقبل . ويمكن تصوير التداخل هكذا (54) :

مصدر — تداخل — رسالة / وسيلة اتصال — تداخل — هدف

وقد يعالج التداخل بالاعادة او التكرار حتى تتاح الفرصة للمستقبل لتلقى الاشارة ، غير ان المرسل يراعى تجنب التكرار الممل البطئ كما يتجنب الاسراع الشديد . ويعتبر مفهوم رجع الصدى من المفاهيم المأخوذة عن الدوائر الكهربائية ايضا . وتعتبر هـذه الارجاع اختباراً لسلامة الدائرة ، او ما يصيبها من اعطال . وبنفس الطريقة نجد ان رجع الصدى فى الاتصال الانسانى ، يعطى للمرسل فكرة عن استجابة المستقبل للرسالة او رفضه لها (55) .

ويقدم « ويلبور شرام » نموذجا لعملية الاتصال يصور فيه :

اولا : المصدر او صاحب الفكرة ، وقد تكون هذه الفكرة واضحة بصورة كافية بحيث تعتبر صالحة للتوصيل الى المستقبل ، وقد لا تكون . والعنصر الثانى هو التعبير عن الفكرة وصياغتها فى رموز لتكوين الرسالة او الاشارة . والعنصر الثالث هو المستقبل الذى يفك رموز الرسالة ، كما تتلقاها الجماهير المختلفة بصورة غير مباشرة . والعنصر الرابع هو الاستجابة ورجع الصدى الذى قد يصل ، وقد لا يصل الى انتباه مرسل الرسالة الاصلية . واذا وصلت هذه الارجاع، وفسرها المرسل تفسيرا صحيحا ، فان الدورة الاتصالية تكتمل ، وتتكرر هذه الدورة — بطبيعة الحال — الى ما لا نهاية ، وهذه التفاعلات الاجتماعية ، هى نسيج البناء الاجتماعى والثقافى نفسه .

ومن جهة اخرى يذهب علم « السيموطيقا » او نظرية الاشارات والرموز الى وجود تمايز بين الاشارات والعلامات ، من حيث ان الاشارات اصطلاحية اى متواضع عليها بين الناس وكونها تستلزم وجود عنصرى المرسل والمستقبل مع توفر عامل الوعى والادراك المقصود ، لان وظيفة الاشارة اعلامية اى نقل المعلومات . اما العلامة فلا تستلزم وجود العنصرين لانها لا تتضمن عملية اعلام مقصودة .

ويمايز علم الاشارات والرموز بين ثلاثة انماط من العلاقات ، علامات دالة « علامات التطابق او العلامات المصورة » وتتسم بأن المعنى او المحتوى والصورة الخارجية او التعبير متطابقان ومتماثلان ، والنمط الثالث علامات الاتصال او الاشارات الاصطلاحية وتسمى اشارات بالمعنى المحدد والدقيق لهذه الكلمة . واكثر العلامات المتواضع عليها بين البشر هى من هذا النمط.

على ان الاشارة تكون غير ذات معنى ما لم تكن ضمن نسق من الاشارات يحدد معناها وتكون صوابا فى اطار هذا النسق دون غيره . والاشارات او اللغة

(53) المرجع السابق .
(54) الدكتور ابراهيم امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » — ص : 143 .
(55) ايضا المرجع السابق — ص : 143 .

فى عمومها سواء كانت الفاظا ام حركات لها شكل ومعنى او وعاء ومحتوى . وقد يتفق الشكل ويختلف المعنى ، وجوهر اللغة فى معناها اساسا (56) .

ويقرر علماء « السيميوطيقا » (57) ان لغة الاستعمال المنطوقة هى نسق من الاشارات نشأ فى المجتمع وللمجتمع الا ان لها خاصية تميزها عن سواها من وسائل التفاهم . فلغة الكلام الشائعة ليست كما تبدو فى ظاهرها لغة بسيطة . انها تبدو لنا كذلك فقط لاننا تمثلناها منذ نعومة اظفارنا وتحكمنا فى قوانينها وقواعدها دون ان نتبين عن وعى وادراك طبيعة العملية ، وان كان هذا هو ما يتوفر لنا بعد ذلك فى سنى الدراسة بالمدرسة حين نتعلم القراءة والكتابة.

أن لغة الانسان نسق اشارى بالغ التعقيد ، قادر على نقل الفكرة الخالية المجردة والصور العقلية مثل مفهوم الوعى المطلق وهو ما لا يتأتى من اى نسق اشارى لغير الانسان . ومن ثم فهى لغة اكثر ثراء وغنى واكثر اقتصادا . ويرى علماء السيميوطيقا انها اصبحت كذلك لانها لغة ارتقائية .

ونخلص من ذلك ، الى ان اللغة تتميز على غيرها من الرموز والنظم الاشارية بأنها فى متناول الجميع ، وهذا يميزها عن العلم والفن او الادب اللذين يتطلبان تدريبا خاصا ، فالعالم رموزه وصيغه وارقامه فى علوم الطبيعة والرياضة والكيمياء والفلك والمنطق وغيرها ، ولا يمكن فهم الرياضة الا بعد اتقان هذه الرموز بتدريب خاص .

اما اللغة العملية ، اللغة أليومية ، اللغة الاجتماعية، لغة الفن الاعلامى فتمتاز بالشمول كما انها لغة طبيعية نتعلمها منذ الطفولة ، فى حين ان لغة العلم ولغة الفن من اللغات المصطنعة التى لا يمكن اكتسابها الا بعد سنوات من المران والتدريب (58) .

اللغـة الاعـلاميـة :

وهكذا توجد ثلاثة مستويات للتعبير اللغوى : اولها المستوى التذوقى الفنى والجمالى ويستعمل فى الادب والفن ، والثانى هو المستوى العلمى النظرى التجريدى، ويستعمل فى العلوم ، والثالث هو المستوى العلمى الاجتماعى العادى وهو الذى يستخدم الصحافة والاعلام بوجه عام . وهذه المستويات الثلاثة كائنة فى كل مجتمع انسانى ، والفرق بين المجتمع المتكامل السليم والمجتمع المنحل المريض هو تقارب المستويات اللغوية فى الاول، وتباعدها فى الآخر . فتقارب مستويات التعبير اللغوى دليل على تجانس المجتمع ، وتوازن طبقاته ، وحيوية ثقافته ، ومن ثم الى تكامله وسلامته العقلية ، فمن الثابت ان العصور التى يسود فيها نوع من التآليف بين المستويات العلمية والادبية والعلمية، وهى غالبا ازهى العصور وارقاها . اما اذا كان كل مستوى لغوى بعيدا كل البعد عن الآخر فهو دليل على الانفصام العقلى فى المجتمع ، وهذا يؤدى الى التدهور والانحطاط والشيوخة والانحلال .

فاللغة كغيرها من مظاهر الثقافة تتميز بخاصية التراكم والاستمرار والنمو والقدرة على الانتقال . والاكثر من هذا كله فانها هى ذلك الجزء من الثقافة او الحضارة الذى يساعد اكثر من غيره على التعلم وزيادة الخبرة والمشاركة فى خبرات الآخرين ، سواء الخبرات الماضية او الحالية . اى انها العامل الاساسى فى عملية التراكم التى هى اهم عنصر فى الحضارة الانسانية (59) .

وتعتمد اللغة فى صحتها وقوتها على المستوى العام للغة القائم على التآلف بين المستويات العلمية والادبية والعملية لان الحديث اليومى حين يحسنه افراد المجتمع ينشط اللغة ويعيد لها الشباب . فليس الكلام الانسانى من خلق العلماء او اللغويين ، بل هو على حد تعبير الدكتور ابراهيم انيس (60) من خلق العامة من الناس ممن ربما لم تتح لهم فرصة التعلم فى مدرسة ، وممن لا يكادون يحسنون كتابة او قراءة .

حقا ان العلماء والادباء قد يعملون على تنمية اللغة وجعلها غنية حتى تزهر ذلك الجمال الرائع فى النصوص

(56،57) المرجع السابق .
(58) د . ابراهيم امام : « دراسات فى الفن الصحفى » — ص : 40 — القاهرة 1972 م .
Imam, I. "The Language of Journalism" (1969)
(59) د . احمد ابو زيد : مجلة « علم الفكر » — العدد الاول بالمجلد الثانى — 1971 م .
(60) « اللغة بين القومية والعالمية » — ص : 33 .

الادبية ، ولكننا نلحظ ان اندر النويرات واروعها هى تلك التى تظهر طبيعية ودون رعاية او تعهد .

على ان جذور اللغة لا تعمق الا فى التربة العامة التى منها تستمد اللغة عصيرها وغذاءها ، هذا اذا قدر للغة الا تموت وتندثر كما اندثرت تلك اللغات القديمة التى انقطعت صلتها بكلام الناس وخطابهم . يجب لهذا الا تكون هناك فجوة عميقة بين الفاظ الادب والحديث اليومى . فقد تتطور تلك الفجوة الى عزل لغة الدب ، وتصبح اشبه باللغة المصنوعة التى تتقرر صيغها واشكالها بوساطة سلطة عليا كما هو الشأن فى المجامع اللغوية بأوروبا ، فقد يصدر المجتمع اللغوى قواعد محددة لتنظيم الاستعمال الادبى ، وقد يفرض النصوص التى يجب ان تعلم فى المدارس ، ولكنه لن يستطيع السيطرة على ذلك الحديث الرائج فى الاسواق ، وعلى الخطاب العادى فى البيوت وبين افراد الاسرة (61) .

وقد حدث هذا لاوربا فى العصور الوسطى عند ما كانت اللغة اللاتينية مستأثرة بالدراسات الادبية ، وبينما كانت اللغات الاجتماعية محتقرة ومنبوذة ، لا تستعملها الا الطبقات العاملة الفقيرة فعاشت فى عصور مظلمة ، وباتت تتردى فى الجهل والتعصب والتنافر والتنابذ . وفى الوقت نفسه ، سادت فى العالم الاسلامى آداب رفيعة ، وكانت اللغة العربية شائعة بين الحكام والمحكومين ، مستعملة فى الآداب والعلوم وفى الحياة العملية . ولم تكن الفروق بين هذه المستويات شاسعة مفزعة ، كما كانت فى اوربا بين اللاتينية والإنجليزية او الالمانية مثلا ..

وقد كانت اللغة العربية فى اتعس ايامها واحلك عصورها — فى القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر — تعانى من الانفصام العقلى فى المجتمع، حيث سادت لغة ادبية منمقة متكلفة كتقليد سخيف للطريقة الفاضلية فى الكتابة ، عقيمة مصطنعة لم يألفها الشعب ، اما اساليب العرب الفصيحة والكلام البليغ فقد كانوا بعيدين عنه كل البعد وكل ما تصبو اليه النفوس وترتفع اليه المطامح ان يقلد الكاتب اسلوب الحريرى فى مقاماته كما الفت كتب تقدم للناس الكلام المصنوع والرسائل المعدة والعبارات المؤلفة المترادفة، وليس على من يريد ان يكتب فى موضوع الا ان يأخذ بنصبها .

ومن جهة اخرى اختفت الفروق اللغوية الدقيقة واصبحت الالفاظ المتقاربة مترادفة بحيث لم يعد الترادف فى ذلك العصر مزية من مزايا العربية واصبح مرضا من امراضها الوافدة المنتشرة ، وغلب على الناس استعمال الالفاظ فى معانيها العامة فضاعت من اللغة بل من التفكير مزية الدقة التى عرفت بها العربية فى عصورها السالفة وادى ذلك الى تداخل معانى الالفاظ حين فقدت الدقة واتصفت بالعموم وفقد الفكر العربى الوضوح حين فقدته اللغة نفسها واتسم بالغموض وانفصلت الالفاظ عن معانيها واصبحت عالما مستقلا يعيش الناس فى جوه بدلا من ان يعيشوا فى الحياة ومعانيها (62) .

وصفوة القول ان الخضوع السياسى والنصوصية الفقهية والصوفية السلبية والصنعة المتكلفة فى الادب كان لها جميعا اثرها فى اللغة وانعكاس اشعتها عليها فكان للغة فى تلك العصور صفات هى الوجه اللغوى لهذه الصفات الاجتماعية الاخرى وتلك هى اعراض رسمية مصطنعة متراكمة ، يصبح المجتمع المريض والحضارة المنحطة . وقد حدث ذلك فى العصور الوسطى فى اوربا كما حدث فى انجلترا فى مستهل الفتح النورماندى وحدث ايضا فى مصر بعد الفتح التركى حتى القرن التاسع عشر .

وليس من قبيل المصادفة ان يكون ظهور اول صحفى مصرى وهو رفاعة الطهطاوى فى عصر محمد على مهتما بنهضة علمية ، والتحام بين الثقافة الشرقية والثقافة العربية واهتمام بالترجمة (63) . فقد كانت اللغة الموروثة التى كانت تؤدى اغراض عصور الانحطاط فى آفاق ضيقة حاملة صفات التفكير السائد فى تلك العصور من جمود وضيق فى الافق ، وحملت الحياة الحديثة فى اوربا الى العرب آلات جديدة وافكارا جديدة ومشاعر جديدة ، حملت كل ما حملته حضارتنا من ضروب

(61) المرجع السابق — ص : 23 .
(62) محمد المبارك « خصائص العربية » — ص : 6 .
(63) د . ابراهيم امام : « دراسات فى الفن الصحفى » — ص : 44 .

النشاط الانسانى فى الاقتصاد والسياسة والحياة الاجتماعية من الوان وصور جديدة ، فقامت المشكلة من عجز اللغة العربية كما خلفتها عصور الانحطاط عن القيام بعبء التعبير عن معانى هذه الحياة الجديدة المادية والمعنوية .

لقد كانت الملاءمة بين الامرين عسيرة صعبة وكان ينادى بجمهرة المتكلمين باللغة العربية الى حمل هذا العبء والاضطلاع به فكان على جمال الدين الافغانى ويعقوب صنوع والشيخ محمد عبده ومصطفى كامل واحمد لطفى السيد ومحمد حسين هيكل من رواد الصحافة الذين جمعوا بين الثقافة العربية المصرية والثقافة الاوربية ان يخلقوا بجهودهم الرائعة لغة الفن الصحفى العربى التى تقترب من لغة الادب ، وتمتاز بالسلاسة والواقعية والتبسيط .

ولقد توجت هذه الجهود بظهور الصحافة الاخبارية الحديثة ، وبالتنويع فى وسائل الاقناع الصحفى بالصورة الفوتوغرافية والصورة الكاريكاتورية ، والعناية بالاخبار الناتئة . وقد تطلب ذلك استخدام لغة صحيفة تتلاءم مع شعبية الصحافة ، تتوخى السهولة والتبسيط، دون ان تهبط الى العامية فى اللفظ ، او السوقية فى الفكر (64) .

وهكذا تتقارب المستويات اللغوية العلمية والجمالية والعملية ، لاننا كلما نزلنا فى سلم التطور الحضارى للمجتمعات، وجدنا فروقا شاسعة بين المستويين الادبى والعلمى للغة .

على ان لغة الفن الصحفى والاعلامى ، تقوم على الوظيفة الهادفة والوضوح والاشراق ، وتكاد تكون فنا تطبيقيا قائما بذاته . فالفن الصحفى والاعلامى تعبير اجتماعى شامل ، ولغته ظاهرة مركبة خاضعة لكل مظاهر النشاط الثقافى من علم وفن وموسيقى وفن تشكيلى ،،، الخ .. هذا الى جانب السياسة والتجارة والاقتصاد والموضوعات العامة . ومن ذلك يبين ان الفن الصحفى والاعلامى بوجه عام فن تطبيقى يهدف الى الاتصال بالناس ونقل المعانى والافكار اليهم ، فهو اداة وظيفية وليس فنا جماليا لذاته . ذلك ان للفن الاعلامى وظائف محدودة هى : الاعلام والتغيير والتوجيه والتسويق والامتاع والتنشئة الاجتماعية . ومع ذلك فلغة الفن الصحفى تختلف عن كل هذه جميعا لانها تتضمنها كلها ولا تقتصر على اى منها ، لان القراء او جمهور المستقبلين ليسوا قطاعا واحدا من الناس ولكنهم فى الغالب كل الناس ، ولان الصحفى يكتب لكل الناس فى كل الاوقات — وليس لجزء من الناس فى كل الاوقات او لكل الناس بعضا من الوقت — فانه يجب عليه ان يجاهد لتحقيق هدف عام وهو جعل رسالته مفهومة لدى الجميع (65) .

وليست على هذا الاساس ، البيئة التى يحيا فيها الانسان ، يعمل ويبحث ماديا فقط ، بل ثقافيا كذلك. فانفعال الانسان وكيفية ادائه لها ، لا تتوقف على التكوين العضوى لجسده فقط ، بل البيئة والانسان يتأثران كذلك بمؤثرات الثقافة فى التقاليد والنظم الاجتماعية والعادات والاهداف والمعتقدات التى تحملها الالفاظ اللغوية فى طيها وتوحى بها .

والمشكلات التى تبعث على التقصى والبحث حول الرسالة الاعلامية انما تنشأ من علاقات الناس بعضهم ببعض ، ولا تقتصر الاعضاء التى تختص بهذه العلاقات ، على العين والاذن واللسان ، بل من ادواتها كذلك تلك المعانى المتطورة على مر الحياة ، مضافا اليها وسائل التكوين الثقافى .

ذلك ان عملية الاتصال الاعلامى ليست موقفا ساكنا او جامدا ، وانما هو عملية دينامية متحركة ، بحيث تحتل — اللغة — فى مركب العناصر التى يتألف منها المحيط الثقافى للعملية الاتصالية ، مكانا ذا دلالة خاصة وهى تؤدى وظيفة ذات خاصية ايضا فهى فى حد ذاتها نظام اعلامى ، وهى : الاداة الرئيسية التى تنتقل بها سائر تلك النظم الاخرى والعادات المكتسبة ، كما تتغلغل الالفاظ خلال الصور ومضموناتها فى آن واحد ، وتتميز بتركيب خاص بها له قابلية التجرد باعتبار اللغة صورة من الصور .

وذلك هو المعنى الواسع للغة ، فاللغة بهذا المعنى، هى الوسيلة التى تتقمصها الثقافة فتبقى وعن طريقها تنتقل ، وهى ذلك التدوين الذى يديم بقاء الحوادث ، ويجعلها فى متناول الناس عامة لبحثها من جديد ، ومن جهة اخرى ، فان الافكار او المعانى لا وجود

(64،65) المرجع السابق — ص : 45 .

لها الا فى رموز يستحيل فهمها دون الرجوع اليها مرة ثانية ، وبذلك تشكل تلك الرموز ، نوعا من البقاء الضرورى لوجود الاشياء المرموز اليها ، بعد ان كانت بداية استخدامها وسيلة فقط للتعبير الرمزى عنها (66) .

ومن هذا يتبين ان علاقات العالم الداخلى النفسانى والعالم الخارجى ، تتجسم فى التعابير المختلفة التى توجد بوجودها ، وتنعدم بانعدامها ، انها شرط وعلة لها ، وبما ان الموضوع والذات ، اى المفعول والفاعل، يلتقيان فى الشعور الفردى ليتحققا ، كان لزاما على الدراسات النفسانية ان تبدأ بالتعرف على حقيقة التعبير واصنافه .

فاللغة فن تقنى (لان لها نماذج وقواعد متفقا عليها) ولكن حقيقتها تندمج فى حقيقة تاريخية ، التاريخ الفكرى والنفسانى والصناعى والجغرافى للامة او للامم المتكلمة بهذه اللغة ، ونقصد هنا بالتاريخ الماضى طبعا ، ولكنه حق يسترسل من الحاضر مع التاكيد بان الحاضر لا ينحصر فى الحال ، بل هو ما يعبر عنه النحويون « بالمضارع » اى الحال والمستقبل، لان ما يقوم به الانسان فى الحاضر انما هو إنجاز لما يريد ان يكون عليه ما بعد الحاضر . فالمستقبل ليس للبعيد كما ان الحاضر ليس منحصرا فيما قد حضر ، فحاضر ليس وصفا لحالة ، بل اسم فاعل ، اى انه الزمن الذى يقع فيه فعل فعليا (67) .

فالحاضر يختلف عن الماضى ، لان الماضى قد انتهى كحركة مباشرة ، ولما يبق الا فى اشارة او فى ذاكرة. ويخالف ايضا المستقبل لان المستقبل يصوب اتجاهه نحو الامام ويتقمص الآمال .

فالمتكلم يغير اللغة ولكنه يخضع لاسسها ومصطلحاتها كى يفهم ، فالكلام اداة للتفاهم ، لا غاية فى ذاته . ان المرسل يرمى من وراء الكلام ان يفهم المستقبل انه يريد تواصلا .

والانسان هو الحيوان الذى يتكلم ، اى يصنع العلم بالالفاظ ، فتصبح كل لفظة اما مفتاحا لفهم او اداة مواصلة واتجاه ، واما تحديد لسلوك ، فردى او جماعى ، فالكلمات كالاوراق النقدية والاسلحة او الخاتم السحرى فى يد الإنسان ، يكفيه ان ينطق ليحدث شيئا فى شعوره ، ورد فعل شعور الآخرين ، ومن هذا التجاوب الشعورى ، ينتج صدى يحرك الطبيعة الخارجية ، فالكلام خلاق ، ان الكلمة الواحدة تحدث احيانا فسادا ، واحيانا اصلاحا . واذا لم يتسبب عنه شئ محسوس عند المتكلم ربما حصل ذلك عند المستمعين ، او عند متكلم آخر ، مرة اخرى ، فالكلمة كالدرهم الذى يحتفظ بقيمته التوالية سواء انتقل الى بائع او الى مشتر ، او لم ينتقل : « ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة » (68) .

فالبحث فى الكلمات من حيث تركيبها المادى ، ومدلولاتها المحسوسة ، وآثارها النفسانية ، يلتقى فى ميدان واحد مع كل بحث يدور حول الاعلام او الاتصال بالجماهير ، وحول المعرفة .

ومن هنا كان التامل فى اللغة فلسفة وعلم ، وبما ان اللغة حركات وعلامات واشارات ورموز اتخذتها الفلسفة واتخذها العلم اداة للتعبير ، واتخذها الاعلام « رسالة » اتصالية واعلامية ، هكذا نرى اللغة فى نفس الوقت ، مادة للبحث واداة له ، اذ ان العلاقة بين الفكر واللغة ليست علاقة خارجية ، اى ليست علاقة تجاور فى المكان او تصاحب فى الزمان ، بل هى علاقة داخلية ، بمعنى ان الفكر ليس قبل الكلام ولا هو « خارج » الكلام انما هو فى الكلام . وكذلك ليست اللغة خارج الاتصال الاعلامى ، وانما هى داخله ، تصوغه وتحدده بقدر ما تقيمه وتشكله .

فاللغة ليست شيئا خاصا بفرد ، بل ملكا مشتركا ، بين المرء وشعوره ، بين الشعور كحالات واحساسات، وبين ابرازها « كأحداث » بين المعنويات والماديات ، بين الانسان والعالم ، ومن هذا كان اشتراك لفظ العقل واللغة ، او « النطق » و « القول » فى اليونانية كما اشار الفارابى . والفلاسفة الرواقيون كانوا يرون — كبعض الفلاسفة المعاصرين — ان الفكر واللغة متطابقان ، وان اللغة ليست مقصورة على الاصوات

---

(66) مجلة « اللسان العربى » — العدد : 3 — ص : 54 — المغرب — الرباط : 1385 هـ .
(67) مجلة « اللسان العربى » — العدد : 6 — ص : 15 الرباط 1388 هـ .
(68) د . عثمان امين : « الفلسفة الرواقية » — ط 2 القاهرة 1959 — ص : 119 — 120 .

المتعاقبة التى تحدثها القوة الصوتية بواسطة الحلقوم، والتى يستطيع ثم الانسان ان ينطق بها ، كما تستطيع الكتابة ان تمثلها ، فان مثل هذه الاصوات قد لا يكون لها معنى ما ، ومن ماهية اللغة ان تعبر عن معنى ، بل ان اللغة توجد ولو لم يكن هناك كلام ملفوظ : فهنالك « كلام داخلى » نفسانى يكفى لاستعمال الفكر، وليس « الكلام الخارجى » الملفوظ سوى مظهر من مظاهره .

اللغة هى « الواسطة » العظمى والصغرى فى الغياب وفى الحضور ، فيما كان وفيما هو كائن ، وفيما سيكون

اللغة تعبير « الانا » ونداء للآخرين ، اى دعوة ودعاء ، فالمرء يعطى كلمة « الشرف » فيلزمه الكلام امام نفسه وامام المجتمع ويعيد سلوكه ويفرض عليه مسؤولية ، ورجل لا كلمة له ، رجل ينتصه الضمير ، نعنى ان انسانيته غير كاملة ، فالكلام يرتفع من حركة التعبير ، الى مستوى العناصر « الانطولوجية » ، ربما استطعنا ان نقول : الانسان جسم وروح ولغة (69).

ان اللغة — داخل هذا الاطار — تعتبر ظاهرة اجتماعية وضرورة من ضرورات كل مجتمع ، لانها اهم وسيلة يلجأ اليها ليتم التفاهم بين الافراد فيما يتصل بحياتهم اليومية والاجتماعية والادبية والفنية .

وهذا يعنى افتراض وجود علاقة قوية بين اللغة والحضارة او الثقافة .. ولقد درج الكتاب على الكلام عن « لغة الحضارة » وكيف ان حضارة معينة بالذات تجد لها تعبيرا واضحا وصادقا من الفاظ ومصطلحات اللغة السائدة فى المجتمع الذى توجد فيه . فمفردات اللغة والاساليب والتصورات وبناء الجملة والتراكيب اللغوية والتشبيهات والاستعارات وما الى ذلك فى المجتمع الصناعى الحديث الذى يتميز بتعقد نظمه الاجتماعية والاقتصادية وبشعور اعضائه بفرديتهم الذاتية ، تختلف اختلافا جذريا عن مفردات اللغة وبنائها واساليبها فى المجتمع البدوى القبلى الذى يعيش على الرعى والترحال والذى يرتبط الفرد فيه ارتباطا وثيقا بالجماعة القبلية التى ينتمى اليها بحيث تكاد شخصيته تفنى وتذوب تماما فى تلك الجماعة . وهذه مسألة كثر الكلام فيها — على حد تعبير الدكتور احمد ابو زيد (70) — ولكن حديثنا عن الاعلام واللغة يرتبط بما يمكن ان يسمى « حضارة اللغة » هى فكرة مستعارة من عبارة عارضة وردت فى محاضرة للفيلسوف الرياضى الفرد نورث وايتهيد ونشرها فى كتاب بعنوان « انماط الفكر » (71) ، وتعنى بأنه ثمة حضارة معينة هى حضارتنا الانسانية يرتبط وجودها ارتباطا قويا باللغة بحيث يمكن القول انه لولا وجود اللغة لما قامت هذه الحضارة او لظهرت حضارة اخرى من نوع مختلف عن حضارتنا المعروفة . فالجنس البشرى يمتاز على بقية الكائنات العضوية الحية — بما فيها القردة العليا التى تعتبر اقرب الكائنات العضوية الينا — بالفكر واللغة. وعلى الرغم من ان القردة العليا بالذات تعيش فى تجمعات يتميز بعضها بكبر الحجم ، وعلى الرغم من قدرتها على تعلم بعض الحركات ومحاكاة بعضها فانها تفتقر الى اللغة والى الحضارة بالمعنى الذى نفهمه نحن من هاتين الكلمتين .

ومن هنا تختلف الثروة اللفظية من لغة الى اخرى، بل فى اللغة الواحدة تختلف هذه الثروة اللفظية من عصر الى آخر بالنسبة لحياة اللغة نفسها . ذلك انه بقدر ما تزيد حاجيات المجتمع وتثرى معانيه يزيد عدد هذه المجموعات الصوتية حتى تكون متجاوبة تماما مع هذه المعانى وتلك الحاجيات .

وعلى ذلك تصبح اللغة — التى قال عنها ابن جنى فى « الخصائص » ، والجرجانى فى « التعريفات » انها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم — هى اداة التفكير الانسانى ، فالقاموس اللغوى الذاتى يشكل الى درجة كبيرة طبيعة التفكير واتجاهاته ، كما تصبح اللغة بالنسبة للاعلام : « الرسالة » التى يتم من خلالها نقل الافكار والآراء والمعلومات من المرسل الى المستقبل .

---

(69) مجلة « دعوة الحق » — العدد 5 — السنة السادسة — 1382 هـ المغرب .
(70) مجلة « عالم الفكر » — العدد الاول — المجلد الثانى — 1971 م الكويت — ص : 13 .
(71) المرجع السابق ايضا .
Whitehead, A.N. "Modes of Thought"

فهناك من المجتمعات الانسانية من لا يزال يعيش فى عالم المادة وفى دنيا الامور الحسية ، لذلك لا يحتاج الا الى عدد محدود من الالفاظ اللغوية تسد حاجة دنياه وتتجاوب مع ما يدور فى عالمه ، وهناك من استطاع — لعوامل مختلفة — ان يظفر بدرجة من التطور والتقدم فكريا واجتماعيا وادبيا فنراه يضيف الى عالمه المادى ودنياه الحسية امورا اخرى تتصل بعالم نفسى روحى أو معنوى فيضع لذلك الفاظا جديدة من اصوات اخرى — على ضوء تجربته — تشرح مدلول هذه الامور النفسية او الروحية او المعنوية (72)

من ذلك نجد انه لا غرابة حين نسمع عن اللغة انها مرآة للمجتمع الذى يتداولها او حين نسمع عنها ان تطورها رهن بتطور المجتمع ، بحيث تتجه اهداف اللغة فى اتجاهين متضادين :

احدهما الى خارج ذات الانسان يقوم بعملية الافكار والمشاعر ، والآخر الى داخل الذات ، حيث يشكل طبيعة التفكير ونوعيته ، وكمرحلة لهذين الهدفين اللذين ينبعثان من ذات الانسان ينشأ الهدف الثالث. وهو الهدف الاجتماعى والترابط الانسانى والتفاهم البشرى (73) .

وقد لخص العالم « اولبرت » وظائف اللغة الاجتماعية فقال :

1 — انها تجعل للمعارف والافكار البشرية ، قيما اجتماعية بسبب يقوم استخدام المجتمع للغة بقصد الدلالة على افكاره وتجاربه .

2 — وانها تحتفظ بالتراث الثقافى والتقاليد الاجتماعية جيلا بعد جيل .

3 — وانها باعتبارها وسيلة لتعلم الفرد ، تعينه على تكييف سلوكه وضبطه حتى يلائم هذا السلوك تقاليد المجتمع وسلوكه .

4 — وانها تزود الفرد بأدوات التفكير ، وما وصل المجتمع البشرى البصير الى ما هو عليه الآن ، بدون التعاون الفكرى لتنظيم حياته .

ولا يتأتى هذا التعاون الفكرى ، الا بالتفاهم وتبادل الافكار بين افراد المجتمع ، والوسيلة العملية الميسورة لهذا التبادل والتفاهم هى اللغة الاعلامية بمستواها العملى الاجتماعى .

فاللغة الاعلامية اهم مظهر للمحافظة على كيان المجتمع ، فوحدة الغايات والمبادئ تدعو الى البحث عن دلالة شاملة للاشياء والافعال ، وعناصر الوجود المختلفة تتجسد فى صورة لفظ واحد مشترك ، يدل على هذا الشئ او الفعل (74) ، وبذلك تلعب اللغة الاعلامية دورها كرموز مشتركة متفق عليها من كافة افراد مجتمع اللغة الواحدة .

تطبيقات المنهج الاعلامى فى اللغة :

وتأسيسا على هذا الفهم ، فان المنهج الاعلامى فى بحث اللغة ، يسهم فى الكشف عن اساليب الدعاية عن طريق تحليلها الى فئات مثل التحليل على اساس الموضوع او الصياغات المختلفة للمضمون او على اساس الدعوى او مقصد الاتصال واثره . وقد ثبت ان تحليل الاتصال على اساس فئات المضمون افضل من تحليله على اساس ما يفترض من مقاصد وآثار .

وقد استخدم هذا الاسلوب فى تحليل الدعاية بالحرب العالمية الثانية وتبين منه وجود اربعة اهداف رئيسية لدعاية الحرب لدى الحلفاء هى : اثارة الكراهية لدى العدو ، والابقاء على صداقة الحلفاء والابقاء على صداقة المحايدين وضمان تعاونهم ان امكن ، والقضاء على الروح المعنوية للعدو .

واستخدمت فئات اخرى فى تحليل الدعاية وهى ما يطلق عليه اسم « خدع الصنعة » وهى الحيل الخاصة المختفية التى لا يكون الناس عادة على وعى بها . ومن ذلك ان معهد تحليل الدعاية الامريكى قد اكتشف فى سنة 1937 ان هناك سبع حيل رئيسية يستخدمها خبراء الدعاية ، فى تكوين رموزهم اللغوية للتأثير فى الناس ، وكسبهم الى صفهم . اما الحيلة الاولى فهى استعمال الفاظ التعميم البراقة لتهوين

---

(72) د . حسن عون : « دراسات فى اللغة والنحو العربى » — القاهرة 1969 م — ص : 8 .
(73) مجلة « اللسان العربى » — العدد : 3 — ص : 55 — الرباط — المغرب 1385 هـ .
(74) عبد العزيز عبد المجيد : « اللغة العربية » — ج : 1 — ص : 19 — القاهرة 11 .
Institute for propaganda analysis, how to detect propaganda Propaganda analysis, Vol. I, Nov. 1937 pp. 1-4

القارئ ، واخذه على غرة ، بحيث يتأثر ببريق اللفظ الطنان ، فيخدعه ذلك عن التفكير او المطالبة بالادلة والبراهين . فهناك مثلا الفاظ : الصدق ، والشرف ، والحرية ، والتقدم ، التى تتناثر فى انحاء الجمل والعبارات ، وهناك ايضا الكلمات الدينية والقومية التى يتوسل بها الدعاة ، مثل : الديمقراطية ، والاسلام ، والمسيحية ، والدين ، والشرف ، والامة ، والوطنية ، والحرية ، والقومية ، والانسانية ، وغيرها.

وقد تستعمل العبارات المجازية للتعبير عن موضوعات يريد الداعية الا يظهرها صراحة . فهناك مثلا « الانسحاب وفقا لخطة موضوعة » ، وهناك « تقصير خطوطنا » ، وقد استعملت هذه العبارة الاخيرة لتغطية مرارة الانسحاب فى حرب فلسطين سنة 1948 ، وتستعمل احيانا عبارة « عاشرته معاشرة الازواج » للاشارة الى جريمة الزنا او هتك العرض. وكانت النازلة تروج لعبارة القوة عن طريق اللذة او المتعة لتغطية جرائم الاباحية والانطلاق بين الشباب.

وتدور هذه الحيل حول اختيار موضوع مناسب وتثبيته فى ذهن الجمهور وتبسيطه له واطلاق اسم عليه واستخدام كلمات شاملة عامة وبراقة ونقل المعنى من سياق مقبول لآخر وخلط الامور على الجمهور وتقديم الدعاية فى ظل معلومات اخرى يصدقها واستغلال الظروف النفسية للجماهير التى تجعلهم اكثر تصديقا لما يقدم لهم .

ومن ذلك يبين ان الرموز لا تستعمل للابانة والوضوح والتفكير فحسب ، وانما تستعمل كذلك للخداع والاثارة والتعمية وايقاظ الغرائز . فقد تستعمل اللغة للتعبير عن المعارف والاحداث بدقة ووضوح فهى لغة اخبارية ، كما هو الحال فى الرياضة والعلوم والاعلام ، وقد تستعمل اللغة ايضا لاثارة العواطف والانفعالات فى نفوس الناس كما فى الدعاية .

فالرموز اما معرفية تؤدى الى معلومات ، واما لا معرفية تؤدى الى انفعالات او اوهام .

وقد تمت بعض المحاولات لقياس حرص مختلف انواع الدعاية الموجهة الى جماهير مختلفة من خلال وسائل اعلامية مختلفة فى نفس الوقت او فى فترات زمنية متعاقبة على اثارة استجابات انفعالية بواسطة رموز لا معرفية تختلف باختلاف نوع الجمهور .

اللغة الاعلامية ويسر القراءة :

كما اتجه المنهج الاعلامى الى دراسة الاسلوب الذى يؤثر فى قابلية اللغة الاعلامية للقراءة او الفهم ، على اعتبار ان الرسالة الاعلامية هى المداد والاساس ، بحيث تختار الرموز الاعلامية وتقدم بعناية تامة ، فكان على المنهج الاعلامى ان يقيس قابلية الرموز المطبوعة او المذاعة للقراءة او الفهم ، من حيث العوامل التى تميز الرموز التى يسهل او يصعب قراءتها او فهمها ، والاختلاف فى الاسلوب ، ومدى سرعة القراءة لدى القارئ ومدى التركيز على الكلمات او مجموعات الكلمات ، ومدى ما يستوعب فى ذاكرته من المعانى المؤقتة حتى ينتهى من قراءة الجملة . وكان المنهج الاعلامى يركز فى البداية على « الكلمة » فى قياس قابلية القراءة ، فقسمت الدراسات الاولى القابلية للقراءة المواد الى نسبة الكلمات « السهلة » الى « الصعبة » الموجودة كما تدل على ذلك قائمة مقننة للكلمات مثل قائمة ثورندايك . وفى السنوات التالية اضيفت عناصر اخرى لبحثها مثل — طول الجملة — الجملة البسيطة والجملة الناقصة التى لا تحتوى على فعل والجملة ذات الفعل فقط ، ثم تبع ذلك ما لا يقل عن 82 عنصرا من عناصر الصعوبة التى زعم بحثها ، اختير منها اخيرا خمسة على اساس ارتباطها الوثيق باختبارات الفهم العام وهى : الكلمة المختلفة ، والكلمات الصعبة المختلفة ، والضمائر الشخصية والجملة الناقصة التى تتضمن حرفا للجر، وطول الجملة . ووضعت فى صيغة تعد تعبيرا مباشرا عن القابلية للقراءة على اساس السنوات الدراسية اللازمة لقراءة الفقرة بسهولة . وفى نفس الفسحة من الوقت تقريبا تضمنت صيغة اخرى منتشرة مجموعة اخرى من ثلاثة عوامل هى : طول الجملة ، والتفصيلات الشخصية وضمائر الوصل .

ويوجد حد هام لتطبيق تحليلات القابلية للقراءة ، ذلك انه يتحقق من صدقها عن طريق القارئ العام لاختبارات الفهم . وهذا القارئ يمثل جماعات تعليمية

(75) د . امام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » — ص : 83 .

مختلفة ، لذا فهى تنطبق على القارئ العام ذى الاهتمام العام ولا تضع فى حسابها اثرا لاهتمامات القارئ الخاصة على قابلية قراءته للمادة . فالقابلية للقراءة اذن تعتمد على اهتمام القارئ وخبرته .

اللغة الاعلامية والاطار الدلالى :

واذا كانت القابلية للقراءة تتوقف على اهتمام القارئ وخبرته ، فان الرسالة الاعلامية تفقد قيمتها عند ما ينعدم الفهم .

أن لكل جماعة ، بل لكل عدد مجموعة من التصورات والاتجاهات تتحكم فى سلوكه وفى نظرته للاشياء . فالانسان يعيش فى عالمين : عالم خارجى موضوعى ، وعالم باطنى ذاتى هو مجموعة تصوراته للعالم الخارجى ، او مجموعة المفاهيم والدلالات .

ولا يستطيع الاعلامى ان ينجح فى تحقيق هدفه الا اذا عرف هذه العوالم الباطنية او التطورات الخاصة او الدلالات الحقيقية للاشياء فى ذهن المستقبل . ذلك انه لكل فرد عالمه الخاص ، وتصوراته الذاتية المشتقة من بيئته وثقافته ، بما فيها وسائل الاتصال المختلفة(75)

والانسان يميل الى تنظيم المدركات بطبعه ، وخلع المعانى عليها ، وفقا لاطاره الدلالى ، او مجموعة خبراته ومدلولاته السابقة ، ولا يمكن للاعلامى ان ينجح فى اداء مهمته ما لم يعرف حقيقة الاطارات الدلالية للجماعات والافراد .

ويخطئ الاعلامى حين يظن ان ما يقدمه من معلومات او افكار سوف تفهم بالطريقة التى يفهمها هو بها . فهناك عقبات عديدة فى سبيل ذلك منها التميز والتعصب والخرافات والاوهام . كما ان هناك عقبات تنشأ عن عوامل السن واللغة والدين والاتجاهات السياسية والاقتصادية .

وعلى ذلك ، فان عناية المنهج الاعلامى بدراسة الدلالة والاطار الدلالى هى عناية بالعوامل التى تؤثر فى معانى الكلمات وفى قواعد اللغة واساليبها فتؤدى الى اختلافها وتطورها .. وما الى ذلك ، فى اطار الظواهر الاجتماعية والتاريخية والسياسية والجغرافية والثقافية ، الخ ..

نظرية فليس فى التجريد :

وافادة من هذه البحوث ، اصبحت اللغة الاعلامية تفضل ان تكون مفرداتها خالية من ازدواج المعنى والتورية والغموض .

وقد صور لنا كوزر ومن بعده هاياكلو عملية تجريد اللغة من عوامل الغموض والتورية ومحاولة التخصيص فتحدثنا عن « سلم التجريد » وهو السلم الذى يوضح مدى اختلاف مستويات التجريد . وعلى سبيل المثال فان السلم يرتفع صعودا على هذا النسق:

ا ــ ان كلمة « بيسى » وهو اسم البقرة المحددة او البقرة (1) يجعلها تختلف عن البقرة (2) او البقرة (3) الــخ ..

ب ــ كلمة البقــرة .

جـ ــ كلمة « ماشية » التى تصنف البقرة «بيسى » مع سائر الحيوانات الاخرى التــى تشاركهــا نفس الخصائص .

د ــ كلمة « الموجــودات » او « الاصــول » او « الممتلكات » الزراعية التى تصنف « بيسى » مع غيرها مما يشترك معها فى هذه الخصائص .

هـ ــ كلمــة « الاصــول » .

و ــ كلمة « الثروة » وهى اعلى مستويات التجريد فى هذا السلم .

وقد اكتشف الدكتور رودلف فليس معادلة او صيغة لقياس يسر القراءة او ما اصطلح عليه بكلمة « الانقرائية » كما اكتشف معادلة اخرى لقياس « الجاذبية الانسانية او الاهتمام الانسانى » . وقد بنى معادلته الاولى عن الانقرائية على اساسين :

الاول : متوسط طول الجملة .

الثانى : متوسط طول الكلمة محسوبا بالمقاطع .

اما معادلة الاهتمام الانسانى او « الجاذبية » فهى مبنية على اساسين هما :

اولا : متوسط النسبة المئوية لعدد الكلمات الشخصية ، وهى جميع الاسماء المعبرة عن الجنسين الطبيعيين ، وجميع الضمائر فيما عدا الضمائر المحايدة ، وكلمة الناس المستخدمة مع افعال الجميع، وذلك كلمة القوم او الاهل .

ثانيا : متوسط النسبة المئوية للجمل الشخصية ، وهى جمل المحادثة المنطوقة التى تقع بين علامات التنصيص او الاقتباس ، وكذلك الجمل المنتهية بعلامات الاستفهام او علامات التعجب ومثلها جمل الرجاء والطلب والامر ، وكذلك الجمل الناقصة على اساس النمو اللغوى ولكن يمكن للقارئ فهمها من سياق الحديث .

ويضيف الدكتور فليس ان عامل الاجتذاب الانسانى او الاهتمام الانسانى يساعد على يسر الفهم ، ومن فوائده العظمى حث القارئ وتشويقه للقراءة .

ويبدأ مقياس فليس من الصفر الى المائة بالنسبة لكل من الانقرائية والجاذبية . ويبدأ مقياس الانقرائية من السهل الى المتوسط الى الصعب للغاية ، كما يبدأ مقياس الجاذبية من الممل الى المشوق الى الدرامى .

تطبيقات معادلة فليس :

ويفسر لنا فليس كيفية تطبيق معادلته على النحو التالى :

الخطوة الاولى : اذا اردت ان تختبر قطعة كبيرة من نص معين ، فيحسن استخدام العينات . ويمكن اخذ ثلاث الى خمس فقرات من المقال ومن 25 الى 30 فقرة من الكتاب . ولا ينبغى انتقاء عينات مثالية او ممتازة . ويمكن اخذ عينات منتظمة بمعنى اختيار الفقرة 3 ثم 6 ثم 9 وهكذا بحيث تبدأ العينة من بداية الفقرة .

الخطوة الثانية : تحصى الكلمات فى القطعة المختارة كلها ، وفى حالة العينات تحصى الكلمات حتى المائة مع ملاحظة ان حروف الاختصار ، وعلامات الوصل او الشرطة تعد كلمة ، كما تحسب كلمات جميع الارقام والحروف الواقعة بين مسافات .

الخطوة الثالثة : تحصى المقاطع فى المائة كلمة المختارة .

الخطوة الرابعة : تحصى الجمل على اساس وحدات الفكر ، لا علامات الوقف .

الخطوة الخامسة : تحصى عدد الكلمات الشخصية فى كل مائة كلمة .

الخطوة السادسة : تحصى الجمل الشخصية بالنسبة لكل مائة جملة .

الخطوة السابعة : استخلص يسر القراءة (ىق) باحصاء عدد المقاطع فى مائة كلمة اى طول الجمل (طج) طبقا للمعادلة الآتية :

ىق (يسر القراءة) .

206،835 — 846 طك — 1،015 طج .

الخطوة الثامنة : استخلص درجة الجاذبية الانسانية (جا) بادراج النسبة المئوية للكلمات الشخصية (كش) والنسبة المئوية للجمل الشخصية (جش) طبقا للمعادلة الآتية :

ج ا (الجاذبية الانسانية) = 3،645 كش + 0،314 ج ش .

وقاعدة الجاذبية الانسانية سوف تضع النص على المقياس الذى يبدأ من اقصى الممل فى ناحية الى اقصى الدراما فى الناحية الاخرى مع وجود عنصر التشويق للغاية بينهما .

وفيما يلى جدول فليس للجاذبية الانسانية :

درجة التشويق	صفة الاسلوب	نوع المجلات	النسبة المئوية للكلمات الشخصية	النسبة المئوية للجمل الشخصية
صفر — 10	ممل	علمية	2 فاقل	صفر
10 — 20	مشوق نوعا	تجارية	4	5
20 — 40	مشوق	مختارات	7	15
40 — 60	مشوق للغاية	مجلات متنوعة	11	32
60 — 100	درامى	قصصية	17	58 فاكثر

اما مقياس يسر القراءة فيتضح من الجدول التالى :

درجة الانقرائية	صفة الاسلوب	نوع المجلات	المقاطع فى كل 100 كلمة	متوسط طول الكلمات فى جمل
صفر — 30	صعبة للغاية	علمى	192 فاكثر	29 فاكثر
30 — 50	صعب	اكاديمى	167	25
50 — 60	صعب نوعا	رفيع	155	21
60 — 70	عادى	مختارات	147	17
70 — 80	سهل نوعا	قصص	139	14
80 — 90	سهل	قصص	131	11
90 — 100	سهل جدا	قصص مصورة	123 فاقل	8 فاقل

طابــع الاسلــوب الاعـــلامـــى :

جذبت مشكلات الاسلوب الاعلامى الدارسين ، منذ تأكد للفن الاعلامى والصحفى وجود ، فتناول الدارسون بالتحليل الكيفى اسئلة مثل :

— ما هو الفرق بين الاسلوب الاعلامى والاسلوب الادبــى ؟

— ما هى الاغراض التى يهدف الاسلوب الاعلامى الى تحقيقها ؟

وتفيد دراسة الاسلوب الاعلامى من علم «الاسلوبيات احد الفروع التطبيقية لعلم اللغة الحديث ، ويعتمد هذا المنهج فى دراسة الاسلوب الاعلامى على المناهج اللغوية الحديثة ، بل ان بعض البــاحثين فى تحليــل المضمون يذهب الى تجربة التحليل الكمى للاسلوب ، فاتجه هذا التحليل فى اتجاهات اربعة :

الاول : هو اللغة كلها ، وقــد اجــريت دراسات مختلفة للطابع العام لطريقة الكلام ، كتحليل بناء قواعد لغة معينة ، على اساس تكرار انماط الاستخدام التى تظهر فى الكتابة والكلام .

الثانى : هو التمييز بين انماط الاسلوب فى الفترات المختلفة ، وكان هذا مركز اهتمام احدث التطبيقات واشملها للتحليل الكمى للاسلوب الاعلامى وخاصــة بالنسبة لمشكلات لغة الصحافة .

الثالث : هو تمييز الاسلوب بنماذج الكلام ، اى بحث طابع بعض نماذج الكلام المكتوب بطريقة التحليل الكمـــى .

والرابع : هو العادات والسمات اللغوية التى تميز شخصا ما ، وبخاصة كاتبا من رجالات الصحافـــة ، فحين نقول اسلوب العقاد الصحفى او اسلوب الدكتور هيكل الصحفى مثلا تقفز الى اذهاننا بعض السمات التى ينفرد بها العقاد او الدكتور هيكل ، لا كل العادات اللغوية التى يتميزان بها .

ومهما يكن من امر هذا التحليل ، فانه يمكن القول بأن الهدف من وراء علم الاسلوبيات هـــو دراســـة الاساليب الاعلامية المختلفة بحيث تشير الى الملامح اللغوية التى تميز الصيغ الشائعة فيها ، والى الصلة بين هذه الصيغ وبين وظائفها اللغوية من ناحية ، وبين المواقف الاجتماعية التى تستخدم فيها من ناحية اخرى، كما نفسر كلما امكن ذلك ، العلة فى استخدام هـــذه الملامح وتقابلها بالملامح البديلة فى الانمـــاط اللغويـــة الاخرى . ثم نصنف هذه السمات الى فصائل تبوب اما على اساس مميزاتها اللغوية من نحوية وصوتية ولفظيـــة او على اســـاس وظيفتهـــا فى السيـــاق الاجتماعى (76) او على اساس العلاقة بين الاثنين معا

اما موضوع البحث الذى يتناول دراسة الاسلوب الاعلامى فهو اى شريحة من الكلام المذاع او اللغـــة

(76) انظر مقال « اللغة ونظرية السياق » للدكتور على عزت ــ الفكر المعاصر ــ العدد : 76 ــ القاهرة.

المطبوعة التى يمكن للمحلل اللغوى ان يعزلها من الفيض اللغوى المتدفق ثم يخضعها لمعايير البحث والتحليل ، سواء كانت هذه الشريحة عبارة او جملة او فقرة او نصا متكاملا .

ويطرح الباحث فى الاسلوب الاعلامى عدة فروض :

— هل يمكن استكشاف صلة ما بين الصيغ اللغوية وبين وظائفها فى الاسلوب الصحفى او الاعلامى بوجه عام ، وبين الوظائف التى تؤديها هذه الصيغ فى السياق الاجتماعى الذى تستخدم فيه ؟

— هل يتعين علينا ان نفرق فى الوظيفة اللغوية بين ما يمكن ان نسميه « بالاسلوب المعرفى » اى الذى يؤدى الى معلومات ، وبين ما يمكن ان نسميه « بالاسلوب اللامعرفى » الذى يؤدى الى انفعالات واوهام ، وبتعبير آخر هل نفيد فى دراسة الاسلوب الاعلامى من وراء التمييز بين الاسلوب المعرفى الذى يستعمل للتعبير عن المعارف لاحداث بدقة ووضوح ، وبين الاسلوب اللامعرفى الذى يستعمل لاثارة العواطف والانفعالات فى نفس المقياس ، وصفوة القول فى هذه المشكلة ان دراسة الاسلوب الاعلامى تقتضى التمييز بين هذين النوعين من الاساليب لتنقية الاسلوب الاعلامى من الاستعمال التحذيرى للغة فى السياسة والدعاية ، لان الاسلوب الاعلامى يستعمل التعبير العقلى الفكرى ، والمناقشة الواضحة الناضجة .

وفى هذا الصدد ، يذهب علم النفس الحديث الى ان استعمال اللغة استعمالا عقليا واعيا ، هو الذى يخرج المدركات من مجال الغموض اللاشعورى ، الى حيز الوضوح الشعورى ، ويتفق وارد وستاوت فى انجلترا ، وبرجسون فى فرنسا ، وكروتش فى ايطاليا ، على ان اللغة هى مجموعة الرموز التى تنقل المعانى من ابهام الاحاسيس الى نور الفكر . وفى رأيهم ان الرموز المصورة لا يمكن ان تقوم مقام الالفاظ اللغوية ، لانها غامضة غير محدودة ، وان الرموز للتعبير عن الافكار هى الكلمات اذا استعملت استعمالا عقليا واعيا .

كما ان الفروق بين الاسلوبين تتعلق بمظاهر وظيفية مختلفة لكل من الاعلام والدعاية ، فاللغة الانفعالية اللامعرفية التى تخاطب الغرائز وتوقظها لا تزال مستعملة فى فنون الدعاية والاعلام . فالغرائز البشرية، والانانية ، والخوف ، والغريزة الجنسية وغيرها ، هى الاهداف التى يسعى المعلن والداعية الى التأثير فيها (77) .

اما الاعلام ، بمفهومه العلمى ، الذى يلتزم بمسؤولياته الخطة ازاء المجتمع والافراد ، فانه بحجم عدد الرموز اللامعرفية ، واثارة الغرائز . وهو يساهم فى ترقية المجتمع ، ورفع مستوى الرأى العام وتنوير الناس ، يفضل استعمال الاسلوب المعرفى الذى يؤدى الى الوعى والتفاهم .

كما تتضمن الفروض التى يضعها الباحث فى الاسلوب الاعلامى امامه اخيرا ، هل من الافضل دراسة الملامح اللغوية فى اسلوب كاتب ما لذاتها ، بصفتها سمات تميزه عن اسلوب غيره من الكتاب ؟

او الاحرى ان نتقدم خطوة فى اطار علم الاتصال بالجماهير ، ونحاول ان نتبين دلالات هذه السمات اللغوية وآثارها ، سواء من وجهة نظر الكتاب او من ناحية تأثيرها على القارئ فنيا او اجتماعيا او سياسيا ، الخ ..

على اننا امام هذا الافتراض ، نجد مقاييس علم الاتصال بالجماهير تحرص على عدم تعرض معايير دراسة الاسلوب الاعلامى من اكتشافات علم اللغة الحديث سواء فى مجال علم المفردات او النحو او الصوتيات او الدلالة .

اللغة الاعلامية ونظرية السياق :

يرى مالينوفسكى انه ينبغى علينا ان نربط ما بين دراستنا للغة ودراستنا لانواع النشاط الاجتماعى والانسانى الاخرى ، وان نفسر دلالة كل لفظ او عبارة داخل اطار السياق الحقيقى الذى تنتسب اليه ، واللغة بهذا المفهوم تقترب من المستوى العلمى الاجتماعى والذى نسميه لغة الاعلام ، لانها تعد نمطا من انماط السلوك البشرى لا يؤدى مجرد وظيفة ثانوية ، بل يؤدى دورا وظيفيا خاصا به ، ولذا يعتقد مالينوفسكى انه من العسير ترجمة الفاظ لغة ما الى لغة اخرى ،

---

(77) نشره مالينوفسكى كملحق لكتاب اوجدن ورتشاردز المعروف . "The meaning of meaning"

وكلما بعدت المسافة بين ثقافتين متباينتين زادت الصعوبة في العثور على مرادفات غير هاتين الثقافتين. واذا اردنا تعريف الترجمة في شئ من الدقة فانها اعادة خلق اللغة الاصلية الى لغة اخرى مختلفة تمام الاختلاف. ومن ناحية اخرى ليست الترجمة استبدال كلمة بكلمة ، بل هي من غير شك ترجمة سياقات بكلمها .

وصفوة القول ، ان فصل الناحية اللغوية للالفاظ عن السياق الاجتماعي والثقافي كما يذهب مالينوفسكي هو تبين لكل من علم اللغويات وعلم الاجتماع على حد سواء ، فاللفظ بالنسبة له هو عمل ذو قوة وفاعلية لا تقل عن اي عمل يدوي ، او هو مؤثر يدفع للفعل ، مرتبط بالموقف الذي يحدث فيه ، وذلك مما حدا بمالينوفسكي ان يقول في مقاله : « مشكلة المعنى في اللغات البدائية » :

« يرتبط الكلام والموقف ارتباطا لا ينفصم ، وسياق الموقف لا غنى عنه لفهم الالفاظ » .

وتجد نظرية مالينوفسكي هذه ، صدى في كتابات الفيلسوف ك . فتجنشتين الذي يقول في كتابه « ابحاث فلسفية » :

« تكمن معاني الالفاظ في استخدامها ، وليس في مقدور المرء ان يحرس كيف تستخدم لفظة ما ، بل عليه ان ينظر الى إستعمالها ، ويتعلم من ذلك » .

ويمكننا ان نقول ان نظرية مالينوفسكي في السياق ، من اصلح النظريات لدراسة اللغة الاعلامية ، ومن المفيد ان توظف لصالح المنهج الاعلامي في اللغة ، لدراسة اللغة في اطارها الاجتماعي . وذلك ان هذه النظرية — كما ذهب الى ذلك فيرث — اطار مناسب تنتظم فيه العناصر التي تضم الاشخاص والادوات والاحداث ، الى جانب عنصر اللغة الذي تقوم بينه وبين هذه العناصر الاخرى علاقات وتفاعلات هامة لا يمكن اغفالها عند دراسة الاحداث اللغوية ، على اعتبار ان اللغة ظاهرة اجتماعية في المحل الاول .

ويقترح فيرث على اللغوي ان ينحو في دراستهم للظواهر اللغوية نحو تقصي العلاقات الداخلية لسياقات الموقف على هذا النحو :

اولا : دراسة السمات المميزة للاشخاص والشخصيات التي تساهم في سياق ما ، مثل : الاحداث اللغوية او الكلامية التي ينطق بها المشتركون في الموقف .

وكذلك الاحداث غير اللغوية التي تصدر عن المشتركين مثل الاشارات والايماءات ، الخ ..

ثانيا : دراسة الاشياء والادوات ذات العلاقة بالموقف .

ثالثا : اثر او نتيجة الحدث اللغوي .

ولقد ساهم مالينوفسكي وفيرث بدراسة للسياق ، في تشجيع الباحث اللغوي في الاعلام حين يقدم على دراسة اللغة من الناحية النحوية والصوتية واللفظية الا يهمل « الموقف » بشخوصه ونظمه وعاداته .

والراى عندي ان دراسة السياق في لغة الاعلام تفيد في فحص مضمون الاتصال في مقابل الاهداف منه ، سواء كانت صريحة او ضمنية . كما تفيد في تصحيح التاكيدات الخاطئة في مضمون ولغة الاعلام على ضوء الهدف منه .

وتساعدنا دراسة السياق في لغة الاعلام على انشاء معايير وتطبيقها على الاتصال ، عن ثلاثة طرق :

اولا : تقويم الاداء بناء على معايير قبلية ، مثل تحقيق نوع من التوازن او وجود هدف اجتماعي .

ثانيا : تقويم الاداء بمقارنة جزء من سياق المضمون بآخر .

ثالثا : تقويم الاداء بمقارنة سياق المضمون بمعيار خارجي ليس من المضمون .

وقد تم تطبيق المعايير القبلية على مضمون الموضوعات التي تتناولها الصحف في بعض البلاد وفي فترة محددة وعلى طرق عرض هذه الموضوعات للتأكد من مقدار الالغاء او التشويه او عدم الدقة .

وتوالت دراسات اخرى طرق معالجة العمل في البرامج الاخبارية في الاذاعة ، وطرق معالجة قانون معين في عدد من الجرائد ، وطرق عرض الانباء المحلية في المجلات الاسبوعية . على ان الاساس الثاني للتقويم يتضمن اقامة معايير داخلية ، لمقارنة جزء من سياق المضمون بآخر . ففي دراسة « السلوك الاخلاقي وغير الاخلاقي لعدد من الصحف الممثلة للصحافة الامريكية تم تقويم الصحف على اساس معيار متوسط ، بين الاجتماعية والحسية لدى مجموعة من الصحف التي تهتم اهتماما كبيرا بالانباء الاجتماعية » .

واستمدت المعايير من تحليل مساحات عناوين الصفحة الاولى المخصصة لثلاثة موضوعات « شديدة الاجتماعية » هى (المشكلات الاجنبية ، ودولية الولايات المتحدة ، والوطنية) وثلاثة موضوعات حسية هى (حماس المال ، والجيش ، المال والجنس) . وبطرح الاخيرة من الاولى نحصل على درجة واحدة لقياس (الاجتماعية الحسية) لكل صحيفة . طبق هذا على اربعين صحيفة ورتبت تنازليا ، وقورن بينها على اساس ان هذا هو معيار تحديد احسن صحيفة.

ولا شك ان كفاءة المعايير المستخدمة والتى تستعين بدراسة السياق من شأنها ان تزيد من كفاءة تقويم وسائل الاتصال الاعلامية .

نحو منهج عام لدراسة اللغة الاعلامية :

ونخلص مما سبق ، الى ان اللغة الاعلامية يمكن ان تفيد من دراسات علم اللغة بفروعه المختلفة ، وما تهتدى اليه من ظواهر لغوية ، وما تكتشفه من بحوث فنية تفيد فى دراسة لغة الاعلام وتهذيب الفاظها وتوسيع نطاقها وترقية مفرداتها وادخال مفردات جديدة على مفرداتها ، وتدعيم خصائص هذه اللغة الاعلامية من تبسيط وسلامة ووضوح ، واقتراب شديد من لغة الحديث الواقع الحى المثقف ، دون اسفاف او هبوط الى العامية واستخدام اللغة العملية التى تعبر عن الحياة والحركة والعمل والانجاز هى اللغة الاعلامية المؤثرة حقا .

ولذلك فان المنهج العام لدراسة اللغة الاعلامية يولى وجهه فى مشكلاتها شطر علم اللغة ، ويستمد منه المعونة ، ويتوصل الى النتائج العلمية التطبيقية فى تطويرها عن طريق قوانين علم اللغة وقواعده ، ولذلك فان بحوث اللغة الاعلامية لا يمكن ان تنفصل عن بحوث علم اللغة ، ولكنها فى نفس الوقت تتصل اتصالا وثيقا بعلوم الاتصال بالجماهير ، وذلك ان اللغة الاعلامية لغة فن تطبيقى وليس فنا تجريديا . والفن التطبيقى لا يقصد لذاته ، وانما يهدف الى تحقيق غايات معينة ، وان يؤدى وظائف محددة ، واللغة الاعلامية ترتبط بست وظائف رئيسية هى : الاخبار او الاعلام ، والتفسير او الشرح والتوجيه او الارشاد ، والتسلية او الامتاع والتسويق او الاعلان والتعليم او التنشئة الاجتماعية وليست اللغة الاعلامية مرتبطة بعلوم اللغة والاتصال بالجماهير فحسب ، بل ان بحوثها متصلة كذلك بشواهد وادلة متكاملة تقدمها المصادر العديدة فى الفلسفة وعلم النفس والفنون والبلاغة والادب وعلم الاجتماع والسياسة ، وعلم النفس الطبيعى والنماذج النظرية وآثار الاتصال ونتائجه .

وصفوة القول ان المنهج الاعلامى فى دراسة اللغة يتصل بكل طوائف العلوم ، غير ان صلته بافراد فصيلته ونعنى بها علوم الاتصال بالجماهير ، اشد من صلته بالطوائف الاخرى .

وعلاقة اللغة الاعلامية بعلم اللغة هى علاقة تأثير وتأثر ، فاذا كنا ننظر لعلاقة التأثر على النحو السابق، فان علاقة التأثير بين اللغة الاعلامية وعلم اللغة ، هى علاقة التنمية اللغوية ، واهم عوامل التأثير فى حياة اللغة ، ذلك ان اللغة فى مختلف مظاهر حياتها — شأنها فى ذلك شأن النظم الاجتماعية الاخرى — ترتبط ارتباطا وثيقا بما عداها من مؤثرات العمران ، ولعل اهم هذه العوامل التى تؤثر فيها وسائل الاتصال الاعلامية التى تعكس مقتضيات الحياة الاجتماعية وشؤونها ، فهى تسهم فى نشأة كلمات لم تكن موجودة فى اللغة من قبل ، وفى هجر كلمات كانت مستخدمة فيها او انقراضها انقراضا تاما .

ذلك ان وسائل الاتصال الاعلامية تعكس اهم العوامل التى تدعو الى نشأة كلمات فى اللغة ، كمقتضيات الحاجة الى تسمية مستحدث اجتماعى جديد ، سواء كان نظما اجتماعية واقتصادية ، او نظرية جديدة علمية او فلسفية ، او مخترعا ماديا جديدا ، الخ .

ذلك ان الاعلام فن حضارى ، لا يزدهر الا فى البيئة الصالحة للتقدم والتطور . ففى الصحافة المصرية الحديثة ، نلاحظ انها قد ورثت ، عند ظهورها فى القرن الثامن عشر ، عن القرون السابقة اسلوبا عتيقا يميل الى التكلف ، ولغة ركيكة تميل الى البهرجة، ثم اخذ هذا الاسلوب يتخلى شيئا فشيئا عن هذا التكلف ، حتى ظهرت صحيفة « المؤيد » فوجدنا انفسنا امام كتاب يميزون بين الاسلوب الادبى والاسلوب الصحفى واخذ الفن الصحفى فى التبلور والتطور حتى وقتنا الحاضر . واذ ذاك وجدنا له لغة تبعد بعدا ظاهرا عن لغة الادب . فقد استحدث الصحفيون الحاليون

تراكيب جديدة لم تخطر للادباء او اللغويين الاولين . فبدلا من قولهم : انه لا بد من توضيح المسألة توضيحا لا يدع مجالا للشك بأحدهم يقولون : نريد ان نضع النقط فوق الحروف ، وهناك صفات ونعوت جديدة لا وجود لها فى الكتب القديمة مثل : الحقيقة الصارخة، والاكذوبة البيضاء ، والليلة الحمراء ، والدعاية السوداء ، والغيرة الصفراء .

وفى موضع آخر من هذا البحث ، سنرى مدى الدور الذى يمكن ان يؤديه الاعلام فى التنمية اللغوية، وحفظ اللغة ، وتوسيع نطاقها ، وتكملة نقصها ، وتهذيبها من نواحى المفردات والقواعد والاساليب ، وتسجيل آثارها ، واستخدامها فى مختلف اشكال وفنون التحرير الصحفى والاعلامى .

ونخلص مما تقدم جميعا ، الى ان المنهج العام الذى يشق طريقه لدراسة اللغة الاعلامية يعرف عددا من المناهج ينطلق من ثمار علم اللغة المقارن ويمضى الى علم اللغة ويبحث فى العلاقات اللغوية فى الاعلام العربى المعاصر فى ضوء علم اللغة الوصفى او العلوم الاجتماعية والنفسية ، وينظر كذلك فى قضايا اللغة الاعلامية على هذا المنهج التقابلى وعلم اللغة التطبيقى.

والسير بهذا المنهج خطوات كبيرة ، يتوقف على التوصية بعناية اقسام الصحافة ومعاهد الاعلام باللغة العربية اهتماما كبيرا ببحث هذه اللغة بحثا علميا ينطلق من محاولة التصور ، التى اثبتناها فيما سبق ، نحو منهج علم لدراسة اللغة الاعلامية وقيامها بوظيفتها ، فنحن نستطيع ان ننظر الى اللغة على اعتبار انها نظام من العلامات الصوتية ينشأ ويتطور مرتبطا بتاريخ الناطقين بهذه اللغة ، واستخدم وسيلة للتواصل ووسطا للتفكير ومجالا للتعبير نحو الافكار والعواطف والمشاعر .

وعلى ذلك فان علم الاعلام اللغوى ، يشق طريقا جديدا متخصصا فى تأثير اللغة على الناس ، ويتحدد التواصل اللغوى فى مفهومه بعملية تبادل المعلومات بين الافراد والجماعات . ويظهر هذا التواصل اللغوى على شكل عبارات او تعبيرات شفهية او كتابية تتبادلها الاطراف فى موقف معين ، لغرض معين، عن واقعية معينة .

والعلامات اللغوية هى العنصر الاساسى فى اللغة، وهى وحدة تتألف من شكل صوتى (جسم صوتى) او (دال) معنى (مضمون) او (دلالة) .

والمقصود بمعنى العلاقة اللغوية : الصورة الشعورية التى تتم فى وعى الافراد المنتمين للجماعة اللغوية ، وهى صور متصلة بالشكل الصوتى المعين للعلامة ومرتبطة بها ارتباطا متعسفا . اى ان العلامة اللغوية ليست هى الشكل الصوتى والصورة الكتابية المقابلة له فحسب ، بل لا بد فيها من وجود رابطة تجمع بين ذلك الشكل الصوتى المادى والمضمون الشعورى الواعى . وبهذا تكون العلامة اللغوية وحدة ذات شقين .

والعلامة اللغوية تتمثل بشكل مادى محدد فى كلمات ووسائل نحوية وصرفية تعبر عن العلاقات القائمة بين الكلمات ، اى انها تخلق من مجموعة الكلمات المتراصة فى احدى اللغات جملا سليمة من ناحية القواعد النحوية ، ولذلك فان الاعلام اللغوى ، يرتكز على دراسة هذا الشكل المادى للعلامة اللغوية كذلك. كما يعنى بدراسة معنى الكلمة ، باعتبارها تعكس جزءا محددا من الواقع الموضوعى فى وعى الفرد المنتمى لجماعة لغوية ، ولان هذا المعنى عبارة عن فكرة ، وهذه الفكرة هى فى الوقت نفسه العنصر الاساسى من الصورة التى تعكس الواقع الموضوعى.

وتأسيسا على ذلك تتحدد الوظيفة الاجتماعية العلمية للغة ، والتى يعنى بدراستها علم الاعلام ، لما تقوم به من دور كبير الآن فى حياة العالم السياسية والتربوية . ويزداد بوجه خاص فى عصر الصراع بين الاستعمار والاشتراكية وبين قوى الاستغلال والرجعية وقوى التقدم والتطور - ان الجانبين يتنافسان فى اجتذاب الافراد الى صفوفهم بحيث يحدد كل منهم موقفه من الصراع الدائر ويشركه فيه بدوره . واقرب الوسائل التى يلجأون اليها فى سبيل ذلك هى الكلمة .

لهذا كله يصبح من ألزم الواجبات التى تواجه علم الاعلام اليوم ان يبحث فى اثر اللغة على تفكير الناس وفهمهم للامور وتوجيه مشاعرهم وارادتهم ومسلكهم العملى ، والدور الذى يمكن ان تؤديه وسائل الاعلام المختلفة فى احداث الاثر المطلوب .

الفصـــل الـرابــع

اللغـــة الاعــلاميـــة

اللغة الاعلامية هى اللغة العربية الفصحى :

وتقدم اننا لا نعنى باللغة الاعلامية ، ما توصف به اللغة العلمية من تجريد نظرى ، انما نريـد باللغـة الاعلامية انها لغة بنيت على نسق عملـى اجتماعـى عادى ، فهى فى جملتها فن يستخـدم فى الصحافـة والاعلام بوجه عام .

وهذه الخاصة فى اللغة العربية ظاهرة من تركيب مفرداتها وقواعدها تركيبا يرمى الى النمذجة والتبسيط، اخص الخصائص فى اللغة الاعلامية ، التى تستخـدم الرموز المجسدة او الانماط او النماذج التى تقوم مقام التجربة الفردية او الجماعية لتنظيم التجارب الانسانية العـديـدة .

فاللغة العربية فى طليعة اللغات الاعلامية بين لغات العالم الشرقية او الغربية ، ولما جاء الاسلام كانت اللغة العربية مزدهرة مكتملة النمو تنتظم شبـه الجزيـرة العـربيـة .

ولعل ذلك يرجع الى ان العرب كانوا امة بيان ، وللكلام عندهم مكانه العمل لان القول والعمل عندهم مقترنان لا ينفكان ومتقابلان لا يتفاضلان ، فليس القول صورة مجسمة ومكبرة عن العمل كما هى حال الامم المغالية فى الكلام ولا قاصرا عاجزا عن تصويره كما هى حال الامم البكيئة العاجزة فى لسانها فلا غرابة بعد هذا فى ان نجد الكثير من خصائص العرب وخصالهم فى لغتهم (78) .

وتلك السمة البارزة فى اللغة العربية ، هى التـى جعلت استاذنا المفكر الراحل عباس محمود العقاد (79) يذهب الى ان علماء اللغات لا يعرفون لغة قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات اوطانهم من كلماتهم والفاظهم كما تتراءى لنا اطوار المجتمع العربى من مـادة الفاظـه ومفرداته فى اسلوب الواقع واسلوب المجاز .

يقول الاستاذ العقاد : « ان المجتمـع العربـى فى قوامه الاصيل انما كان مجتمع رحلة ومرعى ، وان الكلمات التى تدل على معنى الجماعة فى لسان العـرب قلما تخلو من الاشارة الى الرحلة والرعاية : فالامـة هى الجماعة التى تؤم مكانا واحدا او تأتـم بقيـادة واحـدة .

والشعب هو الجماعة التى تتخذ لها شعبة واحدة من الطريق ، والطائفة هى الجماعة التى تطوف معا ، والقبيلة هى الجماعة التى تسير الى قبلة مشتركة ، والفصيلة هى الجماعة التى تفارق فى مسلك واحد ، والفئة هى الجماعة التى تفئ الى ظل واحد ، والجيل من الناس هم الذين يشتركون فى مجال واحد ، والبيئة هى الموطن الذى يبوء اليه اصحابه بعد الرحلة عنه ، والنفر من القوم من ينفـرون معا للقتـال او لغيره ، والقوم فى جملتهم هم الذين « يقومون » قومة واحدة للقتال خاصة ، ولهذا اطلقت اولا على الرجال ثـم شملت الرجال والنساء ، ومن هنا قوله تعالى : « ولا نساء من نساء » بعد قوله : « لا يسخر قوم من قوم » ، ومنـه قـول زهيـر :

ومـا ادرى ، ولست اخـال ادرى
اقـوم آل حصـن ام نسـاء ؟

ومن ذلك يبين ان اللغة العربية لغة دالة ، ترمى الى النمذجة والتبسيط ، من خلال منهج لوضع الالفاظ للمعانى الجديدة ، يختار صفة من صفات الشئ الذى يراد تسميته او بعض اجزائه او نواحيـه او تحديـد وظيفته وعمله واشتقاق لفظ يدل عليه من اللفظ الدال على صفته او جزئه او ناحيته او وظيفته .

فى هذا الموضع تختلف الامم وتتفاوت فى نظرتهـا الى الاشياء وفى وضعها للالفاظ الجديدة التى تطلقها على المسميات . وفى اللغة العربية امثلة قديمة وحديثة من الالفاظ العربية ، تؤكد هذه الصلة بين المدلـول الاصيل للفظ والمعنى المقصود منه او الشئ المسمـى ، فمن الالفاظ القديمة : السهل والسماء والقلب والعادة والانسان والبيت والعقل والفضـل والشرف ؟ يلاحظ فى هذه الالفاظ ان العرب اختاروا صفة السهولة فى السهل والسمو فى السماء والتقلب فى القلب والعـود والتكرار فى العادة والانس فى الانسان والمبيت فى البيت والعقل وهو الربط فى العقل لانه يعقل صاحبه عن الشر

(78) محمد المبارك : « خصائص العربية » ص 4 .
(79) « اللغة الشاعرة » ـــ ص : 61 .

والفضل وهو الزيادة فى الفضل المعنوى والارتفاع فى الشرف (80) .

ولو نظرنا الى هذه الالفاظ الاخرى : عامل ووال وجهاد وزكاة وهى الفاظ نشأت بعد الاسلام ووضعت لمعان جديدة لوجدنا انها اخذت من العمل ، والولاية ، والجهد ، والزكاة بمعنى النماء او الطهارة ، ومثل ذلك يقال عن الالفاظ المستحدثة فى عصرنا كالسيارة من السير والنظارات من المنظر والدبابة من دب على ارض والدراجة من درج والجامعة من الجمع بين فروع العلم المختلفة . ولو قابلنا بين هذه الالفاظ وامثالها من اللغات الاخرى كالفرنسية والانجليزية لوجدنا اختلافا فى طريقة التسمية وفى اختيار الصفة التى بها تكون التسمية ، فانه يلاحظ اولا ان اللغات الاخرى قلما تحتفظ بالمعانى الاصلية للالفاظ الدالة على امثال المسميات ، اما العربية فهى فى اغلب الاحوال تحتفظ بالمعانى الاصلية للالفاظ التى تطلقها على مسميات جديدة كما هى الحال فى الالفاظ التى استشهدنا بها وبذلك تبقى علة التسمية ظاهرة فى الغالب ، وقد تكون خفية ولكنها تعرف لادنى تأمل ونظر . وقد تدق احيانا وتخفى احيانا اخرى ، فالفاظ العربية فى الجملة معللة (81) .

ان العرب يذهبون حين « النمذجة » او « التسمية » الى اخص صفات المسمى او النموذج وابرزها ، او الى عمله الاساسى ووظيفته اكثر من ذهابهم الى ظاهره وشكله الخارجى او تركيبه واجزائه . فبينما نرى الفرنسى مثلا قد اطلق لفظ Bicyclette اى ذات الدولابين على اداة الركوب المعروفة بهذا عندهم اطلق عليها العربى لفظ الدراجة ، فالفرنسى حللها الى اجزائها ونظرا الى تركيبها والى حالتها الساكنة ونظر العربى الى وظيفتها وعملها وحركتها فسماها دراجة ، وكذلك السيارة سماها الفرنسى Automobile اى المتحرك بنفسه وسماها العربى بلفظ يدل على عملها ، كذلك قل فى المكواة وهى فى الفرنسية Fer à repasser ى الحديدة التى يتكرر امرارها ، وفى المطار وهو فى الفرنسية Aérodrome ومعناها الحرفى السباق الجوى وفى الانجليزية Airport اى الميناء الجوى ، وقد تكون التسمية فيها مشبهة للطريقة العربية فى الدلالة على العمل او الصفة البارزة فلفظ Moteur اى المحرك .

وقد لاحظ الاستاذ العقاد (82) هذا المعنى فى دلالة اسماء الامكنة ، فهى دلالة مضطردة على هذا المثال فى اكثر البقاع التى تسكن او يرحل منها واليها .

فالمنزل حيث ينزل الانسان ، والبيت حيث يبيت بالليل ، وكذلك الموقع والمرجع والماوى وكذلك المسافة بين مكان ومكان انما هى الموضع الذى يساف ترابه للاهتداء الى الطريق .

وقد يدل اسم المكان بمادته على عيشة « المشاع » فى البادية الاولى ، فيطلق اسم « القصر » على المكان الذى يبنى مقصورا على بانيه ، خلافا للبيوت والخياه التى تقام فى كل مكان .

واسم المكان معناه « التمسكن » خلافا للنقلة والمنتقل بغير استقرار .

ويلاحظ هذا ايضا فى الكلمات التى تدل على العشيرة او على الرابطة الاجتماعية بين الآحاد . فالصاحب هو من يمشى معك فى السفر ، وكذلك الرفيق الذى يؤخذ مع الطريق وقبل الطريق ، وكذلك الزميل من صحبة الزاملة ، والقريب الذى يقترب من منزلك ، وتناسبه كلمة « العدد » للخصم الذى يعدوك او يعدو على جوارك .

ونتتبع هذا المعنى ، او نقراه فى المعانى المجازية ، فنقول المذهب للطريقة الفكرية كما نقول المنهج والمشرب والنحو والمصدر والمورد والمقام والمقامة ، ونطلق السيرة على الترجمة وهى من سار يسير ، ونطلق القصة على الحكاية وهى من نص الاثر ، ونطلق الاثر على المخلفات وهى من بقايا المواطئ والاقدام .

ونعتقد ان النظر فى الفاظ اللغة من هذه الناحية متمم لدراسة اللغة الاعلامية ، سواء منها ما يراد لتاكيد عوامل النجاح فى « الرسالة الاعلامية » للبلوغ والتاثير فى الجماهير ، او لتقرير قواعد هذه اللغة الاعلامية من حيث ما ترمى اليه من نمذجة وتبسيط او للتفريق بين لغة الاعلام ولغة الادب .

---

(80) محمد المبارك : « خصائص العربية » ـــ ص : 51 ـــ ايضا « فقه اللغة » ـــ ص : 129 ـــ 195.
(81) المرجع السابق .
(82) « اللغة الشاعرة » ـــ ص : 61 .

فكل كلمة فى اللغة الاعلامية يجب ان تكون مفهومة من جمهور المستقبلين ، كما يجب ان تعرض بطريقة جذابة تحقق يسر القراءة او الاستماع ، اما فنون التورية وازدواج المعانى او الحالات الانفعالية حول الالفاظ ، وغيرها من فنون الادب التى تؤدى المعانى وخاصة فى الشعر ، فهى بعيدة تماما عن لغة الاعلام لانها تقطع تيار الاتصال الذى يجب ان يظل مجراه صافيا نميرا .

واذا كانت اللغة العربية كما وصفها الاستاذ العقاد (83) « اللغة الشاعرة » ، لغة بنيت على نسق الشعر فى اصوله الفنية والموسيقية ، فهى فى جملتها فن منظوم منسق الاوزان والاصوات، لا تنفصل عن الشعر فى كلام تالفت منه ولو لم يكن من كلام الشعراء . فان اللغة العربية كذلك ، لغة اعلامية ، ونريد بذلك انها لغة بنيت على نسق الفن الاعلامى بمفهومه الحديث تعرض مواد مبسطة يسهل على الجماهير استيعابها وفهمها ، كما انها تتمشى مع قيم المجتمع وعاداته وتقاليده فالالفاظ العربية تدل على تفكير العرب ونظرتهم الى الاشياء ذلك ان فى تسميتهم لها باسم بعينه ، وفى اطلاق لفظ دون غيره عليه ، واختيار صفة من صفاته ، ما يدل على اتجاههم فى التفكير وتقييمهم للاشياء .

فاستعمالهم العامل للوالى والحاكم يدل على انهم فهموا الولاية بعد الاسلام على انها عمل من الاعمال. واستعمالهم لفظ « المرء المرأة » يدل على تساوى الرجل والمرأة فى الاصل عندهم ولفظ المروءة مشتق منهما معا ومعناه الصفات المستحسنة المأخوذة من اخلاق الانسان ذكرا كان ام انثى .

الفكرة الزمنية فى اللغة العربية :

من اهم المقاييس التى يعرف بها ارتقاء اللغات : مقياس الدلالة على الزمن فى افعالها . ثم فى سائر الفاظها .

وهذا المقياس يصبح من اهم مظاهر اللغة الاعلامية ، لان الصحفيين او رجال الاعلام يكتبون لكل الناس فى كل الاوقات ، وليس لجزء من الناس فى كل الاوقات او لكل الناس بعضا من الوقت ، فكل كلمة او كل مجموعة من الكلمات تتضمنها عبارات النص الاعلامى يجب ان تكون مفهومة من عامة القراء وجمهور المستقبلين ، ولهذا تظهر بلاغة اللغة الاعلامية من علامات الزمن فى افعال لغتها الام .

لأن عامل الوقت يلعب دورا رئيسيا فى تغطية الاخبار وتحريرها واخراجها من جهة ، كما تميز الاعلام بالدورية والايقاع من جهة اخرى ، فهو يروى حدثا بعينه فى اطار زمن محدد ، فاللغة التى تدل على الزمن بعلامات مقررة فى الفعل انسب واصلح للاعلام من اللغة التى خلت من تلك العلامات . وبمقدار الدلالة تكون هذه اللغة اعلامية اكثر من تلك .

ولا نحسب ان لغة نفهمها — او نفهم عنها — كما يقول الاستاذ العقاد (84) قد اشتملت على وسائل للتمييز بين الاوقات كما اشتملت عليها اللغة العربية . سواء نظرنا الى ضرورات سكانها او نظرنا الى تصريف افعالها وكلماتها .

فكل لحظة من لحظات النهار والليل قد كان لها شأنها فى حياة سكان البادية بين السفر والاقامة والحل والترحال . فمنها ما هو صالح لبدء السير ، وما هو صالح للراحة القصيرة ، وما هو صالح للراحة الطويلة ، وما ليس يصلح لغير السكينة والاستقرار .

ولهذا وجدت كلمات البكرة والضحى او الغدوة والظهيرة والقائلة والعصر والاصيل والمغرب والعشاء والهزيع الاول من الليل والهزيع الاوسط والموهن والسحر والفجر والشروق .. ويكاد التقسيم على هذا النحو ان ينحصر بالساعات على صعوبة التفرقة بين هذه الاوقات فى كثير من اللغات الاخرى بغير الجمل والتراكيب (85) .

وكل موسم من مواسم السنة له شأنه فى المرعى والانتاج وطلب الماء او التجارة او الامان ولهذا وجدت اسماء المواسم والفصول جميعا ووجدت معها ثلاثة اسماء مختلفة للدلالة على الدورة حول الشمس فى مصطلح الفلكيين : فهى السنة وهى العام وهى الحول.

---

(83) « اللغة الشاعرة » — ص : 8 .
(84) « اللغة الشاعرة » — ص : 71 وما بعدها .
(85) المرجع السابق ص 72 — 73 .

ولكل منها موضعه فى التعبير ، بل لهذا وجدت للاوقات كلمات مختلفة على حسب الطول والقصر فى المدة . فالمدة شاملة لجميع المقادير من امتداد الزمن . وتنطوى فيها اللحظة او اللمحة للوقت القصير والبرهة والروح للوقت الطويل . والفترة للمدة المعترضة بين وقتين . بل وجد فيها الحين للزمن المقصود المعين ، والعهد للزمن المعهود المقترن بمناسباته ، والزمن للدلالة على جنس الوقت كيفما كان ، والدهر للمدة المحيطة بجميع الازمنة والعهود والاحيان .

مثل هذا الاحساس بالزمن لا تصوره الكلمات فى لغة من اللغات التى تفهمها على صورة ادق من هذه الصورة ولا ادل على الفوارق بين اجزائها كما يقول استاذنا العقاد « فان الزمن الماضى » مهم عند ابناء البادية العربية فى كل عهود من عهوده . لانه مستودع المفاخر والانساب والثارات والسوابق والذكريات ، وليس من المصادفة ان يسمى التاريخ باسم الايام وان يعرف لكل يوم اثر فيما كان وما يكون .

« اما الزمن الحاضر فلا غرابة فى العناية بأجزائه وتقسيماته . لان كل لحظة منه ذات شأن فى الحركة والاقامة . وفى المرعى والتجارة ، وفى الحرب والامان ».

وليس من الطبيعى ان يبلغ احساس قوم بالوقت هذا المبلغ ثم يخلو كلامهم من الدلالة على الاحساس به فى مختلف مواضعه ومناسباته .

فاذا نظرنا فيما يقوله النحاة من العرب فى هذا الصدد وجدناهم يربطون ربطا وثيقا بين الصيغة والزمن ، فيقسمون الازمان الى ثلاثة : الماضى والحال والمستقبل مكتفين بتلك الازمنة الاساسية على ان بعض المتكلمين من العرب قد انكر وجود الزمن الحالى ورآه مندرجا فى الماضى والمستقبل بعضه فى الماضى والباقى فى المستقبل ، ولكن جمهور النحاة يثبتون

فيقول ابن يعيش « وقد انكر بعض المتكلمين فعل الحال ، وقال ان كان قد وجد فيكون ماضيا ، والا فهو مستقبل ، وليس ثم ثالث ، والحق ما ذكرنا ، وان لطف زمان الحال » .

وقد فطن لهذه الحقيقة عالم من اقدر علماء الاجروميات والمباحث اللسانية — على حد تعبير العقاد (87) — ففى كتاب اصول الاجرومية الانجليزية لمؤلفة الدكتور توجبرسن « يقول هذا الباحث المحقق » ان لنا — على الاصح ان نحسب ان الزمن ينقسم الى جزئين : ماض ومستقبل . وبينهما حد الانفصال وقت حاضر كأنه النقطة الهندسية التى لا طول لها ولا عرض ولا ارتفاع ولكنها على الدوام منصوبة الى المستقبل ».

وهذه التفرقة الفلسفية المنطقية ملحوظة فى التفرقة الاجرومية بين الحاضر والمستقبل فى لغة العرب — كما يقول العقاد — فاذا اراد المتكلم ان يذكر المستقبل على ما يأتى وبمعنى الانشاء واستحداث الفعل على الطلب فصيغة المضارع تدل على الحال والاستقبال ، وصيغة المضارع مسبوقة بالسين تدل على المستقبل القريب ، ومسبوقة « وسوف » تدل على المستقبل البعيد .

ومن اشهر اقوال النحاة العرب ما جاء فى فقه اللغة للثعالبى وغيره من كتب اللغة ، من ان المضارع قد يستعمل الماضى مكان المضارع ، مثل قوله تعالى : « اتى امر الله فلا تستعجلون » اى سيأتى وقوله « واتبعوا ما تتلو الشياطين » اى تلته ومثله وكان الله غفورا رحيما اى ولا يزال ، الخ . ويقرر علماء البلاغة أن التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى انما يكون تنبيها على تحقيق وقوعه ويمثلون لذلك بقوله تعالى : « ويوم ينفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض » اى يصعق ومن اسرار الفكرة الزمنية فى اللغة العربية الاستطالات المختلفة للفعل « اتى » فنجد فى القرآن الكريم : « اتى امر الله فلا تستعجلون » .

— قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد

— فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى .

— انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى .

— الا من اتى الله بقلب سليم .

— كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسل الا قالوا ساحر .

---

(87) اللغة الشاعرة ص 76 .

(86) ابن يعيش ص 4 الجزء السابع .

— هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا .

وفى هذه الاستعمالات القرآنية للفعل « اتى » نجد اساليب مختلفة ففى الآية الاولى زمن الاتيان هو المستقبل ، وفى الثانية هو ما بعد الماضى ، وفى الثالثة ما بعد الماضى ، وفى الثالثة ما بعد الماضى ، ايضا ، وفى الرابعة للحال المستمرة التى تشبه الحقائق الثابتة ، وفى الخامسة للمستقبل ، وفى السادسة لما قبل الماضى ، وفى السابعة للماضى المؤكد .

ويحق لنا ان نقول مع العقاد : ان اللغة العربية لغة الزمن بلكثر من معنى واحد : لغة الزمن لانها تحسن التعبير عنه ، ولغة الزمن لانها قادرة على مسايرة الزمن فى عصرنا هذا وفيما يلى من عصور .

اللغة العربية لغة معرفية :

تقدم اننا فى لغة الاعلام ، لا بد ان نفرق فى الوظيفة اللغوية بين الاسلوب « المعرق » اى الذى يؤدى الى معلومات والاسلوب « اللامعرق » الذى يؤدى الى خرافات واوهام ، لتنقية اللغة الاعلامية من الاستعمال التخديرى للغة فى الدعاية والسياسة .

فعند ما يقول شخص لآخر « صباح الخير » فانه لا يعنى التفسير الاشارى للعبارة وانما يريد ان يحدث تاثيرا عاطفيا ، او اقامة صلة طيبة بصديقه .

وعند ما اشار تشرشل الى الالمان بلفظ الهون Huns كان يريد اثارة الكراهية ضدهم ولا يريد ان يرجع بنا الى اصول القبائل الجرمانية . وعند ما يسب شخصا آخر ناعتا اياه بانه حيوان او كلب ، فانه لا يريد المعنى الاشارى او الاخبارى بقدر ما يريد اثارة الغضب والتحقير والازدراء (88) .

ومع ان اللفظ ليس الا رمزا للدلالة على الشئ فاننا كما يقول الدكتور ابراهيم امام — نلاحظ فى مجتمعات كثيرة ان هناك من يخلط بين الرمز والشئ ، او بين اللفظ ومدلوله ، فالراية الحمراء رمز الخطر ولكنها ليست الخطر نفسه . وكلمة اسد ليست هى الاسد نفسه ، وانما هى رمز له . وقد يبدو ان هذا الكلام من البساطة بحيث يعتبر من البديهيات ، ولكننا نجد البدائين بل والكثير من المحدثين ايضا يخلطون بين الرمز والشئ .

فمن المعتقدات الشائعة فى مصر ان الرقى والتمائم لها قوة السحر ، وان الرموز تؤثر تأثيرا خيرا او شريرا على الناس ولكى يمنع الحسد ، ويصنع بعض الناس صورة او تمثالا للحسود ، ثم توخز بالابر ، وتلعن بالالفاظ ، واخيرا تضرم فيها النار .

وفى جنوب ايطاليا — لا يلفظ اسم الشخص الحسود اتقاء لخطره اذ يعتقد الايطاليون ان مجرد نطق الاسم خطر داهم ، لذلك يشيرون اليه بعبارة « الذى لا يسمى » وكلمة الموت لا تلفظ صراحة فى معظم اللغات وانما يستعاض عنها بالفاظ وعبارات مختلفة ، دفعا لشر هذا الرمز .

والراى هو — كما يذهب الدكتور امام (89) — الى ان الرموز اللغوية قد تطورت بتطور المجتمع والمعتقدات السائدة فيه ففى البداية كانت اللغة تتاثر بمعتقدات السحر ثم تطورت فاصبحت عملية وجدانية واخيرا بدات مرحلة التعبير العقلى . فالمجتمع البدائى يؤمن بقوة السحر الكامنة فى الالفاظ وارتباطها ارتباطا وثيقا بالاشياء وكان المصريون القدماء يعتقدون بالاله هو الكلمة ولا تزال هذه العقيدة سائدة فى معظم الاديان ولكن بصورة تتناسب مع التوحيد ثم تطورت اللغة فى مدارج التعبير العاطفى الوجدانى ، فاستغلها الكهنة للتاثير فى الناس بالعبارات الغامضة والكلمات ذات الجرس الموسيقى ، والتى تشبه المخدر .

ولا شك ان الاستعمال التخديرى للغة فى السياسة والدعايه لا يزال منتشرا فالخطب المسموعة ، والالفاظ الرنانة ، والعبارات العاطفية الغامضة والرموز الانفعالية تؤثر جميعا فى عواطف الناس وخاصة فى المستويات الحضارية المختلفة . وهذا الاستعمال التخديرى للغة هو الذى تشجعه الدعاية ، اما الاعلام فيستعمل فيه التعبير العقلى الفكرى والمناقشة الواضحة الناضجة .

---

(88) عبد الله امام العلاقات العامة والمجتمع — ص : 229 .
(89) المرجع السابق — ص : 23 .

وقد كثر حديث اللغويين عن هذين النوعين ، فنرى فى كتاب Alecking فصولا خمسة لما سماه : النثر العلمى المعرفى والنثر العاطفى ، وتحدث الفصول عن خصائص كل النوعين فى الالفاظ والعبارات والموضوع، وما يثيره كل من النوعين فى الاذهان والعقول ، وما يهدف اليه النثر المعرفى من محاولة التعبير عن الافكار بقدر مساو من العبارات ، رغبة فى ابراز الحقائق المجردة دون مبالغة فيها ودون التأثر فى الاذهان بالصور الخيالية والمجازات اما فى النثر العاطفى فيؤكد المؤلف ان الامر يكاد يقتصر على مدلولات الالفاظ ، بل يتعدى هذا الى ما يلى المدلولات من ظلال المعانى، ولما تثيره فى الذهن من صور واخيلة يتأثر بها السامع او القارئ ، وتستنتج منها الاذهان من المعانى فنون ما تحتمله تلك الالفاظ او العبارات ولذلك يمكن الربط بين النثر العاطفى والشعر ، او يمكن ان يعد نوعا من الشعر غير منظوم .

ومع هذا يرى صاحب هذا الكتاب ان ليس من اليسير ان نضع حدا فاصلا بين النوعين : المعرفى والعاطفى ، فلا يكاد يخلو المعرفى من كل عاطفة خلو تاما ، كما نرى فى العاطفى احيانا عبارات لا تهدف الا الى التعبير عن الحقائق المردة . ويومئ المؤلف الى ترتيب الكلمات فى جمل كل من نوعين قد يختلف ، فلا نرى نظاما واحدا فى هندسة الجمل .

ولكن « فندريس » يذهب فى كتابه « اللغة » الى الفصل بين النوعين حتى كاد يجعل كلا منهما لغة مستقلة فيتخذ من اسلوب التخاطب بين الناس ميدانا لتلك اللغة الانفعالية ، ومن الاسلوب الكتابى ميدانا للغة المنطقية .

ولعل اوضح ما فى غلاجه لهذين النوعين شرحه لاختلاف ترتيب الكلمات فى كل منهما ، اذ يقول : « ينحصر الفرق الاساسى بين اللغة الانفعالية واللغة المنطقية فى تكوين الجملة . وهذا الفرق ينبثق جليا عند ما نقارن اللغة المكتوبة باللغة المتكلمة فاللغة المكتوبة واللغة المتكلمة تبتعدان فى الفرنسية احداهما عن الاخرى الى حد انه لا يتكلم اطلاقا كما يكتب ، الى جانب الاختلاف فى المفردات ، وذلك لان الترتيب الذى تتماسك فيه الكلمات فى الجملة المكتوبة ، ينفصم دائما فى الجملة المتكلمة ان قليلا او كثيرا .

وهذه الخاصة المعرفية فى اللغة العربية ظاهرة من تركيب حروفها على حدة الى تركيب مفرداتها على حدة ، الى تركيب قواعدها وعباراتها فى بنية الشكل الصحفى وفنون الاعلام المختلفة .

فاللغة العربية فى طبيعة تركيبها لا تحتاج الى الجمل الخبرية « الاعلامية » تنبها الى افعال الثبات او ما يسمى فى اللغات الغربية « فعل الكينونة » فنحن نقول فى العربية على سبيل الاخبار « فلان شجاع » دون حاجة مثلهم الى ان نقول : فلان هو شجاع ، ونقول : « كل انسان فان » دون حاجة الى ان نقول : « كل انسان يكون فانيا » او « كل انسان يوجد فانيا » ، او كل انسان كائن فان . كما هو شأنهم فى تركيب كلامهم واذا قلنا مثلا ان « الامة العربية واحدة » ثبت هذا المعنى فى اذهاننا ثبوتا لا يحتاج معه الى شئ من الخارج ، لا فعل الكينونة ولا اى رمز آخر من اللغة او اى امر من امور الحس . والفكرة المفهومة من الارتباط واضحة ماثلة دائما فى نفس العربى ، يلتفت اليها حين يواجه المعنى ، فاذا اراد ان يبرزها او ان يؤكد مثلها بلفظ كقوله : « انه هو الحق » (90) .

ومعنى هذا ان الاسناد فى اللغة العربية يكفى فيه انشاء علاقة معرفية بين « موضوع » « ومحمول » او مسند اليه ومسند ، دون حاجة الى التصريح بهذه العلاقات نطقا او كتابة ، فى حين ان هذا الاسناد الذهنى لا يكفى فى اللغات « الهندو ــ اوربية » الا بوجود لفظ صريح مسموع او مقروء ، يشير الى هذه العلاقة فى كل مرة ، وهو فعل « الكينونة فى اصطلاحهم»

واللغة العربية اذا كانت تعنى بالالفاظ فذلك من اجل المعانى ، اى لكى يؤدى الرمز وظيفة معرفية تحفز السامع او القارئ للعمل . وخير الادلة على ذلك لغة القرآن الكريم ، والتى وصلت الى اقصى آيات الاعجاز لفظا ومعنى ، فكان لها ذلك التأثير العظيم فى استنهاض الهمم ، لتحقيق المثل الانسانى الاعلى .

وتأسيسا على هذا الفهم لروح اللغة العربية ، قال ابن جنى فى « الخصائص » فى باب الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالالفاظ .

---

(90) مقال الدكتور عثمان امين ــ مجلة العربى العدد 118 ــ 1969 م الكويت

فاذا رأيت العرب قد اصلحوا الفاظها وحسنوها ، وحموا حواشيها وهذبوها ، وصقلوا غروبها ، فلا ترين ان العناية اذ ذاك انما هى بالالفاظ ، بل هى عندنا خدمة للمعانى وتنويه وتشريف ثم قال : « فكأن العرب انما تحلى الفاظها وتدبجها وتزخرفها عناية بالمعانى التى وراءها ، وتوصلا بها الى ادراك مطالبها.. وقد قال رسول الله (ص) ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا . فاذا كان رسول الله يعتقد هذا فى الفاظ هؤلاء لقوم التى جعلت مصائد واشتراكا للقلوب ، وسببا وسلما الى تحصيل المطلوب ، عرف بذلك ان الالفاظ خدم للمعانى ، والمخدوم اشرف من الخادم . والاخبار فى التلطف بعذوبة الالفاظ الى قضاء الحوائج اكثر من ان يوتى عليها ..

واذا كانت اللغة العربية تختلف عن اللغات الاوربية ، من حيث ان الجملة فى الاخيرة اسمية يتقدم فيها الفاعل على الفعل ولا يتقدم الفعل فيها الا شذوذا فى حالات قليلة جدا اهمها حالة الدلالة على المفاجاة ووقوع الفعل على انتظار ، فان القول فى الذهن العربى ، هو اسم يقابل الفعل المسبوق بعلامة المصدر ، ومن هذا يتساوى « القول » و « ان نقول » فى الادراك الصحيح (91) .

على ان الجملة الاسمية موجودة فى اللغة العربية ، وليست مع وجودها قليلة الاستعمال فى موضعها فليس تقديم الفعل على الفاعل فيها عجزا عن التركيب الذى يتقدم فيه الفاعل على الفعل ، ولكنه تقوم للكلام على حسب مواضعه ، وتصحيح لموقع الفاعل من آراء المتكلم وفهم السامع . وتلك اخص الخصائص فى لغة الاعلام .

فاننا نقول « محمد حضر » اذا كنا ننتظر خبرا عن محمد او عن حضوره على الخصوص ، ولكننا نقول « حضر محمد » لمن يسمع خبرا من الاخبار على اطلاقه ولا يلزم ان يكون الخبر عن محمد ولا عن الحضور بل لعل السامع كان ينتظر كلاما عن حسن وعن على كما ينتظره محمد ، او لعله خبر سفر وليس بخبر حضور او غير منتظر (92) .

وخاصة اخرى تجعل اللغة العربية اثر « اعلاما » من غيرها من اللغات الحية المعروفة ، وهى خاصة « الايجاز المعرق » وفى هذا المعنى قال ابن خلدون : « ولما كانت الملكات الحاصلة للعرب من ذلك احسن الملكات واوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها واوضحها ابانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات الحاصلة على كثير من المعانى ، مثل الحركات التى تعين الفاعل عن المفعول ، والمجرور اعنى المضاف ، ومثل الحروف التى تفضى بالافعال الى الذوات من غير الفاظ اخرى وليس يوجد ذلك الا فى لغة العرب . واما غيرها من اللغات فكل معنى او حال لا بد له من الفاظ تخصه بالدلالة ، ولذلك نجد كلام العجم فى مخاطبتهم اطول مما نقدره بكلام العرب .

وتلك اخص الخصائص فى لغة الاعلام الحديث حتى ليذهب علماء الصحافة فى لغات الغرب الى ان الاسلوب الاعلامى يعنى : « اعطاء الحقائق بما يمكن من الدقة والسرعة واليسر والظرف (93) » .

ومن ذلك ، اختلاف صيغة المبنى للمجهول بين اللغات الاوربية ، واللغة العربية ، لان العربية تدل على المبنى للمجهول بصيغة خاصة فى اوزان الفعل الثلاثى والفعل الرباعى او الخماسى او الفعل المزيد على الجملة ولكن اللغات الاخرى تدل على المبنى للمجهول بعبارة لا اختلاف فيها لتركيب الفعل على كلتا الحالتين (94) .

نحن نقول فتح الرجل الباب ، ونقول : فتح الباب ، « بصيغة المجهول » ولكن العبارة الاوربية التى تدل على ذلك تقابل قولنا (ان الباب يكون مفتوحا ، او ان الباب صار مفتوحا) وهو تعبير يخلو من دقة الصياغة العربية ، لانه اقرب الى الوصف منه الى الاخبار او الاعلام ، ولا سيما التعبير الغالب عندهم وهو ما يقابل قولنا (ان الباب مفتوح) .

وتزيد اللغة العربية بصيغة لا وجود لها عندهم ، وهى صيغة الفعل المطاوع ، فيقول القائل (انفتح الباب) ويعبر بذلك عن معنى لا تدل عليه دلالته

---

(91) العقاد : اشتات مجتمعات — ص : 57 .
(92) المرجع السابق — ص : 60 . Bond, F. Fraser: "An introduction to journalism" (N.Y.) 1961.
(93) العقاد : اشتات مجتمعات — ص : 62 .
(94) العقاد : اشتات مجتمعات — ص : 63 ، 64 .

الدقيقة كل من صيغة المبنى للمعلوم وصيغة المبنـــى للمجهـــول .

ويظهر الفارق فى الدلالة على المعانى المختلفة عند استخدام الفعل فى الجمل المفيدة على حسب دلالتها .

فاذا قلنا « فتح محمد الباب » فهذا خبر لمن يهمه ان يعرف من الذى فتح الباب .

واذا قلنا « فتح الباب » فقد يكون الخبر موجها — ايضا الى سامع يهمه ان يعلم شيئا عن الفاعـــل ، ولكن المتكلم يخبره بأنه يعرفه ولا يريد ان يذكره .

ولكن هناك حالة غير هذه وتلك ، وهى حالة انسان منتظر فتح الباب ولا يعنيه من الذى فتحه كما لا يعنيه ان يقول له المتكلم انه يجهله او يسكت عنه .

فى هذه الحالة يقول العربى : « انفتـــح البـــاب » فيؤدى المعنى المطلوب بغير خلط بينه وبين الحالات التى ينتظر فيها السامعون خبرا عن فاعل الفتـــح ، معلوما كان او مجهولا او مسكوتا عنـــه مجهـــولا او مسكوتا عنه مع علم السامع به تعمـــدا لاخفائـــه او لاهمـــالـــه .

واللغة الدقيقة التى استوفت وجوه الدلالة — هى كما يقول الاستاذ العقاد (95) — اللغة التى تلاحظ مقتضى الحال فى كل عبارة من العبارات الثلاثة ، ولا تستخدم عبارة واحدة لموضعين ملتبسين ، بل تستخدم كل عبارة لموضعها الذى لا لبس فيه .

وهذه هى صفة اللغة العربية فى وفائها بالمعـــانـــى المقصودة فى الاتصـــال الاعلامـــى على حسب ارادة المرسل والمستقبل ، او على حسب ضرورة التفـــاهم بيـــن الاثنيـــن .

وهذه الصفة فى اللغة العربية تميزها بما يمكن ان نسميه « الدينامية » او الحركية ، التى تجعلها اصلح اللغات لطبيعة الاعلام ، وتمنحها طواعيـــة فى ايراد حادث وقع حالا يبعث على اهتمام القراء به .

كما تتمكن من اعلام القراء بكل مـــا يريـــدون ان يلمسوا به من سرد صحيح موقوت لاحداث وكشوف وآراء وامور من اى نوع تؤثـــر فى القـــراء او تثـــير اهتمـــامهـــم .

فاللغة العربية بذلك تضم فى ثناياها اخص خصـــائص لغة الاعلام ، وهى العلاقـــات المتغيرة بـــين الانســـان والانسان وبين المرء وبيئته ، اجتماعية او اقتصاديـــة او سياسية او مادية او غير ذلك من العلاقات .

وعلى ذلك فان فى اللغة العربية طواعية تمكنها من الاجابة على الاسئلة التى تجول فى خاطر رجل الاعلام دائما وهى : « ماذا حدث » و « ماذا يجرى الآن » ؟ « والا من جديد ؟ » « اثمة ما يثير » « اهنـــاك مـــا يـــؤذن بجديـــد ؟ » .

ومرجع ذلك الى الخصائص الاعلامية الاصيلة فى اللغة العربية ، والتى تبين من تكيفهـــا وفقا للقوالب الاعلامية المختلفـــة ، بحيث استخدمت فى الصحافـــة الحديثة ، وفى الوسائل الاعلامية المستحدثة ، ولم تقع فى اخطاء لغوية كالتى تقع فيها اللغات الاوربية ، حينما تتحرر من بعض القيود اللغوية ، ولا سيما عند صوغ العنـــوانـــات المختصـــرة .

ذلك ان الخصائص التى تتميز بها لغـــة العـــرب استوفت وجوه الدلالة على ما نعلم ، فى ملاحظة مقتضى الحال ، وقد رأينا من ذلك مثلا خاصتهـــا فى المبنـــى للمجهول ، ووجدنا العربية تثبت للفاعل درجاته وانواعه بدقة نبعت من منطق اللغة الذى يفهم بالقياس كمـــا يفهم بالسماع والتوقيف .

ولذلك فاننا عند ما نقول فى معطيات هذا الفصل : ان اللغة الاعلامية هى اللغة العربية الفصحى نعنـــى ذلك جميعا ، على نقيض ما يذهب اليه البعض فـــى اللغات الاوربية (96) من ان لغة الاعلام لغة الفـــن الصحفى بالذات مستقلة تمام الاستقلال عن اللغـــة الاصليـــة الفصيحـــة .

والاعتراضات التى تثار حول اختيـــار عبـــارات العنوانات فى الصحيفة هى اعتـــراضات اقـــرب الى الجوهر منها الى القالب ، فاللغة فى العنـــوانـــات لا يقصد بها الا عـــرض الخبـــر عرضا موجـــزا ، اما الخبر نفسه فينبغى الا يكتب بهذا الاسلوب الموجز.

على ان اللغة العربية بمرونة خصائصها ، تمكنت من تجاوز هذه الاعتراضات لانها لغة تتميز بالايجـــاز

---

(95) العقاد : اشتات مجتمعات — ص : 63 ، 64 .
(96) العقاد : « اللغة الشاعرة » — ص : 15 .

والوضوح والنفاذ المباشر والتاكيد والاصالة والجلاء والاختصار والصحة .

وذلك ما عنيناه من قولنا : ان اللغة العربية ، لغة معرفية .

اللغة العربية وظيفية هادفة :

ويبين مما سبق ان اللغة العربية تمتعت بخصائص اعلامية ، تجعلنا نلاحظ انها تتفق مع غايات الاعلام الحديثة من حيث انه اداة وظيفية ، وليس فنا جماليا يقصد لذاته ، لانه يهدف الى الاتصال بالناس ونقل المعاني والافكار اليهم .

وذلك ما نريد ان نذهب اليه من قولنا : ان اللغة العربية ، وظيفية هادفة ، لانها كما راينا لغة معرفية تهدف الى الاعلام والتفسير والتوجيه والتنشئة الاجتماعية .

فان من خصائص هذه اللغة العربية فى تعبيراتها ان الكلمة الواحدة تحتفظ بدلالتها الشعرية المجازية ودلالتها العلمية الواقعية فى وقت واحد بغير لبس بين التعبيرين .

فكلمة الفضولة تدل بغير لبس على معنى الصفة الشريفة فى الانسان ، ولكن مادة فضل بمعنى الزيادة على اطلاقها لا تفقد دلالتها الواقعية على المواد المحسوسة ، بل يصح عند جميع المتكلمين والمستمعين ان ينهموا « فضول » القول على انه وصف غير جيد، لان الزيادة فى غير جدوى تخالف الزيادة المطلوبة اذا كان المقام مقام القول فى صفات الكلام .

ولا يصعب الجمع بين التعبير الواقع والتعبير المجازى الشعرى فى مئات من الكلمات تجرى على الالسنة كل يوم وتؤدى الى السامعين معانيها النظرية الفكرية ومعانيها الحسية فى وقت واحد بغير لبس بين المقصود فى كل مقام . فاللغة العربية اذن تستطيع ان يكون لها تعبيرها الذى يناشد حاسة الجمال لدى القراء ، وتتضمن ايضا اتصالا ناجحا اساسه الوضوح والسهولة ، والوظيفة الهادفة ، وسليقة اللغة العربية الاعلامية تكاد تجعل منها فنا تطبيقيا قائما بذاته ، لتصبح تعبيرا اجتماعيا شاملا فى الاتصال الجماهيرى، لانها لغة حركة خاضعة لكل مظاهر النشاط الثقافى من علم وفن وموسيقى ، الخ .

هذا الى جانب السياسة والتجارة والاقتصاد والموضوعات العامة . فاللغة العربية تمتاز بدقة تعبيرها والقدرة على تمييز الانواع المتباينة والافراد المتفاوتة والاحوال المختلفة سواء فى ذلك الامور الحسية والمعنوية .

ومن امثلة ذلك ان : المشى عام ودرج للصبى الصغير ، وحبا للرضيع ، وحجل الغلام ان يرفع رجلا ويمشى على اخرى ، وخطر الشاب باهتزاز ونشاط ، وولف الشيخ مشى رويدا بخطى متقاربة ، وهدج مشى مثقلا ، ورسف للمقيد ، واختال وتجتر وتخلع واهطع وهرول وتهادى وتأود انواع من المشى (97) .

والنظر عام ، ورمقه نظر اليه بمجامع عينيه ، ولحظة نظر اليه من جانب اذنه ، ولمحه نظر اليه بعجلة ، وحدجه ونظر اليه شزرا اى نظر العداوة ، واستشف الثوب رفعه لينظر الى صفاقته ، واستكفه واستشرفه نظر اليه واضعا يده على حاجبه من الشمس ، وحدق جمع عينيه لشدة النظر وتصفح نظر فى كتاب او حساب ليكشف صحيحه من سقيمه .

والطيران عام ، والدف والاسفاف والرفرفة والتحليق والتدويم والرفيف انواع مختلفة له .

فالدقة فى العربية ، دليل على بلوغ اصحابها درجة عالية فى دقة التفكير ولكنها خاصة اعلامية حين نقول انهم يتصفون بمزية الوضوح وتحديد المقصود تحديدا يقتضيه المنطق العلمى ولا يمكن ان تكون اللغة البعيدة عن الدقة المتصفة بالعموم او الابهام او الغموض اداة للتعبير الاعلامى الدقيق ، ولا بد من التقابل فى الخصائص والصفات بين التعبير والتفكير والتخصيص اللغوى والدقة فى التعبير اداة لا بد منها لرجل الاعلام ، صحفيا كان ام اذاعيا ، لتصوير دقائق المعلومات وابرازها فى جوانبها الخاصة المتميزة ، وصفاتها القائمة على الوظيفية الهادفة .

ونحن اليوم احوج ما نكون الى بعث اللفظ الدقيق من لغتنا واحياء الفروق بين الالفاظ لتكون لدينا لغة

---

(97) « فقه اللغة » للثعالبى — ط : 1 — ص : 151 — 82 ، 157 .

تصلح ان تكون اداة للاعلام العربى فى مواجهة التقدم الفنى الهائل ، وانطلاق وسائل الاتصال بالجماهير .

ذلك ان العربية قد اصيبت فى عصور الانحطاط بمرض العموم والغموض والابهام ، كنتيجة لافتقاد وظيفتها الهادفة فى هذه العصور ، فضاعت الفروق الدقيقة بين الالفاظ المتقاربة فغدت مترادفة وكثر استعمال « الالفاظ فى المعانى المجازية وصرفت عن معانيها الاصلية فضاع الفكر بين الحقيقة والخيال وزالت الخصائص المميزة والفروق الفاصلة واصبح لكل موضوع مهما تكرر قوالب من اللغة ثابتة واداة من اللفظ لا تتغير مصوغة لكل مناسبة او موضوع تنقل وتلحق كلما تكررت تلك المناسبة او عرض ذلك الموضوع فاذا كان الموضوع وصف حديقة او تعزية صديق او التعبير من فرح او طرب لم يتغير الكلام ايا كانت تلك الحديقة وفى اى بلد وايا كانت مناسبة التعزية او الفرح (98) . وفى ذلك تتل لخصائص اللغة العربية ومزاياها الاعلامية من ابراز المقومات والمزايا الخاصة والدقائق الخفية .

على ان اللغويين ايام ازدهار اللغة ، كانوا يدركون هذه المزية من المزايا العربية ، فعنوا بابراز الفروق بين الالفاظ فى مؤلفات خاصة لكتاب الفروق « لابى هلال العسكرى وابواب الفروق من كتاب ادب الكاتب لابن قتيبة والقسم الاول من « فقه اللغة واسرار العربية » للثعالبى .

كما كان كتاب العربية ، يحرصون على هذه المزية الاعلامية فى لغتهم ، فيضعون الالفاظ فى مواضعها ويحرصون على دقة التعبير ، فكان الجاحظ يستعمل الالفاظ التى تتخصص مدلولاتها بها لا تتناول سواها بقدر ما تسمح له اللغة بذلك فاذا ذكر آلة او اداة او طعاما او لباسا او شيئا من هذه الاشياء المادية ذكرها باسمائها الخاصة وفرق بهذا التخصيص بين انواعها المختلفة فمن ذلك الشبوطة والجوافة والشلقة لضروب من السمك ، والجعفرية لضرب من السفن ، والسرجة والمصباح والقنديل ما يستصبح به ، والصمام ما تسد به القوارير ، والكباح للعلمل الذى ينظف المناعب والمجارى ، والشارع للسكة الكبيرة . والرائع للطريق الضيقة بين المنازل (99) ، الخ .

ونجد مثل هذه الدقة فى الوصف عند كثير من كتاب العربية فى مختلف العصور ، ولا سيما فى القرون الاربعة الاولى بعد الاسلام ومن هؤلاء : عبد اللطيف البغدادى (557 هـ — 629 هـ) فقد كان دقيقا فى ملاحظته وتعبيره فى رحلته الى مصر التى سماها « الافادة والاعتبار » فقد وصف فيها نباتات مصر وحيواناتها وآثارها وصفا يبعث فى الانسان الدهشة والتعجب فمن ذلك قوله فى وصف البامية : « وهى ثمر بقدر ابهام اليد ، كانه جراء (100) القثاء ، شديد الخضرة ، الا ان عليه زيبرامشوكا ، وهو مخمس الشكل ، يحيط به خمسة اضلاع ، فاذا شق عن خمسة ابيات بينها حواجز وفى تلك الابيات حب مصطف ، مستدير ابيض اصغر من اللوبيا ، هش ، يضرب الى الحلاوة وفيه قبض ولعابية كثيرة (101) » .

بهذا الاسلوب البسيط الدقيق فى كلماته وصف البغدادى فى رحلته هذه سائر ما شاهده فى مصر من النبات والحيوان ومعالم العمران والآثار القديمة وانما كانت دقة الوصف من استعمال الالفاظ المطابقة لمعانيها الدقيقة فى دلالتها .

وهذه الخاصة الوظيفة للغة التى استخدمها كتاب العربية خير استخدام ، جعلت علماء الصحافة والاعلام يذهبون الى ان الجاحظ — وهو من كتاب القرن الثالث الهجرى — بان يكون اول صحفى ممتاز او انه عاش فى القرن الذى نعيش فيه . يقول الدكتور ابراهيم امام : (102) . « يمكن النظر الى ادب الجاحظ فى مجموعه على انه ادب تتوفر فيه الكثير من خصائص الفن الصحفى لقد كان الجاحظ رجلا شديد الانغماس فى المجتمع ، وهو فى الوقت نفسه غزير الانتاج الى درجة تلفت النظر ، وانتاجه وثيق الصلة بالافكار فى تلك البيئة العباسية من دين وسياسة وثقافة وعادات

---

(98) محمد المبارك : خصائص العربية ص 62 .
(99) محمد المبارك : فن القصص فى كتاب البخلاء للجاحظ — ص : 38 .
(100) جراء جمع جرو الصغار من كل شئ .
(101) عبد اللطيف البغدادى فى مصر . مطبعة المجلة الجديدة بالقاهرة — ص 20 .
(102) دراسات فى الفن الصحفى — ص : 33 .

وتقاليد اجتماعية . لقد كان الجاحظ موسوعى المعرفة دقيق الملاحظة ، سلس الاسلوب ، قوى العارضة ، ساخرا متهكما ، ولكن دون مرارة .

واهم من ذلك كان مصورا بالقلم تصويرا فنيا يجسم افكاره ، تجسيما مشوقا اخاذا ويكفى ان نشير الى رسالة التربيع والتدوير التى وصف فيها احمد بن عبد الوهاب لكى نبين عبقرية الجاحظ فى فن الكاريكاتور القلمى . وفضلا عن ذلك ، فانك تلمح فى كتابات الجاحظ حبا للحياة ، وولعا بالناس ، وتقديرا للانسان فهو ليس فيلسوفا يكتب عن الافكار المجردة ولكنه اديب اقرب الى الصحفى ، يكتب عن المجتمع باسلوب رشيق سلس اخاذ » .

وبمقارنة الجاحظ بمعاصريه ، نستطيع ان ندرك خصائص اسلوبه القريب من الصحافة ، فابن المقفع ، مثلا اديب وادبه خلاصة مطالعاته وتجاربه وتجارب اسلافه من البيئة الفارسية القديمة . وهو يسلك فى كتابة ادبه طرقا فنية خالصة ، وهى تعبير مجازى ممتاز ، كان يتحدث على السنة الطير والحيوان ، ويعتمد على الصور البيانية الرائعة ، ولكنه مستوى ادبى جمالى يرتبط بالرمز الفنى ، ولا يتصل بالواقع العلمى الا اتصالا يسيرا .

النمذجة والدقة فى اللغة العربية :

تقدم اننا نعنى بالنمذجة فى لغة العرب انها لغة دالة والنمذجة والتبسيط من اهم سمات لغة الاعلام التى تعرض الاحداث والافكار منتزعة سماتها كما لو كانت وحدات مستقلة وهى نمذجة مقصودة لاسباب خارجية اهمها التبسيط للجماهير التى تحتاج الى الفاظ تعبر عن المفاهيم الخلقية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والافكار العامة التى نشات فى الحياة الانسانية ونمت وتطورت .

وقد قامت اللغة العربية بسد هذه الحاجة الى الالفاظ العامة ، والانماط لاغناء الحاجة اليها للتعبير عن هذه المعانى العامة فى الميدان المادى والمعنوى منذ عهد بعيد .

فاللغة العربية غنية بالالفاظ الدالة على المعانى العامة كما انها غنية بالالفاظ الخاصة الدقيقة ولغة الاعلام تحتاج الى النوعين كليهما فى حياتها وتطورها ولكل منهما موضع يليق به .

يعود هذا الاستعداد لتخصيص الالفاظ بمعانيها الى سعة الاشتقاق فى اللغة العربية على قواعده التى تؤدى كل قاعدة معناها المستفاد من وزنها ، فان الاشتقاق على حسب هذه القواعد يستمد من الفعل عمل الاسم وعمل الصفة وموضع استخدام كل منهما، فياتى الاسم معبرا عن واقع فعله عن المقصود بوصفه وتصلح المادة الواحدة اساسا كاملا من المعانى المتفرعة عليها (103) .

وياتى عمل المضاعف والمزيد فيوسع دلالة المادة اللفظية او يسرى منها الى معانى تناسبها وقد تخالفها فى بعض عوارضها .

فالاشتقاق العربى يعطى المتكلم من الاوزان بمقدار ما يحتاج اليه من المعانى المحتملة على جميع الوجوه والمتكلم هو صاحب الشان فى اختيار الكلمة وليست الكلمة هى العبارة المفروضة عليه لانها وضعت من اصلها ارتجالا او محاكاة لصوت او تلفيقا للاجزاء من مختلف المواد .

ولا يحتمل العقل المعبر صيغة للاشتقاق بعد استيفاء صيغ المصدر للمرة او للهيئة او للدلالة على الجمع أو الجنس المجموع ، ولا احتمال لصيغة مطلوبة بعد صيغ المبالغة والتضعيف واسم الفاعل واسم المفعول والصفة اللازمة ، والصفة المرتهنة بالحدث والزمان (104) .

فالمتكلم المميز هنا هو صاحب الشأن فى تصريف المشتقات على حسب اغراضه واحتمالات تفكيره ، واللغة قد وصلت على السنة المتكلمين بها الى خلق القواعد التى يتبعها تكوين المفردات ، قبل ان تعرض لهم الحاجة الى استخدام جميع تلك المفردات او انشاء الكلمات المرتجلة مع كل مشاهدة تاتى للمتكلم بشئ جديد يحتاج الى لفظ جديد ، ولذلك لم تضع الرابطة الاشتقاقية بين الالفاظ العربية على اختلاف عصورها

---

(103) العقاد : « اشتات مجتمعات » — ص : 100 — 101 .
(104) نفس المرجع — ص : 102 .

وتاريخ ميلادها وعلى اختلاف بيئاتهـا ومساكنهـا ، فكلمـة « طائـرة » و « سيـارة » و « هـاتف » و « اشتراكية » ولدت فى هذا العصر ، ومع ذلك فان الرابطة الاشتقاقية لم تصنع بينها وبين « طائـر » و « مسير » و « هاتف الجن » و « شرك » مع ان بين ميلاد تلك الالفاظ وقريباتها هذه مدة تزيد على خمسة عشر قرنا ، ولا نزاع فى ان منهج اللغـة العربيـة فى الاشتقاق قد زودها بذخيرة من المعانى والنمـاذج لا يسهل اداؤها فى اللغات الاخرى ، فى نطق التركيـز الاعلامى الذى هو شيمة الاسلوب العربى الاصيل .

فالالفاظ المنتسبة الى اصل واحد تشترك فى قدر من المعنى وهو معنى المادة الاصيلة العام كالطـيران فى طائرة والسير فى سيارة وتسير والاشتراك فى الشرك والاشتراكية ويقابل هذا المعنى المتـداول ان العنصر الثابت من اللغة ، والمكون من جزء مادى هو الحروف الثابتة فى مادة الكلمة وجزء معنوى هو معناها العام، هو اداة النمذجة ووسيلة الاتصال بين جماهير الامة العـربيـة :

واذا كانت النمذجة فى لغة الاعـلام لا تقتصر على الشخصيات بل تتجاوزها الى الافكـار والمـذاهب والعقائد . بحيث اصبحت هناك افكـار ثابتـة عـن الشيوعية او الراسمالية ، ويتلقى الجماهير ثقافتهـا ومعلوماتها من خلال هذه النماذج ، فقد كانت العربية من اوائل اللغات استخداما للنمذجة عـن طريـق استخدام العام مثلا فى بعض ما يدل عليـه ، لسبب اجتماعى ما ، يزيل تقادم العهد عموم معناه ، ويقتصر مدلوله على الحالات التى شاع فيها استعماله . ولدينا فى اللغة العربية آلاف من امثلة هذا النوع .

فمن ذلك جميع المفردات التى كانت عامة المدلول ثم شاع استعمالها فى الاسلام فى معان خاصة تتعلـق بالعقائد او الشعائر او النظم الدينية : كالصلاة والحج والصوم والمؤمن والكافر والمنافق والركوع والسجود... الخ . فالصلاة مثلا معناها فى الاصل الدعاء — كمـا جاء فى القرآن الكريم : « وصل عليهم ان صلاتـك سكن لهم » — ثم شاع استعمالها فى الاسلام فى العبادة المعروفة لاشتمالها على مظهر من مظاهر الدعاء ، حتى اصبحت لا تنصرف عند اطلاقها الى غير هذا المعنى. والحج معناه فى الاصل قصد الشئ والاتجاه اليه ، ثم شاع استعماله فى قصد البيت الحرام ، حتى اصبح مدلوله الحقيقى مقصورا على هذه الشعيرة ، الخ ..

وتقوم النماذج فى اللغة العربية كذلك على اساس كثرة استخدام الكلمة فى معنى مجازى لسبب اجتماعى ما يؤدى غالبا الى انقراض معناها الحقيقى وحلول هذا المعنى المجازى محله . فمن ذلك مثلا فى اللغـة العربية كلمات المجد والافـن والوغـى والغفـران والعقيقة ، الخ . فالمجد معناه فى الاصل امتلاء بطـن الدابة من العلف ، ثم كثر استخدامه مجازا فى الامتلاء بالكرم حتى انقرض معناه الاصلى واصبح حقيقة فى هذا المعنى المجازى ، ولهذا السبب نفسه انتقـل معنـى « الافن » من قلة لبن الناقة الى نقص العقل ، وانتقل معنى « الوغى » من اختلاط الاصوات فى الحرب الى الحرب نفسها ، الخ ..

ان هذه الخاصة فى اللغة العربية من نمذجة للمعانى بهدف التبسيط فى شكلها المتسع المتنوع الموجـود فى العربية مما يؤكد خصائصها الاعلامية . كمعنى الفاعلية والمفعولية والمكانية ، وهى ليست لنمـاطا ثابتـة لا تتغير ، ولكنها ترتبط بالتطور الفكرى والاجتماعـى وحاجته الى نماذج او انماط جديدة ، وقد حدث شئ من هذا فى تاريخ العربية ، فقد استعمل فى العصـر العباسى ما سمـوه بالمصدر الصناعـى كالانسانيـة والحيوانية . وقد استعملنا نحن اليوم هذه الصفـة لحاجتنا اليها للتعبير عن المذاهب كالمادية والوجودية والاشتراكية وغيرها .

ان اوزان العربية وابنيتها هى احدى مقوماتهـا وخصائصها المميزة ، وهى كما تقدم تقـوم بوظيفـة اعلامية معرفية وبوظيفة فنية ، فالكلمات التى تستعمل للغرضين كثيرة فى اللغة العربية وليست بهذه الكثـرة فى اللغـات الاوربيـة .

العربيـة لغـة الاعـلام :

وظاهر من جملة هذه الملاحظات ان اللغة العربيـة تتضمن فى ابنيتها وتراكيبها والفاظها خصائص اعلامية: فهى لغة معرفية ، تقوم على الوظيفة الهادفة وتتضمن اتصالا ناجحا اساسه الوضوح والسهولة والسلاسة والتبسيط ، فهى لغة عملية تعبر عن الحياة والحركـة والعمل والانجاز ، لانها لغة قوم يتلازم عندهم القول والتفكير والعمل فى حياتهم : فقول العربـى تفكيره ،

وتفكيره بدء لعمله . ولذلك اعتبره الشاعر الجاهلى زهير احد شطرى الانسان اذ قال : « لسان الفتى نصف ونصف فؤاده » .

تلك بعض السمات فى اللغة العربية ، هى اللغة المؤثرة حقا .

ومن الطريف ان هذه اللغة الحية هى نفس اللغة التى اقتربت من الادب عند الجاحظ ، بأسلوبها السهل الممتع القوى المعبر ، المتدفق فى حيوية وايقاع.

ومن ذلك يبين ان اللغة العربية ـ وهى وعاء العقل العربى ـ تتميز بخصائص اعلامية نشأت فيها من روح الامة العربية وتجاربها المتراكمة المستمرة ، وتدل على مرونة اللغة العربية ، واستجابتها لمتطلبات الحياة ، ومقتضيات الحضارة ، وتدل كذلك على الذهن العربى المتمتع بالنقاء والصفاء ، والتفتح والانطلاق ، وكل ذلك من معطيات الطبيعة الصحراوية ، وانعكس كل ذلك على اللغة العربية وظهرت فى مفرداتها وتعابيرها الخصائص الاعلامية النابعة من هذه المعطيات نفسها فنجد فى اقوال العرب : اللفظ المعبر ، المسؤول عن وظيفته فى الجملة والجملة الصحيحة المسؤولة عن دورها ووظيفتها فى تأدية الفكرة ، وايضاح المعلومات .

الفصـل الخـامس
الاعـلام واللغـة المشتركـة

تقدم ان الوسيلة الوحيـدة الفعالـة فى الاتصال الاعلامى والجماهيرى ، والتى نتمكن بها مـن ادراك معنى الحياة ، وتوضيح معالمها ، ونعت مظاهرها هى اللغة المشتركة والتى تمثلها لغة الاعلام .

فاللغة المشتركة تمثل فى كل الاحوال روح الشعب، على حين ان الادب الذى يسود بين الطبقات العليا من الامة قد يكون عاكسا للتأثيرات الخارجية والاجنبية.

واللغة العربية ــ كما يقول الاستاذ مصطفى صادق الرافعى ــ هى صورة وجود الامة بافكارها ومعانيها وحقائق نفوسها وجودا متميزا قائما بخصائصه ، فهى قومية الفكر ، تتحد بها الامة فى صور التفكيـر ، واساليب اخذ المعنى من المادة . والدقة فى تركيب اللغة دليل على دقة الملكات فى اهلها ، وعمقا هو عمـق الروح ، ودليل الحس على ميـل الامـة الى التفكير والبحث فى الاسباب والعلـل .

والمتامل فى طبيعة اللغة العربية ومزاياها فى الفـن والتعبير ، يكتشف صفات اساسية فى هذه اللغـة ، تميزت بها خلال مراحل تاريخها الطويل .

فاللغة العربية تضمنت مزايا وصفات اعلامية فى حروفها ومفرداتها وتراكيبها ، لانها كانت لغة مشتركة منذ كان للعرب قبل الاسلام اسواق مشهورة تقام فى اشهر مختلفة من العام ، لا للبيع والشراء فحسب ، بل ايضا لتحقيق نوع من الاتصال الجماهيرى عن طريق المساجلات والمناظرات بين كبار الشعراء ، وفصحاء الخطباء ، اولئك الذين كرسوا حياتهم للنهوض بهذه اللغة والسمو بآدابها .

وهؤلاء هم الذين تحداهم القرآن الكريم ان يـأتوا بسورة من مثله . اى ان تلك الاسواق كانت بمثابـة مؤتمرات اتصالية ، فيها ينشد الشعراء ما تجود به قرائحهم وفيها يبرز الخطباء داعين الى مذهب سياسى او دينى بين القبائل المختلفة .

وكانت هذه اللغة الادبية ــ كما يقـول الدكتـور ابراهيم انيس (105) ــ بمثابة لغة مشتركة بين العرب جميعا ، يتخذونها اداة التعبير عن آدابهم ، ويعتزون بها كل الاعتزاز . ولهذا نزل القرآن الكريم بهـا ، فلم تكن لغة قريش وحدها ولغة مكة وحدها ، بل كانت اللغة المشتركة للعرب جميعا . غير ان نـزول القرآن بها قد زادها ازدهارا فوق ازدهار ، وثبت اركـانهـا ودعـائمهـا .

—

ولهـذه اللغـة المشتركـة صفتـان :

اولاهما : انها خاضعة لقواعد معينة تباعد ما بينها وبين التطور الا ببطء شديد وفى زمن طويل ، وهـى لهذا اسمى من لهجات الحديث اليومى المعتاد المتداول فى المنازل والطرقات والاسواق ، ولذلك يصطنعها من يريد اجادة القول واتقان الاداء ، كما يصطنعها رجال الاعلام والاتصال بالجماهير على اوسع نطاق .

وثانيهما : انها ــ كما عبر هنرى سويت ــ اللغة التى لا يستطيع السامع ان يحكم على المنطقة المحلية التى ينتمى المتكلم بها (106) .

ويتضح من ذلك ان اللغة المشتركة ــ مـع انهـا نشأت فى البدء على لهجة منطقة معينة ــ قد فقدت مع الزمن عناصرها الاولى ، او نسى المتكلمون بهـا ينابيعها التى نبعت منها ، فصارت ذات كيان مستقل وشخصية متميزة ، فلا يذكر المتكلم بها او الذى يسمعها منطقة معينة ترجع اليها او طبقة تمت اليها ، بل يشعر انها ملك مشاع للجميع ، كأنهم صانعوها بغير فضل يمتاز به بعضهم على بعض .

وفى ذلك ما يؤكد اعتزاز المتكلمين بها ، واتخاذهم لها وسيلة للتعبير الاعلامى والاتصال الجماهيرى .

وهناك عوامل مهدت للغة العربية المشتركة : منها الدين ، فالقرشيون يقيمون بواد غير ذى زرع وهم مفتقرون الى ان تهوى الى البيت الحرام افئدة الناس. وقد استجاب الله دعاء سيدنا ابراهيم ، فجعل الكعبة

وكانت القبائل التى تفد على مكة للحج ذات لهجات، منها الجيد ، ومنها الردئ . وكانت قـريش تسمـع الوافدين ، وتستصفى من لهجاتهم ما يروقها ، وكان

---

(105) « اللغة بين القومية والعالميـة » ــ ص : 276 .
(106) ابراهيم انيس : « مستقبل اللغة العربية المشتركة » ــ ص : 5 .

الوافدون ينتقلون عن قريش ، ويبثــون فى الجزيــرة مــا نقلــوا (107) .

ومنها التجارة ، فقد كان القرشيون يرتحلون فى كل عــام رحلتيــن :

رحلة فى الشتاء الى اليمن ، ورحلة فى الصيف الى الشام ، واحيــانا يضربــون فى الارض ، ويمشون فى مناكبها الى فارس والى الحبشة ، وهم قوم صناعتهم الكلام ، سرعان ما يضيفون الى لغتهم ما يغنيها ، ويزودونها بما ينميها ويرقيها .

وظاهرتها المكانة الاجتماعية التى استمدتها قريش من نفوذها الدينى والاقتصادى ، حتى قال ابو بكــر فى رده على الانصار يوم السقيفة مؤيدا حق المهاجرين فى الخلافة : « وهم اولياؤه وعشيرته ، واحق الناس بهذا الامر من بعده ، ولا ينازعهم ذلك الا ظالم »، وقال فى خطبته الثانية : « لا تدين العرب الا لهــذا الحــى مــن قــريش » (108) .

وكان لذلك جميعا اثره فى نشأة لغة مشتركة ، قامت اصولها على لهجة قريش وسكان مكة ، وان لم تخل من لهجات اخرى لكثير من القبائل ، ثم جعلت هذه اللغة المتطورة تزداد على مر الزمن نمــاء وصقلا ، وجعلت تنتشر فى اصقاع شبه الجزيرة ، حتى صارت لغة الادب التى يصطنعها الشعراء ولغــة الاتصال بالجماهير التى يصطنعها الخطباء مهما تختلف قبائلهم وتتعــدد لهجــاتهم .

فلما اشرق الاسلام كانت هذه اللغة المشتركة قد بلغت درجة الرقى والوحدة اعدتها لان ينزل بها القرآن الكريم ، فتمت به الوحدة اللغوية بين العرب .

وكان النبى عليه الصلاة والسلام يتصل بالوفود العربية من جهات شتى ، ويراسل الامراء فى الجزيرة وما حولها ، ويعقد المعاهدات مع كثير منهم ، ويتلــو القرآن الكريم على قبائل من اصقاع متباعدة ، ويبعث مندوبيه الى شتى النواحى لتعليم القرآن الكريم ونشر الدين وجباية الزكــاة ، والقضاء بين الناس ، وفى كل هذا كانت اللغة العربية المشتركة هى وسيلة التعبير.

وحينما تمت الفتوح الاسلامية فى الامصار وما وراء الامصــار ، انتصرت العربية على اللغــات الاجنبيــة المفروضة على شعوب المنطقة ، سواء فى المشرق او فى المغرب ، ويكاد المؤرخون الغربيون انفسهم يجمعون على ان هذه اللغات صفيت من المنطقة فى القرن الاول للاســلام .

« ان خمسة قرون مــن الاحتــلال الرومانــى ــ لاقطار العرب ــ لم تستطع ان تترك ما يصمد امــام العقيدة الاسلامية واللغة العربية » (109) .

وفى مصر حيث استغرقت عهود السيطرة الاجنبيــة اكثر من الف ومائة عام قبل الفتح العربى لم تجــد الجهود التى بذلها الغزاة على ذلك المدى الطويل لفرض ثقافاتهم عليها ، ولم تصمد اليونانية التى كانت استأثرت بالمجال الثقافى والرسمى ثلاثة قــرون قبــل الميــلاد (30-333 ق م) وثلاثة اخرى بعده (284-616) امام اللغة العربيــة (110) .

ولم يبد ان العربية واجهت فى اى قطر من المنطقة اى مقاومة من هذه اللغات الاجنبية ، وانمــا كــانت المواجهة مع اللغات الوطنية للشعوب التى دخلت فى الاســلام (111) .

ولا نغالى حين نقرر ان اقبال الناس فى بعض الامصار على اللغة كان اسرع من اقبالهم على الدين . وهكذا اصبحت اللغة العربية خلال قرنين من الزمان لغــة عالمية ، تنتظم جهات من بلاد فارس ، وكل العراق ، ومعظم مدن آسيا الصغرى ، كما تنتظم مصر وشمال افريقيا ، كما سادت فى بلاد الاندلس عدة قــرون ، وحرص العلماء والدارسون منذ القرن الثانى الهجرى على تعقيد قواعدها وتثبيت دعائمها فى الامصار فلم يكد ينتهى هذا القرن حتى كان لها آثار جليلة فى شتــى الدراسات الدينية واللغوية (112) .

وظلت اللغة العربية فى نهضتها الادبية حتى بعــد استقلال الدويلات الاسلامية عن الدولة العباسية والتى

(107) د . احمد محمد الحوفى : وحدة اللغة والوطن فى الشعر الحديث ــ ص : 8 .
(108) المرجــع الســابــق ــ ص : 9 .
(109) ابراهيم حركات : « المغرب عبر التاريخ » ــ ص : 75 ــ ط : السلمى بالدار البيضاء .
(110) هارولدبلى : « الهلينية » فى مصر ــ ص : 55 ــ ترجمة د . زكى على (959) .
(111) د . عائشة عبد الرحمن : « لغتنــا والحيــاة » ــ ص : 61 .
(112) د . ابراهيم انيس : « اللغة بين القوميات العالمية » ــ ص : 276 .

ظلت تدين بالولاء للخليفة العباسى فى بغداد ، تأكيدا للصلة الروحية . فلما كان القرن الرابع الهجرى شهدنا شعراء وكتابا للآداب العربية لا يقلون قدرا عن الذين كانوا فى القرن الاول او الثانى من الهجـرة ان لـم يتفوقوا عليهم .

واللغة العربية ماضية فى حركتها تتسع وتنمو وتتلقى جديد الروافد فى مرونة سخية ، وحراسها ساهـرون عليهـا لحمـايـة اصالتهـا .

واخذت الحياة اللغوية مجراها فى جانبين (113) : الفصحى العالية المشتركة ، لسان العربيـة دينا ودولة وثقافة وعلما وادبا .

ولهجاتها الاقليمية على السنة الشعوب المستعربة.

اما الفصحى ، فكانت اللغة العليا المشتركة لشعوب تباعدت اصولها واختلفت اقاليمها وتفاوتت امزجتهـا وميراثها الفكرى والثقافى والحضارى وتميزت مدارس معروفة فى النحو والبلاغة فى الكوفة والبصرة وبغداد ومصر . واضطلع المغرب بدور جليل فى الدراسـات الاسلامية لموقعه الهام على تخوم دول مسيحية .

واتسعت العربية لهذه الآفاق المترامية ، فكـانت لغة العلم والثقافة والادب لشعوب الدول الكبرى .

وقد استطاعت العربية بمرونة فائقة ، ان تتحاشى ازمة موقفها بين القديم الاصيل والمحدث الطارئ ، بتطويع دلالات الالفاظ والتوسع فى المجـاز ، لكـى تؤدى المعانى الجديدة التى لم يكن للعرب عهد بها من قبل . وكانت تجربتها التى اثرتها بالمصطلحات والالفاظ الاسلامية من عصر المبعث الى عصر الفتوح ، قـد نجحت تماما فى هذا التطويع للغة الجاهليين الوثنيين ، دون ان تجد مشقة او عسرا لتكويـن لغـة الامـة الاسلاميـة (114) .

واما اللهجات الاقليمية فقد اخذت حريتها فى الحركة والتوسع ، فتخفف عن كثير من قيود الاعراب مستغنية عنها بنسق التركيب ودلالة السياق . وطوعت الصيغ لمواجهة عوامل صوتية جبرية فرضتها طبيعة الاجهزة الصوتية لشعوب تفاوتت مسالكها اللغوية وميزاتهـا فى الاداء مع اتصالها فى الوقت نفسه بالفصحى العليا فى لغة القرآن الكريم ومن ثم اتيح للعربية هذا الانتشار الواسع وطاعت بها السنة الشعوب المتعربة مستغنية عـن الدرس والتلقين .

سمـات اعلاميـة فى اللغـة العربيـة :

واتسمت العربية منذ تلك النهضة العظيمة بسمات اللغة الاعلامية ، فهى :

اولا : لغة مفهومة لدى العامـة ، حيث لم تحـل اللهجات الشعبية دون فهـم نصوص الفصحـى ، فالجماهير التى تصلى الجمعة فى المساجد الاسلامية على المساحة الكبرى كانت تفهم خطب الائمة والوعاظ دون شرح ، وقادة الجيوش فى المعارك الاسلامية ضد الغزو الصليبى والتتار ، كانوا يخطبون فى جنودهم باللغة الفصحى ، وشعراء الحروب الصليبية ومعارك التتار وخطباؤها الهجوا وجدان الجماهير بقصائدهم وخطبهم بالفصحى ، ودعاة المذاهب والفرق ، يتصلون مباشرة بالعامة ، ويؤثرون فيهم بالكلمة ، وما كانوا يتكلمون الا باللغة العربية المبسطة .

ثانيا : لغة ديمقراطية ، لا تخاطب الكبير بخطـاب والصغير بخطاب آخر ، ولا تخلط بين ضمير المفـرد وضمير الجمع ، فيقول الله سبحانه وتعالى : « انـا ربكم الاعلى » ، ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: « انما انا بشر مثلكم » ، ويقول له الناس : « ما انت لا بشر مثلنا » ، الى غير ذلك من اساليب اصيلة فى العربية سوت بين الناس فى الخطاب والغيبة والتكلم.

ثالثا : لغة عالمية ، حيث اصطنعتها شعوب متعددة، منذ استقرت الدولة العربية فى اواخر القرن الثـانى واوائل الثالث من الهجرة . فاخذت بالطابع العربـى دينا ولغة وثقافة وحضارة وقد صهرت كل تلك الشعوب التى كانت فى آسيا الصغرى ومصر وشمال افريقيا فى البوتقة العربية وتألف منها فى نهاية الامر شعب عربى واحد ، يدين بدين واحد ويصطنع لغة واحدة ، هذا الى ان العربية دخلت ايضا مناطق نائية من الديـن الاسلامى ، واصبحت هناك لغة الثقافة الدينية ، كما

---

(113) عائشة عبد الرحمن : « لغتنا والحياة » ـ ص : 71 .
(114) السيوطى : « المزهر فى علوم اللغة » ـ ص : 294 وما بعدها .

هو الشأن فى بعض جهات الهند ، وفى باكستان وافغانستان والملايو واندونيسيا ، وغيرها من دول الشرق التى انتشر فيها الاسلام وانتشرت بانتشاره اللغة العربية ودخلت العربية كذلك جهات من افريقيا اعتنقت الاسلام واصبحت الآن تعرف بالدول الاسلامية فى وسط افريقيا وشرقيها وغربيها .

وقد اتجهت هذه الدول الاسلامية صوب العربية تستمد منها الثقافة الدينية والحضارة العربية ، مثل موريتانيا ونيجيريا والصومال . وهكذا نرى ان العربية قد ذاعت فى مناطق متباعدة الاطراف ، وان اصبحت من بين اوسع اللغات انتشارا فى العالم . ويعدها المحدثون من اللغويين ثالثة لغات العالم الحديث من حيث انتشارها وسعة مناطقها (115) .

رابعا : رحبت العربية فى اوج نهضتها بكثير من الالفاظ التى اقترضتها من اللغات الاخرى ، واستغلتها فى المصطلحات العلمية ولغة الكلام . وبقدر ما توسعت فى الاشتقاق والمجاز ضيقت باب الاخذ من الدخيل ، صونا للسانها ، فاستغنت الى اقصى المدى ، بتطويع الالفاظ الفصحى لكى تؤدى المعانى الجديدة على وجه التجوز ، ولم تلجأ الى استعارة الدخيل الا عند الضرورة القصوى ، مع اخضاعه للصيغة العربية اما بالالحاق او بتغيير نقطه استعازا بانه قد صار ملكا لها .

وقد استطاع علماء اللغة من عصر التدوين ان يتخلصوا قواعد لمعرفة المعرب (116) ، تشهد بأن الامر لم يترك لفوضى عشوائية ، بل خضع لقواعد كانت العربية تجرى عليها فيما تاخذه من اللغات الاخرى .

خامسا : لغة مشتركة ، وتلك ظاهرة عميقة الاثر فى حياة الانسانية . فلغة اى مجتمع صغر او كبر ، هى ترجمان عواطفه ومشاعره وافكاره واخباره واهدافه ، وسجل تاريخه وتراثه وادبه ، والحبل الذى يصل حاضره بماضيه ، وطريفه بتالده . والاشتراك فيها هو الاساس الاول للتعاطف والتعاون والشعور بالمواطنة والقومية (117) .

وهذا الركن فى ذاته مصدر من مصادر اعتزازنا بان لغتنا لغة اعلامية ، فلغتنا من اغنى اللغات الكبرى تراثا ، واطولها عمرا ، وابقاها على الزمن اتصالا ، وقد وسعت ما وصل اليها من معارف الاقدمين فى الماضى ، هى الآن تثبت قدرتها على الاتساع لثمار الفكر الانسانى الحديث ، بل انها تشارك بانتاجها فى تنمية الثروة الادبية والعقلية للعالم المعاصر .

والعرب الذين يتكلمون بلغة مشتركة لا يقلون عن 95 % من سكان الوطن العربى ، والباقون يتكلمون بلغة غير عربية ، او بلغة عربية مختلطة بغيرها كالاكراد والشركس والارمن والبربر ، وهذا العدد القليل بالنسبة الى الكثرة العظمى ليس من شأنه ان يخدش الوحدة اللغوية بين العرب .

على ان اللغات غير العربية التى تتكلم هذه الاقلية الضئيلة ستتوارى شيئا فشيئا ، وتحل اللغة العربية محلها فى زمن ربما لا يزيد على نصف قرن ، بل ان بعضها فى سبيله الى التوارى ، لان الطلبة من الاكراد (118) والشركس (119) والارمن (120) والترك (121) فى الشام والعراق يتكلمون العربية وحينما يعم التعليم تتضاءل لغات الاقلية ، ثم تنقرض ، ولا شك ان اسلام الاكراد والشركس والترك يشد ازر العربية ، ويسرع بها الى التغلب ، فتتم الوحدة اللغوية .

وتنطبق هذه الحالة على بعض سكان السودان وبعض سكان المغرب ، لان بالسودان عددا يتكلم بالزنجية الخالصة ، او بالزنجية المزيجة بالعربية ،

---

(115) ابراهيم انيس : « اللغة القومية والعالمية » — ص : 280 .
(116) السيوطى : « المزهر » — ص : 268 وما بعدها — (باب معرفة المعرب) .
(117) ساطع الحصرى : « محاضرات فى نشوء الفكرة القومية » — المحاضرة الاولى .
(118) الاكراد فى شمال العراق والشام عددهم نحو ستمائة الف فى اكثر من ثمانية ملايين الى سكان الدولتين لا تزيد على 7 % .
(119) الشركس فى سورية والاردن لا يتجاوز عددهم ستين الفا ونسبتهم الى السكان هى 1،3 % .
(120) هاجر الارمن الى الشام من تركيا بعد الحرب العالمية ويشكلون 4 % من السكان .
(121) الترك فى العراق وسورية وهم اقل عددا من الشركس .

ولان بالمغرب عناصر تتكلم بالبربرية الصرف ، او بالبربرية المختلطة بالعربية (122) .

واليوم يتقارب العرب تقاربا حثيثا ، وتبرز معالم القومية من نطاق الامل الى نطاق العمل ، ويجتهد العرب فى العمل على توحيد الثقافة المشتركة وتقاربها ، وتتصل البلاد العربية اتصالا دائما موصولا متواليا بالدراسة واجهزة الاعلام من صحافة واذاعة وغيرها .

فلا غرابة فى ان تجد الكتب والصحافة المصرية ترحيبا واقبالا فى الاقطار العربية كلها ، وان تجد مؤلفات العراق وسوريا ولبنان وغيرها عناية بها فى مصر ، ولا غرابة فى ان يتلهف العرب فى كل مكان لسماع الاذاعة العربية من اى قطر من اقطار العروبة.

الاعلام واللغة المشتركة :

هذه العوامل والخصائص تعاونت على ان تجعل من اللغة العربية ، لغة مشتركة متصلة بالحياة ، قابلة للتطور والتجدد ، وهذه اللغة المشتركة لغة اعلامية قامت على اذاعة الحقائق والوقائع ، حتى اذا نزل بها القرآن الكريم ، اعلن انه « كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من عزيز حكيم » .

من ذلك لا يستطيع ان يفسر حركة واحدة من حركات الرسول ولا كلمة واحدة من كلماته على انها دعاية . ولكن يستطيع ان تفسر كل هذه الحركات والخطب والاحاديث النبوية على انها اعلام بلكمل ما تحمل هذه الكلمة من معنى . حتى الشعر الذى كان يلقيه الشعراء بين يدى صاحب الرسالة ــ كشعر حسان بن ثابت ــ لم يكن من قبيل الدعاية للاسلام ولا لنبى الاسلام ، لان الاسلام ونبيه لم يكونا بحاجة الى شئ من ذلك ، بل ان القرآن نفسه ذم الشعراء .

قال تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، الم تر انهم فى كل واد يهيمون ، وانهم يقولون ما لا يفعلون »، هذا ما علمنا بأن النبى كان يستمع الى الشعراء ،وكان يثيب بعضهم كذلك (123) .

وقد مثل ذلك فى الشرائع والعبادات التى سنها الاسلام كالصلاة والصيام والحج . فلم يكن اجتماع المسلمين للصلاة يوم الجمعة او فى الاعياد للدعاية او الاعلام . ولا كان اجتماع المسلمين فى مكة للحج كل عام للدعاية والاعلان . انما كانت هذه الشعائر الدينية تقام لوجه الله تعالى لا للمظاهر او الفخر او الزهو وغير ذلك من معانى الجاهلية .

واذا كان الاعلام الحديث ، قد تطورت وسائله منذ اختراع المطبعة التى لولاها لما ظهرت الصحافة ، اولى وسائل الاعلام الحديث ، ولما استطاعت الصحيفة ان تصل الى آلاف القراء فى وقت معين ، وعلى نمط معين ، فان الناس فى كل زمان ومكان يحتاجون الى تناقل الاخبار ، والى تفسيرها والتعقيب عليها ، وهم بحاجة ايضا الى المادة التى يقرأونها ولكى يتسلوا بها ، ويزجوا اوقات الفراغ . وهل ننكر لكل بيئة متحضرة من بيئات العالم القديم ما يسمى « بالراى العام » ؟ وهل ننكر ان الادباء فى تلك البيئات المتحضرة هم الذين كانوا يتولون التعبير عن هذا الراى العام بلغته المشتركة ؟ هكذا كان الحال عند الامم القديمة كمصر واليونان والرومان . وهكذا كان الحال فى العصور الوسطى الاسلامية كعصر الخلافة العباسية بوجه خاص . وهل نستطيع ان نتصور ان عصرا كهذا الاخير تعرض لكثير من الوان الصراع السياسى ، والصراع المذهبى ، والصراع العقلى ، والصراع الادبى قد خلا من الادباء الذين تأثروا بهذا الصراع او ذاك ، او كانوا سببا من اسباب حدوثه آنذاك ؟

وفى الادب العربى بنوع خاص وجدنا ان اقتناع الرأى العام كان يسلك فى البيئات العباسية وغيرها من البيئات الاسلامية المتحضرة طريقة واحدة هى طريقة (الرسائل الحرة) يكتبها ادباء وعلماء لهم فى تاريخ الادب العربى شهرة واسعة . وكانوا بشهرتهم هذه مصدر خطر على الدولة حينا ومصدر امن لها حينا آخر . وهذه الرسائل التى كتبها اولئك الكتاب فى موضوعات السياسة والدين والادب والاجتماع هى ــ مع التجوز القليل ــ صحافة كاملة بالنسبة للعصور التى ظهرت فيها (124) .

---

(122) محمد عزة دروزة : « الوحدة العربية » ــ ص : 56 .
(123) عبد اللطيف حمزة : « الاعلام والدعاية » ــ ص : 170 .
(124) عبد اللطيف حمزة : « ادب المقالة الصحيفية » ــ مصر ــ ج : 1 ــ ص : 6 ــ 7 .

ذلك كله فى العصور الاولى للادب العربى . اما فى العصر الحديث وهو العصر الذى قال فيه شوقى :

لكـــل زمـــان مضـــى آيـــة
وآيـــة هـــذا الزمـــان الصحف

فقد ظهرت الصحافة ، والصحافة فى ذاتهـا اداة شعبية ديمقراطية اكثر منها اداة رسمية ديوانية . واذا كان لديوان الانشاء اكبر الفضل فى تقدم الكتابة العربية فى العصور التى اشير اليها ، فقد اصبح للصحافة اكبر الفضل فى تقدم النثر الصحفى واللغة الاعلامية فى العصر الذى نعيش فيه .

ذلك ان اللغة العربية لغة ديمقراطية كما تقدم ، فاصبح النثر الصحفى ديمقراطيا يجد نفسه واقفا على خدمة الشعب . ومن ثم اصبحت الصحافة فى عصرنا جادا فى سبيل تقدمه وتطوره ، وبحثا دائبا عن نظريات آراؤنا وافكارنا ، وحركاتنا وسكناتنا ، وكتاباً نقرأ فيه اخبارنا ، ونعرف به آثارنا .

واذا كان عالم اليوم يشهد اهتماماً متزايدا بالاعلام ووسائله ، وايمانا صادقا برسالته واهدافه ، وعملا جادا فى سبيل تقدمه وتطوره ، وبحثا دائبا عن نظريات يستند اليها وقواعد تحكمه ، فان هذا الاهتمام امتداد للانتصارات التى حققها الانسان فى سبيل التغلب على ما يفصل بينه وبين اخيه الانسان من حواجز وسدود وقد شهد القرن الحاضر نهضة كبيرة الاثر فى اللغـة العربية ، تمثلت فى نمو ثروتها بما جد عليهـا مـن عشرات الوف المصطلحات العلمية والحضارية ، وفى اتساع آفاقها فى التعبير نتيجة لما حققته الحياة العربية الحديثة من تقدم فى مختلف نواحيها الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وفى تجدد اساليبها وتخلصها مما علق بها فى عصور ما قبل النهضة من السطحيـة والزخارف اللفظية المسرفة ، وفى تطويـر قواعدهـا واشتقاقاتها وتطويرها لمطالب الفكـر الحديث ، وفى العناية بدراسة ظواهرها على المناهج العلمية التـى جاءت مع تطور الدراسات الصوتية واللغوية ، وفى التقارب الملحوظ بينها وبين لهجاتها المحليـة نتيجـة انتشار التعليم ووسائل الاعلام التى اصبحت عناصر اساسية فى حياة الامة العربية .

وعلى ان اهم المتاعب التى واجهت نهضة اللغـة العربية ، ولا تزال تواجهها ، هى المشكلة التى نجمت عن وجود لهجات محلية تزاحم الفصحى ، وتحد من سرعة نموها وانتشارها ، وتستأثر دونها بالتعبير عن ميادين الحياة اليومية للناس وتحرمها بذلك الافادة من الخصب والتجدد والحيوية التـى يتميـز بهـا لسان التخاطب فى المجتمع .

واللهجات — كما هو معروف — ليست جديدة على العربية ، فقد كان للعرب فى جاهليتهم لغات ، عملت فيها عوامل التقريب قبل الاسلام حتى انشأت منها تلك اللغة الفصيحة المشتركة ، والتى جاء الاسلام وكتابه العربى المبين فاعطياها شخصيتها السوية الخالدة ، ووجودها العالمى الواسع وان كانت قد بقيت من لغات الجاهلية آثار نصادفها هنا وهناك فى بعض نصوص الادب القديم وكتب التراث ، كما نلمسهـا فى بعض العـادات اللغويـة للمتكلمـين باللسان العـربـى الى اليـوم (125) .

ومن المعروف ان البيئات الاسلامية ذات الطـابـع العربى الغالب قد عاشت منذ تلك القرون بنظـامين لغويين : نظام للثقافة والعلم والادب قوامـه العربية الفصيحة ، ونظام للتخاطب قوامه تلك اللهجات الدارجة التى تجردت من الخاصة الرئيسية للفصحى وهـى الاعراب ، وعدت عليها عوادى الاختصار فى اشكالها والتحريف فى كثير من صيغها ، وتسربت اليهـا مـن مختلف الجهات عناصر دخيلة وعامية . وظلت الحال على هذا المنوال طوال العصور : جماهير تنشأ على العامية فى حياتها ، وتمتلك ناحيتها بطريقة طبيعيـة لا تحتاج بعد الطفولة الى تدريب او تعليم ومثقفون يشاركون الجماهير عاميتهم فى لسان التخاطب ولكنهم فى المجال الثقافى يحصلون الفصحى تحصيلا ، ويحفظون قواعدها حفظا ، ويمرون بمراحل طويلة من التدريب ويعـالجون مـا تـزل به السنتهم واقـلامهم مـن اخطاء فى اعراب الالفاظ ، او ضبطهـا او دلالاتهـا ، وتختلف حظوظهم من القـدرة على استعمالهـا تبعا لعوامل النشأة والاستعداد الشخصى والمجال الثقافى الذى يتحركـون فيـه .

ومهما يكن من بقايا المصرية القديمة فى عربية اهل

(125) خلف الله : « بحوث ودراسات فى العربية وآدابها » — ص : 268 وما بعدها .

مصر (126) ، او بقايا البربرية فى لهجة المغاربة ، فان هذه البقايا لا تنفى انتماء اللهجتين الى العربية ، الا عند ما يتطورون امكــان فهــم الشعب المصرى او المغربى ، للغات اسلافه قبل الفتح والعرب .

ذلك ان اللهجات العامية لم تحل دون فهم عامــة الجماهير لفصحى العربية ، لا فى كتابهم الدينى فحسب، ولكن كذلك فيما يسمعون من قصائد وخطب واناشيد. لان عامياتنا لا تعدو ان تكون لهجات عربية ، تتفاوت وتختلف ، وتظل ابدا متصلة بالفصحى العليا فى القرآن الكريم الذى حفظ سليقتها اللغوية ، وفى الخطب المنبرية والسياسية وبالمحافل الدينية والاعيــاد الاسلاميــة ، وفيما يشدو به ائمة الطرق من اناشيد صوفية ، وفى حماسيات الخطباء او الشعراء قادت حشود كتائبنــا فى المعارك التى عرفها تاريخنا الطويل (127) .

وكان يمكن ان تستمر الحال فى العصر الحديث على ما كانت عليه من ازدواج بين الفصحــى واللهجــات العامية لولا ان الموقف تغير ، وان عوامل اجتماعيــة وثقافية وقومية جرت عليه ، ومن اهمها تطور وسائل الاعلام التى اسهمت فى التنبيــه الى ما خلفــه عصر الركود فى الفصحى وآدابهــا مــن رواسب الضعف والسطحية والزخرفة المسرفة والبعد عن واقع الحياة، واتجهت بلغة العرب الى التزام الوضــوح واليسر فى استخدام الفاظها ، والتقريب بينها وبين مدارك الناس ومألوف تعبيرهم ، والعمل على تنميــة قاموسهــا ، وربطها بحياة العصر الحديث وحضارته .

ومن الانصاف ان نقرر ان الاعلام لم يكن وحده فى هذا التطوير وانما كانت هــناك علاقات تاثير وتاثــر بينه وبين مجمع اللغة العربية والمجامع العلمية وجهود الافراد والهيئات ومعاهد العلم قطعت اشواطا بعيدة فى اغناء القاموس العلمى والحضارى للغة العرب وفى توسيع طرق تنميتها ، وتيسر قواعدها وكتابتهــا ، وتصنيف المعاجم الحديثة لها .

ومن الحق ان نذكر ان اصوات الدعاة الى احــلال العامية محل الفصحى قد خفتت ، وان تقاربا ملحوظا بين لغة الثقافة ولغة الحياة اليومية قد حدث ، وذلك من تاثير ازدياد الجمهور القــارئ وتطــور وسائــل الاعلام ، وتنوع فرص اللقاء والاحتكاك والعمل القومى المشترك بين المثقفين والجماهير (128) .

ومن خلال هذا التقارب الذى حدث فى الوطن العربى بين لغة الثقافة ولغة الحياة اليومية تولد لغة الاعلام لغة الصحافة والمكاتبات والتدوين والتسجيل ، لغة الاتصال بالجماهير ، تولد على ايدى الرواد الذيــن واجهوا صدمة التعامل مع الحضارة الحديثة مثل رفاعة رافع الطهطاوى رائد المدرسة الصحفية الاولى فى مصر، والتى كان رجالها مقيدين بقيود الماضى القريب ، حين كان النثر العربى يميل الى السجع وغيره من الــوان البديع التى فتن بها ادباء العربية منذ القرن الرابــع الهجرى ، وحين كان هذا النثر محبوسا فى اروقة الازهر لا يكاد يتجاوزه الى الحياة فى خارجه . ومن ثم ورث الصحفيون الاولون فى القرن الماضى لونا باهتا مــن الوان النثر العربى لم يكن خليقا بأن يحتــذى ، ولا كان جديرا بأن ينسج على منواله . ومع ذلك مضى رجال المدرسة الاولى يكتبون صحفهم بطريقة لا تبعد كثيرا عن هذه الطريقة القديمة ، ولا تكاد تتحــرر منها الا فى اوقات قليلة ، ثم جاء الوقت الذى سئمــوا فيه السجع ، وزهدوا فيه البديع ، وكان ذلك ايذانا بمجئ المدرسة الصحفية الثانية ، وهى المدرسة التى نعمت بقسط من الحرية فى الاسلوب لا شك فى انــه كان كبيرا بالقياس الى القسط الذى نعمت به المدرسة التى سبقتها ، وكان من اشهر رجال هذه المدرسة : اديب اسحاق ، ومحمد عبده ، وعبــد الله نديــم ، والمويلحى الكبير ، وبشارة تقلا صاحب الاهرام ومن اليهــم .

وعلى هذا فالفرق بين المدرستين السابقتــين ان الاولى كانت تكتب بالاسلوب القديم الموروث ، وتحاول انشاء المقال الصحفى ، وتعثر كثيرا فى هذه المحاولة ، وكان اسباب ذلك عنصران واضحان هما :

عنصر الوراثة ، وعنصر آخر هو تصور هذه المدرسة

---

(126) راجع كتاب الدكتور صبحى : « قواعد اللغة المصرية » وكتاب محمد رضا الشبيبــى : « الفــاظ مغربية » و « رحلة الى المغرب » .

(127) عائشة عبد الرحمن : « لغتنــا والحيــاة » ـــ ص : 99 .

(128) خلف الله : « بحوث ودراسات » ـــ ص : 271.

تصورا تاما عن فهم الفرق بين لغـــة الكتب ولغـــة الصحف ثانيـــة (129) .

واما المدرسة الثانية ، فانها اخذت تتحرر — نوعا ما — من قيود الاساليب الموروثة ، واصبحت قادرة على انشاء المقال الصحفى بلغة — هى مـــع ذلك — اصلح لكتابة الادب او الكتب منها لكتابة الصحف . اى ان المدرستين تشتركان فى صفة ، وتفترقان فى اخرى تشتركان فى انهما لم تصلا بعد الى تفرقة واضحة بين لغة المقال الادبى ، ولغة المقال الصحفى . وتفترقان فى ان الاولى قصيرة فى اسلوبها بقيود الماضى البعيد او القريب ، عاجزة فى الوقت نفسه عن التعبير الحر الطليق هابطة المستوى فى مجموعها من حيث الاسلوب فى حين ان الثانية حاولت بالفعل ان تتحرر من هـــذه القيود ، وتكتسب من الميزان الادبى ما جعلها تحسن استخدام هذه الزينة او القيود حين تريد استخدامها على سبيل اظهار المقدرة الفنية — كما كان الشأن مع اديب اسحاق من رجال المدرسة الثانية بنوع خاص .

والحق ان من يطلع على كتابات اديب اســـحاق لتروعه تلك الاساليب العالية التى كتب بها فى الصحف المصرية او اللبنانيـــة .

« ومصدر الجمال فى اسلوب اديب اسحاق اشياء كثيرة منها : سرعة الانفعال عند هذا الشاب ، ممـــا جعل اسلوبه ادنى الى طبيعة الشعر منها الى طبيعة النثر . ومنها تلوين الكلام عنده بالمحسنات اللفظيـــة والمعنوية ، مع قدرة ظاهرة على هذا التلوين فى غير تكلف ممقوت ولا صناعة مرذولة ، ثم منهـــا الثقافـــة زودته بمعان كثيرة ، وجعلت الفرق بينه وبين رجل كمحمد عبده كبيرا . وباختصار نرى ان اسلوب اديب اسحاق يلذ الاديب اكثر مما يلذ الصحفى (130) .

وبقيت المدرسة الصحفية الثانية تكتب صحافتهـــا بهذه الطريقة الادبية العالية حتى جاء الاستاذ الامام محمد عبده فأخذ يقترب شيئا فشيئا من لغة الصحف، ثم جاء عبد الله نديم واقترب كثيرا منها ، وساعده على ذلك ميله الطبيعى اليها واهتمامه بالاسلوب الخطابى الذى برع فيه براعـــة منقطعـــة النظير والاسلـــوب الخطابى ادنى بطبيعته الى الاسلوب الصحفى منه الى الاسلوب الادبى (131) .

والى ذلك الوقت كانت الصحف دورية ، بمعنى انها تصدر مرة فى كل اسبوع او اسبوعين او شهـــر او شهرين ، غير انه منذ ظهور (المؤيد) او قبل ذلك بوقت قليل جـــدا اصبحت الصحف يوميـــة . وغدت الصحيفة تنتظر كل يوم غذاء جديدا فى وقت معين ، وعلى نمط معين ، وكان لهذه الحالة الجديدة اثر بالغ فى تطور اللغـــة التى تستخـــدم فى كتابـــة الصحف ، فاصبحت لغة المدرسة الصحيفة الثالثة لا مجال فيها للاناقة الفنية التى توخاها الرعيل الثانى من رجـــال الصحف .

ولا مجال فيها للزخرف الفنى الذى امتازت بـــه اساليب تلك الطبقة الثانية من طبقات الصحافة ، وهكذا شرع الاسلوب الصحفى يبتعد قليلا قليلا عن مجـــال التعبيرات الادبية ويقترب شيئا فشيئا مـــن مجـــال التعبيـــرات الصحفيـــة .

ولم يكد ينتهى القرن التاسع عشر حتـــى اصبـــح للصحافة فى مصر لغة خاصة بها ، وكان ذلك على يـــد الطبقة الثالثة او المدرسة الاخيرة من مدارس الصحافة المصرية فى القرن الماضى واوائل القرن الحالى ، وهى المدرسة التـــى بدات بالسيـــد على يـــوسف صاحب المـــؤيـــد (132) .

وقد احاطت بهذه المدرسة ظروف سياسية خطيرة لا شك ان من اهمها ظرف « الاحتلال البريطـــانى » الذى خلق فى نفوس المصريين اليأس مرة ، وغـــرس فى نفوسهم روح المقاومة الفنية مائة مرة . وكان من اثر هذا ان نشطت العقول والاقلام فى مصر ، واحتاج الامر الى ظهور طبقة جديدة من الكتاب اصبح لهـــا اسلوب جديد يصح ان يطلق عليه اسم « الاسلوب السياسى وكان يمثل هذه الطبقة الاخيرة فيما عدا السيد على يوسف صاحب المؤيد ، ومصطفى كامل صاحب اللواء ، واحمد لطفى السيد محـــرر الجريـــدة وامين الرافعى صاحب الاخبار ، وعبد القادر حمزة صاحب

---

(129) حمزة : « مستقبل الصحافة » — ص : 118 .
(130) حمزة : « ادب المقالة الصحفية » — مصر ج : 2 — ص : 25 .
(131) حمزة : « مستقبل الصحافة » — ص : 120.
(132) المرجـــع السابق — ض : 121 .

البلاغ ، ومحمد حسين هيكل محرر السياستين اليومية والاسبوعية .

وكما كانت هذه المدرسة الصحفية الثالثة جديدة فى الاسلوب السياسى ، فكذلك كانت جديدة فى التفكير السياسى .

وهذه المدرسة الحديثة ، هى التى ارست اسس اللغة الاعلامية المعاصرة من ترسل وبساطة ووضوح وحرية التعبير القائم على التعقيل الصحيح .

ومعنى هذا ان حركة الفصل بين الاسلوبين الادبى والصحفى انما بدأت بصاحب المؤيد . ثم كان لكل واحد من اولئك الصحفيين الذين اشرنا اليهم شخصيته التى يستقل بها عن تلاميذ هذه المدرسة . وقد كان هذا الاستقلال فى ذاته خطوة من خطوات الانتقال من الاساليب ذات الطابع الادبى الى الاساليب ذات الطابع الصحفى . او بعبارة اخرى كان كل واحد من هؤلاء يقطع بقلمه مرحلة جديدة فى طريق الفصل النهائى بين الاساليب الادبية والاساليب الصحفية . ولذا كان لكل منهم اسلوب معين يمتاز به عن سواه من كتاب المدرسة التى ينتمى اليها .

— فعلى يوسف عرف بالاسلوب الحماسى (133) .

— ومصطفى كامل عرف بالاسلوب الحماسى (134)

— واحمد لطفى السيد عرف بالاسلوب الثقافى (135)

— وامين الرافعى عرف بالاسلوب الدفاعى (136).

— وعباس العقاد عرف بالاسلوب النزالى (137).

— ومحمد حسين هيكل عرف بالاسلوب الموضوعى (138) .

وفى رأينا ان الدكتور هيكل قد اكد اللمسات النهائية للغة الاعلام العربى المعاصر ، فهو فى « ثورة الادب » (139) ينص على وجوب اتقان اللغة لامكان اختيار اللفظ الذى يصلح للتعبير عن القصد تعبيرا دقيقا وموسيقيا معا . كذلك كان هيكل يرى ان دراسة اللغة لا تتصل بالادب لذاته الا من حيث هى كساء الادب فصار اجدرها بالاقتراح بالادب ما كان شفافاً تطور صفة الازياء بأقدار الناس فى الحياة : وصلة الازياء بالاقدار تتلاشى رويدا بما تنزع طبقات الجماعة كلها نحوه من البساطة فى اللباس بساطة يمتاز فيها الذوق على قيمة الثياب ، حتى لنرى اكثرها اخذا للنظر اشدها غنية من الحياة ودقائقها . كذلك تطورت لغة الادب فصار اجدرها بالاقتراح بالادب ما كان شفافاً عن المعانى والصور التى يعبر عنها معوانا على زيادة ما فى هذه الصور والمعانى من حياة وموسيقى . هذه اللغة الشفافة المضيئة السيالة التى لا تحجب عنك جمالا مما اراد الاديب اثناء تدفقه واندفاعه ، فى تفكيره او تصويره او تغانيه وشدوه ، هى التى تعتبر للادب كساء وتتصل بالادب فى كسائها اياه ، حتى لتصبح جزءا من رحيق الحياة الذى يعبر عنه الادب . وهى كلما لطفت وازدادت بساطة ، وشفت بذلك عن كل ما اراد الاديب ان يحملها اياه وكانت فى ذلك النغمات الصادرة عن نفس الاديب الصائغة العبارة عنه ، كانت الصق بالادب فى العصر الذى صدر هذا الادب عنه (140) .

ومعنى هذا ان اللغة فى نظر هيكل وسيلة حية تخضع للتطور ، ولهذا سنجد هيكل يذهب فى تجديد اللغة مدى بعيدا ، ومن ذلك ما يذكره فى مقال بعنوان : « اللغة والاسلوب » (141) .

عن اناتول فرانس حين سئل فى رأيه عن لغة كبار الكتاب والشعراء امثال شكسبير وموليير ، فقال : انها لا تخلو من الخطأ حتى فيما يتعلق بقواعد النحو

---

(133) حمزة : « ادب المقالة » — ج : 4 .
(134) حمزة : « ادب المقالة » — ج : 4 .
(135) حمزة : « ادب المقالة » — ج : 5 .
(136) حمزة : « ادب المقالة » — ج : 6 .
(137) حمزة : « ادب المقالة » — ج : 7 .
(138) شرف : « عباس العقاد صحفيا » .
(139) شرف : « الفن الصحفى عند الدكتور هيكل ».
(140) ص : 37 — 38 ايضا المرجع السابق — ص : 43 .
(141) شرف : « الفن الصحفى عند الدكتور محمد حسين هيكل » — ص : 431 .

والصرف . وضرب على ذلك بعض الامثال ثم اضاف : وخطأ هؤلاء النوابغ هو بعض حسن الخطأ الذى يصيب اللغات لان ذلك الخطأ كثيرا ما ينشأ عنه تطور صالح فى قاعدة من القواعد ما كان ليقع لو ظل الكتاب المتحذلقون فى قواعد النحو والصرف هم وحدهم المسيطرين على اللغة ، بل ان هؤلاء ليغلون اقدامهم بأغلال الجديد فيحولون بينها وبين مجاراة الحياة فى نموها وتطورها ، ويوافق هيكل هذا الراى الذى قال به اناتول فرانس « تمام الموافقة ــ كما يقول ــ بل انى لارى فى بعض الاحايين خطأ لغويا سواء فى اداء اللفظ او فى صرف اللفظ ونحو العبارة ، لكنى استطيب هذا الخطأ فأود لو تتاح له الحياة وتيسر عليه القاعدة خطأ مشهور خير من صواب مهجور . ثم تسبغ الايام على هذا الخطأ من القداسة فيصبح وهو القاعدة التى قال بها سيبويه » .

ويلاحظ فى هذه الآراء حول اللغة انها تقترب باللغة من النثر العملى كما يذهب بعض اساتذة الادب العربى الحديث (142) للتمييز بين لغة الصحافة وبين النثر الفنى والنثر العملى يعتبر اصطلاحا لمسايرة لغة الصحافة للحياة العملية بما يجب ان يتوفر فيها من عوامل اهمها فى عصرنا الحديث السرعة .

ومن اجل ذلك وجدنا هيكل فى دعوته لتجديد اللغة يقارن بين ازياء العصور الماضية وازياء الحياة الحاضرة ومختلف مظاهرها ، فالحياة الانسانية اليوم تنتزع الى البساطة والى الصحة والى حكم الانسان حياة الوجود بكل ما تمكنه قواه ومواهبه ، والى ظهور الذاتية الانسانية خلال ذلك كله ظهورا قويا واضحا .

فلم يبق شخص الانسان كومة من النسج النفيس تزينها الاشرطة والدنتلات وتحملها الاحذية المرصعة، وتكسو اعلاها شعور مستعارة ، وتطل من خلالها صورة وجه انسانى مختلف تحت الالوان ، بل اصبح اللباس من البساطة بحيث ينم عن خطوط الجسم وحركاته ويشف عن الحياة الانسانية حتى لقد كاد يصبح بعضها ، وصارت الحياة الانسانية كذلك هى موضع الجمال لا اللباس الذى يكسوها . وبمقدار ما يعبر الزى عن الحياة يكون اشد للنظر استرعاء واقوى عن جمال الحياة تعبيرا . وكبساطة الناس فى اللباس بساطتهم فى الطعام . لم تبق الالوان الكثيرة الشديدة الدسامة محل اللذة والرغبة بل صارت الالوان التى تلائم الصحة وتتفق معها وتعاون عليها هى التى يميل الناس الى اتقان صنعها لتجمع لهم بين حسن الغذاء ولذته . كذلك اصبح الترف ذاته ينزع الى البساطة والصحة . واذن فالحياة الانسانية قد صارت من الزى والطعام والترف كما اصبحت من مظاهرها العقلية والفنية تريد ان تكون هى الظاهرة القومية القوية لا يخفيها اللباس بل ينم عنها ولا يتخمها الطعام بل يقويها، ولا تغص بالترف بل تنعم به . كذلك تريد الا يثقل اللفظ على روح الكاتب ، والا تجمد التقاليد بريشة الفنان وان تصبح الذاتية الانسانية حرة متوثبة دائمة الابداع والسعى فى ابداعها الى التحكم فى كل ما فى الكون وجعله بعض متاع الحياة لكل فرد من الناس ، متاع اساسه البساطة والصحة (143) .

ويبين من نظرات هيكل تلك فى تجديد اللغة ، انها تذهب بالاسلوب الى ان يستمد بلاغته الحقيقية من الواقع ومن الحياة العامة ، لان بلاغة الاسلوب الصحفى ترجع الى انه يخاطب الوف الالوف من القراء، ولا بد لهؤلاء جميعا ان يفهموه جيدا . وفى ذلك يقول الصحفى الانجليزى المشهور ديفو كلمته التى نذكرها دائما فى هذا المجال ، وهى قوله : انه الاسلوب الذى اذا تحدثت به الى خمسة آلاف شخص ممن يختلفون اختلافا عظيما فى قواهم العقلية ــ فيما عدا البله والمجانين ــ فانهم يفهمون ما اقول (144) .

فالواقعية اذن فضلا عن كونها صفة من صفات الاسلوب الصحفى ، فانها كذلك مصدر من مصادر القوة والبلاغة فى هذا الاسلوب . ذلك ان براعة المحرر الصحفى هى فى ان يجعل من القارئ شاهدا من شهود الحادث ، وشريكا له فى الحكم على القضية السياسية او الاجتماعية او الادبية التى يعرضها فى الصحيفة (145) .

---

(142) حمزة : « مستقبل الصحافة » ــ ص : 18 ــ محمود فهمى : « الفن الصحفى » ــ ص : 77 .
(143) هيكل : « ثورة الادب » ــ ص : 40 .
(144) حمزة : « ادب المقالة » ــ ج : 8 ــ ص : 400
(145) نفس المرجع ــ ص : 401 .

وذلك ما تجده فى مفهوم هيكل لتجديد اللغة وارتباطها بالواقع ، فالحياة دائمة التطور والجديد هو آخر مظاهرها . وهذا وحده هو السبب فى انه جديد ، فاذا انقضى عصره واحدثت غير الحياة جديدا بعده اصبح هو قديما . وما دمت تعيش فى عصر فانت متأثر حتما بحياة هذا العصر ، متأثر بالجديد الذى يحدث فيه (146) .

مستقبل الفصحى فى ظل الاعلام :

ويبين مما سبق ان الصحافة قد اسهمت فى التقارب بين لغة الثقافة ولغة الحياة اليومية ، ونشأ من تقاربهما المستوى العملى الاجتماعى فى اللغة ، وهو الذى يستخدم فى الصحافة والاعلام بوجه عام . فأصبح لدينا ثلاثة مستويات للتعبير اللغوى : اولها المستوى التذوقى الفنى الجمالى ويستعمل فى الادب والفن ، والثانى هو المستوى العملى النظرى التجديدى ويستعمل فى العلوم ، والثالث هو المستوى العملى الاجتماعى .

وهذه المستويات الثلاثة كائنة فى كل مجتمع انسانى والفرق بين المجتمع المتكامل السليم والمجتمع المنحل المريض هو فى تقارب المستويات اللغوية فى الاول ، وتباعدها فى الآخر ، فتقارب مستويات التعبير اللغوى دليل على تجانس المجتمع ، وتوازن طبقاته ، وحيوية ثقافته ، ومن ثم الى تكامله وسلامته العقلية ، فمن الثابت ان العصور التى يسود فيها نوع من التآلف بين المستويات العلمية والادبية والعملية ، هى غالبا ازهى العصور وارقاها . اما اذا كان كل مستوى لغوى بعيدا كل البعد عن الآخر فهو دليل على الانفصام العقلى فى المجتمع . وهذا يؤدى الى التدهور والانحطاط والشيخوخة والانحلال (147) .

ويبين مما تقدم جميعا ، ان اللغة العربية ، قد قطعت هذا الشوط نحو التقارب بين مستويات التعبير عن طريق الصحافة ، ومن جهة اخرى فقد حقق التطور السياسى والاجتماعى فى المجتمع العربى الحديث قدرا من تذويب الفوارق بين الطبقات ، ومن اشتراك طوائف المواطنين فى ممارسة الشؤون العامة والنقاش فيها وفى قيادة الهيئات وادارة المؤسسات ، واصبح من الطبيعى ان تضم دور النيابة والمجالس الشعبية وغيرها اعضاء من جماهير الشعب من الفلاحين والعمال واصحاب الحرف الى جانب العلماء ورجال الثقافة من المواطنين ، ولم يعد من المستساغ فى نظام الوحدة ان يختلف لسان التعبير من طائفة الى اخرى فى خصائصه الجوهرية (148) .

واذا كان للغة الصحيحة الموحدة ، شأنها فى كل قطر من اقطار العالم العربى الحديث فان نمو الوعى بالقومية فى الوطن العربى الاكبر قد اصبح يفرض على العرب جميعا عناية اكبر بلغتهم الفصيحة فى جميع وسائل الاعلام من صحافة الى اذاعة وتلفاز لتحقيق ذلك التقارب المنشود بين العربية الفصحى ولهجاتها ، من جهة ، وبين مستويات التعبير المختلفة من جهة اخرى . وتجعل من اقطار وطننا الكبير وحدة فكرية ومزاجية ، تنتقل بها وسائل الاعلام من ساحل الخليج ووادى الرافدين الى ساحل الاطلس ، ومن اعالى الفرات فى قلب آسيا الى بوادى دارفور وكردفان فى قلب افريقية ، ولبناء قوميتها .

ولا شك ان اللغة العربية الصحيحة قد كسبت — من هذا التطور العربى القومى — مزيدا من النفوذ فى الاتصال الجماهيرى ، محليا وعالميا ، واصبح لها مكانها كلغة عمل فى بعض المنظمات الدولية ، وهذا وضع يستلزم ان تجتاز تلك اللغة الاعلامية الفصيحة المعادلة الصعبة بين التراث او المعاصرة ، وان تسعى الى التقريب بين مستويات التعبير اللغوى بحيث لا تكون مقطوعة الصلة بلغة التراث ولا تكون مقطوعة الصلة بلغة العلم والحضارة .

وتشير الابحاث التى اجراها الدكتور ابراهيم امام فى نواحى الاعلام وعلم الدلالة الى ان اللغة العربية فى مسيس الحاجة الى الاثراء الفكرى ،

---

(146) هيكل : « ثورة الادب » — ص : 46 .

(147) « دراسات فى الفن الصحفى » و « العلاقات العامة » و « والمجتمع والاعلام و «الاتصال بالجماهير » ايضا .

(148) خلف الله : « بحوث ودراسات » — ص : 183 Language of journalism

والتقارب فى المستويات المختلفة ، ولا يتأتى ذلك الا عن طريق استعمال اللغة فى ميادين العلم الحديث ، وخاصة الطب والهندسة والعلوم الطبيعية والعلـوم الاجتماعية الحديثة . ويذهب الدكتور امام الى اننا لا ينبغى ان ننتظر حتى تتقن المصطلحات ، فلا يكفـى ان نبقى بمعزل عن الحضارة الحديثة . وما لم نستعمل لغتنا فى هذه الميادين فاننا نحكم على انفسنا بالعزلة والتخلف ، فاللغة والفكر وجهان لشئ واحد كالعملة تماما . ولكى تساير اللغة العربية الحضارة الحديثة لا بد وان تعبر عن الفكر الحديث وهى قادرة على ذلك، وانما تعانى من عدم الاستعمال .

وان وسائل الاعلام هي من افضل الوسائل لانتشار اللغة العربية والربط بين رجال الفكر من جهة وبينهم وبين الجماهير فى العالم العربى من جهة اخرى وقـد اسهمت الصحف منذ نشأتها فى اثراء اللغة العربيـة ونشرها ، وكان منها ما اتخذ منه بعض المفكرين اداة لدعواتهم الاصلاحية كصحيفة «الجريدة» التى دعـا رئيس تحريرها — احمد لطفى السيد فى مطالع القرن الحاضر لتطويع اللغة الفصيحة والتقريب بينها وبين لسان التخاطب باصطناع اسلوب ميسر للكتابة بهـا للجماهير ، ومنها ما حصلت بالبحوث العلمية فى شتى المعارف ومنها اللغـة والادب كمجلتـى « المقتطف » و « الهلال » اللتين سجلت مجلداتهمـا المحاولتين الاوليين فى انشاء المجمع اللغوى بالقاهـرة ومباحث الندوات العلمية التى بحثت شؤون اللغـة والادب ، كندوة « دار العلوم » التى عقدت عام 1908 وناقش فيها طائفة من كبار الاساتذة والمفكريـن مشكـلات الفصحى والعلمية وموقف العصر الحديث من التطور اللغوى ، ووضع اسماء للمسميات الحديثة وغيرهـا من المسائـل .

ومن تلك الصحف ما كان مجالا لمجلات ادبية ولغوية كان المثقفون والشباب بوجه خاص يتابعونها فى شغف واهتمام « كالسياسة الاسبوعية » ومجلتى : «الرسالة» و « الثقافة » لما كان يثار على صفحاتهما من معـارك ادبية يشترك فيها قادة الفكر واعلام الكتابة من امثال طه حسين وهيكل والمازنى والعقاد ومصطفى صادق الرافعى والزيات واحمد امين وزكي مبارك وغيرهم ، وقد امتازت « الرسالة » من بين هذه المجلات بسعة انتشارها فى العالم العربى ، وبأنها كانت شبه مدرسة تخرج فيها كثير من الباحثين والكتاب فى البلاد العربية.

على ان الصحافة اليومية قامت — ولا تزال تقوم فى مصر وغيرها من اقطار الوطن العربى — بنصيب كبير فى تنشيط الثقافة الادبية واللغوية بمـا كـانت تخصصه من صفحاتها لنشر قصائد الشعراء الكبـار فى المناسبات والاحداث القومية الهامة ، ونشر الاعمال القصصية والمقالات النقدية .

وقد تطور التحرير الصحفى فى الوطن العربى تطورا كبيرا وبرز فى ميدانه منذ اوائل هذا القـرن كتـاب نابهون واسموا الثقافة، ارتفعت اساليب الكثيرين منهم الى مستوى عال من البيان ، واثر بعضهم فى اساليب الناشئين من الكتاب تأثيرا ملحوظا (149) .

كما ان الاذاعة والتلفزة باستخدامها العربية تقدم للشعب ثروة لغوية ترفع من مستواه الثقافى والادبى كما انها تعمل على توحيد الامة العربية . فالاذاعـة التونسية مثلا تقوم بخدمة مزدوجة .

فانها باستعمالها اللغة « العربية » وهـى التـى يستعملها الاستاذ عبد العزيز العروى ترفع من مستوى التونسية الدارجة وتقربها من الفصحى المبسطة وهذه خدمة تستحق التقدير . ثم ان اذاعة المحاضرات والاخبار بالفصحى يعود السامعين على تفهم لغتهم القوميـة الرفيعة ويساعد على انتشارها (150) .

وقد اسهمت الاذاعات العربية على اختلاف محطاتها ومصادرها فى نشر الفصحى وتمكينهـا فى النفـوس مكملة عمل الصحف ، بل ان تأثير هذه اوسع لوجودها فى كل دار يستمع اليها الذكور والاناث ، والصغـار والكبار كل يوم اكثر من مرة . واكثر اذاعتها بلغـة سليمة فى الجملة ، وبعضها القليل يسمو بالسامعين الى مستوى رفيع على حين كان بعضها ينحط بضعف لغته او لحسن تلاوته . لكن آثارها فى الجملة واسعة فى خدمة اللغة العربية .

وقد لمس ذلك المعلمون الابتدائيون ، فقد انخفض

---

(149) المـرجـع السابـق .

(150) مجلة « اللسان العربى » — العدد السادس — 1388 هـ — ص : 28 .

عناؤهم فى افهام طلابهم معانى النصوص لمبادرة اذهانهم الى المقصود ، وذلك دون شك من فضل العناية بلغة الاذاعة (151) .

وتأسيسا على ذلك يمكن القول ان الاعلام قد اسهم فى تعميم العربية الفصحى لغة جامعة مشتركة يقرؤها اليوم ويكتبها ويستمع اليها نحو ثمانون مليونا من الخليج العربى الى المحيط الاطلسى . يصغى الكويتى فى اقصى الشرق العربى الى اذاعة الرباط فى اقصى المغرب كما يصغى الى اذاعة الكويت نفسها ، ويفهم الرباطى المغربى اذاعة الكويت المشرقية فهمه لاذاعته المغربية .

بل ان المسلم الصينى المتعلم او التجارى ليدخل المغرب العربى فيفهم عن علمائه ويفهمون عنه بهذه العربية الفصحى التى اتسع انتشارها منذ ثلاثة عشر قرنا فكانت الى اليوم اقرب الى اللغة العالمية .

اذا كان الاعلام قد حسم — ولا يزال يحسم — مشكلة الازدواج اللغوى ، لصالح اللغة المشتركة الفصحى ، فان هناك من يدعو الى استخدام الحروف اللاتينية لكتابة اللغة العربية ، ويزعمون قصور الحروف العربية فى الاداء ، ويذهب سعيد شهاب الدين (152) ان اللغة الفرنسية مثلا لا تملك الا 26 حرفا للتعبير عن 36 صوتا ، فلا انطباق اذا بين الصوت والرمز . ويقول غاليشيه ان الاملاء الفرنسى صعب جدا ويكاد يكون اصعب بكثير من غيره (153) . وغرض لادعائهم ان الكتابة العربية ليست عملية اقتصادية ، مثبتا العكس ، فكل كلمة عربية اذا كتبت باللاتينية احتاجت الى ضعفى عدد حروفها العربية ، وينتهى الى قوله :

« ولا نقول ادعاء اذا اعلنا ان اللغة العربية بحروفها هى الاولى فى العالم التى تجرى بسهولة فى كتابة الصحف والمجلات والنشرات اليومية والاسبوعية فهى اكثر اختصارا من غيرها واوفر اقتصادا فى الوقت والمال والنظر والكتابة ، وفى سهولة التبادل التجارى والفكرى وغيره . وهى تؤدى النتائج احسن بكثير من لغات العالم . وذلك ان الكتابة الشائعة الاستعمال هى كتابة غير مشكلة ، اى غير مقيدة بحركات ، وان القراءة تتجه لان تصبح فى اكثر الحالات قراءة صامتة .. وهكذا يتضح ان دعاة العلمية و « اللاتينية » يريدون ان يعقدوا المسألة ، ودعوتهم تتهترية لانها لا تراعى رغبة الاقتصاد والسهولة فى الكتابة التى يتجه اليها العالم اليوم فى جميع وسائل الاتصال الجماهيرى .

وعند البحث الرصين تشهد للابجدية العربية بأنها اصلح من سواها لكتابة جميع اللغات وسيما فى لغة الاعلام الحديث الذى يتجه الى الاقتصاد فى الحرف واللفظ والتعبير .

ولم يعد خافيا حتى على الاجانب المهتمين بشؤون الثقافة العربية ان قواعد اللغة من اسهل القواعد كتابة ولفظا ونحوا وصرفا .

اما كتابتها فتصوير مطابق للفظ الى ابعد الحدود ، فمدودها وحركاتها القصيرة حين يخوج الامر الى تصوير الحركات اكسباها ايجازا فى الكتابة واقتصادا فى وقت القراءة ، فما تكتبه بالحرف العربى اذا كتبته بالحرف اللاتينى يشغل مثل حيزه العربى ، ثم انت مضطر الى الابطاء فى القراءة فيها حتى يستوعب نظرك الحروف ، وليس فى الكتابة العربية حروف مركبة لاداء صوت فرد بل كل حرف يصور صوتا ولكل صوت حرف خاص ، وليس فيها حروف ترسم ولا تقرأ كما نعهد فى اللغات الاجنبية كالانجليزية والفرنسية (154).

وتظل اللغة العربية بعد ذلك اوفر عددا فى اصوات المخارج التى لا تلتبس ولا تتكرر بمجرد الضغط عليها ، فليس هنك مخرج صوتى واحد ناقص فى الحروف العربية ، وانما تعتمد هذه اللغة على تقسيم الحروف على حسب وقعها من اجهزة النطق ، ولا تحتاج الى تقسيمها باختلاف الضغط على المخرج الواحد ، كما يحدث فى الباء الخفيفة والباء الثقيلة التى يميزونها بثلاث نقط من تحتها بدلا من النقطة الواحدة ، او كما يحدث فى الفاء ذات النقطة الواحدة والفاء ذات

(151) سعيد الافغانى : « حاضر اللغة العربية » — ص : 150 .
(152) « دعاة العلمية » — ص : 20 .
(153) سعيد الافغانى : « حاضر اللغة العربية فى الشام » — ص : 196 .
(154) العقاد : « اللغة الشاعرة » — ص : 9 .

النقط الثلاث او كما يحدث فى الجيم المعطشـــة وغيرها.

ذلك ما نعنيه باللغة الاعلامية فى تقسيم حروفها ، فهى لغة انسانية ناطقة تستخدم جهاز النطق الحى احسن استخدام يؤدى الغرض المنشـــود فى اقتصاد شديد ، وليس هنا اداة صوتية ناقصة تحسن بهـــا لابجدية العربية .

اما النحو فقد دخل عرض قواعده من التسهيل فى التأليف ما جعله ميسور الفهم خفيف العناء بحيث انحصر فى الكلمات المعربة اسماء وافعـــالا ، والخلاصـــات الاعرابية التى نجدها فى بعض الكتب الحديثة لا تبلـــغ الصفحـــة (155) .

والصرف لا صعوبة فى قواعده الاشتقاقية المطردة الحية فى اللهجات العامية كلها ، ولا سيما فى الاسماء ، فأوزان اسم الفاعل واسم المفعول والصفة واســـم التفضيل واسماء الآلة هى فى العامية والفصحى (156).

وصفوة القول ، ان الصحافة والاذاعـــة واجهـــزة الاعلام الاخرى وما اليها ، كل ذلك عمل عمله فى تمكين الفصحى فى اسماع غير المتعلمين حتى الفوها ، وحتى ارتقت لغتهم من حيث لا يشعرون ، وحتـــى ضاقت الشقة جدا بين الفصحى والعامية ، وبين مستويـــات التعبير المختلفة ، وحتى يستمر الاعلام فى تحقيق هذا الغرض النبيل ، لتبقى اللغة العربية لغة حية تتسع للفكر والعلم والفن والتشريع ، ولذلك فيجب ان تكون اللغة العربية هى اللغة المشتركة فى الحياة والمجتمع وفى جميع وسائل الاعلام مقروءة ومرئية ومسموعة فى كل البلاد الناطقة بالعربية .

فاذا اضفت الى ما تقدم ، ما توفر فى الفصحى من جميع صفات اللغة المشتركة الشاملة فى كل العصور ، تميزها من كل اللهجات المحلية بمستوى لغوى راق ، واستقرارها على قواعد لا تسمح لها بالتغيير والتطور الا فى القليل من الاحيان وبعد اجيال من الاستعمال حتى اتخذها الناس فى جميع العصور مقياسا لحسن القول واجادة الكلام ، وانهـــا على طـــول العصور كانت اللغة المشتركة الوحيدة التى تفاهم بها ابنـــاء العرب والمتعلمون من غير العرب بين الصين والمحيط الاطلسى فى العالم القديم كله ، وزاد اليوم المتفاهمون بها بسبب انتشار التعليم ووسائل الاعلام ، وربمـــا لم يبق على سطح الارض اليوم عربى لا يفهمها ولـــو كان اميا . وعلى ذلك فليس هناك ما يدعو الى استخدام الاذاعة والتلفاز للهجات المحلية فى برامجها ونشراتها، وقد سلمنا جميعا بأن احدا من الاميين فى البلاد العربية لا يفوته فهم شئ من الاخبار المذاعة بالفصحى فهما جيـــدا .

ان وسائل الاعلام جميعا مدرسة عملية فعالة سريعة الثمرات ، فعلينا ان نستخدمها طريقا حقيقيا لتحقيق وحدتنـــا اللغويـــة .

ويتسم هذا الطريق بسمتين ، اولاهما : تعميـــق الايمان بمستقبل الفصحى وضرورة تعميمها حتى تصبح قريبا لغة حياة الى جانب كونها لغة فكر وثقافـــة ، والثانية : التخطيط والتنفيذ لبلـــوغ هـــذا الهـــدف ، واستخدام الاعلام مجالا لتعميم هذه الفصحى فى جميع مجـــالات الحيـــاة .

---

(155) سعيد الافغانى : « حاضر اللغة » ــ ص : 196 .

(156) ابراهيم انيس : « محاضرات عن مستقبل اللغة العربية » فى صدد كلامـــه على اللغـــة الانجليزيـــة المشتركة التى استمدت معظم صفاتها عن لهجة الطبقـــة الارستقـــراطيـــة ..

الجمهورية العراقيـة

تعزز مكتب تنسيق التعريب بتبرعات كريمة

تفضلت وزارة الاعلام للجمهورية العراقية بالتبرع بمبلغ 3000 (ثلاثة آلاف) دينار عراقى من اجل طبع نسخ اضافية من مجلة «اللسان العربى» توزع مجانـا على القـراء فى الوطن العربى . والمكتب يعلـن عن عميق امتنانه وبالغ تقديره لهذه الروح العـالية .

وتذكر المجلة لقرائها أن لمكتب تنسيق التعريب مكتبة عـامة باسم «المكتبة العلميـة» فى بنايـة مستقلة خارج مقر المكتب ، مفتوحة للجمهور لاطلاع قرائها على نفائس النتاج الفكرى العربى تعزيزا لمكانة اللغة العربية واستفادة من روائعها واظهارا لمزاياها وقابلياتها قديما وحديثا وهى التى قادت الفكر الحضارى البشرى وحدها قـرونا عديـدة .

فى هذا المجال أيضا تبرعت وزارة الاعلام العراقية الموقرة بنفائس مطبـوعاتها من كتب التراث العربـى الخالد بالاضافة الى المؤلفات الحديثة فى مختلف العلوم والفنون والادب والشعر للمؤلفين العراقيين وغيرهـم من مؤلفى الاقطار العربية الشقيقة . وكثـير من هذه المؤلفـات من النـوع الـذى يعجز أصحابه عن تكبد نفقات طبعه ونشره بحيث انها ما كانت لترى النور لو لم تضطلع الوزارة المحترمة بطبعها ونشرها .

كذلك تبرعت جهات عراقية أخرى بمطبوعاتها ومجلاتها وهى وزارة التربيـة ووزارة التعليم العـالى والجامعات العراقية والمجمع العلمى العراقى ، فحيا الله هذه المبادرات النبيلة ووفقنا جميعا لخدمة أمتنا المجيدة .

وهذا المكتب يهيب بهذه المناسبة بجميع الجهات الرسمية وغير الرسمية والجامعات والمعاهد والافـراد فى الوطن العربى أن يتكرموا بالمؤازرة فى هذا الباب تضافرا منـا جميعا لاداء واجبنـا العروبـى المقدس .

أبحاث ودراسات باللغات الأجنبية

* استراحة اللغة العربية ومشاكلها الحقيقية
* تجربة تعريب التعليم بتونس

reprenaient au turc des termes politiques. administratifs et militaires (**gumhuriyya** : république ; **wataniyya** : patriotisme ; **hakimdar** : gouverneur; **amiralay** : brigadier). Mais cette mine féconde est actuellement peu exploitée

6 - Les mots savants proposés par les Académies

On a souvent critiqué les Académies. Pour tant leur œuvre n'a pas été vaine. Elles sont parvenues à remettre en usage des mots en voie de disparition. Elles ont émondé la langue et conservé dans une certaine mesure ses traditions. Elles ont créé drenièrement un Comité chargé de coordonner leurs travaux. Elles publient régulièrement des listes de termes nouveaux destinés à remplacer les mots étrangers ou dialectaux en usage. Mais il faut reconnaître que l'œuvre d'une Académie est forcément lente. En 1936, le Président de l'Académie de Damas, Abdul Çâdir al-Maghrabi a déclaré que cet organisme a dénombré dans un dictionnaire technique étranger 42.000 termes dont les quatre-cinquièmes étaient des néologismes sans correspondant en arabe classique. «Est-il du pouvoir d'une Académie de nous traduire le dixième seulement de ces termes en l'espace de dix ans ? » se demanda-t-il.

Par ailleurs. la Ligue des Etats Arabes a créé un Bureau parmanent d'arabisation qui a publié des lexiques très valables. Mais il va de soi que les travaux des Académies et du Bureau d'arabisation ont besoin du concours des grands moyens d'information pour être connus et utilisés car seul l'usage impose les termes.

L'ARABE DANS LES ORGANISATIONS INTERNATIONALES

Depuis quelques années, l'arabe est devenu une langue de travail de l'OIT. à l'UNESCO à la FAO et tout récemment à l'OMS. Conscientes que le problème principal qui se pose aux interprètes et aux traducteurs est celui du vocabulaire, la FAO et l'UNESCO ont élaboré des glossaires qui sont constamment mis à jour. Des stages ont été organisés par l'UNESCO pour le recyclage des interprètes arabes. Dans leur publications, les deux organisations veillent à utiliser la terminologie qu'elles ont établie afin d'aboutir, à la longue, à un usage codifié de la langue.

D'une manière générale, interprètes et traducteurs ne trouvent aucune difficulté à exprimer des notions déjà connues car ils utilisent à bon escient les termes plus ou moins consacrés par l'usage. De plus, l'expérience qu'ils ont acquise leur permet de connaître les régionalismes. Mais ils ont naturellement beaucoup de mal à adapter la langue à ce qui n'a pas encore été exprimé : langage de l'ordinateur, biosphère, futurologie, etc. Il leur est difficile de choisir entre les termes savants et les termes vulgarisés (pour téltphone, il existe par exemple un terme savant : **hâtif** et un terme « roturier » : tilifoun) et sont quelquefois critiqués tant par les puristes que par les «vulgaristes». De plus, ils sont gênés par les sigles et les abréviations. En effet, alors que l'arabe a adopté quelques sigles (UNRWA. UNESCO, UNICEF, GATT), il en a rejeté la grande majorité Quand un orateur cite trois ou quatre institutions telles que l'OIT, la FAO, l'OMS, l'OMM. l'interprète est obligé d'en donner les noms officiels, ce qui lui fait perdre beaucoup de temps. Enfin, interprètes et traducteurs ne peuvent pas toujours éviter les emprunts et les calques, mais il s'agit là d'un problème mondial. Le Professeur Etiemble n'a-t-il pas dénoncé le franglais ?

Malgré toutes les difficultés que l'arabe rencontre, on peut dire qu'il s'est montré capable de rendre les idées et les choses que la civilisation contemporaine apporte aux hommes. Pour surmonter ces difficultés, les pays arabes ont déjà intensifié leur coopération en matière d'arabisation. Mais il faut que cette arabisation se fasse d'une manière plus méthodique et qu'elle bénéficie de l'appui des grands moyens d'information On devrait reprendre aux autres langues, d'une manière plus rationelle, les termes d'origine arabe. Il conviendrait surtout d'observer moins scrupuleusement les règles imposées par les grammairiens anciens d'autant plus qu'elles découlent d'un système où règne un certain arbitraire. Enfin, les mots savants composés d'éléments empruntés au grec et au latin doivent être adoptés car ils expriment la réalité d'une communauté de pensée. de science et d'une civilisation internationale.

de graves problèmes à l'arabe moderne D'une part le terme emprunté peut revêtir un sens différent selon que l'orateur est de formation française ou anglaise (**drama** peut signifier **drame** mais aussi, comme en anglais, théâtre, art dramatique). De même, le calque embarrasse un lecteur qui ne sait pas la langue d'origine qui l'a inspiré. Que signifie tashîlât (facilités) pour un délégué de formation arabe ou française qui ignore qu'en américain facilities désigne toute installation ou construction utile (banque, bibliothèque, usine à gaz, hôpital, etc.) ? Souvent, la langue scientifique et technique confine au jargon et les termes ne sont compréhensibles pour un interprète ou un traducteur que s'il les connaît déjà Ajoutons qu'on abuse parfois d'emprunts et de calques pour des raisons sociales telles que le snobisme, la formation occidentale de certains secteurs de la population, l'appartenance à une idéologie déterminée (langage de la mode, termes publicitaires, langage économique et politique). On comprend que les linguistes dénoncent l'envahissement de l'arabe par les emprunts et les calques. Mais ce phénomène risque de s'aggraver car les connaissances ne cessent d'évoluer alors que lecteurs, orateurs, interprètes et traducteurs ne disposent pas de dictionnaires et de lexiques qui enregistrent régulièrement les formes et les emplois qui entrent dans l'usage.

5 - Insuffisances des dictionnaires

Les lexicographes ont fait de leur mieux pour combler le fossé qui se creuse de plus en plus entre la langue et la civilisation. Pendant les vingt dernières années, d'importants dictionnaires et glossaires techniques ont été publiés. Mais bien souvent les linguistes et les lexicographes sont écrasés par le poids du passé. Ils retiennent l'acception primitive d'un terme même si l'usage l'a modifié. Les mots et les expressions tombés dans les oubliettes de l'archaïsme sont rarement sacrifiés. De même les lexicographes respectent trop les règles imposées par les grammairiens anciens. C'est ainsi que l'on se contente souvent de donner à un terme ancien une acception moderne (**barq** qui signifie en arabe classique éclair désigne, par catachrèse, le télégraphe). A l'instar des anciens on construit aussi, sur des racines trilitères ou quadrilitères, grâce à des préfixes et à des suffixes des formes qui expriment toujours la même nuance par rapport à la racine. **hasada** (moissonner) est à l'origine de **mihsad** (moissonneuse). **Uqm** (stérilité) est la racine dont dérive aqqama (stériliser).

En plus de ces formes traditionnelles, il existe un autre procédé largement utilisé par les linguistes et les lexicographes modernes : la suffixation. A la fin d'un nom, on ajoute un suffixe qui lui donne un sens nouveau. **Ishtirak** (association, participation), pourvu du suffixe **iyya** devient **ishtirakiyya :** socialisme.

En revanche, on évite, comme les anciens, la préfixation. C'est ainsi que les préfixes privatifs n'existent que dans des cas rarissimes. Chaque fois qu'un terme étranger commence par un préfixe comme **in, de, non,** on doit exprimer la négation par des formules très longues, ce qui fait perdre un temps précieux à l'interprète et alourdit le style du traducteur. En voici des exemples : inapplicable est traduit par le dictionnaire al-Mawrid de la façon suivante : **Ghayr qâbil li-l tatbîq** (qui ne se prête pas à l'application). **Apatride** est selon le Dictionnaire pratique de Youssef Chlala : **man lâ ginsiyyata lahu** (celui qui n'a pas de nationalité).

De même, sous l'influence des anciens, les lexicographes évitent un autre procédé de formation des mots : la composition. (Relevons que ce procédé est largement exploité en persan : **ruznâme** : journal ; **ist-gâh** : gare, etc.).

On peut reprocher également aux lexicographes arabes d'avoir peu exploité une source intarissable : les reprises. Comme nous l'avons déjà dit l'espagnol comprend beaucoup de termes techniques arabes. De même, les Turcs et les Iraniens ont créé, jusqu'à la première guerre mondiale, une masse de termes techniques et scientifiques construits sur l'arabe. Lorsque les pays arabes faisaient partie de l'Empire ottoman, ils

afin qu'elle puisse exprimer une sensibilité nouvelle et des notions modernes. Comme le révèle le Professeur Charles Pellat, les besoins en matière de vocabulaire étaient les suivants : termes concrets de la vie matérielle ; termes abstraits correspondant à des notions courantes en Occident (politique, administration, sentiments) ; termes techniques et scientifiques très spécialisés (médecine, industrie, enseignement supérieur).

Grâce aux efforts constants et ingénieux des lexicographes, des Académies, des traducteurs et des mass média, l'arabe a accompli un progrès prodigieux. Dans beaucoup de domaines, il est devenu une langue commune, normalisée (éducation, vie politique, etc.). L'arabe est de nouveau un réel instrument de culture et de contacts, une langue inter-arabe et pan-arabe qui permet à un Tunisien et à un Yéménite de se comprendre. Mais il faut reconnaître que cette langue fait encore face à de graves difficultés dont la solution requiert un travail en équipe et l'application rationnelle de méthodes scientifiques.

Ces difficultés sont notamment les suivantes :

1 - Problème de la diglossie

Comme on le sait, il existe un arabe littéral que comprennent tous les pays arabes, et un arabe dialectal qui varie d'un pays à l'autre. Or beaucoup de termes techniques ont une appellation officielle et une autre dialectale. Par bonheur, l'arabe littéral gagne de plus en plus de terrain sur l'arabe parlé.

Sur le plan de l'interprétation, l'arabe parlé peut poser de graves problèmes. Il suffit qu'un orateur soit ému pour qu'il s'exprime spontanément en dialecte, mettant ainsi dans l'embarras un interprète qui n'est pas de la même région que lui.

2 - Les «régionalismes

Avant leur accès à l'indépendance, les pays arabes étaient plus ou moins séparés par des barrières politiques. Chaque pays a essayé d'établir une terminologie scientifique et technique

Il arrive que les néologismes adoptés dans un pays ne soient pas connus dans les autres pays ou revêtent un sens différent. C'est ainsi que **hâfila** signifie autobus en Afrique du Nord seulement. **Midya'** désigne un microphone au Liban et un récepteur de radio en Egypte. **Nadwa** est une conférence en Tunisie et un colloque ailleurs. **Automatisation** se traduit en Egypte par **âliyya** (littéralement : instrumentalisme, mathinisme), en Algérie par talqâ'iyya (le fait de faire une chose soi-même, sans être incité ni contraint par autrui et par extension fonctionnement automatique d'un ensemble productif) et ailleurs **automâtiyya.**

3 - Problème de l'emprunt

Les moyens d'information sont responsables de l'envahissement de l'arabe moderne par des termes étrangers. En effet, la presse et la radio doivent traduire tout de suite les dépêches d'agence, trouver instantanément et n'importe comment l'équivalent d'un mot étranger. On se contente parfois de «naturaliser» le terme étranger.

Dans certains cas, il s'agit d'un emprunt pur et simple ; **téléfoun, tilifision** ou **tilibijan,** etc. Dans d'autres cas, le terme étranger est adapté à la morphologie de l'arabe. En Afrique du Nord, **télévision** se dit **talfaza.** Quelquefois, on trouve au vocable étranger une étymologie arabe : techniques devient **tiqniyyât**, mot dérivé de **atqana** : s'acquitter avec intelligence et habileté de quelque chose. De même **Mâkina** n'aurait pas pour origine **machina** mais dériverait du verbe **makkana :** permettre de faire telle ou telle chose !

4 - Le calque

Il y a «calque» quand un vocable ou une expression sont traduits en arabe de façon à conserver dans la traduction le caractère pittoresque ou imagé de la langue d'origine : les cadres (itarât en Algtrie), monter sur les planches (sa' ida alâ -l madar en Tunisie), simulation (muhakat en Egypte).

Il faut reconnaître que l'emprunt et le calque agacent les puristes d'autant plus qu'ils posent

rie (633-640), l'Egypte (653-645), l'Afrique du Nord (647-698) et l'Espagne (711-712). Les pointes du Croissant atteignent les plaines de Transoxiane (705-715) et les Pyrénées. Cet empire obéit au calife, maître unique du pouvoir spirituel et temporel. L'arabe devient l'organe d'expression de cet Etat puissant.

Mais à partir du Xe siècle, cet empire commence à se disloquer. Des pôles excentriques se créent en Asie, en Afrique du Nord, en Egypte (Califat fatimide) et en Espagne (Califat omeyyade). Si en Perse, le persan se substitue à l'arabe, celui-ci demeure pour les autres régions un instrument intellectuel et un facteur d'unité.

Dès leurs premiers contacts avec les pays conquis, les Arabes avaient entrepris d'assouplir et d'enrichir leur langue. La necessité de créer un vocabulaire adapté aux besoins des sciences de la théologie d'une part, et de l'administration de l'autre, se fit d'abord sentir. Les lexicographes créèrent alors des néologismes ingénieux en exploitant les ressources de la morphologie et en employant les termes dans un sens métaphorique. Peu à peu, l'arabe devint un véhicule de la connaissance. En arabe furent rédigés des traités de droit, de théologie, de prosodie, d'histoire, de géographie, de médecine, d'astronomie, de musique, de géométrie, de mécanique, d'alchimie, etc. Au début du IXe siècle, sous l'égide du calife abbasside al-Ma'moun, des ouvrages indiens, persans et grecs furent traduits en arabe. C'est ce mouvement de traduction qui permettra à l'Occident de récupérer à l'époque des Scolastiques (XIIe et XIIIe siècles) des textes grecs perdus par ailleurs : œuvres d'Aristote et de Platon, œuvres analogues écrites par des philosophes grecs plus tardifs. Phénomène rare dans l'histoire : sans se mettre eux-mêmes à apprendre le grec, les philosophes musulmans étudièrent et commentèrent les ouvrages des auteurs grecs en se fondant uniquement sur des traductions et leurs erreurs s'expliquent par des erreurs de traduction.

A partir du XIIIe siècle commence le déclin des Arabes. Les califats s'écroulent. La Reconquête chrétienne arrache à l'Islam les provinces espagnoles où il avait brillé d'un vif éclat. La Syrie et l'Egypte sont envahies par les Croisés. Dès le XVe siècle, les Ottomans étendent leur domination sur le monde arabe où le turc devient la langue officielle. Pour la culture arabe commence alors une longue période de sommeil qui s'étend jusqu'au XIXe siècle. Au cours de ces siècles de léthargie, on ne produit plus d'œuvres originales mais on se contente d'imitations et de compilations. La prose est réduite aux arabesques du vocabulaire creux, aux jeux de mots stériles, aux rimes et aux sonorités. Le vernaculaire s'installe de plus en plus dans la langue. Cependant, l'arabe devient pour certains pays une langue de culture. L'Espagne, la Perse et la Turquie lui empruntent une masse de termes techniques et scientifiques. Jusqu'au XXe siècle, Turcs et Iraniens recourent à l'arabe pour créer des néologismes, même quand il s'agit d'exprimer des notions d'origine occidentale.

Entre-temps, le monde arabe connaît, dès le XIXe siècle, une «Nahda» (Renaissance) qui s'exprime à la fois par une affirmation passionnée de soi et un ardent désir d'imiter l'Occident. Face aux visées expansionnistes de l'Europe, les Arabes, tout en modernisant leurs pays, trouvent dans la langue le moyen d'affirmer une identité menacée. De nos jours l'arabe est considéré comme l'un des éléments constitutifs de la nation arabe. On comprend alors le souci des pays arabes de voir leur langue devenir une langue de travail aux organisations internationales. Mais dans quelle mesure cette langue est-elle adaptée aux besoins de l'époque moderne ? Il est vrai que les auteurs anciens avaient légué aux arabes des lexiques très riches où des mots de toutes catégories avaient été enregistrés, mais cet héritage est par endroits inactuel et gênant : redoutable synonymie (80 synonymes pour le miel, 200 pour l'oiseau, 500 pour le lion), termes vagues ou ambivalents (**salim** signifie malade et sain à la fois), vocables d'une autre époque qui se sont vidés de leur substance ou qui sont tombés dans l'oubli. Il fallait rajeunir cette langue

Permanance de la lange arabe et ses problèmes actuels

par *Mongi Sayadi*

L'arabe n'est pas seulement la langue liturgique de l'Islam, la langue religieuse de quelque sept cent millions de musulmans ; c'est aussi une langue de civilisation qui a transmis à l'Occident une partie du patrimoine grec et qui, aux heures glorieuses de l'empire arabe, a exprimé avec un rare bonheur les besoins religieux, scientifiques et culturels de l'époque. Après le morcellement de cet empire, l'indépendance de la Perse, la « reconquista » de l'Espagne et l'avènement des Ottomans, l'arabe devint pour ces pays une langue de culture, à l'instar du latin dans les pays occidentaux. Cependant, avec l'affaiblissement du monde arabe et son assujettissement progressif à l'Europe, l'arabe se détériora et fut envahi par des tournures et des termes étrangers. Mais la «Renaissance» de la civilisation arabe (XIXe siècle) s'accompagna d'une renaissance linguistique. De nos jours, l'arabe aspire à devenir une langue internationale capable de rendre les idées et les choses que la civilisation contemporaine ne cesse d'apporter. Mais le poids du passé et de progrès prodigieux de la science et de la technologie lui posent des problèmes ardus qu'il nous a semblé intéressant d'exposer dans cette étude.

L'ARABE, LANGUE DE CIVILISATION

L'arabe se distingue à la fois par sa continuité et son évolution perpétuelle. Cette langue prestigieuse dans laquelle le Coran a été révélé n'a cessé, comme toute chose vivante, de s'enrichir et de se renouveler durant les treize siècles qui se sont écoulés depuis la naissance de l'Islam. L'histoire de cette langue demeure solidaire de l'histoire du monde musulman. Il paraît donc indispensable, pour en comprendre l'évolution, de connaître dans ses grandes lignes l'histoire de l'Islam.

Rappelons brièvement que du VIIe siècle à la fin du IXe siècle, l'Islam, né en Arabie, sort de son Cadre local, subjugue et convertit les peuples de l'Ancien Monde : la Mésopotamie et la Perse sont conquises (637-651) ainsi que les deux tiers des pays qui bordent la Méditerranée, la Sy-

consacrer une étude exhaustive. «Le gouvernement est convaincu que l'arabisation n'est nullement en contradiction avec l'enseignement d'une langue étrangère et que la dualité des langues est une question qui doit être traitée conformément à des règles pédagogiques précises.»

Pour les gens, qui ne voient qu'un seul aspect de la question, il s'agit d'organiser un enseignement entièrement dispensé en langue arabe. Mais les nécessités ptdagogiques imposent au contraire de ne pas comparer l'horaire fixé pour le français et pour l'arabe mais de juger le contenu du programme dispensé en arabe qui comprend la langue. l'histoire et la géographie.

En fait, l'arabisation n'est pas un problème vital mais un problème de destin, un choix entre une personnalité fondée sur la langue et une assimilation par une autre culture L'élève tunisien reçoit un modèle culturel de type « bourgeois » qui lui est étranger et qui convient à une société de consommation, ce qui crée en lui un sentiment de frustraction et le conduit à copier aveuglément le mode de vie européen. C'est dans ce sens qu'intervient la tunisification pour l'amener à s'enraciner dans son milieu social. L'arabe doit de ce fait jouer «son rôle moteur au niveau de la réflexion et de la transmission... au niveau de la conception et de la maïeutique.»

Cette propension des gens cultivés aussi bien que l'opinion à vouloir prendre en main le problème, crée une communion d'idées sur le principe, mais des discussions et des confusions parfois, quant aux modalités d'applicatiin. Certains rejettent purement et simplement l'arabisation (qui n'est qu'une composante de la tunisification) en considérant l'arabe comme langue étrangère aux Tunisiens, ce qui relève de l'excentricité ; de même que créer une antinomie entre arabisation (qui signifierait repliement sur soi) et ouverture sur le monde n'est qu'une attitude réelle. Il est donc essentiel de lever l'équivoque qui plane sur le rôle que doit jouer la langue arabe en Tunisie aussi bien que le français de façon que le bilinguisme soit un élément de fécondation, qui enrichit la personnalité. au lieu de l'aliéner. Cela signifie que l'option prise consiste à «centrer l'enseignement tunisien sur la culture arabe et à concevoir cette culture d'une façon dynamique et vivante en la situant dans l'ensemble de la culture humaine...»

Cette culture tunisienne se précise par deux courants de pensée, l'un, conduit par la revue al-Fikr, estime qu'il faut élargir cette notion au-delà d'une culture purement littéraire jusqu'à atteindre la culture populaire ; l'autre considère que la culture ne sera florissante que si la vie économique et sociale l'est également. Cette conviction a été défendue par la revue a-Tajdîd

La culture tunisienne peut créer une symbiose ou se détacher plus ou moins de la culture arabe mais le retour aux origines paraît inéluctable. La culture arabe comporte encore des éléments qui constituent des valeurs humaines Or, la personnalité tunisienne s'altère au contact du bilinguisme qui crée une sorte de culture bilingue qui favorise une culture au dépens d'une autre, en raison de l'efficacité éprouvée de la culture étrangère qui substitue aux archétypes arabes (fournis par 'Umar ibn-l-Khattâb ou Ghazâlî) d'autres qui sont latins ou européens et remplace les humanités arabes par des humanités latines. Même ce souci d'efficacité ne justifie plus le bilinguisme puisque les étudiants ont la possibilité d'apprendre rapidement une langue étrangère Il nous faut aussi créer une tradition scientifique arabe pour supprimer la restriction imposée à l'arabe, en faveur du français qui véhicule les notions scientifiques. L'Université dispensant un enseignement de type français, on ne peut penser à l'arabisation des études ou de l'administration. La place réservée à la culture arabe concerne les anciennes périodes, alors que l'étude de la période moderne est limitée, bien qu'elle puisse intéresser beaucoup les étudiants. car elle soulève des problèmes qui s'inscrivent dans un cadre historique et géographique qui permet la recherche et motive pour un travail exhaustif.

plus, l'enseignement supérieur est loin d'être arabisé, alors qu'il fallait «fournir un effort considérable en vue d'élaborer les lexiques nécessaires aux diverses branches scientifiques.»

D'un côté, l'option prise en faveur de l'arabisation est maintenue, de l'autre cette échéance est toujours reportée à une période lointaine ; et, en laissant le français véhiculer les sciences exactes, «ne reporte-t-on pas sine die le développement et l'évolution de l'arabe ?» Il se peut que l'on considère l'arabisation comme un retour à la langue du Moyen-Age et («on ne sauve pas en effet une langue ou une culture nationale en se contentant de maintenir ses attaches avec le passé.» (Discours du Président Bourguiba 28/6/69).

Il s'agit de comprendre ce concept : tunisifier et arabiser les programmes, des sciences humaines, la méthodologie, l'esprit et l'objet de la recherche, les méthodes pédagogiques liées au milieu socio-familial, sont les deux aspects d'un même problème qui, s'il est résolu au sommet, au niveau de l'Université, ne manque pas de rejaillir sur les autres degrés de l'enseignement. Il n'est pas question de rejeter les langues étrangères ou de supposer une baisse de niveau dans les études. Pareille indécision permet d'ailleurs aux partisans de la francophonie comme à ceux de l'arabe dialectal de faire de l'arabisation un cheval de bataille politique, par pure démagogie. Il semble donc prudent de procéder à une arabisation par étapes, qui permet de juger des résultats et de corriger les défauts d'une réalisation hâtive.

Il est à remarquer qu'une troisième langue s'est développée en Tunisie, (bien qu'elle soit encore en gestation), grâce à l'emploi de l'arabe dans plusieurs domaines publics. Elle se trouve sous l'influence d'un courant dialectal et d'un autre francisant. C'est pourtant avec un enseignement méthodique et efficace de l'arabe qu'on arrivera à employer cette langue comme moyen d'expression et véhicule de l'arabisation. Elle viendra aussi combler le fossé qui se creuse de plus en plus entre les deux registres de l'arabe.

En somme, réalisée d'une façon partielle, l'arabisation n'a pas recueilli l'adhésion générale, car les progrès accomplis furent empreints d'une grande circonspection. L'accord n'est pas encore acquis sur ce concept d'arabisation, sur le sens qu'il convient de lui attribuer, sur la portée de cette idée sur le plan pédagogique et national : doit-on arabiser l'ensemble de l'activité pédagogique, scolaire et administrative ou bien l'enseignement des sciences exactes et des techniques ? Dans cette deuxième perspective, on incline pour la réalisation graduelle ou pour constater le résultat jugé négatif (expérience de 1958-1967 de la section A).

C'est dans ce contexte qui laisse la porte ouverte à toutes les tendances et à toutes les interprétations que l'Assemblée nationale tunisienne a ouvert un débat sur le problème de l'arabisation qui a été situé dans une optique officielle : la tunisification et l'authenticité nationale doivent se manifester dans les programmes et les livres scolaires. Le bilinguisme «qui constitue un luxe pour un pays en voie de développement, qui est effectif dans les établissements scolaires... outre qu'il coûte à l'Etat d'importants investissements, ce système a engendré une baisse du niveau des cadres enseignants et des élèves. Ce n'est donc plus la démocratisation de l'enseignement qui est jugée responsable de la chute du niveau des études mais tout le système pédagogique tunisien fondé sur l'étude des deux langues, arabe et française, qui serait la cause du retard scolaire des élèves et de l'augmentation du nombre des défaillants dans tous les cycles d'enseignement. S'il existe un lien organique entre arabisation et tunisification la personnalité tunisienne est à même d'émerger, forte de son authenticité.

En ce qui concerne l'élève, l'arabisation le libère de cette aliénation qui crée une confusion dans le raisonnement, car il n'est pas possible «de penser dans une langue et de parler dans une autre.»

Problème de l'heure, et difficile à résoudre dans l'immédiat, les responsables tiennent à lui

le choix s'est porté sur les anciens ouvrages, Miftâh-l-'Ulûm de Khawârizmî, les épîtres des Frères de la Pureté, le dictionnaire d'Ibn Fâris, Maqâyîs-l-lugha, ainsi que sur le dictionnaire de Littré. Les termes retenus ont été ceux qui ont recueilli l'adhésion de tous les pays arabes. En cas d'opinions contradictoires, le choix s'est porté sur le plus proche du concept mathématique. Au cycle primaire, les inconvénients de l'enseignement du français à partir de la 3e année apparaissent lors de l'étude du calcul, commencée en arabe depuis deux ans.

Le professeur enseignant cette discipline éprouve des difficultés relatives aux symboles et concepts mathématiques. La langue scientifique fait encore défaut et il s'agit de la préciser à l'intention de l'enseigenment de langue arabe. Aussi, le lexique établi doit-il être généralisé et ne pas être laissé à l'initiative personnelle.

La commission de Sciences naturelles a recherché les termes anciens et modernes et son choix allait toujours vers le terme le plus précis qui n'avait pas besoin d'être explicité. Elle a traduit certains termes étrangers et pris quelque termes du dialecte. Ce n'est qu'en dernier lieu que le mot étranger est conservé (amibe, basalte...) En sciences physiques a été retenu le vocabulaire employé dans les pays arabes. Certaines expressions composées ont été abrégées et un certain nombre de termes ont été créés. Pour les symboles, on a eu recours à la 1ère ou à la 2e consonne du mot. En chimie, l'effort a porté sur un aspect technique de la question : la création d'un grand nombre de symboles et de signes pour représenter les noms des éléments et des métaux. Pour les élèves, l'apprentissage écrit au développement scientifique est prévu.

L'essai d'un vocabulaire spécifique aux sciences naturelles a été tenté depuis 1950, date de la section moderne de la Zitouna, en dépit du manque de moyens et de sources sur lesquelles on pouvait se fonder. Certains professeurs étaient fidèles à un vocabulaire donné, ce qui a créé une anarchie.

Ainsi l'arabisation se déroulait selon les prévisions et donnait satisfaction à ceux qui la considéraient comme un objectif national, demeuré longtemps libéré de tout aspect sentimental. «Elle correspond à une aspiration profonde de la population tunisienne car, si le français est pour elle une langue étrangère privilégiée, il n'est pas une langue maternelle.» Le dialecte n'est que la «langue du coeur», mais l'arabe classique représente l'authenticité du peuple tunisien et conserve une influence et une résonance certaines. Une arabisation totale risquerait de faire baisser le niveau, elle constitue un projet de l'esprit et ne peut être fondée sur l'égalité de traitement des deux langues d'enseipnement (ainsi, en 4e, 5e, 6e anntes primaires, l'élève fournit un effort supérieur en français). Il en résulte que les modalités de l'arabisation diffèrent lorsqu'il s'agit de passer du stade des principes à celui de l'application. «En fait, la section B devint rapidement prépondérante et la réforme de 1968, qui supprime la section A, semble confirmer l'option en faveur du bilinguisme.»

En dépit de cette décision qui semble freiner le mouvement d'arabisation, une ambiance de discussions autour de ce problème continue à alimenter les esprits sur le plan national. Ces retours en arrière et ces arrêts dans le processus d'arabisation ne semblent pas se justifier, car l'ouverture sur les cultures étrangères pourrait signifier aliénation pure et simple.

En se situant sur le plan scolaire, on ne manque pas de constater que l'arabisatiin s'est arrêtée à la deuxième année du cycle primaire et a pris une tendance horizontale qui s'est immobilisée (en troisième année, l'enseignement devient bilingue). Au second degré, elle a été verticale à la section A : dans toutes les classes, il y a eu arabisation des matières scientifiques. La formation des professeurs enseignant ces disciplines n'ayant pas été suffisante, la généralisation de la section A n'a pu se réaliser, car la «pyramide» de l'arabisation ne pouvait trouver son équilibre dans ce manque de cadres en langue arabe. De

de producteurs. La langue arabe pourra alors se transformer en langue de la créativité, de l'invention et de la découverte, comme c'est le cas pour le chinois ou l'hébreu moderne.

A l'échelle du Maghreb arabe, l'arabisation prend de l'ampleur selon une progression particulière à chaque pays et dans le cadre d'une responsabilité sur ce plan et à libérer le pays de ses pour tous les secteurs de la vie nationale.

En Tunisie, les demandes réitérées des organisations nationales visent à affirmer leur responsabilités sur ce plan et à libérer le pays de la dépendance culturelle et à sauvegarder la personnalité tunisienne de l'assimilation

Cette personnalité sera d'autant mieux à l'abri de cette atteinte qu'elle est orientée dans le sens de la tunisification et pour être efficace, l'enseignement tunisien doit être adapté à la réalité du pays, aussi bien historique géographique que physique. « C'est d'ailleurs une erreur psycho-pédagogique que de vouloir inculquer à des tunisiens un enseignement par des méthodes et des procédés purement français, car il faut adapter l'enseignement à l'auditoire et non l'auditoire à l'enseignement.» La tunisification recouvre en fait une action qui consiste à «faire en sorte que le citoyen puisse sentir les attaches solides qui le lient au sol tunisien aves ses problèmes, ses ambitions, sa volonté d'agir harmonieusement avec les autres pour un mieux-être »

Pour s'intégrer harmonieusement à la réalité nationale, le jeune tunisien trouve à sa disposition l'enseignement arabisé de la seetion A qui méritait d'être maintenue en vue de poursuivre une expérience qui n'a cessé d'être valorisée (ou dévalorisée) selon les options des uns et des autres. La langue française devait être acquise «comme un moyen de communication, avant toute prétention culturelle».

Or, l'arabe n'ayant pu être généralisé en raison du manque de professeurs. il semble qu'il faudrait vingt ans aux Tunisiens pour rendre définitive cette implantation de la langue arabe. L'arabisation ne pourra naturellement pas être compléte tant que l'enseignement supérieur ne sera pas doté d'enseignants tunisiens de langue arabe. Car sans cela, les éléments sortants du secteur secondaire arabisé ne pourraient pas poursuivre leurs études supérieures encore données en français.

En dépit de la prétendue diffusion de l'arabe dialectal et de la difficulté que trouverait l'arabe littéral à être diffusé, la réforme portant sur l'arabisation pourrait prendre son élan grâce aux initiatives des enseignants et non au moyen des interventions administratives qui viendraient imposer la terminologie scientifique. Déjà Ahmad Amîn pensait que l'on peut utiliser les moyens mis par la morphologie arabe à notre disposition (dérivation. suffixation, composition, extension). Le terme scientifique ayant recueilli l'adhésion générale pouvait servir dans le domaine scolaire. C'est donc à une unification du vocabulaire que l'on devrait s'atteler pour organiser un enseignement scientifique viable en établissant une relation de continuité entre les termes anciens et modrnes, pour remédier à cette anarchie terminologique. En effet, au lieu d'une arabisation unifiée, nous constatons soit des efforts individuels pour lancer des termes étrangers ou arabes, soit le recours à une méthode mixte qui «utilise la dérivation partout où elle est possible, la dérivation du sens, l'allégorie, la contraction...» soit, enfin l'adoption pure et simple du mot étranger. Les résultats sont intéressants en sciences naturelles et biologiques, mais les difficultés apparaissent dans les sciences physiques et annexes.

A la suite de la réforme de 1958, les mathématiques reçoivent le premier lexique arabe établi en Tunisie.

Une commission d'unification du vocabulaire mathématique a donné en effet son accord pour l'emploi d'une liste de termes à utiliser qui ont été recueillis dans les manuels français et classés par ordre alphabétique. Le vocabulaire en usage dans les pays arabes fut aussi examiné et

De même, le 1[er] Congrès de l'Union des Etudiants (1953) demande l'arabisation du cycle primaire, avec adaptation de l'enseignement au milieu et à la langue maternelle, «surtout si cette langue est de civilisation et de culture indéniables, comme la langue arabe» car «cette élimination de la langue arabe violente les plus élémentaires des principes de la pédagogie moderne et ne peut obéir qu'à des considérations extra-pédagogiques et extra-scolaires» (Travaux du 1[er] Congrès, 1953, Paris, 35. V. aussi Travaux du 3[e] Congrès national de l'U.G.E.T., 1955, Tunis, 72 p, 62).

Cette expérience, qui constitue l'élément principal de la tunisification, se présente comme une réalisatiosn par étapes qui évite une baisse brusque de niveau, et à laquelle il faut procéder «sans chauvinisme étroit et avec un esprit réaliste». Le programme se caractérise par une étude solide de l'arabe, une connaissance suffisante des langues étrangères, un excellent niveau dans les sciences islamiques et les sciences rationnelles.

La réalisation du projet est liée à la formation de professeurs dans les Universités des pays arabes. (al-Majalla Zaytûniyya, 1955/1375). Une mission de professeurs tunisiens a visité les pays arabes pour se rendre compte des progrès de l'arabisation. (al-Murabbî, avril 1957).

En fait l'arabisation constitue une dimension de l'indépendance du pays et, toute réserve dans la mise en application du projet constitue un élément imprévu et parfois incompréhensible, en raison de la circonspection dont est entourée la décision à prendre. Le plus simple serait de concrétiser le caractère officiel de la langue arabe. Au fond, il s'agit de dispenser un enseignement scientifique dans un programme limité qui n'exige pas des élèves de recourir aux encyclopédies scientifiques étrangères. Dans cette perspective, l'arabisation du cycle primaire et secondaire ne ne suppose pas la présence de difficultés insurmontables. L'enseignement supérieur, réservé à la spécialisation pose le problème de l'usage d'une terminologie adéquate. Au second degré, le manque de professeurs capables d'arabiser les sciences freine la généralisation de l'expérienrience. Mais la volonté d'arabiser est susceptible de créer un nouvel état d'esprit et d'encourager la publication d'ouvrages scientifiques en arabe.

Certaines disciplines peuvent être arabisées avec les moyens actuels, telle la sociologie, à moins que le professeur ignore l'arabe. A l'Université, c'est dans un sens vertical que l'idée d'arabisation se réalise par des spécialistes enthousiastes qui ne se contentent pas des sources arabes mais se servent des langues étrangères aussi, car il est essentiel de se tenir au courant du vocabulaire scientifique international, afin d'alimenter l'arabe et après s'être assurés de l'acceptabilité des nouveaux termes par les pays arabes, de la diffuser dans les livres scolaires.

D'ailleurs, l'expérience d'arabisation de la Zitouna, réalisée dans ses collèges secondaires ne peut nous laisser indifférents. Les élèves ont assimilé la langue et le vocabulaire scientifiques et ont pu continuer leurs études supérieures en arabe ; à ce niveau, l'étudiant est en mesure d'acquérir les éléments de langue étrangère qui lui font défaut, dans le cadre de sa spécialité. La langue arabe n'a donc pas fait obstacle aux études supérieures.

Il s'agit au fond de faire revivre une expérience vieille d'une vingtaine d'années et de s'en servir pour arbaiser l'administration et l'enseignement et pour créer une conscience populaire autour du problème. Les Tunisiens sont très sensibilisés à cette question et à l'essor de la langue classique. L'arabisation constitue dans ce sens un trait d'union et un équilibre entre les différentes couches de la population.

Quelles que soient les possibilités de la langue arabe moderne, elle ne se trouve pas en cause pour ce qui est du progrès et du niveau à atteindre pour vivre au diapason du monde actuel, dans les domaines économique, culturel et social. De consommateurs de la production culturelle étrangère, nous devons passer au stade

L'EXPERIENCE DE L'ARABISATION DE L'ENSIEGNEMENT EN TUNISIE

Le texte que nous publions ci-après a été extrait d'une étude fort intéressante intitulée : «L'Enseignement de la langue arabe en Tunisie» et présentée à la Sorbonne par son auteur, M. Mongi Sayadi, sous forme de thèse de doctorat d'Université.

En raison de l'importance et de l'actualité de l'arabisation qui se pose dans le monde arabe et plus particulièrement au Grand Maghreb (Algérie Maroc et Tunisie), M. Mongi Sayadi a jugé opportun et a tenu à pousser davantage ses investigations dans ce domaine en préparant une thèse de doctorat d'Etat.

Cette dernière aura pour sujet : «Le Bureau Permanent de Coordination de l'Arabisation dans le Monde Arabe» que M. Sayadi est venu étudier sur place durant le mois de Juillet 1973.

En Tunisie. la culture tunisienne d'essence spirituelle est dispensée à la Zitouna, foyer de conservation de la langue arabe, qui a essayé l'expérience d'arabisation des matières scientifiques.

Dans l'atmosphère politique locale, la réunion des nationalistes en «Congrès de la nuit du Destin » (26 ramadhân 1365 / 22-8-1946) a renforcé le sentiment patriotique symbolisé par la langue arabe. La Khaldûniyya crée en janvier 1946 l'Institut d'Etudes Islamiques, un Institut de Droit : En 1947, est institué le Baccalauréat arabe qui prépare les étudiants aux Universités arabes. La Zitouna crée, en 1947, des postes réservés à l'enseignement scientifique, en collaboration avec la Kkaldûniyya. Ces réformes encouragent l'opinion tunisienne à demander l'arabisation de l'enseignement. Le 30 octobre 1950, après une grève d'une année, les étudiants zitouniens obtenaient l'accord des autorités pour que fût créée une section moderne, où la langue arabe serait le véhicule des connaissances scientifiques indispensables aujourd'hui Le Zitounien trouve le moyen de compléter sa culture grâce à la langue nationale.

En fait, «tous les Tunisiens désirent une culture nationale profondément enracinée dans l'histoire, la géographie, la littérature, les traditions du pays, et en même temps, largement ouverte à la culture occidentale moderne ... L'arabisation est possible au 20e s. comme elle le fut aux 2e, 3e siècles. La Zitouna a effectivement proposé un programme pour l'arabisation de l'enseignement national qui permet d'étendre et de rénover les études zitouniennes, dont les sections modernes emploient l'arabe comme langue vivante et véhiculaire pour l'enseignement des sciences exactes. «Plus arabisé que l'enseignement sadikien le nouveau cycle d'études, auquel on accèdera désormais par l'examen d'entrée en «sixième zitounienne» se veut complet en lui-même. Les étudiants font des lectures d'œuvres étrangères traduites qui contribuent à leur culture aussi bien littéraire que philosophique.

الفهرس العام

1) دراسات وابحاث

2) ابحاث عامة .

3) دراسات معجمية

4) نشاط مكتب التعريب

5) دراسات وابحاث باللغة الاجنبية



مطابع دار الكتاب

الدار البيضاء

